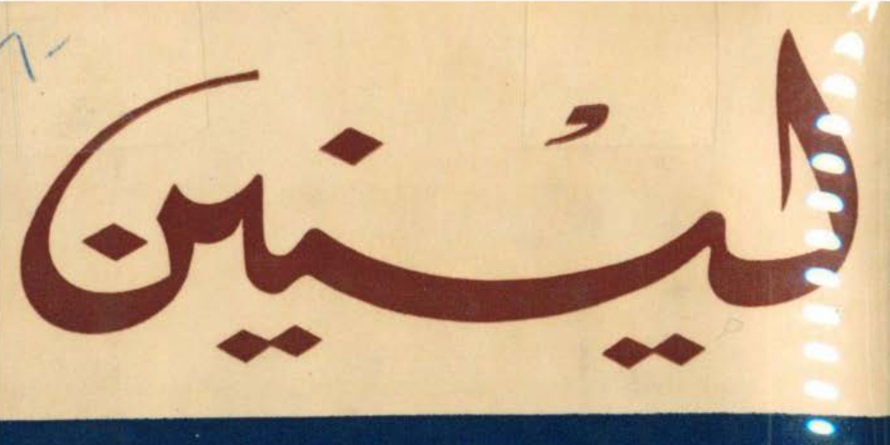
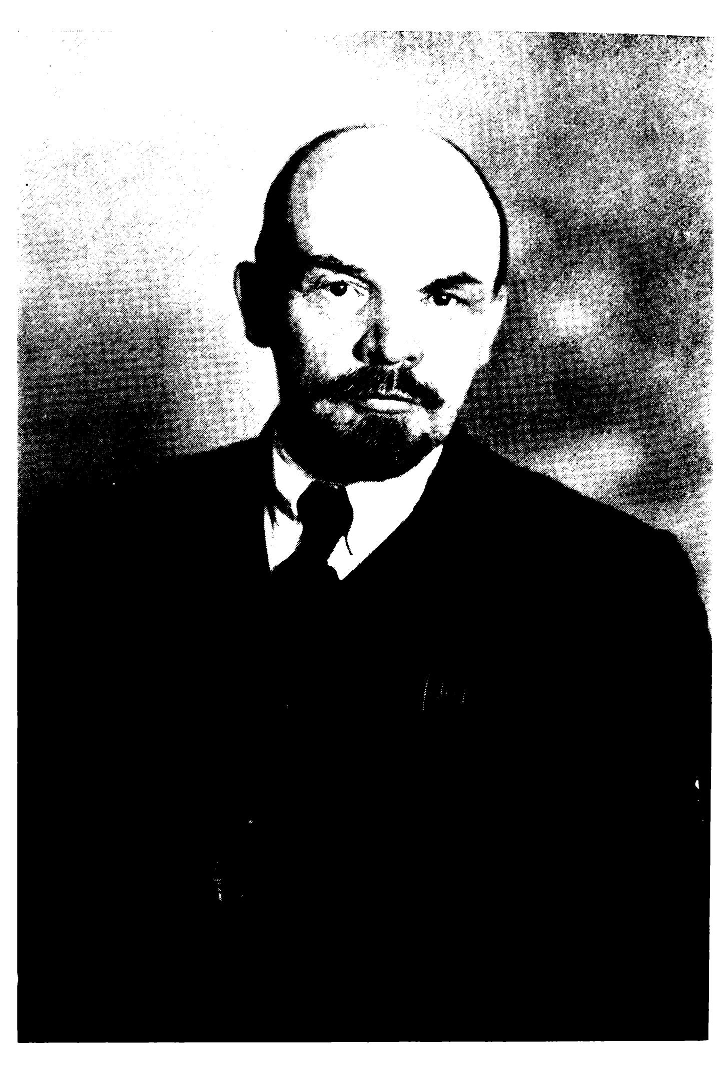


المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد

٨



لينين

المختارات

في ١٠ مجلدات

المجلد
٨
(١٩١٨ - ١٩١٩)

دار التقدم . موسكو

ترجمة الياس شاهين

В. И. ЛЕНИН

Избранные произведения в 10-ти томах

ТОМ VIII

(1918—1919)

На арабском языке

طبع في الاتحاد السوفييتي

Л $\frac{10102-901}{014(01)-77}$ 519—77

من الدار

يحتوي المجلد الثامن من المختارات بعشرة مجلدات مقالات وخطابات وكتباً للينين من المرحلة الممتدة من نيسان (ابريل) ١٩١٨ الى حزيران (يونيو) ١٩١٩ .

تتصدر المجلد مقالة «المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» المكتوبة في ربيع ١٩١٨ . وكان قد انقضى نصف عام فقط على قيام السلطة السوفييتية ، سلطة الشغيلة ، في روسيا القيصرية السابقة. وكان قد صودق للتو على معاهدة صلح بريست مع المانيا وحليفاتها . لقد عقد الصلح بشروط شاقة جداً بالنسبة لروسيا ، ولكنه اعطى الشعب ، الذي انهكته الى الحد الاقصى حرب دامت اربع سنوات ، والخراب الاقتصادي ، والجوع ، الهدنة المنشودة . وفي مقالة «المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» وفي التقرير بالاسم نفسه المقدم في جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، عرض لينين خطة لبعث الاقتصاد الوطني وتحويل اقتصاد روسيا على مبادئ الاشتراكية . اما المهام الرئيسية التي صاغها لينين ، فهي التالية : زيادة انتاجية العمل ، تطبيق ادق ما يكون من الحساب والرقابة على انتاج وتوزيع المنتجات ، توطيد طاعة العمل بجميع الوسائل ، تطوير المباراة الاشتراكية .

ويتضمن المجلد الرسالة التي كتبها لينين الى العمال الاميركيين في آب (اغسطس) ١٩١٨ ، اي في الوقت الذي بدأ فيه امبرياليو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية واليابان التدخل المسلح ضد روسيا بغية القضاء على السلطة السوفييتية. وقد فضحت هذه الرسالة باعظم ما يكون من الوضوح وقوة الاقناع الجوهر الوحشي والنفاق اللامتناهي الملازمين لسياسة الدول الامبريالية التي هاجمت الجمهورية السوفييتية الفتية. ورغم ان مجرد ايصال رسالة لينين الى الولايات المتحدة الاميركية كان في تلك الحقبة ، في ظروف محاصرة روسيا السوفييتية والتدخل الاجنبي ، امراً معقداً وصعباً ، اجتازت رسالة لينين الى العمال الاميركيين المحيط ، وصدرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ في صحافة الجناح الثوري من الحركة العمالية الاميركية ، ثم في الصحافة اليسارية في فرنسا وانجلترا. وقد اسهمت «رسالة الى العمال الاميركيين» في تعزيز حركة الاحتجاج في هذه البلدان على تدخل الامبرياليين المسلح في روسيا السوفييتية.

كذلك ورد في هذا المجلد مؤلف لينين المشهور «الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي». فقد انتقد لينين انتقاداً حاداً ارتداد كاوتسكي الذي خان الماركسية الثورية وعارض مذهب ماركس بشأن الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا. وبالاستناد الى تجربة ثورة اكتوبر في روسيا والحركة الثورية في البلدان الاخرى ، طور لينين في هذا المؤلف النظرية الماركسية بشأن الثورة الاشتراكية. وبيّن ان الديموقراطية السوفييتية ، الاشتراكية هي ديموقراطية اكمل ، ديموقراطية من طراز اعلى من اي ديموقراطية برجوازية.

ويتضمن المجلد ايضاً مقالات وخطابات للينين عن مهام النقابات في المجتمع الذي يبني الاشتراكية ؛ وكلمات لينين في مؤتمر

الكومنترن (الاممية الشيوعية) الاول الذي انعقد في موسكو في آذار (مارس) ١٩١٩ ؛ وخطاب لينين في مؤتمر عاملي الزراعة عن قضايا اشاعة التعاون بين الفلاحين ؛ وخطاب لينين في مؤتمر التعليم خارج المدرسة ، وغير ذلك .

في آذار ١٩١٩ ، انعقد في موسكو مؤتمر الحزب الثامن ؛ وقد القى فيه لينين تقريراً عن عمل لجنة الحزب المركزية ، وكذلك تقريرين عن برنامج الحزب الجديد وعن العمل في الريف . وفي هذه التقارير استخلص لينين رصيد تطور البلاد خلال سنة ونصف السنة من وجود السلطة السوفييتية ، وتناول بالتفصيل قضايا السياسة الخارجية التي تنتهجها الحكومة السوفييتية والتي يشكل النضال في سبيل التعايش السلمي اساسها ، كما تناول بالتفصيل مهام السياسة الداخلية . وقد طرح لينين مسألة ضرورة اقامة تحالف وطيد مع الفلاحين المتوسطين وذلك ، كما اشير في مشروع برنامج الحزب الجديد ، لاجل اشراك الفلاحين المتوسطين بصورة تدريجية ومنهاجية في بناء الاشتراكية . وقد اتسم طرح هذه المسألة باهمية كبيرة بخاصة .

المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية

الوضع الدولي لجمهورية روسيا السوفييتية والمهمات الاساسية امام الثورة الاشتراكية

بفضل الصلح الذي كسبناه (١) ، مهما كان مرهقاً وواهناً ، غدا في مستطاع جمهورية روسيا السوفييتية ان تحصر قواها ، لفترة من الزمن ، في اهم واصعب قطاع من قطاعات الثورة الاشتراكية ، عنيت به مهمتها التنظيمية .

ان هذه المهمة قد طرحت بوضوح ودقة امام جميع الجماهير الكادحة والمضطهَدة في الفقرة الرابعة (القسم الرابع) من القرار الذي اتخذه مؤتمر السوفييتات الاستثنائي بموسكو في ١٥ آذار (مارس) ١٩١٨ (٢) ، في الفقرة نفسها (او في القسم نفسه) التي تتناول الطاعة الذاتية عند الشغيلة والنضال بلا رحمة ولا رأفة ضد الفوضى والتشويش .

ان وهن الصلح الذي كسبته جمهورية روسيا السوفييتية لا يعود بالطبع الى كونها تفكر الآن باستئناف العمليات الحربية ؛ فليس ثمة رجل سياسي سليم التفكير يفكر في هذا ، ما عدا اعداء الثورة البرجوازيين ومتملقيهم (المناشفة) (٣) وغيرهم) . ان وهن الصلح انما يعود الى الامر التالي : في الدول الامبريالية المجاورة لروسيا شرقاً وغرباً ، في هذه الدول التي تملك قوة عسكرية هائلة ، يمكن لحزب الحرب ان يحرز الغلبة بين لحظة واخرى ، باغراء من ضعف روسيا الموقت وبحافز من الرأسماليين الذين

يكرهون الاشتراكية ويتحرقون الى النهب والسلب .

ان ضمانة السلام الفعلية ، غير الورقية بالنسبة لنا ، انما هي في هذه الحال وعلى وجه الحصر ، الخصام بين الدول الامبريالية ، الذي بلغ الذروة والذي يتجلى ، من جهـة ، في استئناف المجزرة الامبريالية للشعوب في الغرب ، ومن جهة اخرى ، في الحد الاقصى من تفاقم التنافس الامبريالى بين اليابان واميركا من اجل السيطرة على المحيط الهادي وسواحله .

ومفهوم مع مثل هذه الحماية الواهية ان يكون وضع جمهوريتنا الاشتراكية السوفييتية الدولي واهناً الى اقصى حد وحرجاً بما لا يقبل الجدال . ولذا يجب علينا ان نوتر كل قوانا غايـــة التوتير ونستغل الهدنة التي توفرها لنا الظروف لكي نضمد الجراح الخطيرة جداً ، التي تسببت بها الحرب لعموم الجهاز العضوي الاجتماعي في روسيا ، وننهض بالبلد اقتصادياً ، والا تعذر اطلاقاً تعزيز القدرة الدفاعية بصورة جدية نوعاً .

وبديهي كذلك اننا لن نتمكن مــن اسداء اي عون جدي الى الثورة الاشتراكية في الغرب ، التي تأخرت لعدد من الاسباب ، الا بقدر ما نتمكن من اداء المهمة التنظيمية الملقاة على عاتقنا .

والشرط الاساسي للنجاح في انجاز هذه المهمة التنظيميـة التي تواجهنا بالدرجـــة الاولى هو ان يستوعـــب قادة الشعـب السياسيون ، اي اعضاء الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، ثم جميع ممثلي الجماهير الكادحة الواعين ، ويدركوا كامل الادراك الفرق الجذري القائم في هذا الصدد بين الثورات البرجوازية السابقـــة والثورة الاشتراكية الحالية .

ففي الثورات البرجوازية ، كانت المهمة الرئيسية الموضوعة امام الجماهير الكادحة تنحصر في انجاز عمــل سلبي او تدميري : الغاء الاقطاعية والمَلكيــة وبقايا القرون الوسطى . امـا العمـل

الايجابي او الانشائي ، عمل تنظيم المجتمع الجديد ، فان الاقلية المالكة ، البرجوازية من السكان هي التي كانت تؤدي هذه المهمة . وكانت تؤديها رغم مقاومة العمال والفلاحين الفقراء ، وبسهولة نسبية ، لا لان مقاومة الجماهير التي يستثمرها الرأسمال كانت آنذاك في غاية الضعف بسبب من تشتتها وجهلها فحسب ، بل ايضاً لان القوة الرئيسية التي تنظم المجتمع الرأسمالي ببنيانه الفوضوي هي السوق الداخلية والخارجية التي تكبر بشكل عفوي ، سعة وعمقاً .

اما المهمة الرئيسية التى يترتب على البروليتاريا والفلاحين الفقراء الذين تقودهم ، ان يؤدوها في كل ثورة اشتراكية ، – وبالتالي في الثورة الاشتراكية التي بدأناها في روسيا في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، – فهي ، على العكس ، عمل ايجابي ، او انشائي قوامه تنظيم شبكة في غاية التعقيد والدقة من علاقات تنظيمية جديدة تشمل انتاج وتوزيع المنتجات الضرورية لمعيشة عشرات الملايين من الناس ، انتاجها وتوزيعها بصورة منهاجية . ان ثورة كهذه لا يمكن تحقيقها بنجاح الا اذا قامت اغلبية السكان وبالدرجة الاولى اغلبية الشغيلة ، بعمل ابداعي تاريخي مستقل . ولن يكون انتصار الثورة الاشتراكية مضموناً الا اذا وجدت البروليتاريا والفلاحون الفقراء في نفوسهم ما يكفي من الادراك ، والاخلاص الفكري ، والتفاني ، والصلابة . واننا اذ انشأنا دولة من طراز جديد ، سوفييتي ، يفسح للجماهير الكادحة والمضطهَدة في مجال الاشتراك بنشاط في بناء المجتمع الجديد بصورة مستقلة ، لم نحل الا قسماً صغيراً من قضية شائكة . فان الصعوبة الرئيسية تكمن في الميدان الاقتصادي ، وقوامها تحقيق اشد الحساب والرقابة صرامة في كل مكان على انتاج وتوزيع المنتجات وزيادة انتاجية العمل ، **وجعل** الانتاج **اجتماعياً في الواقع** .

ان تطور الحزب البلشفي ، وهو اليوم الحزب الحاكم في روسيا ، يبين بجلاء خاص كنه الانعطاف التاريخي الذي نمر به والذي يميز الظرف السياسي الراهن ، هذا الانعطاف الذي يتطلب من السلطة السوفييتية اتجاهاً جديداً ، اي طريقة جديدة في طرح القضايا الجديدة .

ان المهمة الاولى التي يواجهها حزب المستقبل ، كل حزب ، انما هي اقناع اغلبية الشعب بصحة برنامجه وتكتيكه . وهذه المهمة وردت في المرتبة الاولى ، سواء في عهد القيصرية ام في مرحلة سياسة التوفيق التي انتهجها تشيرنوف وتسيريتيلي واضرابهما ازاء كيرنسكي وكيشكين وامثالهما . ان هذه المهمة التي لا تزال بالطبع ابعد من ان تكون قد انتهت (ولا يمكن ابداً استنفادها الى النهاية) قد نفذت اليوم من حيث الاساس ، لان معظم العمال والفلاحين في روسيا ، كما بين مؤتمر السوفييتات الاخير في موسكو (٤) بلا جدال ، يقفون الى جانب البلاشفة علناً وجهاراً .

اما مهمة حزبنا الثانية ، فكان قوامها الظفر بالسلطة السياسية وسحق مقاومة المستثمِرين . وهذه المهمة هي ايضاً ابعد من ان تستنفد الى النهاية ، ومن المستحيل تجاهلها ، لان الملَكيين والكاديت (٥) من جهة ، واتباعهم واذنابهم ، المناشفة والاشتراكيين الثوريين اليمينيين (٦) ، من جهة اخرى ، يواصلون بذل جهدهم للاتحاد من اجل دك السلطة السوفييتية . ولكن المهمة القاضية بسحق مقاومة المستثمرين قد تحققت بخطوطها الاساسية في المرحلة التي تمتد من ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ حتى شباط (فبراير) ١٩١٨ (بصورة تقريبية) او حتى استسلام بوغايفسكي .

وهناك مهمة ثالثة ، مهمة تنظيم **الادارة** في روسيا ، ترد الآن في جدول الاعمال ، بوصفها مهمة مباشرة تميز الظرف الراهن .

وغني عن البيان اننا طرحنا هذه المهمـــة وعملنا على حلها فور الخامس والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ولكنـــه **لم يكن من الممكن** حتى الآن ان تصبح مهمة الادارة المهمة **الرئيسية** ، المهمة **المركزية** ، طالما كانت مقاومة المستثمرين ما تزال ترتدي شكل حرب اهلية سافرة .

وقد غدت الآن كذلك . فنحن ، الحزب البلشفي ، قد **اقنعنا** روسيا . **وظفرنا** بروسيـــا من الاغنياء في صالح الفقراء ، مـــن المستثمرين في صالح الشغيلة . وعلينا الآن **ادارتها** . وكل اصالة الظرف الذي نعيش ، كل الصعوبة ان ندرك **خصائص الانتقال** من مهمة رئيسية قوامها اقناع الشعب وسحق **المستثمِرين** عسكرياً الى مهمة رئيسية قوامها **الادارة** .

لاول مرة في تاريخ العالم استطاع حزب اشتراكي ان يحقق قضية الظفر بالسلطـــة وسحق المستثمرين بخطوطها الكبرى ، استطاع ان **يصل مباشرة الى** مهمة **الادارة** . يجب ان نكون محققين جديرين لهذه المهمة الشائكة للغاية (والخيّرة للغايـــة) من مهام الانقلاب الاشتراكي . يجب علينا ان **نمعن الفكر وندرك** انه لحسن الادارة ، **فضلاً عن** معرفة الاقناع ، فضلاً عن معرفة الانتصار في الحرب الاهلية ، لا بد من معرفة **التنظيم عملياً** . وهذه هي المهمة الصعبى ، لان المقصود تنظيم اعمق الاسس التي ترتكز عليها حياة عشرات وعشرات الملايين من الناس ، الاسس الاقتصادية ، وتنظيمها بطريقة جديدة . وهذه هي ايضاً المهمة الخيّرة ولا اكثر لانه **بعد** تحقيقها فقط (بخطوطها الكبرى الاساسية) ، يمكن القول ان روسيا **غدت** جمهورية ، لا سوفييتية وحسب ، بل اشتراكية ايضاً .

الشعار العام في الظرف الراهن

ان الوضع الموضوعي الذي رسمناه اعلاه والذي نشأ عن صلح في غاية القساوة والوهن ، عن خراب اقتصادي في غاية الايلام ، عن البطالة والجوع ، وكلها امور خلفتها لنا الحرب وسيطرة البرجوازية (بشخص كيرنسكي وكذلك باشخاص المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين الذين كانوا يدعمونه) ، — ان هذا كله قد افضى بالضرورة الى اقصى الكلل والتعب ، بل افضى الى استنفاد قوى الجماهير الغفيرة من الشغيلة . وهذه الجماهير تطالب بالحاح وقوة ببعض الراحة ولايمكنها ان لا تطالب بها . ان بعث القوى المنتجة التي دمرتها الحرب وتحكم البرجوازية ؛ وعلاج الجراح التي احدثتها الحرب ، والهزيمة في الحرب ، والمضاربة ، ومحاولات البرجوازية لاعادة سلطة المستثمِرين المقلوبة ؛ وانهاض البلاد اقتصادياً ؛ وحماية ابسط نظام حماية ثابتة ، — ذلك ما يرد في جدول الاعمال اليوم . وقد يبدو هذا تناقضاً ، ولكنه من المؤكد اطلاقاً في الواقع ، بحكم الظروف الموضوعية التي اشرنا اليها ، ان السلطة السوفييتية لا تستطيع ، في الوقت الحاضر ، ان تدعّم انتقال روسيا الى الاشتراكية الا اذا استطاعت ، رغم مقاومة البرجوازية والمناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين ، ان تؤدي عملياً هذه المهمات الاولية ، البسيطة في منتهى البساطة ، الرامية الى صيانة اسس الحياة العامة . ان الاداء العملي لهذه المهمات البسيطة في منتهى البساطة وتذليل المصاعب التنظيمية التي تنطوي عليها الخطوات الاولى نحو الاشتراكية ، انما هما اليوم وجها مدالية واحدة ، نظراً لخصائص الوضع الراهن الملموسة ونظراً لوجود السلطة السوفييتية بقوانينها حول جتمعة الارض والرقابة العمالية (٧) ، الخ . .

احسب حساباتك بعناية ووجدان ، ادر الاقتصاد بحكمة ، لا تتكاسل ، لا تسرق ، تقيد باشد الطاعة صرامة في العمل ، — ان هذه

الشعارات التي سخر منها بحق البروليتاريون الثوريون حين كانت البرجوازية تستتر بمثل هذه التعابير سيطرتها بوصفها طبقة من المستثمرين ، تغدو اليوم ، بعد اسقاط البرجوازية ، اهم شعارات الساعة واكثرها الحاحاً . فان تطبيق هذه الشعارات في الواقع العملي من جانب **سواد** الشغيلة هو الشرط **الوحيد** لخلاص البلد الذي كابد عذاب الشهادة بسبب من الحرب الامبريالية وضواري الامبريالية (وعلى رأسهم كيرنسكي) ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، ان تطبيق هذه الشعارات في الواقع العملي من جانب السلطة **السوفييتية** ، بطرائقها وبموجب قوانينها ، هو الشرط الضروري **والكافي** لانتصار الاشتراكية النهائي . وهذا ما لا يستطيع فهمه اولئك الذين يصرفون وجوههم بازدراء حين يحدثهم احد عن وضع شعارات «مطروقة» و«مبتذلة» كهذه في المرتبة الاولى . ففي بلد الفلاحين الصغار ، في هذا البلد الذي اطاح بالقيصرية منذ سنة فقط ، وتحرر من كيرنسكي واضرابه منذ اقل من ستة اشهر ، لا تزال ثمة بالطبع كثرة من الفوضوية العفوية ، زادت من حدتها الوحشية والبهيمية اللتان ترافقان كل حرب رجعية وطويلة الامد ؛ وليس نادراً ايضاً ان يدع المرء نفسه يستسلم لليأس ولغضب لا موضوع له ؛ واذا اضفنا الى هذا سياسة الاستفزاز التي يسلكها خدم البرجوازية الاذلاء (المناشفة والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، الخ .) ، ادركنا تماماً اي جهود دائبة وعنيدة يجب ان يبذلها خيرة العمال والفلاحين واوعاهم من اجل اجراء انعطاف تام في مزاج الجماهير وانتقالها الى عمل منتظم ومرتب وانضباطي . ان هذا الانتقال الذي تقوم به الجماهير الفقيرة (من البروليتاريين وانصاف البروليتاريين) هو وحده القادر على انجاز الانتصار على البرجوازية ، ولاسيما على البرجوازية الفلاحية التي هي اشد فئات البرجوازية عناداً واكثرها عدداً .

مرحلة جديدة في النضال ضد البرجوازية

لقد غلبت البرجوازية على امرها في بلادنا ، ولكنها لمّا تستأصل شأفتها ، لمّا يقض عليها كلياً بل انها لمّا تسحق كلياً . ولذا يرد في جدول الاعمال شكل جديد ، اعلى ، من اشكال النضال ضد البرجوازية ، قوامه الانتقال من المهمة الابسط ، مهمة الاستمرار على مصادرة املاك الرأسماليين ، الى مهمة اشد تعقيداً وعسراً بكثير ، مهمة ايجاد ظروف لا تستطيع فيها البرجوازية ان تعيش ولا ان تتكون من جديد . وبديهي ان هذه المهمة ارقى بما لا يقاس ، وانه طالما لم تتحقق فلن تكون ثمة اشتراكية .

واذا اخذنا ثورات اوروبا الغربية مقياساً ، فاننا اليوم على مقربة من المستوى الذي بلغته عام ١٧٩٣ وعام ١٨٧١ (٨) . وفي وسعنا ومن حقنا الاعتزاز لكوننا ارتفعنا الى هذا المستوى بل تجاوزناه ، بلا ريب ، في احدى النواحي ، بمعنى اننا رسمنا واقمنا في روسيا بأسرها **الطراز** الاعلى للدولة وهو السلطة السوفييتية . ولكنه لا يجوز في اي حال من الاحوال ان نكتفي بالنتائج الحاصلة ، لاننا لم نفعل غير ان باشرنا الانتقال الى الاشتراكية ، ولكننا ، في **هذا** المضمار ، لم نحقق **بعد** الشيء الفاصل .

فالشيء الفاصل ، انما هو تنظيم اشد الحساب والرقابة صرامة ، من قبل الشعب كله ، على انتاج المنتجات وتوزيعها . والواقع اننا **لم** نتوصل **بعد** الى تنظيم الحساب والرقابة في المؤسسات ، في الفروع والميادين الاقتصادية التي انتزعناها من البرجوازية ، والواقع انه بدون ذلك لا يمكن حتى الحديث عن الشرط المادي الثاني لتطبيق الاشتراكية ، الذي لا يقل اهمية عن الشرط الاول والذي ينحصر في زيادة انتاجية العمل ، في عموم البلاد .

ولذا لا يمكن تعريف مهمة الساعة بالصيغة البسيطة التالية : مواصلة الهجوم على الرأسمال . فمع انه واضح اننا لم نضرب الرأسمال الضربة القاضية وانه من الضروري اطلاقاً مواصلة الهجوم على عدو الشغيلة هذا ، الا ان صيغة كهذه غير دقيقة ، غير ملموسة ؛ فهي لا تأخذ بالحسبان **الطابع الخاص** للظرف الراهن اذ يجب ، **اليوم** ، «وقف» الهجوم موقتاً ، بغية تأمين النجاح للهجوم **اللاحق** .

وفي المستطاع تفسير هذا القول باجراء مقارنة بين وضعنا في الحرب ضد الرأسمال ووضع جيش مظفر يضطر ، بعد ان انتزع من العدو نصف اراضيه او ثلثيها مثلاً ، الى وقف هجومه موقتاً بغية تجميع قواه وانماء احتياطياته من الذخائر ، واصلاح خطوط المواصلات وتعزيزها ، وبناء مستودعات جديدة ، واستجلاب نجدات جديدة ، الخ . . ففي هذه الاحوال ، يكون وقف هجوم الجيش المظفر موقتاً امراً ضرورياً بالضبط للاستيلاء على بقية اراضي العدو ، اي لكي يكون النصر تاماً . ومن لم يدرك ان هذا هو بالضبط طابع «الوقف» الموقت الذي يفرضه علينا الوضع الموضوعي في الظرف الراهن ، في هجومنا على الرأسمال ، لم يدرك شيئاً من المرحلة السياسية الحالية .

وغني عن البيان انه لا يمكن الكلام عن «وقف» الهجوم على الرأسمال الا بوضع الكلمة بين هلالين مزدوجين ، اي باستعمالها على سبيل المجاز . ففي حرب عادية ، يمكن اصدار الامر بوقف الهجوم على طول الجبهة ؛ يمكن وقف الزحف الى امام عملياً . اما في الحرب ضد الرأسمال ، فلا يمكن وقف الزحف الى امام ولا يجوز حتى الكلام في العدول عن مواصلة مصادرة الرأسمال . فالمقصود هو نقل **مركز الثقل** في عملنا الاقتصادي والسياسي . فان ما كان يبرز **في المرتبة الاولى** ، حتى الآن ، انما هو التدابير الرامية مباشرة

الى مصادرة ملكية مغتصبي الملكية . امـــا اليوم ، فان ما يرد **في المرتبة الاولى** ، انما هو تنظيم الحساب والرقابة في الاستثمارات التي صودرت مـــن الرأسماليين ، وكذلك في جميع الاستثمارات الاخرى .

واذا شئنا ان نواصل الآن مصادرة الرأسمال بنفس الوتيرة السابقة ، فمن المؤكد اننا سنمنى بالهزيمة ، لانه بديهي لكل انسان يفكر ، ان عملنا في تنظيم الحساب والرقابة البروليتارية **تأخر** بكل جلاء عن عملنـــا الرامي **مباشرة** الى «مصادرة ملكيـــة مغتصبي الملكية» . فاذا وجهنا كل جهودنا الآن الى تنظيم الحساب والرقابة ، استطعنا ان نحل هذه القضية ، وعوّضنـــا عن الزمن الفائـت ، وكسبنا في **كل** «حملت»نا على الرأسمال .

ولكن ، ألا يعني الاعتراف بانه ينبغي لنا التعويض عن الزمن الفائت اعترافاً باننا اقترفنا خطأ ما ؟ - كلا ابداً . لنلجأ من جديد الى مقارنـــة عسكريـــة . اذا كان في المستطاع هزم العدو وطرده بواسطة فصائل الخيالة الخفيفة وحدها ، فيجب هزمه وطرده . ولكن اذا لم يكن في المستطاع تحقيق ذلك بنجاح الا الى حد معين ، كان من المحتمل تماماً انه من الضروري فيمـا وراء هذا الحد استقدام المدفعية الثقيلة . واذا ما اعترفنا انه يتعين علينا اليوم ان نعوض عن النقص في استقدام المدفعية الثقيلة ، فاننا لا نعترف اطلاقاً بان هجوم الخيالة الظافر كان خطأ .

وكثيراً ما لامنا خدم البرجوازية الاذلاء لكوننا اطلقنا «الحرس الاحمـر» في الهجوم ضد الرأسمال . وهذا لوم اخرق وجدير بخدم كيس النقـود الاذلاء بالضبط . لان الظروف ، **في حينـه** ، فرضت علينـــا فرضاً اطلاق «الحرس الاحمر» في الهجوم ضد الرأسمال : اولاً ، كان الرأسمال يقاوم **آنذاك** مقاومـــة عسكريـــة بشخص كيرنسكي ، وكراسنوف ، وسافينكوف وغوتز (وغيغيتشكوري

اليوم ايضاً يقاوم بهذه الصورة) ، ودوتوف ، وبوغايفسكي . ولا يمكن سحق المقاومة العسكرية الا بالوسائل العسكرية ، وقد قام الحرس الاحمر بعمل تاريخي من اكبر الاعمال التاريخية وانبلها ، الا وهو تحرير الشغيلة والمستثمَرين من نير المستثمِرين .

ثانياً ، لم يكن في وسعنا في ذلك الحين ان نضع في المرتبة الاولى طرائق الادارة بدلاً من طرائق القمع لسبب آخر ايضاً هو ان فن الادارة لا يولد مع المرء ، انما يكتسبه بالتجربة . وهذه التجربة كانت تنقصنا في ذلك الحين . اما الآن فنحن نملكها . ثالثاً ، لم يكن من الممكن ان يكون آنذاك تحت تصرفنا اختصاصيون في شتى فروع المعرفة والتكنيك ، فاما انهم كانوا يحاربون في صفوف اضراب بوغايفسكي ، واما انهم كانوا لا يزالون يستطيعون مقاومتنا مقاومة سلبية ، دائبة منتظمة ، عنيدة ، عن طريق **التخريب** . اما الآن ، فقد سحقنا التخريب . وقد نجح هجوم «الحرس الاحمر» على الرأسمال ، وانتصر ، لاننا قهرنا مقاومة الرأسمال العسكرية وكذلك مقاومته عن طريق التخريب .

فهل هذا يعني ان هجوم «الحرس الاحمر» على الرأسمال امر مناسب **دائما** ، **في جميع** الظروف ، واننا **لا نملك** وسائل اخرى لمحاربة الرأسمال ؟ من الصبيانية اعتقاد ذلك . فقد انتصرنا بواسطة الخيالة الخفيفة ، ولكننا نملك ايضاً مدفعية ثقيلة . لقد انتصرنا بطرائق القمع ، وسنتمكن من احراز النصر بالطرائق الادارية ايضاً . ينبغي لنا ان نعرف كيف نغير طرائق النضال ضد العدو حين تتغير الظروف . واننا لن نعدل لحظة واحدة عن قمع السادة سافينكوف وغيغيتشكوري واضرابهما بطرائق «الحرس الاحمر» ، وعن قمع سائر اعداء الثورة البرجوازيين والملاكين العقاريين على اختلافهم . ولكننا لن نبلغ من الحماقة ما يحملنا على وضع طرائق «الحرس الاحمر» في المرتبة الاولى في حين ان المرحلة

التي كانت فيها هجمات الحرس الاحمر امراً ضرورياً قد انتهت من حيث الاساس (وانتهت بالنصر) وتدق على الباب مرحلة ستستخدم فيها سلطة دولة البروليتاريا الاختصاصيين البرجوازيين لقلب التربة بشكل لا يمكن معه لاي برجوازية ان تنبت فيها .

وهذه مرحلة او بالاصح هذا طور من التطور ذو نوع خاص ، ولاجل التغلب نهائيا على الرأسمال ، ينبغي لنا ان نعرف كيف نكيف اشكال نضالنا على ظروف هذا الطور الخاصة .

فبدون قيادة الاختصاصيين في شتى ميادين المعرفة والتكنيك والتجربة ، يستحيل الانتقال الى الاشتراكية ، لان الاشتراكية تتطلب تقدماً واعياً وجماهيرياً نحو انتاجية في العمل ارقى من انتاجية العمل في ظل الرأسمالية ، وعلى اساس النتائج التي توصلت اليها الرأسمالية . انما يجب ان تحقق الاشتراكية هذا التقدم على **طريقتها** ، باساليبها الخاصة ، ولنقل بصورة ملموسة اكثر : باساليب **سوفييتية** . والحال ، ان معظم الاختصاصيين هم بالضرورة اختصاصيون برجوازيون ، بحكم جميع ظروف الحياة الاجتماعية التي جعلت منهم اختصاصيين . ولو ان بروليتاريانا ، بعد ان تسلمت زمام السلطة ، حلت بسرعة مهمة الحساب والرقابة والتنظيم على نطاق البلاد كلها (وهذا ما كان مستحيلاً بسبب من الحرب وتأخر روسيا) ، لاخضعنا لنا كلياً ، بعد القضاء على اعمال التخريب ، الاختصاصيين البرجوازيين ايضاً بفضل تعميم الحساب والرقابة . فمن جرّاء «التأخر» المحسوس الذي نلحظه في حقل الحساب والرقابة بوجه عام ، **لم** نوجد **بعد** ظروفاً تضع الاختصاصيين البرجوازيين تحت تصرفنا ، وذلك رغم اننا نجحنا في القضاء على اعمال التخريب . ان عدداً من المخربين «يقبلون على الخدمة» ، ولكن الدولة تستطيع ان تستخدم خيرة المنظمين واكبر الاختصاصيين اما حسب الطريقة القديمة ، الطريقة البرجوازية (اي لقاء اجور عالية)

واما حسب الطريقة الجديدة ، البروليتاريـــة (اي بايجاد ظروف لحساب ورقابة يمارسهما الشعب بأسره من تحت ، ظروف تؤدي حتماً ، من تلقاء نفسها ، الى اخضاع الاختصاصيين لنا واجتذابهم الى جانبنا) .

وكان لا بد لنا من اللجوء الآن الى الطريقة القديمـــة ، الى الطريقة البرجوازية ، ومن الموافقة على دفع ثمن عال جداً مقابـل «خدمات» كبار الاختصاصيين البرجوازيين . وهذا ما يراه جميـع الذين يعرفون المسألة ، ولكن ليس الجميع يمعنون الفكر في اهمية هذا التدبير الذي اتخذته الدولة البروليتاريـة . فبديهي ان هذا التدبير مساومة ، ونوع من التخلي عن مبادئ كومونة باريس وكل سلطة بروليتارية ، هذه المبادئ التي تتطلب تخفيض الرواتب الى مستوى اجرة عامل متوسط ، تتطلب محاربة الوصوليـة بالاعمال لا بالاقوال .

ومن الواضح ، فضلاً عن ذلك ، ان هذا التدبير ليس مجرد وقف – في ميدان معين وبمقدار معين – للهجوم على الرأسمال (لان الرأسمال ليس مبلغاً من المال ، انما هو عبارة عن علاقة اجتماعية معينة) ؛ بل هو ايضاً **خطوة الى الوراء** خطتها سلطـــة دولتنـــا الاشتراكية ، السوفييتية ، التي اعلنت وطبقت منذ البدء سياسة تخفيض الرواتب العالية الى مستوى اجرة عامـــل متوسط (٩) .

وطبيعي ان الاعتراف باننا نخطو خطوة الى الوراء سيحمـل خدم البرجوازية الاذلاء على المهانفـــة ، ولا سيمـــا صغارهم مثل المناشفة ، وجماعة «نوفايا جيزن» (١٠) ، والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين . ولكنه ليس لنا ان نعير انتباهاً الى المهانفة . انما ينبغي لنا ان ندرس خصائص السبيل الجديد ، البالغ اقصى درجات الوعورة ، والمؤدي الى الاشتراكية ، دون اخفاء اخطائنا ونواحي ضعفنا ، بل ببذل الجهد لكي ننجز في الموعد مـــا لم يتم انجازه بعد . واذا

اخفينا عن الجماهير ان اجتذاب الاختصاصيين البرجوازيين بعرض رواتب عالية جداً عليهم انما يعني الانصراف عن مبادئ الكومونة ، سقطنا الى مستوى الساسة البرجوازيين وخدعنا الجماهير . اما اذا شرحنا بكل صراحة كيف ولماذا خطونا هذه الخطوة الى الوراء ، ثم درسنا علناً وجهاراً ما يتوافر لنا من وسائل يمكن بها التعويض عما فات ، فاننا بذلك نربي الجماهير ونتعلم معها ، بالتجربة ، بناء الاشتراكية . من المشكوك فيه ان يعرف التاريخ حملة عسكرية ظافرة واحدة لم يرتكب فيها الظافر اي خطأ ، ولم يمن فيها باخفاقات جزئية ، ولم يضطر الى التراجع موقتاً في هذه النقطة او تلك ، ويتقهقر هنا او هناك . والحال ، ان «الحملة» التي باشرناها ضد الرأسمالية اصعب مليون مرة من اصعب الحملات العسكرية ؛ ومن الخراقة والعار ان يدع المرء تراجعاً موقتاً وجزئياً يفل عزيمته ويخمد همته .

لنرَ الى المسألة من ناحيتها العملية . لنفترض ان جمهورية روسيا السوفييتية بحاجة الى ١٠٠٠ عالم واختصاصي من الدرجة الاولى في شتى ميادين المعرفة والتكنيك والتجربة العملية ، لقيادة عمل الشعب بغية النهوض باقتصاد البلاد باسرع ما يمكن . ولنفترض انه ينبغي لنا ان ندفع ٢٥ الف روبل في السنة لكل من «نجوم المرتبة الاولى» هؤلاء ، الذين يزعق معظمهم ، طبعاً ، بفساد العمال ويزداد شغفهم في هذا الزعيق كلما ازداد فسادهم هم من جراء الاخلاق البرجوازية . ولنفترض ان هذا المبلغ (٢٥ مليون روبل) انما يترتب مضاعفته (نظراً للمكافآت على انجاز اكبر المهام التكنيكية والتنظيمية بسرعة خاصة ونجاح كبير) او حتى زيادتها الى اربعة امثال (نظراً لاحتمال استدعاء بضع مئات من الاختصاصيين الاجانب اشد تطلباً) . هنا يوضع السؤال التالي : هل يمكن اعتبار نفقة سنوية قدرها خمسون او مائة مليون روبل لاعادة تنظيم عمل

الشعب حسب احدث منجزات العلم والتكنيك مبلغاً باهظاً او مرهقاً بالنسبة للجمهورية السوفييتية ؟ كلا ، طبعاً . ان اغلبيــة العمال والفلاحين الواعين الساحقة ستوافق على هذه النفقة ، فهم يعرفون من دروس الحياة العملية ان تأخرنا يخسّرنا المليارات واننا **لم** نبلغ **بعد** مستوى من التنظيم والحساب والرقابة بامكانه ان يحمل «نجوم» المثقفين البرجوازيين على الاشتراك في عملنا **نحن** اشتراكاً شاملاً وبملء الخاطر .

وطبيعي ان للقضية جانباً آخر ايضاً . فلا يمكن انكار التأثير المفسد الذي تمارسه الرواتب العالية في السلطة السوفييتية (خصوصاً وانه ، نظراً لسرعة الانقلاب ، كان لا بد من ان يتعلق بهذه السلطة عدد من المغامرين والمحتالين لا يرجون ، مع عدد من المفوضين العديمي الكفــاءة او الفاقدي الوجدان ، خيراً مــن ان يصبحــوا «نجوماً» .. في فن اختلاس اموال الخزينـــة) ، وكذلك في سواد العمال . ولكن جميع العناصر الشريفة والمفكرة بين العمال والفلاحين الفقراء ستوافق معنا على الاقرار باننا لا نستطيع التخلص دفعـــة واحدة من الميراث المشؤوم الذي خلفته لنا الرأسمالية واننا لا نستطيع تحرير الجمهورية السوفييتية من «جزية» يتراوح مقدارها بين ٥٠ و ١٠٠ مليون روبل (وهي جزية ندفعها عن تأخرنا ، نحن ، في تنظيم الحساب والرقابة يمارسهما **الشعب بأسره من تحت**) الا بتنظيم صفوفنا وتعزيز الطاعة بيننا نحن ، وتنظيف صفوفنا مــن جميع اولئك الذين «يحفظون ميراث الرأسمالية» و «يتقيدون بتقاليد الرأسمالية» ، اي الكسالى والطفيليين ومختلسي اموال الخزينـة (وكل الارض ، وجميع المصانع ، وجميع السكك الحديدية تؤلف اليوم «خزينة» الجمهورية السوفييتية) . فاذا نجحت العناصر الواعية المتقدمة من العمال والفلاحين الفقراء ، في مدى سنة ، وبمساعدة المؤسسات السوفييتية ، في تنظيم صفوفها ، وتعويد نفسها على

الطاعة وعلى المواظبة في العمل ، وتكوين طاعة قوية في العمل ، تخلصنا حينذاك ، بعد سنة ، من هذه «الجزية» التي يمكن تخفيضها حتى قبل ذاك ... تماماً بقدر نجاحات طاعتنا وتنظيمنا العماليين والفلاحيين في العمل . وبقدر ما نسرع ، نحن العمال والفلاحين ، ونكتسب طاعة افضل في العمل وتكنيكاً ارقى في العمل ، باستخدام الاخصائيين البرجوازيين من اجل اكتساب هذا العلم ، نسرع ونتحرر من كل «جزية» ندفعها لهؤلاء الاخصائيين .

ان عملنا الهادف الى تنظيم الحساب والرقابة من قبل الشعب بأسره على انتاج المنتجات وتوزيعها ، الى تنظيمهما تحت اشراف البروليتاريا ، يتأخر كثيراً عن جهدنا الرامي الى مصادرة ملكية مغتصبي الملكية مباشرة . وهذا هو الامر الاساسي الذي يتيح فهم خصائص الظرف الراهن والمهام الناجمة عنها بالنسبة للسلطة السوفييتية . ان مركز الثقل في النضال ضد البرجوازية ينتقل نحو تنظيم هذا الحساب وهذه الرقابة . وانطلاقاً من هذه النقطة فقط ، يمكننا ان نحدد على النحو الصحيح المهام المباشرة للسياسة الاقتصادية والمالية فيما يخص تأميم المصارف ، واحتكار التجارة الخارجية ، ومراقبة الدولة على التداول النقدي ، واقرار ضريبة مناسبة ، من وجهة النظر البروليتارية ، على الاملاك والدخل ، وتطبيق فريضة العمل الالزامي .

ونحن متأخرون جداً فيما يخص الاصلاحات الاشتراكية في هذه الميادين (مع انها ميادين هامة جداً ، جداً) ، ونحن متأخرون على وجه الضبط لان الحساب والرقابة هما ، بصورة عامة ، غير منظمين تنظيماً كافياً . وغني عن البيان ان هذه المهمة هي من اصعب المهام ، وانه لا يمكن حلها ، بسبب من الخراب الناجم عن الحرب ، الا مع مرور زمن طويل ؛ ولكنه ينبغي لنا ان لا ننسى ان في هذا المضمار على وجه الدقة تخوض البرجوازية – ولا سيما البرجوازية

الصغيرة والبرجوازية الفلاحية الكثيرتا العدد – معركة جدية جداً ضدنا وذلك بتقويض الرقابة التي هي بسبيل التنظيم ، بتقويض احتكار الحبوب مثلاً ، ومحاولـــة الاستيلاء على المواقع من اجل المضاربة وتجارة المضاربة . ان ما اتخذنا المراسيم بصدده ، انما نحن لا نزال ابعد من ان نكون قد طبقناه تطبيقاً كافياً ، ولذا فالمهمة الرئيسية في الظرف الراهن تنحصر على وجه الضبط في تركيز جميع جهودنا لكي **نرسي** بصورة عملية وفعالة ، اسس الاصلاحات التي غدت قوانين (ولكنها لم تغد بعد امراً واقعاً) .

ولمواصلة تأميم المصارف والعمل باستمرار على تحويلها الى مراكز محاسبة عامة في ظل النظام الاشتراكي ، يجب قبل كل شيء وباكبر قدر ممكن احراز نجاحات فعلية من حيث اكثار فروع المصرف الشعبي واجتذاب الودائع ؛ ومن حيث تسهيل عمليات دفع الاموال وسحبهـــا على الجمهور ، وازالـــة «صفوف الانتظار» ، واعتقال المرتشين والمحتالين **واعدامهم رمياً بالرصاص** ، الخ .. ويجـب بادئ الامر تأمين تطبيق ابسط الاشياء تطبيقاً فعلياً ، وتنظيم ما هو قائم تنظيماً جيداً ، وبعد ذلك فقط تحضير انجاز اشياء اكثر تعقيداً .

يجب توطيد احتكارات الدولة (التي اقيمت على الحبوب ، والجلود ، الخ .) وضبط عملها ، وعلى هذا النحو ، تحضير احتكار التجارة الخارجية من قبل الدولة (١١) ؛ وبدون هذا الاحتكار ، لن «نتملص» من الرأسمال الاجنبي بدفع «الجزية» له . والحال ، ان كل امكانية البناء الاشتراكي رهن باستطاعتنـــا ، خلال مرحلـــة انتقالية معينة ، ان ندافع عن استقلالنا الاقتصادي الداخلي ، مقابل جزية ندفعها للرأسمال الاجنبي .

ونحن ايضاً متأخرون للغاية فيما يتعلق بتحصيل الضرائب بوجه عام ، وتحصيل الضريبة على الاملاك والدخل بوجه خاص . ان

التكاليف المفروضة على البرجوازية - وهذا تدبير مقبول اطلاقاً ، من الناحية المبدئية ، ويستحق تحبيذ البروليتاريا ، - تبين اننا ، في هذا المضمار ، لا نزال اقرب الى طرائق الاستيلاء (على روسيا وانتزاعها من الاغنياء في صالح الفقراء) منها الى طرائق الادارة . ولكن اذا شئنا ان نكون اقوى وان نقف على اقدامنا بمزيد من الرسوخ ، ترتب علينا ان ننتقل الى طرائق الادارة وان نستعيض عن التكاليف المفروضة على البرجوازية بضريبة على الاملاك والدخل ، ضريبة نحصلها بدقة وانتظام ، ضريبة ستعود على الدولة البروليتارية **بنفع اكبر** وتتطلب بالضبط من جانبنا مزيداً من التنظيم ، مزيداً من الضبط في ميدان الحساب والرقابة (١٢) .

ان تأخرنا في تطبيق فريضة العمل الالزامي يبين مرة اخرى ان ما يجب ان يرد في جدول الاعمال انما هو حقاً عمل التحضير والتنظيم ، الذي ينبغي له ، من جهة ، ان يوطد مكاسبنا نهائياً ، والذي هو ، من جهة اخرى ، ضروري لتحضير العملية التي «ستطوق» الرأسمال وتجبره على «الاستسلام» . ويترتب علينا ان نباشر فوراً الى تطبيق فريضة العمل الالزامي ، ولكنه يجب ان نطبقها بكثير من الاحتراس وتدريجياً ، ممتحنين كل خطوة في نار التجربة العملية ، وبادئين ، طبعاً ، بفرضها **على الاغنياء** . ان اقرار دفتر للعمل والاستهلاك والميزانية والزام جميع البرجوازيين به ، بمن فيهم برجوازيو الارياف ، من شأنه ان يشكل خطوة جدية الى الامام نحو «تطويق» العدو من كل الجهات وتنظيم حساب ورقابة شعبيين شاملين حقاً على انتاج المنتجات وتوزيعها .

اهمية النضال في سبيل الحساب والرقابة الشعبيين الشاملين

ان الدولة التي كانت طوال اجيال اداة لاضطهاد الشعب ونهبه ، قد تركت لنا حذر الجماهير وحقدها الضاري حيال كل ما يتعلق بامور الدولة . ان التغلب على هذه الحالة الفكرية مهمة صعبة

جداً ،لا يمكن ان يحققها غير السلطة السوفييتية ، ولكنها تتطلب ، حتى من جانب هذه السلطة ، وقتاً طويلاً واقصى المثابرة . وفي ميدان الحساب والرقابة ، تفعل هذه «التركة» فعلها بحدة خاصة ، وهذه مسألة جذرية بالنسبة للثورة الاشتراكية فور اسقاط البرجوازية . ان بعض الوقت سينقضي بالضرورة قبل ان تدرك الجماهير التي لم تشعر بانها حرة الا بعد اسقاط الملاكين العقاريين والبرجوازية ، قبل ان تدرك الجماهير ، لا بمطالعة الكتب ، بل بتجربتها الخاصة ، بتجربتها **السوفييتية** ، قبل ان تدرك **وتشعر جيداً** ان سلطة الشغيلة وحرية الشغيلة **لن** تستطيعا الى البقاء سبيلاً ، وان العودة الى ما تحت نير الرأسمالية ستكون امراً **محتماً لا مناص منه** ، اذا لم تمارس الدولة حساباً واسعاً ورقابة شاملة على انتاج المنتجات وتوزيعها .

ان جميع عادات وتقاليد البرجوازية بوجه عام ، والبرجوازية الصغيرة بوجه خاص ، تقف ايضاً في وجه رقابة **الدولة** ، وتدعم حرمة «الملكية الخاصة المقدسة» والمشروع الخاص «المقدس» . ونحن نرى الآن بوضوح خاص الى اي حد تصح الموضوعة الماركسية التي تقول ان الفوضوية والفوضوية النقابية (السنديكالية) نزعتان **برجوازيتان** ؛ نرى الى اي حد تناقض هاتان النزعتان الاشتراكية ، وديكتاتورية البروليتاريا ، والشيوعية تناقضاً مستعصياً لا حل له . ان النضال في سبيل تربية الجماهير بفكرة الرقابة والحساب **السوفييتيين** ، من جانب الدولة ؛ ان النضال في سبيل تطبيق هذه الفكرة ، في سبيل قطع كل صلة بالماضي اللعين الذي عوّد الناس اعتبار كسب الخبز والملبس قضية «خاصة» ، واعتبار البيع والشراء صفقة «لا تخص احداً غيري» ، انما هو نضال هائل المدى ، وذو اهمية تاريخية عالمية ، يخوضه الوعي الاشتراكي ضد العفوية البرجوازية الفوضوية .

ان الرقابة العمالية تطبق عندنا كما القانون ، ولكنها ما تكاد تبدأ تتسرب الى الحياة ، بلـــه الى ضمير الجماهير الغفيرة مــن البروليتاريا . ونحن لا نؤكد كفاية في تحريضنا ، والعمال والفلاحون الطليعيون لا يتأملون ولا يذكرون كفايـــة ان انعدام الحســاب والرقابة فيما يخص انتاج المنتجات وتوزيعهـــا يقضي على بذور الاشتراكية ، ويعني اختلاس اموال الخزينة (اذ ان جميع الخيرات تخص الخزينة التي ليست غير السلطة السوفييتية بالذات ، سلطة اغلبية الشغيلة) ، ان الاهمال في الحساب والرقابة انما هو مساعدة تسدى مباشرة الى الكورنيلوفيين الالمان والروس الذين **لن** يتمكنوا من الاطاحة بسلطة الشغيلة **الا** اذا لم نتوصل الى حل قضية الحساب والرقابة ، والذين «يترصدوننا» ، منتظرين اللحظـة المناسبـة ، متمتعين بتأييد البرجوازية الفلاحية كلها ، والكاديت ، والمناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين . والحال ، طالمــا ان الرقابـــة العمالية لم تصبح امراً واقعاً ، وطالما ان العمال الطليعيين لــم ينظموا ويقودوا الى النهاية حملة مظفرة لا هوادة فيها ضد الذين ينتهكون هذه الرقابـــة او يتهاملون في هذا المجال ، فلن يكون بالامكان ، بعد الخطوة الاولى (بعد الرقابة العمالية) ، القيام بالخطوة الثانية في طريق الاشتراكية ، اي الانتقال الى ضبط الانتاج مــن جانب العمال .

ان الدولة الاشتراكية لا يمكن ان تنشأ الا بشكل شبكة من كومونات الانتاج والاستهلاك ، كومونات تحصي بكل دقة انتاجهــا واستهلاكها ، وتوفر العمل وتزيد انتاجيته باستمرار ، وتتوصل على هذا النحو الى امكانية تخفيض يوم العمل الى سبع ساعات ، وست ساعات ، واقل ايضاً . وفي هذا الميدان لا يمكن الاستغناء عن اوسع ما يكون من الحساب والرقابة الشعبيين واشدهما صرامة فيما يخص **الحبوب وانتاج الحبوب** (ثم فيما يخص جميع المنتجات

الضرورية الاخرى) . فان الرأسمالية قد تركت لنا منظمات جماهيرية تستطيع ان تسهل الانتقال الى الحساب والرقابة الجماهيريين فيما يخص توزيع المنتجات ، هي تعاونيات الاستهلاك . ان هذه اقل تطوراً في روسيا مما في البلدان المتقدمة ، ولكنها تضم مع ذلك اكثر من عشرة ملايين عضو . ان المرسوم الذي صدر في هذه الايام بصدد تعاونيات الاستهلاك (١٣) لفي اقصى الدلالة : فهو يبين بوضوح ما يتميز به وضع الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ومهماتها في الظرف الراهن .

ان هذا المرسوم عبارة عن اتفاق مع التعاونيات البرجوازية والتعاونيات العمالية التي لا تزال تتمسك بوجهة نظر برجوازية . والاتفاق او المساومة ينحصر اولاً في ان ممثلي المؤسسات المذكورة لم يشتركوا في مناقشة مشروع المرسوم وحسب ، بل نالوا فعلاً حق التقرير ، اذ ان تلك المقاطع من المرسوم التي عارضتها هذه المؤسسات بشدة وحزم ، قد نبذت . ثم ان المساومة تنحصر ، من حيث الجوهر ، في ان السلطة السوفييتية قد تخلت عن مبدأ الانتساب المجاني الى التعاونيات (وهو المبدأ الوحيد البروليتاري الصرف) وكذلك عن مبدأ تكتل كل السكان من محلة معينة في تعاونية **واحدة** . وخلافاً لهذا المبدأ الذي هو وحده اشتراكي ومنطبق على مهمة محو الطبقات ، نالت «التعاونيات الطبقية العمالية» (التي لا تسمى هنا «طبقية» الا لانها تخضع لمصالح طبقة البرجوازية) الحق في البقاء . واخيراً ، ان اقتراح السلطة السوفييتية بفصل البرجوازية فصلاً تاماً من مجالس ادارة التعاونيات خُفّف كثيراً ، هو ايضاً ، ولم يشمل منع الاشتراك في مجالس الادارة الا مالكي المؤسسات التجارية والصناعية التي تتصف بطابع رأسمالي خاص .

ولو ان البروليتاريا استطاعت ، بواسطة السلطة السوفييتية ، ان تنظم الحساب والرقابة على نطاق الدولة كلها او ان ترسي على الاقل اسس هذه الرقابة ، لما كان من الضروري اجراء مثل هذه المساومات ، ولكنّا عمدنا بواسطة اقسام التموين في السوفييتات وهيئات التموين لدى السوفييتات ، وجمعنا السكان في تعاونية واحدة ، تشرف عليها البروليتاريا ، دون مساعدة التعاونيات البرجوازية ، دون اي تنازل لهذا المبدأ البرجوازي الصرف الذي يحمل التعاونية العمالية على البقاء تعاونية عمالية **الى جانب** التعاونية البرجوازية ، **بدلاً من** ان تخضع كلياً لنفسها هذه التعاونية البرجوازية بدمج هاتين التعاونيتين معاً ، وباستلام **كامل** الادارة **في يدها** وتولي الرقابة على استهلاك الاغنياء .

وحين عقدت السلطة السوفييتية هذا الاتفاق مع التعاونيات البرجوازية ، حددت بصورة ملموسة اهدافها التكتيكية وطرائق عملها الخاصة بالمرحلة الحالية من التطور ، وهي التالية : اننا ، بقيادة العناصر البرجوازية ، واستخدامها ، واجراء بعض التنازلات الجزئية لها ، نؤمن الشروط لحركة تقدمية ستكون ابطأ مما توقعناه في الاصل ، ولكنها في الوقت نفسه اشد رسوخاً ، وتكون لها قاعدة وخطوط مواصلات مضمونة بمزيد من المتانة ، ومواقع مكتسبة اشد احكاماً . والآن ، تستطيع السوفييتات **(ويجب عليها)** ان تقدر نجاحاتها في قضية البناء الاشتراكي ، فيما تقدّر ، بوحدة قياسية في غاية الوضوح ، وحدة بسيطة وعملية : ما هو عدد المشاعات (الكومونات او القرى او الاحياء وما الى ذلك) التي تتطور فيها التعاونيات ، بحيث تشمل جميع السكان ، وما هي سرعة هذا التطور .

زيادة انتاجية العمل

في كل ثورة اشتراكية ، حين تكون البروليتاريا قد حلت قضية اخذ السلطة ، وبقدر ما تحل بخطوطها الكبرى والرئيسية مهمة مصادرة ملكية مغتصبي الملكية وسحق مقاومتهم ، تبرز بالضرورة في المرتبة الاولى مهمة جذرية قوامها انشاء تركيب اجتماعي اعلى من تركيب الرأسمالية ، اي زيادة انتاجية العمل ، وبالارتباط مع هذا (ولاجل هذا) ، تنظيم العمل تنظيماً اعلى . ان سلطتنا السوفييتية تجد نفسها بالضبط في وضع تتيح لها فيه الانتصارات المحرزة على المستثمرين ، من كيرنسكي حتى كورنيلوف ، الانصراف مباشرة الى هذه المهمة ، والتشديد عليها . وهنا ، سرعان ما تبين انه اذا كانت بعض الايام تكفي للاستيلاء على السلطة المركزية في الدولة ، اذا كان يمكن في بضعة اسابيع قمع مقاومة المستثمرين العسكرية (والتخريبية) ، حتى في شتى انحاء بلد شاسع ، فانه لا بدّ في كل حال (ولا سيما بعد حرب مؤلمة ومدمّرة الى اقصى حد) من عدة سنوات لايجاد حل حقيقي لقضية زيادة انتاجية العمل . ومما لا جدال فيه ان الجهد الطويل النفس الواجب بذله رهن بالظروف الموضوعية .

ان انماء انتاجية العمل يتطلب قبل كل شيء تأمين القاعدة المادية للصناعة الكبيرة : تطوير انتاج الوقود والحديد ، وصناعة الانشاءات الميكانيكية والصناعة الكيماوية . وان اوضاع جمهورية روسيا السوفييتية لاوضاع ملائمة ، لانه تتوافر لها ، حتى بعد صلح بريست ، احتياطيات هائلة من الفلز (في الاورال) ، والوقود في سيبيريا الغربية (الفحم الحجري) وفي القفقاس والجنوب الشرقي (البترول) وفي روسيا الوسطى (الخث) ، وثروات هائلة من الغابات ، والطاقة المائية والمواد الاولية للصناعة الكيماوية

(قره‌بوغاز) ، الخ . . ان استغلال هذه الثروات الطبيعية بالاساليب التكنيكية العصرية سيؤمن قاعدة لنهوض القوى المنتجة نهوضاً لا سابق له .

وهناك شرط آخر لانماء انتاجية العمل ، هو ، اولاً ، نهوض التعليم والثقافة عند جماهير السكان . ان هذا النهوض يستمر الآن بسرعة عاصفة ، وهذا ما لا يراه اولئك الذين اعمتهم الرتابة البرجوازية ، العاجزون عن ادراك مدى الاندفاع الى النور ، وروح المبادرة ، اللذين ينموان اليوم في الفئات «الدنيا» من الشعب بفضل التنظيم السوفييتي . ثانياً ، من اجل بلوغ النهوض الاقتصادي ، يجب ايضاً تطوير طاعة الشغيلة وحذاقتهم في العمل ، واجتهادهم ، وتشديد العمل وتحسين تنظيمه .

والوضع عندنا ، في هذا المضمار ، سيىء بوجه خاص ، بل يائس ، اذا ما اخذنا باقوال اولئك الذين زرعت البرجوازية الخوف في نفوسهم او الذين يخدمونها عن مصلحة . ان هؤلاء لا يدركون انه لم تقم قط ولن تقوم ثورة لا يزعق فيها انصار النظام القديم بالخراب والفوضى ، الخ . . مفهوم ان يكون الغليان والهيجان واسعين وعميقين في صفوف الجماهير التي خلعت للتو نير وحشية لا نظير له ، وان تكون صياغة الجماهير لمبادىء جديدة لطاعة العمل عملية طويلة جداً وان هذه الصياغة لم يكن من الممكن حتى الشروع بها قبل الانتصار التام على الملاكين العقاريين والبرجوازية .

ولكنه يجب علينا – دون ان ننساق اطلاقاً الى اليأس ، الوهمي في كثير من الاحيان ، الذي تروجه البرجوازية ويروجه المثقفون البرجوازيون (الذين يئسوا من الذود عن امتيازاتهم السابقة) ، – ان لا نخفي في اي حال من الاحوال شراً اكيداً . بل بالعكس ؛ فاننا سنكشف الستر عنه ونعزز الوسائل السوفييتية لمكافحته ، اذ انه لا يمكن تصور نجاح الاشتراكية اذا لم تتغلب الطاعة

الواعية عند البروليتاريا على الفوضوية البرجوازية الصغيرة العفوية ، على هذه الضمانة الحقيقية لاحتمال عودة الكيرنسكية والكورنيلوفية (١٤) .

ان اوعى طليعة في صفوف البروليتاريا في روسيا قد سبق لها واخذت على عاتقها تطوير طاعة العمل . فان اللجنة المركزية لنقابة عمال التعدين والمجلس المركزي للنقابات ، مثلاً ، باشرا في صياغة تدابير ومشروعات مراسيم تقصد هذه الغاية (١٥) . فيجب علينا ان ندعم هذا العمل وندفعه الى الامام بكل قوانا . يجب ان نسجل في جدول الاعمال الاجرة بالقطعة (١٦) ، ونطبقها عملياً ، ونمتحنها في الواقع ؛ ونطبق العناصر العلمية والتقدمية العديدة التي ينطوي عليها نظام تايلور (١٧) ، ونجعل الاجور متناسبة مع الرصيد العام لهذا الانتاج او ذاك او مع نتائج استثمار السكك الحديدية ، والنقليات المائية ، الخ . ، الخ . .

ان الروسي يعمل سيئاً بالقياس الى الامم المتقدمة . ولم يكن بالامكان ان يكون الحال على غير ذلك في ظل النظام القيصري ووجود بقايا القنانة . تعلّم العمل ، هذه هي المهمة التي يجب ان تضعها السلطة السوفييتية امام الشعب بكل مداها . ان آخر كلمة الرأسمالية بهذا الصدد ، اي نظام تايلور ، تجمع ، شأنها شأن جميع منجزات الرأسمالية ، بين قساوة الاستثمار البرجوازي المفرطة في التفنن وعدد من اثمن الفتوحات العلمية المتعلقة بتحليل الحركات الميكانيكية في العمل والغاء الحركات النافلة والخرقاء ، وصياغة اكثر طرائق العمل عقلانية ، وتطبيق خيرة انظمة الحساب والرقابة ، الخ . . وعلى الجمهورية السوفييتية ان تتبنى ، مهما كلف الامر ، كل ما هو ثمين من فتوحات العلم والتكنيك في هذا الميدان . واننا سنتمكن من بناء الاشتراكية على وجه الضبط بقدر ما ننجح في تنسيق السلطة السوفييتية ونظام الادارة السوفييتي

مع احدث منجزات الرأسمالية . يجب ان ننظم في روسيا دراسة نظام تايلور وتعليمه ، واختباره وتكييفه بنهج ودأب واطراد . ويجب ايضاً ، مع السعي الى زيادة انتاجية العمل ، حسبان الحساب لخصائص مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، التي تتطلب ، من جهة ، ارساء اسس التنظيم الاشتراكي للمباراة ، ومن جهة اخرى ، استعمال الاكراه لكي لا يتدنس شعار ديكتاتورية البروليتاريا من جراء رخاوة السلطة البروليتارية في الحياة العملية .

تنظيم المباراة

في عداد السخافات التي تنسبها البرجوازية الى الاشتراكية وتروجها بكل طيبة خاطر ، سخافة تزعم ان الاشتراكيين ينكرون اهمية المباراة . اما في الواقع ، فان الاشتراكية التي تمحي الطبقات ، وبالتالي عبودية الجماهير ، هي وحدها التي تفتح السبيل للمرة الاولى امام مباراة جماهيرية حقاً . وان التنظيم السوفييتي بالضبط هو الذي يضفي ، للمرة الاولى ، على المباراة طابعاً واسعاً ، وذلك بالانتقال من الديموقراطية الشكلية في الجمهورية البرجوازية الى اشتراك الجماهير الكادحة اشتراكاً فعلياً في **الادارة** . ومن الاسهل بكثير تحقيق هذا الامر في الميدان السياسي مما في الميدان الاقتصادي ، ولكن الميدان الاقتصادي بالذات هو المهم بالنسبة لنجاح الاشتراكية .

لنأخذ العلنية بوصفها وسيلة من وسائل تنظيم المباراة . ان الجمهورية البرجوازية لا تضمن هذه العلنية الا من حيث الشكل ؛ اما في الواقع ، فانها تخضع الصحافة للرأسمال ، وتلهي «الغوغاء» بتفاهات سياسية لاذعة ، وتخفي ما يجري في المشاغل ،

او خلال الصفقات التجارية ، والتسليمات ، الخ . ، تحت ستار «السر التجاري» الذي يحمي «الملكية المقدسة» . لقد ابطلت السلطة السوفييتية السر التجاري (١٨) وسلكت سبيلاً جديداً ، ولكننا لم نقم بعد باي شيء تقريباً لوضع العلنية في خدمة المباراة الاقتصادية . ينبغي لنا ان نبذل الجهد بدأب واطراد لكي يصار في آن واحد ، من جهة الى قمع الصحافة البرجوازية بلا هوادة ولا رحمة ، هذه الصحافة المعجونة كلياً بعجين الاكاذيب والافتراءات الوقحة ، ومن جهة اخرى ، الى الانكباب على انشاء صحافة لا تلهي الجماهير ولا تضللها بنكات سياسية لاذعة وتفاهات سياسية ، بل تطرح على الجماهير القضايا الاقتصادية اليومية لابداء رأيها فيها وتساعدها على دراسة هذه القضايا دراسة جدية . ان كل مصنع ، ان كل قرية ، هما كومونة انتاج واستهلاك من حقها ومن واجبها ان تطبق على طريقتها القوانين العامة السوفييتية («على طريقتها» لا بمعنى انتهاك هذه القوانين ، بل بمعنى تنوع اشكال تطبيقها) ، ان تحل على طريقتها قضية حساب انتاج المنتجات وتوزيعها . ففي ظل الرأسمالية ، كانت هذه القضية «شأناً خاصاً» من شؤون الرأسمالي ، او الملاك العقاري ، او الكولاكي . اما في ظل السلطة السوفييتية ، فانها لم تبق شأناً خاصاً ، بل غدت شأناً من شؤون الدولة على اكبر جانب من الاهمية .

وحتى الآن ، لم نقبل بعد او يكاد على هذا العمل الهائل ، الشائك ، ولكن المثمر ، وقوامه تنظيم المباراة بين الكومونات ، وتطبيق المحاسبة والعلنية في عملية انتاج الحبوب ، والالبسة ، الخ . ، وتحويل التقارير الدواوينية الجافة والميتة ، الى امثلة حية ، من منفرة وجذابة . ان اهمية مثال منفرد ، لنقل ، مثال تعاونية من المنتجين ، كانت بالضرورة محدودة الى اقصى حد في ظل اسلوب الانتاج الرأسمالي ، ولم يكن في مستطاع غير الحالمين

البرجوازيين الصغار ان يعللوا انفسهم بأمل ان يروا الرأسمالية «تتحسن» بتأثير مثال المؤسسات الفاضلة . اما بعد انتقال السلطة السياسية الى البروليتاريا ، بعد مصادرة ملكية مغتصبي الملكية ، فان الوضع يتغير بصورة جذرية ، وحينذاك ، كما اوضح ابرز الاشتراكيين مراراً عديدة ، يمكن للمثال ، للمرة الاولى ، ان يفعل فعله في الجماهير . يجب على الكومونات النموذجية ان تكون وستكون مربية ، مرشدة ، حافزة للكومونات المتأخرة . ويجب ان تكون الصحافة اداة للبناء الاشتراكي ؛ يجب عليها ان تعرّف نجاحات الكومونات النموذجية بكل تفاصيلها ، وتدرس اسباب توفيقها ، وطرائقها في ادارة الاقتصاد ؛ ويجب عليها ، من جهة اخرى ، ان تسجل في «اللائحة السوداء» الكومونات التي تصر على الاحتفاظ «بتقاليد الرأسمالية» ، اي تقاليد الفوضى والكسل والتشوش والمضاربة . في المجتمع الرأسمالي ، كان الاحصاء حكرة «لرجال الدواوين» او لذوي الاختصاص الضيق ، في حين انه يتعين علينا ان نحمله الى الجماهير ، وننشره ونعممه بينها ، لكي يتعلم الشغيلة شيئاً فشيئاً ان يروا ويفهموا من تلقاء انفسهم كيف وكم يجب عليهم ان يشتغلوا ، كيف وكم يمكنهم ان يستريحوا ، لكي تصبح **مقارنة النتائج العملية** التي توصلت اليها مختلف الكومونات في مضمار الاقتصاد ، موضع اهتمام ودراسة من قبل الجميع ، لكي تكافأ خيرة الكومونات فوراً (بتخفيض يوم العمل في مرحلة معينة ، بزيادة الاجور ، بوضع مقدار اكبر من الخيرات والقيم الثقافية او الجمالية تحت تصرفها ، الخ .) .

ان دخول طبقة جديدة الى المسرح التاريخي ، بوصفها زعيمة المجتمع وقائدته ، لا ينقضي ابداً دون مرحلة من «الخضات» العنيفة ، والهزات ، والنضالات ، والعواصف ، من جهة ، ودون مرحلة من الخطوات المترددة ، والتجارب ، والتأرجحات ، والتقلبات

في اختيار الاساليب الجديدة التي تستجيب للوضـــع الموضوعي الجديد ، من جهــة اخرى . كان النبلاء الاقطاعيون بسبيل الزوال ينتقمون من البرجوازية الظافرة التي تزيحهم وتقصيهم ، لا بحبك المؤامرات ومحاولات الانتفاض والعودة وحسب ، بل ايضاً بصب سيول من التهكم والسخر على خراقة «حديثي النعمـــة» هؤلاء ، واغلاطهم وقلـــة مهارتهم ، على هؤلاء «السفهاء» الذين تجاسروا واستولوا على «دفة» الدولة «المقدسة» دون ان يكون لهم ، لهذا الغرض ، الاستعداد المزمن الذي كدسه خلال قرون وقرون الامراء والبارونات والنبلاء والوجهاء ،-تماماً كما ينتقم اليوم الكورنيلوفيون والكيرنسكيون والغوتزيون والمارتوفيون وجميـــع هؤلاء الاخوان من ابطال سمسرة البقر البرجوازية او الارتياب البرجوازي ، تماماً كما ينتقم هؤلاء من الطبقة العاملة في روسيـــا بسبب محاولتهـــا «الوقحة» لأخذ السلطة .

وطبيعي انه لا تترتب اسابيع ، بل شهور وسنين طويلة قبل ان تتمكن الطبقة الاجتماعية الجديدة ، المضطهدة حتى ذاك ، الرازحة تحت وطأة الفاقة والجهل ، من التكيف على وضعها الجديد ، ومعرفة الظروف المحيطة بها ، وتسيير عملها ، وتكوين ملاكاتها هي من المنظمين . ومفهوم ان يكون الحزب الذي يقود البروليتاريا الثورية لم يستطع ان يكتسب التجربة والعادة الضروريتين لاتخاذ اجراءات تنظيمية واسعة تشمل الملايين وعشرات الملايين من الناس ، وان اعادة تكوين العادات القديمة التي تنبع كلهـــا تقريباً من ميدان التحريض ، هي امر يتطلب وقتاً طويلاً جداً . ولكنه ليس ثمة هنا ما هو مستحيل ، وما دمنا سنملك الادراك الجلي لضرورة التغير ، والعزيمة الراسخة على اجرائه والصلابة المطلوبة للسعي وراء هذا الهدف الكبير والصعب ، فاننا سنتوصل الى ما نقصد . ففي صفوف «الشعب» ، اي في صفوف العمال والفلاحين الذين لا يستثمرون عمل

الغير ، كثرة من المنظمين الموهوبين ؛ فبالآلاف كان الرأسمال يضطهدهم ويهلكهم ، ويقذف بهم خارجاً ؛ ونحن لا نعرف بعد كيف نكتشفهم ونشجعهم ، ونقوي عودهم ، ونرقيهم . ولكننا سنتعلم ذلك اذا ما انصرفنا الى تعلمه بكل حماستنا الثورية ، بهذه الحماسة التي يستحيل بدونها قيام اي ثورة ظافرة .

ان اياً من الحركات الشعبية العميقة والجبارة التي يعرفها التاريخ لم تخل من الزبد القذر ، من المغامرين والمحتالين والمتصلفين والصياحين اللازقين بالمجددين غير المجربين ، لم تخل من خرافة اختلاط الحاجل بالنانل ، لم تخل من الفوضى ، لم تخل من الهرج والمرج الباطل ، لم تخل من بعض «الزعماء» ممن يحاولون البدء بعشرين امراً في آن واحد ولا ينفذون اي امر منها الى النهاية . فلتعو كلاب المجتمع البرجوازي الصغيرة ، ابتداء من بيلوروسوف حتى مارتوف ، ولتنبح لدى كل شظية من خشب تقع اثناء قطع الغابة القديمة الكبيرة . واذا كانت تنبح على الفيل البروليتاري ، فلانها بالضبط كلاب صغيرة (١٩) . لندعها تنبح . فاننا سنسير في طريقنا ، مجتهدين ان نمتحن ونكتشف ، بفائق الصبر وبالغ الاحتراس ، المنظمين الحقيقيين ، اولئك الموهوبين فكراً بصيراً وحساً عملياً سليماً ، اولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القدرة على تسيير العمل المشترك الحازم والمتفق عليه ، الذي يقوم به عدد كبير من الاشخاص في نطاق التنظيم السوفييتي ، على تسيير هذا العمل بلا ضجة (ورغم الضجة والهرج والمرج) . فقط امثال هؤلاء يجب علينا ان نقدمهم الى المناصب المسؤولة ، مناصب القادة في العمل الشعبي والادارة ، بعد امتحانهم عشر مرات ، ونقلهم من ابسط المهام الى اصعبها . نحن لم نتعلم ذلك بعد ولكننا سنتعلمه .

«التنظيم المنسجم» والديكتاتورية

ان قرار مؤتمـــر السوفييتات الاخير (المنعقد في موسكو) يشير الى ان المهمة الاولى في الوقت الحاضر ، انما هي انشاء «تنظيم منسجم» وتعزيز الطاعة . والآن «يصوت» الجميع و«يوقعون» بكل طيبة خاطر على قرارات من هذا النوع ، ولكنهم لا يفكرون عادة في ان تطبيـــق هذه القرارات يستلزم الاكراه ، والاكراه بشكـــل ديكتاتورية على وجه الضبط . والحال ، اذا تصور المرء ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكيـــة يمكن ان يتـــم دون اكراه ولا ديكتاتورية ، لاغرق في الحماقة واعطى البرهان على طوبوية في منتهى الرعونة . ولقد عارضت نظرية ماركس منذ زمن بعيد جداً ، وباكبر الوضوح ، هذه الرعونـــة الديموقراطيـــة البرجوازيـــة الصغيرة والفوضوية . وبهذا الصدد ، تؤكد روسيا ١٩١٧–١٩١٨ نظرية ماركس بقدر من الجلاء ، وبصورة ملموسة اخاذة ، الى حد ان الناس الغلاظ العقول اطلاقاً او الذين يكابرون ويصرون على الانصراف عن الحقيقة هم وحدهم الذين لا يزال في وسعهم ان يتيهوا ويضلوا السبيل في هذا المجال . فاما ديكتاتورية كورنيلوف (اذا اعتبرناه النموذج الروسي لكافينيـــاك برجوازي) ، واما ديكتاتوريـــة البروليتاريا : **ولا يمكن حتى التحدث** عن حل ثالث بالنسبـــة لبلد يسير تطوره باقصى السرعة وينطوي على انعطافات في اقصى الحدة ، في ظروف خراب اقتصادي رهيب ، نتيجة لاشد الحروب ايلاماً . ان جميع الحلول الوسطية هي اما خداع للشعب من جانب البرجوازية التي لا تستطيع قول الحقيقة ، لا تستطيع القول انها بحاجـــة الى كورنيلوف ، – واما عبارة عن حماقـــة ديموقراطيين برجوازيين صغار ، اضراب تشيرنوف وتسيريتيلي ومارتوف ، الذين يثرثرون حول وحدة الديموقراطية ، وديكتاتورية الديموقراطية ، والجبهـــة

الموحدة للديموقراطية وغيرها من الترهات . ان من لم يستطع حتى مجرى الثورة الروسية في ١٩١٧–١٩١٨ ان ينيره حول استحالة الحلول الوسطية هو انسان لا امل منه يرتجى .

ومن جهة اخرى ، ليس من الصعب على المرء ان يقتنع بان الديكتاتورية ضرورية في كل انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وذلك لسببين رئيسيين او في اتجاهين رئيسيين . اولاً ، لا يمكن التغلب على الرأسمالية واستئصالها ، دون ان يصار بلا رحمة الى قمع مقاومة المستثمرين الذين لا يمكن تجريدهم دفعة واحدة من ثرواتهم ، من فوائد تنظيمهم ومعرفتهم ، فيحاولون حتماً خلال فترة طويلة نسبياً ، اسقاط سلطة الفقراء ، التي يكرهونها . ثم ، حتى وان لم يكن هناك حرب خارجية ، لا يمكن تصور ثورة كبيرة بوجه عام ، وثورة اشتراكية بوجه خاص ، دون حرب داخلية ، اي دون حرب اهلية تفضي الى خراب اكبر من الخراب الذي تفضي اليه حرب خارجية ، حرب اهلية تلازمها آلاف وملايين الامثلة عن التردد والهجرة من معسكر الى آخر ، وحالة من الغموض الاقصى وفقدان التوازن والفوضى . وبديهي ان جميع عناصر تفسّخ المجتمع القديم ، – وهي حتماً عديدة جداً ومرتبط معظمها بالبرجوازية الصغيرة (لأن البرجوازية الصغيرة هي التي تخربها كل حرب وكل ازمة وتهلكانها قبل غيرها) ، – لا بدّ لها ان «تبرز» في انقلاب بمثل هذا العمق ، **ولا يمكنها** ان «تبرز» الا بالاكثار من الجرائم واعمال الزعرنة والرشوة والمضاربة ، وشتى الموبقات . ولاجل القضاء عليها ، ينبغي الوقت ، وينبغي **قبضة حديدية** .

ان التاريخ لا يعرف ثورة كبيرة واحدة لم يشعر الشعب فيها بذلك بالغريزة ولم يبد صلابة منقذة باعدام السارقين رمياً بالرصاص فوراً في اماكن سرقتهم . ولكن مصيبة الثورات الماضية ان الحماسة الثورية عند الجماهير ، هذه الحماسة التي كانت تدعم توترها

وتبعث فيها القوة لقمع عناصر التفسخ بلا رحمة ، انما كانت لا تدوم طويلاً . والسبب الاجتماعي ، اي السبب الطبقي لهذه الرخاوة في الحماسة الثورية عند الجماهير ، انما كان ضعف البروليتاريا ، القادرة **وحدها** (اذا كانت بما يكفي من العدد والوعي والطاعة) على اجتذاب **اغلبية** الشغيلة والمستثمَرين (اغلبية الفقراء ، اذا تكلمنا بلغة اكثر بساطة وشعبية) والاحتفاظ بالسلطة زمناً طويلاً كافياً لكي تقمع نهائياً جميع المستثمرين وجميع عناصر التفسخ على حد سواء .

ان هذه التجربة التاريخية التي كدستها جميع الثورات ، ان هذه العبرة – الاقتصادية والسياسية – التي يعطيها التاريخ العالمي هي التي لخصها ماركس في صيغة وجيزة ، قاطعة ، دقيقة ، ناصعة : ديكتاتورية البروليتاريا . وان تكون الثورة الروسية قد واجهت بطريقة صالحة انجاز هذه المهمة التاريخية العالمية الشأن – فهذا ما **اثبته** السير الظافر للتنظيم السوفييتي عند جميع الشعوب والقوميات في روسيا . لان سلطة السوفييت ليست سوى الشكل التنظيمي لديكتاتورية البروليتاريا ، لديكتاتورية الطبقة الطليعية التي ترفع الى ديموقراطية جديدة ، الى الاشتراك الذاتي في حكم الدولة عشرات وعشرات الملايين من الشغيلة والمستثمَرين الذين يتعلمون من تجربتهم ان يروا في الطليعة المنظمة والواعية للبروليتاريا اوثق زعيم لهم .

ولكن الديكتاتورية كلمة كبيرة . والكلمات الكبيرة انما لا يجوز القاؤها جزافاً ، في مهب الريح . ان الديكتاتورية سلطة حديدية ، جريئة وسريعة على الطريقة الثورية ، لا رحمة عندها ولا شفقة في قمع المستثمِرين والاشقياء والزعران . والحال ، ان سلطتنا لطيفة جداً جداً ؛ وهي في غالب الاحيان اشبه باللبن اكثر مما بالحديد . يجب ان لا ننسى لحظة ان العنصر البرجوازي

والبرجوازي الصغير يناضل ضد سلطة السوفييت بطريقتين : من جهة ، بالعمل من الخارج ، باساليب اضراب سافينكوف وغوتز وغيغيتشكوري وكورنيلوف ، بالمؤامرات والانتفاضات ، بانعكاسها «الفكري» القذر ، بسيول الاكاذيب والافتراءات تصبها صحافة الكاديت والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والمناشفة ؛ ومن جهة اخرى ، يفعل هذا العنصر فعله من الداخل ، مستغلاً كل عامل من عوامل التفسخ ، وكل ظاهرة من ظواهر الضعف لكي يرشو ، لكي يقوي فقدان الطاعة والانضباط ، والاستهتار ، والفوضى . وبقدر ما نقترب من انجاز قمع البرجوازية عسكرياً ، يشتد خطر هذا العنصر الفوضوي البرجوازي الصغير علينا . والحال ، ان النضال ضد هذا العنصر لا يمكن ان يتم فقط عن طريق الدعاوة والتحريض ، فقط عن طريق تنظيم المباراة ، فقط عن طريق اختيار المنظمين ؛ انما ينبغي ان يتم هذا النضال عن طريق الاكراه ايضاً .

وبقدر ما تصبح المهمة الاساسية امام السلطة ، لا القمع العسكري ، بل الادارة ، فان المحكمة ، لا الاعدام رمياً بالرصاص في مكان الجريمة فوراً ، هي التي تصبح الظاهرة النموذجية للقمع والاكراه . وبهذا الصدد ، سلكت الجماهير الثورية السبيل القويم فور ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، واثبتت حيوية الثورة بان راحت تنظم محاكمها العمالية والفلاحية الخاصة قبل ان يصدر اي مرسوم بحل الجهاز القضائي البيروقراطي البرجوازي . ولكن محاكمنا الثورية والشعبية مفرطة في الضعف ، ضعيفة الى حد لا يصدق . واننا لنشعر بانه لم يقض عليه نهائياً ذلك الرأي الذي تركه للشعب نير الملاكين العقاريين والبرجوازية ، والذي يقول ان المحكمة مؤسسة بيروقراطية وغريبة عن الجماهير الشعبية . ولا يدرك كفاية ان المحكمة جهاز مدعو الى اشراك جميع الفقراء بالضبط ، وبلا استثناء ، في ادارة الدولة (لان نشاط

المحاكم وظيفة من وظائف ادارة الدولة) ؛ وان المحكمة **هيئة من هيئات سلطة** البروليتاريا والفلاحين الفقراء ؛ وان المحكمة اداة **لتعليم الطاعة** . ولا يدرك كفاية هذا الواقع البسيط والبديهي ، وهو انه اذا كانت المجاعة والبطالة شر بلايا روسيا ، فليس ثمة اية اندفاعات بوسعها ان تقضي عليهما ، ولن يقضي عليهما الا تنظيم وطاعة واسعان جداً ، شاملان للشعب بأسره ، ويتيحان زيادة انتاج الخبز للناس والخبز للصناعة (الوقود) ، وتأمين نقله في الوقت المناسب وتوزيعه توزيعاً صحيحاً . ولذا ، كان **كل** من ينتهك طاعة العمل في اي مصنع او استثمارة او في اي عمل ، **مسؤولاً** عن الآلام التي تتسبب بها المجاعة والبطالة ؛ ويجب ان نعرف كيف نكتشف هؤلاء المذنبين ، ونحيلهم الى القضاء ، ونعاقبهم بلا رحمة . ان العنصر البرجوازي الصغير ، الذي يترتب علينا الآن ان نخوض ضده اشد انواع النضال ضراوة ، انما يتجلى بالضبط في قلة الادراك للصلة الاقتصادية والسياسية القائمة بين المجاعة والبطالة من جهة ، واستهتار الجميع وكل فرد في حقل التنظيم والطاعة ، من جهة اخرى ؛ انما يتجلى في واقع ان اخلاق **الملاك الصغير** لا تزال عميقة الجذور : المهم ان انتزع حصة اكبر ، وليكن من بعدي الطوفان !

ان هذا الصراع بين روح الاستهتار البرجوازية الصغيرة ، والروح التنظيمية عند البروليتاريا يبدو باشد الوضوح في السكك الحديدية التي ربما تجسد على خير وجه الصلات الاقتصادية لهيئة انشأتها الرأسمالية الكبيرة . فان الجانب «الاداري» يقدم المخربين والمرتشين بكثرة ؛ بينما خير قسم من الجانب البروليتاري يناضل في سبيل الطاعة . ولكنه يوجد هناك بالطبع ، في هذا الجانب وذاك ، كثرة من المترددين ، من «الضعفاء» ، العاجزين عن مقاومة «اغراء» المضاربة ، والبرطيل ، والمنافع الشخصية المكتسبة بالحاق الضرر

بالجهاز كله ، بينا التغلب على المجاعة والبطالة رهن بحسن عمل هذا الجهاز .

ومما له دلالته ، ذلك النضال الذي قام في هذا المجال حول المرسوم الاخير المتعلق بادارة السكك الحديدية ، وكان هذا المرسوم يمنح بعض القادة صلاحيات ديكتاتورية (او صلاحيات «غير محدودة») (٢٠) . فقد شاء ممثلو الاستهتار البرجوازي الصغير الواعون (وربما الاكثرية من غير الواعين) ان يروا في منح بعض الافراد صلاحيات «غير محدودة» (اي ديكتاتورية) تخلياً عن مبدأ الجماعية وعن الديموقراطية ومبادئ سلطة السوفييت . وهنا وهناك ، طفق الاشتراكيون-الثوريون اليساريون (٢١) يقومون بتحريض ضد المرسوم بالصلاحيات الديكتاتورية ، بتحريض كان ، حقاً وفعلاً ، ضرباً من اعمال الشقاوة والزعرنة ، اي انه كان يضرب على اوتار الغرائز الشريرة وروح الملاك الصغير المستعد دائماً «للابتزاز» . وبالفعل ، تتسم المسألة بأهمية هائلة . اولاً ، المسألة المبدئية : هل تعيين هذا الشخص او ذاك وتخويله صلاحيات مطلقة غير محدودة ، صلاحيات ديكتاتورية ، امر يتفق بوجه عام مع المبادئ الجذرية لسلطة السوفييت ؟ ثم ، ما هي العلاقة بين هذه الحالة بالذات – هذه السابقة اذا شئتم – والمهام الخاصة للسلطة في المرحلة الملموسة المعنية ؟ هاتان المسألتان ، ينبغي دراستهما باكبر الانتباه .

لقد اثبتت تجربة التاريخ التي لا تدحض ان ديكتاتورية الافراد قد كانت في كثير من الاحيان ، في تاريخ الحركات الثورية ، التعبير عن ديكتاتورية الطبقات الثورية ، وحاملتها ومنفذتها . ويقيناً ان ديكتاتورية الافراد كانت تتلاءم والديموقراطية البرجوازية . ولكن لوامي سلطة السوفييت البرجوازيين ، وكذلك اذنابهم البرجوازيين الصغار ، يبدون دائما خفة في الايدي في هذا

المجال : فهم من جهة يعلنون ان سلطـة السوفييت مجرد شيء اخرق ، فوضوي ، وحشي ، متهربين بكل احتراس من جميع مقارناتنا التاريخية وبراهيننا النظرية التي تدعم واقع ان السوفييتات هي الشكل الاعلى للديموقراطية ، بل اكثر من ذلك ، بداية الشكل **الاشتراكي** للديموقراطية ؛ وهم ، من جهة اخرى ، يطالبوننا بديموقراطية ارقى من الديموقراطية البرجوازية ويقولون لنا : ان الديكتاتورية الشخصية لا تتلاءم اطلاقاً مع ديموقراطيتكم السوفييتية البلشفية (اي غير البرجوازية ، **بل الاشتراكية**) .

ان هذه المحاكمات في منتهى الرداءة . فاذا لم نكن فوضويين ، ترتب علينا ان نقر بضرورة الدولة ، اي بضرورة **الاكراه** ، للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . اما شكل هذا الاكراه ، فتحدده درجة تطور الطبقة الثورية المعنية ؛ ثم تحدده احوال خاصة كالحالة التي تخلفها حرب رجعية طويلة ، مثلاً ؛ وتحدده اخيراً الاشكال التي ترتديها مقاومة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ولذا **ليس ثمة** اطلاقاً اي تناقض مبدئي بين الديموقراطية السوفييتية (**اي** الاشتراكية) واللجوء الى السلطة الديكتاتورية الشخصية . والفرق بين ديكتاتورية البروليتاريا وديكتاتورية البرجوازية ، هو ان الاولى تسدد ضرباتها ضد الاقلية المستثمرة في مصلحة الاغلبية المستثمَرة ، ثم ان الاولى تحققها – **بواسطة الافراد ايضاً** – لا الجماهير الكادحة والمستثمَرة وحسب ، بل ايضاً منظمات مبنية على نحو يوقظ هذه الجماهير ذاتها وينهض بها الى العمل الخلاق التاريخي (والمنظمات السوفييتية في عداد هذا النوع من المنظمات) .

وحول المسألة الثانية – اهمية السلطة الديكتاتورية الشخصية ذاتها من حيث المهمات الخاصة في الظرف الراهن ، –

يجب القول ان كل صناعة آلية كبيرة – وهي تشكل بالضبط المصدر والاساس الماديين الانتاجيين للاشتراكية – تتطلب **وحدة في الارادة** مطلقة ، صارمة كل الصرامة ، توجّه العمل المشترك الذي يقوم به المئات والآلاف وعشرات الآلاف من الافراد . ان هذه الضرورة بديهية تكنيكياً واقتصادياً وتاريخياً ، وجميع الذين تأملوا الاشتراكية اقروا دائماً بهذه الضرورة باعتبارها شرطاً من شروط الاشتراكية . ولكن ، كيف يمكن تأمين وحدة في الارادة صارمة كل الصرامة ؟ – باخضاع ارادة الآلاف لارادة واحد .

ان هذا الاخضاع قد يذكر بالاحرى بالقيادة الناعمة التي يمارسها قائد اوركسترا ، اذا كان الذين يشتركون في العمل المشترك مثاليين من حيث الوعي والطاعة . وقد يتخذ هذا الاخضاع الاشكال القاطعة للديكتاتورية ، اذا لم يتوافر الوعي والطاعة المثاليان . ولكن **الخضوع بلا تحفظ** لارادة واحدة وحيدة هو ، في كل حال ، امر لا غنى عنه اطلاقاً لنجاح سير العمل المنظم على مثال الصناعة الآلية الكبيرة . وهو امر لا غنى عنه مثنى وثلاثاً في السكك الحديدية . وهذا الانتقال من مهمة سياسية الى اخرى ، تختلف **في الظاهر** كل الاختلاف عن الاولى ، هو الذي يشكل كل اصالة الظرف الراهن . ان الثورة قد حطمت للتو اقدم وامتن واثقل القيود التى كانت الجماهير خاضعة لها بقوة الدبوس والهراوة . كان ذلك في الامس ؛ اما اليوم ، فان الثورة نفسها تتطلب من اجل تأمين تطورها ورسوخها بالضبط ، وفي مصلحة الاشتراكية بالضبط ، ان **تخضع** الجماهير **بلا تحفظ للارادة الواحدة الوحيدة** لقادة حركة العمل . وواضح ان مثل هذا الانتقال لا يتم دفعة واحدة . فلا يمكن ان يتم الا عبر دفعات وهزات كبرى ، وعودات الى القديم ، وتوتر هائل في الطاقة عند الطليعة البروليتارية التي تقود الشعب نحو

الجديد . وهذا ما لا يفكر بـــه اولئك الذين تتملكهم نوبـــة من الهستيريا التافهة ، هستيريا «نوفويا جيزن» او «فبريود» او «ديلو نارودا» ، او «ناش فيك» (٢٢) .

خذوا نفسية ممثل متوسط ، عادي ، للجماهير الكادحـــة والمستثمرة ؛ قارنوا هذه النفسية بالظروف الموضوعية ، المادية ، لحياته الاجتماعية . قبل ثورة اكتوبر ، **لم** يرَ قط في الواقـــع ان الطبقات المالكة ، المستثمِرة ، قد ضحت ، تنازلت له **فعلاً** عن شيء جدي حقاً بالنسبة لها . انه لم يرَ **قط** ان هذه الطبقات **قد** اعطته الارض والحرية اللتين وعدته بهما مراراً ، او اعطته السلام ، او انها قد تخلت له عن شيء من مصالحها الاستعمارية او مـــن معاهداتها السرية الاستعمارية او من رأسمالهـــا او من ارباحها . انه لم يرَ ذلك الا **بعد** ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، حين اخذ كل ذلك بالقوة ، واضطر الى الدفاع عنه بالقوة ايضاً ضد اضراب كيرنسكي وغوتز وغيغيتشكوري ودوتوف وكورنيلوف . ومفهوم ان يكون كل انتباهه ، وكل افكاره ، وكل قوى روحه ، لا تستهدف خلال فترة مـــن الزمن الا شيئـــاً واحـــداً : التنفس ، النهوض ، الانطلاق ، اخذ اقرب الخيرات التي يمكن اخذها والتي كان يمنعه عنها المستثمرون ، المقلوبون اليوم . ومفهوم انه لا بدّ من الوقت لكي يستطيع هذا الممثل العادي للجماهير ، لا ان يرى بام عينيه ويقتنع وحسب ، بل ايضاً ان يشعر بانه لا يمكن هكذا بكل بساطة «الاخذ» ، والابتزاز ، وان هذا يزيد من حدة الخراب ، ويفضي الى الهلاك ، الى عودة اضراب كورنيلوف . ان الانعطاف الذي نتحـدث عنه لا يزال في بدايته بالذات في ظروف معيشة (وبالتالي في نفسية) الجماهير الكادحة البسيطة . وكل مهمتنا ، مهمة حزب الشيوعيين (البلاشفة) ، المعبر الواعي عن مطامح المستثمَرين الى تحررهم ، هي ان ندرك هذا الانعطاف ، ونفهم ضرورته ، ونسير في طليعـة

الجماهير المنهوكة التي تبحث بتعب عن مخرج ، ونقودها في السبيل القويم ، في سبيل الطاعة في العمل ، في سبيل التوفيق بين مهمات المناقشات الواسعة في الاجتماعات الحاشدة **بصدد** شروط العمل ، وبين مهمات الخضوع المطلق لارادة القائد السوفييتي ، الديكتاتور ، **في اثناء** العمل .

ان البرجوازيين ، والمناشفة ، وجماعة «نوفايا جيزن» ، الذين لا يرون الا الفوضى والتشوش ، وانفجار انانية الملاك الصغير ، يسخرون ويتهكمون بل ويفحّون في اكثر الاحيان بالحقد والكره بصدد «مناقشاتنا في الاجتماعات الحاشدة» . ولكن الجماهير المضطهدة لا تستطيع ابداً ، دون هذه الاجتماعات الحاشدة ، الانتقال من الطاعة التي يفرضها المستثمِرون الى طاعة واعية وطوعية . ان الاجتماعات الحاشدة انما هي ديموقراطية الكادحين الحقيقية ، ونهضتهم ، ويقظتهم على حياة جديدة ، وخطواتهم الاولى في الميدان الذي طهروه بانفسهم من الاوباش (المستثمِرين ، الامبرياليين ، الملاكين العقاريين ، الرأسماليين) والذي يريدون ان يتعلموا كيف ينظمونه بانفسهم على طريقتهم ولحسابهم ، وفقاً لمبادئ سلطتهم هم ، **السوفييتية** ، لا وفقاً لمبادئ سلطة غريبة عنهم ، سلطة الاسياد ، سلطة البرجوازية . وكان لا بدّ بالضبط من انتصار اكتوبر الذي احرزه الشغيلة على المستثمرين ، كان لا بد من كل هذه المرحلة التاريخية التي شرع فيها الشغيلة يبحثون بانفسهم شروط الحياة الجديدة والمهمات الجديدة ، لكي يصبح بالامكان الانتقال الراسخ الى اشكال اعلى لطاعة العمل ، الى ادراك الفكرة القائلة بضرورة ديكتاتورية البروليتاريا ، الى الخضوع المطلق للاوامر الشخصية التي يصدرها ممثلو سلطة السوفييت في اثناء العمل .

وهذا الانتقال قد بدأ الآن .

ولقد نفذنا بنجاح المهمة الاولى من مهام الثورة ؛ ورأينا الجماهير الكادحة قد ربت في نفسها الشرط الرئيسي لهذا النجاح : توحيد الجهود ضد المستثمرين لاجل اسقاطهم . ان مراحل كمرحلة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، ومرحلتي شباط (فبراير) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ (٢٣) تتسم بأهمية تاريخية عالمية .

ولقد نفذنا بنجاح المهمة الثانية من مهام الثورة : وهي ايقاظ الفئات الاجتماعية «الدنيا» والنهوض بتلك الفئات التي كان المستثمرون قد دفعوها الى ادنى والتي لم تنل الا بعد ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ كامل الحرية في اسقاط المستثمرين ، والتعرف على ما حولها وتنظيم احوالها للمرة الاولى كما تريد . الاشتراك في الاجتماعات الحاشدة لاشد الجماهير الكادحة معاناة للاضطهاد ، واكثرها جهلاً ، واقلها تثقيفاً ، وانتقال هذه الجماهير الى جانب البلاشفة ، وتحقيق هذه الجماهير ، دائماً وفي كل مكان ، لنظامها السوفييتي – تلك هي المرحلة الثانية الكبرى من مراحل الثورة .

ان المرحلة الثالثة قد بدأت . وعلينا ان نوطد ما ظفرنا به بانفسنا ، وما اصدرنا من المراسيم والقوانين وما بحثناه ورسمناه ؛ علينا ان نوطد كل هذا بالاشكال الثابتة **للطاعة اليومية في العمل** . وهذه هي المهمة الاشق ، ولكن الاوفر ثماراً ، لان تنفيذها هو وحده الذي سيعطينا النظم الاشتراكية . علينا ان نتعلم كيف نؤالف روح الجماهير الكادحة الديموقراطي كما يتجلى في الاجتماعات الحاشدة العاصفة ، الفياضة كفيضان الربيع – مع الطاعة **الحديدية** في اثناء العمل ، مع **الخضوع المطلق** في اثناء العمل لارادة فرد واحد ، لارادة القائد السوفييتي .

ونحن لم نتعلم حتى الآن كيف نفعل هذا .

وسنتعلمه .

ان عودة الاستثمار البرجوازي كانت تتهددنا امس بشخص كورنيلوف وغوتز ودوتوف وغيغيتشكوري وبوغايفسكي ومن لف لفهم . وقد تغلبنا عليهم . ان هذه العودة ، العودة نفسها ، تتهددنا اليوم بشكل آخر ، بمظهر روح الاستهتار البرجوازي الصغير ، بمظهر الفوضوية واخلاق الملاك الصغير : «انا على حدة والباقي لا يهمني» ، بشكل هجمات وغارات يومية ، ضئيلة ولكن عديدة ، يشنها هذا العنصر ضد روح الطاعة البروليتاري . علينا ان نقهر هذا العنصر الفوضوي البرجوازي الصغير ، وسنقهره .

تطوير التنظيم السوفييتي

ان الطابع الاشتراكي للديموقراطية السوفييتية ، اي الديموقراطية **البروليتارية** ، في تطبيقها الملموس ، الحالي ، ينحصر فيما يلي : اولاً ، الناخبون هم الجماهير الكادحة والمستثمَرة ، والبرجوازية مشطوبة ؛ ثانياً ، كل الشكليات والقيود البيروقراطية في حقل الانتخاب ملغاة ؛ الجماهير تحدد بنفسها طريقة الانتخابات ومواعيدها وتتمتع بكامل الحرية في سحب منتخبيها ؛ ثالثاً ، يتكون خير تنظيم جماهيري لطليعة الشغيلة ، لبروليتاريا الصناعة الكبيرة ، تنظيم يتيح لها قيادة اوسع جماهير المستثمرين واشراكها في الحياة السياسية المستقلة ، وتربيتها سياسياً بتجربتها الخاصة ؛ وهكذا ، تبدأ للمرة الاولى الحملة من اجل ان يتعلم السكان **بأسرهم** حقاً الحكم ويبدأوا الحكم .

تلك هي العلائم المميزة الرئيسية للديموقراطية المطبقة في روسيا ، وهي ديموقراطية من **نموذج** ارقى ، تقطع كل صلة بالتشويه البرجوازي للديموقراطية ، وهي انتقال الى الديموقراطية

الاشتراكيـــــة والى الظروف التي يمكن ان تبدأ فيها الدولـــــة بالاضمحلال .

وطبيعي ان عنصر التشويش البرجوازي الصغير (الذي **لا بد** ان يتجلى في **كل** ثورة بروليتارية الى هذا الحد او ذاك ، والذى يتجلى في ثورتنا نحن بمنتهى الشدة ، بسبب من طابع البـــلاد البرجوازي الصغير ، وحالتها المتأخرة ، وعواقب الحـرب الرجعيـة) ، ان هذا العنصر لا بدّ له ان يسم السوفييتات ايضاً بسمته .

يجـــب علينا ان نعمل بلا كلل على تطوير تنظيم السوفييتات والحكم السوفييتي . هناك ميل برجوازي صغير يسعى الى تحويـــل اعضاء السوفييتات الى «برلمانيين» او ، من جهـــــة اخرى ، الى بيروقراطيين . فينبغي مكافحة هذا الميل باشراك **جميع** اعضـــــاء السوفييتات عملياً في الحكم . وفي كثرة من الاماكن ، تتحول اقســام السوفييتات الى هيئات تندمج شيئاً فشيئاً في المفوضيات . وهدفنا ان نشرك عملياً **جميع الفقراء بلا استثناء** في الحكم ؛ وجميع الاجراءات التي تتخذ لتحقيق ذلك – وكلما تنوعت ، كان ذلك افضل ، – انمـا يجب ان يصار بكل عناية الى تسجيلها ، ودراستها ، وترتيبهـــا ، وامتحانها في تجربة اوسع ، واضفاء صفة شرعية عليها . هدفنا ان يقوم **جميع** الشغيلة **مجاناً** بوظائف الدولة ، حين ينهو من الثماني ساعات في العمل المنتج . ان الانتقال الى هذا الوضع امر في غايـــة الصعوبة ، ولكنه وحده ينطوي على ضمانة توطيد الاشتراكيـــــة نهائياً . وطبيعي ان تؤدي جدّة هذا التغير وصعوبتـه الى وفرة من الخطوات المخطوة جساً ، اذا جاز القول ، ومن الاخطاء والترددات ، التي بدونها يستحيل اي تقدم سريع . اما الاصالة كلها في الوضـع الذي نعيش فهي ان الكثيرين من اولئك الذين يرغبون في ان يظهروا بمظهـر الاشتراكيين ، قد اعتادوا ان يعارضـــوا بصورة مجرّدة الرأسمالية بالاشتراكية ؛ وكانوا يضعون بينهما ، بوقار ورزانـة

كلمة : «قفزة» (وكان بعضهم يتذكر مقاطع قرأها عند انجلس ، فيضيف بمزيد من الوقار والرزانة : «القفزة من ملكوت الضرورة الى ملكوت الحرية» (٢٤)) . ان معظم هؤلاء الاشتراكيين المزعومين ، الذين «قرأوا في الكتاب» عن الاشتراكية ، دون ان يتعمقوا قط في المسألة بصورة جدية ، لعاجزون عن التفكير في ان معلمي الاشتراكية كانا يقصدان بكلمة «قفزة» تحولاً حاداً بالنسبة لانعطافات التاريخ العالمي ، وان القفزات من هذا النوع تشمل مراحل من عشر سنوات ، بل اكثر ايضاً . وطبيعي ان تقدم فئة «الانتلليجنسيا» المزعومة ، في مثل هذه الازمنة ، اعداداً لا عد لها من النوادب : نادبة تندب الجمعية التأسيسية ، واخرى الطاعة البرجوازية ، وثالثة حسن النظام الرأسمالي ، ورابعة الملاك العقاري المثقف ، وخامسة الامتيازات الاستعمارية للامة الكبرى ، وهكذا دواليك ، وهلمجراً .

ان ما تتسم به مرحلة القفزات الكبيرة من طريف حقاً ، هو ان تكاثر حطام الماضي الذي يتكدس ، احياناً ، بأسرع مما تتكدس بذور الجديد (التي لا ترى دائماً في البدء) ، يتطلب من المرء ان يعرف كيف يستشف اهم شيء في خط او سلسلة التطور . فهناك فترات تاريخية يكون فيها اهم شيء لنجاح الثورة تكديس اكثر ما يمكن من الحطام ، اي نسف اكثر ما يمكن من المؤسسات القديمة ؛ وهناك فترات نُسِفَ فيها ما يكفي من هذه المؤسسات ، ويوضع فيها بعد ذلك على بساط البحث عمل «يومي عادي» («ممل» للثوري البرجوازي الصغير) : تنظيف الارض من الحطام الذي يشغلها ؛ وهناك فترات اخرى يكون الاهم فيها ، الاعتناء بتربية بذور الجديد التي تنبت من تحت الحطام في الارض التي لم يتم تنظيفها بعد من الحصى والحجارة .

لا يكفي المرء ان يكون ثورياً ونصيراً للاشتراكية او شيوعياً بوجه عام . انما ينبغي له ان يعرف كيف يجد ، في كل فترة خاصة ،

الحلقة الخاصة بها والتي يجب عليه التمسك بها بكل قواه من اجل مسك السلسلة كلها ، وتحضير الانتقال الى الحلقة التالية تحضيراً متيناً ؛ مع العلم ان توالي الحلقات ، وشكلها ، وترابطها ، والخصائص التي تميز بعضها عن بعض ، ليست بسيطة ولا بدائية في سلسلة من الاحداث التاريخية كما في سلسلة عادية خرجت من يدي الحداد .

ان النضال ضد التشويه البيروقراطي للتنظيم السوفييتي انما تضمنه متانة الصلات التي تربط السوفييتات مع «الشعب» ، اي مع الشغيلة والمستثمرين ، ومرونة هذه الصلات ومطاطيتها . ان البرلمانات البرجوازية ، حتى في خير جمهورية رأسمالية في العالم من الناحية الديموقراطية ، انما لا يعتبرها الفقراء ابداً مؤسسات «لهم» . بينا السوفييتات ، بالنسبة لجماهير العمال والفلاحين ، مؤسسات «لهم» ، وليست لغيرهم . ان «الاشتراكيين الديموقراطيين» المعاصرين من طراز شيدمان او من طراز مارتوف ، والامران سيّان تقريباً ، ينفرون من السوفييتات ، ويشعرون بانجذابهم نحو البرلمان البرجوازي المؤدب ، او الجمعية التأسيسية ، تماماً كما كان تورغينيف يشعر منذ ستين سنة ، بانجذابه نحو الدستور الملَكي والنبيلي المعتدل ، وينفر من ديموقراطية دوبروليوبوف وتشيرنيشيفسكي الفلاحية الخشنة (٢٥) .

ان اقتراب السوفييتات من «شعب» الكادحين هو الذي يخلق بالضبط اشكالاً خاصة لسحب النواب ولرقابة اخرى ، لرقابة من ادنى ، اشكالاً يجب الآن تطويرها باجتهاد خاص . وهكذا ، ان السوفييتات للتعليم العام ، ونعني بها المؤتمرات الدورية التي يعقدها الناخبون السوفييتيون ومندوبوهم لبحث ومراقبة نشاط السلطات السوفييتية في هذا الميدان ، تستحق كل عطفنا وكل تأييدنا . وليس ثمة امر اشد حماقة من تحويل السوفييتات الى شيء

ما جامد ، الى هدف بحد نفسه . وبقدر ما يترتب علينا ان ندعم اليوم بمزيد من العزم سلطة قوية لا رحمة عندها ، ان ندعم ديكتاتورية الافراد **في مجريات عمل معينة** ، في فترات معينة من ممارسة الوظائف **التنفيذية الصرف** – يجب ان تكون اشكال ووسائل الرقابة من ادنى اكثر تنوعاً ، بغية شل كل شبح امكانية لتشويه سلطة السوفييت ، بغية استئصال الزؤان البيروقراطي تكراراً ودون كلل .

خاتمة

وضع في منتهى الارهاق والصعوبة والخطر من الناحية الدولية ؛ ضرورة المراوغة والتراجع ؛ مرحلة انتظار الانفجارات الجديدة للثورة التي تنضج في الغرب بعناء طويل ؛ في داخل البلاد ، مرحلة من البناء البطيء و«تشديد النظام» بلا هوادة ، نضال طويل ضار تخوضه روح الطاعة البروليتارية الصارمة ضد خطر عنصر الاستهتار والفوضى البرجوازيين الصغيرين ، – هذه هي ، بالايجاز ، السمات المميزة للمرحلة الخاصة التي نجتازها من الثورة الاشتراكية . وهذه هي ، في تسلسل الاحداث التاريخي ، الحلقة التي يجب علينا في الوقت الحاضر التمسك بها بكل قوانا لكي نكون في مستوى مهمتنا حتى يوم الانتقال الى الحلقة التالية التي تجتذبنا بسطوعها الخاص ، سطوع انتصارات الثورة البروليتارية العالمية .

حاولوا ان تقارنوا بالفكرة العادية ، الجارية ، الشائعة عن «الثوري» ، الشعارات التي تنبع من خصائص المرحلة الحاضرة : المراوغة ، التراجع ، الانتظار ، البناء ببطء ، تشديد النظام بلا هوادة ، نشر الطاعة بصرامة ، صعق الاستهتار . . . فاي غرابة اذا ما سمع هذا بعض «الثوريين» وراحوا يصبون علينا «الصواعق» بدافع غضب نبيل ، ويتهموننا بنسيان تقاليد ثورة اكتوبر ، وانتهاج

سياسة التفاهم مع الاختصاصيين البرجوازيين ، واجراء المساومات مع البرجوازية ، والتشبع بالروح البرجوازية الصغيرة ، والروح الاصلاحية ، وهكذا دواليك وهلمجراً ؟

اما مصيبة هؤلاء الثوريين المساكين ، فقوامها ان حتى اولئك الذين منهم يسترشدون باطيب الدوافع في العالم ويتميزون باخلاصهم المطلق لقضية الاشتراكية ، يعوزهم ادراك الحالة الخاصة و«المزعجة» خاصة ، التي كان لا بد ان يمر بها حتماً بلد متأخر ، مزقته حرب رجعية ومشؤومة ، وبدأ الثورة الاشتراكية قبل بلدان اكثر تطوراً بزمن طويل ؛ فان الصلابة تعوزهم في الاوقات العصيبة ابان الانتقال الصعب . وطبيعي ان حزب الاشتراكيين الثوريين اليساريين هو الذي يعارض حزبنا **بهذا** النوع من المعارضة «الرسمية» . ويقيناً انه توجد وستوجد دائماً استثناءات فردية ، تختلف عن نماذج الجماعة والطبقة . ولكن المناذج الاجتماعية تبقى . ففي بلد يؤلف فيه الملاكون الصغار الاغلبية الساحقة بالنسبة للسكان البروليتاريين الصرف ، لا بدّ ان يتجلى الفرق بين الثوري البروليتاري والثوري البرجوازي الصغير ، وان يتجلى احياناً باقصى العنف . فان الثوري البرجوازي الصغير يتردد ويتمايل لدى كل منعطف في الاحداث : فهو ينتقل من الثورية الجامحة في آذار (مارس) ١٩١٧ الى تمجيد «الائتلاف» في ايار (مايو) ، الى الحقد على البلاشفة (او الى النواح على «روح المغامرة» عندهم) في تموز (يوليو) ، الى الابتعاد عنهم بدافع الخوف في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) ، الى تأييدهم في كانون الاول (ديسمبر) ؛ واخيراً ، في آذار ونيسان (مارس وابريل) ١٩١٨ ، يقطب هذا النوع من الناس ، في اغلب الاحيان ، حواجبهم بازدراء قائلين : «انا لست ممن ينشدون الاناشيد للعمل «العضوي» ، والروح العملية ، وروح التدرج» .

اما الاصل الاجتماعي لهذا النوع من الناس ، فهو رب العمل

الصغير السعران بسبب من اهوال الحرب والخـــراب الفجائي ، والآلام التي لا سابق لها الناجمة عن المجاعة والخراب الاقتصادي ؛ وهو ، في سعيه وراء مخرج ، ووراء سبيل للخلاص ، يضطرب بشكل هستيري متأرجحاً بين الثقة في البروليتاريا ومساندتها من جهة ، ونوبات اليأس من جهة اخرى . ينبغي لنا ان ندرك تمام الادراك ان بناء الاشتراكية على هذا الاساس الاجتماعي امر مستحيل اطلاقاً . فلا يمكن ان يقود الجماهير الكادحة والمستثمَرة غير طبقة تسير في طريقها بلا تردد ، بلا تخاذل ، دون ان تهوي في لجة اليأس عنـــد اصعب المنعطفات واقساها واخطرها . نحن لسنا في حاجـــة الى انطلاقات هستيرية . اما ما ينبغي لنا ، فهو زحف الفصائل الحديدية البروليتارية بخطوة واحدة .

كتب فيما بين ١٣ و ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩١٨
صدر في ٢٨ نيسان ١٩١٨ في جريدة «البرافدا» ، العدد ٨٣ ، وفي ملحـق لجريدة «ازفيستيـــا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذيـــة المركزيـــة لعامـــة روسيا») ، العدد ٨٥

المجلد ٣٦ ،
ص‌ص ١٦٥ــ٢٠٨

ست موضوعات حول المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية

١ - ان وضع الجمهوريـــــة السوفييتيـــــة الدولي في منتهى الصعوبة والتأزم ، لأن اعمق مصالح الرأسمال العالمي والامبريالية العالمية ، لأن مصالحهما الجذرية لا تثير فيهما الرغبة في شن هجوم عسكري على روسيا وحسب ، بل تدفعهما ايضاً الى الاتفاق من اجل تقاسم روسيا وخنق السلطة السوفييتية .

ولا يشل هذه المطامع او يخفف من حدتها الا اشتداد المجزرة الامبريالية بين الشعوب في اوروبا الغربية والتنافس الامبريالي بين اليابان واميركا في الشرق الاقصى ، ناهيك عن انهما لا يفعلان ذلك الا جزئياً ولفترة من الوقت لا ريب انها قد تكون قصيرة جداً .

ولهذا يجب ان يكون تكتيك الجمهورية السوفييتية بالضرورة ، من جهة ، الحد الاقصى من بذل كل قواها بغية الوصول في اسرع وقت الى النهوض الاقتصادي في البلاد ، وتعزيز قدرتها الدفاعية ، وانشاء جيش اشتراكي جبار ؛ ومن جهة اخرى ، لا بدّ في ميدان السياسة الدولية من تكتيك قوامه المراوغة والتراجع والانتظار الى ان تنضج الثورة البروليتارية العالمية نهائيا ، وهي التي بسبيل النضوج الآن اسرع مما مضى في جملة كاملة من البلدان المتقدمة .

٢ – في ميدان السياسة الداخلية ، ترد اليوم في جدول الاعمال ، وفقاً للقرار الذي اتخذه مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا في ١٥ آذار (مارس) ١٩١٨ ، مهمة تنظيمية . وفي حال انتهاج طريقة جديدة ارقى لتنظيم انتاج المنتجات وتوزيعها على اساس (العمل) الانتاج الآلي الكبير الاجتماعي ، تشكل هذه المهمة بالضبط المضمون الرئيسي – والشرط الرئيسي للانتصار التام – للثورة الاشتراكية التي بدأت في روسيا في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

٣ – ان الامر الرئيسي ، في الوقت الحاضر ، من وجهة النظر السياسية الصرف ، هو ان مهمة اقناع شغيلة روسيا بصحة برنامج الثورة الاشتراكية ومهمة انتزاع روسيا من المستثمِرين في صالح الشغيلة قد تحققتا بخطوطهما الكبرى ، وان المهمة الرئيسية الآن هي معرفة كيفية ادارة روسيا . انشاء ادارة صالحة ، تطبيق مراسيم السلطة السوفييتية بلا تردد ولا وهن ، هذه هي المهمة الملحة الموضوعة امام السوفييتات ، هذا هو شرط الانتصار التام لطراز الدولة السوفييتي الذي لا يكفي اشتراعه شكلاً ، لا يكفي اقراره وادخاله في عموم انحاء البلاد ، بل يجب ايضاً ضبطه عملياً والتثبت منه في العمل الاداري المنتظم اليومي .

٤ – الامر الرئيسي الآن في ميدان بناء الاشتراكية الاقتصادي ، ان عملنا الهادف الى تنظيم الحساب والرقابة من جانب الشعب بأسره فيما يخص مجمل انتاج المنتجات وتوزيعها والى تطبيق الضبط البروليتاري في الانتاج ، قد تأخر كثيراً عن عملنا الهادف الى مصادرة ملكية مغتصبي الملكية ، الملاكين العقاريين والرأسماليين ، مصادرة مباشرة . وهذا هو الامر الرئيسي الذي يحدد مهامنا .

ينجم بالتالي ، من جهة ، ان النضال ضد البرجوازية يدخل طوراً جديداً يغدو فيه مركز الثقل تنظيم الحساب والرقابة . فبهذه الطريق فقط يمكن توطيد جميع المكاسب الاقتصادية المحرزة على الرأسمال منذ تشرين الاول (اكتوبر) ، وكذلك جميع التدابير المتخذة منذ هذا التاريخ لتأميم بعض فروع الاقتصاد الوطني ؛ بهذه الطريق فقط ، يمكن تحضير النجاح النهائي للنضال ضد البرجوازية ، اي توطيد الاشتراكية بصورة تامة .

والامر الرئيسي المشار اليه اعلاه يوضح ، من جهة اخرى ، لماذا اضطرت السلطة السوفييتية في بعض الحالات الى السير خطوة الى الوراء او الى قبول مساومة مع الميول البرجوازية . فان تطبيق الرواتب العالية لبعض الاختصاصيين البرجوازيين ، مثلاً ، كان خطوة الى الوراء من هذا النوع ، كان تراجعاً عن مبادئ كومونة باريس . والاتفاق المعقود مع التعاونيات البرجوازية حول الخطوات والتدابير الواجب تحقيقها لاشراك عموم السكان تدريجياً في التعاونيات كان احدى هذه المساومات . وطالما لم توطد السلطة السوفييتية كلياً الرقابة من جانب الشعب بأسره ، فان مساومات من هذا النوع ستكون ضرورية ، ومهمتنا ان لا تخفي عن الشعب النواحي السلبية في هذه المساومات وان نبذل جهودنا لاتقان الحساب والرقابة ، بوصفهما الوسيلة الوحيدة والسبيل الوحيد للقضاء التام على جميع المساومات من هذا النوع . ان مثل هذه المساومات ضرورية في الظرف الراهن لأنها الضمانة الوحيدة (نظراً لتأخرنا في مضمار الحساب والرقابة) لتقدم من الصحيح انه ابطأ ولكنه آمن . وستزول ضرورة هذه المساومات حين يتحقق كلياً الحساب والرقابة فيما يخص انتاج المنتجات وتوزيعها .

٥ – في جدول الاعمال ترد على الاخص التدابير الواجب اتخاذها لتعزيز الطاعة وانماء انتاجية العمل . ان الخطوات الاولى التي تمت

في هذا الاتجاه ، ولا سيما من جانب النقابات ، انما يجب تأييدها بكل قوانا وتوطيدها وتقويتها . فالمقصود هنا ، مثلاً ، تطبيق الاجرة بالقطعة ، وتطبيق العناصر العلمية والتقدمية العديدة التي ينطوي عليها نظام تايلور ، وجعل الاجور مناسبة لنتيجة العمل العامة في المصنع او لنتائج استثمار الخطوط الحديدية والنقليات المائية ، الخ . . والمقصود هنا ايضاً تنظيم المباراة بين مختلف كومونات الانتاج والاستهلاك ، واختيار المنظمين ، الخ . .

٦ - ان ديكتاتورية البروليتاريا ضرورية اطلاقاً لدن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وهذه الحقيقة اثبت النشاط العملي صحتها كلياً في ثورتنا . ولكن الديكتاتورية تفترض سلطة ثورية حازمة وصارمة فعلاً في استعمال القمع ضد المستثمِرين والزعران على حد سواء ؛ والحال ، ان سلطتنا حليمة جداً . والخضوع اثناء العمل ، الخضوع المطلق للاوامر الشخصية الصادرة عن القادة السوفييتيين ، عن هؤلاء الديكتاتوريين المنتخبين او المعينين من جانب المؤسسات السوفييتية ، المخولين صلاحيات ديكتاتورية (كما يقضي ، مثلاً ، المرسوم عن السكك الحديدية) ، هو مؤمن بصورة لا تزال ناقصة جداً ، جداً ، وهنا يتجلى تأثير العنصر البرجوازي الصغير ، عنصر عادات صغار الملاكين ومطامحهم ونفسيتهم ، المناقضة تناقضاً صارخاً مع الطاعة البروليتارية ومع الاشتراكية . ولذا يجب توجيه كل ما في البروليتاريا من واع الى النضال ضد هذا العنصر البرجوازي الصغير الذي يتجلى لا مباشرة وحسب (في التأييد الذي تقدمه البرجوازية واذنابها : المناشفة ، الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، الخ . ، لكل مقاومة في وجه السلطة البروليتارية) ، بل ايضاً بصورة غير مباشرة (في هذا التردد التاريخي الذي يبديه ، في القضايا السياسية الرئيسية ، حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين البرجوازي الصغير وكذلك التيار

«الشيوعي اليساري» (٢٦) في حزبنا ، هذا التيار الذي ينحط حتى اساليب الثورية البرجوازية الصغيرة ويقلد الاشتراكيين-الثوريين اليساريين) .

طاعة حديدية وتطبيق ديكتاتورية البروليتاريا الى النهاية ضد الترددات البرجوازية الصغيرة – تلك هي خلاصة الشعار العام في الظرف الراهن .

كتب فيما بين ٢٩ نيسان (ابريل) و ٣ ايار (مايو) ١٩١٨
صدر في ٩ ايار ١٩١٨ في جريدة «بدنوتا» («الفقراء») ، العدد ٣٣

المجلد ٣٦ ،
ص‌ص ٢٧٧–٢٨٠

عن المجاعة

(رسالة الى عمال بتروغراد)

ايها الرفاق ! زارني مؤخراً مندوبكم ، وهو رفيق في الحزب ، وعامل في معمل بوتيلوف . وقد رسم لي هذا الرفيق لوحة مفصلة مؤثرة للغاية عن المجاعة في بتروغراد . نحن نعلم جميعاً ان مسألة التموين في العديد من المحافظات الصناعية هي على نفس الدرجة من الحدة ، وان المجاعة ، المعذ ّبة كذلك ، تطرق ابواب العمال والسكان الفقراء بوجه عام .

والى جانب ذلك ، نشهد جموحاً في المضاربة على الحبوب وعلى سائر المواد الغذائية . فالمجاعة ليست ناجمة عن قلة الحبوب في روسيا ، بل عن كون البرجوازية وجميع الاغنياء يخوضون المعركة الاخيرة ، الحاسمة ، ضد سيادة الشغيلة ، ضد دولة العمال ، ضد الحكم السوفييتي ، حول المسألة الاهم والاحد ّ ، عنيت بها مسألة الحبوب . ان البرجوازية وجميع الاغنياء ، بمن فيهم اغنياء الارياف ، الكولاك ، يحبطون احتكار الحبوب ، وينسفون توزيع الحبوب من جانب الدولة على جميع السكان ، وبالدرجة الاولى ، على العمال ، والشغيلة ، والمعوزين . كذلك تحبط البرجوازية الاسعار الثابتة ، وتقوم باعمال المضاربة على الحبوب ، وتربح مئة بل مئتي روبل

واكثر بكل بود * من الحبوب وتدمّر احتكار الحبوب وتوزيع الخبز توزيعاً سديداً ؛ وهي تدمّر هذا الاحتكار وهذا التوزيع عن طريق الرشوة والافساد ، داعمة عن قصد كل ما يسيىء الى حكم العمال الذي يسعى جهده الى تطبيق المبدأ الاول الاساسي ، الجذري ، للاشتراكية : «من لا يشتغل ، لا يأكل» .

«من لا يشتغل ، لا يأكل» ، كل شغيل يفهم هذا المبدأ . وجميع العمال وجميع الفلاحين الفقراء بل المتوسطين متفقون حول هذا المبدأ – اي جميع الذين عرفوا وطأة العوز ، جميع الذين عاشوا يوماً ما من عملهم . ان تسعة اعشار سكان روسيا موافقون على هذه الحقيقة . وفي هذه الحقيقة البسيطة ، البسيطة جداً ، والبديهية ، يكمن اساس الاشتراكية ، وينبوع قوتها الذي لا ينضب ، والضمانة الوطيدة لانتصارها النهائي .

ولكن الاقرار بهذه الحقيقة ، والحلفان بالموافقة عليها ، والاعتراف بها قولاً ، شيء ، ومعرفة تطبيقها في واقع الحياة ، شيء آخر . وكل المسألة هنا . فعندما نرى مئات الآلاف بل الملايين من الناس يعضهم الجوع بنابه (في بتروغراد ، في المحافظات غير الزراعية ، في موسكو) في بلد يخفي فيه الاغنياء والكولاك المضاربون الملايين والملايين من بودات الحبوب ، في بلد يتسمى الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ، ففي ذلك بالنسبة لكل عامل واع وفلاح مدرك ، موضوع خطير وعميق يجدر التفكير به .

«من لا يشتغل ، لا يأكل» ، – كيف العمل لتطبيق هذا المبدأ ؟ انه لواضح وضوح النهار انه ينبغي لهذا الغرض في بادىء الامر ان يكون هناك احتكار الدولة للحبوب ، اي منع كل تجارة خاصة بالحبوب

---

* البود يوازي ١٦,٣٨٠ كغ . **المعرب** .

منعاً مطلقاً ، والزام تسليم جميع فوائض الحبوب الى الدولـــة ، بالاسعار الثابتة ، وكذلك منع اي امرئ منعاً مطلقاً من الاحتفاظ بفوائض الحبوب واخفائها . وينبغي ، ثانياً ، اجراء حساب صارم لجميع فوائض الحبوب والقيام كما ينبغي وبصورة لا عيب فيها ، بنقل الحبوب من المناطق التي تفيض فيها الى المناطق التي تنقصها ، وخزن الحبوب الضرورية للاستهلاك ، والتكييف ، والبذر . وينبغي ، ثالثاً ، القيام بتوزيع الخبز بين جميع مواطني الدولة ، تحت مراقبة دولة العمال ، دولة البروليتاريا ، على ان يكون هذا التوزيع سديداً عادلاً ، لا يمنح الغني اي امتياز او اية افضلية .

حسب المرء ان يفكر ولو قليلاً بهذه الشروط اللازمة للتغلب على المجاعة ، لكي يدرك الى ايـــة هاوية من البلادة بلغ ثرثارو الفوضوية الحقيرون الذين ينكرون ضرورة سلطة الدولة (سلطـــة تكون صارمة وبلا رحمة ازاء البرجوازية ، وصلبة وبلا هوادة ازاء مشوشي الحكم) لأجل الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، لأجل تحرير الشغيلة من كل اضطهاد وكل استثمار . واليوم ، على وجه الضبط ، وثورتنا تواجه عن كثب ، وبصورة ملموسة ، عملية (وفي ذلك مأثرة لها تفوق التقدير) قضايا تحقيق الاشتراكية ، – اليوم على وجه الضبط ، وبالضبط حول المسألة الاساسية ، مسألـــة الحبوب – يبدو بوضوح تام الى اي حد من الضروري وجود سلطة ثورية حديدية ، اي ديكتاتورية البروليتاريا ، وتنظيم جمع المؤن ، ونقلها وتوزيعها على نطاق واسع يشمـــل البلاد كلها ، مع اخذ حاجات العشرات والمئات من ملايين الناس بعين الاعتبار ، ومع العمل مسبقـاً على تدارك ظروف الانتاج ونتائجه لسنة ولسنوات عديدة (لأنه ثمة سنوات عجز ، ولأنه ، من اجل زيادة محاصيل الحبوب ، ينبغي اللجوء الى تجويدات في الاراضي تتطلب سنوات مديدة من العمل ، الخ .) .

ان رومانوف وكيرنسكي قد خلّفا للطبقة العاملـة بلاداً دمرتها تماماً حربهما اللصوصية ، المجرمة ، البالغة القساوة ، بلاداً نهبها الامبرياليون الروس والاجانب ولم يبقوا فيها شيئاً . ولـن يكون ثمة خبز يكفي الجميع الا اذا اخذنا بالحسبان ، وبكل صرامة ، كل بود من الحبوب ، الا اذا وزعنا كل رطل من الخبز حصصـاً متساوية تماماً . ان خبز الآلات ، اي المحروقات ينقصنا ايضاً الى حد كبير جداً : فان السكك الحديدية والمعامل ستتوقف ، وستقضي البطالة والمجاعة على الشعب بأسره ، اذا لم نوجه جميع جهودنا لكي نعمل ، بصرامة لا هوادة فيها ، على التوفير في الاستهلاك ، لكي نؤمن توزيعاً صائباً . فالكارثة امام انظارنا ، انها لقريبة جداً ، ووشيكة الوقوع . فبعد شهر ايار (مايو) الذي يبلـغ حداً من القساوة لا يصدق ، تأتي اشهر حزيران وتمـوز وآب (يونيـو ويوليـو واغسطس) ، التي هي اشد قساوة ايضاً .

ان احتكار الدولة للحبوب موجود عندنا بموجب القانون ، ولكنه يتعرض ابداً ، بالفعل ، لتخريبات البرجوازية . ان غني الريف ، الكولاكي ، هذا الاخطبوط الذي نهب منطقته كلهـا خلال عشرات السنين ، يفضل الاثراء عن طريق المضاربة ، عن طريق تقطيـر الكحول من الحبوب : ففي ذلك فائدة كبرى لجيبه . اما المسؤولية عن المجاعة ، فانه يلقيها على سلطة السوفييت . على هذا النحـو بالضبط يتصرف المدافعون السياسيون عن الكولاكي ، الكاديت ، والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، والمناشفـة ، الذين «يعملون» جهاراً وسراً ضد احتكار الحبوب وضد سلطة السوفييت . اما حزب ضعيفي الارادة ، اي حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، فانه يفقد هذه الصفة هنا ايضاً : فانه يؤخـذ بالصيحـات والزعقات المغرضة التي تطلقها البرجوازية ؛ وهو يهتف ضد احتكار الحبوب ، و«يحتج» على الديكتاتورية في حقل التموين ، ويدع البرجوازيـة

تلقي الرعب في نفسه ؛ وهو يخشى النضال ضد الكولاكي ، ويتخبط في الهستيريا ناصحاً برفع الاسعار الثابتة ، وبالسماح بالتجـــارة الخاصة ، وهكذا دواليك .

ان حزب ضعيفي الارادة هذا يعكس ، في ميدان السياسة ، شيئاً مشابهاً لما يجري في الحياة ، عندما يحرض الكولاكي الفلاحين الفقراء على السوفييتات ، ويفسدهم ؛ وعندما يعطي ، مثلاً ، فلاحاً فقيراً بوداً من الحبوب ، لا لقـــاء ستة روبلات ، بل لقاء ثلاثـــة روبلات ، لكي «يستفيد» هذا الفلاح الفقير الفاسد من المضاربة ، لكي «يربح» بنفسه من بيع هذا البود باسعار المضاربة ، بـ١٥٠ روبلاً ، ويتحول هو بدوره الى ثرثار صيّاح ضد السوفييتات التي تمنع التجارة الخاصة بالحبوب .

ان كل امرئ قادر على التفكير ، ان كل امرئ يريد التفكير قليلاً ، يرى بوضوح في اي ناحية يتجه النضال :

فاما ان ينتصر العمال الواعون ، العمال الطليعيون ، بلفهـم حولهم جماهير السكان الفقراء ، وباقامة نظام حديدي ، باقامة حكم صارم لا هوادة فيه ، هو ديكتاتورية البروليتاريا الحقيقية ، ويجبروا الكولاكي حينذاك على الخضوع ، وينظموا توزيع الخبز والمحروقات توزيعاً صائباً على نطاق البلاد كلها ؛

— واما ان تطيح البرجوازية بحكم السوفييت ، يساعدها في ذلك الكولاكي ، ويدعمها بصورة غير مباشرة اولئك الذين فقدوا الارادة والمشوّشون (الفوضويـــون والاشتراكيون-الثوريـــون اليساريون)، وتقيم كورنيلوفاً روسياً-المانياً او روسياً-يابانياً يحمل الى الشعب يوم العمل من ١٦ ساعة وحصة من الاكل قوامها خمسون غراماً من الخبز في الاسبوع ، واعدام العمال بالجملة رمياً بالرصاص ، والتعذيبات في اقبية السجون ، كما في فنلندا ، كما في اوكرانيا .

اما هذا واما ذلك .
ولا وسط بين الاثنين .
فوضع البلاد متأزم الى اقصى حد .
ومن يفكر بالحياة السياسية لا يسعه الا يرى ان الكاديت والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والمناشفة يسعون الى التفاهم فيما بينهم لمعرفة اي من الكورنيلوفين «ألطف» ، الكورنيلوف الروسي-الالماني ام الكورنيلوف الروسي-الياباني ، واي منهما سيسحق الثورة على نحو افضل واضمن ، الكورنيلوف المتوج ام الكورنيلوف الجمهوري .
لقد حان لجميع العمال الواعين ، لجميع العمال الطليعيين ، ان يتفاهموا . لقد حان لهم ان يستيقظوا وان يدركوا ان كل دقيقة تأخر تهدد البلاد والثورة بالهلاك .
ان التدابير الجزئية لن تفيد شيئاً . وعبثاً يتعالى النواح . والمحاولات التي يقوم بها البعض للحصول على الخبز او على المحروقات «بالمفرق» ، «لانفسهم» ، اي لمعمل«هم» ، لمؤسست«هم» ، لا تؤدي الا الى تفاقم اشاعة الفوضى ، والى تسهيل السبيل امام المضاربين للقيام باعمالهم الانانية ، القذرة ، السوداء .
ولهذا اسمح لنفسي بان اتوجه اليكم برسالة ، ايها الرفاق العمال في بتروغراد . ان بتروغراد ليست كل روسيا . ان عمال بتروغراد لا يشكلون سوى قسم صغير من عمال هذه البلاد . ولكنهم فصيلة من خيرة فصائل الطبقة العاملة وجميع شغيلة روسيا ، ومن اكثرها تقدماً ، واشدها ثورية ومن اوعاها واثبتها ، فصيلة من اشد الفصائل نفوراً من الجملة الجوفاء ، من اليأس الجبان ، من تهويل البرجوازية . والحال ، اننا نعرف في الدقائق الحرجة من حياة الشعوب ، اكثر من مثال عن فصائل طليعية من الطبقات المتقدمة ، كانت ، رغم قلة عددها ، تجر وراءها الجميع ،

وتؤجج في الجماهير نيران الحماسة الثورية ، وتقوم باكبر المآثر التاريخية .

قال لي مندوب العمال في بتروغراد : لقد كنا اربعين الفاً في معمل بوتيلوف ، ولكن معظمهــــــم كانوا عمالاً «موقتين» ، وغير بروليتاريين ، اناساً غير مضمونين تماماً ، اناساً مترهلين . اما الآن ، فلم يبق منهم سوى خمسة عشر الفاً ، ولكنهم بروليتاريون مجربون ومتصلبون في معمعان النضال .

ان طليعة الثورة هذه – في بتروغراد وفي البلاد بأسرها ، – هي التي يترتب عليها ان توجه النداء ، وان **تهب بالجملة** ؛ ينبغي عليها ان تدرك ان خلاص البلاد في يديها ، وانه يتطلب منها بطولة لا تقل عن البطولة التي بدت في كانون الثاني (يناير) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ، وفي شباط (فبراير) وتشرين الاول (اكتوبـــر) ١٩١٧ ؛ وانه ينبغي تنظيم «**حملة صليبية**» كبيرة ضد المضاربين بالحبوب ، والكولاك ، ومصاصي الدمـــاء ، وزارعي الفوضى ، والمرتشين ، «**حملة صليبية**» كبيرة ضــــد مخالفي اصرم نظام اقيم في البلاد فيما يتعلق بتخزين ونقل وتوزيع خبز الناس وخبز الآلات .

فقط اندفاع شامل من جانب العمال الطليعيين بوسعه انقاذ البلاد والثورة . ينبغي لنا عشرات الآلاف من الناس الطليعيين ، من البروليتاريين المتصلبين في نار المعارك ، شرط ان يكونوا على درجة كافية من الوعي تمكنهم من توضيح الامور للملايين من الفقراء في جميع انحاء البلاد والسير في طليعة هذه الملايين ؛ على درجة كافية من الثبات تمكنهم من ان ينبذوا دون رحمة ومن ان يعدموا رمياً بالرصاص جميع الذين «قد يدخلون في التجربــــة» – وهذا يحدث احياناً – بفعل اغراء المضاربة ، والذين يتحولون من مناضلين في سبيل قضية الشعب الى نهابين ؛ على درجة من الصلابة والاخلاص

للثورة تمكنهم من ان يتحملوا بصورة منظمة جميـــع اعباء **الحملة** الموجهة نحو جميع انحاء البلاد ، وذلك بغية اقرار النظام ، وتعزيز الهيئات المحلية لسلطة السوفييت ، بغية السهر على كل بود من الحبوب في مطرحه ، بغية الحرص على كل بود من المحروقـــات في مطرحه .

ان هذا المطلوب لهو اصعب على المرء من تقديم الدليل على بطولته خلال بضعة ايام ، دون ان يترك مكانه التقليدي ، دون ان يشرع بالحملة ، مكتفيـــاً بهبة انتفاض ضـــد رومانوف الوحش والابله ، او ضد كيرنسكي الغبي ، المغرور . ان بطولة القيام بعمل تنظيمي عنيد وطويل النفس ، على نطاق البلاد كلها ، لهو اصعب الى ما لا حد له ، ولكنه ارفع الى ما لا حد له من بطولة الانتفاضات . بيد ان قوة الاحزاب العمالية والطبقة العاملة ، انما تقوم في كون الطبقة العاملة قد واجهت الخطر على الدوام ، جهاراً ، وبجرأة وحزم ؛ في كونها لا تخشى الاعتراف بالخطر ؛ في كونها تقدر بصفاء ذهن اية قوى في معسكر«ها» هي ، وايـــة قوى في المعسكر «المضاد» ، في معسكر المستثمِرين . ان الثورة تسير الى امام ، وتنمو ، وتكبر . كذلك تكبر المهمات التي توضع امامنا . والنضال يمتد سعـــة وعمقاً . ان حسن توزيع الحبوب والمحروقات ، وانماء انتاجها ، **وقيام العمال** بأدق الحساب والرقابة على كل ذلـــك ، على النطاق الوطني : تلك هي العتبة الحقيقية ، الرئيسية ، للاشتراكية . ولم تبق تلك مهمة من المهام «الثورية بوجه عام» ، انما هي بالضبط مهمة **شيوعية** ، المهمـــة التي تقضي على الشغيلـــة والفقراء بان يخوضوا المعركة الحاسمة ضد الرأسمالية .

وهذه المعركة تستحق ان يبذل المرء في سبيلها كل قواه ؛ وكبيرة هي مصاعبها ، ولكنه كبير ايضـــاً الهدف الذي نكافح في سبيله : القضاء على الاضطهاد والاستثمار .

عندما يكون الشعب جائعاً وعندما تشتد وطأة البطالة على الدوام ، فان كل من يخفي كل بود فائض من الحبوب ويحرم الدولة من كل بود من المحروقات ، يرتكب اكبر جريمة .

في مثل هذا الظرف – وهذا يصح دائماً بالنسبة لمجتمع شيوعي حقاً – يكون كل بود من الحبوب والمحروقات شيئاً مقدساً حقاً ، يفوق كثيراً الاشياء المقدسة التي يحشو بها الكهنة عقول الاغبياء ، الذين يعدونهم بملكوت السماوات مكافأة لهم عن الاستعباد على الارض . ولكن ، لكي ننزع عن هذا الشيء المقدس حقاً كل اثر «للقداسة» الكهنوتية ، ينبغي لنا **ان نصبح فعلاً اسياده** ، ينبغي لنا ان نحقق **بالفعل** توزيعه توزيعاً صحيحاً ، ينبغي لنا جمع كل فوائض الحبوب ، كلها اطلاقاً ، دون اي استثناء ، واحالتها الى احتياطيات الدولة ؛ ينبغي لنا **تنظيف البلاد بأسرها** من فوائض الحبوب المخفية او غير المجموعة ؛ ينبغي لنا ان نعمل بيد عمالية حازمة وان نبذل اقصى قوانا لكي نزيد استخراج المحروقات ونوفر منها الى اقصى حد ، لكي نبسط سيادة النظام الاشد في نقلها واستهلاكها .

ينبغي على العمال الطليعيين ان يباشروها «حملة صليبية» واسعة باتجاه جميع مراكز انتاج الحبوب والمحروقات ، باتجاه جميع المراكز الهامة لوصول الحبوب والمحروقات وتوزيعها ، بغية حفز العزيمة على العمل ، بغية مضاعفة هذه العزيمة عشرات المرات ، بغية مساعدة الهيئات المحلية للسلطة السوفييتية على تحقيق الحساب والرقابة ، بغية القضاء بقوة السلاح ، على المضاربة ، والرشوة ، والاهمال . هذه المهمة ليست بجديدة . ان التاريخ ، والحق يقال ، لا يضع مهمات جديدة ، انما يزيد فقط مدى المهمات القديمة وشمولها ، بقدر ما يزداد مدى الثورة ، وتنمو مصاعبها ، ويتعاظم شأن رسالتها التاريخية العالمية .

من اكبر امور انقلاب اكتوبر – الانقـــلاب السوفييتي – ومن الامور التي لا يمكن اجتثاثها ، هو ان العامل الطليعي ، **بوصفه قائد** الفقراء ، **بوصفه زعيم** الجماهير الكادحة في الارياف ، **بوصفه بناء دولة العمل** ، قد «ذهب الى الشعب» . ان بتروغراد قد اعطت الريف الآلاف والآلاف من خيرة عمالها وكذلك سائر المراكز البروليتارية . ان فصائل المحاربين ضد كاليدين ودوتوف واضرابهما ، وفصائل التموين ، ليست بالامر الجديد . ولكن المسألة الموضوعة هي ان الكارثة الوشيكة ، هي ان خطورة الوضع تتطلب بذل جهود تزيد **عشرات المرات** عن الجهود المبذولة سابقاً .

ان العامل لم يصبح قديساً عندما اصبح زعيم الفقراء الطليعي . لقد قاد الشعب الى امام ، ولكنه استسلم لعدوى الامراض الملازمة للبرجوازية الصغيرة السائرة في طريق التفسخ . كلما كان هناك عدد اقل من الفصائل التي تضم احسن العمال تنظيماً ، واوفرهم ادراكاً ، واشدهم تقيداً بالطاعة ، واكثرهـم ثباتـــاً ، كانت هذه الفصائل تتفسخ بمزيد من التواتر ، كما كانت تتكاثر الانتصارات التي يحرزها عنصر المالك الصغير ، الباقي من الماضي ، على الوعي البروليتاري الشيوعي الآتي في المستقبل .

ان الطبقة العاملة ، التي بدأت الثورة الشيوعية ، لا تستطيع التخلص دفعة واحدة من النواقص والعيوب التي ورثتها عن مجتمع الملاكين العقاريين والرأسماليين ، عن مجتمع المستثمِرين ومصاصي الدماء ، عن مجتمع الانانية القذرة والاثراء الاناني لدى اقلية من الناس ، بينا الاغلبية غارقة في لجة البؤس . ولكن الطبقة العاملة تستطيع الانتصار على العالم القديم وعيوبه ونواقصه – **ومن المؤكد انها ستنتصر حتماً في نهاية المطاف** – شرط ان توجه ضد العدو فصائل من العمال جديدة وجديدة ابداً ، متزايدة العدد على الدوام ،

متزايدة الوعي على الدوام بفضل التجربة ، متزايدة المراس ابداً مع مصاعب النضال .

على هذا النحو بالضبط تبدو اليوم الامور في روسيا . اننا لن ننتصر على المجاعة والبطالة اذا كانت صفوفنا منفردة ، مشتتة . ينبغي على عمال الطليعة ان يباشروها «حملة صليبية» واسعة باتجاه جميع الانحاء في بلادنا الشاسعة . ينبغي على البروليتاريا الواعية والمخلصة بدون تحفظ للشيوعية ، ان تؤلف من **الفصائل الحديدية** عشر مرات اكثر مما مضى . وعند ذاك ، سنتغلب على المجاعة والبطالة . عند ذاك سندفع الثورة حتى عتبة الاشتراكية بالذات . وعند ذاك سيكون بوسعنا ايضاً ان نخوضها حرباً دفاعية ظافرة ضد الضواري الاستعماريين .

ن . لينين

٢٢–٥–١٩١٨

«البرافدا» ، العدد ١٠١ ، ٢٤ ايار (مايو) ١٩١٨

المجلد ٣٦ ، ص‌ص ٣٥٧–٣٦٤

خطاب ألقي في المؤتمر الاول لمجالس الاقتصاد الوطني في عامة روسيا
٢٦ ايار (مايو) ١٩١٨

(يستقبل ظهور الرفيق لينين بتصفيق عاصف .) ايها الرفاق ، اسمحوا لي قبل كل شيء بان احيي مؤتمر مجالس الاقتصاد الوطني باسم مجلس مفوضي الشعب . **(تصفيق .)**

ايها الرفاق ، ان المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني القيت الآن على عاتقه مهمة من اصعب المهام واوفرها ثماراً في آن واحد . ولا سبيل الى الريب ابداً انه بقدر ما تتسع مكاسب ثورة اكتوبر ، ويتعمق الانقلاب الذي بدأته ، وتتوطد اسس مكاسب الثورة الاشتراكية والنظام الاشتراكي نفسه ، بقدر ما يتعاظم ويتنامى دور مجالس الاقتصاد الوطني . فانها ستكون المؤسسات الوحيدة التي ستحتفظ من بين جميع مؤسسات الدولة بمكانها الراسخ ، وسيزداد هذا المكان رسوخاً بقدر ما نقترب من اقامة النظام الاشتراكي وبقدر ما تقل الحاجة الى جهاز اداري صرف ، الى جهاز لا يهتم ، في الواقع ، الا بالادارة . وحين يقضى نهائياً على مقاومة المستثمِرين ، ويتعلم الشغيلة تنظيم الانتاج الاشتراكي ، فان هذا الجهاز الاداري ، بمعنى الكلمة الاصلي ، الضيق ، جهاز الدولة القديمة ، محكوم عليه بالزوال ، بينما الجهاز من نوع المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني مكتوب له النمو والتطور والرسوخ في سياق قيامه بالنشاط الجوهري كله لمجتمع منظّم .

ولهذا ، ايها الرفاق ، حين ارى الى تجربة مجلسنا الاعلى

للاقتصاد الوطني والمجالس المحلية التي يرتبط بنشاطها ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عراه ، اعتقد ، رغم كثرة من الامور غير المُتمّمة ، غير المنجزة ، غير المنظمة ، ان ليس لنا ولو ظل لسبب يحملنا على استنتاجات مفعمة بالتشاؤم . لان المهمة التي يضعها المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني نصب عينيه ، المهمة التي تطرحها جميع مجالس المقاطعات وجميع المجالس المحلية ، انما هي على درجة من الكبر والشمول بحيث لا شيء على الاطلاق يثير القلق في ما نلاحظه جميعاً . ففي كثير جداً من الاحيان ، – ولربما يجب القول من وجهة نظرنا ، بالطبع ، في كثرة مفرطة من الاحيان ، – لم يطبق المثل القائل : «قس سبع مرات وقص مرة واحدة» . ومع الاسف ، ليست الامور بسيطة بقدر ما هي عليه في هذا المثل ، حين يكون المقصود تنظيم الاقتصاد وفقاً للمبادئ الاشتراكية .

ان مهماتنا لتزداد تعقداً حين تنتقل كامل السلطة – وهذه المرة ، لا السلطة السياسية وحسب ، بل بالاحرى وبالدرجة الاولى ايضاً لا السلطة السياسية بل السلطة الاقتصادية ، اي السلطة التي تمس اعمق اسس حياة الناس اليومية – حين تنتقل كامل السلطة الى طبقة جديدة تجتذب وراءها ، فضلاً عن ذلك ، ولاول مرة في تاريخ البشرية ، اغلبية السكان الساحقة ، سواد الشغيلة والمستثمَرين . وغني عن البيان ان يكون مفهوماً تماماً في الحالة الراهنة انه يستحيل ترتيب الامور بمقدار البساطة التي يريدها المثل : «قس سبع مرات وقص مرة واحدة» ، وذلك نظراً لما تتسم به المهمات التنظيمية من اهمية فائقة وصعوبة بالغة ، اذ يتعين علينا ان ننظم على نحو جديد كلياً اعمق اسس الحياة البشرية لمئات الملايين من الناس . وبالفعل ، لا يجوز لنا ان نقيس سلفاً ومراراً عديدة ومن ثم ان نقص ونثبت ما قسناه وضبطناه نهائياً . انما يجب علينا ، اذ نضع هذه المؤسسة او تلك موضع الاختبار

والامتحان ، اذ نلاحظ نشاطها العملي ، اذ نتثبت منها بتجربة الشغيلة الجماعية ، ولا سيما بتجربة نتائج العمل ، انما يجب علينا ان نشيد صرحنا الاقتصادي على الفور ، في مجرى العمل بالذات ، وذلك رغم ما يخوضه المستثمِرون من نضال مستميت ويبدونه من مقاومة ضارية ، اذ انهم يزدادون ضراوة بقدر ما نصبح على وشك ان نقتلع نهائياً آخر اضراس الاستثمار الرأسمالي المنخورة . ومفهوم ان لا يكون في هذه الاحوال اي ظل لسبب يحمل على التشاؤم ، مع ان البرجوازية والسادة المستثمرين المجروحين في خيرة عواطفهم يجدون في هذه الاحوال ، بالطبع ، حججاً ممتازة لشن حملات حاقدة علينا اذا ما اضطررنا احياناً ، وحتى في فترات متقاربة جداً ، الى تعديل نماذج مختلف فروع الاقتصاد الوطني ، وانظمتها الداخلية ، وهيئاتها الادارية ، وتعديلها عدة مرات . ويقيناً ان من يشترك بصورة قريبة جداً ومباشرة جداً في هذا العمل ، واحياناً في تعديل مثلث للانظمة الداخلية والقواعد واللوائح الادارية ، كما هي الحال ، مثلاً ، بالنسبة للادارة المركزية للنقليات المائية ، يعرف طبعاً لحظات لا تدعو الى المزح والضحك ابداً ؛ وهذا النوع من الاعمال لا يمكن له ان يبعث في النفس كثيراً من الرضى والارتياح . ولكننا اذا صرفنا انفسنا قليلاً عن الازعاجات التي تتأتى مباشرة من تعديل المراسيم بتواتر بالغ ، واذا القينا نظرة اعمق وابعد قليلاً ورأينا الى العمل العملاق العالمي التاريخي الشأن ، الذي يجب على البروليتاريا الروسية ان تقوم به بقواها التي لا تزال حتى الآن غير كافية ، ادركنا فوراً ان اجراء التعديلات ، وحتى بتواتر اكثر بكثير ، والتثبت بالتجربة من مختلف النظم الادارية ، من مختلف القواعد الهادفة الى نشر الطاعة ، لا غنى عنهما ، واننا في مهمة بمثل هذا الجلال لا نستطيع ابداً ان ندعي ، وما من اشتراكي عاقل بحث في آفاق المستقبل لم يعتقد يوماً ، بان في مقدورنا ، وفقاً لمخطط

مزعوم موضوع سلفاً ، ان نرسم دفعة واحدة ونقر دفعة واحـــدة اشكال المجتمع الجديد التنظيمية .

فكل ما كنا نعرفه ، كل ما اوضحه لنا بدقة خيرة عارفي المجتمع الرأسمالي ، اقوى المفكرين الذين استشفوا تطوره ، هو ان هذا التحويل يجب ان يتم حتماً بموجب قوانين التاريخ ، حسب خط كبير ما ، هو ان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج قد حكم عليها التاريخ بالزوال ، وانها ستزول ، وانه ستصادر حتماً املاك المستثمِرين . وقد أُثبت هذا بدقة علمية . ونحن كنا نعرفه حين اخذنا في ايدينا راية الاشتراكية ، وحين اعلنّا عن انفسنا اننا اشتراكيون ، واسسنا احزاباً اشتراكية ، وشرعنا بتحويل المجتمع . كنا نعرفه حين أخذنا السلطة لكي نقوم بالتحويل الاشتراكي ولكنه لم يكن في مقدورنا ان نعرف لا اشكال هذا التحويل ، ولا سرعة تطور التحويل المعني . ان التجربة الجماعية ، ان تجربة الملايين من الناس هي وحدها التي تستطيع ان تعطي التوجيهات الحاسمة بهذا الصدد ، وذلك للسبب التالي على وجه الضبط وهو انه ، من اجل قضيتنا ، من اجل قضية بناء الاشتراكية ، لا تكفي على وجه التدقيق تجربة المئـــات ، ولا مئات الآلاف من ممثلي هذه الفئات العليا التي صنعت التاريخ حتى الآن ، سواء في مجتمع الملاكين العقاريين ام في المجتمع الرأسمالي . ونحن لا نستطيع العمل بهذه الطريقة لأننا نعتمد بالضبط على التجربة المشتركة ، على تجربة ملايين الشغيلة .

ولهذا ، نحن نعرف ان قضية التنظيم التي تشكـــل مهمـــة السوفييتات الرئيسية والاساسية والجوهرية ، ستحمـــل لنا حتماً كثرة من التجارب والخطوات والتعديلات ، والمصاعب ، ولا سيما فيما يتعلق بطريقة وضع كل انسان في مكانه ، لأننا لا نملك اي تجربة في هذا الميدان ؛ ففي هذا الميدان ، يجب علينا ان نضع كلاً مـــن التدابير بانفسنا ، وكلما ازدادت فداحة الاخطاء التي نرتكبها في هذا

السبيل ، تعاظمت ثقتنا في ان عدد اولئك الذين يتعين عليهم ان يحققوا الامور ويحركوها في الطريق القويم سيزداد لدى كل زيادة جديدة في عدد اعضاء النقابات ، لدى كل الف جديد ، كل مئة الف جديدة من اولئك الذين ينتقلون من معسكر الشغيلة ، المستثمَرين ، حيث كانوا لا يزالون يعيشون حتى الآن حسب التقاليد والعادات ، الى معسكر بناة المنظمات السوفييتية .

خذوا مهمة ثانوية غالباً جداً ما يصطدم بها مجلس الاقتصاد الوطني – المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني : مهمة استخدام الاختصاصيين البرجوازيين . نحن نعرف جميعاً ، وعلى الاقل اولئك الذين منا يعتمدون على العلم والاشتراكية ، انه لا يمكن تحقيق هذه المهمة الا اذا طورت الرأسمالية العالمية وبمقدار ما طورت المقدمات المادية والتكنيكية لعمل يجري على نطاق هائل جداً ويرتكز على معطيات العلم ، وبالتالي على تكوين عدد عديد جداً من الاختصاصيين من ذوي التحصيل العلمي . ونحن نعرف انه يستحيل بناء الاشتراكية دون هذا . واذا ما اعدنا قراءة مؤلفات الاشتراكيين الذين راقبوا تطور الرأسمالية في السنوات الخمسين الاخيرة وخلصوا المرة تلو المرة الى الاستنتاج بان الاشتراكية آتية حتماً ، لرأينا انهم اشاروا ، كلهم بلا استثناء ، الى ان الاشتراكية وحدها هي التي ستحرر العلم من قيوده البرجوازية ، من عبوديته للرأسمال ، من استخذائه امام مصالح الجشع الرأسمالي القذر . ان الاشتراكية وحدها هي التي ستتيح نشر الانتاج الاجتماعي على نطاق واسع ، كما ستتيح فعلاً اخضاع الانتاج الاجتماعي وتوزيع المنتجات وفقاً لاعتبارات علمية تهدف الى تأمين أسهل حياة لجميع الشغيلة ، وتوفر لهم امكانية الرفاه . والاشتراكية وحدها هي التي تستطيع ان تحقق هذا . ونحن نعرف انه لا بدّ لها ان تحققه ، وفي ادراك هذه الحقيقة تكمن كل صعوبة الماركسية وكل قوتها .

ينبغي لنا ان نحقق هذا بالاعتماد على العناصر المعادية للاشتراكية ، لانه كلما تنامى الرأسمال ، شدد من نير البرجوازية ومن سحق العمال . وحين اصبحت السلطة في ايدي البروليتاريا والفلاحين الفقراء ، حين تبتغي هذه السلطة مهمات تحظى بتأييد هذه الجماهير ، يتعين علينا ان نحقق هذه التحويلات الاشتراكية بمساعدة الاختصاصيين البرجوازيين ، بمساعدة هؤلاء الاختصاصيين الذين تربوا في المجتمع البرجوازي ، ولم يعرفوا وسطاً غيره ، ولا يمكنهم ان يتصوروا وسطاً اجتماعياً غيره ؛ ولذا ، حتى حين يكون هؤلاء القوم صادقين ومخلصين كلياً لمهمتهم ، حتى في هذه الحالة ، نجدهم مفعمين بآلاف من الاوهام البرجوازية ، مرتبطين بآلاف الخيوط التي لا يلحظونها بالمجتمع البرجوازي الذي يحتضر ويتفسخ والذي ، لهذا السبب ، يبدي مقاومة ضارية .

ونحن لا يسعنا ان نخفي عن انفسنا هذه المصاعب التي تعترض تحقيق مهمتنا . وحين استشهد بجميع الاشتراكيين الذين كتبوا حول هذا الموضوع ، لا استطيع ان اتذكر اي مؤلف او اي رأي لاشتراكيين بارزين حول المجتمع الاشتراكي المقبل يشير الى الصعوبة العملية الملموسة التي ستواجهها الطبقة العاملة المتسلمة زمام السلطة ، حين تعتزم تحويل هذا التراث الهائل من الثقافة والمعارف والتكنيك ، الذي كدسته الرأسمالية والذي هو ضروري ومحتم لنا تاريخياً ، تحويل كل هذا من اداة للرأسمالية الى اداة للاشتراكية . ان هذه المهمة لسهلة اذا ما اهتدينا بصيغة عامة ، بمعارضة مجردة ؛ ولكنها مهمة في اقصى الصعوبة في غمرة النضال ضد الرأسمالية التي لا تموت من ضربة واحدة والتي تبدي بالاحرى مقاومة تشتد ضراوة بقدر ما يقترب موتها . واذا كنا نلجأ في هذا الميدان الى التجارب ، واذا كنا نصلح الاخطاء الجزئية مراراً وتكراراً ، فان هذا السلوك امر لا مندوحة عنه حين لا نفلح دفعة

واحدة ، في هذا الميدان او ذاك من ميادين الاقتصاد الوطني ، في تحويل الاختصاصيين من خدم للرأسمالية الى خدم ، الى مستشارين للجماهير الكادحة . واذا كنا لا نفلح في هذه المهمة دفعة واحدة ، فلا يمكن لهذا الامر ان يبعث في نفوسنا اي شعور بالتشاؤم ، لأن المهمة التي نتوخاها لعلى مكان عالمي تاريخي من الصعوبة والاهمية . ونحن لا نغمض عيوننا على واقع انه يستحيل علينا وحدنـــا ، يستحيل على بلد واحد ان يحقق الثورة الاشتراكية كليــاً بقواه الخاصة ، حتى وان كان هذا البلد اقل تأخراً بكثير مما هي عليه روسيا ، حتى وان كنا نعيش في ظروف ايسر مما هي عليه بعد اربع سنوات من حرب لا سابق لها ، من حرب مؤلمة ، مضنية ، مدمرة . وكل من ينصرف عن الثورة الاشتراكية الجارية في روسيا بحجة انه من الجلي ان القوى غير مناسبة للمهمة ، يشبه انسانـــاً جامداً معلباً ، لا يرى ابعد من طرف انفه ، ونسي انه ليس ثمة اي انقلاب تاريخي كبير الى حد ما خلا من جملة حالات من عدم مناسبة القوى . فالقوى تتعاظم في معمعان النضال بالذات ، بقدر ما تتطور الثورة . وحين يسير بلد ما في طريق التحويلات الجليلة ، فان مأثرة هذا البلد وحزب الطبقة العاملة التي انتصرت فيه ، انما هي اننا اقتربنا عن كثب وعملياً من المهمات التي كانت توضع حتى ذاك بصورة مجردة ، نظرية . ان هذه التجربة لن تنسى . ان هذه التجربة ، تجربة العمال الذين نراهم في الوقت الحاضر متجمعين في النقابات وفي المنظمات المحلية والذين ينكبون عملياً على تنظيم مجمل الانتاج على النطاق الوطني ، ان هذه التجربة لا يمكن محوها ، مهما حدث ، مهما كانت مضنية تقلبات احوال الثورة الروسية والثورة الاشتراكية العالمية . فقد دخلت في التاريخ مكسباً من مكاسب الاشتراكية ، وعلى هذه التجربة ستبني الثورة العالمية المقبلة صرحها الاشتراكي .

واني اسمح لنفسي بان اشير الى مهمة اخرى ، قد تكون اصعب

المهام ، ويعود الى المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني امر حلها عملياً . هذه المهمة هي مهمة طاعة العمل . ونحن ، اذ نتناول هذه المهمة ، يجب علينا ، والحق يقال ، ان نعترف ونشير بارتيـــــاح الى ان النقابات بالذات ، مع اهم منظماتها (اللجنة المركزية لنقابة عمال التعدين ، مجلس النقابات في عامة روسيا) ، ان اكبر النقابات التي تضم ملايين الشغيلة هي التي بادرت وانكبت على تنفيذ هذه المهمة. والحال ان هذه المهمة هي مهمة عالمية تاريخية . ولفهمها يجب ان نصرف النظر عن بعض الاخفاقات الصغيرة ، عن المصاعب التي لا تصدق والتي تبدو مستعصية لا يمكن تذليلها اذا ما رأينا اليها على حدة . يجب ان نرى الى الامور من عل ونرى الى تعاقب نماذج الاقتصاد الاجتماعي في التاريخ . فان وجهة النظر هذه وحدها هي التي تبين بوضوح جلال المهمة التي أخذناها على عاتقنا ، والاهمية الهائلـــة للواقع التالي ، وهو ان الممثل الارقى للمجتمع ، بشخص الجماهير الكادحة والمستثمَرة ، هو الذي يأخذ هذه المرة على عاتقـــه ، وبمبادرة منه ، مهمة كانت حتى ذاك حفنة من الملاكين العقاريين ، في روسيا القنانة ما قبل ١٨٦١ (٢٧) تحلها كليـــاً وحدها وتعتبرها امتيازاً لها ، ساعية الى تأمين الصلة والطاعـــة على نطاق البلاد بأسرها .

ونحن نعرف كيف كان الملاكون العقاريون المتمسكون بنظام القنانة يكونون هذه الطاعة : بالاضطهاد والاهانة ، بنظام شاق يفرض على اغلبية الشعب آلاماً لم يسمع بمثلها من قبل . تذكروا كل هذا الانتقـــال من القنانـــة الى الاقتصاد البرجوازي . ان ما لاحظتموه ، مع انه لم تتوافر لمعظمكم امكانية ملاحظته ، وما عرفتم من اجيال اكثر قدماً ، هو ان هذا الانتقال بعد ١٨٦١ الى الاقتصاد البرجوازي الجديد ، هذا الانتقال من الطاعة الاقطاعية القديمة ، طاعة العصا والدبوس ، طاعة اشد الاهانة والعنف جنوناً ووقاحة وفظاظة

بحق الانسان الى الطاعة البرجوازية ، طاعة الجوع ، طاعة ما يسمى حرية الاستئجار ، الطاعة التي كانت في الواقع طاعة العبودية الرأسمالية ، هذا الانتقال بدا ، تاريخياً ، سهلاً ، ذلك لأن الانسانية قد انتقلت من مستثمِر الى مستثمِر آخر ، لأن اقلية من الضواري ومن مستثمِري عمل الشعب اخلت المكان لاقلية اخرى من ضوار آخرين ومستثمرين آخرين لعمل الشعب ، لأن الملاكين العقاريين اخلوا هذا المكان للرأسماليين ، فعقبت اقلية اخرى ، وظلت الجماهير الغفيرة من الطبقات الكادحة والمستثمَرة مرهقة ، مسحوقة . وحتى هذه العملية ، اي حلول طاعة مستثمِرين محل طاعة مستثمِرين آخرين ، كلفت سنوات من الجهود ، ان لم تكن عشرات السنين ؛ فقد تطلبت سنوات ، ان لم تكن عشرات السنين ، من عهد انتقالي كان فيه الملاكون العقاريون القدامى ، المتمسكون بنظام القنانة ، يعتقدون حقاً وصدقاً ان كل شيء بسبيل الهلاك ، وانه يستحيل ادارة الاقتصاد دون نظام القنانة ، عهد كان فيه رب العمل الرأسمالي الجديد يصطدم بمصاعب عملية لدى كل خطوة وينفض يده من استثمارته ، عهد كانت فيه العلامة المادية ، اي احد الادلة الملموسة على مصاعب هذا الانتقال ، واقع ان روسيا كانت تستورد حينذاك الآلات من الخارج ، بغية استخدام خيرة الآلات ، ولم يكن في روسيا اي عامل ولا اي قائد يعرف كيف يستخدمها . وكان في مستطاع المرء ان يرى في جميع انحاء روسيا خيرة الآلات واقفة لا تعمل ، لشدة صعوبة الانتقال من الطاعة القديمة ، طاعة القنانة ، الى الطاعة الجديدة ، الرأسمالية ، البرجوازية .

واذا رأيتم الى الامور على هذا النحو ، ايها الرفاق ، فانكم لن تؤخذوا بتضليل هؤلاء الناس ، هذه الطبقات ، هذه البرجوازية ، هؤلاء الاذناب للبرجوازية الذين تنحصر مهمتهم كلها في زرع الذعر ،

وبذر بذور الكآبة ، وغرس خمود الهمة كلياً في العمل كله ، واظهار هذا العمل عملاً لا امل فيه ، والذين يشيرون الى كل حالة خاصة من التفسخ وانعدام الطاعة ويتحدثون عن فشل الثورة ، كأنما قامت في العالم يوماً ، كأنما قامت في التاريخ يوماً ثورة واحدة كبيرة حقاً دون تفسخ ، دون انتهاك للطاعة ، دون تجارب مضنية لا بدّ من المرور بها حين تصوغ الجماهير طاعة جديدة . وينبغي لنا ان لا ننسى اننا نواجه للمرة الاولى مرحلة تمهيدية من التاريخ ، يصوغ فيها فعلاً ملايين الشغيلة والمستثمَرين طاعة جديدة ، طاعة في العمل ، طاعة رفاقية ، طاعة سوفييتية . واننا لا نطمح الى احراز نجاحات سريعة في هذا الميدان ، ولا نأمل بذلك ؛ فاننا نعرف ان هذا المسعى سيتطلب عهداً تاريخياً كاملاً . والعهد التاريخي الذي دشناه ، هو عهد نهدم فيه طاعة المجتمع الرأسمالي ، في بلد لا يزال برجوازياً ، نهدمها ونفتخر بان نرى جميع العمال الواعين وجميع الفلاحين الكادحين بلا استثناء يسهمون بجميع الوسائل في عملية الهدم هذه ، ونرى فيه الجماهير تدرك بكل حرية ، وبدافع من مبادرتها الذاتية ، انه يجب عليها ، لا بموجب أمر صادر من عل ، بل بموجب تجربتها الحياتية ، ان تستعيض عن هذه الطاعة القائمة على استثمار الشغيلة واستعبادهم ، بطاعة جديدة ، بطاعة العمل المشترك ، طاعة العمال والفلاحين الشغيلة المنظمين والموحدين في عموم روسيا ، في بلد يبلغ تعداد سكانه عشرات الملايين ومئات الملايين . وهذه المهمة عسيرة في منتهى العسر ، ولكنها بالمقابل مهمة مشكورة لاننا حين ننفذها عملياً ، حينذاك فقط ، نكون قد دققنا المسمار الاخير في نعش المجتمع الرأسمالي الذي ندفن . (**تصفيق .**)

صدر الخطاب بنصه الكامل في ١٩١٨ في كتاب «اعمال المؤتمر الاول لمجالس الاقتصاد الوطني لعامة روسيا . التقرير الاختزالي» ، موسكو

المجلد ٣٦ ، ص ص ٣٧٧-٣٨٦

كلمات نبوئية

الحمد لله على اننا لم نعد نؤمن بالعجائب ! فما النبوءات العجائبية سوى ضرب من الحكايات . ولكن النبوءات العلمية هي أمر واقع . واليوم ، والكآبة المخزية ، بل اليأس ، من الأمور الشائعة في كل مكان ، نرى من المفيد ان نذكر بنبوءة علمية ثبتت صحتها .

لقد اتفق لفريدريك انجلس ان كتب ، في عام ١٨٨٧ ، حول الحرب العالمية القادمة ، في مقدمة كرّاس سيغيسموند بوركهايم : «لذكرى الوطنيين المتطرفين الألمان في ١٨٠٦ – ١٨٠٧» ("Zur Erinnerung für die deutschen Mordspatrioten 1806-1807".) (وهذا الكراس يشكل الجزء الرابع والعشرين من «المكتبة الاشتراكية-الديموقراطية» الصادرة في غوتينغن – زوريخ في ١٨٨٨) .

اليكم كيف رأى فريدريك انجلس ، منذ أكثر من ثلاثين سنة ، الى الحرب العالمية القادمة :

«... والآن ، لم يبق امام بروسيا – ألمانيا من حرب ممكنة غير حرب عالمية ، وبالحقيقة ، حرب عالمية ذات مدى وعنف لا سابق لهما . فان ٨ ملايين جندي او ١٠ سيتذابحون ؛ واذ ذاك يلتهمون كل اوروبا ويمسحونها كما لم تفعل قط سحابة من جراد . تدميرات حرب الثلاثين سنة (٢٨) ، مكدسة في ٣ سنوات او ٤ ،

وموزعة في كل القارة ؛ المجاعة ، الاوبئة ، الهمجية التي تعم الجيوش وكذلك الجماهير الشعبية من جراء ضراوة العوز ؛ تشوش جهازنا الاصطناعي للتجارة والصناعة والتسليف تشوشاً لا مناص منه ؛ وكل ذلك ينتهي بالافلاس العام ؛ انهيار الدول القديمة وحكمتها السياسية الروتينية ، الى حد ان التيجان تتدحرج بالعشرات فوق التراب ولا تجد من يلمها ؛ استحالة القول سلفاً استحالة مطلقة كيف ينتهي كل ذلك ولمن تكون الغلبة في هذا الصراع ؛ بيد ان ثمة نتيجة واحدة أكيدة اطلاقاً : استنزاف القوى عند الجميع ، وتوافر الظروف الضرورية لانتصار الطبقة العاملة النهائي .

ذلك هو الافق اذا ما آتى اخيراً أكله نظام المزاحمة في ميدان التسلح ، حين يبلغ حدوده القصوى . انظروا ، ايها السادة الملوك ورجال الدول ، الى اين قادت حكمتكم اوروبا القديمة . واذا لم يبق لديكم ما تفعلونه غير البدء بالرقصة الحربية الكبيرة الأخيرة ، فاننا لن نتكدر (uns kann es recht sein) . قد تقذفنا الحرب موقتاً الى المؤخرة ، وقد تنتزع منا عدة مواقع استولينا عليها . ولكن ، اذا أطلقتم قوى لا يبقى بوسعكم بعد ذلك ان تلجموها ، فانكم لن تكونوا ، عند نهاية المأساة ، واياً كان مجرى الأمور ، سوى ركام من الدمار ، ويكون انتصار البروليتاريا امراً واقعاً ، او على الاقل (doch) امراً محتوماً .

لندن ، ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٧ .

فريدريك انجلس» .

فيا لها من نبوءة عبقرية ! واي غنى طائل من التفكير في كل جملة من جمل هذا التحليل الطبقي العلمي ، الموجز ، الواضح ، الدقيق ! ولكم يستطيع ان يستمد منها اولئك الذين يستسلمون الآن للشك المخزي ، للكآبة ، لليأس ، لو . . . لو ان الناس الذين

اعتادوا الزحف على البطون امام البرجوازية او الذين استسلمـــوا للخوف ، كانوا يعرفون التفكير ، كانوا قادرين على التفكير !

ان بعض نبوءات انجلس قد تحققت على نحو آخر : اذ كان لا بدّ ان يتغير العالم والرأسمالية ، في مدى ثلاثين سنة من التطور الامبريالي العاصف السريع . ولكن أشد ما يدعو الى الدهشة ، هو ان الكثير من الأمور التي تنبأ بها انجلس تتم «كما لو انها رُتّبَتْ سلفاً» . وذلك لأن انجلس اعطى تحليلاً طبقياً صحيحاً لا يمكن الطعن به ابداً ؛ والحال ، ان الطبقات وعلاقاتها لم تتغير .

«. . . قد تقذفنا الحرب موقتاً الى المؤخرة . . .» لقد سارت الأمور على هذا النحو بالضبط ، بل سارت أبعد من ذلك وأسوأ من ذلك : فان قسمـــاً من الاشتراكيين-الشوفينيين «المقـــذوفين الى المؤخرة» ومن «انصاف أخصامهم» فاقدي الرجولـــة ، الكاوتسكيين (٢٩) ، قد أخذوا يطرون حركتهم التأخرية وغدوا خونـــة اخسّاء سافرين للاشتراكية .

«. . . قد تنتزع الحرب منا عدة مواقع استولينا عليها . . .» ان جملة من المواقع «الشرعية» قد انتزعت من الطبقة العاملة . غير ان المحن ، بالمقابل ، قد شدّت من ساعدها ومن تمرسها ، وهي تتلقى دروساً قاسية ، ولكنها مفيدة ، دروساً في التنظيم السرّي ، غير الشرعي ، في النضال السرّي ، في تحضير قواها للهجوم الثوري .

«. . . ان التيجان تتدحرج بالعشرات . . .» لقد تدحرجت عدة تيجان ، منها تاج يساوي عشرة تيجان اخرى ، هو تاج الحاكم المطلق لعموم روسيا ، نيقولاي رومانوف .

«. . . استحالة القول سلفاً استحالة مطلقة كيف ينتهي كل ذلك . . .» بعد أربع سنوات من الحرب ، تبدو هذه الاستحالـــة المطلقة أشد اطلاقاً ايضاً ، اذا جاز التعبير على هذا النحو .

«... تشوش جهازنا الاصطناعي للتجارة والصناعة والتسليف تشوشاً لا مناص منه ...» في نهاية السنة الرابعة من الحرب ، شعرت روسيا بذلك كل الشعور ، وهي دولة من أكبر الدول وأكثرها تأخراً بين الدول التي جرّها الرأسماليون الى الحرب . ولكن ، ألا تبيّن المجاعة المتفاقمة في المانيا والنمسا ، والنقص في الألبسة والمواد الاولية ، وتلف وسائل الانتاج ، أن مثل هذه الحالة تداهم بسرعة بالغة البلدان الاخرى ايضاً ؟

ان انجلس لا يبيّن سوى عواقب حرب «خارجية» ؛ فهو لا يتحدث عن الحرب الداخلية ، اي عن الحرب الاهلية ، التي لم تستغن عنها اية ثورة كبيرة في التاريخ ، والتي لم يتصور اي ماركسي جدي الانتقال بدونها من الرأسمالية الى الاشتراكية . واذا امتدت الحرب الخارجية فترة من الزمن ، ، دون ان تسبب هذا «التشوش الذي لا مناص منه» في «جهاز» الرأسمالية «الاصطناعي» ، كان من البديهي ان تغدو الحرب الأهلية امراً لا يمكن تصوره ابداً دون مثل هذه العواقب .

اية غباوة ، اي فقدان للرجولة – هذا لكي لا نقول بالخدمة المغرضة ازاء البرجوازية – يبدي اولئك الذين ما يزالون يقولون عن أنفسهم انهم «اشتراكيون» ، أمثال أصحابنا في «نوفايا جيزن» ، والمناشفة ، والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين ، وغيرهم ، والذين يشيرون بحقد الى ظاهرات هذا «التشوش الذي لا مناص منه» ويلقون مسؤوليته على البروليتاريا الثورية ، والسلطة السوفييتية و«طوبوية» الانتقال الى الاشتراكية . ان الحرب هي التي سببت هذا «التشوش» والخراب ، حسب التعبير الروسي البديع . ولا يمكن ان تكون ثمة حرب صعبة دون خراب ودمار . والحرب الأهلية ، التي هي شرط ضروري وملازمة للثورة الاشتراكية ، لا يمكن ان تقع دون حدوث خراب . فاذا نبذ المرء

الثورة والاشتراكية ، «بسبب» الخراب ، فانه يكشف فقط انه عديم المبادئ ، وينتقل بالفعل الى صفوف البرجوازية .

«. . . المجاعة ، الأوبئة ، الهمجية التي تعمّ الجيوش وكذلك الجماهير الشعبية من جراء ضراوة العوز . . .»

فبأية بساطة واي وضوح يستخلص انجلس هذا الاستنتاج الذي لا جدال فيه ، البدهي بنظر كل من كان قادراً بعض الشيء على التفكير بالعواقب الموضوعية الناجمة عن حرب مزمنة ، مضنية ، مؤلمة ! ولكن اية غباوة مدهشة يبدي هؤلاء «الاشتراكيون-الديموقراطيون» و«الاشتراكيون»-الأردياء العديدون ، الذين لا يريدون او لا يعرفون ان يتعمّقوا في هذه الفكرة البسيطة الاولية .

هل يمكن تصور حرب طويلة الأمد دون ان تنحط الجيوش والجماهير الشعبية الى حالة **الهمجية** ؟ كلا ، بكل تأكيد . ان هذه العاقبة ، عاقبة حرب طويلة الامد ، أمر محتم اطلاقاً ، يدوم عدة سنين ، ان لم يدم جيلاً كاملاً . والحال ان «رجالنا المعلبين» (٣٠) ، والمثقفين البرجوازيين البكائين المذعورين ، الذين يسمّون أنفسهم «اشتراكيين-ديموقراطيين» و«اشتراكيين» يرددون اصوات البرجوازية ، وينسبون الى الثورة ظاهرات الهمجية او الصرامة التي تلازم حتماً وسائل النضال ضد حالات الهمجية الصارخة الشديدة ، — رغم انه من الواضح وضوح النهار ان هذه الهمجية ناجمة عن الحرب الامبريالية وانه ما من ثورة تستطيع التخلص من عواقب الحرب **هذه** دون نضال طويل ودون تدابير قمع قاسية .

وانهم لمستعدون ان يقبلوا «نظرياً» ثورة البروليتاريا وسائر الطبقات المضطهَدة ، هؤلاء أصحابنا الكتاب المعسولون في «نوفايا جيزن» ، او «فبريود» ، او «ديلو نارودا» ، شرط ان تهبط علينا هذه الثورة من السماء بدلاً من ان تولد وتترعرع على الارض المغمورة بدماء الشعوب من جراء المجزرة الامبريالية التي تستمر

منذ أربع سنوات ، وبدلا من ان تولد وتترعرع في خضم الملايين والملايين من الناس الذين أنهكتهم هذه المجزرة ، واستنزفت قواهم ، ودفعتهم الى أحضان الهمجية .

لقد سمعوا وقبلوا «نظرياً» انه تجدر مقارنة الثورة بالولادة ؛ ولكن ، حين آن أوان العمل ، تهربوا بخزي وشنار ، ولم يكن عويل نفوسهم الصغيرة الخسيسة سوى صدى للهجمات الحاقدة التي شنتها البرجوازية على ثورة البروليتاريا . لنأخذ أوصاف عمليات الولادة التي يقدّمها لنا الأدب ، تلك التي كتبها مؤلفون راغبون في ان يرسموا حقاً وصدقاً كل جهد هذه العملية ، كل آلامها ، كل فظاعتها ، كما في كتاب"La joie de vivre" («فرح الحياة») لأميل زولا او في «مذكرات طبيب» لفيريسايف . ان ولادة الانسان يلازمها عمل يجعل من المرأة كتلة من لحم تتألم ، وتتوجع ، كتلة مدمّاة ، ينهشها الألم ، نصف ميتة . ولكن ترى هل يوجد من يوافق على اطلاق صفة الانسان على «الفرد» الذي لا يرى **إلاّ** هذا في الحب ، في نتائجه ، في تحول المرأة الى ام ؟ وهل ثمة احد يعدل ، **لهذا** السبب ، عن الحب وعن انجاب الأطفال ؟

ثمة ولادات سهلة وولادات صعبة . فان ماركس وانجلس ، مؤسسي الاشتراكية العلمية ، قد تحدثا دائماً عن **الآلام الطويلة** التي تلازم **الولادة** ، والتي ترتبط بالضرورة بالانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ولقد حلّل انجلس عواقب حرب عالمية ، ووصف بتعابير بسيطة جلية هذا الواقع الذي لا يقبل الجدل ، هذا الواقع البديهي ، وهو ان الثورة التي تعقب حرباً ، وترتبط بحرب (وقد نقول ، من جانبنا : ولا سيما التي اشتعلت نيرانها خلال حرب ، واضطرت الى النمو والبقاء ، مطوّقة بحرب عالمية) ، — ان ثورة كهذه هي ولادة **في غاية الصعوبة** .

وان انجلس ليدرك هذا الواقع بوضوح ، فيتحدث بأعظم

الحذر عن الاشتراكية التي يلدها المجتمع الرأسمالي المحتضر في الحرب العالمية . فقد قال : «ثمة نتيجة واحدة (للحرب العالمية) أكيدة اطلاقاً : استنزاف القوى عند الجميع **وتوافر** الظروف الضرورية لانتصار الطبقة العاملة النهائي» .

وهذه الفكرة واردة بمزيد من الوضوح ايضاً في الأسطر الأخيرة من المقدّمة التي نحللها :

«. . . انكم لن تكونوا ، عند نهاية المأساة ، (ايها الرأسماليون والملاكون العقاريون والملوك ورجال الدولة من البرجوازية) سوى ركام من الدمار ، ويكون انتصار البروليتاريا امراً واقعاً ، او على الأقل ، امراً محتوماً» .

ان الولادات المضنية تزيد مرات عديدة خطر حدوث مرض قتال او خطر وفاة مشؤومة . ولكن اذا كان بعض الافراد يموتون حين الولادة ، فان المجتمع الجديد الذي يلده النظام القديم لا يمكن ان يموت ؛ انما تكون ولادته اشد ألماً وأطول ، ويكون نموه وتطوره ابطأ .

ان الحرب لمّا تنته . واستنزاف قوى الجميع امر واقع . ونتيجتا الحرب **المباشرتان** اللتان تنبأ بهما انجلس وعلقهما على بعض الشروط (اما انتصار الطبقة العاملة الثابت ، واما توافر الظروف التي تجعل هذا الانتصار امراً محتماً ، **رغم جميع المصاعب**) ، ان هذين الشرطين **الاثنين** قد توافرا الآن ، في منتصف عام ١٩١٨ .

ان انتصار الطبقة العاملة غدا **امراً واقعاً** في بلد ، هو أقل البلدان الرأسمالية تطوراً . اما في البلدان الاخرى ، فبجهد لم يسمع بمثله من قبل وبآلام لا سابق لها ، تتوافر الظروف التي تجعل هذا الانتصار «امراً محتوماً ، على الأقل» .

فلينعق غربان «الاشتراكية» البكاؤون المذعورون ؛ ولتتخبط البرجوازية فريسة لحقدها وكلبها . ان الذين يغمضون عيونهم

لكي لا يروا ويصمّون آذانهم لكي لا يسمعوا ، هم وحدهـــم الذين يستطيعون الا" يلاحظوا ان آلام الولادة قد بدأت في العالم بأسره ، آلام ولادة المجتمع الرأسمالي القديم ، الحامـــل بالاشتراكيـــة . وبلادنا ، التي وضعتها الحوادث موقتاً في طليعة الثورة الاشتراكية ، انما ينبغي لها ان تتحمل ، الآن ، الآلام الشديدة القاسية ، آلام الطور الاول من الولادة الجارية . ولدينا جميع الأسباب التي تدفعنا لكي نرى الى المستقبل بثبات كلّي وثقة مطلقة ، لأنه يهيئ لنا حلفاء جدداً ، وانتصارات جديدة تحرزها الثورة الاشتراكية في عدد من البلدان الأكثر تقدماً . ويحق لنا ان نكون فخورين وسعداء لأننا اول من أطاح ، في نقطة من الكرة الارضية ، بهذا الوحش المفترس ، بالرأسمالية التي اغرقت الارض في بحر من الدماء ، وقذفت بالانسانية الى أحضان المجاعة والهمجية ، بالرأسمالية التي ستهلك مع ذلك حتماً وقريباً ، مهما بلغت سورة احتضارها من فظاعة ووحشية .

٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٨

«البرافدا» ، العدد ١٣٣ ، ٢ تمـــوز (يوليو) ١٩١٨

المجلد ٣٦ ، ص‌ص ٤٧٢–٤٧٨

خطاب في الاجتماع الموحد للجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا وسوفييت موسكو ولجان المصانع والمعامل والنقابات في موسكو ٢٩ تموز (يوليو) ١٩١٨

(تصفيق يتحول الى هتاف .) ايها الرفاق ، تأتى لنا اكثر من مرة ان نبين سواء في الصحافة الحزبية أم في الدوائر السوفييتية ام في التحريض امام الجماهير ، ان الوقت قبل الغلة الجديدة هو اصعب الاوقات واحرجها واشدها وطأة بالنسبة للثورة الاشتراكية التي بدأت في روسيا . فالآن ، كما اعتقد ، ينبغي لنا ان نقول اننا بلغنا ذروة هذا الوضع الحرج . وقد جرى ذلك بحكم ان انصار العالم الامبريالي ، البلدان الامبريالية ، من جهة ، وانصار الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ، من جهة اخرى ، قد تحددوا الآن كلياً ونهائياً . قبل كل شيء ، يجب القول ان وضع الجمهورية السوفييتية لم يتحدد نهائياً في المجال الحربي الا الآن . فالى الانتفاضة التشيكوسلوفاكية (٣١) رأى كثيرون في البدء كما يرون الى حدث من احداث الفتن المعادية للثورة . ونحن لم نقدر كفاية معلومات الجرائد عن اشتراك الرأسمال الانجلو-فرنسي ، عن اشتراك الامبرياليين الانجلو-فرنسيين في هذه الانتفاضة . اما الآن ، فيجب ان نتذكر كيف تطورت الاحداث في مورمانسك ، وبين القوات السيبيرية ، وفي كوبان ، وكيف حاول الانجلو-فرنسيون ، بالتحالف

مع التشيكوسلوفاكيين ، وبمساهمة مباشرة من البرجوازية البريطانية ، ان يطيحوا بالسوفييتات (٣٢) . ان جميع هذه الوقائع تبين الآن ان الحركة التشيكوسلوفاكية كانت واحدة من الحلقات المعدة من زمان لأجل خنق روسيا السوفييتية بسياسة الامبرياليين الانجلو-فرنسيين الدائبة ، لأجل جر روسيا من جديد الى طوق الحروب الامبريالية . وهذه الازمة انما ينبغي ان تحلها الآن الجماهير الواسعة في روسيا السوفييتية ، لأنها انتصبت امامنا الآن كنضال في سبيل صيانة الجمهورية الاشتراكية السوفييتية ، لا من حركة التشيكوسلوفاكيين وحسب ، بوصفها تطاولاً على الثورة ، ولا من التطاولات على الثورة على العموم وحسب ، بل ايضاً كنضال ضد زحف العالم الامبريالي كله .

واود لو اذكّر قبل كل شيء بان اشتراك الامبريالية الانجلو-فرنسية في الفتنة التشيكوسلوفاكية قد تكشف من زمان صراحة ومباشرة ؛ واني اذكر بمقال صدر بتاريخ ٢٨ حزيران (يونيو) في «بروكوبنيك سفوبودي» ، جريدة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي المركزية ، واعادت صحفنا نشره :

«في ٧ آذار (مارس) تلقى قسم المجلس الوطني اول دفعة من القنصل الفرنسي وقدرها ٣ ملايين روبل .

وقد سلمت هذه الاموال للمدعو شيب ، معاون قسم المجلس الوطني .

في ٩ آذار دفع لشيب نفسه مليونا روبل آخران ، وفي ٢٥ آذار ، قبض شيب مليوناً وفي ٢٦ آذار قبض معاون رئيس المجلس الوطني السيد بوغوميل تشيرماك مليوناً ، وفي ٣ نيسان (ابريل) قبض السيد شيب من جديد مليوناً .

وهكذا دفع القنصل الفرنسي لقسم المجلس الوطني ٨ ملايين ابتداء من ٧ آذار حتى ٤ نيسان .

ودون اشارة الى التاريخ دفع : للسيد شيب مليون ، للسيد بوغوميل تشيرماك مليون ، للسيد شيب مرة اخرى مليون .

وفضلاً عن ذلك ، دفع لشخص مجهول ١٨٨٠٠٠ روبل . والحاصل ٣١٨٨٠٠٠ . ومع الملايين الـ٨ المشار اليها آنفاً ، يكون المجموع ١١ مليوناً و١٨٨٠٠٠ دفعتها الحكومة الفرنسية لقسم المجلس الوطني .

من القنصل الانجليزي ، قبل القسم ٨٠٠٠٠ جنيه سترليني . وهكذا ، من ٧ آذار حتى يوم بداية الفتنة ، قبض زعماء المجلس التشيكي الوطني من الحكومتين الفرنسية والانجليزية زهاء ١٥ مليوناً ، ومقابل هذه الاموال ، بيع الجيش التشيكوسلوفاكي من الامبرياليين الفرنسيين والانجليز » .

يقيناً ان اغلبيتكم قد قرأت في حينه هذا النبأ في الجرائد ؛ ويقيناً انه لم يخامرنا الشك يوماً في ان الامبرياليين ورجال المال في بريطانيا وفرنسا سيحاولون ان يفعلوا كل ما هو ممكن وغير ممكن لأجل الاطاحة بالسلطة السوفييتية ، لأجل التسبب لها بشتى انواع المصاعب . ولكنها لم تكن بعد آنذاك قد تعاقبت كل سلسلة الاحداث التي تبين اننا نواجه هنا زحفاً على الجمهورية السوفييتية ، زحفاً عسكرياً ومالياً معادياً للثورة ، زحفاً منتظماً ، دائباً ، فكر به من زمان واعده طيلة أشهر جميع ممثلي الامبريالية الانجلو-فرنسية . والآن اذ نأخذ الاحداث بمجملها ونقارن بين الحركة التشيكوسلوفاكية المعادية للثورة والنزول في مورمانسك ، ونعرف ان الانجليز انزلوا هناك اكثر من ١٠ ٠٠٠ جندي ، وانهم ، بحجة الدفاع عن مورمانسك ، شرعوا في الواقع يتقدمون واستولوا على كيم وسوروكي وراحوا شرق سوروكي ، وطفقوا يعدمون قادتنا السوفييتيين رمياً بالرصاص ؛ واذ نقرأ في الجرائد ان آلافاً وآلافاً من عمال السكك الحديدية ومن العمال عموماً في الشمال الاقصى يهربون من هؤلاء المنقذين والمحررين ، اي ، والحق يقال ، من هؤلاء الظالمين الامبرياليين الجدد الذين يمزقون روسيا من طرف

آخر ، – واذ نقارن جميع هذه الوقائع ، تتضح لنا الصلة العامة بين الاحداث . والحال ، جاءت في الآونة الاخيرة تأكيدات جديدة تبين طابع الهجوم الانجلو-فرنسي على روسيا .

ولمجرد الاسباب الجغرافية ، يصبح مفهوماً ان شكل هذا الهجوم من الامبريالية على روسيا لا يمكن ان يكون كما في المانيا . فليست ثمة حدود مشتركة مع روسيا كما مع المانيا . وليس ثمة مثل هذا العدد من القوات . ثم ان ما تتسم به قوة انجلترا العسكرية من طابع استعماري وبحري في الاغلب ، قد اجبر الانجليز من زمان ، في سياق عقود وعقود من السنين ، على الهجوم بطريقة اخرى في فتوحاتهم ، وعلى السعي بصورة رئيسية الى فصل مصادر التموين عن البلد الذي يهاجمونه ، وعلى تفضيل اسلوب الخنق بحجة المساعدة على اسلوب العنف العسكري السافر ، المباشر ، القاسي ، الحاد . وفي الآونة الاخيرة اتضح من الانباء التي نملكها ان الكسييف ، الذي يعرفه الجنود والعمال الروس من زمان والذي استولى في الآونة الاخيرة على دسكرة تيخوريتسكايا ، قد استفاد بكل تأكيد من مساعدة الامبريالية الانجلو-فرنسية . فهناك اتخذت الانتفاضة اشكالاً اوضح ، وذلك ايضاً بكل تأكيد ، لأن الامبريالية الانجلو-فرنسية كان لها يد فيها .

واخيراً ، وصلت امس انباء تفيد ان الامبريالية الانجلو-فرنسية افلحت في باكو في حركة مؤثرة جداً . فقد استطاعوا ان ينالوا في سوفييت باكو الاغلبية ، زهاء ٣٠ صوتاً ، ضد حزبنا ، ضد البلاشفة ، وضد اولئك الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، القليلين جداً مع الأسف ، الذين لم يحذوا حذو الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الموسكوفيين (٣٣) في مغامرتهم الشنيعة وخيانتهم السافلة ، بل بقوا مع السلطة السوفييتية ضد الامبريالية والحرب . وضد هذه النواة في سوفييت باكو ، المخلصة للسلطة

السوفييتية ، والحائزة حتى الآن على الاغلبية ، تفوقت الامبريالية الانجلو-فرنسية هذه المرة بـ٣٠ صوتاً ، بفضل انتقال القسم الاكبر من حزب الطاشناق (٣٤) ، اي من الارمن نصف الاشتراكيين الى جانب الامبريالية الانجلو-فرنسية وضدنا . (**يقرأ برقية** .)

«في ٢٦ تموز (يوليو) ، انسحبت فصيلة اجيكابول ، بناء على أمر من مفوض الشعب كورغانوف ، عن اجيكابول الى مواقع في جوار آليات . وبعد انسحاب فصيلة شيماخا من شيماخا ومارازا ، شن العدو هجوماً في وادي نهر بيرساغات . وفي جوار قرية كوبالا ، جرى اول اصطدام مع الطليعة .

وفي الوقت نفسه ، شرعت فصيلة كبيرة من الخيالة تتقدم نحو محطة بيرساغات من الجنوب ، من جهة كورا . وفي هذا الوضع ، كان الاحتفاظ بمحطة اجيكابول يتطلب توزيع جميع القوات المتوفرة في ثلاثة اتجاهات غرب اجيكابول وشمال وجنوب وادي نافاغي-بيرساغات . ان تمديد الجبهة على هذا النحو كان من شانه ان يحرمنا الاحتياطيات ، وكان من شانه ، في حال عدم وجود الخيالة ، ان يحرمنا امكانية تسديد ضربة الى العدو ، بل كان من شانه ان يضع فريق اجيكابول في وضع حرج في حال شق الجبهة من الشمال او من الجنوب . ومن جراء هذا الوضع ، وكذلك من اجل صيانة قوى العساكر ، صدر امر بانسحاب فصيلة اجيكابول الى مواقع في جوار آليات . جرى الانسحاب بنظام تام . وقد نسفت المنشآت الهامة في السكك ومحطة اجيكابول وكذلك صهاريج الكاز والنفط . وفي داغستان ، ينشط العدو نظراً للهجوم العام . في ٢٤ تموز (يوليو) ، هاجم العدو بتجمعات كبيرة في اربعة اتجاهات . بعد معركة دامت يوماً كاملاً ، استولينا على خنادق العدو ، فتشتت العدو في الغاب ، وحال الليل دون مواصلة تعقبه . في ٢٤ تموز ، ابلغونا من شورا عن معارك مظفرة بالنسبة لنا ؛ ضواحي المدينة هي مسرح العمليات الحربية ؛ الخصم يحارب بعناد ، وبصورة منظمة ؛ ضباط داغستانيون سابقون يقودون قوات العدو ؛ فلاحو داغستان يشتركون بنشاط في العمليات الحربية بجوار شورا .

الاحزاب اليمينية في باكو رفعت رووسها وقامت بتحريض شديد من أجل استدعاء الانجليز . التحريض يلقى مساندة قوية من قيادة الجيش وينتقل الى وحدات الجبهة . التحريض الموالي للانجليز شوش صفوف الجيش . في الآونة الاخيرة ، حظي الاتجاه الانجليزي بنجاح كبير بين الجماهير اليائسة المنهوكة .

بتأثير نشاط الاحزاب اليمينية الاستفزازي الكاذب ، اتخذ الاسطول الحربي في بحر قزوين بعض القرارات المتناقضة بشأن الانجليز . وبسبب من خداع ماجوري الانجليز والعملاء المتطوعين ، آمن الاسطول حتى الاونة الاخيرة ايماناً اعمى بصدق التأييد الانجليزي .

تدل الانباء الاخيرة على تقدم الانجليز في بلاد فارس واستيلائهم على رشت (غيلان) . وفي رشت حارب الانجليز ٤ ايام ضد كوتشوك خان والعصابات الالمانية التركية المنضمة اليه برئاسة المساواتيين الهاربين من باكو . بعد معركة رشت ، طلب الانجليز مساعدتنا ، ولكن مفوضينا في بلاد فارس رفضوا . انتصر الانجليز في رشت . ولكنه لا توجد لديهم قوات او يكاد في بلاد فارس . اتضح ان في انزلي ٥٠ رجلاً فقط منهم . وهم بحاجة الى البنزين ويعرضون علينا مقابله السيارات . وبدون بنزين ، لا يستطيعون ان يتحركوا .

في ٢٥ تموز (يوليو) ، انعقدت جلسة ثانية لسوفييت النواب لبحث مسألة الوضع السياسي والحربي ، وطرحت الاحزاب اليمينية قضية الانجليز . استناداً الى قرار مؤتمر السوفييتات الخامس والى برقية ستالين نيابة عن مجلس مفوضي الشعب المركزي ، قال مفوض القفقاس فوق العادة الرفيق شاوميان بعدم جواز استدعاء الانجليز وطالب بسحب مسألة دعوة الانجليز من جدول البحث . رفض طلب الرفيق شاوميان باغلبية ضئيلة من الاصوات ، وعلى هذا احتج الرفيق شاوميان بوصفه ممثل السلطة المركزية احتجاجاً شديداً . استمع الى تقرير المندوبين الذين زاروا الجبهة . باغلبية ٢٥٩ صوتاً للاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والطاشناق اليمينيين والمناشفة مقابل ٢٣٦ صوتاً للبلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والطاشناق اليساريين ، اتخذ قرار بدعوة الانجليز وبتشكيل حكومة من جميع الاحزاب السوفييتية التي تعترف بسلطة مفوضي الشعب . قوبل القرار بشجب قاطع من جانب الجناح اليساري . صرح شاوميان انه يعتبر القرار

المتخذ خيانة مخزية بحق عمال وفلاحي روسيا ونكراناً شنيعاً لجميلهم وانه بوصفه ممثل السلطة المركزية ينزع عن نفسه كل مسؤولية عن القرار المتخذ . باسم كتل البلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والطاشناق اليساريين ، أعلن انهم لن يشتركوا في الحكومة الائتلافية وان مجلس مفوضي الشعب يستقيل . باسم الكتل اليسارية الثلاث ، صرح الرفيق شاوومیان ان السلطة التي قطعت بالفعل صلتها بالسلطة السوفييتية في روسيا اذ دعت الانجليز الامبرياليين ، لن تلقى اي تأييد من جانب روسيا السوفييتية . ان سوفييت النواب المحلي الذي دعا الانجليز قد خسر ، بسبب سياسته الخائنة ، روسيا والاحزاب التي تدعم السلطة السوفييتية .

الاحزاب اليمينية مرتبكة أقصى الارتباك من جراء قرار مجلس مفوضي الشعب بالاستقالة . بعد وصول الانباء عن الوضع الناشئ ، تغير المزاج في المناطق وفي الجبهة تغيراً حاداً . فهم البحارة ان الخونة خدعوهم فعلاً من اجل قطع الصلة مع روسيا والقضاء على السلطة السوفييتية . الجماهير تغير موقفها من الانجليز . امس عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعاً عاجلاً لمناسبة استقالة مجلس مفوضي الشعب . تقرر ان يبقى جميع مفوضي الشعب في مراكزهم وان يقوموا بالعمل الذي كانوا يقومون به من قبل حتى البت بمسألة السلطة في جلسة السوفييت في ٣١ تموز (يوليو) . قررت اللجنة التنفيذية ان تتخذ تدابير عاجلة للنضال ضد الثورة المضادة بسبيل النضوج . الاعداء يقومون بعملهم تحت ستار الاحزاب الانجلو-فرنسية . مكتب الصحافة لدى مجلس مفوضي الشعب في باكو» .

وكما تلاحظون هذا على الدوام في كتلنا ايضاً ، التي تقول عن نفسها بانها اشتراكية والتي لم تقطع قط صلتها بالبرجوازية ، قالوا هناك ايضاً هذه المرة بدعوة القوات الانجليزية من اجل الدفاع عن باكو (٣٥) . نحن نعرف الآن تمام المعرفة ما تعنيه دعوة القوات الامبريالية هذه الى الدفاع عن الجمهورية السوفييتية . نحن نعرف اي دعوة كانت هذه الدعوة التي قامت بها البرجوازية ، وقسم من الاشتراكيين-الثوريين ، والمناشفة . نحن نعرف اي دعوة

كانت هذه الدعوة التي قام بها زعماء المناشفة في تفليس ، في جورجيا .

في وسعنا ان نقول الآن ان الحزب الوحيد الذي لم يدع الامبرياليين ولم يدخل معهم في تحالف لصوصي ، انما تراجع فقط امامهم عندما هاجم الظالمون ، هذا الحزب الوحيد كان حزب البلاشفة الشيوعيين . (**تصفيق .**) نحن نعرف ان وضع رفاقنا الشيوعيين في القفقاس كان صعباً بخاصة لأنهم واجهوا في كل مكان خيانة المناشفة الذين دخلوا فى تحالف صريح مع الامبرياليين الالمان بحجة الدفاع ، طبعاً ، عن استقلال جورجيا .

انتم جميعكم تعرفون جيداً ان استقلال جورجيا هذا قد تحول الى كذب صرف ، فهو بالفعل استيلاء تام على جورجيا واحتلال لها من قبل الامبرياليين الالمان ، وتحالف بين الحراب الالمانية والحكومة المنشفية ضد العمال والفلاحين مؤيدي البلاشفة ، ولهذا كانوا الف مرة على حق رفاقنا من باكو الذين لم يغمضوا اطلاقاً عيونهم على خطورة الوضع ، وقالوا لانفسهم : نحن لم نكن يوماً ضد صلح مع دولة امبريالية بشرط التنازل لهم عن قسم من ارضنا ، اذا كان هذا لا يسدد لنا ضربة ولا يربط قواتنا بتحالف مع حراب الظالمين ولا يحرمنا امكانية مواصلة نشاطنا الاشتراكي التحويلي .

اما اذا كانت المسألة توضع بحيث تعني دعوة الانجليز بذريعة الدفاع عن باكو دعوة دولة التهمت الآن بلاد فارس كلها وتحشد قواتها العسكرية من زمان لأجل الاستيلاء على جنوب القفقاس ، اي تعني الاستسلام للامبريالية الانجلو-فرنسية ، ففي هذه الحال لا يمكن ان يكون عندنا اي شك او تردد ، وان للحظة ، في ان رفاقنا من باكو ، مهما كان وضعهم صعباً ، قد خطوا الخطوة الوحيدة الجديرة بالاشتراكيين فعلاً لا قولاً ، بامتناعهم عن عقد

صلح كهذا . ان الامتناع القاطع عن كل اتفاق مع الامبرياليين الانجلو-فرنسيين اياً كان ، هو الخطوة الصحيحة الوحيدة التي كان يمكن ان يخطوها رفاقنا من باكو ، لأنه لا يمكن دعوة الامبرياليين الانجلو-فرنسيين دون تحويل السلطة الاشتراكية المستقلة ، وان في منطقة مفصولة عن سائر مناطق البلد ، الى عبدة للحرب الامبريالية .

ولهذا لا يخالجنا اي شك في مقدار الاهمية التي يتسم بها حدث باكو في مجمل شبكة الاحداث . وامس جاء نبأ يقول ان قسماً من مدن آسيا الوسطى قد شملتها انتفاضات معادية للثورة يشترك فيها اشتراكاً بيّناً الانجليز الذين استقروا في الهند واخضعوا افغانستان كلياً وبنوا من زمان لانفسهم نقطة ارتكاز سواء من اجل توسيع ممتلكاتهم الاستعمارية ومن اجل خنق الامم ، ام من اجل الهجوم على روسيا السوفييتية . والآن ، وقد اتضحت لنا هذه الحلقات المتفرقة ، تحددت كلياً معالم وضع جمهوريتنا الحالي ، الحربي والستراتيجي العام . مورمانسك في الشمال ، الجبهة التشيكوسلوفاكية في الشرق ، تركستان وباكو واستراخان فى الجنوب الشرقي ، - اننا نرى ان حلقات الطوق الذي صنعته الامبريالية الانجلو-فرنسية موصولة جميعها تقريباً بعضها ببعض .

ونحن نرى الآن بكل جلاء ان الاقطاعيين والرأسماليين والكولاك الذين يضمرون جميعهم حقداً متأججاً على السلطة السوفييتية لاسباب هي بالطبع شرعية تماماً بنظرهم ، قد سلكوا الآن هنا ايضاً باشكال تختلف بعض الشيء عن الاشكال التي سلك بها الاقطاعيون والرأسماليون والكولاك في اوكرانيا وفي الاماكن الاخرى المفصولة عن روسيا . وبوصفهم خدم الامبريالية الانجلو-فرنسية ، اقدموا على كل شيء لكي يفعلوا ، مهما كلف الامر ، كل ما يمكن فعله ضد السلطة السوفييتية . ولم يكن في وسعهم ان يفعلوا هذا

بقوى روسيا ذاتها ، فقرروا ان يفعلوا ، لا بالاقوال ، لا بالنداءات بروح السادة مارتوف واضرابه ، بل لجأوا الى اساليب اكبر للنضال ، الى العمليات الحربية . والى هذا الوضع اكثر من اي شيء آخر ، يجب توجيه انتباهكم . وعلى هذا ينبغي لنا ان نركز كل تحريضنا وكل دعايتنا ، وينبغي لنا تبعاً لذلك ان ننقل مركز ثقل كل عملنا السوفييتي .

وانه لواقع اساسي ان قوى ائتلاف امبريالي آخر ، لا الائتلاف الالماني ، بل الانجلو-فرنسي الذي استولى على قسم من اراضينا ويستند اليه ، هي التي تعمل الآن . واذا كان الوضع الجغرافي قد حال دونها حتى الآن ودون الهجوم بطريق مباشر على روسيا ، فان الامبريالية الانجلو-فرنسية التي تغرق العالم كله بالدماء منذ اربع سنوات من اجل السيطرة على العالم كله ، قد اقتربت الآن من روسيا مباشرة بطريق غير مباشر لكي تخنق الجمهورية السوفييتية ولكي تجر روسيا الى الحرب الامبريالية . وانتم تعرفون جيداً جداً ، ايها الرفاق ، ان الهدف الرئيسي الذي ابتغيناه منذ بداية ثورة اكتوبر هو وقف الحرب الامبريالية ، ولكننا لم نعلل انفسنا يوماً بالاوهام ونتصور انه يمكن بقوى البروليتاريا والجماهير الثورية في بلد ما من البلدان ، مهما كان مزاجها بطولياً ، ومهما كانت منظمة ومنضبطة ، أنه يمكن بقوى البروليتاريا في بلد واحد اسقاط الامبريالية العالمية ، - فلا يمكن تحقيق ذلك الا بتضافر جهود البروليتاريا في جميع البلدان .

ولكننا فعلنا بحيث ان جميع الصلات في احد البلدان قد انقطعت مع رأسماليي العالم كله . فليس لحكومتنا خيط واحد يربطها باي كان من الامبرياليين ، ولن يكون ثمة ابداً اي خيط من هذا النوع ، اياً كان السبيل الذي ستسلكه ثورتنا لاحقاً . لقد فعلنا بحيث ان الحركة الثورية ضد الامبريالية خطت خطوة هائلة

الى الامام خلال ٨ أشهر من سلطتنا ، وبحيث ان الامور بلغت ، في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، في واحد من المراكز الرئيسية للامبريالية ، اي في المانيا ، حد الاشتباك المسلح وقمع هذه الحركة بالحديد والنار (٣٦) . لقد فعلنا فعلنا الثوري ، كما لم تفعل اي حكومة ثورية في اي بلد ، لقد فعلناه على نطاق عالمي ، دولي ، ولكننا لم نخدع انفسنا بانه يمكن التوصل الى هذا بقوى بلد واحد . فقد كنا نعرف ان جهودنا تؤدي حتماً الى الثورة العالمية ، وانه يستحيل بقوى الحكومات الامبريالية انهاء الحرب التي بدأتها هذه الحكومات . فلا يمكن انهاؤها الا بجهود البروليتاريا جمعاء ؛ وكانت مهمتنا ، عندما قبضنا على زمام السلطة ، بوصفنا حزباً شيوعياً بروليتارياً بينا كانت السيطرة البرجوازية الرأسمالية لا تزال بعد قائمة في البلدان الاخرى ، كانت مهمتنا الاولى ، الاقرب – واكرر قولي – تتلخص في الاحتفاظ بهذه السلطة ، بمشعل الاشتراكية هذا لكي يواصل بث اكبر قدر ممكن من الشرارات على لهيب الثورة الاشتراكية المشتد .

وفي كل مكان كانت هذه المهمة في منتهى الصعوبة ، وهذه المهمة حللناها لأن البروليتاريا دافعت على وجه الدقة عن مكتسبات الجمهورية الاشتراكية . وقد آلت هذه المهمة الى وضع صعب وحرج بخاصة ، لأن الثورة الاشتراكية ، بمعنى هذه الكلمة المباشر ، لم تقم بعد في اي بلد ، رغم انها في بلدان مثل ايطاليا والنمسا اصبحت اقرب بما لا يقارن . ولكن بما انها لم تقم بعد ، فاننا نرى امامنا نجاحاً جديداً للامبريالية الانجلو-فرنسية ، وبالتالي للامبريالية العالمية . واذا كانت الامبريالية الالمانية لا تزال تنتصب في الغرب بوصفها قوة امبريالية اغتصابية حربية ، فقد توافرت للامبريالية الانجلو-فرنسية في شمال شرق روسيا وفي جنوبها امكانية تعزيز مواقعها ، وهي تبين لنا بجلاء ووضوح ان

هذه القوة مستعدة لجر روسيا من جديد الى الحرب الامبريالية ، مستعدة لخنق روسيا ، الدولة الاشتراكية المستقلة التي تواصل عملها الاشتراكي ودعايتها الاشتراكية في نطاق لم يرَ العالم من قبل مثيلاً له . وضد هذا ، احرزت الامبريالية الانجلو-فرنسية نجاحاً كبيراً ، وبعد تطويقنا بطوق ، صوبت جميع جهودها نحو خنق روسيا السوفييتية . ونحن نعرف جيداً جداً ان هذا النجاح الذي احرزته الامبريالية الانجلو-فرنسية يتصل اتصالاً وثيقاً لا تنفصم عراه بالنضال الطبقي .

لقد قلنا دائماً – والثورة تؤكد قولنا – انه عندما تبلغ الامور حد اسس السلطة الاقتصادية ، سلطة المستثمِرين ، حد ملكيتهم التي تضع تحت تصرفهم كدح عشرات الملايين من العمال والفلاحين ، وتتيح للاقطاعيين والرأسماليين ابتزاز الارباح ، وعندما تبلغ الامور – واكرر قولي – حد ملكية الرأسماليين والاقطاعيين الخاصة ، ينسى هؤلاء جميع اقوالهم عن الحب للوطن والاستقلال . ونحن نعرف جيداً جداً ان الكاديت والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والمناشفة قد ضربوا رقماً قياسياً فيما يتعلق بالتحالف مع الدول الامبريالية وبعقد معاهدات النهب والسلب وخيانة الوطن في صالح الامبريالية الانجلو-فرنسية . والمثال هو اوكرانيا وتفليس . ان تحالف المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين مع التشيكوسلوفاكيين دليل كاف على هذا . وفتنة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذين قرروا جر جمهورية روسيا الى الحرب خدمة لمصالح الحرس الابيض في ياروسلافل (٣٧) ، تبين بما يكفي من الوضوح ان البرجوازية تبيع الوطن وتعقد صفقات تجارية حقيرة ضد شعبها مع اي كان من الاجانب عندما يتعلق الامر بالارباح الطبقية . وهذه الحقيقة أثبتها تاريخ الثورة الروسية مرة واخرى بعد ان اثبت لنا تاريخ الثورة خلال اكثر من مائة سنة ان ذلك هو

قانون المصالح الطبقية ، قانون السياسة الطبقية التي تنتهجها البرجوازية في جميع الازمنة وفي جميع البلدان . ولهذا ، لا غرابة اطلاقاً اذا كانت التأزمات الحالية في وضع الجمهورية السوفييتية الدولي مرتبطة بتأزم النضال الطبقي داخل البلد .

لقد قلنا مراراً عديدة ان المرحلة التي تسبق الغلة الجديدة هي اصعب المراحل في هذا المجال ، مجال تفاقم ازمة التموين . ففي روسيا تسود بلية الجوع الذي تفاقم بصورة لم يسمع بها من قبل ، لأن خطة الضواري الامبرياليين تتقوم بالضبط في فصل مناطق الحبوب عن روسيا . ومساعيهم في هذا المجال محسوبة حساباً صحيحاً تماماً ، وغايتها ان يجدوا لانفسهم سنداً اجتماعياً طبقياً في تلك الاطراف التي تنتج الحبوب على وجه الضبط ، ان يجدوا لانفسهم اماكن يهيمن فيها الكولاك ، اي الفلاحون الاغنياء الذين اثروا من الحرب ، ويعيشون من عمل الآخرين ، من عمل الفقراء . وانتم تعرفون ان هذه العناصر قد كدست عشرات ومئات الآلاف من الروبلات وانها تملك احتياطيات ضخمة جداً من الحبوب . وانتم تعرفون ان هؤلاء الناس الذين اغتنوا بفقر الشعب ، والذين كانت تتزايد بالنسبة لهم الاسباب للنهب ولزيادة ارباحهم بقدر ما كان يتزايد فقر الشعب في العاصمة ، — ان هذه العناصر الكولاكية هي التي شكلت من صفوفها السند الرئيسي والأخطر للحركة المعادية للثورة في روسيا . وهنا بلغ النضال الطبقي اعمق اعماق مصدره . فلم تبق قرية لم يجر فيها النضال الطبقي بين فقراء الريف وقسم من الفلاحين المتوسطين ممن لا يملكون اي فائض من الحبوب واكلوه من زمان ولم يشتركوا في المضاربة ، — النضال الطبقي بين هذه الاغلبية الهائلة من الكادحين وبين الحفنة الضئيلة من الكولاك ؛ وهذا النضال الطبقي تغلغل في كل قرية .

عندما حددنا خططنا السياسية ونشرنا مراسيمنا ، — وهي ،

بالطبع ، معروفة لعدد كبير جداً من الحاضرين هنا ، – وعندما كتبنا – واكرر قولي – وطبقنا المراسيم بتنظيم فقراء الريف (٣٨) ، كنا نرى بوضوح ان الامر يبلغ حد المسألة الاولى الفاصلة الجذرية ولا اكثر من مسائل الثورة كلها ، المسألة الاولى الفاصلة الجذرية ولا اكثر ، عنيت بها مسألة السلطة ، مسألة ما اذا كانت البروليتاريا ستقبض على زمام السلطة ، ما اذا كانت البروليتاريا ستضم الى جانبها جميع فقراء الريف الذين لا يوجد بينها وبينهم اي خلاف ، ما اذا كانت ستعرف كيف تجتذب الى جانبها الفلاحين الذين لا توجد بينها وبينهم اي خلافات ، وما اذا كانت ستوحد كل هذا الجمهور المشتت ، المفرَّق ، المبعثر في القرى – وفي هذا المجال يأتي دور عمال المدن – وتوحده ضد المعسكر الآخر ، معسكر الاقطاعيين والامبرياليين والكولاك ؟

والحال ، نحن نرى بام عيوننا كيف شرع فقراء الريف يتراصّون بسرعة فائقة العادة . يقال ان الثورة تعلّم . ان النضال الطبقي يعلّم ، بالفعل ، في الواقع ، ان كل زيف في موقف اي حزب من الاحزاب يدفع هذا الحزب فوراً الى المكان الذي يستحقه . ولقد رأينا بجلاء سياسة حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذين ترددوا وتأرجحوا ، بحكم ميوعتهم وغباوتهم ، عندما طرحت مسألة التموين بفائق الحدة ، فاذا حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين يزول كحزب ويتحول الى دمية في ايدي الحرس الابيض في ياروسلافل .(**تصفيق** .)

ايها الرفاق ، ان النضال الطبقي قد تفاقم من جرّاء ازمة التموين ، وذلك بالضبط عندما توضحت الغلة الجديدة بوفرتها ، ولكنه لا يمكن تصريفها ، وعندما تدفع البرجوازية والعناصر الكولاكية سكان بتروغراد وموسكو الذين يتضورون جوعاً وتقول باذلة جهوداً مستميتة : اما الآن واما ابداً ، – ومن هذا تتضح تلك

الموجة من الانتفاضات التي تدفقت في عموم روسيا . ظهرت انتفاضة ياروسلافل . ونحن نرى تأثير الانجلو-فرنسيين ؛ نرى حساب الملاكين العقاريين المعادين للثورة والبرجوازية المعادية للثورة . فحيثما طرحت مسألة الحبوب ، عرقلوا تحقيق احتكار الحبوب ؛ والواقع انه تستحيل الاشتراكية دون هذا الاحتكار . وفي هذا بالضبط لا بدّ للبرجوازية ان ترص صفوفها ، وفي هذا تملك البرجوازية سنداً اعمق من السند الذي يملكه فلاح الريف . ان المعركة الفاصلة بين قوى الاشتراكية والمجتمع البرجوازي ستدور رحاها على كل حال ، بهذا الشكل او ذاك ، اليوم او غداً ، لهذا السبب او ذاك . ولا يمكن ان تقوم اي تأرجحات الا عند الاشتراكيين بين قوسين مزدوجين ، كاصحابنا الاشتراكيين-الثوريين اليساريين مثلاً . وحين تلاحظ تأرجحات عند الاشتراكيين في هذه المسألة ، في هذه المسألة الجذرية ، يبين هذا انهم اشتراكيون بين قوسين مزدوجين لا يساوون فلساً . وامثال هؤلاء الاشتراكيين تدفعهم الثورة الى ان يتحولوا بالفعل الى مجرد بيادق يلعب بها الجنرالات الفرنسيون ، الى بيادق بينت دورها اللجنة المركزية السابقة لحزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين السابق .

ايها الرفاق ، من هذا التضافر بين جهود الامبريالية الانجلو-فرنسية وجهود البرجوازية الروسية المعادية للثورة ، نجم ان الحرب الاهلية تدور رحاها عندنا الآن في طرف ليس الجميع توقعوه وليس الجميع ادركوه بوضوح ، وقد اندمجت هذه الحرب مع الحرب الخارجية في كل واحد لا يتجزأ . فان انتفاضة الكولاك ، وفتنة التشيكوسلوفاكيين ، وحركة مورمانسك ، انما هي كلها حرب واحدة تزحف على روسيا . لقد افلتنا من الحرب من جهة واحدة ، متكبدين خسائر فادحة ، عاقدين صلحاً شديد الوطأة الى حد لا يصدق (٣٩) ، وكنا نعرف اننا نعقد صلحاً جائراً ، ولكننا قلنا

اننا سنتمكن من مواصلة دعايتنا وبنائنا ، وبهذا نفسخ العالم الامبريالي . وقد تمكنا من فعل هذا . فان المانيا تجري الآن مفاوضات لتحديد كم مليارا ستأخذ من روسيا بموجب معاهدة بريست ، ولكنها اعترفت بجميع التأميمات التي تحققت عندنا بموجب مرسوم ٢٨ حزيران (يونيو) (٤٠) . ولم تطرح مسألة الملكية الخاصة للارض في الجمهورية ، وهذا ما يجب التنويه به لمعارضة ذلك الكذب الذي لم يسمع بمثله من قبل والذي روجته سبيريدونوفا وما شاكلها من قادة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، ذلك الكذب الذي خدم مآرب الملاكين العقاريين وتكرره الآن اشد عناصر المائة السود (٤١) اغراقاً في الجهل واقلها تطوراً ؛ وهذا الكذب انما يجب دحضه وفضحه .

اما في الواقع ، فاننا ، رغم كل وطأة الصلح علينا ، ظفرنا بحرية البناء الاشتراكي الداخلي وخطونا في هذا السبيل خطوات تصبح الآن معلومة في اوروبا الغربية وتشكل عناصر للدعاية اقوى بما لا يقاس مما مضى .

ووصل بنا الحال الى حد اننا عندما خرجنا من جهة من الحرب ضد الائتلاف ، كابدنا على الفور زحف الامبريالية من جهة اخرى . ان الامبريالية انما هي ظاهرة عالمية ، انما هي الصراع من اجل تقاسم العالم كله ، الارض كلها ، ومن اجل الاخضاع لهذه الحفنة او تلك من الضواري . والآن تنقض علينا فئة اخرى من الضواري ، هي الفئة الانجلو-فرنسية ، وتقول : سنجركم من جديد الى الحرب . ان حربهم تندمج مع الحرب الاهلية في كل واحد لا يتجزأ ، وهذا هو المصدر الرئيسي لمصاعب الظرف الراهن اذ برزت على المسرح من جديد مسألة الحرب ، مسألة الاحداث الحربية بوصفها المسألة الرئيسية ، الجذرية في الثورة . وهنا الصعوبة كلها لأن الشعب تعب من الحرب ، متعذب من الحرب اكثر مما في اي وقت مضى .

وهذه الحالة من اقصى العذاب والألم التي يعانيها الشعب الروسي من جرّاء الحرب ، انما اود لو اقارنها بانسان ضربوه حتى الموت او يكاد ، ولا يمكن ان نتوقع منه لا ابداء العزيمة ولا ابداء القدرة على العمل . وهذه الحرب التي دامت اربع سنوات تقريباً والتي انهالت على بلد نهبته القيصرية والحكم المطلق والبرجوازية وكيرنسكي وعذبوه ووسخوه ، قد استثارت بالطبع ، على النحو نفسه ، في الشعب الروسي ايضاً ، الاشمئزاز لاسباب عديدة وكانت المصدر الاكبر للمصاعب الهائلة التي نكابدها .

ومن جهة ثانية ، أدى انعطاف الاحداث على هذا النحو الى حصر كل شيء في حرب معينة . فقد وقعنا من جديد في شباك الحرب ، ونحن في حالة حرب ، وهذه الحرب ليست اهلية وحسب ، اي ضد الكولاك والملاكين العقاريين والرأسماليين الذين اتحدوا الآن ضدنا ، — فضدنا تقف هذه المرة الامبريالية الانجلو-فرنسية التي لا تستطيع بعد ان تدفع جحافلها على روسيا ، فالاحوال الجغرافية تعيقها ، ولكنها تقدم كل ما في وسعها ، كل ملايينها ، كل صلاتها الديبلوماسية وقواها ، لمساعدة اعدائنا . نحن في حالة حرب ، وهذه الحرب نستطيع ان ننهيها بصورة مظفرة ؛ ولكنه يجب النضال هنا ضد خصم يصعب التغلب عليه اشد ما يصعب : ضد حالة التعب في الحرب ، ضد حالة كره الحرب والنفور منها ؛ هذه الحالة ينبغي لنا ان نتغلب عليها والا فاننا لن نحل المسألة التي لا تتوقف على ارادتنا ، عنيت بها مسألة الحرب . ان بلدنا قد وقع من جديد في شباك الحرب ، ومآل الثورة يتوقف الآن برمته على معرفة من الذي سينتصر في هذه الحرب التي التشيكوسلوفاكيون هم ممثلوها الرئيسيون بينا الامبرياليون الانجلو-فرنسيون هم في الواقع القادة والمحركون والدافعون في هذه الحرب . ان كل مسألة وجود جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ، ان كل

مسألة الثورة الاشتراكية في روسيا قد انحصرت في مسألة الحرب . وهنا مصدر المصاعب الهائلة ، نظراً للحالة التي خرج الشعب بها من الحرب الامبريالية . ان مهمتنا واضحة تماماً بالنسبة لنا . ان كل كذب من شأنه ان يؤول الى افدح الضرر ؛ ونحن نعتبر من الاجرام اخفاء هذه الحقيقة المرهقة عن العمال والفلاحين . فليعرف كل امرئ ، بالعكس ، هذه الحقيقة بأوضح وابرز ما يمكن .

اجل ، وقعت عندنا وقائع برهنت فيها قواتنا عن ضعف اجرامي ، مثلاً ، عند استيلاء التشيكوسلوفاكيين على سيمبيرسك ، وتراجعت فيها قواتنا ؛ ونحن نعرف ان القوات قد تعبت من الحرب وانها تنفر منها ، ولكنه من الطبيعي والمحتم كذلك ان الامبريالية ، طالما لم تمن بالهزيمة على الصعيد العالمي ، ستحاول ان تجر روسيا الى الحرب الامبريالية ، ستجهد ان تحول هذه الحرب الى مجزرة . والمسألة مطروحة على النحو التالي ، شئنا ام ابينا : نحن في حالة حرب ، ومصير الثورة رهن بمآل هذه الحرب . وهذا ما يجب ان يغدو الكلمة الاولى والاخيرة في تحريضنا ، في كل نشاطنا السياسي والثوري والتحويلي . ولقد فعلنا الكثير في فترة وجيزة ، ولكنه ينبغي السير بكل شيء الى النهاية . ينبغي ان يخضع كل نشاطنا تماماً وكمالاً لمسألة يتوقف عليها الآن مصير الثورة ومآلها ، مصير الثورة الروسية والعالمية . يقيناً ان امبريالية العالم كله لن تخرج من الحرب الحالية دون جملة من الثورات ؛ وان هذه الحرب لن تنتهي الا بانتصار نهائي للاشتراكية . ولكن مهمتنا الآن ان ندعم ونصون ونحفظ هذه القوة للاشتراكية ، هذا المشعل الاشتراكي ، مصدر الاشتراكية هذا ، العامل بنشاط في العالم اجمع ؛ وهذه المهمة هي مهمة حربية نظراً لوضع الاحداث الحالي .

لقد عشنا غير مرة وضعاً كهذا ، وقال كثيرون انه رغم كل المصاعب التي عانيناها من اجل نوال الصلح ، رغم كثرة

التضحيات التي تطلبها منا ، رغم كل الجهود التي يبذلها العدو لكي ينتزع منا المزيد والمزيد من الاراضي ، لا تزال روسيا ، مع ذلك ، ورغم كل شيء ، تتمتع بالسلام وتستطيع ان توطد مكتسباتها الاشتراكية . بل اننا سرنا في هذا السبيل الى ابعد مما كان كثيرون منا يتصورون . مثلاً ، ان رقابتنا العمالية قد تجاوزت بعيداً تلك الاشكال التي ارتدتها في البدء ، ونحن نقف في الوقت الحاضر عند تحول ادارة الدولة الى نظام اشتراكي . لقد سرنا بعيداً الى الامام في ميدان عملنا التطبيقي . فعندنا الآن ادارة كاملة للصناعة من قبل العمال ، ولكن الاحوال لم تسمح لنا بمواصلة هذا العمل الى ابعد بصورة سلمية ؛ بل دفعتنا من جديد الى حالة الحرب ، ولا بدّ لنا من بذل جميع قوانا ودعوة الجميع الى السلاح . واذا ما واجهنا اي تأرجحات وتذبذبات في هذه المسألة بين الشيوعيين ، كان ذلك خزياً وعاراً .

ان التذبذب بين الفلاحين لا يدهشنا . فان جمهور الفلاحين لم يمر بمدرسة حياة كالتي مرت بها البروليتاريا التي اعتادت خلال عقود وعقود من السنين ان ترى في الرأسمالي عدوها الطبقي والتي استطاعت ان ترص قواها من اجل النضال ضده . ونحن نعرف ان الفلاحين لم يمروا بجامعة كهذه . فذات حين ، ساروا الى جانب البروليتاريا ؛ اما الآن فتبدو عندهم مرحلة من التذبذبات والتأرجحات يتفرق فيها جمهور الفلاحين . ونحن نعرف حالات كثيرة جداً يبيع فيها الكولاك من الفلاحين الحبوب باسعار ادنى من الاسعار الثابتة المقررة لكي يصوروا الامور كأن الكولاك يدافعون عن مصالح الفلاحين . ان كل هذا لا يدهشنا ؛ ولكن العامل الشيوعي لن يتأرجح ولن يتذبذب ، وسيكون جمهور العمال راسخاً لا يتزعزع ؛ واذا كان مزاج البيئة الفلاحية اشبه بمزاج الكولاك ، فهذا سهل تفسيره . فحيث لا يوجد بلاشفة وتسود السلطات

التشيكوسلوفاكية ، نرى الظاهرة التالية : في البدء ، يستقبلون التشيكوسلوفاكيين كمنقذين تقريباً ، ولكن بعد مرور بضعة اسابيع على سيطرة هذه البرجوازية ، يظهر انعطاف هائل ضد التشيكوسلوفاكيين ونحو السلطة السوفييتية لأن الفلاحين يبدأون يدركون ان كل الكلام عن حرية التجارة وعن الجمعية التأسيسية (٤٢) لا يعني غير سلطة الملاكين العقاريين والرأسماليين .

ان مهمتنا ان نرص الصفوف البروليتارية بمزيد من الوثوق وان نبني التنظيم بحيث يكون كل شيء مكرساً في الاسابيع القريبة القادمة لحل مسألة الحرب . ونحن نحارب الآن ضد الامبريالية الانجلو-فرنسية وضد كل ما في روسيا من برجوازي ، رأسمالي ، ضد من يبذلون الجهود لكي يحبطوا كل قضية الثورة الاشتراكية ويجرونا الى الحرب . ان المسألة تطرح بشكل توضع فيه جميع مكتسبات العمال والفلاحين في كف القدر . فينبغي ان نكون واثقين باننا سنلقى في اوساط البروليتاريا العطف والتأييد الواسعين وبان الخطر سيُصَدّ كلياً وبان صفوفاً جديدة من البروليتاريا ستهب الى الدفاع عن طبقتها والى انقاذ الثورة الاشتراكية . ان المسألة موضوعة الآن على نحو بحيث يدور النضال من اجل نقطتين اساسيتين وتزول جميع الخلافات الحزبية الاساسية في معمعان الثورة . فان الاشتراكي-الثوري اليساري الذي يشير بقوة الى انه يساري ويتستر وراء التعابير والجمل الثورية ولكنه ينتفض بالفعل ضد السلطة السوفييتية ، انما هو سند للحرس الابيض في ياروسلافل ؛ هذا ما يمثله في التاريخ والنضال الثوري ! في حلبة النضال لا يوجد الآن غير طبقتين : فالنضال الطبقي يجري بين البروليتاريا التي تدافع عن مصالح الشغيلة وبين اولئك الذين يدافعون عن مصالح الملاكين العقاريين والرأسماليين . ان كل الكلام عن الجمعية التأسيسية وعن الدولة المستقلة وما شابه ،

الذي يحاولون به خداع الجماهير غير الواعية ، قد فضحته تجربة الحركة التشيكوسلوفاكية وحركة المناشفة القفقاسيين . فوراء كل هذا الكلام تقف القوى ذاتها ، قوى الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وكما يحمل الاحتلال الالماني معه سلطة الملاكين العقاريين والرأسماليين ، كذلك تحملها الانتفاضة التشيكوسلوفاكية معها . من اجل هذا تجري الحرب !

ايها الرفاق ! ينبغي لصفوف البروليتاريا ان تتراصّ بمزيد من الوثوق وان تضرب المثل في هذا النضال على التنظيم والطاعة والانضباط . ان روسيا لا تزال كما في السابق البلد الوحيد الذي قطع جميع صلاته بالامبرياليين . صحيح ان دماءنا تنزف بسبب من هذه الجراح الشديدة . لقد تراجعنا امام الوحش الامبريالي ، كاسبين الوقت ، مسددين له ضربات جزئية تارة هنا وطوراً هناك ، ولكننا بقينا مستقلين بوصفنا جمهورية سوفييتية اشتراكية . وبقيامنا بعملنا الاشتراكي ، سرنا ضد امبريالية العالم كله ، وهذا النضال يغدو مفهوماً اكثر فاكثر لعمال العالم كله ، واكثر فاكثر يقرّب سخطهم المتنامي من الثورة العتيدة . وفي سبيل هذا بالذات ، يجري النضال ، لأن جمهوريتنا هي البلاد الوحيدة في العالم التي لم تسر يداً بيد مع الامبريالية ، ولم تسمح بقتل ملايين الناس من اجل سيادة الفرنسيين او الالمان على العالم . ان جمهوريتنا هي البلاد الوحيدة التي خرجت من الحرب الامبريالية العالمية بطريق العنف والثورة ، ورفعت راية الثورة الاشتراكية ، ولكنهم يجرونها من جديد الى الحرب الامبريالية ويرغبون من جديد في وضعها على الجبهة . فليحارب التشيكوسلوفاكيون ضد الالمان ، لتختر برجوازية روسيا ، ليحل ميليوكوف ، ولربما حتى بموافقة سبيريدونوفا وكامكوف ، المسألة التالية : مع اي من الامبرياليين سيسيرون . ولكننا نعلن انه ينبغي لنا ان نكون مستعدين لبذل

حياتنا لكي نحول دون حل هذه المسألة لأن القضية تتعلق بانقاذ الثورة الاشتراكية كلها . (**تصفيق** .) انا اعرف ان انعطافاً يظهر بين فلاحي محافظات ساراتوف وسامارا وسيمبيرسك حيث شوهد اكبر التعب واكبر العجز عن القيام بالاعمال الحربية . انهم ، وقد كابدوا زحف القوزاق والتشيكوسلوفاكيين وذاقوا في الواقع ما تعنيه الجمعية التأسيسية او ما تعنيه الصيحات : ليسقط صلح بريست ، قد عرفوا ان كل هذا من شأنه ان يؤدي الى عودة الملاك العقاري ، الى جلوس الرأسمالي على العرش ، واذا بهم يصبحون الآن اشد المدافعين عن سلطة السوفييت حماسة وعناداً . وليس عندي اي ظل من شك في ان الجماهير البروليتارية في بتروغراد وموسكو ، التي تسير في مقدمة الثورة ، ستدرك الاوضاع ، ستدرك اي ظرف رهيب نعيش الآن ، وتغدو اشد عزماً وتصميماً ، وآنذاك تحبط البروليتاريا الهجوم الانجلو-فرنسي والهجوم التشيكوسلوفاكي على السواء لما فيه صالح الثورة الاشتراكية . (**تصفيق** .)

صدر في عام ١٩١٨ في كراس على حدة «الاجتماع الموحد للجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا وسوفييت موسكو وممثلي لجان المصانع والمعامل والنقابات في موسكو ومؤتمر رؤساء السوفييتات لعامة روسيا في ٢٩ تموز (يوليو) ١٩١٨»

المجلد ٣٧ ،
ص‌ص ١-١٩

ايها الرفاق العمال !
لنمض الى المعركة الاخيرة ، الفاصلة !

الجمهورية السوفييتية مطوقة بالاعداء . ولكنها ستنتصر على الاعداء الداخليين وعلى الاعداء الخارجيين . ويلاحظ الآن نهوض بين جماهير العمـال سيؤمن النصر . ويلاحظ كيف تواترت شرارات وانفجارات الحريق الثوري في اوروبا الغربية ، الامر الذي يعطينـا الثقة بانتصار الثورة العمالية العالميـة في مستقبل غير بعيد .

ان العدو الخارجي لجمهورية روسيا الاشتراكية السوفييتية هو في الظرف الراهن الامبريالية الانجلو-فرنسيـة والامبرياليـة اليابانية-الاميركية . وهذا العدو يهاجـم روسيا الآن ، وينهـب اراضينـا ؛ وقد استولى على ارخنغلسك ، وتقدم (اذا صدقنـا الجرائد الفرنسية) من فلاديفوستوك الى نيكولسك-اوسورييسكي . وهذا العدو رشا جنرالات وضباط الفيلق التشيكوسلوفاكي . وهذا العدو يهاجم روسيا الآمنة بنفس القدر من الوحشية واللصوصية الذي هاجم به الالمان في شباط (فبراير) ، ولكن مع هذا الفارق ، وهـو ان الانجلـو-يابانيين لا يبتغـون الاستيـلاء على الارض الروسية ونهبها وحسب ، بل يبتغون كذلك الاطاحة بالسلطـة السوفييتية لأجل «بعث الجبهة» اي لأجل جر روسيا من جديد الى الحرب الامبريالية (ومن الابسط القول : اللصوصية) بين انجلترا والمانيا .

ان الرأسماليين الانجلو-يابانيين يريدون ان يبعثوا سلطة الملاكين العقاريين والرأسماليين في روسيا لكي يتقاسموا معاً الغنيمة المنهوبة في الحرب ، لكي يخضعوا العمال والفلاحين الروس للرأسمال الانجلو-فرنسي ، لكي يبتزوا منهم فوائد القروض التي تبلغ المليارات والمليارات ، لكي يطفئوا حريق الثورة الاشتراكية الذي بدأ عندنا والذي يهدد اكثر فاكثر بان يشمل العالم كله .

ولكن قوى ضواري الامبريالية الانجلو-يابانية لا تكفي لاحتلال روسيا واخضاعها . وان القوى اللازمة لهذا الغرض لا تمتلكها حتى المانيا المجاورة لنا ، كما بينت «تجربت»ها فيما يخص اوكرانيا . لقد حسب الانجلو-يابانيون ان يأخذونا على حين غرة . ولكنهم لم ينجحوا . ان عمال بتروغراد ، ثم عمال موسكو وبعدهم عمال المنطقة الوسطى الصناعية كلها ، ينهضون بتكاتف متعاظم ابداً ، بعزم مشتد ابداً ، ينهضون جماهير اكبر فاكبر ، وبتفان اقوى فأقوى . وفي هذا ضمانة انتصارنا .

ان الضواري الرأسمالية الانجلو-يابانية ، في زحفها على روسيا الآمنة ، تعتمد ايضاً على تحالفها مع عدو السلطة السوفييتية الداخلي . ونحن نعرف جيداً من هو هذا العدو الداخلي . انه الرأسماليون ، والملاكون العقاريون ، والكولاك ، وابناؤهم ، الذين يكرهون سلطة العمال والفلاحين الكادحين ، اي اولئك الفلاحين الذين لا يشربون دماء ابناء قراهم .

ان موجة الانتفاضات الكولاكية تعتور شتى انحاء روسيا . ان الكولاكي يكره السلطة السوفييتية كرهاً مسعوراً ، وهو على استعداد لخنق مئات الآلاف من العمال وذبحهم . واذا ما تسنّى للكولاك ان يحرزوا النصر ، فاننا نعرف جيداً جداً انهم سيقتلون بلا شفقة ولا رحمة مئات الآلاف من العمال ، ويدخلون في تحالف مع الملاكين العقاريين والرأسماليين ، ويعيدون الاشغال الشاقة

لأجل العمال ، ويلغون يوم العمل من ثماني ساعات ، ويعيدون المصانع والمعامل الى ما تحت نير الرأسماليين .

هكذا كان الحال في جميع الثورات الاوروبية السابقة ، عندما افلح الكولاك ، بسبب من ضعف العمال ، في العودة الى الوراء من الجمهورية الى الملكية من جديد ، من سلطة الشغيلة الى كلية سلطة المستثمرين والاثرياء والكسالى من جديد . وهكذا كان الحال عندنا وامام انظارنا في لاتفيا وفنلنده واوكرانيا وجورجيا . وفي كل مكان اتحد الكولاكي الجشع ، المتخم ، الوحشي مع الملاكين العقاريين ومع الرأسماليين ضد العمال وضد الفلاحين الفقراء على العموم . وفي كل مكان ، نكل الكولاكي بالطبقة العاملة بتعطش لا سابق له الى سفك الدماء ، وفي كل مكان دخل في تحالف مع **الرأسماليين الاجانب** ضد عمال بلده . وهكذا فعل ويفعل الكاديت ، والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، والمناشفة ؛ حسبنا ان نتذكر فقط مآثرهم في «التشيكوسلوفاكية» . وهكذا يفعل الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ايضاً ، بدافع غباوتهم وميوعتهم القصوى ، اذ انهم ، بفتنتهم في موسكو ، قد ساعدوا الحرس الابيض في ياروسلافل ، والتشيكوسلوفاكيين والبيض في قازان ؛ وليس عبثاً استحق هؤلاء الاشتراكيون-الثوريون اليساريون اطراء كيرنسكي واصدقائه ، الامبرياليين الفرنسيين .

لا مجال لاي شك . فان الكولاك عدو لدود للسلطة السوفييتية ، فأمّا ان يذبح الكولاك اعداداً لا عدّ لها من العمال ، وامّا ان يقمع العمال بلا رحمة ولا شفقة انتفاضات اقلية الشعب الكولاكية ، النهابة ضد سلطة الشغيلة . ولا يمكن ان يكون ثمة وسط . ولا سلام : فمن الممكن ومن الممكن بسهولة اصلاح ما بين الكولاكي من جهة والملاك العقاري والقيصر والكاهن من جهة اخرى ،

حتى وان تخاصموا ، ولكنه لا يمكن **ابداً** اصلاح ما بينه وبين الطبقة العاملة .

ولهذا نسمي المعركـة ضد الكولاك بالمعركـــة **الاخيرة** ، الفاصلة . ان هذا لا يعني انه لا يمكن ان يقوم الكولاك بانتفاضات متعددة ، او انه لا يمكن ان تقوم الرأسمالية الاجنبيـــة بزحوف متعددة ضد السلطة السوفييتية . ان كلمة : المعركة «الاخيرة» تعني ان الطبقة الاخيرة والطبقة الاكثر عدداً بين الطبقات **الاستثمارية** قد ثارت علينا في بلادنا .

ان الكولاك هم اشد الاستثماريين وحشية ، واشدهم فظاظة واشدهم ضراوة ، وقد اعادوا غير مرة في تاريخ البلدان الاخرى سلطة الاقطاعيين والملوك والكهنة والرأسماليين . وعدد الكولاك يربو على عدد الاقطاعيين والرأسماليين . ولكن الكولاك هم مع ذلك اقلية في صفوف الشعب .

لنفترض انه يوجد عندنا في روسيـــا زهاء ١٥ مليوناً من العائلات الزراعية الفلاحية ، حاسبين روسيا السابقة ، اي قبل ان تنتزع منها الضواري اوكرانيا وغيرها . وبين هذه الملايين الـ١٥ ، يوجد ، على الارجح ، زهاء ١٠ ملايين مـــن الفلاحين الفقراء الذين يعيشون من بيع قوة عملهم او يستعبدهم الاغنياء او لا يملكون فوائض من الحبوب والحقت بهم اعبـــاء الحرب الخراب الشديد . ويجب ان نحسب ان الفلاحين المتوسطين يبلغون زهاء ٣ ملايين ، وان عدد الكولاك ، الاغنياء ، المضاربين بالحبوب قد لا يربو على المليونين . ان مصاصي الدماء هؤلاء قد اثروا من عوز الشعب في زمن الحرب ، وكدسوا الآلاف ومئات الآلاف من النقود ، برفـــع اسعار الحبوب وغيرها من المحصولات . وقد سمنت هذه العناكب على حساب الفلاحين الذين الحقت بهم الحرب الخراب ، على حساب العمال الجياع . وشربت هذه العلقات دماء الشغيلة ، متزايدة غنى

بقدر ما كانت تشتد مجاعة العمال في المدن وفي المصانـــع . ان مصاصي الدماء هؤلاء قد جمعوا ولا يزالون يجمعون في ايديهم اراضي الملاكين العقاريين ، ولا يزالـــون يستعبدون الفلاحـــين الفقراء باستمرار .

الحرب بلا شفقة ولا رحمة ضد هؤلاء الكولاك ! الموت لهم ! الكره والازدراء للاحزاب التي تدافع عنهم : للاشتراكيين-الثوريين اليمينيـــين ، وللمناشفـــة ، وللاشتراكيين-الثوريين اليساريـين الحاليين ! يجب عـــلى العمال ان يسحقوا بيد من حديد انتفاضات الكولاك الذين عقدوا حلفاً ضد شغيلة بلادهم مـــع الرأسماليين الاجانب .

ان الكولاك يستغلون جهـــل الفلاحين الفقراء وتبعثرهـــم وتشتتهم . وهم يؤلبونهم على العمال ، ويرشونهم احياناً باتاحـة الفرصة لهم «للانتفاع» بنحو مائة من الروبلات من المضاربـــة بالحبوب (هذا مع نهبهـــم في الوقت نفســـه للآلاف والآلاف من الروبلات من هؤلاء الفلاحين) . ويحاول الكولاك ان يجتذبوا الفلاح المتوسط الى جانبهم ، ويفلحون في ذلك احياناً .

ولكن الطبقة العاملة ليست ملزمة اطلاقاً بالافتراق عن الفلاح المتوسط . وليس بوســـع الطبقة العاملة ان تصالح الكولاكي ، ولكن بوسعهـــا ان تسعى وراء **اتفاق** مع الفلاح المتوسط وهي تسعى اليه . وهذا ما **برهنت** عليه الحكومة العمالية اي الحكومـة البلشفية بالافعال لا بالاقوال .

لقد برهنّا على هذا ، باتخاذنـــا قانوناً «بجتمعـــة الارض» وتطبيقه بدقة ؛ وفي هذا القانون تنازلات **كثيرة** لمصالـــح الفلاح المتوسط وآرائه .

لقد برهنّا على هذا ، برفع اسعار الحبوب (في الايام الاخيرة) الى **ثلاثة امثال** ما كانت عليه ، لأننـــا نعرف كلياً ان دخل الفلاح

المتوسط لا يتناسب احياناً كثيرة مع الاسعار الحالية للمنتوجات الصناعية **ويجب** رفعه .

ان كل عامل واع سيوضح هذا للفلاح المتوسط ، ويثبت له بصبر والحاح ومراراً عديدة ان الاشتراكية افيد للفلاح المتوسط الى ما لا حد له من سلطة الملوك والاقطاعيين والرأسماليين .

ان السلطة العمالية لم تضم يوماً الفلاح المتوسط ولن تضيمه . اما سلطة الملوك والاقطاعيين والرأسماليين والكولاك ، فانها كانت تضيم الفلاح المتوسط على الدوام ، وليس هذا وحسب ، بل خنقته مباشرة ، ونهبته ، والحقت به الخراب في جميع البلدان ، في كل مكان بلا استثناء ، بما في ذلك روسيا .

التحالف الاوثق والاندماج التام مع الفلاحين الفقراء ؛ التنازلات والاتفاق مع الفلاح المتوسط ؛ التنكيل بلا هوادة بالكولاك ، هؤلاء السفاحين ، مصاصي الدماء ، نهابي الشعب ، المضاربين الذين يثرون من المجاعة ؛ - ذلك هو برنامج العامل الواعي . هذه هي سياسة الطبقة العاملة .

كتب في النصف الاول من آب (اغسطس) - في موعد لا يعدو السادس منه - ١٩١٨

صدر للمرة الاولى في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ في جريدة «رابوتشايا موسكفا»
(«موسكو العمالية») ، العدد ١٤

المجلد ٣٧ ،
ص‌ص ٣٨-٤٢

رسالة الى العمال الاميركيين

ايها الرفاق ! ان بلشفياً روسيــاً اشترك في ثورة ١٩٠٥ وعاش مذ ذاك سنوات طويلة في بلادكم ، قد عرض عليّ ان يأخذ على عاتقه نقل رسالتي اليكم (٤٣) . وقد وافقت على عرضه بكل طيبة خاطر خصوصاً وان البروليتاريين الثوريين الاميركيين مدعوون ، اليوم بالذات ، الى الاضطلاع بدور خارق الاهميــة بوصفهم اعداء الدّاء للامبريالية الاميركية ، الافتى ، الاقوى ، الاخيرة في الاشتراك بالمجزرة العالمية الفاتكة بالشعوب مــن اجــل اقتسام الارباح الرأسمالية . ان اصحاب المليارات الاميركيين ، هؤلاء المسترقّين العصريين ، قد فتحوا اليوم بالذات صفحة فاجعة جداً في التاريخ الدموي للامبريالية الدموية ، بموافقتهم – الجليــة او الخفية ، الصريحة او المستورة برياء ، فالامران سيان ، – على حملة مسلحة يشنها الوحوش الانجلو-يابانيون قصد خنق الجمهورية الاشتراكية الاولى .

ان تاريخ اميركا الحديثة ، المتمدنة ، يبدأ بحرب من تلك الحروب العظمى ، التحريرية فعلاً والثورية فعلاً ، التي كانــت قليلة جداً في هذا العدد الضخم من حروب النهب والسلب الناجمة ، كالحرب الامبريالية الحاليــة ، عن عراك بين الملوك ، والملاكين

العقاريين والرأسماليين ، على اقتسام الاراضي المحتلة او الارباح المنهوبة . لقد كانت حرباً خاضها الشعب الاميركي ضد اللصوص الانجليز الذين كانوا يضطهدون اميركا ويشدون عليها في قيد من العبودية الاستعمارية ، مثلما يفعل مصاصو الدماء «المتمدنون» هؤلاء اليوم ايضاً حين لا يزالون يضطهدون ويشدون في قيد من العبودية الاستعمارية مئات الملايين من الناس في الهند ومصر وفي جميع انحاء العالم .

ومذ ذاك انقضى نحو ١٥٠ عاماً . لقد أوتيت الحضارة البرجوازية جميع اكلها الفخمة . واحتلت اميركا المكان الاول بين البلدان الحرة والمتمدنة من حيث مستوى تطور القوى المنتجة للعمل الانساني الموحد ، ومن حيث استخدام الآلات وجميع روائع التكنيك الحديث ، ولكنها اصبحت ايضاً من اولى البلدان من حيث عمق الهوة التي تفصل بين حفنة من اصحاب المليارات الوقحين ، المتمرغين في القذارة والبذخ ، من جهة ، وبين الملايين من الشغيلة الذين يعيشون دائماً على حافة البؤس ، من جهة اخرى . ان الشعب الاميركي ، الذي ضرب للعالم مثل حرب ثورية ضد العبودية الاقطاعية ، وقع في هذا الشكل العصري من العبودية ، العبودية الرأسمالية ، عبودية العمل المأجور ، التي تنيخ بها عليه حفنة من اصحاب المليارات ؛ وقد وجد نفسه يضطلع بدور جلاد مأجور اقدم في مصلحة الحثالة الغنية على خنق الفيليبين في عام ١٨٩٨ بحجة «تحرير»ها (٤٤) ويخنق في عام ١٩١٨ جمهورية روسيا الاشتراكية بحجة «حماية»ها من الالمان .

ولكن السنوات الاربع من المجزرة الامبريالية التي اعملت فتكاً بالشعوب ، لم تذهب عبثاً . فهناك وقائع بديهية ، لا تقبل الجدل ، كشفت القناع كلياً عن خداع الشعب من قبل انذال الفريقين من اللصوص ، الانجليزي والالماني على حد سواء . ان رصيد اربع

سنوات من الحرب قد بيّن ماهية القانون العام للرأسمالية مطبقاً على حرب بين اللصوص من اجل اقتسام الغنيمة : الاغنياء والاقوياء هم اكثر ما اغتنوا واكثر ما نهبوا ؛ والضعفاء نُهبوا ، ومزقوا ، وسحقوا ، وخنقوا بلا رحمة ولا رأفة .

كان لصوص الامبريالية الانجليزية اقوى اللصوص من حيث عدد «عبيد»هم «المستعمرين» . ولم يخسر الرأسماليون الانجليز اي شبر من الاراضي التي «تخصهم» (اي التي استولوا عليها خلال القرون) ، بل استولوا على جميع المستعمرات الالمانية في افريقيا ، وعلى بلاد الرافدين وعلى فلسطين ، وامسكوا بخناق اليونان ، وشرعوا ينهبون روسيا .

وكان لصوص الامبريالية الالمانية اقوى اللصوص من حيث درجة تنظيم قوات«هم» ومن حيث انضباطها ، ولكنهم كانوا اضعف من حيث المستعمرات . وقد خسروا جميع مستعمراتهم ، ولكنهم نهبوا نصف اوروبا ، وخنقوا اكبر عدد من البلدان الصغيرة والشعوب الضعيفة . فيا لها من حرب «تحريرية» كبرى من كلا الجانبين ! وما احسن ما «دافع عن الوطن» لصوص الفريقين ، الرأسماليون الانجلو-فرنسيون والالمان ، مع خدمهم الاذلاء ، الاشتراكيين-الشوفينيين ، اي الاشتراكيين الذين انتقلوا الى صف برجوازية«هم» !

ربما كان اصحاب المليارات الاميركيون اغنى من الجميع وقد كانوا ، جغرافياً ، اوفر سلامة من الجميع . وهم الذين اكثر ما اغتنوا . فقد جعلوا من جميع البلدان ، حتى اغناها ، دافعة اتاوات لهم . ونهبوا مئات المليارات من الدولارات . وعلى كل دولار ، تظهر آثار القذر : قذر المعاهدات السرية المعقودة بين انجلترا و«حلفائ»ها ، بين المانيا واتباعها ؛ المعاهدات حول تقاسم الغنيمة ؛ معاهدات «العون» المتبادل لاضطهاد العمال وملاحقة

الاشتراكيين-الامميين . على كــل دولار ، تظهر كومــة من قذارة التسليمات العسكرية «الرابحة» التي اغنت الاغنياء في كــل بلد وافقرت الفقراء . على كل دولار ، تظهــر آثار الدماء ، آثار هذا البحر من الدماء التي سفكها الـ١٠ ملايين من القتلى والـ٢٠ مليوناً من المشوهين في النضال التحريري الكبير ، النبيــل ، المقدس ، الذي قام لمعرفة اي من اللصين ، الانجليزي ام الالماني ، سيستأثر بالقسم الاكبر من الغنيمة ؛ اي من الجلادين ، الانجليز ام الالمان ، سيكونون **الاوائل** بين خناقي الشعوب الضعيفة في العالم بأسره .

واذا كان اللصوص الالمان قد ضربوا جميع الارقام القياسية بوحشية عملياتهم التأديبية العسكرية ، فان اللصوص الانجليز قد ضربوا جميع الارقام القياسية لا من حيث عدد المستعمرات التي استولوا عليها وحسب ، بل ايضاً من حيث تفنن نفاقهم المقيت . ان الصحافــة البرجوازية الانجلو-فرنسية والاميركيــة تصب في الوقت الحاضر على وجه الضبط ، وبملايين وملايين النسخ ، سيول الاكاذيب والافتراءات بحق روسيا ، ساعية بكــل رياء الى تبرير حملة النهب التي شنتها ضدها بحجة الرغبة الزائفة في «حمايتها» من الالمان !

ليس ثمة حاجة الى خطابات طويلة لدحض هذا الكذب الكريه والخسيس : حسبنا ان نشير الى واقع يعرفه الجميع . حين اسقط عمال روسيا حكومتهم الامبرياليــة ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، عرضت سلطة السوفييتات ، سلطــة العمال والفلاحين الثوريين ، عرضت على المكشوف صلحاً عادلاً ، بلا الحاقات ولا غرامات ، صلحاً يحترم تماماً المساواة في الحقوق بين جميع الامم ، وهذا الصلح عرضته على **جميع** البلدان المتحاربة .

وان البرجوازيــــة الانجلو-فرنسية والاميركيــــة هي التي رفضت عرضنا ، وهي التي رفضت حتى الدخول في مفاوضات معنا من

اجل صلح عام ! **وهي** التي خانت مصالح جميع الشعوب ، وهي التي اطالت امد المجزرة الامبريالية !

وهي التي تهربت من مفاوضات الصلح ، رغبة في جر روسيا من جديد الى الحرب الامبريالية ، واطلقت العنان بالتالي للرأسماليين الالمان ، الذين ليسوا اقل ضراوة ، ففرضوا على روسيا صلح بريست الالحاقي الجائر !

وانه لمن الصعب ان نتصور نفاقاً اشد تنفيراً من نفاق البرجوازية الانجلو-فرنسية والاميركية حين تلقي علينا «مسؤولية» صلح بريست . ان رأسماليي البلدان التي كان يتوقف عليها تحويل مفاوضات بريست الى مفاوضات عامة من اجل صلح عام ، هم الذين ينصّبون انفسهم «متهمي»نا ! ان اكلة الجيف من معسكر الامبريالية الانجلو-فرنسية ، الذين اغناهم نهب المستعمرات ومجزرة الشعوب ، والذين اطالوا امد الحرب مقدار سنة تقريباً بعد صلح بريست ، هم الذين «يتهمون»نا ، **نحن** البلاشفة الذين عرضنا صلحاً عادلاً على جميع البلدان ، **نحن** الذين مزّقنا المعاهدات الاجرامية السرية المعقودة بين القيصر السابق والرأسماليين الانجلو-فرنسيين ، ونشرناها على الملأ ، وفضحناها وشهرنا بها .

ان عمال العالم بأسره ، من اي بلد كانوا ، يعطفون علينا ، ويهتفون لنا ، ويصفقون لنا لاننا حطمنا الحلقات الحديدية من الصلات الامبريالية ، من المعاهدات الامبريالية القذرة ، من السلاسل الامبريالية ؛ لاننا تحررنا واقدمنا من اجل ذلك على اكثر التضحيات جسامة ؛ لاننا نحن ، الجمهورية الاشتراكية ، وان كنا نعاني الاضطهاد والعذاب والنهب والسلب من جانب الامبرياليين ، قد بقينا **خارج** الحرب الامبريالية ورفعنا عالياً في وجه العالم كله ، راية السلام ، راية الاشتراكية .

فلا غرابة اذا كانت عصابة الامبرياليين العالميين تكرهنا لهذا السبب ، واذا كانوا «يتهمون»نا ، واذا كان جميع خدم الامبرياليين الاذلاء ، بمن فيهم اشتراكيونا-الثوريون اليمينيون ومناشفتنا ، «يتهمون»نا هم ايضاً . ففي الحقد الذي يضمره كلاب حراسة الامبريالية هؤلاء للبلاشفة ، كما في عطف العمال الواعين من جميع البلدان ، نستمد المزيد من اليقين بعدالة قضيتنا .

وليس باشتراكي ذاك الذي لا يدرك انه ، من اجل الانتصار على البرجوازية ، من اجل انتقال السلطة الى العمال ، من اجل **نشوب** الثورة البروليتارية العالمية ، يمكن ويجب **عدم** التردد في بذل اي تضحية بما في ذلك التضحية بقسم من اراضي البلد وتحمل الهزائم الشنعاء على يد الامبريالية . وليس باشتراكي ذاك الذي لم يبرهن **بالاعمال** على استعداده لتقبل اكبر التضحيات من جانب وطن«ه» ، شرط ان تتقدم قضية الثورة الاشتراكية فعلاً .

فان امبرياليي انجلترا والمانيا لم يتورعوا ، في سبيل قضيت«هم» ، اي من اجل الظفر بالسيطرة العالمية ، عن خنق عدد من البلدان وانزال الخراب التام بها ، ابتداء من بلجيكا وبلاد الصرب ، ثم فلسطين وبلاد الرافدين . اما الاشتراكيون ، فهل يجوز لهم ، في سبيل قضيت«هم» ، من اجل تحرير شغيلة العالم بأسره من نير الرأسمال ، من اجل تأمين سلام وطيد عام ، ان ينتظروا انفتاح طريق خالية من التضحيات ؛ هل يجوز لهم ان يخافوا خوض المعركة طالما لا يكون النجاح السهل «مضموناً» لهم ؛ هل يجوز لهم ان يضعوا سلامة وكيان «وطنهم» الذي صنعته البرجوازية ، فوق مصالح الثورة الاشتراكية العالمية الشاملة ؟ الازدراء ثلاثاً ورباعاً لاخساء الاشتراكية العالمية ، لخدم الاخلاق البرجوازية الذين يفكرون على هذا النحو .

ان ضواري الامبريالية الانجلو-فرنسية والاميركية «يتهموننا» بالـ«اتفاق» مع الامبريالية الالمانية . فيا للمنافقين ! ويا للاوباش الذين يفترون على حكومة العمال وترتعد فرائصهم في الوقت نفسه امام العطف الذي يبديه عمال بلدان«هم» بالذات علينا ! ولكن نفاقهم سينزع عنه القناع . انهم يتظاهرون بانهم لا يفهمون الفرق بين اتفاق يعقده «الاشتراكيون» مع البرجوازية (القومية والاجنبية) **ضد العمال** ، ضد الشغيلة ، واتفاق يعقد مع برجوازية من لون قومي **ضد برجوازية** من لون قومي آخر ، **من اجل صيانة** العمال الذين انتصروا على برجوازيتهم ، بغية تمكين البروليتاريا من استغلال التضاد القائم بين مختلف مجموعات البرجوازية .

والحال ، ان كل اوروبي يدرك جيداً جداً هذا الفرق ، والشعب الاميركي ، كما سأبيّن عما قريب ، قد «عاش» هذا الفرق بسطوع خاص خلال تاريخه . هناك اتفاقات واتفاقات ، كما ان هناك fagots et fagots * كما يقول الفرنسيون .

عندما وجّه ضواري الامبريالية الالمانية قواتهم ، في شباط (فبراير) عام ١٩١٨ ، ضد روسيا العزلاء من السلاح ، والتي كانت قد سرحت جيشها ، اتكالاً منها على تضامن البروليتاريا الاممي قبل ان تكون الثورة العالمية قد نضجت كل النضوج ، لم اتردد وقتذاك لحظة واحدة في «الاتفاق» المعروف مع ملكيين فرنسيين . فان الضابط النقيب الفرنسي سادول الذي كان يعطف على البلاشفة بالقول ولكنه كان بالفعل خادماً اميناً ومتحمساً للامبريالية الفرنسية ، قدم اليّ الضابط الفرنسي دي اوبرساك . قال لي دي لوبرساك : «انا ملكي ؛ وهدفي الوحيد هزيمة المانيا» . اجبته : هذا غني عن البيان (cela va sans dire) . ولكن ذلك لم يمنعني اطلاقاً من

---

* بالفرنسية في النص الاصلي . ومعناها : حزمة حطب وحزمة حطب . **الناشر** .

«التفاهم» مع دي لوبرساك بصدد الخدمات التي كان ضباط فرنسيون من خبراء النسف يرغبون في تقديمها لنا لنسف الخطوط الحديدية قصد عرقلة الغزو الالماني . هذا نموذج «لاتفاق» يؤيده كل عامل واع ، اتفاق في مصلحة الاشتراكية . تصافحنا ، الملكي الفرنسي وأنا ، وكل منا عارف جيداً جداً ان «زميله» مستعد لشنقه بكل طيبة خاطر . ولكن مصالحنا كانت متوافقة موقتاً . فضد الضواري الالمان الذين كانوا يزحفون علينا ، استخدمنا **نحن** ، في مصلحة الثورة الاشتراكية الروسية والعالمية ، المصالح المعاكسة لامبرياليين **آخرين** ، ليست اقل ضراوة . وهكذا خدمنا مصالح الطبقة العاملة في روسيا والبلدان الاخرى ، وعززنا البروليتاريا ، واضعفنا برجوازية العالم بأسره ؛ لقد ناورنا ، وهذا امر مشروع والزامي تماماً في **كل** حرب ، لقد راوغنا ، وانسحبنا بانتظار اللحظة التي **سيتم** فيها **نضوج** الثورة البروليتارية التي كانت تنضج بسرعة في عدد من البلدان المتقدمة .

ومهما ارغى ضواري الامبريالية الانجلو-فرنسية والاميركية وازبدوا حقداً وغضباً ، ومهما افتروا علينا وانفقوا الملايين الطائلة لشراء الصحف الاشتراكية-الوطنية – صحف الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والمناشفة وغيرهم ، – **فاني لن اتردد لحظة** في عقد «اتفاق» **من هذا النوع ايضاً** مع ضواري الامبريالية الالمانية اذا ما اضطرنا الى ذلك هجوم تشنه القوات الانجلو-فرنسية على روسيا . واني اعرف جيداً ان تكتيكي سيحظى بتحبيذ البروليتاريا الواعية في روسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا واميركا ، وبكلمة ، بروليتاريا العالم المتمدن بأسره . فان هذا التكتيك سيسهل قضية الثورة الاشتراكية ، ويعجل في مجيئها ، ويضعف البرجوازية العالمية ، ويعزز مواقع الطبقة العاملة بسبيل التغلب على هذه البرجوازية .

وهذا التكتيك نفسه طبقه الشعب الاميركي من زمان لما فيه صالح ثورته . فحين كان يخوض حربه التحريرية الكبرى ضد ظالميه الانجليز ، كان ضده ايضاً المضطهدون الفرنسيون والاسبانيون الذين كانوا يملكون آنذاك قسماً من الاراضي الحالية للولايات المتحدة في اميركا الشمالية . وقد عقد الشعب الاميركي ، هو ايضاً ، «الاتفاقات» في غمرة نضاله الشاق من اجل التحرر ، مع بعض المضطهدين ضد آخرين ، بغية اضعاف المضطهدين وتقوية اولئك الذين كانوا يحاربون الاضطهاد محاربة ثورية ، في مصلحة **الجمهور** المضطهَد . لقد استغل الشعب الاميركي الخلاف بين الفرنسيين والاسبانيين والانجليز ؛ حتى انه حارب احياناً جنباً الى جنب مع قوات المضطهدين الفرنسيين والاسبانيين ضد المضطهدين الانجليز ؛ فانتصر اولاً على الانجليز ، ثم تخلص (جزئياً بالتعويض) من الفرنسيين والاسبانيين .

ان النشاط التاريخي ليس مستقيماً كرصيف جادة نيفسكي ، هكذا قال الثوري الروسي الكبير تشيرنيشيفسكي (٤٥) . ان من لا «يقبل» ثورة البروليتاريا الا «شرط» ان تجري بسهولة وبلا صدمات ، وان يتأمن فوراً عمل البروليتاريا المشترك من مختلف البلدان ، وان يُستبعَد سلفاً احتمال الهزائم ، وان تسير الثورة في طريق رحبة ، حرة ، مستقيمة ، وان لا تكون ثمة ضرورة ، اثناء السير الى النصر ، لبذل اكبر التضحيات احياناً ، الى «القبوع في قلعة محاصرة» او لشق ممر عبر دروب جبلية ضيقة ، وعرة ، متعرجة ، محفوفة بالمخاطر ، — ان هذا الانسان ليس بثوري ، ان هذا الانسان لم يتحرر من حذلقة المثقف البرجوازي ، ان هذا الانسان سينزلق دائماً ، بالفعل ، الى معسكر البرجوازية المعادية للثورة كما ينزلق اشتراكيونا-الثوريون اليمينيون

ومناشفتنا وحتى (رغم ان هذا اندر) اشتراكيونا الثوريون اليساريون .

فان هؤلاء السادة يطيب لهم ، على غرار البرجوازية ، ان يتهمونا بـ«فوضى» الثورة و«دمار» الصناعة ، والبطالة ، وقلة الخبز . فاي رياء في هذه الاتهامات من جانب اولئك الذين صفقوا للحرب الامبريالية ودعموها ، او «اتفقوا» مع كيرنسكي الذي كان يواصل هذه الحرب ! فان الحرب الامبريالية هي التي حملت كل هذه النكبات . ولا بدّ للثورة الناشئة عن الحرب ان تعاني مصاعب وآلاماً لا تصدق ، موروثة عن عدة سنوات من مجزرة فاتكة بالشعوب ، مدمرة ورجعية . ان اتهامنا بـ«دمار» الصناعة او بـ«الارهاب» ، انما هو دليل رياء او حذلقة غليظة ، او عجز عن فهم الظروف الاساسية لهذا النضال الطبقي المسعور ، المتأزم منتهى التأزم ، الذي يسمى الثورة .

ومن حيث الجوهر ، اذا كان «المتهمون» من هذا النوع «يقرون» بالنضال الطبقي ، فانهم لا يقرون به الا قولاً ؛ ولكنهم بالفعل يقعون دائماً في طوبوية تافهة ضيقة الافق ، طوبوية «الاتفاق» و«التعاون» بين الطبقات . ذلك ان نضال الطبقات قد اتخذ في عصر الثورة ، بصورة حتمية لا مناص منها ولا مرد لها ، ودائماً وفي جميع البلدان ، شكل **حرب اهلية** ؛ والواقع ان الحرب الاهلية لا يمكن تصورها دون اشد التدميرات ، دون الارهاب ، دون التضييقات على الديموقراطية الشكلية في صالح الحرب . ان الكهنة المعسولين وحدهم – سواء كانوا مسيحيين ام «مدنيين» ، بشخص الاشتراكيين البرلمانيين ، اشتراكيي الصالونات – يمكنهم ان لا يروا هذه الضرورة ، ان لا يفهموها ، ان لا يشعروا بها . ان «الرجال المعلبين» ، الجامدين والهامدين ، هم وحدهم الذين يستطيعون ، لهذا السبب ، ان ينصرفوا عن الثورة بدلاً من

الاندفاع الى المعركة بكل حماسة وتصميم حين يتطلب التاريخ حل اكبر قضايا الانسانية بالنضال وبالحرب .

ان للشعب الاميركي تقليداً ثورياً ورثه خيرة ممثلي البروليتاريا الاميركية ، الذين اعربوا مراراً عديدة عن تعاطفهم الكامل معنا نحن البلاشفة . ان هذا التقليد انما هو حرب التحرر ضد الانجليز في القرن الثامن عشر ، ثم الحرب الاهلية في القرن التاسع عشر (٤٦) . ومن بعض النواحي ، اذا اقتصرنا على «دمار» بعض فروع الصناعة والاقتصاد الوطني ، قُذفت اميركا في عام ١٨٧٠ **الى الوراء** بالنسبة لعام ١٨٦٠ . ولكن المتحذلق وحده ، الابله الكامل وحده يستطيع ان ينكر **لهذا** السبب الاهمية التقدمية والثورية الجليلة ، الاهمية التاريخية والعالمية ، للحرب الاهلية في اعوام ١٨٦٣–١٨٦٥ في اميركا !

ان ممثلي البرجوازية يدركون ان الغاء استرقاق الزنوج ، ودك سلطة مالكي الارقاء كانا جديرين بان تمر البلاد كلها من اجلهما بسنوات طويلة من الحرب الاهلية ، وبما لا نهاية له مما يلازم كل حرب من خراب ودمار وارهاب . اما الآن ، اذ يدور الكلام حول مهمة اجل بما لا حد له ، مهمة دك عبودية **العمل الماجور** الرأسمالية ، دك سلطة البرجوازية ، فان ممثلي ومحامي هذه الاخيرة ، وكذلك الاشتراكيين الاصلاحيين الذين ارعبتهم البرجوازية ويتهربون من الثورة بذعر ، لا يستطيعون ولا يريدون ان يفهموا ضرورة الحرب الاهلية وشرعيتها .

ان العمال الاميركيين لن يسيروا وراء البرجوازية . وسيقفون الى جانبنا ، ويؤيدون الحرب الاهلية ضد البرجوازية . ان كل تاريخ الحركة العمالية ، العالمية والاميركية ، يقويني في اقتناعي هذا . واني لاذكر ايضاً ما قاله اوجين دبس ، وهو من احب زعماء البروليتاريا الاميركية ، حين كتب في جريدة «نداء الى العقل»

("Appeal to Reason") (٤٧) – في اواخر عام ١٩١٥ ، كما اظن – في مقاله "What shall I fight for" («من اجل ماذا سأحارب») ، – (استشهدت بهذا المقال في مطلع عام ١٩١٦ في اجتماع عمالي عام عقد في برن ، سويسرا) ، –

– انه ، هو دبس ، يفضل ان يُعدَم رمياً بالرصاص من ان يصوت بالموافقة على الاعتمادات للحرب الراهنة ، الاجرامية والرجعية ؛ وانه ، هو دبس ، لا يعرف الا حرباً واحدة مقدسة وشرعية في نظر البروليتاريا هي الحرب ضد الرأسماليين ، الحرب من اجل تحرير الانسانية من عبودية العمل المأجور .

ان يكون ويلسون ، هذا الزعيم لاصحاب المليارات الاميركيين ، هذا الخادم للضواري الرأسماليين ، قد زج بدبس في السجن ، لا يدهشني . وعبثاً تستبد البرجوازية بالامميين الاقحاح ، بممثلي البروليتاريا الثورية الاقحاح ! فبقدر ما تبدي مزيداً من الضراوة والوحشية ، بقدر ما يقترب يوم الثورة البروليتارية الظافرة .

يتهموننا بالخرائب التي تسببت بها ثورتنا . . . ومن ذا الذي يتهمنا ؟ اذيال البرجوازية ، هذه البرجوازية التي ، خلال اربع سنوات من الحرب الامبريالية ، ابادت كل الثقافة الاوروبية تقريباً ، وزجت باوروبا في براثن البربرية والوحشية والجوع . وتطلب اليوم هذه البرجوازية منا بان لا نقوم بالثورة انطلاقاً من هذه التدميرات ، بين انقاض الثقافة ، الانقاض والخرائب التي تسببت بها الحرب ، مع اناس جعلتهم الحرب متوحشين . آه ! ما اعدل هذه البرجوازية وما اقوى نزعتها الانسانية !

ان خدمها يتهموننا بالارهاب . . . لقد نسي البرجوازيون الانجليز عام ١٦٤٩ والفرنسيون عام ١٧٩٣ في بلديهم . لقد كان

الارهاب عادلاً ومشروعاً حين كانت تطبقه البرجوازية في صالحها ضد الاقطاعيين . وهو فظيع واجرامي حين تجرأ العمال والفلاحون الفقراء وطبقوه ضد البرجوازية ! كان الارهاب عادلاً ومشروعاً حين طبّق لاحلال اقلية مستثمِرة محل اخرى . وهو فظيع واجرامي ما ان يطبق للمساعدة على اسقاط **كل** اقلية مستثمرة ، في مصلحة اغلبية ساحقة حقاً ، في مصلحة البروليتاريا وشبه البروليتاريا ، في مصلحة الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء !

ان البرجوازية الامبريالية العالميـة قد ابادت ١٠ ملايين انسان وشوهت ٢٠ مليوناً من الناس الآخرين في حرب«ها» التي شنت لمعرفة اي من الضاريين الانجليزي ام الالماني سيسيطر على العالم اجمع .

فاذا ادت حربنا **نحن** ، حرب المضطهَدين والمستثمَرين ضد مضطهِديهم ومستثمِريهم ، الى نصف مليون او الى مليون من الضحايا في جميع البلدان ، فان البرجوازية ستقول ان الضحايا الاولى كانت مشروعة والثانية اجرامية .

اما البروليتاريا ، فسيكون لها رأي آخر تماماً .

فاليوم ، بين فظائع الحرب الامبريالية ، تتفهم البروليتاريا كلياً وبصورة جلية ، هذه الحقيقة الكبرى التي تعلمها جميع الثورات ، الحقيقة التي اوصى العمال بها اكبر معلّميهم ، مؤسسا الاشتراكية الحديثة . هذه الحقيقة هي ان الثورة لا يمكنها ان تنجح اذا **لم تسحق مقاومة المستثمِرين** . كان علينا نحن العمال والفلاحين الكادحين ان نسحق مقاومة المستثمِرين ما ان استولينا على سلطة الدولة . واننا لفخورون باننا فعلنا ذلك ونستمر على فعله . الا اننا نأسف لاننا لا نفعله بما يكفي من الصلابة والحزم .

نحن نعرف ان مقاومة البرجوازية مقاومة ضارية للثورة

الاشتراكية امر محتم لا بدّ منه في جميع البلدان ، وان هذه المقاومة **ستنمو** بقدر ما تنمو الثورة . ان البروليتاريا ستسحق هذه المقاومة ؛ وستصبح قادرة نهائياً على احراز النصر وعلى ممارسة السلطة في مجرى النضال ضد البرجوازية المعاندة .

في مستطاع الصحافة البرجوازية المأجورة ان تطبل وتزمر في كل ناد وواد لكل خطأ ترتكبه ثورتنا . ان اخطاءنا لا تخيفنا . ان الناس لم يصبحوا قديسين لمجرد ان الثورة قد بدأت . ان الطبقات الكادحة المظلومة ، المخبلة ، المبقية عنوة في كماشة البؤس والجهل والتوحش ، طوال قرون وقرون ، لا يمكنها ان تقوم بالثورة دون ارتكاب الاخطاء . ولا يمكن ، كما قلت ذات يوم ، وضع جثة المجتمع البرجوازي في تابوت ودفنها . ان الرأسمالية المقتولة تتعفن ، وتتفسخ بيننا ، مفسدة الجو بابخرتها الوبيئة العفنة ، مسممة حياتنا ؛ متمسكة بآلاف الخيوط والروابط مما هو قديم ، عفن ، ميت بكل ما هو جديد ، طري ، فتي ، حي .

ومقابل مئة خطأ نقترفه نحن وتصيح به البرجوازية وخدمها الاذلاء في كل واد وناد (وفي عداد هؤلاء الخدم مناشفتنا واشتراكيونا-الثوريون اليمينيون) ، **نجد** عشرة آلاف من الاعمال العظيمة والبطولية ، تزداد عظمتها وبطولتها بقدر ما هي بسيطة ، غير مرئية ، مطمورة في الحياة اليومية في حي صناعي او في قرية ضائعة ، وبقدر ما ينجزها اناس لا يملكون عادة (ولا امكانية) الصياح في كل واد وناد بكل نجاحاتهم .

ولكن حتى اذا كان العكس – مع اني اعرف ان مثل هذه الفرضية غير صحيحة – حتى اذا كان هناك عشرة آلاف خطأ مقابل مئة من اعمالنا الصحيحة ، فان ثورتنا ستبقى مع ذلك ، – **وستكون امام تاريخ العالم** – كبيرة لا تقهر ، ذلك لانه **للمرة الاولى** ، ليست

الاقلية ، ليس الاغنياء وحدهم ، ليست الفئات المتعلمة وحدها ، بل الجمهور الحقيقي ، اغلبية الشغيلة الساحقة ، هم الذين يبنون **بانفسهم** حياة جديدة ، ويحلون ، **استناداً الى تجربتهم** ، قضايا التنظيم الاشتراكي الشائكة ، الصعبة صعوبة .

ان كل خطأ في هذا العمل ، في هذا العمل الذي ينفذه ، بمنتهى الوجدان ومنتهى الاخلاص ، عشرات الملايين من العمال والفلاحين البسطاء لاجل تحويل كل حياتهم ، - ان كلاً من هذه الاخطاء يوازي الآلاف والملايين من النجاحات «المنزهة عن الخطأ» التي تحرزها الاقلية المستثمِرة ، من النجاحات المحرزة في فن خداع الشغيلة والاحتيال عليهم . ذلك لان العمال والفلاحين لن **يتعلموا** بناء حياة جديدة ، لن يتعلموا **الاستغناء** عن الرأسماليين الا **بثمن** هذه الاخطاء ؛ ولن يشقوا طريقاً لانفسهم - عبر آلاف العقبات - نحو الاشتراكية الظافرة الا على هذا النحو .

انهم يقترفون الاخطاء في عملهم الثوري ، فلاحونا الذين الغوا كل ملكية خاصة للارض ، دفعة واحدة ، في ليلة ٢٥-٢٦ تشرين الاول - اكتوبر - (التقويم القديم) ١٩١٧ ، والذين ، شهراً بعد شهر ، بالتغلب على المصاعب الهائلة ، وباصلاح اخطائهم بانفسهم ، ينفذون عملياً مهمة بالغة الصعوبة ، مهمة تنظيم الظروف الجديدة للحياة الاقتصادية ، والنضال ضد الكولاك ، وتأمين الارض **للشغيلة** (لا للاغنياء) ، والانتقال الى الزراعة الكبيرة **الشيوعية** .

انهم يقترفون الاخطاء في عملهم الثوري ، عمالنا الذين امموا الآن ، في بضعة اشهر ، اكبر المصانع والمعامل ، واامموها جميعها تقريباً ، والذين يتعلمون ، بجهد شاق يومي ، هذا الشيء الجديد عليهم الذي هو ادارة فروع الصناعة برمتها ، والذين يسيّرون المؤسسات المؤممة متغلبين على المقاومة الرهيبة من جانب النمطية والرتابة ، والروح البرجوازي الصغير ، والانانية ، ويرسون

الاساس حجراً حجراً لعلاقة اجتماعيـــــة **جديدة** ، لطاعة **جديدة** في العمل ، لسلطة **جديدة** لنقابات العمال على اعضائها .

انها تقترف الاخطاء في عملها الثوري ، سوفييتاتنا التي انشئت منذ عام ١٩٠٥ بفعل نهوض الجماهير الجبار (٤٨) . ان سوفييتات العمال والفلاحين تشكل **نموذجاً** جديداً للدولة ، **النموذج** الجديـد الاعلى للديموقراطية ؛ وهي شكل ترتديه ديكتاتورية البروليتاريا ، ووسيلة لادارة الدولة **دون** البرجوازيـــة **وضد** البرجوازيـــة . فالديموقراطية هنا ، لاول مرة ، في خدمة الجماهير ، في خدمـــة الشغيلة ؛ وقد كفت عن ان تكون ديموقراطية للاغنياء ، وذلك ما تزال عليه في جميع الجمهوريات البرجوازيـة ، حتى في اوفرهـــا ديموقراطية . ولاول مرة ، تقوم الجماهير الشعبيـــة ، على نطاق قرابة مئة مليون من الناس ، بمهمـــة تحقيق ديكتاتوريـــــة البروليتاريين واشبـــاه البروليتاريين ، المهمـــة التي **تستحيل** الاشتراكية **مطلقاً** دون حلها .

فلا بأس اذا كان المتحذلقون المغرورون او جميـع اولئك الذين تشبعوا ، بما لا شفاء له ، بالاوهام الديموقراطية البرجوازية او البرلمانية يهزون رؤوسهم حائرين امام سوفييتاتنا ، مشيرين ، مثلاً ، الى انعدام الانتخابات المباشرة . ان هؤلاء الناس لـــم ينسوا شيئاً ولم يتعلموا شيئاً خلال الانقلابات الكبيرة التي طرأت في اعوام ١٩١٤–١٩١٨ . ان الاتحاد بين ديكتاتورية البروليتاريا والديموقراطية الجديدة ، الديموقراطية من اجل الشغيلة ، – بين الحرب الاهلية واشراك الجماهير في السياسة على اوسع نطاق ، – ان اتحاداً كهذا لا يتحقق من الوهلة الاولى ولا ينسجم مع الاشكال البالية التي عرفتها الديموقراطية البرلمانية النمطية . عالم جديد ، عالم الاشتراكية – على هذا النحو تبدو لنا جمهورية السوفييتات .

ولذا لا غرابة اذا كان هذا العالم لا يولد ابداً جاهزاً تماماً ، دفعة واحدة ، كما خرجت مينيرفا من رأس جوبيتر .

ان الدساتير الديموقراطية البرجوازية القديمة تسهب مثلاً حول المساواة القانونية وحول حق الاجتماع ، ولكن دستورنا السوفييتي ، البروليتاري والفلاحي ، ينبذ نفاق المساواة القانونية . وحين كان الجمهوريون البرجوازيون يدكون العروش ، لم يأبهوا على الاطلاق بالمساواة القانونية بين الملكيين والجمهوريين . وحين يكون المقصود اسقاط البرجوازية ، فليس غير الخونة او البلهاء من يستطيعون المطالبة بالمساواة القانونية للبرجوازية . ما الفائدة من «حرية الاجتماعات» للعمال والفلاحين اذا كانت خيرة الابنية انما تستأثر بها جميعها البرجوازية . ان سوفييتاتنا قد **انتزعت** من الاغنياء جميع المباني الجيدة ، في المدينة وفي الريف ، **وسلمتها جميعها** للعمال والفلاحين لكي يجعلوا منها مقر جمعياتهم **هم** ويعقدوا فيها اجتماعاتهم **هم** . هذه هي حرية الاجتماعات **عندنا** --- الحرية للشغيلة ! وهذا هو مغزى دستورنا السوفييتي ، دستورنا الاشتراكي ، وهذا هو محتواه !

ولهذا نحن جميعنا لعلى اقتناع راسخ شديد بان جمهوريتنا ، جمهورية السوفييتات ، **منيعة لا تقهر** اياً كانت المحن التي قد تنصبّ عليها .

انها منيعة لا تقهر ، لان كل ضربة تسددها الامبريالية المسعورة ، وكل هزيمة تنزلها بنا البرجوازية العالمية تستنهضان للنضال فئات جديدة وجديدة من العمال والفلاحين وتعلمانهم بثمن التضحيات الجسيمة ، وتشدان مراسهم ، وتولدان بطولة جديدة عند الجماهير .

ونحن نعرف ان مساعدتكم ، ايها الرفاق العمال الاميركيون ، قد تكون موضع انتظار طويل ايضاً ، لان تطور الثورة في شتى

البلدان يجري باشكال مختلفة ، بوتيرة مختلفة (ولا يمكن ان يكون الحال على غير ذلك) . ونحن نعرف ان الثورة البروليتارية في اوروبا ، رغم تصاعدها السريع في الآونة الاخيرة ، قد لا تنفجر في بضعة اسابيع . اننا نعتمد على حتمية الثورة العالمية ، ولكن هذا لا يعني اطلاقاً اننا نعتمد كالاغبياء على حتمية الثورة في اجل وجيز وموعد **محدد** . لقد شهدنا ، في ١٩٠٥ و١٩١٧ ، ثورتين كبيرتين في بلادنا ، ونحن نعرف ان الثورات لا تجري بناء على الطلب ، ولا بموجب اتفاق مسبق . نحن نعرف ان الظروف قد وضعت في المقدمة فصيلتنا **نحن** ، الفصيلة الروسية من البروليتاريا الاشتراكية ، لا بسبب من مآثرنا ، بل بسبب من تأخر اختصت به روسيا ، وان بعض الثورات قد تمنى بالهزائم **قبل** ان تنفجر الثورة العالمية .

ومع ذلك ، فنحن نعرف جيداً اننا لا نقهر ، لان المجزرة الامبريالية لن تقضي على الانسانية ؛ بل ان الانسانية هي التي ستتغلب على هذه المجزرة . ان بلادنا **نحن** هي اول بلاد **حطمت** الاغلال الجائرة للحرب الامبريالية . ولقد تحملنا التضحيات الجسيمة في نضالنا من اجل تحطيم هذه الاغلال ، ولكننا **حطمناها** . ونحن **خارج** التبعيات الامبريالية ، ولقد رفعنا عالياً في وجه العالم بأسره راية النضال من اجل دك الامبريالية دكاً تاماً .

ونحن الآن كأنما في قلعة محاصرة طالما ان الفصائل الاخرى من الثورة الاشتراكية العالمية لم تأت الى نجدتنا . ولكن هذه الفصائل **موجودة** ، وهي **اكثر عدداً من** فصائلنا ؛ وهي تتطور ، وتنمو ، وتتقوى بقدر ما تواصل الامبريالية فظائعها . ان العمال يقطعون الصلة مع الاشتراكيين-الخونة ، اضراب غومبرس وهندرسون ورينوديل وشيدمان ورينّر . وهم يسيرون شيئاً فشيئاً ولكن بكل ثقة وتأكيد ، نحو التكتيك الشيوعي ، البلشفي ،

نحو الثورة البروليتارية التي وحدها تستطيع ان تنقذ الثقافة والانسانية المعرضتين لخطر الهلاك .

وبكلمة ، نحن لا نُقهَر ، لان الثورة البروليتارية العالمية منيعة لا تُقهر .

ن . لينين

٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٨

«البرافدا» ، العدد ١٧٨ ، ٢٢ آب (اغسطس) ١٩١٨ — المجلد ٣٧ ، ص ص ٤٨ـ٦٤

خطاب في اجتماع
في المتحف البوليتكنيكي
٢٣ آب (اغسطس) ١٩١٨

(**هتاف عاصف .**) فيم يتلخص برنامجنـــا ؟ في الظفـــر بالاشتراكية . في المرحلة الراهنة من الحرب الحالية ، لا مخرج من هذه الحرب غير انتصار الاشتراكية . ولكن كثيرين لا يفهمون هذا . ان اغلبية البشر هم الآن ضد المجزرة الدامية ، ولكنهم لا يستطيعون ان يفهموا صلتها المباشرة بالنظام الرأسمالي . ان فظائع الحرب الراهنة تفقأ حتى عيون البرجوازية ولكن ليس من شأنها ان تربط نهاية الحرب بنهاية النظام الرأسمالي ... والواقع ان هذه الفكرة الرئيسية قد ميزت على الدوام البلاشفة والاشتراكيين الثوريين من جميع البلدان الاخرى عن اولئك الذين يريدون ان يقيموا السلام في الارض مع الحفاظ على النظام الرأسمالي ثابتاً لا يتزعزع .

لماذا تخاض الحروب ؟ نحن نعرف ان اغلبية الحروب قـــد خيضت حرصاً على مصالح السلالات وانها أسميـــت بالحـــروب السلاليـــة . ولكن الحروب خيضت احيانـــاً ذوداً عن مصالـــح المظلومين . فان اسبرطقوس قد شن الحرب دفاعـــاً عن الطبقة المستعبَدة . وخيضت حروب كهذه في عهد الاضطهادات الاستعمارية التي لا تزال قائمة الآن ، وفي عهد العبودية ، والخ . . وهذه الحروب كانت عادلة ، وهذه الحروب لا يمكن شجبها .

ولكننا حين نتحدث عن الحرب الاوروبية الحالية ونشجبها ، فذلك لسبب واحد فقط هو ان طبقة الظالمين تخوضها .

اية اهداف تخدم الحرب الحالية ؟ اذا صدقنا ديبلوماسيي جميع البلدان ، فانها تخاض من جانب فرنسا وانجلترا دفاعاً عن الشعوب الصغيرة ضد البرابرة ، الهون-الالمان ؛ وتخاض من جانب المانيا ضد البرابرة القوزاق الذين يهددون شعب المانيا المثقف ، ودفاعاً عن الوطن دون الاعداء المهاجمين .

ولكننا نعرف ان هذه الحرب قد جرى تحضيرها ونضوجها ، وانها كانت محتمة لا مناص منها ، لقد كانت محتمة مثلما الحرب بين اميركا واليابان محتمة . فيم تكمن هذه الحتمية ؟

في كون الرأسمالية قد ركزت ثروات الارض في ايدي بضع دول ، وقسمت الارض حتى آخر قطعة ؛ ان التقسيم اللاحق ، الاغناء اللاحق لا يمكن ان يجري الآن الا على حساب الآخرين ، في صالح دولة على حساب دولة اخرى . ولا يمكن حل هذه المسألة الا بالقوة على وجه الحصر ، – ولهذا غدت الحرب بين الضواري العالمية محتمة .

في طليعة الحرب الحالية ، سارت حتى الآن شركتان رئيسيتان هما انجلترا والمانيا . كانت انجلترا اقوى بلد استعماري . ورغم ان سكان انجلترا نفسها لا يربو على ٤٠ مليون نسمة ، – يربو عدد سكان مستعمراتها على ٤٠٠ مليون . وبموجب حق القوي استولت من زمان على مستعمرات الغير ، واستولت على رقعة شاسعة من الارض وانتفعت من استغلالها . ولكنها تأخرت عن المانيا اقتصادياً خلال السنوات الخمسين الاخيرة . وسبقت صناعة المانيا صناعة انجلترا . واتحدت رأسمالية الدولة الضخمة في المانيا مع البيروقراطية ، وضربت المانيا الرقم القياسي .

ولم يكن من الممكن حل الجدال بين هذين العملاقين على الاولية الا بالقوة .

اذا كانت انجلترا قد انتزعت فيما مضى ، بموجب حق القوي ، الاراضي من هولندا والبرتغال والخ . ، - فقد اطلت المانيا الآن على المسرح واعلنت انه آن دورها هي ايضاً للاستفادة على حساب الغير .

اليكم اين تكمن المسألة : في الصراع من اجل تقاسم العالم بين اقوى الاقوياء . وبما ان الجانبين يملكان الرساميل بمئات الملايين ، فان الصراع بينهما تحول الى صراع عالمي .

نحن نعرف كم من الجرائم السرية اقترفت في هذه الحرب . ولقد اثبتت المعاهدات السرية التي نشرناها ان الجمل التي تفسر خوض غمار الحرب بقيت مجرد كلمات ، وان جميع الدول ، شأنها شأن روسيا ، كانت مقيدة بمعاهدات قذرة للاستفادة على حساب الشعوب الصغيرة والضعيفة . واذا من كان قوياً ازداد غنى على غنى ، ومن كان ضعيفاً سحق سحقاً .

لا يجوز اتهام بعض الافراد بشن الحرب ؛ ومن الخطأ اتهام الملوك والقياصرة بشن المجزرة الحالية ، - فان الرأسمال هو الذي دبرها . ان الرأسمالية قد دخلت في مأزق . وهذا المأزق ليس سوى الامبريالية التي تفرض الحرب بين المتنافسين على العالم كله .

كان اعلان الحرب من اجل تحرير الشعوب الصغيرة كذبة كبيرة للغاية . فان الضاريين يقفان وجهاً لوجه ناظرين احدهما الى الآخر بشراسة ، وعلى مقربة منهما عدد لا يستهان به من الشعوب الصغيرة المسحوقة .

ونحن نقول : لا مخرج من المجزرة الامبريالية الا عن طريق الحرب الاهلية .

وعندما تحدثنا عن هذا في عام ١٩١٤ ، اجابونا ان هذا يشبه خطاً مستقيماً ممدوداً في الفراغ ، ولكن تحليلنا اكد صحته مجرى جميع الاحداث اللاحقة . وفي الوقت الحاضر نرى ان جنرالات

الشوفينية يبقون بدون جيوش . وفي فرنسا ، التي عانت من الحرب اكثر من غيرها ، والتي كان موقفها من شعار الدفاع عن الوطن اشد حساسية من موقف اي بلد آخر ، لان العدو وصل الى ابواب باريس ، — في هذا البلد مني الدفاعيون مؤخراً بالهزيمة ؛ صحيح ان الشوفينية قد منيت بالهزيمة على يد اناس متذبذبين مثل لونغه ، — ولكن هذا ليس هاماً جداً .

نحن نعرف ان السلطة في روسيا قد وقعت في الايام الاولى من الثورة في ايدي السادة الذين تشدقوا ولكنهم احتفظوا في جيوبهم بالمعاهدات القيصرية ذاتها . واذا كان تطور الاحزاب الى اليسار في روسيا قد جرى بمزيد من السرعة ، فان ما ساعد في ذلك انما هو ذلك النظام اللعين الذي كان قائماً قبل الثورة ، وكذلك ثورتنا في عام ١٩٠٥ .

اما في اوروبا حيث تسود رأسمالية ذكية وحريصة ، وحيث تملك تنظيماً قوياً ومتناسقاً ، فان التحرر من حمى التعصب القومي يجري بمزيد من البطء . ولكنه لا بد مع ذلك من ان نرى ان الحرب الامبريالية تموت ميتة طويلة ، معذّبة .

ويستفاد من انباء يمكن تماماً تصديقها ، ان الانحلال شمل الجيش الالماني ، وان الجيش الالماني انصرف الى المضاربات . ولا يمكن ان يكون الحال آخر . فعندما يبدأ الجندي المستيقظ يدرك انه يجرح ويقتل من اجل مصالح البرجوازية على وجه الحصر ، — فلا يمكن للانحلال ان لا يدب الى الجماهير ايضاً .

والجيش الفرنسي الذي صمد اطول من الجميع واثبت من الجميع ، قد بين هو ايضاً انه ليس براء من عملية الانحلال . كما ان محاكمة مالفي قد رفعت الستار كذلك عن الاحداث في فرنسا وافادت ان آلاف الجنود رفضوا الذهاب الى الجبهة (٤٩) .

وكل هذه بشائر نفس الاحداث التي جرت في روسيا ايضاً .

ولكن البلدان المتمدنة ستقدم لنا مشاهد عن الحرب الاهلية اقسى من التي قدمتها روسيا . وهذا ما تؤكده فنلنده ، البلد الاوفر ديموقراطية بين جميع البلدان الاخرى في اوروبا ، البلد الذي نالت فيه المرأة للمرة الاولى حق التصويت ، – فان هذا البلد قد نكل بوحشية وبلا شفقة ولا رحمة بالجنود الحمر (٥٠) ، ولكن الجنود الحمر لم يستسلموا بسهولة . ان هذا المشهد يبين اي مصير قاس ينتظر هذه البلدان المتمدنة .

وانتم ترون بانفسكم مبلغ خراقة اتهام البلاشفة بان انحلال الجيش الروسي هو من صنع ايديهم .

نحن نمثل فصيلة واحدة فقط سارت ابعد بقليل من سائر فصائل العمال ، وليس ذلك لانها افضل من الاخرى ، بل لان السياسة الغبية التي انتهجتها برجوازيتنا قد اتاحت للطبقة العاملة في روسيا ان تخلع بمزيد من السرعة نير البرجوازية عن كاهلها . والآن اذ نناضل من اجل النظام الاشتراكي في روسيا ، انما نناضل من اجل الاشتراكية في العالم اجمع . والآن لا يدور الحديث في جميع البلدان ، في جميع احتشادات العمال ، في جميع اجتماعات العمال ، الا عن البلاشفة ، ويعرفوننا ؛ انهم يعرفون اننا نقوم في الوقت الحاضر بقضية العالم اجمع ، وننفذ العمل من اجلهم .

وبعد الغاء ملكية الارض ، وتأميم المؤسسات والمصارف التي تنصرف في الوقت الحاضر الى تنظيم الصناعة ، نسمع الصيحات من جميع الجوانب زاعمة اننا نقترف طائفة من الاخطاء . اجل ، ولكن العمال يبنون الاشتراكية بانفسهم ؛ واياً كانت الاخطاء التي نقترفها ، فاننا نتعلم من هذه الممارسة ونمهد التربة لاجل فن القيام بالثورة بلا خطأ .

لهذا السبب نواجه مثل هذا الحقد المسعور ! لهذا السبب لا تضن الامبريالية الفرنسية برمي عشرات ومئات الملايين لاجل دعم

الثورة المضادة ، لان الثورة المضادة تحمل معها اعادة الديون الروسية الى فرنسا ، هذه الديون التي تقدر بالمليارات والتي رفض العمال والفلاحون تسديدها .

وفي الوقت الحاضر تتسلى الصحافة البرجوازية كلها بملء صفحاتها بالاكاذيب من نوع الكذبة القائلة ان مجلس مفوضي الشعب قد انتقل الى تولا ، وان الناس رأوه منذ عشرة ايام في كرونشتادت والخ . ، وان موسكو توشك ان تسقط ، وان السلطات السوفييتية قد فرّت .

ان البرجوازية جمعاء ، وجميع افراد آل رومانوف السابقين ، وجميع الرأسماليين والملاكين العقاريين يؤيدون التشيكوسلوفاكيين ، لانهم يربطون فتنة التشيكوسلوفاكيين باحتمال سقوط السلطة السوفييتية . وعن هذا يعرف الحلفاء ، وهم يشنون معركة من اكبر المعارك شأناً . لقد اعوزتهم نواة في روسيا ، وها هم قد حصلوا على هذه النواة بشخص التشيكوسلوفاكيين . ولهذا لا يجوز النظر الى فتنة التشيكوسلوفاكيين باستخفاف . فان هذه الفتنة قد استتبعت جملة من الانتفاضات المضادة للثورة ، وكانت جملة من فتن الكولاك والحرس الابيض قد ملأت الصفحات الاخيرة في تاريخنا الثوري .

ان وضع السلطة السوفييتية وضع خطير ، ولا يجوز اغماض العين عن هذا . ولكن اذا تطلعتهم حولكم ، فلا بد ان تمتلئ نفوسكم بالثقة في انتصارنا .

فان المانيا قد كابدت عدداً من الهزائم ، وليس سراً ان هذه الهزائم هي نتيجة «لخيانة» الجنود الالمان ؛ والجنود الفرنسيون رفضوا الذهاب الى الجبهة في اخطر اللحظات بسبب من اعتقال الرفيق اندريو ، فاضطرت الحكومة الى اخلاء سبيله لكي تدفع القوات الى القتال ، والخ ، والخ . .

لقد بذلنا الكثير من التضحيات . وان صلح بريست هو جرح خطير ، وقد انتظرنا نشوب الثورة في المانيا ، ولكن الثورة لم تكن قد نضجت بعد آنذاك . وهذا النضوج يجري الآن ، ولا ريب ان الثورة آتية ، ولا مناص منها . ولكن الغبي وحده هو الذي يمكنه ان يسأل متى ستنشب الثورة في الغرب . فالثورة لا يمكن حسابها سلفاً ، والثورة لا يمكن التنبؤ بها ، فهي تظهر من تلقاء ذاتها . وهي تتصاعد ولا بد لها ان تنفجر . فهل عرف احد قبل اسبوع من ثورة شباط (فبراير) انها ستنشب ؟ وعندما قاد الكاهن المجنون الشعب نحو القصر (٥١) ، هل خطر في بال احد ، يا ترى ، ان ثورة عام ١٩٠٥ ستنشب ؟ ولكن الثورة تنضج ولا بد لها ان تقع حتماً .

فينبغي لنا ان نحتفظ بالسلطة السوفييتية حتى بداية الثورة ، ويجب ان تكون اخطاؤنا بمثابة درس للبروليتاريا الغربية ، للاشتراكية العالمية . ان الخلاص ، لا خلاص الثورة الروسية وحسب ، بل ايضاً خلاص الثورة العالمية ، ليتم في الجبهة التشيكوسلوفاكية . لقد تلقينا معلومات تفيد ان ذلك الجيش الذي خانه الجنرالات الى ما لا نهاية ، الجيش الذي استحوذ عليه التعب الى ما لا نهاية ، هذا الجيش يبدأ ينتصر ما ان يصل رفاقنا ، الشيوعيون ، العمال ، يبدأ يضرب آيات من الحماسة الثورية في النضال ضد البرجوازية العالمية .

ونحن نؤمن بان النصر لنا ، وباننا بانتصارنا نذود عن الاشتراكية . (**هتاف عاصف .**)

صدر للمرة الاولى بنصه الكامل عام ١٩٢٦ في مجموعة مؤلفات ن . لينين (ف . اوليانوف) ، المجلد ٢٠ ، القسم الثاني

المجلد ٣٧ ، ص ص ٦٥ـ٧٠

خطاب في مؤتمر العاملات الاول لعامة روسيا
١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨

(**استقبلت المندوبات الرفيق لينين بتصفيـــق وهتاف داما طويلاً .**) ايتها الرفيقــات ، ان مؤتمر القسم النسائى من الجيش البروليتاري يتسم ، من بعض النواحي ، بأهمية كبيرة خاصة ، لانه كان من الاصعب على النساء في جميع البلدان مما على اي آخر ان يتحركن . ولا يمكن ان يقوم الانقلاب الاشتراكي اذا لم يشترك قسم هائل من النساء الكادحات بقسط كبير فيه .

ووضع المرأة في جميع البلدان المتمدنة ، وحتى في اكثرها تقدماً ، لعلى نحو بحيث انه ليس من العبث ينعتونها بالعبدة البيتية . وليست ثمة اية مساواة تامة في الحقــوق للنساء في اية دولــة رأسمالية ، وحتى في اوفر الجمهوريات حرية .

ومهمة الجمهورية السوفييتية ان تقضي في المقام الاول على جميع القيود التي تحد من حقوق النساء . ولقد قضت السلطـــة السوفييتية كلياً على مصدر القذارة البرجوازية ، والخنوع والذل ، اي على عملية الطلاق .

عما قريب ، يكون قد انقضى عام على وجود التشريع الحر تماماً بشأن الطلاق . ولقد اصدرنا مرسوماً الغى الفرق في الوضع بين الولد الشرعي والولد غير الشرعي ، والغى جملــة كاملــة من التضييقات السياسيــة ؛ وليس ثمة مكان تحققت فيه المساواة والحرية للنساء الكادحات بمثل هذا الكمال .

نحن نعرف ان كل ثقل القواعد البالية يقع على كاهل النساء من بنات الطبقة العاملة .

وللمرة الاولى في التاريخ ابطل قانوننا كل ما كان يجعل النساء محرومات من الحقوق . ولكن المسألة لا تنحصر في القانون . ان هذا القانون بشأن حرية الزواج التامة يطبق جيداً عندنا في المدن وفي الاماكن الصناعية ، بينما لا يزال في الريف حبراً على ورق في كثير جداً من الاحيان . فهناك لا يزال الزواج الكنسي يهيمن حتى الآن . والنساء مدينات بهذا لتأثير الكهنة ، والنضال ضد هذا الشر اصعب من النضال ضد التشريع القديم .

ان النضال ضد الاوهام الدينيـــة يتطلب اقصى الاحتراس ؛ وانهم ليتسببون بضرر فادح اولئك الذين يلجأون في هذا النضال الى اهانة المشاعر الدينية . يجب النضال عن طريق الدعاية ، عن طريق التثقيف . وبادخال الحدة في النضال ، قد نغضب الجمهور ؛ ان هذا النضال يعزز انقسام الجماهير حسب مبدأ الدين ، في حين ان قوتنا في الاتحاد . ان اعمق مصدر للاوهام الدينية ، انما هو الفقر والجهل ؛ وضد هذا الشر بالذات يجب علينا ان نناضل .

ان وضع المرأة قد بقي حتى الآن على نحو بحيث ينعتونـــــه بالوضع العبودي ؛ فالمرأة منهمكة بشؤونها البيتية ، ولا يمكن ان ينقذها من هذا الوضع غير الاشتراكية . وعندما ننتقـــل مـــن الاستثمارات الصغيرة الى الاستثمار المشترك والى حراثة الارض بصورة مشتركة ، عند ذاك فقط سيتحقق تحرر وانعتـــاق المرأة التام . ان هذه المهمة صعبة ، ولكن الآن ، اذ تتشكل لجان الفلاحين الفقراء ، يحل الوقت الذي تتوطد فيه الثورة الاشتراكية .

فالآن فقط ينتظم افقر قسم من السكان في الريف ، وفيها ، اي في منظمات الفلاحين الفقراء ، تكتسب الاشتراكية اساساً وطيداً .

من قبل ، غالباً ما كانت المدينة تصبح ثورية ، ومن بعدها كانت القرية تتحرك .

ان الانقلاب الحالي يرتكز على الريف ، وفي هذا اهميته وقوته . ومن تجربة جميع الحركات التحررية ، يتبين ان نجاح الثورة يتعلق بمبلغ اشتراك النساء فيها . والسلطة السوفييتية تفعل كل شيء لكي تقوم المرأة بصورة مستقلة بعملها الاشتراكي البروليتاري .

ان وضع السلطة السوفييتية صعب لان امبرياليي جميع البلدان يكرهون روسيا السوفييتية ويعتزمون شن الحرب عليها لانها اشعلت حريق الثورة في جملة كاملة من البلدان وخطت خطوات حازمة نحو الاشتراكية .

والآن ، اذ يريدون تحطيم روسيا الثورية ، اخذت الارض تحترق تحت اقدامهم هم بالذات . وانتن تعرفن ان الحركة الثورية تتنامى في المانيا ، وان العمال في الدانمارك يناضلون ضد الحكومة . والحركة الثورية تشتد في سويسرا وهولندا . والحركة الثورية في هذين البلدين الصغيرين لا تتسم بحد ذاتها باهمية ، ولكنها ذات دلالة خاصة لان الحرب لم تدر رحاها في هذين البلدين ولانه كان يقوم هناك النظام الديموقراطي «الحقوقي» القح . واذا كانت البلدان من هذا النوع تتحرك ، فان هذا يبعث الثقة بان الحركة الثورية تشمل العالم كله .

حتى الآن لم تستطع اي جمهورية ان تحرر المرأة . ولكن السلطة السوفييتية تساعدها . ان قضيتنا منيعة لا تقهر لان الطبقة العاملة التي لا تقهر تنهض في جميع البلدان . وهذه الحركة تعني نمو الثورة الاشتراكية التي لا تقهر . **(تصفيق متواصل . يتعالى نشيد «الاممية» .)**

نشر بتقرير صحفي في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ في «ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») ، العدد ٢٥٣

المجلد ٣٧ ، ص ص ١٨٥ ـ ١٨٧

اعترافات قيمة لبيتيريم سوروكين

نشرت «البرافدا» اليوم رسالة لبيتيريم سوروكين ، غاية في الطرافة والفائدة ، ومن المهم بخاصة لفت انتباه جميع الشيوعيين اليها . ففي هذه الرسالة التي نشرتها اولاً جريدة «ازفيستيا اللجنة التنفيذية في منطقة دفينسك الشمالية» ، يعلن بيتيريم سوروكين انسحابه من حزب الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين واستقالتـــه ، كنائب ، من الجمعية التأسيسية . امـا دوافع فتنحصر في كونـــه «يقلع تماماً عن السياسة» لأنه يشعر بعجزه عن وصف علاجـــات سياسية شافية ، لا للآخرين وحسب ، بل لنفسه ايضاً . وقد كتب بيتيريم سوروكين يقول : «ان السنة التي انصرمت منـــذ الثورة قادتني الى الحقيقة التالية : قد يخطئ رجال السياسة ، وقد تكون السياسة مفيدة اجتماعياً ، كما قد تكون ايضاً ضارة اجتماعياً ، بينا العمل في ميدان العلوم والتعليم العام مفيد دائماً ، ضروري دائمـــاً للشعب . . .» والرسالة موقعة كما يلي : «بيتيريـــم سوروكين ، الاستاذ المحاضر في جامعة بطرسبورغ ومعهد الامراض العقلية ، العضو السابق في الجمعية التأسيسية والعضو السابـــق في الحزب الاشتراكي-الثوري» .

ان هذه الرسالة تستحق الانتباه ، بوصفها اولاً «وثيقة انسانية» على درجة عالية من الاهمية والفائدة . فان الصدق والاستقامة اللذين يقرّ بهما سوروكين بخطأ سياسته ، هما بالفعل نادران جداً . ففي معظم الحالات تقريباً ، يحاول الساسة ، حين يتأكدون من عدم صواب خطهم ، ان يستروا انعطافهم ، ويطمسوه و«يلفقوا» دوافع متفاوتة البعد عن هذه المسألة ، الخ . . ان الاعتراف الصريح ، الصادق ، بالخطأ السياسي هو ، بحد ذاته ، عمل سياسي كبير . بيد ان بيتيريم سوروكين يخطئ حين يقول ان العمل في ميدان العلوم «مفيد دائماً» ، لأن الاخطاء تحدث في هذا الميدان كما في غيره . ففي المطبوعات الروسية ايضاً ، نجد امثلة على وجهات نظر رجعية ، في حقل الفلسفة مثلاً ، ينشرها باصرار اناس من المعروف انهم غير رجعيين . ومن جهة اخرى ، ان التصريح العلني الذي تدلي به شخصية بارزة ، اي تشغل منصباً سياسياً مسؤولاً ومعروفاً لدى الشعب كله ، حول اقلاعها عن السياسة ، **هو سياسة ايضاً** . ان الاقرار الصادق بخطأ سياسي هو دائماً على درجة قصوى من الفائدة السياسية بالنسبة للكثيرين من الناس ، حين يكون الخطأ خطأ أحزاب برمتها كان لها في زمنها تأثيرها في الجماهير .

ان رسالة بيتيريم سوروكين ترتدي اهمية سياسية هائلة في الوقت الراهن بالضبط . فهي تعطينا جميعاً «درساً» ينبغي لنا ان نمعن التفكير فيه ونستوعبه .

ان كل ماركسي يعرف منذ زمن بعيد الحقيقة التالية وهي ان البروليتاريا والبرجوازية وحدهما تمثلان القوتين **الحاسمتين** في كل مجتمع رأسمالي ، بينا جميع العناصر الاجتماعية التي تقوم بين هاتين الطبقتين والتي يمكن تسجيلها ، من الناحية الاقتصادية ، في خانة البرجوازية الصغيرة ، تتأرجح **حتماً** بين هاتين القوتين الحاسمتين .

ولكن البون شاسع بين الاقرار الشكلي بهذه الحقيقة وبين القدرة على استخلاص الاستنتاجات اللازمة منها في الظروف الواقعية المعقدة .

ان بيتيريم سوروكين يمثل تياراً اجتماعياً وسياسياً واسع الانتشار الى اقصى حد ، هو التيار المنشفي-الاشتراكي-الثوري . ان احداث الثورة الروسية ابتداء من شباط (فبراير) ١٩١٧ قد اثبتت بصورة جد مقنعة وجد واضحة ، ان هذا التيار تيار واحد ، وان الفرق بين المناشفة والاشتراكيين-الثوريين زهيد لا يؤبه له فيما يتعلق بموقفهم من النضال بين البرجوازية والبروليتاريا . فالمناشفة والاشتراكيون-الثوريون نوعان من الديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، ذلك هو المحتوى الاقتصادي لهذا التيار وميزته السياسية الاساسية . وتاريخ البلدان المتقدمة يعلّمنا باي تواتر يصطبغ هذا التيار في فتوته بالصبغة «الاشتراكية» .

ويوضع السؤال التالي : ما الذي ابعد ممثلي هذا التيار ، يا ترى ، عن البلاشفة والثورة البروليتارية ، بشدة خاصة ، منذ بضعة اشهر ، وما الذي يحفزهم اليوم على الانعطاف من العداء الى الحياد ؟ بديهي ان سبب الانعطاف هو ، اولاً ، افلاس الامبريالية الالمانية من جرّاء الثورة في المانيا (٥٢) وفي غيرها من البلدان ، وكذلك من جراء كشف القناع عن الامبريالية الانجلو-فرنسية ؛ وهو ، ثانياً ، افتضاح الاوهام الديموقراطية البرجوازية .

لنتوقف عند السبب الاول . ان الوطنية هي من أعمق المشاعر التي وطدتها قرون وقرون ، وآلاف السنين من الكيانات المنطوية على ذاتها . ومن المصاعب الكبرى التي واجهتها ثورتنا البروليتارية ، بل قد اقول من المصاعب الخارقة ، واقع اضطرارها الى المرور بمرحلة الخلاف الشديد جداً مع النزعة الوطنية ، بمرحلة صلح بريست . انها لمفهومة مشاعر المرارة والحقد والسخط الجامح

التي تسبب هذا الصلح ، وغني عن البيان اننا نحن الماركسيين لم يكن بوسعنا ان نتوقع الا من جانب الطليعة الواعية من البروليتاريا تفهّم الحقيقة التالية وهي اننا نبذل ويجب علينا ان نبذل اكبـــر التضحيات الوطنية في سبيل المصلحة العليا للثورة البروليتاريـــة العالمية . ان الايديولوجيين من غير الماركسيين ، وكذلك الجماهير الكادحة الغفيرة غير المنتمية الى البروليتاريا المتمرسة في مدرسة الاضرابات والنضالات الثورية الطويلة ، لم يكن لهم الينبوع الذي يستمدون منه الايمان الراسخ بان هذه الثورة في سبيل النضوج ، ولا الاخلاص المطلق لها . وفي افضل الحالات ، كان تكتيكنا يبدو لهم امراً خيالياً ، وظاهرة تعصب ، ومغامرة ، وتضحية بمصالح شعب من ملايين الانفس ، بابرز مصالحه الفعلية التي لا جدال فيها ، من اجل امل مجرد ، طوبوي ، او غير اكيد ، بما ينبغي ان يحدث في بلدان اخرى . والحال ، ان وضع البرجوازية الصغيرة الاقتصادي يجعلها اكثر وطنية اذا ما قورنت بالبرجوازية والبروليتاريا على السواء .

ولكن الامور جرت كما توقعنا نحن .

فان الامبريالية الالمانية ، التي كانت تبدو العدو الوحيد ، قد انهارت . والثورة الالمانية التي كانت تبدو «خليطـــاً بين الخيال والهزلة» (على حد تعبير معروف لبليخانوف) قد غدت امراً واقعاً . والامبريالية الانجلو-فرنسيـــة ، التي كانت تصورهـــا مخيلـــة الديموقراطيين البرجوازيين الصغار بمثابة صديق للديموقراطية ، ومدافع عن المظلومين ، قد ابرزت نفسها في الواقع وحشاً فرض على الجمهورية الالمانية وعلى شعوب النمسا شروطاً افظـــع من شروط بريست ، — وحشاً يستخدم قوات الجمهوريين «الاحرار» الفرنسيين والاميركيين بدور الدرك والجلادين وخانقي استقلال وحرية الامم الصغيرة والضعيفة . لقد كشف التاريـــخ العالمي القناع عن هذه الامبريالية بما اورده من حقائق ثابتة ، صريحة ، صارمـــة . لقد

بيّنت وقائع التاريخ العالمي للوطنيين الروس الذين أبوا ان يروا شيئاً غير المنافع المباشرة (والمفهومة على النمط القديم) لوطنهم ، ان تحويل ثورتنا الروسية الى ثورة اشتراكية لم يكن مغامرة ، بل ضرورة ، اذ **لم يكن ثمة** مخرج **آخر** : فان الامبريالية الانجلو-فرنسية والاميركية ستخنق **حتما** استقلال روسيا وحريتها **اذا** لم تحرز الثورة الاشتراكية العالمية والبلشفية العالمية الانتصار .

يقول مثل انجليزي : الوقائع عنيدة . والحال ، اننا شهدنا في الاشهر الاخيرة وقائع ترمز الى اكبر انعطافات التاريخ العالمي . ان هذه الوقائع تجبر الديموقراطيين البرجوازيين الصغار في روسيا ، رغم حقدهم على البلاشفة ، الذي غذاه تاريخ الصراع الحزبي الداخلي عندنا ، على الانتقال اولاً من العداء للبلشفية الى الحياد ، ثمّ الى تأييدها . فالظروف الموضوعية التي ابعدت عنا هؤلاء الديموقراطيين-الوطنيين بمثل هذه الشدة قد زالت اليوم . وقد ظهرت ظروف موضوعية عالمية **تجبرهم** على الانعطاف الى جانبنا . ولذا فان انعطاف بيتيريم سوروكين ليس البتة صدفة ، بل انه احدى ظاهرات الانعطاف المحتوم الذي تقوم به **طبقة بكليتها** ، الديموقراطية البرجوازية الصغيرة بكليتها . ومن لا يعرف كيف يحسب الحساب لهذا الواقع ويستفيد منه ، ليس بماركسي ، ليس باشتراكي حقيقي .

ثم ان الايمان بان «الديموقراطية» **بوجه عام** هي العلاج الذي يشفي كل الامراض وعدم ادراك كونها ديموقراطية **برجوازية** ، محدودة تاريخياً من حيث فائدتها وضرورتها ، ان هذا الايمان وعدم الادراك هذا قد استمرا عشرات السنين ، وحتى قروناً ، وظلا راسخين بخاصة في صفوف البرجوازية الصغيرة في جميع البلدان . اما البرجوازي الكبير ، فقد رأى الكثير من صروف الدهر ، وهو يعرف ان الجمهورية الديموقراطية ، شأنها شأن كل شكل آخر من اشكال الدولة في ظل

الرأسمالية ، ليست سوى آلة لقمع البروليتاريا . والبرجوازي الكبير **يعرف** ذلك بفضل تعارفه الوثيق مع الزعماء الحقيقيين واطلاعه التام على اهم النوابض (وبالتالي أشدها خفية عن العيون في اكثر الاحيان) **لكل** جهاز الدولة البرجوازي . ان البرجوازي الصغير ، نظراً لوضعه الاقتصادي ولكل ظروف معيشته ، هو اقل ادراكاً لهذه الحقيقة ، بل انه يعلل نفسه بالاوهام القائلة ان الجمهورية الديموقراطية هي عبارة عن «ديموقراطية خالصة» و«دولة شعبية حرة» وسلطة شعبية قائمة خارج الطبقات او فوقها ، وتعبير صرف عن ارادة الشعب بأسره ، وما شابه وهلمجراً . ان تمسك الديموقراطيين البرجوازيين الصغار الشديد بهذه الاوهام هو النتيجة المحتومة لابتعادهم عن النضالات الطبقية الحادة ، عن البورصة ، عن السياسة «الحقيقية» ؛ ومن المناقض اطلاقاً للماركسية ان نتوقع استئصال هذه الاوهام بواسطة الدعاية فقط وفي فترة وجيزة .

بيد ان التاريخ العالمي ينطلق اليوم بسرعة هائلة ويحطم كل ما هو مألوف وكل ما هو قديم بمطرقة ذات قوة هائلة وبازمات ذات شدة لا نظير لها بحيث لا تصمد امامها حتى اشد الاوهام رسوخاً . وكان من الطبيعي ومن المحتم ان يظهر لدى «الديموقراطي بوجه عام» الايمان الساذج بالجمعية التأسيسية والسعي الساذج الى معارضة «ديكتاتورية البروليتاريا» بـ«الديموقراطية الخالصة» . ولكن النكبات التي مني بها انصار الجمعية التأسيسية في ارخانجلسك وسامارا ، في سيبيريا والجنوب (٥٣) ، كان لا بدّ لها بالضرورة ان تقضي على اقوى الاوهام . فان الجمهورية الديموقراطية المثالية ، جمهورية ويلسون ، **قد تكشفت** في الواقع عن واحد من اشد اشكال الامبريالية ضراوة ، عن واحد من اشد اشكال اضطهاد وخنق الشعوب الضعيفة والصغيرة وقاحة وخزياً . كان «الديموقراطي» المتوسط بوجه عام ، المنشفي والاشتراكي-الثوري ، يقول في نفسه : «انه

الكثير علينا قيام دولة من طراز يُزعم انه الطراز الاعلى ، سلطة سوفييتية لا نعرف ما هي ! فيكفينا قيام جمهورية ديموقراطية عادية !» . ويقيناً ان «أملاً» كهذا كان من شأنه ان يكفي طوال عشرات السنين ، في مرحلة «عادية» هادئة نسبياً .

اما الآن ، فان سير الاحداث العالمية واقسى عبر التحالف بين جميع مَلَكيي روسيا والامبريالية الانجلو-فرنسية والاميركية تبين **بالفعل** ان الجمهورية الديموقراطية ليست غير **الجمهورية** الديموقراطية البرجوازية التي ولى زمانها من حيث المسائل التي تضعها الامبريالية في جدول اعمال التاريخ ؛ وانه ليس ثمة من مخرج **آخر** : **اما** ان تنتصر السلطة السوفييتية في جميع البلدان المتقدمة في العالم ، **واما** ان تنتصر الامبريالية الانجلو-اميركية ، الامبريالية الاشد اغراقاً في الرجعية ، الامبريالية الاشد ضراوة ووحشية ، والتي تخنق جميع الشعوب الصغيرة والضعيفة ، وتبعث الرجعية في العالم بأسره ، تلك الامبريالية التي تملكت ناصية استخدام شكل الجمهورية الديموقراطية .

اما هذا واما ذاك .

وليس من حل وسط . ولأمد قريب جداً ، كانوا يعتبرون وجهة النظر هذه تعصباً اعمى من جانب البلاشفة .

ولكن الامور جرت على هذا النحو بالضبط .

اذا كان بيتيريم سوروكين قد تخلى عن صفته كعضو في الجمعية التأسيسية ، فليس ذلك من فعل الصدفة ، انما يرمز هذا الى انعطاف من قبل طبقة بكاملها ، من قبل الديموقراطية البرجوازية الصغيرة بأسرها . ان الانشقاق في قلب هذه الديموقراطية لامر محتوم : فان قسماً منها سيقف الى جانبنا ، ويبقى قسم ثان على الحياد ، وينضم قسم ثالث عن وعي الى الكاديت-المَلَكيين الذين يبيعون روسيا من الرأسمال الانجلو-اميركي ويريدون خنق الثورة بواسطة الحراب

الاجنبية . أن حسبان الحساب لانعطاف الديموقراطية المنشفيـــة والاشتراكية-الثورية هذا من العداء للبلشفية الى الحياد اولاً ثم الى مساندة البلشفية ، والاستفادة من هذا الانعطاف ، انما هما مهمة من المهمات الملحة في الظرف الراهن .

ان كل شعار يوجهه الحزب الى الجماهير قابل لان يتجمـد ، ويتحجر ، ويبقى ساري المفعول بالنسبة لكثير من الناس حتى بعد تغير الاوضاع التي أملت ضرورة ذلك الشعار . هذا شرّ لا مناص منه ، وبدون التضلع بمكافحته والتغلب عليه يستحيـــل تأمين سياسة صحيحة للحزب . ان تلك المرحلة من ثورتنا البروليتارية التي اختلفت فيها بشدة خاصـــة مع الديموقراطيـــة المنشفيـــة والاشتراكية-الثورية ، قد كانت مرحلة ضرورية تاريخياً ؛ فقد كان من المستحيـــل الاستغنـــاء عن خوض نضـــال ضار ضد هؤلاء الديموقراطيين حين مالوا الى معسكر اخصامنـــا وعمدوا الى بعث الجمهورية الديموقراطية **البرجوازية والامبريالية** . ان شعارات هذا النضال اصبحت ، بمعظمها ، متجمدة ومتحجرة حاليـاً **فتحول** دون تحديد الوضع الجديد بدقة ودون الاستفادة منه خير استفادة ، حيث بدأ الانعطاف الجديد نحونا في قلب هذه الديموقراطية ؛ فهذا الانعطاف ليس بصدفي بل يمد جذوره في اعمق اعماق الوضع العالمي الراهن .

فلا يكفي ان ندعم هذا الانعطاف وان نرحب من صميم القلب بمن يتجهون نحونا . ينبغي على كل سياسي يعي مهماته ، ان يتعلم كيف **يحفز** هذا الانعطاف في مختلف الاوساط والفئات من الجماهير الواسعة للديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، اذا ما اقتنـــع بانه تتوفر لهذا الانعطاف بواعث تاريخية جدية وعميقـــة . ينبغي على البروليتاري الثوري ان يعرف ضد من ينبغي اللجوء الى القمع ، ومع من ينبغي عقد اتفاق ، ومتى وكيف . ومن السخف والخراقة ان نعدل عن اللجوء الى الارهاب والقمع ازاء الملاكين العقاريين والرأسماليين

واذنابهم الذين يبيعون روسيا من «الحلفاء» ، الامبرياليين الاجانب . ومن السخف والخراقة ان نسعى الى «اقناء»هم ، وبعامة ، الى «التأثير» فيهم «نفسانياً» . بيد انه من السخف والخراقة ايضاً ، – ان لم يكن اكثر ، – التمسك بتكتيك الارهاب والقمع وحده ازاء الديموقراطية البرجوازية الصغيرة ، حينما يحملها سير الاحداث على التحول نحونا .

والحال ، ان البروليتاريا تواجه هذه الديموقراطية في كل مكان . ففي الريف ، تتلخص مهمتنا في القضاء على الملاك العقاري وسحق مقاومة المستثمِر والكولاكي المضارب ؛ وفي غمرة هذا النضال ، لا نستطيع الاعتماد عن ثقة **الا** على انصاف البروليتاريين ، على «الفلاحين الفقراء» . ولكن الفلاح المتوسط ليس عدونا . لقد تردد ، وما يزال يتردد ، وسيظل يتردد : ولذا فان مهمة التأثير في المترددين **ليست مماثلة** لمهمة اسقاط المستثمِر والتغلب على العدو النشيط . ان معرفة التوصل الى التفاهم مع الفلاح المتوسط – دون الامتناع لحظة عن النضال ضد الكولاكي ، ومع الاعتماد بثقة على الفلاحين الفقراء وحدهم – تلك هي مهمة الساعة ، لان انعطاف الفلاح المتوسط نحونا امر لا مناص منه حالياً على وجه الدقة ، وذلك بحكم الاسباب المشار اليها اعلاه .

وهذا الكلام يصح ايضاً بالنسبة لصغار المنتجين المستقلين ، والحرفيين ، والعمال الذين هم اقرب الى البرجوازية الصغيرة من حيث اوضاعهم او الذين يحتفظون بالآراء البرجوازية الصغيرة الاكثر نموذجية وبالنسبة للكثير من المستخدمين ، والضباط ولا سيما المثقفين بوجه عام . ما من شك في انه كثيراً ما يلاحظ داخل حزبنا عدم المقدرة على استغلال انعطاف هذه العناصر ، وفي انه يمكن ويجب التغلب على عدم المقدرة هذا ، وتحويله الى مقدرة .

اننا نحظى الآن بتأييد راسخ بين الاغلبية الساحقة من

البروليتاريين النقابيين . ينبغي لنا ان نعرف كيف نجتذب الينا ونضم الى منظمة عامة ونخضع للطاعة البروليتارية العامة الفئات الاقل تميزاً بالصفة البروليتارية ، والاكثر تميزاً بالصفة البرجوازية الصغيرة من بين **الشغيلة** الذين ينعطفون نحونا . وفي هذا المضمار ، ليس الشعار الآن هو مكافحتهم ، بل اكتسابهم الى جانبنا ، ومعرفة ممارسة التأثير فيهم ، واقناع المترددين ، والاستفادة من الحياديين ، واستخدام تأثير البروليتاريا الجماهيري من اجل تثقيف الذين تخلصوا او بدأوا لأمد قريب يتخلصون من الاوهام المنتشرة بصدد «الجمعية التأسيسية» او من الاوهام «الديموقراطية-الوطنية» .

اننا نحظى الآن بتأييد راسخ كفاية بين الجماهير الكادحة . وقد أثبت ذلك المؤتمر السادس للسوفييتات بوضوح خاص . نحن لا نخشى المثقفين البرجوازيين ولن نخفف لحظة من حدة نضالنا ضد بعضهم ، ضد الذين غدوا من الحرس الابيض ومن المخربين العنيدين . ولكن الشعار الحالي يتلخص في معرفة استخدام انعطاف المثقفين نحونا . فما يزال ثمة كثير من ممثلي المثقفين البرجوازيين ممن «تزلفوا» الى السلطة السوفييتية : هؤلاء ينبغي لنا ان ننبذهم ، ان نضع مكانهم مثقفين كانوا بالامس القريب اعداءنا عن وعي واصبحوا حياديين اليوم فقط ، وتلك مهمة من اكبر المهمات في الظرف الراهن ، مهمة جميع القادة السوفييتيين المتصلين «بالمثقفين» ، مهمة جميع المحرضين والدعاة والمنظمين .

وغني عن البيان ان تحقيق الاتفاق مع الفلاح المتوسط ، او مع العامل المنشفي سابقاً ، او مع المثقف اوالمستخدم المخرّب سابقاً ، يتطلب المهارة ، كما هو حال اي عمل سياسي في وضع صعب يتغير بسرعة وشدة . والامر الجوهري ، ألا نكتفي بما لدينا من مهارة احرزناها من تجربتنا السابقة ، بل ان نمضي **من كل بد ابعد** من ذلك ، وان نحقق **من كل بد منجزات اكبر وان** ننتقل من

المهمات السهلة الى مهمات اكثر صعوبة . فبدون ذلك ، يستحيل اي تقدم عموماً ، ويستحيل ايضاً التقدم في بناء الاشتراكية .

منذ بضعة ايام ، زارني ممثلو مؤتمر مفوّضي تعاونيات التسليف . وقد عرضوا عليّ قراراً اتخذه مؤتمرهم **ضد دمج** مصرف تعاونيات التسليف في مصرف الجمهورية الشعبي . فقلت لهم اني من انصار الاتفاق مع الفلاح المتوسط ، واني اقدر سامي التقدير حتى بداية انعطاف التعاونيين من العداء الى الحياد ازاء البلاشفة ، ولكن اساس الاتفاق لا يوفره الا قبولهم بدمج مصرفهم الخاص بصورة تامة في مصرف الجمهورية الموحد . وبعد ذاك استعاض ممثلو المؤتمر عن قرارهم هذا بآخر وافق عليه مؤتمرهم ، وقد شطبوا منه كل ما كان وارداً ضد الدمج ، **ولكنهم** . . . **ولكنهم** تقدموا بمشروع «اتحاد تسليفي» **خاص** للتعاونيين لا يختلف في الواقع عن مصرفهم الخاص ! هذا مضحك . ان الكلمات المموهة لا يمكن لها بالطبع ان تطمئن او تغش غير الاغبياء . بيد ان «اخفاق» احدى هذه . . . «المحاولات» لن يزعزع سياستنا في شيء ؛ فازاء التعاونيين والفلاحين المتوسطين انتهجنا وسنظل ننتهج سياسة التفاهم قاطعين الطريق امام كل محاولة لتعديل **نهج** السلطة السوفييتية والبناء الاشتراكي السوفييتي .

ان تذبذبات الديموقراطيين البرجوازيين الصغار امر محتوم . لقد كان بعض الانتصارات التي احرزها التشيكوسلوفاكيون كافياً لكي يرتعب هؤلاء الديموقراطيون ، ولكي ينشروا الهلع والرعب ، ولكي ينتقلوا الى صف «المنتصرين» ، ويستعدوا لاستقبالهم بكل اكرام واجلال . وبديهي انه لا يجوز لنا ان ننسى لحظة ان بعض النجاحات الجزئية يحرزها ، مثلاً ، الحرس الابيض التابع للجنرال كراسنوف وللمتدخلين الانجلو-اميركان ، ستكون كافية اليوم ايضاً لكي تحدث تذبذبات في اتجاه آخر ، ولكي يشتد الذعر ، ويكثر

من امثلة نشر الذعر والاضطراب وحالات الخيانـــة والانتقال الى معسكر الامبرياليين ، وهكذا دواليك وهلمجراً .

هذا امر نعرفه ، ولن ننســاه ابداً . والاساس البروليتاري الصرف الذي ظفرنـا به للسلطة السوفييتية التي تحظى بتأييد انصاف البروليتاريين ، سيظل راسخاً الى الابد . ان جيشنا لن يرتجف ولن يتزعزع – هذا ما نعرفه بالتجربة . ولكن حين تسفر التحولات ذات الشأن التاريخي العالمي عن الانعطاف المحتوم نحونا لدى جماهير الديموقراطية اللاحزبية والمنشفيـــة والاشتراكيـــة۔ الثورية ، فانه من واجبنا ان نتعلم وسنتعلم كيف نستفيد من هذا الانعطاف ، كيف نسانده ، كيف نحفــزه في الاوساط والفئــات المعنية ، وكيف نبذل كل ما بامكاننا لكي نصل الى اتفاق مع هذه العناصر ، ونسهل بذلــك البناء الاشتراكي ، ونخفف من العبء الساحق الناجم عن الخراب والجهل وقلة المعرفة ، التي تؤخر انتصار الاشتراكية .

كتب في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبـر) ١٩١٨
نشر في ٢١ تشريــن الثاني ١٩١٨ في العدد ٢٥٢ من «البرافدا»

المجلد ٣٧ ،
ص‌ص ١٨٨ – ١٩٧

الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي

مقدمة

ان كراس كاوتسكي «ديكتاتورية البروليتاريـــا» الذي صدر مؤخراً في فيينا (Wien, 1918, Ignaz Brand ، الصفحة ٦٣) ، هو من اشد الامثلة سطوعاً على افلاس الاممية الثانيـــة ، الافلاس الكامل والمخزي الذي يتحدث عنه منذ زمن طويل جميع الاشتراكيين الشرفاء في جميع البلدان . ان مسألة الثورة البروليتارية ترد اليوم ، عملياً ، على بساط البحث في جملة كاملة من الدول . ولذا كان من الضرورة تحليل ما اقترفه كاوتسكي من سفسطات مرتـــدة وجحود كلي للماركسية .

ولكنه لا بد من الاشارة اولاً الى ان كاتب هذه الاسطر قد اضطر مراراً عديدة ، منذ بداية الحرب ، الى ذكر قطيعة كاوتسكي مع الماركسية . فمن ١٩١٤ الى ١٩١٦ ، ظهرت طائفة من المقالات بهذا الصدد في «سوسيال-ديموقراط» و«كومونيست» ، اللتين تصدران في الخارج . وقد جمعت هذه المقالات في مجلد واحد اصدره سوفييت بتروغراد : غ . زينوفييف ون . لينين : «ضد التيار» ، بتروغراد ، ١٩١٨ (٥٥٠ صفحة) . وفي كراس صـــدر في جينيف عام ١٩١٥ ، وترجم في العام نفسه الى الالمانيـــة والفرنسيـــة ، قلت بصدد «الكاوتسكية» ما يلي :

«ان كاوتسكي ، اكبر شخصية نافذة في الامية الثانية ، يعطي مثالاً فذاً نموذجياً ساطعاً على الطريقة التي يؤدي فيها الاعتراف الشفوي بالماركسية الى تحويلها بالفعل الى «ستروفية» او الى «برينتانية» (اي الى مذهب ليبيرالي-برجوازي يعترف بنضال البروليتاريا «الطبقي» غير الثوري ، الامر الذي عبّر عنه الكاتب الروسي ستروفه والاقتصادي الالماني برينتانو اسطع التعبير) . وعلى هذا نرى مثالاً آخر في بليخانوف . فبواسطة سفسطات خالصة ، يفرّغون الماركسية من روحها الحية ، الثورية ، ويقبلون **كل شيء** في الماركسية ، **باستثناء** وسائل النضال الثورية ونشرها وتحضيرها ، وتربية الجماهير بهذه الروح بالذات . وخلافاً لكل مبدأ ، «يوفّق» كاوتسكي بين الفكرة الاساسية في الاشتراكية-الشوفينية ، فكرة الدفاع عن الوطن في الحرب الراهنة ، وبين التنازل الديبلوماسي والمتباهي لليساريين ، كالامتناع عن التصويت بالموافقة على الاعتمادات والاعتراف الشفوي بالمعارضة الخ . . ان كاوتسكي الذي كتب في عام ١٩٠٩ كتاباً كاملاً عن دنو عهد من الثورات وعن ارتباط الحرب بالثورة ؛ كاوتسكي الذي وقع في عام ١٩١٢ على بيان بال (٥٤) حول الاستفادة ثورياً من الحرب الزاحفة ، يبذل قصارى جهده اليوم لتبرير الاشتراكية-الشوفينية وتمويهها بكل الطرق ، وهو ، مثل بليخانوف ، ينضم الى البرجوازية ليسخر من كل فكرة عن الثورة ، ومن كل اجراء يرمي الى نضال ثوري مباشر .

ان الطبقة العاملة لا تستطيع بلوغ هدفها الثوري العالمي اذا لم تناضل بلا هوادة ضد هذا الارتداد ، وهذه الميوعة ، وهذا الاستخذاء امام الانتهازية ، وهذا التحقير النظري للماركسية الذي لا مثيل له . ان الكاوتسكية ليست من فعل الصدفة ، انما هي النتاج الاجتماعي لتناقضات الامية الثانية ، والجمع بين الامانة

للماركسية قولاً والخضوع للانتهازية فعلاً» (غ . زينوفييف ون . لينين : «الاشتراكية والحرب» ، جينيف ، ١٩١٥ ، ص ١٣ - ١٤) .

ثم في كتاب آخر كتبته عام ١٩١٦ - «الامبريالية مرحلة جديدة في الرأسمالية» (صدر في بتروغراد عام ١٩١٧) - حللت بالتفصيل الخطأ النظري الذي اتصفت به جميع محاكمات كاوتسكي عن الامبريالية . واوردت التعريف الذي اعطاه كاوتسكي عن الامبريالية : «الامبريالية هي نتاج الرأسمالية الصناعية المتطورة جداً . وهي تتلخص بنزوع كل امة رأسمالية صناعية الى ان تلحق بنفسها او ان تستعبد اكثر ما يمكن من الاقطار **الزراعية** (حرف التشديد لكاوتسكي) بصرف النظر عن الامم التي تقطنها» . وبيّنت ان هذا التعريف خاطئ اطلاقاً ، وانه «مكيف» بشكل يخفي اعمق تناقضات الامبريالية ويؤول بالتالي الى مسالمة الانتهازية . واعطيت تعريفي الخاص عن الامبريالية : «فالامبريالية هي الرأسمالية عندما تبلغ من التطور درجة تكونت فيها سيطرة الاحتكارات والرأسمال المالي واكتسب فيها تصدير الرأسمال اهمية كبرى وابتدأ تقسيم العالم بين التروستات العالمية وانتهى تقسيم جميع اقطار الارض بين كبريات البلدان الرأسمالية» . وبينت ان نقد الامبريالية ، عند كاوتسكي ، ادنى حتى من نقدها البرجوازي ، المبتذل .

واخيراً ، في آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، اي قبل الثورة البروليتارية الروسية (٢٥ تشرين الاول - اكتوبر - حسب التقويم القديم - ٧ تشرين الثاني - نوفمبر - حسب التقويم الجديد - ١٩١٧) ، كتبت كراس «الدولة والثورة . تعاليم الماركسية حول الدولة ، ومهمات البروليتاريا في الثورة» وقد صدر هذا الكراس في مطلع عام ١٩١٨ في بتروغراد ؛ وفي الفصل السادس منه ، «ابتذال

الانتهازيين للماركسية» ، اوليت كاوتسكي انتباهاً خاصاً لكي اثبت انه شوه كلياً مذهب ماركس ، وانـــه كيّف هذا المذهب وفقـــاً للانتهازية ، وانه «ارتد فعلاً عن الثورة رغم اعترافه بها قولاً» .

ان الخطأ النظري الاساسي الذي اقترفه كاوتسكي في كراسه الذي يبحث موضوع ديكتاتورية البروليتاريا ، انما يقوم على وجه الدقة ، من حيث الجوهر ، في هذه التشويهات الانتهازيـــة لمذهب ماركس عن الدولة ، وقد سبق لي ان دحضتها بصورة مفصلة في كراسي «الدولة والثورة» .

هذه الملاحظات الاولية كان لا بد منها ، لانهـــا تبرهن اني اتهمت كاوتسكي جهاراً بانه سار في طريق الارتداد **قبل** ان يستلم البلاشفة زمام السلطة ، **بزمن طويل** ، ويدينهم كاوتسكي لهـــذا السبب بالذات .

كيف حوّل كاوتسكي ماركس الى ليبيرالي مبتذل

ان القضية الاساسية التي يعالجها كاوتسكي في كراسه هي قضية محتوى الثورة البروليتارية الجذري ، اي ديكتاتوريـــــة البروليتاريا . وتلك قضية على اعظم جانب من الاهمية بالنسبـــة لجميع البلدان ، ولا سيما بالنسبة للبلدان المتقدمة ، لا سيما بالنسبة للبلدان المتحاربة ، لا سيما في الوقت الحاضر . ويمكن القول دون مبالغة ان تلك هي القضية الرئيسيـــــة في كل النضال الطبقي البروليتاري . ولذا كان من المهم دراستها عن كثب .

ان كاوتسكي يضع القضية بمعنى ان «التضاد بين التيارين الاشتراكيين» (اي تيار البلاشفة وتيار غير البلاشفة) هو «التضاد بين طريقتين مختلفتين جذرياً : الطريقة **الديموقراطية** والطريقـــة **الديكتاتورية**» (ص ٣) .

ونلاحظ ، عرضاً ، ان كاوتسكي ، اذ يسمي غير البلاشفة الروس ، اي المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، بالاشتراكيين ، انما يستند الى **اسمهم** اي الى كلمة ، لا الى **المكان** الذي يشغلونه **فعلاً** في نضال البروليتاريا ضد البرجوازية . فيا لها من طريقة رائعة لفهم الماركسية وتطبيقها! ولكننا سنعود الى هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد.

اما الآن ، فلنبحث النقطة الرئيسية ، ونعني بها الاكتشاف الكبير الذي توصل اليه كاوتسكي حول «التضـاد الجذري» بين «الطريقتين الديموقراطية والديكتاتورية» . فهنا عقدة القضية . هنا جوهر كراس كاوتسكي كله . وهنا خلط نظري فظيع وارتداد مطلق عن الماركسية الى حد انه ينبغي لنا ان نقر بان كاوتسكي قد تجاوز برنشتين شوطاً بعيداً .

ان قضية ديكتاتورية البروليتاريا هي قضية موقف الدولة البروليتارية من الدولة البرجوازية ، قضية موقف الديموقراطية البروليتارية من الديموقراطية البرجوازية . وهذا واضح وضوح الشمس . ولكننا نرى كاوتسكي يصر بعناد على ادارة ظهره للقرن العشرين وادارة وجهه للقرن الثامن عشر ، شأنه شأن معلم مدرسة تسمّر على كتب التاريخ المدرسية ، ويلوك ويجتر ، بصورة مملة وللمرة المئة ، في جملة كاملة من المقاطع ، العفاشة القديمة حول موقف الديموقراطية البرجوازية من الحكم المطلق والقرون الوسطى !

وقد يحمل المرء ، حقاً ، على الظن انه يجتر ويحلم !

ان هذا يعني ان كاوتسكي لم يفهم شيئاً على الاطلاق من كنه الامور . ولا بدّ للمرء ان يبتسم لما يبذله كاوتسكي من جهود لكي يثبت ان ثمة من يدعون الى «ازدراء الديموقراطية» (ص ١١) ، الخ . . فالى هذه التوافه ، يضطر كاوتسكي لكي يطمس القضية ويشوشها ، لانه يطرح المسألة كليبيرالي ، اي انه يطرح مسألة الديموقراطية بوجه عام ، لا مسألة الديموقراطية **البرجوازية** ، بل

انه يتجنب هذا المفهـوم الدقيق ، الطبقي ، ويحاول التحدث عن الديموقراطية «ما قبل الاشتراكية» . ان صاحبنا كاوتسكي ، اشبه بطاحونة كلام ، قد ملأ ما يقرب من ثلث كراسه (٢٠ صفحة من اصل ٦٣) بثرثرة تطرب البرجوازيـة كثيراً ، لانهـا تزيّن وجـه الديموقراطية البرجوازية وتطمس قضية الثورة البروليتارية .

ومـع ذلك ، يحمل كراس كاوتسكي اسم «ديكتاتوريـة البروليتاريا» . ان تكون ديكتاتورية البروليتاريا هي **جوهر** مذهب ماركس ، الا ان الجميع يعرفون ذلك . ولذا **اضطر** كاوتسكي ، بعد كل هذه الثرثرة على هامش الموضوع ، الى الاستشهاد باقوال ماركس حول ديكتاتورية البروليتاريا .

اما **كيف** استشهد «الماركسي» كاوتسكي بأقوال ماركس ، فتلك اطرف المساخر ! الاحرى ان تسمعوا ما يقول :

«ان وجهة النظر هذه» (التي يقول كاوتسكي عنها انها ازدراء الديموقراطية) «ترتكز على كلمة واحدة لكارل ماركس» – هذا مـا نقرأه حرفياً في الصفحة ٢٠ . وهو يكرر قوله هذا في الصفحة ٦٠ ويبلغ به الامر حد القول ان (البلاشفة) «تذكروا في الوقت المناسب الكُليْمة (حرفياً !!des Wörtchens) «التي استعملها ماركس ذات مرة ، عام ١٨٧٥ ، في احدى رسائلـه ، حول ديكتاتوريـة البروليتاريا» .

اما هذه «الكُليْمة» التي استعملها ماركس ، فهي التالية :

«بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي ، تقع مرحلـة تحول المجتمع الرأسمالي تحولاً ثورياً الى المجتمـع الشيوعي . وتناسبها مرحلة انتقال سياسي لا يمكن ان تكون الدولة فيها سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا» (٥٥) .

اولاً ، ان القول عن هذا الرأي الشهير الذي اعطـاه ماركس والذي يوجز كل نظريته الثورية بانه «كلمة واحدة» او حتى «كليمة» ،

انما يعني الهزء بالماركسية ، والارتداد التام عنها . وينبغي الا ننسى ان كاوتسكي يعرف ماركس كله تقريباً عن ظهر قلب ، وان لديه في مكتبه او في رأسه ، اذا حكمنا على كتاباته ، جملة من الادراج وزع فيها بعناية كل ما كتبه ماركس ، لكي يتمكن من اللجوء بسهولة الى الاستشهادات . ولذا فان كاوتسكي **لا يمكن له الا يعرف** ان ماركس وانجلس ايضاً قد تحدثا **مراراً عدة** عن ديكتاتورية البروليتاريا ، سواء في رسائلهما او في مؤلفاتهما المطبوعة ، قبل الكومونة ولاسيما بعدها . كذلك ، ان كاوتسكي لا يمكن له الا يعرف ان صيغة «ديكتاتورية البروليتاريا» ليست سوى تعبير ، اقرب الى الواقع من الناحية التاريخية وادق من الناحية العلمية ، لمهمة البروليتاريا التالية : «تحطيم» آلة الدولة البرجوازية ، وهي المهمة التي تحدث عنها ماركس وانجلس على حد سواء من ١٨٥٢ الى ١٨٩١ ، اي **خلال اربعين سنة** ، بالاستناد الى تجربة ثورة ١٨٤٨ والى تجربة ثورة ١٨٧١ خاصة .

فكيف نفسر هذا التحريف الفظيع للماركسية من جانب كاوتسكي ، هذا الحافظ للماركسية ؟ اذا رأينا الى اساس هذه الظاهرة الفلسفي ، تبين لنا انها تقتصر على احلال الاختيارية والسفسطائية محل الديالكتيك . وقد برع كاوتسكي في هذا الباب . اما من الناحية العملية السياسية ، فان هذه الظاهرة تعني الاستخذاء امام الانتهازيين اي امام البرجوازية ، في آخر المطاف . ان كاوتسكي ، الذي يتقدم بسرعة متزايدة منذ بداية الحرب ، قد برع في فن ان يكون ماركسياً بالاقوال وخادماً ذليلاً للبرجوازية بالافعال .

واننا لنزداد اقتناعاً بهذا الحكم على كاوتسكي اذا ما تفحصنا الطريقة الفذة التي «فسر» بها «كليمة» ماركس حول ديكتاتورية البروليتاريا . اسمعوا :

« لقد اغفل ماركس ، مع الاسف ، ان يوضح بمزيد من التفصيل كيف يتصور هذه الديكتاتورية ...» (وانها لجملة كاذبة اطلاقاً خليقة بمرتد ، لان ماركس وانجلس قد اعطيا على وجه الضبط جملة من الايضاحات المفصلة تفصيلاً ، الا ان كاوتسكي ، هذا الحافظ للماركسية ، قد طرحها جانباً ، قصداً وعمداً .) «... ان كلمة ديكتاتورية تعني حرفياً الغاء الديموقراطية . ولكنه غني عن البيان ان هذه الكلمة تعني حرفياً ايضاً السلطة الشخصية التي يتمتع بها فرد واحد غير مقيد باي قانون . وهذه السلطة تختلف عن الاستبداد بمعنى انه لا يقصد بها مؤسسة حكومية دائمة بل تدبير متطرف موقت .

ان تعبير «ديكتاتورية البروليتاريا» ، وبالتالي ديكتاتورية طبقة واحدة ، لا ديكتاتورية فرد واحد ، يدل على ان ماركس لا يقصد هنا الديكتاتورية بمعنى الكلمة الحرفي .

فهو لا يقصد بهذا التعبير **شكل الحكم** بل **الحالة** التي ينبغي ان تظهر بالضرورة في كل مكان تستولي فيه البروليتاريا على السلطة السياسية . ومما يثبت ان ماركس لم يقصد هنا شكل الحكم هو ، على الاقل ، انه يعتبر الاستبداد بمعنى انه لا يقصد بها مؤسسة حكومية دائمة بل تدبير متطرف الديموقراطية » (ص ٢٠) .

لقد اوردنا قصداً وعمداً هذه المحاكمة بكليتها لكي يتمكن القارئ من تكوين فكرة واضحة عن الاساليب التي يلجأ اليها «النظري» كاوتسكي .

لقد شاء كاوتسكي ان يبدأ بحث المسألة بتعريف لـ«**كلمة**» ديكتاتورية .

حسن جداً ! فانه لحق مقدس لكل امرئ ان يبدأ بحث المسألة كما يريد . الا انه ينبغي فقط التمييز بين الطريقة الجدية والشريفة والطريقة غير الشريفة . فمن يبدأ بحث المسألة على هذا النحو ويقصد ان يعالجها بصورة جدية ، ترتب عليه ان يعطي **تعريفه الخاص** لهذه «الكلمة» . واذ ذاك ، توضع القضية بشكل

جلي صريح . ولكن كاوتسكي لا يتقيد بهذا الشرط . فقــد كتب يقول : «ان كلمة ديكتاتورية تعني حرفياً الغاء الديموقراطية» .

اولاً ، ليس هذا بتعريف . فان كان يطيب لكاوتسكي التهرب من تعريف مفهوم الديكتاتورية ، فلماذا اختار هذه الطريقة في بحث المسألة ؟

ثانياً ، هذا خطأ فاضح . طبيعي ان يتحــدث الليبيرالي عن «الديموقراطية» بوجه عام . اما الماركسي ، فلن ينسى ابداً ان يطرح السؤال التالي : «في مصلحـــــة اية طبقة ؟» . فكل امرئ يعرف ، مثلاً ، – وكذلك «المؤرخ» كاوتسكي ، – ان انتفاضات الارقاء في الاعصر القديمة ، وحتى هيجاناتهم الكبرى ، كانت تكشف فوراً جوهر الدولة القديمة ، الذي هو **ديكتاتورية مالكي الارقاء** . ولكن ، هل كانت هذه الديكتاتورية تقضي على الديموقراطية **بين** مالكي الارقاء ، في **مصلحتهم** ؟ الجميع يعرفون ان كلا .

وهكذا جاء «الماركسي» كاوتسكي بفكرة خرقاء فظيعة تغاير الحقيقة والواقع لانه «**نسي**» نضال الطبقات . . .

ولكي نجعل من صيغــة كاوتسكي الليبيرالية الكاذبة صيغة ماركسية تنطبق على الحقيقة ، ينبغي ان نقول : ان الديكتاتورية لا تعني بالضرورة الغاء الديموقراطية بالنسبة للطبقة التي تمارس هذه الديكتاتوريـــــة على الطبقـــات الاخرى ، بل تعني بالضرورة الغاء الديموقراطية (او الحد منها بشكل ملحوظ ، وهو كذلك شكل من اشكال الالغاء) بالنسبة للطبقة التي تمارس الديكتاتورية ازاءها او ضدها .

ومهما تكن هذه الصيغـــــة صحيحـــــة ، الا انها لا تعرّف الديكتاتورية .

لنر الآن الى جملة كاوتسكي التالية :

«... ولكنه غني عن البيان ان هذه الكلمة تعني حرفياً ايضاً السلطة الشخصية التي يتمتع بها فرد واحد غير مقيد باي قانون ...»

هنا وقع كاوتسكي على فكرة **واحدة** صحيحة (ونعني بها الفكرة القائلة ان الديكتاتورية هي سلطة غير مقيدة بأي قانون) ولكنه وقع عليها دون قصد منه ، ككليب اعمى يشتم ويفتش ، كيفما اتفق ، هنا وهناك ، ولكنه **مع ذلك لم يعط** تعريفاً للديكتاتورية ، وجاء ، فوق ذلك ، بفكرة تناقض الحقيقة التاريخية تناقضاً جلياً ، وهي ان الديكتاتورية سلطة فرد واحد . بل ان هذه الفكرة خاطئة ايضاً من حيث اشتقاق الكلمة ، اذ قد تمارس الديكتاتورية ايضاً كتلة من الناس ، او طغمة ، او طبقة ، الخ . .

ثم يوضح كاوتسكي الفرق بين الديكتاتورية والاستبداد ، ولكننا لن نتوقف عند ايضاحه هذا ، رغم خطئه البيّن ، لانه لا يمت باية صلة للمسألة التي تهمنا . واننا لنعرف ميل كاوتسكي الى الانصراف عن القرن العشرين ومواجهة القرن الثامن عشر ، والى الانصراف عن القرن الثامن عشر ومواجهة التاريخ القديم ، واننا نأمل ان تأخذ البروليتاريا الالمانية هذا الميل بعين الاعتبار بعد ظفرها بالديكتاتورية ، وتعين ، مثلاً ، كاوتسكي استاذا للتاريخ القديم في احدى المدارس الثانوية . ان التملص من تعريف ديكتاتورية البروليتاريا ، بالتفلسف حول الاستبداد ، يدل على امرين : اما على غباوة قصوى واما على مكر اخرق جداً .

والنتيجة هي ان كاوتسكي سعى الى التحدث عن الديكتاتورية ، ولكنه جاء بكثير من الاكاذيب البينة ، ولم يعط اي تعريف ! ولو انه عاد الى ذاكرته يستشيرها بدلاً من ان يركن الى كفاءاته الفكرية ، لاستطاع ان يستخرج من «ادراجه» جميع المواضع التي يتحدث فيها ماركس عن الديكتاتورية ، ولتوصل بلا ريب اما الى التحديد التالي واما الى تحديد آخر يوازيه من حيث الاساس :

ان الديكتاتورية سلطة تعتمد مباشرة على العنف ولا يحدُّها قانون .

ان الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا هي سلطة تظفر بها البروليتاريا وتحتفظ بها بالعنف على البرجوازية ، سلطة لا يحدُّها قانون .

وهذه الحقيقة البسيطة ، الواضحة وضوح النهار بنظر كل عامل واع (بوصفه يمثل الجماهير ، لا الفئات العليا من هؤلاء الاوباش الضيقي الافق الذين اشتراهم الرأسماليون ، ونعني بهم الاشتراكيين-الامبرياليين في كل البلدان) ، هذه الحقيقة البديهية بنظر كل ممثل للمستثمَرين الذين يناضلون في سبيل تحررهم ، والثابتة ولا جدال فيها بنظر كل ماركسي ، هذه الحقيقة ينبغي لنا «انتزاعها انتزاعاً» من العالم العلامة السيد كاوتسكي ! فما هو سبب الظاهرة ؟ سببها روح الذل الذي تشبع به زعماء الاممية الثانية وتحولهم الى وشاة حقيرين في خدمة البرجوازية .

اولاً ، ان كاوتسكي يغش حين يؤكد هذا اللغو الواضح وهو ان كلمة ديكتاتورية تعني حرفياً ديكتاتورية فرد واحد ؛ ثم ان كاوتسكي ،- بالاستناد الى هذا الغش !- يعلن ان تعبير «ديكتاتورية طبقة» الوارد عند ماركس **ليس** له «بالتالي» معناه الحرفي (بل معنى لا تعني الديكتاتورية بموجبه العنف الثوري ، بل الظفر «السلمي» بالاكثرية في ظل «الديموقراطية» البرجوازية ،- وارجو ان تلاحظوا ذلك جيداً) .

فمن المهم ، كما ترون ، ان نميز بين «الحالة» و«شكل الحكم» . فيا له من تمييز عميق غريب ، كأن نميز بين «حالة» غباوة انسان يحاكم دون ذكاء ولا فكر و«شكل» غباواته !

ان كاوتسكي **بحاجة** الى اظهار الديكتاتورية بانها «حالة سيادة» (هذا هو التعبير الحرفي الذي يستعمله في الصفحة التالية ، الصفحة

٢١) ،لانه اذ ذاك **يزول العنف الثوري** ، تزول **الثورة العنيفة** . فان «حالة السيادة» هي الحالة التي تجد فيها نفسهـــا اية اغلبية في ظل . . . «الديموقراطية» ! وبفضـــل هذا الغش وهذه الشعوذة ، **تزول الثورة** بكل بساطة !

ولكن الغش بارز جداً للعيان ، ولن يجدي كاوتسكي نفعاً . اما ان الديكتاتورية تفترض وتعني هذه «الحالة» من **العنف الثوري** — الذي يكرهه المرتدون اشد الكره — تمارسه طبقة ضد اخرى ، فتلك حقيقة «تفقأ العين» . ولذا يبدو بكل وضوح ما هو عليه التمييز بين «الحالة» و«شكل الحكم» من خراقة وسخافة . وانه لمن الغباوة المثلثة ان يتناول الحديث هنا شكل الحكـم ، ذلك ان اول صبي تراه يعرف ان الملكية والجمهورية هما شكلان مختلفان للحكـــم . وكأننا بحاجة حقاً ان نثبت للسيد كاوتسكي ان هذين الشكلين **كليهما** للحكم ، شأنهما شأن جميع «اشكال الحكم» الانتقالية في ظل النظام الرأسمالي ، ليسا سوى مظهرين متنوعين من مظاهر **الدولة البرجوازية** اي من مظاهر **ديكتاتورية البرجوازية** .

واخيراً ، يعني الحديث عن اشكال الحكـــم تزييف ماركس تزييفاً غبياً ، ناهيك عن فظاظته ، لان ماركس يتحدث هنـــا بكل وضوح عن شكل او نموذج **الدولة** ، لا عن شكل الحكم .

ان الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم آلة الدولة البرجوازية بالعنف والاستعاضة عنها بآلة **جديدة** «لا تبقى» ، حسب انجلس ، «دولة بمعنى الكلمة الخاص» (٥٦) .

وكل ذلك يحتاج كاوتسكي الى طمسه ، وتشويهه ، اذ هكذا يقتضي منه موقفه كمرتد .

واليكم الى اية حيل حقيرة يلجأ .

الحيلة الاولى . « . . . ومما يثبت ان ماركس لم يقصد هنا شكل الحكم ، هو انه يعتبر ان الانتقال في انجلترا واميركا يمكن ان يتم بصورة سلمية ، اي عن الطريق الديموقراطية . . .»

ان **شكل الحكم** لا علاقة له اطلاقاً بهذا الصدد ، اذ ثمة ملكيات لا تتصف بصفات **الدولة** البرجوازية ، كالملكيات التي تمتاز ، مثلاً ، بانعدام العسكرية ؛ واذ ثمة جمهوريات تتسم بكل مميزاتها ، ومنها مثلاً العسكرية والبيروقراطية . وهذا واقع تاريخي وسياسي يعرفه الجميع ، ولن يتمكن كاوتسكي من تزييفه .

ولو شاء كاوتسكي ان يحاكم بصورة جدية شريفة ، لتساءل فيما اذا كانت ثمة قوانين تاريخية تتعلــق بالثورة ولا تعرف استثناء ؟ ولكان جوابـه على تساؤلـه : كلا ، لا وجود لمثل هذه القوانين . فان هذه القوانين لا تقصد الا ما هو نموذجي ، وهو ما وصفه ماركس ، ذات يوم ، بانه «مثالي» ، بمعنى الرأسماليــة المتوسطة العادية ، النموذجية .

ثم ، هل كان ثمة في سنوات العقد الثامن شيء ما يجعل من انجلترا واميركا استثناء **بهذا الصدد المعني** ؟ انه لمن البديهي بنظر اي امرئ مطلع ، ولو بعض الشيء ، على مقتضيات العلم في ميدان القضايا التاريخية ، انه ينبغي طرح هذا السؤال . وعدم طرحه يعني تزييف العلم ، والتلاعب بالمغالطات . ولكن ، متى طرح هذا السؤال ، لم يبق اي سبيل للشك في الجواب : ان الديكتاتورية الثوريــة للبروليتاريا انما هي **العنف** ضد البرجوازية ؛ وهذا العنف يتطلبه **بخاصة** ، كما اوضح ماركس وانجلس مراراً عدة وبأوسع ما يكون من التفاصيل (ومنها خاصة في كتاب «الحرب الاهلية في فرنسا» وفي مقدمة هذا الكتاب) وجود **العسكرية والدواوينية** . والحال ، ان هاتين المؤسستين على وجــه الضبط ، **لم تكونا موجودتين** ، في انجلترا واميركا على وجه الضبط وفي سنوات العقد الثامن من القرن التاسع عشر على وجه الضبط، وهي المرحلة التي ابدى فيها ماركس ملاحظته! (ولكنهما **موجودتان** الآن في انجلترا وفي اميركا على السواء) .

وهكذا فان كاوتسكي ، سعياً منه الى تغطية ارتداده ، يضطر الى الغش لدى كل خطوة يخطوها !

ثم لاحظوا كيف كشف عن وجهه دون قصد منه : فقد كتب قائلاً : «بصورة سلمية ، **اي عن الطريق الديموقراطية**» ! !

ان كاوتسكي ، في تعريفه للديكتاتورية ، قد سعى بكل طاقته لكي يخفي عن القارئ سمة هذا المفهوم الجوهرية ، واعني بها **العنف** الثوري . وهكذا تجلت الحقيقة الآن : فالمقصود هو التضاد بين **الانقلاب السلمي والانقلاب العنيف** .

هنا بيت القصيد . فالحيل والمغالطات ومحاولات التزييف والغش ، كل ذلك يحتاج اليه كاوتسكي لكي **يطمس** الثورة **العنيفة** ، لكي يستر ارتداده عنها ، ويخفي انتقاله الى صف السياسة العمالية **الليبيرالية** ، اي الى صف البرجوازية . هنا بيت القصيد .

ان «المؤرخ» كاوتسكي يزوّر التاريخ بكثير من الصفاقة الى حد انه «ينسى» الامر الجوهري ، وهو ان الرأسمالية قبل الاحتكار — التي بلغت ذروتها في سنوات العقد الثامن من القرن التاسع عشر على وجه الضبط — كانت تمتاز بحب السلام وحب الحرية ، باكبر قدر نسبياً ، وذلك بسبب من خصائصها **الاقتصادية** الاساسية التي كانت نموذجية على الاخص في انجلترا واميركا . اما الامبريالية ، اي الرأسمالية الاحتكارية التي لم تبلغ حد النضوج الا في القرن العشرين ، فانها تمتاز ، بسبب من خصائصها **الاقتصادية** الاساسية ، بالحد الادنى من حب السلام وحب الحرية ، وبالحد الاقصى والاعم من تطور العسكرية . فاذا «لم يلاحظ» المرء هذا الامر ، عندما يحاول ان يعرف الى اية درجة يكون الانقلاب السلمي او العنيف نموذجياً ام محتملاً ، هبط الى مستوى اكثر خدم البرجوازية ابتذالاً .

الحيلة الثانيــة . كانت كومونــة باريس ديكتاتوريــة البروليتاريا ، ولكنها انتخبت بالاقتراع **العام** ، اي دون حرمــان البرجوازية من حقوقها الانتخابية ، اي «**بصورة ديموقراطية**» . واذا كاوتسكي يهلل : «... لقد كانت ديكتاتورية البروليتاريــا بنظر ماركس» (او : حسب ماركس) «حالة تنجم بالضرورة من الديموقراطية الخالصة التــي تشكــل فيهــا البروليتاريــا الاغلبيــة» (bei überwiegendem Proletariat, S. 21).

ان هذه الذريعة التي يدلي بها كاوتسكي طريفة ومضحكة الى حد ان المــرء يشعــر فعلاً بـ embarras de richesses (بارتبــاك لكثرة ... الاعتراضات) حقيقي . فمن المعروف ، اولاً ، ان زبدة البرجوازية وهيئة اركانها وقمتها قد فرّت من باريس الى فرساي . وفي فرساي ، كان «الاشتراكي» لويس بلان ، مما يثبت مرة اخرى كذب مزاعم كاوتسكي حين قال ان «جميع تيارات» الاشتراكية قد اشتركت في الكومونة . أليس من المضحك ان يقال عن انقسام سكان باريس الى معسكرين متحاربين احدهمــا يضم كل البرجوازيــة المناضلة والنشيطة سياسياً ، انه «الديموقراطية الخالصة» مقرونة «بالاقتراع العام» ؟

ثانياً ، كانت الكومونة تناضل ضد فرساي ، بوصفها الحكومة العمالية **لفرنسا** ضد الحكومة البرجوازية . فما شأن «الديموقراطية الخالصة» و«الاقتراع العام» هنا ، اذا كانت باريس هي التي تقرر مصير فرنسا ؟ وعندما اعتبر ماركس ان الكومونة قد اخطأت في عدم الاستيلاء على بنك فرنسا ، الذي كان يخص البلاد بأسرها ، اتراه استوحى مبادئ «الديموقراطية الخالصة» وتطبيقها العملي ؟ ؟

وهكذا ، في الحقيقة ، نرى ان كاوتسكي يكتب في بلاد يمنع البوليس فيها الناس من الضحك «بالجملــة» ، والا لكان قتلــه الضحك .

وثالثاً ، اسمح لنفسي بان اعيد بكل احترام على مسامع السيد كاوتسكي ، الذي يعرف ماركس وانجلس عن ظهر قلب ، ما يقوله انجلس بصدد الكومونة من وجهة نظر . . . «الديموقراطية الخالصة» :

«هل رأى هؤلاء السادة» (اعداء السلطة) «ثورة في يوم ما ؟ ان الثورة هي دون شك سلطة ما بعدها سلطة ؛ الثورة هي عمل يفرض به قسم من السكان ارادته على القسم الآخر بالسلاح ، بالحراب ، بالمدافع ، اي بوسائل لا يعلو سلطانها سلطان . ويتأتى على الحزب الغالب بالضرورة ان يحافظ على سيادته عن طريق الخوف الذي توحيه اسلحته للرجعيين . فلو لم تستند كومونة باريس الى سلطان الشعب المسلح ضد البرجوازية فهل كان بامكانها ان تصمد اكثر من يوم واحد ؟ وهلا يحق لنا ان نلومها ، بالعكس ، لانها لم تلجأ لهذا السلطان الا قليلاً جداً ؟» (٥٧) .

هذه هي ، اذن ، «الديموقراطية الخالصة» ! فاي تهكم كان سلطه انجلس على التافه الضيق الافق ، «الاشتراكي-الديموقراطي» (بالمعنى الفرنسي في سنوات العقد الخامس او بالمعنى الاوروبي العام في سنوات ١٩١٤ – ١٩١٨) الذي يتنطح الى التحدث بوجه عام عن «الديموقراطية الخالصة» في مجتمع منقسم الى طبقات !

ولكن ، يكفي بهذا الصدد . فان تعداد جميع السخافات والغباوات التي تفضل بها كاوتسكي امر مستحيل ، اذ ان كلاً من جمله هاوية من الارتداد والجحود لا نهاية لها .

لقد حلل ماركس وانجلس كومونة باريس تحليلاً عميقاً ، فبينا ان مأثرتها تتقوم في انها حاولت ان **تحطم وتهدم** «آلة الدولة الجاهزة» (٥٨) . وقد كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الاهمية بنظرهما حتى انها كانت التعديل **الوحيد** الذي ادخلاه ، عام ١٨٧٢ ، على البرنامج الذي اورداه في «البيان الشيوعي» والذي كان قد

«شاخ» (من بعض النواحي) (٥٩) . كذلك بين ماركس وانجلس ان الكومونة كانت تلغي الجيش والدواوينية ، وتقضي على **البرلمانية** ، وتحطم «هذه الزائدة الطفيلية التي اسمها الدولة» ، الخ . ، ولكن الحكيم العلامة كاوتسكي يردد ، لابساً قبعة النوم ، ما رواه الف مرة الاساتذة الليبراليون من حكايات وقصص حول «الديموقراطيـــة الخالصة» .

ولقد كانت روزا لوكسمبورغ على حق حين قالت في ٤ آب (اغسطس) ١٩١٤ ان الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية غدت **جيفة نتنة** .

الحيلة الثالثة . «اذا قلنا عن الديكتاتورية انها شكل من اشكال الحكم ، فليس بوسعنا ان نقول بديكتاتورية طبقة من الطبقات . اذ ان الطبقة ، كما سبق وبينا ، لا تستطيع سوى ان تبسط سيادتها ولكنها لا تستطيع ان تحكم» . . . فان «المنظمات» او «الاحزاب» هي التي تحكم .

انك تشوّش الامور ، تشوشها بشكل قبيــــح ، يا حضرة «المستشار في شؤون التشويش» ! فالديكتاتوريــة ليست «شكلاً من اشكال الحكم» ، فان مثل هذا الزعم مضحك للغاية ! ان ماركس ايضاً لا يتحدث عن «شكل الحكم» ، بل عن شكل او نموذج **الدولة** . وليس هذان بالشيء نفسه اطلاقاً ، اجل اطلاقاً . كذلك من الخطأ اطلاقاً القول ان **الطبقة** لا تستطيع ان تحكم : فان مثل هذه الغباوة لا يمكن ان تصدر الا عن «برلماني ابله» لا يرى شيئاً غير البرلمان البرجوازي ولا يلاحظ شيئاً غير «الاحزاب الحاكمة» . فان اي بلد في اوروبا يقدّم لكاوتسكي امثلة عن حكم تمارسه **طبقة** سائدة ، كطبقـــة الملاكين العقاريين في القرون الوسطى رغـــم النقص في تنظيمهم .

لنوجز . لقد شوه كاوتسكي بطريقة لم يسمع بها من قبـــل مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، اذ جعل من ماركس ليبيراليـــاً

سطحياً ، مبتذلاً ، وهذا يعني ان كاوتسكي قد هبط بنفسه حتى مستوى الليبيرالي الذي يتشدق بجمل مبتذلة وسطحية حول «الديموقراطية الخالصة» فيطمس محتوى الديموقراطية **البرجوازية** الطبقي ويزينه ، ويخشى اكثر ما يخشى **العنف الثوري** من جانب الطبقة المضطهَدة ، المظلومة . ولقد ضرب كاوتسكي الرقم القياسي العالمي في التحريف الليبيرالي لماركس وذلك حين «فسّر» مفهوم «الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا» بطريقة ازالت منه العنف الثوري الذي تمارسه الطبقة المضطهَدة المظلومة ضد المضطهِدين الظالمين . وهكذا لم يعد المرتد برنشتين يبدو الى جانب المرتد كاوتسكي الا كليباً صغيراً .

الديموقراطية البرجوازية والديموقراطية البروليتارية

ان القضية التي شوشها كاوتسكي بهذا الشكل المقيت تبدو ، في الواقع ، على النحو التالي .

من الواضح انه ، طالما هناك **طبقات** متمايزة ، – وطالما لم نسخر من الحس السليم والتاريخ ، – لا يمكن التحدث عن «الديموقراطية الخالصة» ، بل عن الديموقراطية **الطبقية** فقط . (ونقول بين هلالين ان «الديموقراطية الخالصة» ليست فقط صيغة **جاهلة** تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات ولجوهر الدولة على حد سواء ، بل هي ايضاً صيغة جوفاء ولا اجوف ، لان الديموقراطية **ستضمحل** ، اذ تتطور في المجتمع الشيوعي وتتحول الى عادة ، ولكنها لن تصبح ابداً ديموقراطية «خالصة» .)

ان «الديموقراطية الخالصة» ليست سوى تعبير كاذب لليبيرالي يخدع العمال . ان التاريخ يعرف الديموقراطية

البرجوازية التي تحل محل النظام الاقطاعي ، والديموقراطية البروليتارية التي تحل محل الديموقراطية البرجوازية .

وحين يخصص كاوتسكي عشرات الصفحات او يكاد «لاثبات» هذه الحقيقة وهي ان الديموقراطية البرجوازية خطوة الى الامام بالنسبة للقرون الوسطى وانه لا بد للبروليتاريا من استخدامها في نضالها ضد البرجوازية ، فليست محاولته هذه الا ثرثرة ليبيرالية تخدع العمال .وهي من باب تحصيل الحاصل ، لا في المانيا المتعلمة وحسب ، بل ايضاً في روسيا غير المتعلمة . ان كاوتسكي لا يفعل غير ان يذر رماد «العلم» في عيون العمال ، ويتجلبب بجلباب الوقار والرصانة حين يتحدث عن فيتلينغ ، وجزويت الباراغواي ، وعن كثرة من الاشياء الاخرى ، وذلك **لكي يتجنب** الجوهر **البرجوازي** للديموقراطية المعاصرة ، اي الديموقراطية **الرأسمالية** .

ان كاوتسكي يأخذ من الماركسية ما هو مقبول عند الليبيراليين ، عند البرجوازية (انتقاد القرون الوسطى ، الدور التاريخي التقدمي للرأسمالية بوجه عام والديموقراطية الرأسمالية بوجه خاص) ، وينبذ من الماركسية ما هو **غير مقبول** عند البرجوازية ، ويلزم الصمت حوله ، ويطمسه (عنف البروليتاريا الثوري ضد البرجوازية ، من اجل القضاء على البرجوازية) . ولهذا السبب ، يتكشف كاوتسكي حتماً عن خادم ذليل للبرجوازية ، بحكم موقفه الموضوعي ، واياً كانت عقائده الذاتية .

ان الديموقراطية البرجوازية ، وان كانت تشكل خطوة تاريخية كبيرة الى الامام بالنسبة للقرون الوسطى ، تظل ابداً مع ذلك – ولا يمكنها ان لا تظل كذلك في النظام الرأسمالي – ديموقراطية ضيقة ، مبتورة ، مزورة ، منافقة ، فردوساً للاغنياء ، وفخاً وخديعة للمستثمَرين ، للفقراء . وهذه الحقيقة ، التي تشكل القسم الاساسي الجوهري في المذهب الماركسي ، هي التي لم يفهمها «الماركسي»

كاوتسكي . ففي هذه القضية – الجذرية – يتفضل كاوتسكي «بألطافه» على البرجوازية ، بدلاً من ان يأتي بانتقاد علمي للظروف والشروط التي تجعل من كل ديموقراطية برجوازية ديموقراطية للاغنياء .

بادئ الامر ، نذكر العالم العلامة السيد كاوتسكي ببيانات ماركس وانجلس النظرية التي «نسيها» هذا الحافظ بشكل مخز (ارضاء للبرجوازية) ، ثم نفسر المسألة على اوضح وجه .

ان «الدولة التمثيلية العصرية» ، وليست فقط الدولة القديمة والدولة الاقطاعية ، هي ايضاً «اداة لاستثمار العمل المأجور من قبل الرأسمال» (انجلس في مؤلفه عن الدولة) (٦٠) . «ولما كانت الدولة عبارة عن مؤسسة ذات طابع عابر وحسب يتأتى استخدامها في النضال ، في الثورة ، لقمع الخصوم بالقوة ، فان الحديث عن الدولة الشعبية الحرة هو مجرد لغو : فما دامت البروليتاريا **بحاجة** الى الدولة ، فهي لا تحتاجها من اجل الحرية ، بل من اجل قمع خصومها ، وعندما يصبح بالامكان الحديث عن الحرية ، عندئذ تزول الدولة بوصفها الدولة» (انجلس ، رسالة الى بيبل ، ٢٨ آذار – مارس – ١٨٧٥) . «ان الدولة ليست الا جهازاً لقمع طبقة من قبل طبقة اخرى ، وهذا ما يصدق على الجمهورية الديموقراطية بدرجة لا تقل اطلاقاً عن صدقه على الملكية» (انجلس في مقدمة كتاب «الحرب الاهلية» لماركس) . ان حق الانتخاب العام «دليل على نضج الطبقة العاملة . **ولا يمكنه قط ان يكون ولن يكون اكثر من ذلك في الدولة الراهنة**» . (انجلس في مؤلفه عن الدولة (٦١) . ان السيد كاوتسكي يجتر بصورة مملة جداً القسم الاول من هذه الموضوعة ، المقبول عند البرجوازية . اما القسم الثاني الذي اشرنا اليه باشارة التأكيد والذي هو غير مقبول عند البرجوازية ، فان المرتد كاوتسكي يلزم الصمت حوله !) . «كان يراد بالكومونة الا تكون هيئة برلمانية ،

بل هيئة عاملة تتمتع بالسلطتين التشريعية والتنفيذيـــة في الوقت عينه . . . وبدلاً من البت مرة كل ثلاث سنوات او ست في معرفة اي عضو من الطبقة الحاكمة يجب ان يمثـــل ويقمـــع (ver-und zertreten) الشعب في البرلمان ، كان يجب على حق الانتخاب العام ، بدلاً من ذلك ، ان يخدم الشعب ، المنظم في الكومونات ، قصد البحث لمؤسسته عن عمال ومراقبين ومحاسبين ، كما يخدم حق الانتخاب الفردي لهذا الغرض اياً كان من ارباب العمل» . (ماركس في مؤلفه عن كومونة باريس «الحرب الاهلية في فرنسا») .

ان كلاً من هذه الموضوعات التي يعرفها العالم العلامة السيد كاوتسكي جيد المعرفة ، انما تصفع وجهه صفعاً ، وتكشف عن كامل ارتداده . ففي كل كراسه ، لا تنم ايـــة بادرة لفهـــم هذه الحقائق . وما مضمون هذا الكراس ، من اول سطر منه حتى آخر سطر ، سوى سخر من الماركسية !

خذوا القوانين الاساسية في الدول المعاصرة ، خذوا ادارتها ، خذوا حرية الاجتماع او حرية الصحافة ، خذوا «مساواة المواطنين امام القانون» ، تروا لدى كل خطوة نفاق الديموقراطية البرجوازية الذي يعرفه جيداً كل عامل شريف ومدرك . فليس ثمة دولة ، حتى اوفر الدول ديموقراطية ، لا يتضمن دستورها منافذ او تحفظات تمكن البرجوازية من توجيه الجيوش ضد العمال ، واعلان الاحكام العرفية ، الخ . «في حال مخالفة النظام» ، اي ، في الواقـــع ، حين «تخالف» الطبقة المستثمَرة وضعها الاستعبادي وتحاول ان لا تسلك سلوك العبد . ان كاوتسكي يزين وجه الديموقراطية البرجوازية بكل وقاحة وصفاقة ؛ فهو ، مثلاً ، لا ينبس ببنت شفة عما يفعله ، ضد العمال المضربين ، اشد البرجوازيين نزعة ديموقراطية وجمهورية في اميركا او في سويسرا .

آه ! ان كاوتسكي الحكيم والعلامة لا يقول شيئاً عن هذا ! انه

لا يفهم، هذا السياسي العالم، ان الصمت هنا نذالة. فهو يفضل ان يروي على مسامع العمال قصصاً للاطفال، كأن يقول مثلاً ان الديموقراطية تعني «حماية الاقلية». هذا القول لا يصدق، ولكنه هكذا ورد! ففي العام الـ ١٩١٨ بعد ميلاد المسيح، في العام الخامس من المجزرة الامبريالية العالمية، وبينا يخنقون في جميع «ديموقراطيات» العالم الاقليات الاممية (اي التي لم تخن الاشتراكية بسفالة وحقارة، كما فعل رينوديل ولونغه واضرابهما، وشيدمان، وكاوتسكي وامثالهما، وهندرسون وويب ومن لف لفهما، الخ.)، يطري السيد العلامة كاوتسكي بصوت معسول، معسول جداً، «حماية الاقلية». وكل من له رغبة يمكنه ان يقرأ هذا في الصفحة ١٥ من كراس كاوتسكي. وفي الصفحة ١٦، يحدثك هذه الشخصية... العلامة عن الويغ والتوري (٦٢) في القرن الثامن عشر في انجلترا!

فيا للعلم! ويا له من استخذاء ناعم امام البرجوازية! واية طريقة متمدنة في الزحف على البطن امام الرأسماليين ولعق جزماتهم! ولو كنت كروب، او شيدمان، او كليمانسو، او رينوديل، لدفعت الملايين للسيد كاوتسكي، ولنزلت عليه ضماً وتقبيلاً كيهوذا، ومدحته امام العمال، ودعوت الى «وحدة الاشتراكية» مع اناس «محترمين» امثال كاوتسكي. وكتابة الكراريس ضد ديكتاتورية البروليتاريا، ورواية تاريخ الويغ والتوري في القرن الثامن عشر في انجلترا، والتأكيد ان الديموقراطية تعني «حماية الاقلية»، والسكوت عن **مذابح** الامميين في جمهورية اميركا «الديموقراطية»، - أليست تلك خدمات يقدمها خادم ذليل للبرجوازية؟

ان السيد العلامة كاوتسكي قد «نسي» - ويبدو انه نسي صدفة... - «تفاهة» عنيت بها ان الحزب السائد في الديموقراطية البرجوازية لا يخول حماية الاقلية الا لحزب **برجوازي** آخر، بينا تنال البروليتاريا، في كل قضية **جدية**، **عميقة**، **جذرية**، الاحكام

العرفية او المجازر بدل «حماية الاقلية» . **فبقدر ما تكون الديموقراطية اكثر تطوراً بقدر ما تكون المجزرة او الحرب الاهلية اقرب في حال اي خلاف سياسي عميق وخطر على البرجوازيــة** . ان «قانــون» الديموقراطية البرجوازية هذا ، انما كان في وسع السيد العالــم كاوتسكي ان يراه ويلمسه في قضية دريفوس (٦٣) في فرنســا الجمهورية ، في «لنتش» * الزنوج والاميين في الجمهورية اميركا الديموقراطية ، في مثال ارلنده وولستر في انجلترا الديموقراطية (٦٤) ، في الملاحقات الوحشية والمجازر المنظمة ضد البلاشفة في نيسان (ابريل) ١٩١٧ في الجمهورية الديموقراطية الروسية . وهذه الامثلة ، انما استقيها قصداً وعمداً ، لا من زمن الحرب وحسب ، بل ايضاً من زمن ما قبل الحرب ، من زمن السلم . اما السيد المعسول كاوتسكي فيطيب له ان يغمض عينيه على هذه الوقائع من القرن العشرين ، وان يتحف العمال على العكس ، باشياء جديدة في غاية الجدّة ، طريفة في غاية الطرافة ، مفيدة في منتهى الفائدة ، هامة الى حد لا يصدق ، باشياء عن الويغ والتوري في القرن الثامن عشر .

خذوا البرلمان البرجوازي . فهل يمكن الافتراض ان العالم كاوتسكي لم يسمع قط بانه **بقدر** ما تبلغ الديموقراطية **درجة** اعلى من التطور ، **بقدر** ما تخضع البورصة لنفسها ويخضــع اصحاب البنوك لانفسهم البرلمانات البرجوازية ؟ ولكنه لا ينجم ابداً مما سبق انه **لا** يجب استخدام البرلمانية البرجوازية (وقد استخدمها البلاشفة بنجاح ربما يكون اكبر من نجاح اي حزب آخر في العالم اذ اننا ظفرنا بكل مقاعد العمال في الدوما الرابع من عام ١٩١٢ الى عام ١٩١٤) . ان ما ينجم هو ان ليس غير الليبيرالي من يستطيع ان ينسى ، كما نسي كاوتسكي ، **طابع** البرلمانية البرجوازية **المحدود**

---

* اعدام من غير محاكمة قانونية . — **المترجم** .

والنسبي ، من الناحية التاريخية . ففي الدولة البرجوازية الاوفى ديموقراطية ، تصطدم الجماهير المظلومة على الدوام بالتناقض الصارخ بين المساواة **الشكلية** التي تعلنها «ديموقراطية» الرأسماليين ، وآلاف القيود والاحابيل **الفعلية** التي تجعل من البروليتاريين **عبيداً مأجورين** . ان هذا التناقض بالذات هو الذي يفتح عيون الجماهير على تعفن الرأسمالية ، وبهتانها ، ونفاقها . وهذا التناقض بالذات هو الذي يكشف القناع عنه بلا انقطاع دعاة الاشتراكية ومحرضوها امام الجماهير ، **بغية اعدادها للثورة !** وحين **بدأ** عهد الثورات ، ادار له كاوتسكي ظهره وراح يتغنى بمحاسن الديموقراطية البرجوازية **المحتضرة** .

ان الديموقراطية البروليتارية ، التي سلطة السوفييت شكل من اشكالها ، قد طورت الديموقراطية ووسعتها الى حد لم ير العالم مثيلاً له ، في صالح غالبية السكان الساحقة على وجه الدقة ، في صالح المستثمَرين والشغيلة . وفي هذه الحال ، اذا كتبت كراساً كاملاً عن الديموقراطية ، كما فعل كاوتسكي الذي خصص صفحتين فقط للديكتاتورية وعشرات الصفحات «للديموقراطية الخالصة» ، **ولم تلحظ** ذلك ، فانت تحرّف الوقائع بطريقة ليبيرالية تحريفاً كلياً .

خذوا السياسة الخارجية . ليس هناك اي بلد برجوازي تُمارَس فيه بشكل سافر ، حتى وان كان اوفى البلدان البرجوازية ديموقراطية . ففي كل مكان ، خداع الجماهير ؛ وفي البلدان الديموقراطية ، فرنسا ، سويسرا ، اميركا ، انجلترا ، يتخذ هذا الخداع شكلاً اكبر وانعم مائة مرة مما في البلدان الاخرى . اما سلطة السوفييت ، فقد نزعت القناع بصورة ثورية عن اسرار السياسة الخارجية . وهذا الواقع لم يلحظه كاوتسكي ولا ينبس عنه بكلمة ، مع ان له اهمية **جوهرية** في عصر الحروب اللصوصية والمعاهدات السرية حول «تقاسم مناطق النفوذ» (اي حول تقاسم

العالم من قبل الاشقياء الرأسماليين) ؛ فعليه تتوقف قضية السلام ، قضية حياة او موت عشرات الملايين من الناس .

خذوا تنظيم الدولة . ان كاوتسكي يتمسك «بالتفاصيل» حتى انه يلاحظ ان الانتخابات «غير مباشرة» (في الدستور السوفييتي) ولكنه لا يرى جوهر القضية . فهو لا يرى الجوهر **الطبقي** لجهاز الدولة ، لآلة الدولة . ففي الديموقراطية البرجوازية ، **يقصي** الرأسماليون الجماهير بألف حيلة وحيلة – تزداد مهارة وفعالية بقدر ما تكون الديموقراطية «الخالصة» اكثر تطوراً – عن الاشتراك في الحكم ، عن حرية الاجتماع والصحافة ، الخ . . اما سلطة السوفييت ، فهي **اول** سلطة في العالم (الثانية على سبيل الضبط ، اذ ان كومونة باريس كانت بدأت الشيء نفسه) **تشرك** الجماهير في الحكم ، الجماهير **المستثمَرة** ، على وجه الضبط . هناك ألف حاجز وعقبة **تعترض** الجماهير الكادحة دون الاشتراك في البرلمان البرجوازي (الذي لا **يحل ابداً** اهم المسائل في الديموقراطية البرجوازية ، اذ تحلها البورصة والبنوك) ، والعمال يعرفون جيد المعرفة ، ويشعرون ، ويدركون ، ويرون ، ويلمسون لمس اليد ان البرلمان البرجوازي هو هيئة غريبة **عنهم** ، **واداة لاضطهاد** البروليتاريين من جانب البرجوازية ، هيئة طبقة معادية ، هيئة اقلية من المستثمِرين .

اما السوفييتات ، فهي المنظمة المباشرة للجماهير الكادحة والمستثمَرة بالذات ، وهي **تسهّل** لها امكان تنظيم الدولة بنفسها وادارتها بكل الوسائل الممكنة . وفي هذا المضمار ، تتمتع طليعة الكادحين والمستثمَرين ، بروليتاريا المدن ، بمزية مفادها انها متحدة على خير وجه بفضل المشروعات الضخمة ؛ كما انه من الاسهل لها انتخاب النواب ومراقبتهم . ان التنظيم السوفييتي **يسهل** بصورة اوتوماتيكية اتحاد جميع الكادحين والمستثمَرين حول طليعتهم ، البروليتاريا . ان الجهاز البرجوازي القديم –

البيروقراطية ، والامتيازات الناجمة عن الثروة والتعليم البرجوازي والعلاقات ، الخ . (ان هذه الامتيازات الفعلية تزداد تنوعاً بقدر ما تكون الديموقراطية البرجوازية اكثر تطوراً ، – ان كل هذا يزول مع قيام التنظيم السوفييتي . ولا تبقى حرية الصحافة مجرد رياء ، اذتؤخذ المطابع والورق من البرجوازية . وكذلك تؤخذ خيرة الابنيـــة ، والقصور ، والفيلات ، وبيـــوت الاقطاعيين . ان السلطـــة السوفييتية قد انتزعت دفعة واحدة ، خيرة هذه العمارات ، بالآلاف والآلاف ، من المستثمِرين ، وهكذا جعلت حق الاجتماع للجماهير – هذا الحق الذي لا تعني الديموقراطية بدونه غير الخداع والتضليل – اكثر «ديموقراطية» **بمليون مرة** . والانتخابـــات غير المباشرة الى السوفييتات غير المحلية تسهل عقد مؤتمرات السوفييتات ، وتجعل كل الجهاز اقل كلفة ، واكثر حركـــة ، واقرب منالاً الى العمال والفلاحين ، في مرحلة من الحياة الناشطة المتدفقة ينبغي ان تتوافر فيها لهم امكانية سحب نائبهم المحلي او ارسالـــه الى مؤتمـــر السوفييتات العام بأسرع وقت .

ان الديموقراطية البروليتارية لاكثر ديموقراطية **بمليون مرة** من اية ديموقراطية برجوازيـــة ؛ ان سلطـــة السوفييت لاكثر ديموقراطية بمليـــون مرة من اوفر الجمهوريـــات البرجوازيـــة ديموقراطية .

ان الذي لا يلحظ هذا ، اما هو خادم للبرجوازية عن وعي ، واما هو انسان ميت سياسياً تماماً ، لا يرى الحياة الحية من وراء الكتب البرجوازية المغبرة ، مشبع كلياً بالاوهام الديموقراطيـــة البرجوازية ، وبالتالي جعل نفســـه ، موضوعيـــاً ، خادماً ذليلاً للبرجوازية .

وان الذي لا يلحظ هـــذا هو انسان عاجز عـــن **طرح المسألة** من وجهة نظر الطبقات **المظلومة** :

فهل يوجـــد في العالـــم ولو بلد واحـــد من اكثر البلدان البرجوازية ديموقراطية يتمتع فيه العامل **المتوسط العادي والاجير الزراعي** المتوسط العادي او بوجه عام نصف البروليتاري في الارياف (اي ممثل الجمهور المظلوم ، ممثل اغلبية السكان الساحقة) ، يتمتع وان بصورة تقريبية ، بنفس **الحرية** في تنظيم الاجتماعات في خيرة العمارات ، بنفس **الحرية** في تملك اكبر المطابع واوفر مخزونات الورق للاعراب عن افكارهما والدفاع عن مصالحهما ، بنفس **الحرية** في تقديم افراد من طبقتها بالذات الى ادارة الدولة و«تدبير»ها ، كما في روسيا السوفييتية ؟

من المضحك حقاً ان يعتقد المرء ان في مستطاع السيـــد كاوتسكي ان يجد في بلد ما ، ولو عاملاً واحداً او اجيراً زراعيـــاً واحداً من ألف ، يتردد في الاجابـــة عن هذا السؤال اذا ما عرف الحقيقة . ان عمال العالم بأسره يعطفون على جمهوريـــة السوفييت بالغريزة ، لمجرد سماعهم نتفاً من الحقيقـــة تعترف بها الصحف البرجوازية ، وذلك بالضبط لانهم يرون فيهـــا الديموقراطيـــة **البروليتارية ، الديموقراطية للفقراء** ، لا الديموقراطية للاغنياء ، التي هي بالفعل كل ديموقراطية برجوازية ، حتى افضلها .

ونحن يحكمنـــا (ودولتنا «يدبر»ها) موظفـــون برجوازيون وبرلمانيون برجوازيون وقضاة برجوازيون . وهذه هي الحقيقـــة البسيطة ، البديهية ، التي لا مراء فيها ، والتي يعرفها من تجربة الحياة ويلمسها ويحس بها كل يوم العشرات والمئات من ملايين ابناء الطبقات المظلومة في جميع البلدان البرجوازيـــة ، بما فيها اوفرها ديموقراطية .

ولكن الجهاز البيروقراطي في روسيا سحق سحقاً ، ولم يترك منه حجر على حجر ، وطرد جميع القضاة السابقين ، واطيح بالبرلمان البرجوازي ؛ واعطي تمثيل **اقرب بكثير الى متناول** العمال والفلاحين

على وجــه الضبط ؛ وحلت سوفييتاتهم محــل الموظفين ، او ان سوفييتاتهم وضعت فوق الموظفين ؛ وسوفييتاتهم هي التي تنتخب القضاة ؛ وهذا الامر وحده يكفي لكي ترى جميع الطبقات المظلومة ان سلطة السوفييت ، اي هذا الشكل من ديكتاتورية البروليتاريا ، هي اكثر ديموقراطية بمليون مرة من اكثر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية .

وهذه الحقيقة المفهومة والبديهية بالنسبة لكل عامــل ، لا يدركها كاوتسكي ، لانه «نسي» كيف يطرح هذا السؤال ، لانه «غاب عن باله ما تعلمه» بهذا الصدد : الديموقراطية **لاية طبقة** ؟ انه يفكر ويحلل من وجهة نظر الديموقراطيـــة «الخالصة» (اي بدون طبقات ؟ او خارج الطبقات ؟) . ويبرهن على طريقة شيلوك : «رطل من اللحم» لا اكثر . المساواة بين جميــع المواطنين ، والا فلا ديموقراطية .

وهكذا لا بد لنا ان نطرح على العالــم كاوتسكي ، عــلى «الماركسي» و«الاشتراكي» كاوتسكي السؤال التالي :

هل يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمَر والمستثمِر ؟

وان نضطر الى طرح هذا السؤال لمناسبة بحث كتاب لزعيم الاممية الثانية الفكري ، لامر فظيع ، لا يصدق . ولكن ، «ما دام قد سكب ، فلا بدّ من شربه» . وما دمنا قد شرعنا نكتب عــن كاوتسكي ، فلا بدّ لنا ان نوضح لهذا العالم لماذا لا يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمِر والمستثمَر .

هل يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمَر والمستثمِر ؟

يحاكم كاوتسكي على النحو التالي :

١) «ان المستثمِرين لم يشكلوا قط الا اقلية ضئيلة من السكان» (ص ١٤ من كراس كاوتسكي) .

هذه حقيقة لا جدال فيها . ولكن ، كيف المحاكمة انطلاقاً من هذه الحقيقة ؟ من الممكن ان يحاكم المرء بطريقة ماركسية ، بطريقة اشتراكية ؛ واذ ذاك ، يتعين عليه ان يتخذ موقف المستثمَرين حيال المستثمِرين اساساً لمحاكمته . ومن الممكن ان يحاكم بطريقة ليبيرالية ، بطريقة ديموقراطية برجوازية ؛ واذ ذاك يتعين عليه ان يتخذ موقف الاغلبية من الاقلية اساساً لمحاكمته .

فاذا حاكم بالطريقة الماركسية ، ترتب عليه ان يقول : ان المستثمِرين يحولون الدولة بالضرورة (والحال يدور الكلام هنا عن الديموقراطية اي عن شكل من اشكال الدولة) الى اداة لسيطرة طبقتهم ، طبقة المستثمِرين ، على المستثمَرين . ولهذا فان الدولة الديموقراطية ايضاً ستكون حتماً ديموقراطية للمستثمِرين ما دام هناك مستثمِرون يبسطون سيطرتهم على اغلبية المستثمَرين . اما دولة المستثمَرين ، فينبغي ان تتميز بصورة جذرية عن مثل هذه الدولة ؛ ينبغي ان تكون ديموقراطية للمستثمَرين **وتقمع المستثمِرين** ؛ والحال ، ان قمع طبقة ما يعني عدم مساواة هذه الطبقة ، اقصاءها عن «الديموقراطية» .

واذا حاكم بالطريقة الليبيرالية ، ترتب عليه ان يقول : الاغلبية تقرر ، والاقلية تخضع . والمتمردون يعاقبون . هذا كل شيء . ولا فائدة من الشرح والبحث حول طابع الدولة الطبقي هذا او ذاك بوجه عام وحول «الديموقراطية الخالصة» بوجه خاص ؛ فلا علاقة له بالموضوع اذ ان الاغلبية هي الاغلبية والاقلية هي الاقلية . ان رطلاً من اللحم هو رطل من اللحم وبس !

وبهذه الطريقة بالذات يحاكم كاوتسكي :

٢) «لاية اسباب يجب ان ترتدي سيادة البروليتاريا وترتدي بالضرورة شكلاً لا يتلاءم مع الديموقراطية ؟» (ص ٢١) . ثم يعطي تفسيراً فضفاضاً جداً ومسهباً جداً مفاده ان الاغلبية الى جانب

البروليتاريا ويدعمه باستشهاد من ماركس وبارقام حول توزيـــع الاصوات في كومونة باريس . والنتيجة : «ان نظاماً يتمتع بمثل هذه الجذور الراسخة بين الجماهير ليس له على الاطلاق ما يدفعه الى انتهاك الديموقراطية . ولن يستطيع دائماً الاستغناء عن العنف في الحالات التي يستعمل فيها العنف لقمع الديموقراطية . فلا يمكن الرد على العنف الا بالعنف . ولكن نظامـــاً يعرف ان الجماهير تقف الى جانبه ، لن يلجأ الى العنف الا من اجل **حماية الديموقراطية** ، لا من اجل **ابادتها** . والا ، فانه يقدم حقاً على الانتحار اذا شاء الغاء اضمن قاعدة له ، حق الانتخاب العام ، الذي هو ينبوع عميق لسلطـــة معنوية جبارة» (ص ٢٢) .

وهكـــذا ترون ان موقف المستثمَرين من المستثمِرين قد اختفى في حجج كاوتسكي . ولا يبقى غير الاغلبية بوجه عام ، الاقلية بوجه عام ، الديموقراطية بوجه عام ، «الديموقراطية الخالصة» ، التي نعرف .

ولاحظوا ان هذا القول قيل **بصدد كومونة باريس** ! ولمزيد من الايضاح ، نورد اذن قول ماركس وانجلس حول الديكتاتوريـة **بصدد الكومونة** :

ماركس : «... اذا مـــا اقام العمال في مكان ديكتاتوريـة البرجوازية ديكتاتوريتهم الثورية ... ولكيما يحطموا مقاومـــة البرجوازية ... فانهم يعطون الدولة شكلاً ثـــورياً وعابراً» ... (٦٥) .

انجلس : «... ويتأتى على الحـــزب الغالب» (في الثـــورة) «بالضرورة ان يحافظ على سيادته عن طريق الخوف الذي توحيـــه اسلحته للرجعيين . فلو لم تستند كومونة باريس الى سلطـــان الشعب المسلح ضد البرجوازية فهل كان بامكانها ان تصمد اكثر من

يوم واحد ؟ وهلا يحق لنا ان نلومها ، بالعكس ، لانها لم تلجأ لهذا السلطان الا قليلاً جداً ؟ . .» (٦٦) .

انجلس : «ولما كانت الدولة عبارة عن مؤسسة ذات طابع عابر وحسب يتأتى استخدامها في النضال ، في الثورة ، لقمع الخصوم بالقوة ، فان الحديث عن الدولة الشعبية الحرة هو مجرد لغو : فما دامت البروليتاريا بحاجة الى الدولة ، فهي لا تحتاجها من اجل الحرية ، بل من اجل قمع خصومها ؛ وعندما يصبح بالامكان الحديث عن الحرية ، عندئذ تزول الدولة بوصفها الدولة . . .» (٦٧) .

ان كاوتسكي لبعيد عن ماركس وانجلس بعد الثرى عن الثريا ، بعد الليبيرالي عن الثوري البروليتاري . ان الديموقراطية الخالصة او مجرد «الديموقراطية» التي يتحدث عنها كاوتسكي ليست سوى تعبير آخر عن نفس هذه «الدولة الشعبية الحرة» ، اي **مجرد خرق** . ويسأل كاوتسكي بادعاء علامة ابله قابع في برجه العاجي ، او بسذاجة طفلة في العاشرة من عمرها : لِمَ الديكتاتورية ، ما دامت هناك اغلبية ؟ والحال ، يوضح لنا ماركس وانجلس لماذا :

— لسحق مقاومة البرجوازية ؛
— لبعث الخوف في نفوس الرجعيين ؛
— لدعم سلطة الشعب المسلح ضد البرجوازية ؛
— لكي تتمكن البروليتاريا من قمع اعدائها بالعنف .

ولكن كاوتسكي لا يفهم شيئاً من هذه الايضاحات . ولشغفه بـ«خلاصة» الديموقراطية التي لا يرى طابعها البرجوازي ، يؤكد «بانسجام» ان الاغلبية ليست بحاجة ما دامت اغلبية الى «سحق مقاومة» الاقلية ، ان «قمعها بالعنف» ، — حسبها ان تقمع حالات انتهاك الديموقراطية . ولشغفه بـ«خلاصة» الديموقراطية يرتكب كاوتسكي ، **عن سهو** ، الخطأ الطفيف الذي يرتكبه دائماً جميع الديموقراطيين البرجوازيين ، اي انه يأخذ المساواة الشكلية (وهي

كاذبة ومنافقة كليـــاً في النظام الرأسمالي) على انهـــا المساواة الفعلية ! فيا للتفاهة !

ان المستثمِر لا يمكن ان يكون مساوياً للمستثمَر .

هذه الحقيقة ، مهما كانت مزعجة لكاوتسكي ، انما هي جوهر مضمون الاشتراكية بالذات .

وحقيقة اخرى : لا يمكن ان تقوم اية مساواة حقيقيـــة ، اية مساواة فعلية ، طالما لم يقض اطلاقاً على كل امكانية لاستثمار طبقة من قبل اخرى .

من الممكن هزم المستثمِرين دفعة واحدة ، بانتفاضة ناجحة في المركز او بتمرد تقوم به قوات الجيش . ولكنه لا يمكن ابادتهم دفعة واحدة ، الا في بعض الحالات النادرة جداً ، الاستثنائية . لا يمكن دفعة واحدة مصادرة املاك جميـــع الملاكين العقاريين وجميـــع الرأسماليين في بلد كبير نوعاً . ثم ان مصادرة الملكية ، بوصفها عملاً حقوقياً او سياسياً ، لابعد هي وحدها من ان تحل المشكلة ، لانـــه يقتضي فعلاً **خلع** الملاكين العقاريين والـــرأسماليين ، **والاستعاضة عنهم** فعلاً بادارة اخرى للمصانع والاملاك العقارية هي الادارة العماليـــة . ولا يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمِرين الذين امتازوا ، طوال اجيال ، بتعليمهـــم ، وشروط حياة الغنى ، والعادات المكتسبة ، وبين المستثمَرين الذين لا يزالون في غالبيتهم ، حتى في ارقى الجمهوريات البرجوازيـــة واوفرها ديموقراطيـــة ، مظلومين متأخرين ، جاهلين ، خائفين ، متفرقين . وبعد الانقلاب بزمن طويل ، يحتفظ المستثمِرون لا محالة بجملة من المزايـــا الفعلية الهائلة : يبقى لهم المال (فمن المستحيـــل الغاؤه دفعة واحدة) ، وبعض الاموال المنقولة ، وغالباً ما تكون كبيرة القيمة ؛ تبقى لهم علاقات وعادات مكتسبة في التنظيم والادارة ، ومعرفة جميع «اسرار» (عادات ، اساليب ، وسائل ، امكانيات) الادارة ؛ يبقى لهم

تحصيل اعلى ، وقرابة من الملاك (الكادر) التكنيكي العالي (البرجوازي من حيث نمط حياته وتفكيره) ؛ تبقى لهم تجربة في الفن العسكري اكبر بما لا حد له (وهو امر على جانب كبير جداً من الاهمية) ، الخ . الخ . .

واذا لم يهزم المستثمِرون الا في بلد واحد - وتلك هي ، بالطبع ، الحالة النموذجية ، اذ ان الثورة في عدة بلدان في آن واحد امر نادر ، استثنائي - فانهم يظلون **مع ذلك اقوى** من المستثمَرين ، لان علاقات المستثمِرين العالمية هائلة . ثم ان قسماً من اقل الجماهير المستثمَرة تطوراً ، بين الفلاحين المتوسطين ، والحرفيين ، الخ . يقف وبوسعه ان يقف الى جانب المستثمِرين ، وهذا اثبتته حتى الآن **جميع** الثورات ، بما فيها الكومونة (فقد كان هناك بروليتاريون في صفوف قوات فرساي ، وهذا ما «نسيه» العالم العلامة كاوتسكي) .

ونظراً لهذا الوضع ، اذا افترض المرء ان مجرد النسبة بين الاغلبية والاقلية هي التي تحل القضية في ثورة عميقة وجدية نوعاً ، فانه يقدم الدليل على منتهى الغباوة ؛ انه يتمسك بوهم ساذج ما بعده سذاجة ، جدير بليبيرالي مبتذل ؛ انه **يخدع الجماهير** ، ويخفي عنها حقيقة تاريخية بديهية ، هي تلك الحقيقة التاريخية التي تقول ان **من القاعدة** ان يقاوم المستثمِرون الذين يحتفظون خلال عدة سنوات بمزايا كبيرة فعلية بالنسبة للمستثمَرين مقاومة **طويلة ، عنيدة ، يائسة** في كل ثورة عميقة . ولن يخضع المستثمِرون ابداً - الا في رأس كاوتسكي المعسول الغبي وخياله المعسول - لارادة اغلبية المستثمَرين ، دون ان يلقوا في كفة الميزان بتفوقهم في معركة اخيرة ، يائسة ، في جملة من المعارك .

ان الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، هو مرحلة تاريخية كاملة . وطالما لم تنته ، يظل المستثمِرون يحتفظون حتماً بامل

العودة ، **بأمل** يتحـــول الى **محاولات** للعـــودة . فان المستثمِرين المقلوبين ، الذين لم يكونوا يتوقعون اطلاقاً اسقاطهم ، ولم يكونوا يصدقونه ، ولم تخطر في بالهم فكرته ، يندفعون الى المعركة ، اثر اول هزيمة جدية ، ويخوضون غمارها بعزيمة مضاعفة عشر مرات ، وسورة جنونية ، وحقد اشتــــد مئات المرات ، من اجل استعادة «الفردوس» المفقود ، من اجل عائلاتهم التي كانت تحيا حياة هانئة وحكم عليها «الرعاع الانذال» الآن بالخراب والبؤس (او بالكدح «الفظ» . . .) . ووراء الرأسماليين المستثمِرين ، ينجر الجمهور الواسع مــن البرجوازية الصغيرة التي اثبتت عشرات السنين من التجارب التاريخية في جميع البلدان انها تتردد وتتأرجح ، وتسير اليوم وراء البروليتاريا ، وغداً تخاف مصاعب الانقلاب فيتملكهـــا الذعر لدى اول هزيمـــة او نصف هزيمـــة يمنى بها العمال ، وتضطرب ، ويطيش صوابها ، وتتباكى ، وتركض من معسكر الى آخر . . . كما يفعل المناشفة والاشتراكيون-الثوريون عندنا .

وفي هذه الاحوال ، في مرحلة يضطرم فيها سعير حرب يائسة ، قاسية ويضع فيها التاريخ في جدول الاعمال قضية وجود او عدم وجود الامتيازات التي دامت مئات السنين وآلافها ، — يتحدث احدهم عن الاغلبية والاقلية ، والديموقراطيـــة الخالصة ، وعدم جدوى الديكتاتورية ، والمساواة بين المستثمِر والمستثمَر ! ! فالى اية هاوية من الحماقة ، الى اية هاوية من التفاهة وضيق الافق ينزلق هذا الانسان حتى ينطق بهذه الدرر !

ولكن عقوداً من الرأسمالية «المسالمة» نسبيـــاً ، من عام ١٨٧١ الى عام ١٩١٤ ، كدست في الاحزاب الاشتراكية التي تسعى الى التكيف على الانتهازية ، اسطبلات حقيقية من التفاهة وضيـــق الافق ، والحماقة ، والارتداد اشبه باسطبلات اوجياس . . .

* * *

من الارجح ان القارئ قد لاحظ ان كاوتسكي يتحدث ، في الفقرة المذكورة آنفاً من كتابه ، عن المساس بحق الانتخاب العام (الذي يسميه – ونقول هذا عرضاً بين هلالين – ينبوعاً عميقاً لسلطة معنوية جبارة ، في حين ان انجلس يتحدث ، بصدد كومونة باريس نفسها ومسألة الديكتاتورية نفسها ، عن سلطة الشعب المسلح ضد البرجوازية ؛ فمن الدلالة بمكان ان نقارن بين رأي التافه الضيق الافق ورأي الثوري حول «السلطة» . . .) .

اننا نلفت الانتباه الى ان قضية حرمان المستثمِرين من حق الانتخاب قضية **روسية صرف** ، لا قضية ديكتاتورية البروليتاريا بوجه عام . ولو ان كاوتسكي عنون كراسه ، دون رياء ، بعنوان : «**ضد البلاشفة**» ، لجاء هذا العنوان منطبقاً على الفحوى ، ولكان من حق كاوتسكي آنذاك ان يتحدث مباشرة عن حق الانتخاب . ولكن كاوتسكي شاء قبل كل شيء ان يظهر بمظهر «النظري» فعنون كراسه بعنوان : «ديكتاتورية البروليتاريا» **بوجه عام** . وهو لا يتناول بالبحث السوفييتات وروسيا خاصة الا في القسم الثاني من كراسه ، ابتداء من المقطع ٦ . اما القسم الاول (الذي اخذت منه المقطع المذكور آنفاً) ، فيبحث في **الديموقراطية** وفي **الديكتاتورية بوجه عام** . وحين تطرق كاوتسكي الى حق الانتخاب ، **فضح نفسه** بنفسه بصفته مناظراً خصماً للبلاشفة ، **لا تستحق النظرية برأيه فلساً واحداً** . لان النظرية ، اي البحث في الاسس الطبقية العامة (لا الخاصة بأمة من الامم) للديموقراطية والديكتاتورية ، يجب ان لا تتناول مسألة خاصة كمسألة حق الانتخاب ، بل يجب ان تتناول القضية العامة التالية : هل يمكن **الحفاظ** على الديموقراطية **للاغنياء وللمستثمِرين ايضاً** ، في المرحلة التاريخية التي تتميز باسقاط المستثمِرين والاستعاضة عن دولتهم بدولة المستثمَرين ؟

هكذا ، وهكذا فقط ، يمكن للنظري ان يطرح المسألة .

انا نعرف مثال الكومونة ، نعرف جميع محاكمات مؤسسي الماركسية بالارتباط بها وبصددها . واستناداً الى هذه الوثائق ، حللت مثلاً قضية الديموقراطية والديكتاتورية في كراسي «الدولة والثورة» الذي كتبته قبل انقلاب اكتوبر . **ولم انبس ببنت شفة** عن تقييد حق الانتخاب . واليوم يجدر القول ان قضية تقييد حق الانتخاب قضية خاصة بهذه الامة او تلك ، لا قضية عامة للديكتاتورية . فلدراسة قضية تقييد الحق الانتخابي ، ينبغي بحث **الظروف الخاصة** بالثورة الروسية ، **المجرى الخاص** لتطورها . وهذا ما سنفعله في سياق عرضنا . ولكنه من الخطأ التأكيد مسبقاً ان الثورات البروليتارية المقبلة في اوروبا ، جميعها او معظمها ، ستفرض بالضرورة القيود على حق البرجوازية الانتخابي . قد يحصل هذا . فبعد الحرب وتجربة الثورة الروسية ، سيحصل هذا على ما يبدو ؛ ولكن هذا **ليس ضرورياً** فيما يخص تطبيق الديكتاتورية ، وليس هذا بعلامة **ضرورية** لمفهوم الديكتاتورية المنطقي ؛ ولا يشكل هذا ابداً ، بالنسبة للديكتاتورية ، شرطاً **ضرورياً** من شروط مفهومها التاريخي والطبقي .

ان العلامة الضرورية ، الشرط الضروري للديكتاتورية ، انما هما قمع المستثمِرين بوصفهم **طبقة** ، عن طريق **العنف** ، وبالتالي انتهاك «الديموقراطية الخالصة» ، اي انتهاك المساواة والحرية ، **حيال هذه الطبقة** .

هكذا ، وهكذا فقط ، يمكن طرح المسألة نظرياً . اما كاوتسكي ، فهو ، اذ طرح المسألة على نحو آخر ، انما اثبت انه يتهجم على البلاشفة ، لا كنظري ، بل كواش في خدمة الانتهازيين والبرجوازية .

اما في اية بلدان ، في اية خصائص وطنية لهذه الرأسمالية او تلك ، ستطبق (كلياً او بصورة رئيسية) هذه التدابير او تلك

لتقييد او لانتهاك الديموقراطية بالنسبة للمستثمِرين ، فان ذلك رهن بالخصائص الوطنية لهذه الرأسمالية او تلك ، لهذه الثورة او تلك . ولكن المسألة النظرية تطرح بطريقة اخرى : هل ديكتاتورية البروليتاريا امر ممكن **دون انتهاك الديموقراطية** حيال طبقة **المستثمِرين** ؟

وهذه المسألة ، **الوحيدة** الهامة والجوهرية في حقل النظرية ، هي التي تجنبها كاوتسكي . فقد اورد كاوتسكي كثرة من الفقرات من ماركس وانجلس ، **باستثناء الفقرات** التي لها صلة بهذه المسألة والتي اوردتها اعلاه .

لقد تحدث كاوتسكي عن كل شيء ، عن كل ما هو مقبول عند الليبيراليين والديموقراطيين البرجوازيين ولا يتعدى نطاق افكارهم ، ما عدا الامر الرئيسي ، وهو ان البروليتاريا لا تستطيع احراز الغلبة **اذا لم تسحق مقاومة** البرجوازية ، **اذا لم تقمع خصومها بالعنف** ، وانه **من البديهي انه لا توجد الديموقراطية** حيث يوجد «القمع بالعنف» ولا توجد «الحرية» .

وهذا ما لم يفهمه كاوتسكي .

* * *

لننتقل الى تجربة الثورة الروسية والخلاف بين سوفييتات النواب والجمعية التأسيسية ، الذي ادى الى حل الجمعية التأسيسية والى حرمان البرجوازية من حق الانتخاب .

لا يجوز للسوفييتات ان تتحول الى هيئات للدولة

ان السوفييتات هي الشكل الروسي لديكتاتورية البروليتاريا . ولو ان نظرياً ماركسياً درس فعلاً هذه الظاهرة في مؤلف عن ديكتاتورية البروليتاريا (بدلاً من ان يردد ولولات

البرجوازيين الصغار ضد الديكتاتورية كما يفعل كاوتسكي اذ يردد معزوفات المناشفة) ، لكان هذا النظري بدأ باعطـــاء تعريف عام للديكتاتورية ولكان انتقل فيما بعد الى شكلها الخاص ، الوطني ، السوفييتات ؛ ولكان نقد هذا الشكل بوصفه احد اشكال ديكتاتورية البروليتاريا .

ومفهوم انه لا يمكننا ان نتوقع اي شيء جدي من كاوتسكي ، بعد ما «عدّل» مذهب ماركس عن الديكتاتورية بطريقة ليبيرالية . ولكنه من بالغ الدلالة ان نرى كيف تناول مسألة السوفييتات وكيف خرج منها .

فقد كتب عن السوفييتات ، اذ يذكر ظهورها عام ١٩٠٥ ، انها انشأت «شكـــل التنظيـــم البروليتاري ، الذي كان اشمـــل (umfassendste) من اي شكل آخر ، اذ انه كان يشمل جميع العمال الاجراء» (ص ٣١) . في ١٩٠٥ ، لم تكن السوفييتات في روسيا سوى جمعيات محلية ؛ وفي ١٩١٧ ، غدت اتحاداً على نطاق البلاد .

ويتابع كاوتسكي قوله : «وللتنظيم السوفييتي الآن تاريـــخ كبير ومجيد . وينتظره تاريخ اقوى ايضاً ، وليس في روسيا وحسب . فضد القوى الهائلة التي يتصرف بهـــا الراسمال المالي في الميدان الاقتصادي والسياسي ، يتبين في كل مكان ان الطرائق القديمة لنضال البروليتاريا الاقتصادي والسياسي غير كافية» (versagen) ، وتعني هذه الكلمة الالمانية اكثر بقليل من «غير كافية» واقل بقليل من «عاجزة») . «لا يمكن التخـــلي عنها ، اذ لا تزال ضرورية في الاحوال العادية ، غير انها تواجه من حين الى آخر قضايـــا لا تستطيع لها حلاً ، ولا يمكن حلها بنجـــاح ، الا باتحـــاد جميـــع الادوات السياسية والاقتصادية التي تتوافر لقوى الطبقة العاملة» (ص ٣٢) .

ثم تلي محاكمة عن الاضراب الجماهيري وعن ان «البيروقراطية النقابية» التي ، مع كونها ضرورية لا غنى عنها كالنقابات نفسها ،

«لا تصلح لقيادة المعارك الجماهيرية الهائلة التي تغدو اكثر فاكثر علامة من علائم عصرنا» . . .

ويخلص كاوتسكي الى القول : «. . . وهكذا اذن ، ان التنظيم السوفييتي ظاهرة من اهم ظواهر عصرنا . وهو يبشر باكتساب اهمية فاصلة في المعارك الكبيرة الحاسمة بين الرأسمال والعمل التي نسير نحوها .

ولكن ، هل يحق لنا ان نطلب من السوفييتات اكثر من ذلك ؟ فان البلاشفة الذين حصلوا مع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين على الاغلبية في سوفييتات نواب العمال في روسيا ، بعد ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ (حسب التقويم الجديد ، او في اكتوبر – تشرين الاول – حسب التقويم القديم) ، شرعوا ، بعد حل الجمعية التاسيسية ، في تحويل السوفييت الذي كان حتى ذاك **منظمة كفاحية لطبقة** واحدة الى **منظمة للدولة** . فقد قضوا على الديموقراطية التي ظفر بها الشعب الروسي في ثورة آذار – مارس (حسب التقويم الجديد او شباط – فبراير – حسب التقويم القديم) . ومذ ذاك ، لم يعد البلاشفة يطلقون على انفسهم اسم الاشتراكيين-**الديموقراطيين** . واصبحوا يسمون انفسهم باسم **الشيوعيين**» (ص ٣٣ ، حرف التاكيد لكاوتسكي) .

ان من له المام بالادب المنشفي الروسي ، يرى فوراً بأي مذلة وحقارة يستنسخ كاوتسكي مارتوف واكسيلرود وشتين وشركاهم . اجل ، «بمذلة وحقارة» لان كاوتسكي يحرف الوقائع بصورة فظة مضحكة ، اكراماً للاوهام المنشفية . فان كاوتسكي لم يعن ، مثلاً ، باستقاء معلوماته من مخبريه ، امثال شتين برلين او اكسيلرود ستوكهلم ، ليعرف **في اي وقت** طرحت مسألة تغيير تسمية البلاشفة بتسمية الشيوعيين ، ومسألة دور السوفييتات بوصفها منظمات للدولة . ولو ان كاوتسكي استقى هذه المعلومات البسيطة ، لما كان دبج هذه الاسطر التي تبعث على الضحك ، اذ

ان هاتين المسألتين انما طرحهمـــا البلاشفـــة **في نيسان (ابريل) ١٩١٧** ، ومثلاً في «موضوعات»ي في ٤ نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، اي **قبل** ثورة اكتوبر ١٩١٧ **بزمن كبير** (وبالاحرى قبل حل الجمعيـــة التأسيسية في ٥ كانون الثاني – يناير – ١٩١٨) .

غير ان محاكمة كاوتسكي ، التي نقلتها بكليتها ، تؤلف **عقدة** قضية السوفييتات بكاملها . العقدة ، بمعنى ان المقصود على وجه الضبط ان نعرف ما اذا كان يتعين على السوفييتات ان تبذل جهدها لكي تصبح منظمات للدولة (في نيسان ١٩١٧ ، رفع البلاشفـــة شعار : «كل السلطة للسوفييتات» ، وفي المجلس العام للحزب البلشفي ، الذي انعقد ايضاً في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، اعلنوا انه لا يمكنهم ان يرضوا بقيام جمهورية برلمانية برجوازية وانهم يطالبون بجمهورية عماليـــة وفلاحيـــة من طراز الكومونـــة او من طراز السوفييتات) ؛ – **ام** انه يتعين عليها ان لا تبذل اي جهد **في هذا** السبيل ، يتعين عليها ان لا تأخذ السلطة ، ولا تصبح منظمـــات للدولة ، بل يجب عليها ان تبقى «منظمات كفاحية» لـ«طبقة» واحدة (كما قال مارتوف ، حين موه وراء امنيتـــه البريئـــة واقع ان السوفييتات كانت ، تحت قيادة المناشفـــة ، **اداة من اجل اخضاع العمال للبرجوازية**) .

وبمذلة وحقارة ، ردد كاوتسكي اقوال مارتوف ؛ وقد اخذ **مقاطع** من المناقشة النظرية التي دارت بين البلاشفة والمناشفة ، ونقلها ، دون تحليل ولا تمحيص ، الى الميدان النظري العام ، الى الميدان الاوروبي العام . فكانت النتيجة سلاطة غريبة لو اطلع عليها اي عامل روسي مدرك ، لكان اغرق في الضحك الساخر الصاخب .

ان كل عمال اوروبا (باستثنـــاء حفنـــة من الاشتراكيين-الامبرياليين العريقين) سيستقبلون كاوتسكي بنفس الضحك الساخر الصاخب حين نشرح لهم الموضوع .

ان كاوتسكي ، اذ توسع في خطأ مارتوف - بوضوح باهر - الى حد السخف والخراقة ، انما خدمه خدمة الدب . وبالفعل ، انظروا الى ما وصل اليه كاوتسكي .

السوفييتات تشمل جميع العمال الاجراء . ضد الرأسمال المالي ، غدت الطرائق القديمة للنضال الاقتصادي والسياسي لدى البروليتاريا غير كافية . السوفييتات مدعوة الى الاضطلاع بدور عظيم ، لا في روسيا وحسب . ستضطلع السوفييتات بدور حاسم في المعارك الكبيرة الحاسمة بين الرأسمال والعمل في اوروبا . هكذا تكلم كاوتسكي .

عال ! «المعارك الحاسمة بين الرأسمال والعمل» ، ترى ، الا تبت في مسألة اية من هاتين الطبقتين ستستولي على سلطة الدولة ؟

كلا ! لا شيء من هذا القبيل ، لا سمح الله !

ففي المعارك «الحاسمة» ، يجب على السوفييتات التي تشمل جميع العمال الاجراء ، **ان لا تصبح منظمة للدولة** !

وما هي الدولة ؟

الدولة ليست سوى آلة لقمع طبقة من جانب اخرى .

وهكذا يجب على الطبقة المظلومة ، طليعة جميع الكادحين وجميع المستثمَرين في المجتمع الراهن ، ان تهفو الى «المعارك الحاسمة بين الرأسمال والعمل» ، **ولكنه يجب عليها ان لا تمس الآلة** التي يستخدمها الرأسمال لقمع العمل ! -- **يجب عليها ان لا تحطم** هذه الآلة ! -- **يجب عليها ان لا تستخدم** منظمتها الشاملة **من اجل قمع المستثمِرين** !

رائع ، ممتاز ، ايها السيد كاوتسكي ! «نحن» نقر بالنضال الطبقي ، كما يقر به جميع الليبيراليين ، اي دون اسقاط البرجوازية . . .

هنا ، تتضح بكل جلاء قطيعة كاوتسكي كلياً مع الماركسية

ومع الاشتراكية على السواء . وهذا يعني عملياً الانتقال الى صف البرجوازية ، التي ترضى بكل شيء ، ما عدا تحويل منظمات الطبقة التي تضطهدها الى منظمات للدولة . ولا ريب ان كاوتسكي سيعجز اطلاقاً هنا عن انقاذ موقفه وقوامه التوفيق بين جميع الاشياء واجتناب جميع التناقضات العميقة عن طريق الجمل والالفاظ المنمقة .

اما ان كاوتسكي يعدل تماماً عن فكرة انتقال سلطة الدولة الى الطبقة العاملة ، واما انه يقبل ان تأخذ الطبقة العاملة في يدها آلة الدولة البرجوازية القديمة ، ولكنه لا يقبل بأي حال ان تحطم الطبقة العاملة هذه الآلة ، وتكسرها ، وتستعيض عنها بآلة جديدة ، بروليتارية . وسواء «اولنا» و«فسرنا» محاكمة كاوتسكي هذه بطريقة او باخرى ، فان قطيعته مع الماركسية وانتقاله الى جانب البرجوازية واضحان في مطلق الاحوال كل الوضوح .

حين اوضح ماركس في «البيان الشيوعي» اية دولة تحتاجها الطبقة العاملة الظافرة ، كتب يقول : «الدولة اي البروليتاريا المنظمة بوصفها طبقة سائدة» . وها هو ذا انسان يدّعي انه لا يزال ماركسياً ويعلن مع ذلك ان البروليتاريا المنظمة بكليتها والتي تخوض «النضال الحاسم» ضد الرأسمال **يجب عليها ان لا** تجعل من منظمتها الطبقية منظمة دولة . هنا ، يدلل كاوتسكي على هذا «الايمان الخرافي بالدولة» الذي قال عنه انجلس في عام ١٨٩١ انه «قد انتقل في المانيا الى وعي البرجوازية العام وحتى كثيرين من العمال» (٦٨) . ناضلوا ، ايها العمال ! — على هذا «يوافق» صاحبنا التافه الضيق الافق (والبرجوازي «يوافق» عليه ايضاً ، اذ ان العمال يناضلون في كل حال فلا يبقى الا ايجاد الوسيلة لفل حدة سيوفهم) ، — ناضلوا ولكن **اياكم ان تنتصروا** ! لا تدمروا آلة دولة البرجوازية ، لا تقيموا «منظمة الدولة» البروليتارية مكان «منظمة الدولة» البرجوازية !

ان كل من يشارك حقاً المفهوم الماركسي القائل ان الدولة ليست سوى آلة لقمع طبقة من جانب اخرى ، كل من تأمل نوعاً في هذه الحقيقة ، لن ينطق ابداً بهذه الخراقة القائلة انه يجب على المنظمات البروليتارية القادرة على قهر الرأسمال المالي ، ان لا تتحول الى منظمات للدولة . فهنا بالضبط يظهر البرجوازي الصغير الذي تظل الدولة بنظره ، «مع ذلك» ، شيئاً خارج الطبقات او فوق الطبقات . وبالفعل ، لماذا يجوز للبروليتاريا ، لـ«**طبقة واحدة**» ، ان تخوضها حرباً حاسمة ضد **الرأسمال** الذي يبسط سيطرته ، لا على البروليتاريا وحسب ، بل على الشعب بأسره ، على عموم البرجوازية الصغيرة ، على جميع الفلاحين ، – ولا يجوز لهذه البروليتاريا ، لهذه «**الطبقة الواحدة**» ، ان تحول منظمتها الى منظمة دولة ؟ لان البرجوازي الصغير **يخاف** النضال الطبقي ولا يخوضه الى النهاية ، **حتى الشيء الاهم** .

لقد التبس الامر كلياً على كاوتسكي فكشف نفسه بنفسه كلياً . فهو يعترف بنفسه – ولاحظوا هذا جيداً – ان اوروبا تسير نحو معارك حاسمة بين الرأسمال والعمل ، وان الطرائق القديمة للنضال الاقتصادي والسياسي لدى البروليتاريا غير كافية . والواقع ان هذه الطرائق كانت تتقوم على وجه الضبط في استخدام الديموقراطية **البرجوازية** . اذن ؟ . .

غير ان كاوتسكي لم يجرؤ على استخلاص النتيجة المنطقية .

. . . اذن ، لا بد ان يكون المرء رجعياً ، عدواً للطبقة العاملة ، خادماً ذليلاً للبرجوازية ، حتى يبالغ الآن في اطراء محاسن الديموقراطية البرجوازية ويثرثر حول الديموقراطية الخالصة ، مديراً وجهه نحو الماضي الذي ولى . لقد **كانت** الديموقراطية البرجوازية خطوة الى الامام بالنسبة للقرون الوسطى ، وكان ينبغي الاستفادة منها . ولكنها اليوم **غير كافية** بالنسبة للطبقة العاملة .

فالمقصود الآن النظر ليس الى الوراء ، بل الى الامام ، الى احلال الديموقراطية **البروليتارية** محل الديموقراطية البرجوازية . واذا كانت الاعمال التحضيرية للثورة البروليتارية ، وتدريب الجيش البروليتاري وتشكيله ، اذا كان كل هذا امراً ممكناً (وضرورياً) **في نطاق** الدولة الديموقراطية البرجوازية ، فان من يحصر البروليتاريا ضمن هذا النطاق في فترة بلغنا فيها «المعارك الحاسمة» انما يخون القضية البروليتارية ، ويسلك سلوك المرتدين .

لقد وقع كاوتسكي في مأزق في منتهى السخرية : فقد تبنى برهان مارتوف **دون ان يلحظ** ان هذا البرهان يستند عند مارتوف الى برهان **آخر** لا وجود له عند كاوتسكي ! فان مارتوف يبرهن (وكاوتسكي يردد على اثره) ان روسيا لم تنضج بعد للاشتراكية ؛ ينجم عن ذلك بصورة طبيعية انه لم يئن الاوان لتحويل السوفييتات من هيئات للنضال الى منظمات للدولة (اقرأ : من المناسب تحويل السوفييتات ، بمساعدة زعماء المناشفة ، الى هيئات من اجل **اخضاع** العمال للبرجوازية الامبريالية) . والحال ، **لا يستطيع** كاوتسكي ان يقول بصراحة ان اوروبا لم تنضج للاشتراكية . ففي ١٩٠٩ ، كتب كاوتسكي ، قبل ان يمسي مرتداً ، انه ينبغي الآن ان لا نخشى قيام ثورة **قبل الاوان** وان من يتخلى عن الثورة خوفاً من الهزيمة ، يصبح خائناً . ان كاوتسكي لا يجرؤ على جحد قوله **علناً وجهاراً** . ينجم عن ذلك تشوش يكشف القناع كلياً عن حماقته وحقارته البرجوازية الصغيرة : من جهة نضوج اوروبا للاشتراكية وهي تسير نحو معارك العمل الحاسمة ضد الرأسمال ؛ ومن جهة اخرى ، **ممنوع** تحويل **المنظمة الكفاحية** (اي التي تتكون وتنمو وتقوى في معمعان النضال) ، منظمة البروليتاريا ، طليعة المظلومين ومنظّمتهم وزعيمتهم ، الى منظمة للدولة !

* * *

ان الفكرة القائلة بان السوفييتات ضرورية بوصفها منظمة كفاحية ، ولكنه يجب ان لا تتحول الى منظمات دولة ، هي ، من الناحية السياسية العملية ، اخرق بما لا حد له مما من الناحية النظرية . فحتى في زمن السلم ، حين لا يوجد وضع ثوري ، يؤدي النضال الجماهيري الذي يخوضه العمال ضد الرأسماليين ، كالاضراب الجماهيري مثلاً ، الى تفاقم الغضب المريع عند الفريقين ، الى اشتداد النضال حتى الذروة ؛ ولا تكف البرجوازية من القول والترداد انها لا تزال وتريد ان تبقى «سيدة في بيتها» ، الخ .. والحال ، ابان الثورة ، حين تغلي الحياة السياسية ، فان منظمة تشمل ، مثل السوفييتات ، **جميع** العمال في **جميع** الصناعات ، ثم **جميع** الجنود وجميع السكان الكادحين والفقراء في الارياف ، ان مثل هذه المنظمة تنساق بالضرورة ، من تلقاء نفسها ، بحكم تطور النضال ، بمجرد «منطق» الهجوم والرد ، الى وضع المسألة **جبهياً** . ومن يحاول ان يتخذ موقفاً وسطاً ، وان «يوفق» بين البروليتاريا والبرجوازية ، انما يرتكب حماقة ويمنى بهزيمة شنعاء : هكذا كان مثلاً في روسيا مصير مواعظ مارتوف وسائر المناشفة ؛ وهكذا سيكون الحال بالضرورة في المانيا وفي البلدان الاخرى ، اذا ما تطورت السوفييتات تطوراً واسعاً نوعاً ، وتوافر لها الوقت للاتحاد والرسوخ . فان تقول للسوفييتات : ناضلي ، ولكن لا تأخذي كامل سلطة الدولة في يدك ، لا تصبحي منظمات دولة ، فكأنك تعظ بالتعاون بين الطبقات و«السلام الاجتماعي» بين البروليتاريا والبرجوازية . فمن المضحك الاعتقاد ان مثل هذا الموقف في غمرة من النضال الضاري يمكن ان يؤدي الى غير الافلاس المخزي . وما مصير كاوتسكي ، مصيره الدائم الا الجلوس بين كرسيين . فهو يتظاهر بانه لا يوافق الانتهازيين على اية نقطة في حقل النظرية ، ولكنه في الحقيقة ، على اتفاق معهم **في التطبيق العملي** ، في كل ما هو جوهري (اي في كل ما له علاقة بالثورة) .

الجمعية التأسيسية والجمهورية السوفييتية

الجمعية التأسيسية وحلها من قبل البلاشفة ، تلك هي عقدة كل كراس كاوتسكي . وهو يعود اليها على الدوام . ففي كل سطر ، يذكر زعيم الاممية الثانية الفكري ، في مؤلفه ، بان البلاشفة «قد قضوا على الديموقراطية» (راجع اعلاه مقطعاً لكاوتسكي) . وهذه مسألة طريفة وهامة حقاً ، لان العلاقة المتبادلة بين الديموقراطية البرجوازية والديموقراطية البروليتارية واجهت الثورة بصورة **عملية** . لنر اذن كيف يعالج صاحبنا «النظري الماركسي» هذه المسألة .

انه يورد «موضوعات عن الجمعية التأسيسية» التي كتبتها انا ونشرتها «البرافدا» في ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ . يمكن الظن ان ليس ثمة من برهان افضل على الطريقة الجدية التي يتناول فيها كاوتسكي موضوعه ، متسلحاً بالوثائق . ولكن لنر **كيف** يستخدم كاوتسكي الاستشهادات . فهو لا يقول ان هذه الموضوعات كانت ١٩ ، لا يقول ان واضعها ايبحث فيها سواء العلاقة المتبادلة بين الجمهورية البرجوازية العادية والجمعية التأسيسية من جهة ، وجمهورية السوفييت من جهة اخرى ، او **تاريخ** الخلاف الذي نشب في ثورتنا بين الجمعية التأسيسية وديكتاتورية البروليتاريا . كل هذا يتحاشاه كاوتسكي ، بل يعلن للقارئ بكل بساطة «ان اثنتين منها (من هذه الموضوعات) تتسمان باهمية خاصة» : احداهما هي ان الاشتراكيين-الثوريين قد انقسموا بعد الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، ولكن قبل انعقاد هذه الجمعية (ويغفل كاوتسكي القول ان هذه الموضوعة هي الخامسة) ؛ والاخرى ، ان جمهورية السوفييت هي بوجه عام ، شكل ديموقراطي اعلى من الجمعية التأسيسية (ويغفل كاوتسكي القول ان هذه الموضوعة هي الثالثة) .

ومن هذه الموضوعة الثالثة فقط ، يورد كاوتسكي فقرة صغيرة بكاملها وهي :

«ليست جمهورية السوفييتات مجرد شكل نموذج اعلى من نماذج المؤسسات الديموقراطية (بالقياس الى الجمهورية البرجوازية **العادية** في ظل الجمعية التأسيسية كتتويج لها) بل هي ايضاً الشكل الوحيد القادر على تأمين الانتقال الى الاشتراكية بأقل الآلام» * (ويغفل كاوتسكي كلمة «عادية» وكلمات مقدمة الموضوعة : «من اجل الانتقال من النظام البرجوازي الى النظام الاشتراكي ، من اجل ديكتاتورية البروليتاريا») .

وبعد ان يورد كاوتسكي هذه الفقرة ، يصيح بسخرية رائعة :

«من المؤسف فقط انهم لم يخلصوا الى هذا الاستنتاج الا بعد ان وجدوا انفسهم اقلية في الجمعية التأسيسية . مع ان احداً لم يطالب بها فيما مضى بصورة عاصفة اكثر من لينين» .

هذا ما ورد حرفياً في الصفحة ٣١ من كتاب كاوتسكي !

أليس هذا القول درة حقيقية ! ان الكذاب الواشي العامل في خدمة البرجوازية هو وحده الذي يستطيع ان يزور الوقائع بهذا الشكل ، لكي يوهم القارئ بان جميع احاديث البلاشفة عن نموذج الدولة الاعلى هي مجرد اختراع ظهر **بعد** ان وجد البلاشفة انفسهم

* وللمناسبة . هذا التعبير : الانتقال «بأقل الآلام» ، انما يورده كاوتسكي مراراً عديدة ، محاولاً جهده ، على ما يبدو ، ان يتهكم . ولكن ، بما انه يبذل هذا الجهد بوسائل هزيلة ، فانه يغش بعد بضع صفحات ويزور قائلاً : الانتقال «بلا آلام» ! وطبيعي ، انه لا يصعب على المرء ، بمثل هذه الوسائل ، ان ينسب الى خصمه اية غباوة . وهذا الغش يتيح ايضاً تجنب الحجة من حيث الاساس : ان الانتقال الى الاشتراكية باخف الآلام لا يمكن الا بوساطة تنظيم الفقراء تنظيماً كلياً (السوفييتات) وبمساعدة مركز سلطة الدولة (البروليتاريا) لهذا التنظيم .

اقلية في الجمعية التأسيسية ! ! ان مثل هذا الكذب السافل لم يكن من الممكن ان يصدر الا عن نذل باع نفسه للبرجوازية ، او — والامران سيان اطلاقاً — اعتمد على ب . اكسيلرود واولاه ثقته ساتراً في الوقت نفسه اسماء مخبريه .

وبالفعل ، يعرف الجميع اني ، منذ اليوم الاول لوصولي الى روسيا — في ٤ نيسان (ابريل) ١٩١٧ — تلوت امام الجمهور موضوعات اعلنت فيها تفوق دولة من طراز الكومونة على الجمهورية البرلمانية البرجوازية . ثم كررت الشيء نفسه كتابة ، **مراراً عديدة** ، كما فعلت مثلاً في كراسي عن الاحزاب السياسية (٦٩) . وقد ترجم هذا الكراس الى الانجليزية ، ونشرته في اميركا جريدة "Evening Post" («ايفنينغ بوست») النيويوركية في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . اضف الى ذلك ان المجلس العام للحزب البلشفي ، المنعقد في اواخر نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، قد اتخذ قراراً لاحظ فيه ان الجمهورية البروليتارية الفلاحية اعلى من الجمهورية البرلمانية البرجوازية ، وان هذه الاخيرة لا يمكنها ان ترضي حزبنا ؛ وانه ينبغي بالتالي تعديل برنامج الحزب على هذا الاساس (٧٠) .

فأي نعت نطلق بعد هذا على فلتة كاوتسكي ، حين اكد للقراء الالمان اني طالبت بالحاح عاصف بعقد الجمعية التأسيسية واني لم اشرع في «التقليل» من شرف الجمعية التأسيسية وكرامتها الا بعد ان وجد البلاشفة انفسهم فيها اقلية ؟ بم يبرر هذه الفلتة ؟ * بأن كاوتسكي لم يكن على علم بالوقائع ؟ ولكن ، لماذا اذن راح يتحدث عنها ؟ او لماذا لم يصرح بنزاهة وامانة : انا ،

---

* هذا مع العلم ان في كراس كاوتسكي فيضاً من مثل هذه الاكاذيب المنشفية ! فما هذا الكراس الا عبارة عن رسالة قدح وهجو بقلم منشفي حقود .

كاوتسكي ، اكتب استناداً الى معلومات قدّمها المناشفة شتين واكسيلرود وشركاهما ؟ ان كاوتسكي ، الذي يتظاهر بانه موضوعي ، يسعى الى اخفاء دوره كخادم ذليل للمناشفة الذين اغتموا لهزيمتهم .

ولكن تلك هي الازهار فقط ، اما الثمار فتأتي فيما بعد .

لنفترض ان كاوتسكي لم يشأ او لم يستطع (؟؟) ان يتلقى من مخبريه ترجمة قرارات البلاشفة وتصريحاتهم حول مسألة ما اذا كانوا يقتنعون بالجمهورية الديموقراطية البرلمانية البرجوازية . لنفترض حتى هذا الامر ، وان كان غير معقول . ولكن موضوعاتي في ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، انما **يوردها** كاوتسكي **صراحة** في الصفحة ٣٠ من كتابه .

هذه الموضوعات ، هل يعرفها كاوتسكي بكليتها ، ام انه لا يعرف منها الا ما ترجمه له منها اضراب شتين واكسيلرود وشركاهما ؟ ان كاوتسكي يورد الموضوعة **الثالثة** حول المسألة **الجذرية** : **قبل** الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، هل ادرك البلاشفة واعلنوا **للشعب** ان جمهورية السوفييت اعلى من الجمهورية البرجوازية ؟ **ولكن كاوتسكي لا ينبس بكلمة عن الموضوعة الثانية .**

وهذه الموضوعة الثانية تقول :

«ان الاشتراكية-الديموقراطية الثورية ، اذ عرضت مطلب عقد الجمعية التأسيسية ، **قد اشارت غير مرة** ، منذ بدء بادئ الثورة عام ١٩١٧ ، الى ان **جمهورية السوفييتات هي شكل للديموقراطية اعلى من الجمهورية البرجوازية العادية التي تقوم فيها جمعية تأسيسية**» (حرف التأكيد مني) .

ولكي يصور السيد كاوتسكي البلاشفة على انهم اناس لا مبدأ لهم ، «انتهازيون ثوريون» (هذا التعبير ، استعمله كاوتسكي في مكان ما من كتابه ، ولا اذكر بأي صدد) ، **اخفى عن القراء الالمان** ان

الموضوعات تذكر صراحـة «**كثرة**» من البيانـات والتصريحات السابقة !

هذه هي الطرائق التافهة ، الحقيرة ، المخزية التي لجأ اليهـا السيد كاوتسكي . وهكذا استطاع ان يتهرب من المسألة **النظرية** .

أصحيح ام لا ان الجمهورية الديموقراطية البرجوازية البرلمانية **ادنى** من جمهورية من طراز الكومونة او من طراز السوفييتات ؟ هنا عقدة المسألة وهذا ما تركه كاوتسكي جانباً . وكل ما اعطاه ماركس في تحليله لكومونة باريس ، «نسيه» كاوتسكي . كما «نسي» رسالة انجلس الى بيبل في ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ ، حيث اعرب عن فكرة ماركس هذه نفسها بجلاء خاص وصراحة بالغة : «ان الكومونة لم تكن دولة بمعناها الخاص» .

فها هو اذن ابرز نظري في الاممية الثانية يدبج كراساً خاصاً عن «ديكتاتورية البروليتاريا» ، ويتناول فيه روسيا على الاخص ، حيث طرحت مباشرة ومراراً عديدة مسألـة شكل دولـة اعلى من الجمهورية الديموقراطية البرجوازية ، فاذا هو يلزم الصمت حول هذه المسألة . فما معنى هذا **عملياً** ان لم يكن الانتقال الى جانـب البرجوازية ؟

(ونلاحظ بين هلالين ان كاوتسكي يسير هنا ايضاً في ذيـل المناشفة الروس . فانك لواجد بين هؤلاء قدر ما تريد ممن يعرفون «جميع نصوص» ماركس وانجلس ، ولكنك لن تجد منشفياً واحداً حاول **مرة واحدة** ، من نيسان (ابريـل) ١٩١٧ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ومن تشرين الاول ١٩١٧ الى تشرين الاول ١٩١٨ ، ان يحلل مسألة دولة من طراز الكومونة . وبليخانوف ايضاً تهرب من هذه المسألة . **وكان لا بدّ لهم ، على ما يبدو ، ان يسكتوا**) .

ويقيناً انك اذا تحدثت عن حل الجمعية التأسيسية مـع اناس يقولون عن انفسهم انهم اشتراكيون وماركسيون ولكنهم في الواقـع

ينتقلون الى جانب البرجوازية في **المسألة الرئيسية** ، مسألة دولة من طراز الكومونة ، فكأنك ترمي الجواهر امام الخنازير . حسبي ان انشر ، في ملحق لهذا الكراس ، موضوعاتي عن الجمعية التأسيسية بنصها الكامل ، حتى يرى القارئ ان المسألة قد طرحت في ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ من الوجهة النظرية والتاريخية والسياسية والعملية .

واذا كان كاوتسكي قد جحد الماركسية تماماً بوصفه نظرياً ، فقد كان في مستطاعه ، مؤرخاً ، ان ينظر في قضية الصراع بين السوفييتات والجمعية التأسيسية . ونحن نعلم من كثرة من مؤلفات كاوتسكي انه **عرف** كيف يكون مؤرخاً ماركسياً ، وان مؤلفاته **هذه** ستظل ذخراً وطيداً في تراث البروليتاريا ، رغم ارتداد صاحبها فيما بعد . ولكن كاوتسكي ، بوصفه مؤرخاً ايضاً ، **ينحرف** في هذه المسألة عن الحقيقة ، ويزدري الوقائع التي **يعرفها الجميع** ، ويسلك سلوك الواشين . فهو **يود** لو يظهر البلاشفة على انهم اناس لا مبدأ عندهم ، ويروي كيف حاولوا ان **يخففوا** من حدة نزاعهم مع الجمعية التأسيسية ، قبل حلها . وليس في هذا اي سوء اطلاقاً ، وليس ثمة ما نجحده ؛ فاني انشر موضوعاتي بنصها الكامل وقد جاء فيها بصراحة ما بعدها صراحة : ايها السادة البرجوازيون الصغار المترددون ، المعتصمون في الجمعية التأسيسية ، اما ان ترضخوا لديكتاتورية البروليتاريا ، واما ان نتغلب عليكم «بالسبيل الثوري» (الموضوعتان ١٨ و١٩) .

هكذا سلكت البروليتاريا الثورية حقاً على الدوام وستسلك ايضاً على الدوام ازاء البرجوازية الصغيرة المترددة .

وحول مسألة الجمعية التأسيسية ، يتمسك كاوتسكي بنظرة شكلية . فقد قلت في موضوعاتي بكل وضوح وكررت مراراً عديدة ان مصالح الثورة تعلو الحقوق الشكلية للجمعية التأسيسية (راجع

الموضوعتين ١٦ و١٧) . ان وجهة النظر الديموقراطية الشكلية هي بالضبط وجهة نظر الديموقراطي **البرجوازي** الذي لا يقبل بان تعلوها مصالح البروليتاريا والنضال الطبقي البروليتاري . ان كاوتسكي ، مؤرخاً ، كان لا بدّ له من ان يعترف بان البرلمانات البرجوازية هي هيئات هذه الطبقة او تلك . ولكنه بحاجة الآن الى نسيان الماركسية (بغية ارتكاب هذه الفعلة السوداء التي هي جحد الثورة) ؛ ولذا فان كاوتسكي **لا يطرح السؤال** التالي : هيئة اية **طبقة** كانت تمثل الجمعية التأسيسية في روسيا . ولا يحلل كاوتسكي الوضع الملموس ، ولا يريد ان يرى الى الوقائع ، ولا يقول اية كلمة لقرائه الالمان لكي يعلمهم ان هذه الموضوعات لا تتضمن ايضاحاً نظرياً لطابع الديموقراطية البرجوازية المحدد (الموضوعات ١ – ٣) وحسب ، لا تتضمن بحث الشروط والظروف الملموسة التي جعلت اللوائح الحزبية الموضوعة في منتصف تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ لا تناسب الوضع الفعلي في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ (الموضوعات ٤ – ٦) وحسب ، بل تتضمن ايضاً **تاريخ النضال الطبقي والحرب الاهلية** في تشرين الاول – كانون الاول (اكتوبر – ديسمبر) ١٩١٧ (الموضوعات ٧–١٥) . ومن هذا التاريخ الملموس ، خلصنا الى الاستنتاج التالي (الموضوعة ١٤) وهو ان شعار «كل السلطة للجمعية التأسيسية» اصبح **في الواقع** شعار الكاديت وانصار كاليدين واعوانهم .

والمؤرخ كاوتسكي لا يلحظ هذا . المؤرخ كاوتسكي لم يسمع قط بان حق الانتخاب العام يعطي احياناً برلمانات ذات طابع برجوازي صغير واحياناً برلمانات رجعية ومضادة للثورة . وكاوتسكي ، المؤرخ الماركسي ، لم يسمع بان شكل الانتخابات ، شكل الديموقراطية شيء ، وان المضمون الطبقي لمؤسسة معينة شيء آخر . وهذه المسألة ، مسألة المضمون الطبقي للجمعية

التأسيسية ، مطروحة ومحلولة بوضوح في موضوعاتي . قد لا يكون حلي صحيحاً . واشد ما نرغب فيه ان يأتينا من الخارج انتقاد ماركسي لتحليلنا . ويحسن بكاوتسكي ان يقوم بهذا الانتقاد بدلاً من رصف الجمل الخرقاء (وهي كثيرة عند كاوتسكي) التي يدعي بها انه يحال دون انتقاد البلشفية . ولكن الحقيقة هي انه لا يوجد شيء عنده في حقل الانتقاد . حتى انه **لا يطرح السؤال** حول تحليل السوفييتات من جهة والجمعية التأسيسية من جهة اخرى تحليلاً طبقياً . ولذا **لا توجد اية امكانية** للجدل والنقاش مع كاوتسكي ، ولا يبقى الا ان **نبين** للقارئ لماذا لا يمكن نعت كاوتسكي الا بانه مرتد .

ان للخلاف بين السوفييتات والجمعية التأسيسية تاريخاً ما كان امكن حتى لمؤرخ لا يعتنق وجهة نظر النضال الطبقي ان يتجاهله . ولكن ، حتى تاريخ هذه الوقائع ، لم يشأ كاوتسكي ان **يلمسه** . وهو يخفي عن القراء الالمان هذا الواقع المعروف للجميع (الذي يخفيه اليوم شر المناشفة فقط) وهو ان السوفييتات كانت على خلاف مع مؤسسات «عموم الدولة» (اي المؤسسات البرجوازية) حتى في عهد سيطرة المناشفة ، اي من اواخر شباط (فبراير) حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . وفي الاساس ، يقف كاوتسكي موقف التوفيق والاتفاق والتعاون بين البروليتاريا والبرجوازية ؛ وعبثاً ينكر هذا ، فان هذا الموقف هو حقاً موقفه ، فكل كراسه يشهد عليه . كان لا ينبغي حل الجمعية التأسيسية ، وهذا ما يعني : كان لا ينبغي السير بالنضال ضد البرجوازية الى النهاية ، كان لا ينبغي اسقاطها ، كان ينبغي ان تتوافق البروليتاريا مع البرجوازية .

فلماذا سكت اذن كاوتسكي عن ان المناشفة قاموا بهذه الفعلة غير المشرفة ، من شباط (فبراير) الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ولم يبلغوا شيئاً ؟ فلو انه كان من الممكن التوفيق بين

البرجوازية والبروليتاريا ، فلماذا لم ينجح هذا التوفيق في عهد المناشفة ، لماذا وقفت البرجوازية في معزل عن السوفييتات ، لماذا دعيت السوفييتات (من جانب **المناشفة**) «الديموقراطية الثورية» ، والبرجوازية – «عناصر النصاب الانتخابي» ؟

لقد اخفى كاوتسكي عن القراء الالمان ان المناشفة هم الذين نعتوا السوفييتات بالديموقراطية الثورية في «عهد» سيطرتهم (شباط – تشرين الاول – ١٩١٧) ، معترفين **بالتالي** بتفوقها على جميع المؤسسات الاخرى . وباخفاء هذا الواقع ، بهذه الطريقة فقط ، ينجم عند المؤرخ كاوتسكي ان الخلاف بين السوفييتات والبرجوازية لا تاريخ له ، وانه نشأ فجأة ، بغتة ، بلا دوافع ، عن سوء سلوك البلاشفة . ولكن الواقع يبين ان **تجربة اكثر من ستة اشهر** (وهي مدة كبيرة جداً بالنسبة للثورة) من النشاط التوفيقي المنشفي ، من المحاولات للتوفيق بين البروليتاريا والبرجوازية ، قد اقنعت الشعب على وجه الضبط بعقم هذه المحاولات وابعدت البروليتاريا عن المناشفة .

ان كاوتسكي يعترف بان السوفييتات منظمة كفاحية رائعة للبروليتاريا ، منظمة ينتظرها مستقبل عظيم . وعليه ، ينهار كل موقف كاوتسكي كقصر من الكرتون او كحلم برجوازي صغير يود لو يتجنب نضال البروليتاريا الضاري ضد البرجوازية . لان الثورة كلها نضال مستمر ومستميت ايضاً ؛ ولان البروليتاريا هي الطبقة السائرة في طليعة **جميع** المضطهَدين ، وبؤرة ومركز جميع مساعي جميع المضطهَدين على اختلافهم الى التحرر والانعتاق . وبالطبع ، عكست السوفييتات – الهيئات النضالية للجماهير المضطهَدة – وجسدت مزاج هذه الجماهير وتغيرات مفاهيمها باسرع من اية مؤسسات اخرى ، وبمزيد من الكمال والدقة (وفي هذا احد الاسباب التي تجعل من الديموقراطية السوفييتية النموذج الاعلى بين نماذج الديموقراطية) .

ومن ٢٨ شباط (فبراير) الى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ (حسب التقويم القديم) ، استطاعت السوفييتات ان تعقد مؤتمرين **اثنين** لعموم روسيا يمثلان الاغلبية الساحقة من سكان روسيا ، يمثلان جميع العمال والجنود ، وسبعة او ثمانية اعشار الفلاحين ، هذا عدا طائفة من المؤتمرات المحلية ، في الاقضية والمدن والمحافظات والمقاطعات . وفي هذه الحقبة ، لم تنجح البرجوازية في عقداية هيئة تمثل الاغلبية (باستثناء «المداولة الديموقراطية» (٧١) التي كانت واضحة التزييف ، وتهكماً حقيقياً اثار غضب البروليتاريا) . وقد عكست الجمعية التأسيسية المزاج **نفسه** عند الجماهير ، التكتلات السياسية **نفسها** التي عكسها المؤتمر الاول لسوفييتات عموم روسيا في حزيران (يونيو) . وحين انعقدت الجمعية التأسيسية (كانون الثاني - يناير - ١٩١٨) ، كان قد انعقد المؤتمر الثاني للسوفييتات (تشرين الاول - اكتوبر - ١٩١٧) المؤتمر الثالث (كانون الثاني ١٩١٨) اللذان بيّنا كلاهما **بوضوح ما بعده وضوح ان** الجماهير قد تطورت نحو اليسار ، وتشربت بالروح الثوري ، وادارت ظهرها للمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، وانتقلت الى جانب البلاشفة ، **اي انها** ادارت ظهرها للقيادة البرجوازية الصغيرة ، لاوهام التوافق مع البرجوازية ، وانتقلت الى جانب نضال البروليتاريا الثوري من اجل اسقاط البرجوازية .

وهكذا يبرهن مجرد **سرد تاريخ** السوفييتات ان الجمعية التأسيسية كانت **رجعية** وان حلها كان محتماً لا مناص منه . ومع ذلك ، يتشبث كاوتسكي بـ«شعار»ه : لتهلك الثورة ، ولتنتصر البرجوازية على البروليتاريا ، شرط ان تزدهر «الديموقراطية الخالصة» ! * Fiat justitia, pereat mundus .

---

* ليأخذ العدل مجراه ، ولو هلك العالم ! **الناشر** .

وفيما يلي لوحة موجزة عن تركيب مؤتمرات السوفييتـــات لعامة روسيا خلال تاريخ الثورة الروسية :

مؤتمرات السوفييتات لعامة روسيا	عدد المندوبين	ومنهم البلاشفة	النسبة المئوية من البلاشفة
الاول (٣-٦-١٩١٧)	٧٩٠	١٠٣	١٣ بالمئة
الثاني (٢٥-١٠-١٩١٧)	٦٧٥	٣٤٣	٥١ بالمئة
الثالث (١٠-١-١٩١٨)	٧١٠	٤٣٤	٦١ بالمئة
الرابع (١٤-٣-١٩١٨)	١٢٣٢	٧٩٥	٦٤ بالمئة
الخامس (٤-٧-١٩١٨)	١١٦٤	٧٧٣	٦٦ بالمئة

حسبنا ان نلقي نظرة على هذه الارقــام حتى ندرك لماذا هذا الدفاع عن الجمعية التأسيسية او خطابات اولئك الذين يزعمون – مثل كاوتسكي – ان البلاشفة يتمتعون بتأييد اغلبية السكان ، لا تثير عندنا غير الضحك .

الدستور السوفييتي

ان حرمان البرجوازية من الحقوق الانتخابية لا يشكل ، كمـا سبق واشرت ، سمة لازمة لا غنى عنها لديكتاتورية البروليتاريا . وفي روسيا ايضاً ، لم يتحدث البلاشفـــة مسبقـــاً عن حرمان المستثمِرين من الحقوق الانتخابية ، مع انهـــم رفعوا شعار هذه الديكتاتورية قبل اكتوبر (تشرين الاول) بزمن بعيد . ان **هذا** العنصر من العناصر التي تؤلف الديكتاتورية لم يولد من «برنامج» ما وضعـه حزب ما ؛ انما **انبثق** من تلقاء نفسه في غمرة النضال . وبالطبع ، لم يلحظ كاوتسكي المؤرخ هذا الامر . ولم يدرك ان البرجوازية قـد

فصلت نفسها بنفسها عن السوفييتات في عهد سيطرة المناشفة (انصار التوافق مع البرجوازية) في السوفييتات ، وقاطعتها وافصحت عن معارضتها لها ، وحاكت الدسائس ضدها . ان السوفييتات قد انبثقت دون اي دستور ، وظلت **اكثر من سنة** (من ربيع ١٩١٧ الى صيف ١٩١٨) خارج كل دستور . اما ما **هيأ** فصل البرجوازية صراحة عن السوفييتات ، فهو : حقد البرجوازية على تنظيم المضطهَدين تنظيماً مستقلاً وكلي الجبروت (لانه شامل للجميع) ، ونضال البرجوازية ضد السوفييتات نضالاً مغرضاً ، قذراً ، غاية في الوقاحة ، واخيراً اشتراك البرجوازية (من الكاديت الى الاشتراكيين الثوريين اليمينيين ، من ميليوكوف الى كيرنسكي) اشتراكاً سافراً في فتنة كورنيلوف .

لقد سمع كاوتسكي بفتنة كورنيلوف ، ولكنه يبصق بكل مهابة وجلال على الوقائع التاريخية ، وعلى سير واشكال النضال التي تحدد **اشكال** الديكتاتورية : وفي الحقيقة ، ما شأن الوقائع هنا ، ما دام الحديث يتناول الديموقراطية «الخالصة» ؟ ولهذا السبب بالذات يمتاز «نقد» كاوتسكي لحرمان البرجوازية من الحقوق الانتخابية بـ . . . سذاجة معسولة قد تحمل على الرقة واللين لو انها صدرت عن طفل ، ولكنها تثير الاشمئزاز والنفور لانها تصدر عن انسان لم يثبت بعد رسمياً انه معتوه .

«. . . لو ان الرأسماليين وجدوا انفسهم اقلية تافهة في ظل نظام الانتخاب العام ، لكانوا رضخوا لمصيرهم بمزيد من السرعة» (ص٣٣) . . . لطيف ، أليس كذلك ؟ ان الذكي كاوتسكي قد رأى مراراً عديدة في التاريخ ، وهو ، بوجه عام ، يعرف جيداً جداً بملاحظاته للحياة الواقعية ، امثلة عن ملاكين عقاريين ورأسماليين يحترمون ارادة اغلبية المضطهَدين . والذكي كاوتسكي يتبنى بقوة وجهة نظر «المعارضة» ، **اي وجهة نظر الصراع داخل البرلمان** . هكذا

حقاً وصدقاً كتب حرفياً : «المعارضة» (ص ٣٤ وكثير غيرها) .

فيا للعالم المؤرخ والسياسي ! ومع ذلك ينبغي لك ان تعرف ان «المعارضة» تفترض فكرة نضال سلمي ، وبرلماني فقط ، اي فكرة تناسب وضعاً غير ثوري ، فكرة تناسب **عدم وجود ثورة** . فأنت ، في الثورة ، تواجه عدواً لا يعرف رحمة ولا شفقة في الحرب الاهلية ، – وليس في مقدور اي نواح رجعي يصدر عن برجوازي صغير يخشى هذه الحرب ، كما يخشاها كاوتسكي ، ان يغير شيئاً في هذا الواقع . وانت اذا رأيت من وجهة نظر «المعارضة» الى المعاضل الناجمة عن حرب اهلية لا هوادة فيها ، في وقت لا تتردد فيه البرجوازية عن ارتكاب اية جريمة – ومثال الصفقة التي عقدها الفرساليون مع بيسمارك ينطوي على بعض العبرة لكل انسان يرى الى التاريخ على غير طريقة بتروشكا غوغول (٧٢) – وتستغيث فيه البرجوازية بالدول الاجنبية وتحيك الدسائس معها ضد الثورة ، – فانك آنذاك تثير الضحك . وآنذاك ، على غرار كاوتسكي «المستشار – المشوش كل شيء» يترتب على البروليتاريا الثورية ان تعتمر قبعة النوم وتعتبر البرجوازية التي تنظم انتفاضات الدوتوفيين والكراسنوفيين والتشيكيين ضد الثورة وتغدق الملايين على المخربين ، – تعتبرها «معارضة» شرعية . فما اعمق هذا التفكير !

ان كل ما يهم كاوتسكي ، انما هو الجانب الشكلي الحقوقي للمسألة ؛ ولذا ، فانك اذ تقرأ محاكماته حول الدستور السوفييتي ، تذكر عفو الخاطر كلمات بيبل التالية : الحقوقيون اناس من غلاة الرجعيين . فقد كتب كاوتسكي يقول : «وفي الواقع ، لا يمكن حرمان الرأسماليين وحدهم من حقوقهم . فمن هو الرأسمالي بالمعنى الحقوقي ؟ مالك ؟ فحتى في بلد متقدم في طريق التطور الاقتصادي كما هي عليه المانيا ، حيث البروليتاريا كثيرة التعداد ، يفضي قيام

الجمهورية السوفييتية الى حرمان جماهير غفيرة من الحقوق السياسية . ففي عام ١٩٠٧ ، بلغ عدد الاشخاص العاملين في الفروع الضخمة الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، في الامبراطورية الالمانية – بمن فيهم افراد عائلاتهم – قرابة ٣٥ مليوناً من فئة المستخدمين والعمال الاجراء ، و١٧ مليوناً من فئة المستقلين . وبالتالي ، كان من الممكن تماماً ان يضم الحزب اغلبية العمال الاجراء ولا يكون مع ذلك سوى اقلية بين السكان» (ص ٣٣) .

هذا نموذج من محاكمات كاوتسكي . طيب أليست تلك مناحة من المناحات ضد الثورة خليقة ببرجوازي ؟ لماذا تصنف اذن جميع «المستقلين» بين المحرومين من الحقوق ، ايها السيد كاوتسكي ، في حين انك تعلم علم اليقين ان الاغلبية الساحقة من الفلاحين الروس لا يستخدمون عمالاً اجراء ولا يُحرمون بالتالي من الحقوق ؟ أليس هذا تزويراً ؟

لماذا لم تستشهد ، ايها العالم الاقتصادي ، بالمعطيات ، التي تعرفها جيداً ويقدمها الاحصاء الالماني نفسه لعام ١٩٠٧ ، عن العمل المأجور في الزراعة حسب فئات الاستثمارات ؟ لماذا لم تعرض على العمال الالمان ، قراء كراسك ، هذه المعطيات التي كانت بينت **كم من المستثمِرين** ، كم هو قليل عدد المستثمِرين الذين نجدهم بين «الملاكين الريفيين» حسب الاحصاء الالماني ؟

ذلك لان ارتدادك جعل منك مجرد كذاب وواش في خدمة البرجوازية .

ان الرأسمالي ، على ما يبدو ، انما هو مفهوم حقوقي غامض ، واذا كاوتسكي يسحق في عدة صفحات «تعسف» الدستور السوفييتي . وهذا «العلامة الجدي» يسمح للبرجوازية الانجليزية طوال قرون بأن تضع وتصوغ دستوراً برجوازياً جديداً (جديداً

بالنسبة للقرون الوسطى) ، ولكن هذا العلامة الذي يمثل علماً ذليلاً لا يمنحنا اية مهلة ، نحن عمال وفلاحي روسيا . بل يتطلب منا دستوراً نصوغه حتى آخر حرف وفاصلة منه في بضعة اشهر ...

... «تعسف» ! فكروا قليلاً اية هاوية من الاستخذاء السافل القذر امام البرجوازية ومن التحذلق الغليظ ولا اغلظ ، تتجلى في **هذا** اللوم . فحين يقضي الحقوقيون في البلدان الرأسمالية ، البرجوازيون حتى رؤوس اصابعهم والرجعيون بمعظمهم ، قروناً او عقوداً في صياغة ادق الانظمة ، وفي كتابة العشرات والمئات من مجلدات القوانين وشروح القوانين التي **تضطهد** العامل ، وتبقي **الفقير** مقيد اليدين والرجلين ، وتواجه الشغيل البسيط ، ابن الشعب ، بألف مماحكة وعقبة - آه ، حينذاك لا يرى الليبيراليون البرجوازيون والسيد كاوتسكي أي «تعسف» هنا على الاطلاق ! فهنا يسود «النظام» و«القانون» ! هنا كل شيء كان موضع تفكير عميق وصياغة قانونية من اجل «عصر» الفقير الى النهاية . وهنا آلاف المحامين والموظفين البرجوازيين (وعن هؤلاء ، بوجه عام ، لا ينبس كاوتسكي ببنت شفة ؛ وذلك ، كما يبدو ، للسبب التالي على وجه الضبط ، وهو ان ماركس علق اهمية هائلة على **تحطيم** الآلة البيروقراطية ...) ، المحامين والموظفين يعرفون كيف يفسرون القوانين بصورة يستحيل معها تماماً على العامل والفلاح المتوسط ان يقطع حاجز الاسلاك الشائكة الذي ترفعه هذه القوانين . ليس هذا «تعسف» البرجوازية ، ليس هذا ديكتاتورية المستثمرين الجشعين ، القذرين ، شاربي دماء الشعب . كلا ابداً . انما هذا هو «الديموقراطية الخالصة» التي تزداد خلاصاً يوماً بعد يوم .

وحين عمدت الطبقات الكادحة والمستثمَرة ، التي فصلتها الحرب الامبريالية عن اخواتها في الخارج ، وشكلت لاول مرة في التاريخ سوفييتاتها **الخاصة بها** ، ودعت الى البناء السياسي **تلك**

الجماهير التي كانت تضطهدها البرجوازية وترهقهـــا وتخبلها ، وشرعت تبني **بنفسها** دولة **جديدة** ، بروليتارية ؛ وحين بدأت في معمعان النضال المسعور وفي نار الحرب الاهليـــة **ترسم** الاحكام الاساسية لدولة **بلا مستثمِرين** ، - شرع جميع انذال البرجوازية ، وكل عصابة مصاصي الدماء ، مع مدّاحهـــم كاوتسكي ، يزعقون بـ«التعسف» ! كيف تريدون ، حقاً ، ان يعرف هؤلاء الجهلة ، العمال والفلاحون ، ان يعرف هؤلاء «العامـــة» كيف يفسرون قوانينهم ؟ من اين تريدونهم ان يكسبوا شعور العدالــة ، هؤلاء الشغيلـــة البسطاء ، الذين لا يأخذون بنصائح المحامين المستنيرين ، والكتاب البرجوازيين ، والكاوتسكيين ، وشيـــوخ الموظفين المملوئـــين حكمة ؟

ومن خطابي الذي القيته في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩١٨ (٧٣) ، يورد السيد كاوتسكي هذه الجملـــة : «. . . ان الجماهير تحدد بنفسها اصول الانتخابات وموعدها . . .» و«وكديموقراطي خالص» ، يخلص كاوتسكي الى القول :

«... يبدو اذن ان كل جماعة من الناخبين تقرر اصول الانتخابات كما يطيب لها . وعليه ، فان التعسف وامكان التخلص من العناصر المعارضـــة المزعجة ، في قلب البروليتاريا بالذات ، قد يبلغان الذروة» (ص ٣٧) .

ما هذا اذن ان لم يكن ترهات مطية قلمية مأجورة يستخدمها الرأسماليون ، وتطلق الصرخات الداوية ، لدن اي اضراب ، ضد العنف يمارسه الجمهور عـــلى العمال الصالحين الذين «يرغبون في العمل» ؟ لماذا **لا** تكون اصول الانتخاب التي يقرهـــا الموظفـــون **البرجوازيون** في الديموقراطية البرجوازية «الخالصـــة» طريقـــة تعسفية ؟ لماذا ينبغي ان يكون شعور العدالة **عند الجماهير التي هبت الى النضال** ضد مستثمريهـا المزمنين ، عند الجماهير التي

تستنير ويتصلب عودها في معمعان هذا النضال الضاري ، اقل مما عند **حفنات** من الموظفين والمثقفين والمحامين الذين تربوا بروح الاوهام **البرجوازية** ؟

ان كاوتسكي لاشتراكي حقيقي ؛ فلا تضعوا موضع الشك حسن نية رب العائلة الموقر هذا ، هذا المواطن الشريف ولا اشرف . انه نصير لانتصار العمال ، لانتصار الثورة البروليتارية ، نصير متأجج الحماسة وثابت الاقتناع . الا انه يود لو ان المثقفين البرجوازيين الصغار المعسولين والتافهين الضيقي الافق ، المعتمرين بقبعة النوم ، يضعون **اولاً – قبل** تحرك الجماهير ، **قبل** نشوب نضالها الضاري ضد المستثمرين ، ولا سيما **دون** حرب اهلية – **انظمة** معتدلة ، مرتبة بعناية ، **لتطور الثورة** . . .

وبعميق الاستياء الاخلاقي يروي عالمنا العلامة يهوذا الصغير غولوفليف (٧٤) على مسامع العمال الالمان ان اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييتات في عامة روسيا قد قررت ، في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٨ ، فصل ممثلي الحزبين الاشتراكي-الثوري اليميني والمنشفي من السوفييتات . فقد كتب يهوذا الصغير كاوتسكي مشتعلاً بغضب نبيل : «ان هذا التدبير ليس موجهاً ضد بعض الاشخاص الذين اقترفوا بعض الاعمال المعاقب عليها ... ان دستور الجمهورية السوفييتية لا يشير بكلمة الى حصانة النواب – اعضاء السوفييتات . وعليه فان المفصولين عن السوفييتات ليسوا ، في هذه الحالة ، بعض **الاشخاص** ، بل بعض **الاحزاب**» (ص ٣٧) .

اجل ، هذا رهيب بالفعل ، هذا ابتعاد لا يطاق ، ابتعاد عن الديموقراطية الخالصة التي يريد صاحبنا الثوري يهوذا الصغير كاوتسكي ان يصنع الثورة بموجب قواعدها . ونحن ، البلاشفة الروس ، كان علينا ان نعد اولاً بتأمين الحصانة لاضراب

سافينكوف وشركاهم ، وامثال ليبردان (٧٥) وبوتريسوف («للنشيطين» (٧٦)) وشركاهم ونسن فيما بعد قانوناً جزائياً «يعاقب» كل من يشترك في حرب التشيكوسلوفاكيين ضد الثورة ، او يتحالف في اوكرانيا او في جورجيا مع الامبرياليين الالمان **ضد** عمال بلاده ، **حينذاك** فقط ، كان من حقنا ، بموجب هذا القانون الجزائي ، وطبقاً لروح «الديموقراطية الخالصة» ، ان نفصل «**بعض الاشخاص**» من السوفييتات . وغني عن البيان ان التشيكوسلوفاكيين الذين يتلقون الاموال من الرأسماليين الانجلو-فرنسيين بوساطة اضراب سافينكوف وبوتريسوف وليبردان (او بوساطة دعايتهم) ، وكذلك الكراسنوفيين الذين يملكون القنابل الالمانية بمساعدة مناشفة اوكرانيا وتفليس ، كانوا انتظروا بكل هدوء ان ننتهي من وضع قانون جزائي صحيح ، وكانوا اكتفوا ، مثل اخلص الديموقراطيين ، بدور «المعارضة» . . .

وكاوتسكي ليس اقل استياء اخلاقياً ايضاً لان الدستور السوفييتي يحرم من الحقوق الانتخابية اولئك الذين «يستخدمون العمال الاجراء لابتزاز ربح منهم» . وقد كتب كاوتسكي يقول : «من الممكن ان تكون لشغيل في بيته او لصاحب عمل صغير يستخدم صانعاً معاوناً واحداً ، حياة البروليتاريين الحقيقيين ومشاعرهم ، ومع ذلك فهو محروم من الحقوق الانتخابية» (ص ٣٦) .

فاي ابتعاد عن «الديموقراطية الخالصة» ! واي ظلم ! صحيح ان جميع الماركسيين كانوا يعتبرون حتى الآن ، ويثبتون بآلاف الوقائع ، ان اصحاب العمل الصغار هم اكثر مستثمري العمال الاجراء وقاحة وبخلاً ؛ ولكن يهوذا الصغير كاوتسكي يتحدث ، بالطبع ، لا عن **طبقة** اصحاب العمل الصغار (ومن ذا الذي اخترع نظرية النضال الطبقي الضارة ؟) ، بل عن افراد ، عن مستثمِرين «حياتهم ومشاعرهم حياة ومشاعر البروليتاريين الحقيقيين» . ان «اغنيس

المقتصدة» الشهيرة ، التي كان يظن انها ماتت منذ زمن بعيد ، تبعث حية بقلم كاوتسكي . فان اغنيس المقتصدة هذه انما خلقها وروّج بها في الادب الالماني منذ بضعة عقود ، الديموقراطي «الخالص» ، البرجوازي اوجين ريختر . وقد كان يتنبأ بالمصائب التي لا توصف والتي لا بد ان تحملها ديكتاتورية البروليتارية ومصادرة رأسمال المستثمِرين ؛ ويسأل ، متظاهراً بالسذاجة والبراءة ، من هو الرأسمالي بالمعنى الحقوقي . وكان يورد مثال خياطة فقيرة ومقتصدة («اغنيس المقتصدة») يسلبها «ديكتاتوريو البروليتاريا» الملاعين دراهمها الاخيرة . ولقد كان زمن تلهت فيه الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية كلها بأقصوصة «اغنيس المقتصدة» هذه التي لفقها الديموقراطي الخالص اوجين ريختر . ولكن هذا يعود الى زمن بعيد ، الى ذلك الزمن الغابر ، يوم كان بيبل لا يزال على قيد الحياة ويقول الحقيقة بصراحة وجلاء وهي ان الوطنيين-الليبيراليين (٧٧) كانوا عديدين في الحزب الالماني . هذا يعود الى ذلك الزمن الغابر ، يوم لم يكن كاوتسكي بعد مرتداً .

واليوم ، تبعث «اغنيس المقتصدة» حية بشخص «صاحب العمل الصغير الذي يستخدم صانعاً معاوناً واحداً والذي حياته ومشاعره هي حياة ومشاعر البروليتاريين الحقيقيين» . والبلاشفة الاشرار يظلمونه ، ويحرمونه من الحقوق الانتخابية . صحيح ان «كل جماعة انتخابية» تستطيع في الجمهورية السوفييتية ، كما قال كاوتسكي نفسه ، ان تقبل حرفياً فقيراً مرتبطاً مثلاً بمصنع معين اذا لم يكن ، على سبيل الاستثناء ، مستثمِراً ، اذا كانت «حياته ومشاعره» **حقاً** «حياة ومشاعر البروليتاري الحقيقي» . ولكن ، هل يمكن الثقة بمعرفة الحياة ، بشعور العدالة ، عند جمعية من العمال البسطاء في المصنع ، سيئة التنظيم وتعمل (يا للفظاعة!) بدون انظمة داخلية ؟ أليس واضحاً انه من الافضل منح الحقوق

الانتخابية **لجميع** المستثمِرين ، **لجميع** الذين يستخدمون عمالاً اجراء ، بدلاً من التعرض لخطر اقدام العمال على الاساءة «لاغنيس المقتصدة» و«الحرفي الصغير الذي حياته ومشاعره هي حياة ومشاعر البروليتاري الحقيقي» ؟

* * *

في مستطاع المرتدين الحقيرين الانذال ان يرذلوا دستورنا السوفييتي ، على تصفيق البرجوازية والاشتراكيين-الشوفينيين * ، لانه يحرم المستثمِرين من الحقوق الانتخابية . وهذا حسن جداً ، لان القطيعة لن تكون الا اسرع واعمق بين العمال الثوريين الاوروبيين وبين من هم على شاكلة شيدمان وكاوتسكي ، ورينوديل ولونغه ، وهندرسون ، ورمسي ماكدونالد ، والزعماء القدماء والخونة القدماء للاشتراكية .

اما جماهير الطبقات المظلومة ، والزعماء الواعون والشرفاء من البروليتاريين الثوريين ، فانهم سيكونون **معنا** . حسبنا ان نطلع هؤلاء البروليتاريين وهذه الجماهير على دستورنا السوفييتي حتى يقولوا فوراً : ها هم حقاً **رجالنا لنا** ، ها هو حزب العمال الحقيقي ، حكومة العمال الحقيقية ، لانها لا تخدع العمال بثرثرات عن الاصلاحات ، **كما فعل جميع الزعماء المذكورين آنفاً** ؛ بل تكافح

---

* قرأت للتو المقال الافتتاحي في «فرانكفورتر زايتونغ» (٢٢ تشرين الاول ــ اكتوبر ــ ١٩١٨ ، العدد ٢٩٣) ، الذي يعلق على كراس كاوتسكي بحماسة . ان جريدة اصحاب البورصة في جذل وطرب . وكيف لا ! وقد كتب لي رفيق من برلين ان «فورفارتس» ، جريدة شيدمان وامثاله قد اعلنت ، في مقال خاص ، انها تضع توقيعها تحت كل سطر تقريباً مما كتبه كاوتسكي . فكل تهالينا !

المستثمِرين بجدّ ، وبجد تحقق الثورة ، وتناضل **فعلاً** في سبيل تحرير العمال تحريراً تاماً .

واذا كانت السوفييتات ، بعد سنة من «التجربة» مرت بها ، قد حرمت المستثمِرين من الحقوق الانتخابية ، فهذا **يعني** ان هذه السوفييتات هي فعلاً منظمات الجماهير المظلومة ، لا منظمات الاشتراكيين-الامبرياليين والاشتراكيين-المسالمين المباعين للبرجوازية . **واذا** كانت هذه السوفييتات قد حرمت المستثمِرين من الحقوق الانتخابية ، فهذا **يعني** انها ليست هيئات للتوافق البرجوازي الصغير مع الرأسماليين ، ولا هيئات للثرثرة البرلمانية (لكاوتسكي ولونغه وماكدونالد ومن لف لفهم) ، بل هيئات للبروليتاريا الثورية حقاً ، التي تخوض النضال المستميت ضد المستثمِرين .

«ان كتاب كاوتسكي يكاد يكون مجهولاً هنا» ، — هكذا كتب لي مؤخراً (نحن الآن في ٣٠ تشرين الاول — اكتوبر) من برلين ، رفيق واسع الاطلاع . واني لانصح سفيرينا في المانيا وسويسرا ان ينفقا الالوف لشراء هذا الكتاب **وتوزيعه مجاناً** على العمال الواعين ، لكي يقذفوا الى الوحل بهذه الاشتراكية-الديموقراطية «الاوروبية» — اقرأ : الامبريالية والاصلاحية — التي لم تبق منذ زمن بعيد سوى «جيفة نتنة» .

* * *

وفي آخر كتابه ، في الصفحتين ٦١ و٦٣ ، يتباكى السيد كاوتسكي ويأسف بمرارة ان «تجد النظرية الجديدة» (هكذا يسمي البلشفية ، خائفاً ان يتناول تحليل ماركس وانجلس لكومونة باريس) «انصاراً حتى في الديموقراطيات العريقة ، كسويسرا مثلاً ، ومن «غير المفهوم» ، بنظر كاوتسكي ، «ان يقبل اشتراكيون-ديموقراطيون المان بهذه النظرية» .

ولكن هذا ، بالعكس ، امراً مفهوم تماماً ، لان الجماهير الثورية شرعت بعد الدروس الجدية التي تلقتها من الحرب ، تشعر بالاشمئزاز والنفور من الشيدمانيين والكاوتسكيين على السواء .

«نحن» كنا دائماً نؤيد الديموقراطية – هكذا يكتب كاوتسكي – وهل نحن الذين نتخلى عنها من تلقاء انفسنا ؟ !

«نحن» ، انتهازيي الاشتراكية-الديموقراطية ، كنا دائماً ضد ديكتاتورية البروليتاريا ، وهذا ما قاله علناً كولب وامثاله وشركاه **منذ زمن بعيد** . وكاوتسكي يعرف هذا ، وعبثاً يعتقد ان في مقدوره ان يخفي عن قرائه هذا الواقع الجلي ، واقع «عودته الى احضان» اضراب برنشتين وكولب .

«نحن» ، الماركسيين الثوريين ، لم نجعل يوماً من الديموقراطية «الخالصة» (البرجوازية) صنماً للعبادة . فان بليخانوف ، كما هو معلوم ، كان في عام ١٩٠٣ ماركسياً ثورياً (قبل انعطافه المشؤوم الذي جعل منه شيدماناً روسياً) . وفي مؤتمر الحزب الذي اقر البرنامج ، قال بليخانوف ان البروليتاريا ستعمد في الثورة ، عند الاقتضاء ، الى حرمان الرأسماليين من الحقوق الانتخابية ، **وتحل** البرلمان ، **كل البرلمان** اذا تبين انه مناهض للثورة . وان تكون هذه النظرة النظرة الوحيدة التي تنطبق على الماركسية ، فهذا ما سيدركه كل امرئ من بيانات ماركس وانجلس التي اوردتها ، على الاقل . وهذا ما يظهر بوضوح من جميع اسس الماركسية .

«نحن» ، الماركسيين الثوريين ، لم نلق على الشعب خطابات كالتي كان يحب ان يلقيها الكاوتسكيون على اختلاف اممهم الذين ينبطحون على بطونهم امام البرجوازية ، ويتكيفون للبرلمانية البرجوازية ، ويلزمون الصمت حول طابع الديموقراطية العصرية **البرجوازي** ويكتفون فقط بالمطالبة بتوسيعها ، بتحقيقها الى النهاية .

«نحن» قلنا للبرجوازية : انتم ، ايها المستثمِرون والمنافقون ، انتم تتحدثون عن الديموقراطية ، بينا تقيمون لدى كل خطوة آلاف العراقيل لمنع **الجماهير المضطهَدة** من الاشتراك في السياسة . ومن افواهكم ندينكم ، ونطالبكم ، **بغية تحضير الجماهير للثورة** ، من اجل اسقاطكم ، ايها المستثمِرون ، نطالبكم ، في مصلحة هذه الجماهير ، بتوسيع ديموقراطيت**كم** البرجوازية . واذا حاولتم انتم ، ايها المستثمِرون ، ان تقاوموا ثورتنا البروليتارية ، قمعناكم بلا رحمة ولا شفقة ، وحرمناكم من حقوقكم ؛ ناهيك عن اننا سنمنع عنكم الخبز ، لان المستثمِرين لن يتمتعوا بأية حقوق في جمهوريتنا البروليتارية ، وسيُحرمون النار والماء ، لاننا نحن اشتراكيون بالجد ، لا اشتراكيون على طريقة شيدمان وكاوتسكي .

تلك هي اللغة التي تكلمنا بها وسنتكلم بها «نحن» ، الماركسيين الثوريين ، ولهذا ستقف الجماهير المضطهَدة الى جانبنا ومعنا ، بينا يرمي الشيدمانيون والكاوتسكيون الى مزبلة المرتدين .

ما هي الاممية ؟

يعتقد كاوتسكي ويعلن ، باعظم الاقتناع ، انه اممي . وهو ينعت الشيدمانيين بأنهم «اشتراكيون حكوميون» . ان كاوتسكي ، اذ يدافع عن المناشفة (ويطبق افكارهم كلياً دون ان يعترف جهاراً وعلناً بتضامنه معهم) ، قد بيّن بصورة اخّاذة ما تعنيه «امميته» . وبما ان كاوتسكي ليس فرداً منفرداً ، بل ممثل تيار (٧٨) كان لا بد له ان يظهر حتماً في جو الاممية الثانية (لونغه في فرنسا ، توراتي في ايطاليا ، نوبس وغريم ، غرابر ونين في سويسرا ، رمسي

ماكدونالد في انجلترا ، الخ .) فمن المفيد ان نتناول بالبحث «اممية» كاوتسكي .

يؤكد كاوتسكي ان المناشفة كانوا هم ايضاً في زيميرفالد (هذه شهادة ، بالطبع ، ولكنها ... شهادة تعفنت نوعاً) ، فيعرض افكارهم على النحو التالي ، مع العلم انه يشاطرها :

... «كان المناشفة يريدون السلام الشامل ، وكانوا يريدون ان يتبنى جميع المتحاربين شعار : لا الحاقات ولا غرامات . وطالما لا يتم بلوغ هذا الهدف ، فانه يتعين على الجيش الروسي ان يكون على استعداد قتالي . اما البلاشفة ، فقد كانوا يطالبون بالسلام الفوري بأي ثمن كان ؛ وكانوا على استعداد لعقد صلح منفرد ، عند الاقتضاء ، ويبذلون جهدهم لانتزاع هذا الصلح بالقوة فيشددون اختلال النظام في الجيش فوق ما هو عليه من اختلال كبير» . (ص ٢٧) . وباعتقاد كاوتسكي كان على البلاشفة ان لا يأخذوا الحكم ، بل ان يكتفوا بالجمعية التأسيسية .

وهكذا تتقوم اذن امية كاوتسكي والمناشفة فيما يلي : مطالبة الحكومة البرجوازية الامبريالية بالاصلاحات ، ولكن مع الاستمرار في دعمها ، مع الاستمرار في دعم الحرب التي تخوضها هذه الحكومة الى ان يتبنى جميع المتحاربين شعار : لا الحاقات ولا غرامات . هذه الفكرة افصح عنها توراتي والكاوتسكيون (هآزه وغيره) ولونغه وشركاه ، مراراً عديدة ، حين اعلنوا انهم **يؤيدون** «الدفاع عن الوطن» .

وهذا يعني من الناحية النظرية انهم عاجزون تماماً عن الانفصال عن الاشتراكيين-الشوفينيين وانهم غارقون في تشوش مطلق فيما يخص قضية الدفاع عن الوطن ؛ كما يعني من الناحية السياسية انهم يستعيضون عن الامية بالقومية البرجوازية الصغيرة ، وينتقلون الى جانب الاصلاحية ، ويتخلون عن الثورة .

ان الاقرار «بالدفاع عن الوطن» ، يعني ، من وجهة نظر البروليتاريا ، تبرير الحرب الحالية ، الاعتراف بشرعيتها . وبما ان الحرب تبقى حرباً امبريالية (سواء في ظل الملكية ام في ظل الجمهورية) - بصرف النظر عن الارض التي تتمركز فيها قوات العدو في فترة معينة ، في بلادي او في بلد اجنبي ، - فان الاقرار بالدفاع عن الوطن يعني **بالفعل** دعم البرجوازية الامبريالية السلابة ، وخيانة الاشتراكية خيانة تامة . ففي روسيا ، ظلت الحرب امبريالية ، حتى في عهد كيرنسكي ، في عهد الجمهورية البرجوازية الديموقراطية ، اذ ان البرجوازية بوصفها الطبقة السائدة ، هي التي كانت تخوضها (والحال ، ان الحرب ليست سوى «استمرار للسياسة») ؛ ولقد وجد طابع الحرب الامبريالي تعبيراً صارخاً عنه في المعاهدات السرية التي عقدها القيصر السابق مع رأسماليي انجلترا وفرنسا حول اقتسام العالم ونهب البلدان الاجنبية .

لقد كان المناشفة يخدعون الشعب بسفالة حين كانوا يظهرون هذه الحرب على انها حرب دفاعية او ثورية ، وكاوتسكي ، اذ يؤيد سياسة المناشفة ، يؤيد بالتالي هذا التضليل للشعب ، يؤيد دور البرجوازيين الصغار الذين كانوا يخدمون الرأسمال بتضليل العمال ، بربطهم الى عجلة الامبرياليين . ان كاوتسكي ينتهج سياسة برجوازية صغيرة نموذجية ، تافهة ضيقة الافق ، حين يتصور (ويبعث في الجماهير هذه الفكرة الخرقاء) **ان اعلان شعار ما** يغير شيئاً في القضية . ان تاريخ الديموقراطية البرجوازية كله يفضح هذا الوهم ويدحضه : فان الديموقراطيين البرجوازيين ، سعياً منهم لخداع الشعب ، قد صاغوا على الدوام ويصوغون على الدوام جميع «الشعارات» من كل شاكلة ولون . فالمهم **التثبت** من صدقهم واخلاصهم ، ومقارنة **الافعال** بالاقوال ، وعدم الاكتفاء **بالتعابير والالفاظ** المثالية او البهلوانية ، بل البحث عن **الواقع الطبقي** . ان

الحرب الامبريالية لا تكف عن ان تكون حرباً امبريالية حين اطلق الدجالون او منمقو الالفاظ والجمل او البرجوازيون الصغار التافهون الضيقو الافق «شعاراً» معسولاً ، – بل تكف عن ان تكون حرباً امبريالية فقط يوم **تُسقَط** فعلاً **الطبقة** التى تخوض هذه الحرب الامبريالية والتي ترتبط بها بملايين الخيوط (ان لم يكن الاسلاك الضخمة) الاقتصادية ، وتحل محلها في الحكم الطبقة الثورية حقاً ، البروليتاريا . **وليس ثمة وسيلة اخرى للخلاص من الحرب الامبريالية ، وكذلك للخلاص من صلح لصوصي امبريالي .**

ان كاوتسكي ، اذ يؤيد سياسة المناشفة الخارجية ويقول عنها انها امية وزيميرفالدية ، انما يبين ، اولاً ، كل فساد الاغلبية الزيميرفالدية ، الانتهازية (وليس عبثاً اننا نحن ، الجناح اليساري الزيميرفالدي (٧٩) ، قد انفصلنا فوراً عن مثل هذه الاغلبية !) ، ثانياً ، وهو الامر الرئيسي ، ينتقل كاوتسكي من موقف البروليتاريا الى موقف البرجوازية الصغيرة ، من الموقف الثوري الى الموقف الاصلاحي .

ان البروليتاريا تناضل من اجل اسقاط البرجوازية الامبريالية عن طريق الثورة ؛ بينا تناضل البرجوازية الصغيرة من اجل «اتقان» الامبريالية عن طريق الاصلاح ، من اجل التكيف عليها **والخضوع** لها . ويوم كان كاوتسكي لا يزال ماركسياً ، في ١٩٠٩ مثلاً ، حين كتب «الطريق نحو الحكم» ، دعم بالضبط الفكرة القائلة ان الحرب تجعل **الثورة** امراً محتماً لا مناص منه ؛ وقد قال ان **عهد الثورات** يقترب . ان بيان بال ، الصادر عام ١٩١٢ ، يتحدث صراحة وبكل وضوح عن نشوب **الثورة البروليتارية** من جراء الحرب الامبريالية التي انفجرت ، فعلاً ، في عام ١٩١٤ بين الكتلتين الالمانية والانجليزية . والحال ، في عام ١٩١٨ ، حين بدأت الثورات من جراء الحرب ، راح كاوتسكي ينعت بالامية تكتيك المناشفة الاصلاحي ،

بدلاً من ان يفسر ويوضح حتمية هذه الثورات ، بدلاً من ان يدرس ويتعمق في بحث التكتيك **الثوري** ووسائل وطرق التحضير للثورة . فما معنى هذا ان لم يكن الارتداد ؟

ان كاوتسكي يمدح المناشفة لانهم اصروا على احتفاظ الجيش بالاستعداد القتالي . ويلوم البلاشفة لانهم شددوا من «اختلال النظام في الجيش» فوق ما هو عليه من اختلال كبير . وهذا يعني انه يمدح الاصلاحية والخضوع للبرجوازية الامبريالية ، ويلوم الثورة ويرتد عنها . لان الاحتفاظ بالاستعداد القتالي كان يعني وكان فعلاً ، في عهد كيرنسكي ، الاحتفاظ بالجيش مع قيادة **برجوازية** (وان تكن جمهورية) . ويعرف الجميع – واثبت مجرى الاحداث بكل جلاء – ان هذا الجيش الجمهوري قد احتفظ بالروح **الكورنيلوفية** بفضل ملاكاته القيادية الكورنيلوفية . فلم يكن من الممكن ان لا يكون الضباط البرجوازيون كورنيلوفيين ، لم يكن من الممكن ان لا يميلوا الى الامبريالية ، الى قمع البروليتاريا بالعنف . وهكذا اقتصر التكتيك المنشفي **فعلاً** على ابقاء جميع اسس الحرب الامبريالية ، جميع اسس الديكتاتورية **البرجوازية** كما في السابق ، وعلى تعديل التفاصيل ، على تمويه التوافه («الاصلاحات») .

وبالعكس ، ليس ثمة ثورة كبيرة استغنت ويمكنها ان تستغني عن «اختلال النظام» في الجيش . لان الجيش هو اشد الادوات التي تدعم النظام السابق تحجراً ، وامنع حصن يؤمن الطاعة البرجوازية وسيطرة الرأسمال ، ويحفظ ويربي ذل الشغيلة للرأسمال وخضوعهم له . والثورة المضادة لم تقبل قط ، ولم يكن في وسعها ان تقبل بوجود العمال المسلحين الى جانب الجيش . ففي فرنسا ، – كما كتب انجلس ، – كان العمال مسلحين بعد كل ثورة ؛ «ولذلك كان تجريد العمال من السلاح هو اول المقتضيات بالنسبة للبرجوازيين المتربعين على دست الحكم» (٨٠) . لقد كان العمال المسلحون جنين

الجيش **الجديد** ، خلية النظام الاجتماعي **الجديد** التنظيمية . وكانت وصية البرجوازية الاولى سحق هذه الخلية ، منع نموها . اما اول وصية عند كل ثورة مظفرة ، - كما اشار ماركس وانجلس مراراً عديدة الى ذلك ، - فقد كانت تحطيم الجيش القديم ، وتسريحه ، والاستعاضة عنه بجيش جديد (٨١) . ان الطبقة الاجتماعية الجديدة التي ترتقي سدة الحكم لم تستطع قط ولا تستطيع الآن ان تصل الى الحكم وتوطده الا بتفسيخ الجيش السابق تفسيخاً كلياً («اختلال النظام» ، - يهتف بهذا الصدد التافهون الضيقو الافق من الرجعيين او من الجبناء الصرف) ؛ الا بقضاء مرحلة قاسية ومؤلمة دون اي جيش (وهذه المرحلة المؤلمة عرفتها الثورة الفرنسية الكبرى ايضاً) ؛ الا بتكوين جيش جديد ، طاعة جديدة ، منظمة عسكرية جديدة للطبقة الجديدة ، شيئاً فشيئاً ، في غمار حرب اهلية شاقة . وهذا ما كان يدركه كاوتسكي المؤرخ فيما مضى ، وما نسيه كاوتسكي المرتد .

بأي حق ينعت كاوتسكي الشيدمانيين بانهم «اشتراكيون حكوميون» ، اذا كان **يؤيد** تكتيك المناشفة في الثورة الروسية ؟ فالمناشفة الذين ايدوا كيرنسكي واشتركوا في وزارته ، كانوا ايضاً اشتراكيين حكوميين . وانه سيكون من المتعذر اطلاقاً على كاوتسكي ان يتهرب من هذا الاستنتاج ، لو حاول فقط ان يطرح قضية **الطبقة السائدة** التي تشن الحرب الامبريالية . ولكن كاوتسكي يتجنب طرح قضية الطبقة السائدة ، هذه القضية التي تفرض نفسها على كل ماركسي ؛ لان مجرد طرح هذه القضية يكفي لكشف القناع عن وجه هذا المرتد .

ان الكاوتسكيين في المانيا ، واتباع لونغه في فرنسا وتوراتي وشركاه في ايطاليا يحاكمون كما يلي : الاشتراكية تفترض حرية الامم والمساواة فيما بينها وحقها في تقرير مصيرها ؛ **وبالتالي** ،

حين تتعرض بلادنا للهجوم او حين تجتاح قوات العدو ارضنا ، كان من حق الاشتراكيين وواجبهم الدفاع عن الوطن . ولكن هذه المحاكمة هي ، من الناحية النظرية ، اما اهانة صارخة للاشتراكية واما عملية غش وتزوير ؛ وتتفق هذه المحاكمة ، من الناحية السياسية والعملية ، مع محاكمة رجل بسيط ، وجاهل اطلاقاً ، وعاجز حتى عن التفكير في طابع الحرب الاجتماعي ، في طابع الحرب الطبقي ، وفي مهمات الحزب الثوري في حرب رجعية .

ان الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد الامم . وهذا امر لا مراء فيه . ولكن الاشتراكية تعارض بوجه عام استخدام العنف ضد الافراد . ومع ذلك لم يستخلص احد بعد من هذا ، باستثناء الفوضويين المسيحيين والتولستويين (٨٢) ، ان الاشتراكية تعارض العنف **الثوري** . ولذا ، فان من يتحدث عن «العنف» بوجه عام ، دون ان يرى بوضوح الى الاحوال والشروط التي تميز بين العنف الرجعي والعنف الثوري ، انما يعطي الدليل على انه تافه ضيق الافق يتخلى عن الثورة ، او انه ، بكل بساطة ، يخدع نفسه ويخدع الآخرين بالسفسطات .

كذلك هي الحال فيما يخص استخدام العنف ضد الامم . فكل حرب تقوم في استخدام العنف ضد الامم ، ولكن هذا لا يمنع الاشتراكيين من ان يكونوا **انصار** الحرب الثورية . ما هو طابع الحرب الطبقي ؟ - ذلك السؤال الاساسي الذي يواجه كل اشتراكي (اذا لم يكن مرتداً) . ان الحرب الامبريالية في ١٩١٤-١٩١٨ حرب بين كتلتين من البرجوازية الامبريالية من اجل تقاسم العالم ، من اجل تقاسم الغنيمة ، من اجل سلب الامم الصغيرة والضعيفة وخنقها . وهذا هو التقدير الذي اعطاه عن الحرب بيان بال الصادر عام ١٩١٢ ، والذي اكدت الاحداث صحته . وكل من يتخلى عن وجهة النظر هذه الى الحرب ، ليس اشتراكياً .

حين يقول ألماني في عهد غليوم او فرنسي في عهد كليمانسو: من حقي وواجبي ، كاشتراكي ، ان ادافع عن الوطن اذا اجتاح العدو بلادي ، — فليست تلك محاكمة اشتراكي ، اممي ، بروليتاري ثوري ، انما هي محاكمة **قومي برجوازي صغير** . اذ ان في هذه المحاكمة يختفي النضال الطبقي الثوري الذي يخوضه العامل ضد الرأسمال ، يختفي تقدير الحرب **كلها** بمجملها ، من وجهة نظر البرجوازية العالمية والبروليتاريا العالمية ، اي ان الاممية تختفي ولا يبقى غير قومية حقيرة ، يرثى لها . يسيئون الى بلادي ، والباقي لا يهمني ، — هذا ما تنحصر فيه هذه المحاكمة ، وهذا ما يسمها بضيق الافق القومي البرجوازي الصغير . فكأنك ، امام استخدام العنف الفردي ضد شخص ما ، تتفضل بهذه المحاكمة : بما ان الاشتراكية تعارض العنف ، فاني افضل ان اقترف خيانة ونذالة من ان اتعرض لدخول السجن .

ان الفرنسي او الالماني او الايطالي الذي يقول : الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد الامم **ولهذا السبب** ادافع عن نفسي حين يجتاح العدو بلادي ، — انما **يخون** الاشتراكية والاممية . لان هذا الانسان **يرى** «بلاد»ه **فقط** ، يضع ... **برجوازيت«ه»** فوق الجميع ، دون ان يفكر في **الصلات العالمية** التي تجعل من الحرب حرباً امبريالية وتجعل من برجوازيته **هو** حلقة في سلسلة اعمال السرقة والنهب الامبريالية .

ان جميع التافهين الضيقي الافق ، جميع البسطاء البلهاء والجهلاء يحاكمون تماماً كما يحاكم المرتدون الكاوتسكيون ، واللونغتيون ، وتوراتي وشركاه ، اي على النحو التالي : العدو في بلادي ، والباقي لا يهمني * .

---

* ان الاشتراكيين-الشوفينيين (اضراب شيدمان ورينوديل وهندرسون وغومبرس وشركاهم) يرفضون جميع الاقوال عن «الاممية» اثناء

اما الاشتراكي ، البروليتاري الثوري ، الاممي ، فانه يحاكم على نحو آخر : ان طابع الحرب (الرجعي او الثوري) لا يتوقف على معرفة من ذا الذي هاجم واية بلاد هي مقرّ «العدو» ، بل على **ما يلي : اية طبقة** تشن هذه الحرب ، ما هي **السياسة التي** الحرب استمرار لها ؟ اذا كانت الحرب المعنية حرباً امبريالية رجعية ، اي اذا كانت تشنها كتلتان عالميتان للبرجوازية الرجعية الامبريالية الظالمة ، السلابة ، فكل برجوازية (حتى برجوازية بلد صغير) تصبح شريكة في هذا النهب والسلب ، وواجبي ، واجبي كممثل للبروليتاريا الثورية ، تحضير **الثورة البروليتارية العالمية** ، بوصفها الوسيلة **الوحيدة** للخلاص من ويلات المجزرة العالمية . فليس من وجهة نظر بلاد«ي» يتعين عليّ ان احاكم (اذ ان هذه المحاكمة تغدو اشبه بمحاكمة رجل بليد وحقير ، محاكمة قومي تافه ضيق الافق ، لا يدرك انه لعبة في ايدي البرجوازية الامبريالية) ، بل من وجهة نظر **اشتراكي انا** في تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، في الدعاوة لها ، في تقريبها .

هذه هي الروح الاممية ، هذا هو واجب الاممي ، واجب العامل الثوري ، واجب الاشتراكي الحقيقي . هذه هي **الالفباء** التي «نسيها» المرتد كاوتسكي . ولكن ارتداده يبدو بمزيد من الوضوح عندما ينتقل من تأييد تكتيك القوميين البرجوازيين الصغار

الحرب . وهم يعتبرون اعداء برجوازيتـ**«هم»** «خونة» ... للاشتراكية . وهم **يؤيدون** سياسة الفتح التي تسير عليها برجوازيتهم . اما الاشتراكيون ـ المسالمون (اي الاشتراكيون قولاً ، المسالمون التافهون الضيقو الافق فعلاً) ، فهم يعربون عن شتى المشاعر «الاممية» ، ويعارضون الالحاقات ، الخ . ، ولكنهم يواصلون **فعلاً دعم** برجوازيتهم الامبريالية . والفرق بين هذين النموذجين طفيف لا يؤبه له كالفرق بين رأسمالي عنيف الكلام ورأسمالي معسول الحديث .

(المناشفة في روسيا ، اللونغتيين في فرنسا ، توراتي في ايطاليا ، هآزه وشركاه في المانيا) ، الى انتقاد التكتيك البلشفي . واليكم هذا الانتقاد :

«لقد بنيت الثورة البلشفية على فرضية انها ستكون نقطة انطلاق ثورة اوروبية عامة ؛ وان مبادرة روسيا الجريئة ستحفز البروليتاريين في اوروبا كلها على الانتفاض .

وفي هذه الحال ، قلما كان يهم بالطبع اية اشكال سيرتدي الصلح الروسي المنفرد ، واية تشويهات واية صعوبات وخسائر في الاراضي (حرفياً : تشويهات ، Verstümmelungen) سيفرضها على الشعب الروسي ، واي تاويل سيقدمه لحق الامم في تقرير مصيرها . كذلك قلما كان يهم معرفة ما اذا كانت روسيا قادرة آنذاك على الدفاع عن نفسها ام لا . ومن وجهة النظر هذه ، كانت الثورة الاوروبية تشكل خير دفاع عن الثورة الروسية ؛ وكان لا بد لها ان تؤمن لجميع الشعوب القاطنة في الارض الروسية السابقة الحق الكامل ، الفعلي ، في تقرير مصيرها .

انثورة تنشب في اوروبا وتحمل لها الاشتراكية وتوطدها فيها ، كان لا بد لها ايضاً ان تسهم في ازالة العراقيل التي كان يقيمها تاخر روسيا الاقتصادي امام تحقيق انتاج اشتراكي في هذه البلاد .

كل ذلك يكون منطقياً جداً وراسخ الاساس اذا قبلت الفرضية الاساسية : ينبغي للثورة الروسية بالضرورة ان تطلق الثورة الاوروبية . ولكن ما العمل اذا لم يتم هذا الامر ؟

ان هذه الفرضية لم تثبت صحتها حتى الآن . والآن يتهمون بروليتاريي اوروبا بانهم تخلوا عن الثورة الروسية وخانوها . وهي تهمة موجهة ضد مجهولين ، اذ ، ترى ، من يمكن تحميله مسؤولية سلوك البروليتاريا الاوروبية ؟» (ص ٢٨) .

وبالاضافة الى هذا ، يلوك كاوتسكي ويعلك مردداً ان ماركس وانجلس وبيبل قد اخطأوا مراراً فيما يتعلق بحدوث الثورة التي انتظروها ، ولكنهم لم يبنوا قط تكتيكهم على قيام ثورة «**في موعد**

معين» (ص ٢٩) ، بينا «علّق» البلاشفة ، على حد زعمه ، «كل آمالهم على الثورة العامة في اوروبا» .

لقد اوردنا هذا المقطع الطويل ، عن قصد وعمد ، لكي نبين بوضوح للقارئ بأية «مهارة» يزوّر كاوتسكي الماركسية اذ يستعيض عنها بوجهة نظر برجوازية صغيرة ، مبتذلة ، رجعية .

اولاً ، ان ينسب المرء الى خصمه حماقة بيّنة لكي يدحضها فيما بعد ، ليس من اساليب الرجال الاذكياء جداً . ولو ان البلاشفة بنوا تكتيكهم على امل قيام ثورة **في موعد معين** في البلدان الاخرى ، لكانوا ارتكبوا حماقة صارخة لا مراء فيها . ولكن الحزب البلشفي لم يرتكب هذه الحماقة : ففي رسالتي الى العمال الاميركيين (٢٠ آب – اغسطس – ١٩١٨) ، انكرت هذه الحماقة بصراحة اذ قلت اننا نعوّل على قيام الثورة الاميركية ، ولكن لا في موعد معين * . وفي مناظرتي وجدالي مع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين و«الشيوعيين اليساريين» (كانون الثاني (يناير) – آذار (مارس) ١٩١٨) ، بسطتُ الفكرة نفسها مراراً عديدة . غير ان كاوتسكي لجأ الى تزوير صغير ... صغير جداً ، بنى عليه كل انتقاده للبلشفية . وخلط معاً التكتيك الذي يعتمد على قيام ثورة اوروبية في موعد قريب الى هذا الحد او ذاك ، ولكنه غير معين ، والتكتيك الذي يعتمد على قيام ثورة اوروبية في موعد معين . فيا له من غش طفيف لا يؤبه له ، لا يؤبه له اطلاقاً !

التكتيك الثاني حماقة . التكتيك الاول **الزامي** على كل ماركسي ، على كل بروليتاري ثوري وكل اممي ، – **الزامي** لانه التكتيك الوحيد الذي يحسب الحساب الصحيح ماركسياً للوضع

---

* راجعوا هذا الكتاب ص ١٣٤–١٣٥ . **الناشر** .

الموضوعي الناجم عن الحرب في جميع البلدان الاوروبية ، ولانه التكتيك الوحيد الذي يستجيب لمهام البروليتاريا في الميدان الاممي .

ان كاوتسكي ، اذ يضع هذه المسألة الحقيرة ، مسألة الخطأ الذي كان من الممكن ان يقترفه الثوريون البلاشفة ولكنهم لم يقترفوه ، محل تلك المسألة الكبرى ، مسألة مبادئ التكتيك الثوري بوجه عام ، انما يرتد عن التكتيك الثوري بوجه عام ويجحده لا اكثر ولا اقل !

ان كاوتسكي ، المرتد في مجال السياسة ، **لا يعرف** في مجال النظرية **حتى كيف يطرح مسألة** المقدمات الموضوعية للتكتيك الثوري .

وهنا نصل الى النقطة الثانية .

ثانياً ، الاعتماد على قيام الثورة الاوروبية الزامي على الماركسي ، ما دمنا نواجه **وضعاً ثورياً** . ومن الحقائق الماركسية الاولى ان تكتيك البروليتاريا الاشتراكية لا يمكن ان يكون واحداً حين يكون الوضع ثورياً وحين لا يكون ثورياً .

ولو ان كاوتسكي طرح هذه المسألة ، الالزامية على كل ماركسي ، لكان رأى ان الجواب ليس في صالحه اطلاقاً . فقبل الحرب بزمن بعيد ، كان جميع الماركسيين ، جميع الاشتراكيين يجمعون على الاعتراف بان الحرب الاوروبية ستؤدي الى نشوء وضع ثوري . ولقد اعترف كاوتسكي بهذا الامر بكل وضوح ودقة ، في عام ١٩٠٢ («الثورة الاجتماعية») وفي عام ١٩٠٩ («الطريق نحو الحكم») ، اي قبل ان يصير مرتداً . واعترف به بيان بال باسم الامية الثانية كلها : وليس عبثاً ان الاشتراكيين-الشوفينيين والكاوتسكيين («الوسطيين» ، اولئك الذين يتأرجحون بين الثوريين والانتهازيين) في جميع البلدان يخافون تصريحات بيان بال المناسبة خوفهم من النار !

ولذا فان انتظار وضع ثوري في اوروبا لم يكن مجرد هوس من البلاشفة ؛ انما كان ذلك **رأي** الماركسيين كلهم **الاجماعي** . وحين يتجنب كاوتسكي هذه الحقيقة الثابتة التي لا جدال فيها بجمل كهذه : ان البلاشفة «قد آمنوا دائماً بكلية جبروت العنف والارادة» ، فهو **يخفي** فراره المخزي وراء جملة طنانة جوفاء، لكي لا يضطر الى بحث مسألة الوضع الثوري .

وبعد . هل نحن امام وضع ثوري ام لا ؟ وهذا السؤال ايضاً ، لم يعرف كاوتسكي كيف يطرحه . اما الجواب ، فتعطيه الوقائع الاقتصادية : ان الجوع والخراب الشاملين اللذين نجما عن الحرب يدلان على وجود وضع ثوري . وعن هذا السؤال تجيب ايضاً الوقائع السياسية : منذ ١٩١٥ ، تتجلى بوضوح في **جميع** البلدان حركة انشقاق داخل الاحزاب الاشتراكية القديمة التي اصابتها الآكلة ، حركة **تخلي الجماهير** البروليتارية عن الزعماء الاشتراكيين الشوفينيين واتجاهها نحو اليسار ، نحو الافكار والنزعات الثورية ، نحو الزعماء الثوريين .

وهذه الوقائع لم يكن من المستطاع ان لا يراها في ٥ آب - اغسطس - ١٩١٨ ، حين كان كاوتسكي يكتب كراسه ، الا من يخشى الثورة ويخونها . والحال ، تتصاعد الثورة الآن ، في اواخر تشرين الاول - اكتوبر - ١٩١٨ ، بسرعة بالغة ، امام الانظار ، في **جملة** من بلدان اوروبا . اما «الثوري» كاوتسكي ، الذي يريد من الناس ان يعتبروه ماركسياً كما كان من قبل ، فقد تكشف عن تافه ضيق الافق ، قصير النظر ، وهو ، مثله مثل اولئك التافهين الضيقي الافق من عام ١٨٤٧ الذين سخر منهم ماركس ، لم ير الثورة تقترب ! !

وهنا نصل الى النقطة الثالثة .

ثالثاً ، ما هي خصائص التكتيك الثوري ازاء الوضع الثوري في اوروبا ؟ ان كاوتسكي ، الذي صار مرتداً ، خاف ان يطرح هذا السؤال الالزامي على كل ماركسي . وهو يحاكم كما يحاكم البرجوازي الصغير ، التافه ، الضيق الافق ، النموذجي ، او كما يحاكم الفلاح الجاهل : هل نشبت «الثورة العامة في اوروبا» ام لا ؟ اذا كان الجواب بالايجاب ، فانه مستعد ، **هو ايضاً** ، ان يصير ثورياً ! ولكن كل الاوباش – ونضيف نحن من جانبنا – سيعمدون آنذاك (كما يفعل هؤلاء الانذال الذين يلزقون اليوم احياناً بالبلاشفة الظافرين) الى الاعلان عن انفسهم انهم ثوريون !

والا ، انصرف كاوتسكي عن الثورة ! ان كاوتسكي لا يفهم اي شيء على الاطلاق من هذه الحقيقة وهي ان ما يميز الماركسي الثوري عن المبتذل والبرجوازي الصغير ، هو ان الماركسي الثوري يعرف كيف **يروج بين** الجماهير الجاهلة بفكرة ضرورة الثورة التي تنضج ، **ويقدم البرهان** على حتمية نشوبها ، **ويوضح** فائدتها للشعب ، **ويحضر** لها البروليتاريا وجميع الجماهير الكادحة والمستثمَرة .

ان كاوتسكي ينسب الى البلاشفة سخافة مفادها انهم علقوا كل آمالهم على شيء واحد ، اذ حسبوا ان الثورة الاوروبية ستنشب في موعد معين . ولكن هذه السخافة انقلبت على كاوتسكي ، ذلك انه ينجم بالضبط من كلماته ما يلي : لو ان الثورة الاوروبية نشبت في ٥ آب (اغسطس) ١٩١٨ ، لكان تكتيك البلاشفة صحيحاً ! وهذا التاريخ هو الذي يعطيه كاوتسكي على انه تاريخ كتابة كراسه . وحين تبين ، بعد ٥ آب ببضعة اسابيع ، ان الثورة قد بدأت في عدة بلدان اوروبية ، تجلى كل ارتداد كاوتسكي بكل جماله ، وكذلك كل تزويره للماركسية ، وكل عجزه عن التفكير

والتحليل وحتى عن طرح المسائل كما يطرحها الثوري !

ويقول كاوتسكي : ان اتهام بروليتاريي اوروبا بالخيانة يعني توجيه التهمة ضد مجهولين .

انت تخطئ ، يا سيد كاوتسكي ! انظر الى المرآة ، تر «المجهولين» الذين تقصدهم هذه التهمة . ان كاوتسكي يتظاهر بالسذاجة ؛ يتظاهر بانه لا يدرك **من** ذا الذي وجه هذه التهمة **وما هو معناها** . والحقيقة ان كاوتسكي يعرف تمام المعرفة ان هذه التهمة انما وجهها ويوجهها «اليساريون» الالمان ، السبارتاكيون (٨٣) ، ليبكنخت واصدقاؤه . وهذه التهمة دليل على **الادراك الواضح** لواقع ان البروليتاريا الالمانية خانت الثورة الروسية (والعالمية) ، حين خنقت فنلنده واوكرانيا ولاتفيا واستلنده . وهذه التهمة تقصد اولاً وقبل كل شيء ، لا **الجماهير** ، المرهقة على الدوام ، بل **الزعماء** الذين ، مثلهم مثل الشيدمانيين والكاوتسكيين ، **لم يقوموا** بواجبهم – القيام بالتحريض الثوري والدعاوة الثورية ، القيام بعمل ثوري بين الجماهير لمكافحة جمودها – والذين ساروا في الواقع **ضد** الغرائز والمطامح الثورية الخافية نارها دائما في اعماق جماهير الطبقة المظلومة . فان الشيدمانيين قد خانوا البروليتاريا بصورة سافرة ، فظة ووقحة ، وفي معظم الاحيان لدوافع مغرضة ، وانتقلوا الى جانب البرجوازية . والشيء نفسه فعله الكاوتسكيون واللونغيتيون ، بتردد ، بتأرجح ، ناظرين ومتلفتين الى اقوياء الساعة بجبانة . وقد حاول كاوتسكي ، بكل كتاباته في ايام الحرب ، ان **يخمد** الروح الثوري بدلاً من الحفاظ عليه وانمائه .

ان كاوتسكي لا يدرك حتى الاهمية الهائلة التي تتسم بها في الحقل **النظري** ، واكثر ايضاً في حقل التحريض والدعاوة ،

«**التهمة**» الموجهة ضد بروليتاريي اوروبا والقائلة بانهم خانوا الثورة الروسية ، وهذا ما سيبقى بمثابة نصب تاريخي حقاً لهذه البلادة والتفاهة وضيق الافق التي يمتاز بها زعيم الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية الرسمية «المتوسط» ! ان كاوتسكي لا يدرك ان هذه «التهمة» تكاد تكون – في ظل نظام الرقابة في «الامبراطورية» الالمانية – الشكل الوحيد الذي **يدعو** به الاشتراكيون الالمان الذين لم يخونوا الاشتراكية ، ليبكنخت واصدقاؤه ، **العمال الالمان** الى الاطاحة بالشيدمانيين والكاوتسكيين ، الى نبذ مثل هؤلاء «الزعماء» ، الى التحرر من مواعظهم المخبلة والمبتذلة ، الى النهوض **رغماً** عنهم ، **متجنبين** اياهم ، فوق رؤوسهم ، نحو الثورة ، **في سبيل الثورة** !

وهذا ما لا يفهمه كاوتسكي . وكيف تريدونه ان يفهم تكتيك البلاشفة ؟ هل يمكننا ان نتوقع ممن يرتد عن الثورة على العموم ، ان يزن ويقدر ظروف تطور الثورة في حالة من «اصعب» الحالات ؟

لقد كان تكتيك البلاشفة صحيحاً ؛ وكان التكتيك الاممي **الوحيد** ، لانه لم يكن يرتكز على اي خوف ذليل من الثورة العالمية ، ولا على «الشك» التافه ازاءها ، ولا على الرغبة القومية الصرف في الدفاع عن وطن«ه» (وطن البرجوازية) و«البصق» على كل الباقي ، – لانه كان يرتكز على **تقدير** الوضع الثوري في اوروبا تقديراً صحيحاً (اعترف به الجميع قبل الحرب ، قبل ارتداد الاشتراكيين-الشوفينيين والاشتراكيين-المسالمين) . كان هذا التكتيك التكتيك الاممي الوحيد لانه كان يقرر الحد الاقصى مما يمكن تحقيقه في بلد واحد **من اجل** تطوير الثورة ومساندتها وايقاظها **في جميع البلدان** . وقد ثبتت صحة هذا التكتيك بنجاح هائل ، لان البلشفية غدت بلشفية **عالمية** (وليس ذلك ابداً بسبب من مآثر البلاشفة الروس ، بل بسبب من عطف **الجماهير** في كل مكان على هذا التكتيك ، الثوري فعلاً ، عطفاً

في منتهى العمق والشمول) ؛ ان البلشفية قد اعطت فكرة ونظرية وبرنامجاً وتكتيكاً ، تمتاز كلها بصورة ملموسة ، في النشاط العملي ، عن الاشتراكية-الشوفينية والاشتراكية-المسالمة . ان البلشفية قد **اجهزت** على الاممية القديمة المتعفنة ، اممية اضراب شيدمان وكاوتسكي ورينوديل ولونغه وهندرسون وماكدونالد ، الذين سيلبكون منذ الآن بعضهم بعضاً حالمين «بالوحدة» وساعين الى بعث الحياة في جثة . ان البلشفية قد **وضعت** الاسس الفكرية والتكتيكية لاممية ثالثة ، بروليتارية وشيوعية حقاً ، تأخذ بعين الاعتبار ، في آن واحد ، مكتسبات عهد السلام وتجربة **عهد الثورات الذي بدأ** .

ان البلشفية قد اشاعت بين صفوف الشعب في العالم كله فكرة «ديكتاتورية البروليتاريا» ؛ وهاتان الكلمتان ، انما ترجمتهما اولاً عن اللاتينية الى الروسية ، ثم الى **جميع** لغات العالم ؛ وبينت بمثال **سلطة السوفييت** ان العمال والفلاحين الفقراء **حتى** في بلد متأخر ، وحتى اقلهم تجربة ، واقلهم تعليماً ، واقلهم تعوداً على التنظيم ، قد **استطاعوا** ، خلال سنة كاملة ، وفي غمرة من المصاعب الهائلة وفي معمعان النضال ضد المستثمِرين (الذين كانت تدعمهم برجوازية العالم **بأسره**) ، ان يصونوا سلطة الشغيلة ، وينشئوا ديموقراطية ارقى واوسع بما لا حد له من جميع الديموقراطيات السابقة في العالم **ويدشنوا** عهد العمل الخلاق يبذله عشرات الملايين من العمال والفلاحين من اجل تطبيق الاشتراكية في الواقع العملي .

وبالفعل ، اسهمت البلشفية بقسط كبير جداً في تطوير الثورة البروليتارية في اوروبا واميركا ، كما لم يستطع فعله حتى الآن اي حزب في اي بلد من البلدان . وبينا يدرك العمال في العالم اجمع ، بوضوح متزايد على الدوام ، ان تكتيك الشيدمانيين والكاوتسكيين لم يحررهم لا من الحرب الامبريالية ولا من عبودية

العمل المأجور في ظل البرجوازية الامبريالية وان هذا التكتيك لا يصلح لكي يكون نموذجاً لجميع البلدان ، – تدرك الجماهير البروليتارية في جميع البلدان ، بوضوح متزايد على الدوام ، ان البلشفية قد اشارت الى السبيل القويم الواجب اتباعه من اجل الخلاص من ويلات الحرب والامبريالية ، وان البلشفية **تصلح لان تكون نموذجاً في التكتيك للجميع** .

ان الثورة البروليتارية تنضج امام البصر ، لا في اوروبا وحسب ، بل في العالم كله ، وانتصار البروليتاريا في روسيا هو الذي ساعدها وعجلها ودعمها . أفلا يكفي كل هذا لانتصار الاشتراكية انتصاراً تاماً ؟ كلا بالطبع . ان بلداً واحداً لا يستطيع ان يفعل اكثر . ومع ذلك ، انجز هذا البلد وحده من الامور بفضل سلطة السوفييت ، بحيث انه ، حتى لو ان الامبريالية العالمية تمكنت غداً من سحق السلطة السوفييتية الروسية ، بتفاهم بين الامبرياليتين الالمانية والانجلو-فرنسية ، مثلاً ، حتى في هذا الاحتمال الاسوأ بين اسوأ الاحتمالات ، لظل التكتيك البلشفي مع ذلك على اكبر جانب من الفائدة للاشتراكية ولَدعَم نمو الثورة العالمية التي لا تقهر .

الاستخذاء امام البرجوازية بحجة «التحليل الاقتصادي»

كان ينبغي ، كما سبق وقلنا ، ان يسمى كتاب كاوتسكي – اذا كان عنوانه يعكس محتواه بامانة – لا : «ديكتاتورية البروليتاريا» ، بل «طبعة جديدة لتهجمات البرجوازية على البلاشفة» .

فان «نظريات» المناشفة القديمة حول طابع الثورة الروسية البرجوازي ، اي تشويه المناشفة القديم للماركسية (الذي **رفضه** كاوتسكي في عام ١٩٠٥ !) ، انما يعود نظريتنا ويبعثها اليوم ،

فيجب علينا ان نتوقف عند هذه المسألة ، مهما كانت مملة بالنسبة للماركسيين الروس .

الثورة الروسية ثورة برجوازية – هكذا كان يقول جميع الماركسيين في روسيا قبل عام ١٩٠٥ . الا ان المناشفة استعاضوا عن الماركسية بالليبيرالية واستخلصوا من هذا القول ما يلي: وبالتالي، يجب على البروليتاريا ان لا تتجاوز ما هو مقبول عند البرجوازية ؛ يجب عليها ان تنتهج سياسة قوامها التفاهم معها . فقال البلاشفة ان هذه النظرية نظرية برجوازية ليبيرالية . فالبرجوازية تسعى جهدها لاعادة تنظيم الدولة على الطريقة البرجوازية ، **الاصلاحية** ، لا على الطريقة الثورية ، محافظة قدر الامكان سواء على المَلكية ام على المُلكية العقارية الكبيرة ، الخ . . بينا يجب على البروليتاريا ان تسير بالثورة البرجوازية الديموقراطية الى النهاية ، دون ان تسمح «بتقييد»ها باصلاحية البرجوازية . والنسبة بين القوى **الطبقية** في الثورة البرجوازية ، انما صاغها البلاشفة على النحو التالي : تجتذب البروليتاريا الفلاحين الى جانبها ، فتحمل البرجوازية الليبيرالية على لزوم موقف الحياد ، وتقضي كلياً على المَلكية وبقايا القرون الوسطى والملكية العقارية الكبيرة .

ففي التحالف بين البروليتاريا والفلاحين **بوجه عام** ، يتجلى طابع الثورة البرجوازي ، لان الفلاحين بوجه عام يتألفون من منتجين صغار يقفون على صعيد الانتاج البضاعي . ثم ان البروليتاريا ، كما كان يضيف البلاشفة آنذاك بالذات ، تضم اليها **كل شبه البروليتاريا** (جميع الكادحين والمستثمَرين) وتحمل الفلاحين المتوسطين على لزوم موقف الحياد ، **وتسقط** البرجوازية : وهذا ما يميز الثورة الاشتراكية عن الثورة البرجوازية الديموقراطية. (راجع كراسي الصادر عام ١٩٠٥ : «خطتان» ، وقد اعيد طبعه في مجموعة : «خلال اثنتي عشرة سنة» ، بطرسبورغ ، ١٩٠٧ .)

وقد اشترك كاوتسكي، بصورة غير مباشرة، في هذا النقاش الذي قام عام ١٩٠٥ (٨٤) ، وذلك حين اعلن ، جواباً على سؤال بليخانوف الذي كان آنذاك منشفياً ، بانه **ضده** من حيث الاساس ، الامر الذي اثار في ذلك العهد سخراً خاصاً في الصحافة البلشفية . اما الآن ، فان كاوتسكي لا يملك **اية كلمة** لذكر مناقشات آنذاك (فهو يخشى ان تدحضه تصريحاته بالذات !) ، حارماً على هذا النحو القارئ الالماني كل امكانية لفهم جوهر الموضوع . فان السيد كاوتسكي **لم يكن يستطيع** في عام ١٩١٨ ان يخبر العمال الالمان بأنه كان في عام ١٩٠٥ يؤيد تحالف العمال مع الفلاحين لا مع البرجوازية الليبيرالية ؛ واية شروط ، اي برنامج كان يرسمها لهذا التحالف .

ان كاوتسكي ، الذي عاد القهقرى ، يعمد اليوم ، بحجة «التحليل الاقتصادي» ، ووراء ستار من التعابير الطنانة المفخمة عن «المادية التاريخية» ، الى الدفاع عن اخضاع العمال للبرجوازية ، ويلوك مفاهيم المناشفة الليبيرالية القديمة بواسطة استشهادات يستقيها من المنشفي ماسلوف ؛ وفضلاً عن ذلك يقدم البرهان ، بالاستناد الى طائفة من الاستشهادات ، على صحة فكرة جديدة – تأخر روسيا ، – ومن هذه الفكرة الجديدة يستخلص الاستنتاج القديم القائل انه لا يمكن في الثورة البرجوازية المضي ابعد من البرجوازية ! وهذا ، رغم كل ما قاله ماركس وانجلس حين قارنا الثورة البرجوازية في فرنسا في اعوام ١٧٨٩–١٧٩٣ بالثورة البرجوازية في المانيا عام ١٨٤٨ ! (٨٥) .

وقبل الانتقال الى «الحجة» الرئيسية والمحتوى الاساسي في هذا «التحليل الاقتصادي» الذي تفضل به كاوتسكي ، نلاحظ انه منذ الجمل الاولى يتجلى تشوش غريب في الافكار او انعدام التفكير عند صاحبها :

«ان الاساس الاقتصادي في روسيا لا يزال اليوم الزراعة ، الانتاج الفلاحي الصغير على وجه التدقيق . فمنها يعيش قرابة اربعة اخماس سكان روسيا ان لم يكن خمسة اسداسهم» (ص ٤٥) . هكذا يقول صاحبنا «النظري» برصانة ووقار . اولاً ، يا حضرة النظري اللطيف ، هل تساءلت كم مستثمِراً يمكن ان يكون في عداد هذا الجمهور من صغار المنتجين ؟ بالطبع ، ليس اكثر من العُشر ، واقل منه في المدن ، اذ ان الانتاج الضخم اكثر تطوراً فيها . بل خذ رقماً عالياً لا يصدق ، افترض ان خُمس صغار المنتجين مستثمِرون يفقدون حقوقهم الانتخابية . حتى في هذه الحالة ، ينجم ان البلاشفة الذين كانوا يؤلفون ٦٦ بالمئة في المؤتمر الخامس للسوفييتات كانوا يمثلون **اغلبية السكان** . والى هذا ينبغي ان نضيف ايضاً ان قسماً كبيراً من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قد ايد سلطة السوفييت على الدوام ، اي ان **جميع** الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ايدوا مبدئياً السلطة السوفييتية ، وحين اندفع قسم منهم في تلك المغامرة التي كانتها انتفاضة تموز (يوليو) ١٩١٨ ، انفصل حزبان جديدان عن حزبهم القديم : حزب «الشعبيين-الشيوعيين» وحزب «الشيوعيين الثوريين» (٨٦) (من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين البارزين ، ممن اقترحهم حزبهم القديم لشغل اهم مناصب الدولة ؛ فالى الحزب الاول ينتسب مثلاً زاكس ، والى الحزب الثاني كوليغايف) . وهكذا ، دحض كاوتسكي بنفسه – دون قصد منه ! – تلك الحكاية المضحكة الزاعمة ان البلاشفة لا تؤيدهم الا اقلية السكان .

ثانياً ، يا حضرة النظري اللطيف ، هل فكرت في ان الفلاح المنتج الصغير يتأرجح **حتماً** بين البروليتاريا والبرجوازية ؟ ان هذه الحقيقة الماركسية التي اكدها كل تاريخ اوروبا المعاصر ، قد «نسيها» كاوتسكي في الوقت المناسب ، لانها تحول كل «النظرية»

المنشفية التي تبناها الى هباء منثور ! ولو ان كاوتسكي لم «ينس» هذه الحقيقة ، لما استطاع ان ينكر ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا في بلد يهيمن فيه صغار المنتجين الفلاحين . — — —

لنبحث المحتوى الاساسي في هذا «التحليل الاقتصادي» الذي تفضل به صاحبنا النظري .

اما ان تكون السلطة السوفييتية ديكتاتورية ، فامر واضح لا جدال فيه ؛ هكذا يقول كاوتسكي . «ولكن هل هي حقاً ديكتاتورية **البروليتاريا** ؟» (ص ٣٤) .

«وان الفلاحين يشكلون ، بموجب الدستور السوفييتي ، اغلبية السكان الذين يحق لهم الاشتراك في التشريع والادارة . وما يقدمونه لنا على انه ديكتاتورية **البروليتاريا** لن يكون ، — اذا ما طبقت هذه الديكتاتورية بصورة منسجمة الى النهاية واذا استطاعت طبقة ما ، بوجه عام ، ان تحقق الديكتاتورية مباشرة ، الامر الذي لا يستطيعه الا حزب ، — لن يكون الا ديكتاتورية **الفلاحين**» (ص ٣٥) .

وكاوتسكي الطيب ، الراضي كل الرضى عن محاكمة بمثل هذا العمق وهذه الظرافة ، يحاول ان يسخر : «ينجم مما سبق ان تحقيق الاشتراكية بأقل الآلام مضمون اذا ما عهد به الى الفلاحين» (ص ٣٥) .

وبكثرة من التفاصيل وطائفة من الاستشهادات المفرطة في العلم والمأخوذة عن نصف الليبيرالي ماسلوف ، يحاول صاحبنا النظري ان يقدم البرهان على صحة هذه الفكرة الجديدة القائلة ان من مصلحة الفلاحين ان ترتفع اسعار الحبوب وتنخفض اجور عمال المدن ، الخ . ، الخ . . والحال ان هذه الافكار الجديدة معروضة بصورة تبعث على مزيد من الضجر بقدر ما يولي اقل من الانتباه للظاهرات الجديدة حقاً بعد الحرب ، كالظاهرات التالية . مثلا ، الفلاحون

يطلبون البضائع ، لا النقد ، مقابل الحبوب ؛ الفلاحون تنقصهم الادوات التي لا يستطيعون الحصول عليها بالاعداد اللازمة ، ولو دفعوا كل ذهب العالم . وسنتناول ادناه هذا الموضوع على حدة .

وهكذا يتهم كاوتسكي البلاشفة ، حزب البروليتاريا ، بانه عهد بالديكتاتورية ، عهد بقضية تحقيق الاشتراكية الى الفلاحين البرجوازيين الصغار . رائع ، يا سيد كاوتسكي ! اي موقف ، حسب رأيك النيّر ، يجب ان يقفه حزب بروليتاري من الفلاحين البرجوازيين الصغار ؟

غير ان صاحبنا النظري قد فضّل السكوت بهذا الصدد ، — فلا ريب انه تذكر المثل القائل : «اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» . ومع ذلك ، فضح كاوتسكي نفسه في ملاحظته التالية :

«في بدء الجمهورية السوفييتية كانت السوفييتات الفلاحية منظمات **للفلاحين** بوجه عام . اما اليوم فان هذه الجمهورية تعلن ان السوفييتات منظمات للبروليتاريين والفلاحين **الفقراء** . والفلاحون الميسورون يفقدون حق الانتخاب الى السوفييتات . وهنا يعتبر الفلاح الفقير نتاجاً دائماً وبالجملة من نتاجات الاصلاح الزراعي الاشتراكي في ظل «ديكتاتورية البروليتاريا»» (ص ٤٨) .

ما ألذع هذه السخرية ! وانك لتستطيع ان تسمعها في روسيا على لسان اي من البرجوازيين : فجميعهم يشمتون ويضحكون اذ يرون الجمهورية السوفييتية تعترف جهاراً بوجود فلاحين فقراء . وهم يتهكمون على الاشتراكية . وهذا حقهم . ولكن «الاشتراكي» الذي يجد مادة للتهكم لانه لا يزال عندنا — وسيظل زمناً طويلاً — فلاحون فقراء ، نظراً لاربع سنوات من حرب مدمرة مبيدة ، ان مثل هذا «الاشتراكي» لم يكن من الممكن ان يولد الا في ظروف الارتداد بالجملة .

واليكم ايضاً :

«... ان الجمهورية السوفييتية تتدخل في العلاقات بين الفلاحين الاغنياء والفلاحين الفقراء، ولكن دون ان تلجأ الى توزيع الارض من جديد . ولاجل تامين حاجات سكان المدن الى الخبز، ترسل الى الريف فصائل مسلحة من العمال تنتزع من الفلاحين الاغنياء فائض حبوبهم . وقد خصص قسم من هذه الحبوب لسكان المدن، والقسم الآخر للفلاحين الفقراء» (ص ٤٨) .

ان الاشتراكي والماركسي كاوتسكي ساخط بالطبع، عميق السخط على الفكرة القائلة باحتمال استشراء هذا التدبير الى ان يشمل ما وراء ضواحي المدن الكبيرة (والحال انه يشمل عندنا البلاد بأسرها) . ان الاشتراكي والماركسي كاوتسكي يلاحظ بلهجة واعظة، وبرباطة جأش (او بلادة) التافه الضيق الافق الرائعة، التي لا توصف، التي لا مثيل لها : «... «انها (اي مصادرة املاك الفلاحين الميسورين) تحمل عنصراً جديداً من الاضطراب والحرب الاهلية الى عملية الانتاج» ... (هذه الحرب الاهلية المحمولة الى «عملية الانتاج»، أليست حقاً شيئاً خارق الطبيعة !) ... «الذي يحتاج بشكل ملح الى الهدوء والامن لكي يصح ويتعافى» (ص ٤٩) .

اجل، اجل، انه يليق بالماركسي والاشتراكي كاوتسكي ان يطلق زفرة ويسكب دمعة بصدد هدوء وامن المستثمرين والمضاربين بالحبوب، الذين يخفون فوائضها وينتهكون قانون احتكار الحبوب ويفرضون المجاعة على سكان المدن . نحن كلنا اشتراكيون وماركسيون واميون – هكذا يهتف معاً، كجوقة واحدة، السادة اضراب كاوتسكي وهنريخ فيبر (فيينا) ولونغه (باريس) وماكدونالد (لندن) ومن لف لفهم – نحن كلنا نؤيد ثورة الطبقة العاملة، ولكن ... ولكن شرط ان لا تقلق هدوء وامن المضاربين بالحبوب ! وهذا الاستخذاء القذر امام الرأسماليين، انما نغطيه باستشهاد «ماركسي» بـ«عملية الانتاج» ... اذا كانت تلك

هي الماركسية ، فما عسى ان يكون اذ ذاك الاستخذاء امام البرجوازية ؟

اليكم اين يبلغ المطاف بصاحبنا النظري . انه يتهم البلاشفة بانهم يصورون ديكتاتورية الفلاحين على انها ديكتاتورية البروليتاريا . ويتهمنا في الوقت نفسه باننا نحمل الحرب الاهلية الى الارياف (ونحن نعتبر هذا الامر **مأثرة** لنا) ، ونرسل الى القرى فصائل مسلحة من العمال تعلن جهاراً بانها تحقق «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الفقراء» ، وتساعد الفلاحين الفقراء ، وتصادر من المضاربين والفلاحين الاغنياء فوائض الحبوب التي يخفونها خلافاً لقانون احتكار الحبوب .

فمن جهة ، يؤيد صاحبنا النظري الماركسي الديموقراطية الخالصة ، وخضوع الطبقة الثورية ، مرشدة الكادحين والمستثمَرين ، لاغلبية السكان (ومن ضمنهم ، بالتالي ، المستثمِرون ايضاً) . ومن جهة اخرى ، يحاول ان يقدم الدليل **ضدنا** على ان طابع الثورة هو بالضرورة برجوازي ، برجوازي لان الفلاحين بالاجمال يقفون على صعيد العلاقات الاجتماعية البرجوازية ، وهو يدعي في الوقت نفسه انه يدافع عن وجهة النظر البروليتارية ، الطبقية ، عن وجهة النظر الماركسية !

ليس هذا «بتحليل اقتصادي» ، انما هو سلاطة ، تشوش من الدرجة الاولى . وليس هذا بماركسية ، انما هو فتائت من مذاهب ليبيرالية ونشر لروح الاستخذاء امام البرجوازية وامام الكولاك .

وعلى المسألة التي شوشها كاوتسكي بهذا الشكل ، سلط البلاشفة النور ساطعاً منذ ١٩٠٥ . اجل ، ان ثورتنا برجوازية ، **ما دمنا** نمشي **مع** الفلاحين **بمجملهم** . وهذا ما كنا ندركه بوضوح تام ، وما رددناه مئات المرات وآلاف المرات منذ ١٩٠٥ ؛ ونحن لم نحاول قط ان نقفز فوق هذه الحقبة الضرورية من التطور التاريخي ، ولا ان

نقضي عليها بالمراسيم . ان **الجهود** الفاشلة التي يبذلها كاوتسكي لكي «يدحض»نا في هذه النقطة لا تنم الا عن تشوش افكاره وخوفه من ان يتذكر ما كتبه عام ١٩٠٥ ، اي قبل ان يصير مرتداً .

ولكننا في عام ١٩١٧ ، منذ شهر **نيسان** (ابريل) ، اي قبل ثورة اكتوبر واستلامنا السلطة بزمن طويل ، قلنا للشعب علناً وشرحنا له جهاراً : ان الثورة لن تتمكن الآن من الوقوف عند هذه الدرجة لان البلاد سارت شوطاً من الطريق ، والرأسمالية خطت خطوة الى الامام ، والخراب الذي يبلغ مقاييس لم يسمع بمثلها من قبل ، **سيتطلب** (شاء ذلك احد ام ابى) خطوات الى الامام ، **نحو الاشتراكية** . والا **استحال** المضي الى الامام ، وانقاذ البلاد التي انهكتها الحرب ، **والتخفيف** من آلام الكادحين والمستثمَرين .

وقد جرى كل شيء تماماً كما قلنا . واكد مجرى الثورة صحة محاكمتنا . **اولاً** ، مع «كل» الفلاحين ضد المَلَكية ، ضد الملاكين العقاريين ، ضد القرون الوسطى (ونظراً لذلك تبقى الثورة برجوازية، ثورة برجوازية ديموقراطية) . **ثم** ، مع الفلاحين الفقراء ، مع انصاف البروليتاريين ، مع جميع المستثمَرين ، **ضد الرأسمالية** ، بمن فيها الريفيون الاغنياء ، الكولاك ، المضاربون ؛ وعليه تصبح الثورة ثورة **اشتراكية** . وما الرغبة في اقامة حاجز اصطناعي كسور الصين بين الثورتين ، والفصل بينهما **بغير** درجة استعداد البروليتاريا ودرجة اتحادها مع الفلاحين الفقراء الا تشويه كبير جداً للماركسية ، وتحقير لها ، واحلال لليبيرالية محلها . فكأن يريد المرء ، باستشهادات علمية مزعومة بطابع البرجوازية التقدمي ازاء القرون الوسطى ، ان يمرر الدفاع الرجعي عن البرجوازية ضد البروليتاريا الاشتراكية .

ومن اسباب كون السوفييتات تمثل شكلاً ونموذجاً ارقى بما لا حد له من الديموقراطية ، هو انها ، اذ تضم **سواد العمال والفلاحين**

وتشركهم في الحياة السياسية ، انما تؤلف اقرب جهاز الى «الشعب» (بالمعنى الذي تحدث فيه ماركس ، عام ١٨٧١ ، عن الثورة الشعبية حقاً) (٨٧) ، البارومتر الاكثر حساسية لتطور الجماهير ، لنمو نضوجها السياسي ، نضوجها الطبقي . ان الدستور السوفييتي لم يوضع وفق «برنامج» ما ، ولم يُؤلف في المكاتب ، ولم يُفرض على الشغيلة من قبل حقوقيين برجوازيين . كلا . فان هذا الدستور **قد ولد** من سير تطور **النضال الطبقي** ، بقدر ما كانت تنضج **التناحرات الطبقية** . والبرهان على هذا القول انما تقدمه على وجه الضبط تلك الوقائع التي اضطر كاوتسكي الى الاعتراف بها .

في البدء ، كانت السوفييتات تضم الفلاحين بمجملهم . ونظراً لجهل الفلاحين الفقراء وتأخرهم وانعدام الثقافة بينهم ، ظلت القيادة في ايدي الكولاك ، الاغنياء ، الرأسماليين ، المثقفين البرجوازيين الصغار . وكانت تلك مرحلة سيطرة البرجوازية الصغيرة ، المناشفة والاشتراكيين-الثوريين (وليس غير الحمقى او المرتدين امثال كاوتسكي من يستطيعون اعتبار هؤلاء واولئك في عداد الاشتراكيين) . وكانت البرجوازية الصغيرة ، بحكم الضرورة ، بصورة محتمة ، تتأرجح بين ديكتاتورية البرجوازية (كيرنسكي ، كورنيلوف ، سافينكوف) وديكتاتورية البروليتاريا ، لان البرجوازية الصغيرة عاجزة ، بسبب من خصائص وضعها الاقتصادي الاساسية ، عن القيام بأي عمل مستقل . وبالمناسبة نقول ان كاوتسكي يرتد عن الماركسية تماماً : ففي تحليله للثورة الروسية ، يكتفي بالمفهوم الحقوقي ، الشكلي «للديموقراطية» ، الذي تستخدمه البرجوازية لتغطية سيطرتها وخداع الجماهير ، **وينسى** ان «الديموقراطية» تعني في الواقع ، احياناً **ديكتاتورية البرجوازية** ، واحياناً عجز اصلاحية البرجوازية الصغيرة التي تخضع لهذه الديكتاتورية ، الخ . . ويبدو ، من اقوال كاوتسكي ، انه كان في بلد رأسمالي

احزاب برجوازية ، وانه كان هناك حزب بروليتاري (البلاشفة) يجتذب وراءه اغلبية البروليتاريا ، سواد البروليتاريا ، ولكنه **لم تكن هناك** احزاب برجوازية صغيرة ! ولم يكن للمناشفة والاشتراكيين-الثوريين **اية جذور طبقية** ، اية جذور في البرجوازية الصغيرة !

ان ترددات البرجوازية الصغيرة ، ترددات المناشفة والاشتراكيين-الثوريين قد انارت الجماهير وانصرفت الاغلبية الساحقة من هذه الجماهير ، عموم «الفئات الدنيا» ، جميع البروليتاريين واشباه البروليتاريين عن مثل هؤلاء «الزعماء» . واحرز البلاشفة قصب التفوق في السوفييتات (في تشرين الاول - اكتوبر - ١٩١٧ ، في بتروغراد وموسكو) ، وتفاقم الانشقاق بين الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة .

وجاء انتصار الثورة البلشفية يضع حداً للترددات . فقد كانت هذه الثورة تعني القضاء التام على المَلَكية والملكية العقارية (فان هذه الملكية العقارية **لم** يقض عليها قبل ثورة اكتوبر) . ولقد سرنا بالثورة **البرجوازية الى النهاية** . وسار الفلاحون **بمجملهم** وراءنا . ولم يكن من الممكن ان يتجلى تناحرهم ازاء البروليتاريا الاشتراكية دفعة واحدة . وكانت السوفييتات تضم الفلاحين **بوجه عام** . ولم يكن الانقسام في صفوف الفلاحين الى طبقات قد نضج بعد ، لم يكن قد تجلى .

وقد تطورت **هذه** العملية في صيف وخريف ١٩١٨ . فان انتفاضة التشيكوسلوفاكيين ضد الثورة قد ايقظت الكولاك . فتدفقت على روسيا موجة من انتفاضات الكولاك . فليست الكتب ولا الصحف ، **بل الحياة** هي التي انارت الفلاحين الفقراء حول استحالة توفيق مصالحهم مع مصالح الكولاك ، الاغنياء ، البرجوازية الريفية . وكان «الاشتراكيون-الثوريون اليساريون» ، شأنهم شأن

كل حزب برجوازي صغير ، يعكسون ترددات الجماهير ، وقـــد انشقوا على بعضهم في صيف ١٩١٨ بالضبط : قسم منهم انضم الى التشيكوسلوفاكيين (انتفاضة موسكو التي استولى فيها بروشيان – لساعة واحدة فقط ! – على التلغراف ، وانبــأ روسيــا بسقوط البلاشفة ، ثم خيانة مورافيوف ، القائد الاعلى للجيش المرسَل ضد التشيكوسلوفاكيين ، الخ .) ، والقسم الآخر ، الذي اشرنــا اليه آنفاً ، بقي مع البلاشفة .

ان استفحال ازمة التموين في المدن قد وضع بحدة متناميــة قضية احتكار الحبوب (وهي القضية التي «نسيها» النظري كاوتسكي في تحليله الاقتصادي الذي يكرر الافكار العتيقة التي وردت عنــد ماسلوف منذ عشر سنوات !) .

ان الدولة السابقة ، دولة الملاكين العقاريين والبرجوازيــة ، وحتى الدولة الجمهورية الديموقراطية ، كانت ترســل الى الارياف فصائل مسلحة كانت في الواقع تحت تصرف البرجوازية . وهذا الامر يجهله السيد كاوتسكي ! وهو لا يرى ابداً هنا اي مظهر من مظاهر «ديكتاتورية البرجوازية» ، استغفر الله ! ان هذه «ديموقراطيــة خالصة» ، لا سيما اذا صادق عليها برلمان برجوازي ! وان يكــون افكسنتييف وس . ماسلوف قد عمدا برفقة كيرنسكي وتسيريتيلي واضرابهما من جماعة الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ، الى اعتقــال اعضاء لجان الارض في صيف وخريف ١٩١٧ ، فهذا ما «لم يسمع» به كاوتسكي ولا ينبس عنه بكلمة !

والقضية كلها هي ان الدولة البرجوازية ، التي تحقــــق ديكتاتورية البرجوازية بوساطة الجمهورية الديموقراطية ، لا يمكنها ان تعترف امام الشعب بانها تخدم البرجوازية ؛ وهي لا تستطيع ان تقول الحقيقة ، فتضطر الى الرياء .

اما الدولة من طراز الكومونة ، الدولة السوفييتية ، فانها ، على العكس ، تقول **الحقيقة** للشعب بكل صراحة ودون لف ولا دوران : فهي تعلن انها ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الفقراء ، وبهذه الحقيقة بالضبط تكسب الى جانبها عشرات وعشرات الملايين من المواطنين الجدد ، المظلومين في ظل اية من الجمهوريات الديموقراطية ، بينا تشركهم السوفييتات في السياسة ، في **الديموقراطية** ، في ادارة شؤون الدولة . ان جمهورية السوفييت ترسل الى الارياف فصائل مسلحة من العمال ، تختارهم بالدرجة الاولى من بين اكثر العمال تقدماً ، عمال العاصمتين . وهؤلاء العمال يحملون الاشتراكية الى القرية ، ويجتذبون اليهم الفلاحين الفقراء وينظمونهم ويعلمونهم ويساعدونهم على **قمع مقاومة البرجوازية** .

ان الذين يلمون بالمسألة وزاروا الريف يقولون ان في صيف وخريف ١٩١٨ فقط تعيش اريافنا ثورة «اكتوبر» **ذاتها** (اي الثورة البروليتارية) . ان انعطافاً يحل . فان موجة الانتفاضات الكولاكية تخلي المكان لنهوض الفلاحين الفقراء ، لتكاثر «لجان الفلاحين الفقراء» . واننا لنشهد في الجيش ازدياد عدد المفوضين من العمال ، والضباط من العمال ، وقادة الفرق والجيش من العمال . وحين يتملك الذعر الغبي كاوتسكي بسبب من ازمة تموز - يوليو - (١٩١٨) (٨٨) ، ونواح البرجوازية وعويلها ، فيندفع وراءها «منطنطاً» ويكتب كراساً كاملاً يتفجر فيه اقتناعه بان البلاشفة على وشك ان يسقطهم الفلاحون ، وحين يرى هذا الابله في انفصال الاشتراكيين-الثوريين اليساريين «تقلصاً» (ص ٣٧) في حلقة اولئك الذين يساندون البلاشفة ، حينذاك **تتسع** الحلقة **الفعلية** لانصار البلشفية **الى ما لا حد له** ، لان العشرات والعشرات من ملايين الفلاحين الفقراء يتحررون من وصاية الكولاك والبرجوازية الريفية ونفوذهم ، وينهضون الى الحياة السياسية **المستقلة** .

لقد خسرنا المئات من الاشتراكيين الثوريين اليساريين ، ممن هم مثقفون فاقدو الارادة وكولاك ريفيون ؛ وكسبنا الملايين من ممثلي الفلاحين الفقراء * .

ولقد انفجرت الثورة البروليتارية في الارياف النائية ، بعد مرور سنة على انفجار الثورة البروليتارية في العاصمتين وبتأثيرها ومساعدتها ، فوطدت البلشفية والسلطة السوفييتية نهائياً وقدمت الدليل القاطع على انه ليس من قوة في داخل البلاد تستطيع معارضة البلشفية .

وبعد ان انجزت البروليتاريا في روسيا الثورة البرجوازية الديموقراطية ، بالتعاون مع الفلاحين بوجه عام ، انتقلت نهائياً الى الثورة الاشتراكية ، اذ نجحت في شق الريف ، واجتذاب البروليتاريين وانصاف البروليتاريين الريفيين الى صفوفها ، وحشدهم ضد الكولاك والبرجوازية ، بما فيها البرجوازية الفلاحية .

ولو ان البروليتاريا البلشفية في العاصمتين والمراكز الصناعية الكبيرة لم تستطع حشد فقراء الارياف حولها ، ضد الفلاحين الاغنياء ، لكان اعطي الدليل على ان روسيا لم تكن «ناضجة» للثورة الاشتراكية ، ولكانت طبقة الفلاحين بقيت حينذاك «واحدة» ، اي بقيت تحت قيادة الكولاك ، الاغنياء ، البرجوازية ، اقتصادياً وسياسياً وروحياً ، ولما كانت الثورة خرجت من نطاق الثورة البرجوازية الديموقراطية . (ولكن هذا ايضاً ، - نقول بين هلالين ، - لا يقدم الدليل على انه كان على البروليتاريا الا تأخذ السلطة ، لان البروليتاريا وحدها قد سارت فعلاً بالثورة البرجوازية الديموقراطية

* كان المؤتمر السادس للسوفييتات (٦ - ٩ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٨) يتألف من ٩٦٧ مندوباً بصوت تقريري ، بينهم ٩٥٠ بلشفياً ، و ٣٥١ مندوباً بصوت استشاري ، بينهم ٣٣٥ بلشفياً . اي ان الحاصل ٩٧ بالمئة من البلاشفة .

الى النهاية ، والبروليتاريا وحدها فعلت شيئاً جدياً لتعجيل الثورة البروليتارية العالمية ، والبروليتاريا وحدها انشأت الدولة السوفييتية ، الخطوة الثانية بعد الكومونة في طريق الدولة الاشتراكية) .

ومن جهة اخرى ، لو ان البروليتاريا البلشفية حاولت دفعة واحدة ، في تشرين الاول - تشرين الثاني (اكتوبر - نوفمبر) ١٩١٧ ، دون ان تعرف كيف تنتظر بروز الفوارق بين الطبقات في الريف ، دون ان تعرف كيف **تحضّر** هذه العملية وتحققها ؛ لو انها حاولت ان «تصدر مرسوماً» بالحرب الاهلية او «بفرض الاشتراكية» في الريف ؛ لو انها حاولت ان تستغني عن الكتلة (التحالف) الموقتة مع الفلاحين بوجه عام ، عن القيام بعدد من التنازلات للفلاح المتوسط ، الخ . ، - لكانت حرفت الماركسية على الطريقة **البلانكية** (٨٩) ؛ لكانت محاولتها محاولة **اقلية** لفرض ارادتها على الاغلبية ؛ لكانت اقترفت سخافة نظرية ؛ لكانت محاولتها دليلاً على انها لم تدرك ان الثورة الفلاحية العامة **لا تزال** بعد ثورة برجوازية ، وانه يستحيل في بلد متأخر تحويلها الى ثورة اشتراكية ، **دون جملة من المراحل الانتقالية ، من الدرجات الانتقالية** .

وفي هذه المسألة النظرية والسياسية البالغة الاهمية ، شوش كاوتسكي **كل شيء** ، واظهر في الواقع بكل بساطة انه خادم ذليل للبرجوازية يرفع عقيرته بالزعيق ضد ديكتاتورية البروليتاريا .

* * *

ولقد جاء كاوتسكي بالتشوش نفسه ، ان لم يكن على نطاق اكبر ، في مسألة اخرى على جانب كبير من الطرافة والاهمية ، وهي : هل عمل الجمهورية السوفييتية **التشريعي** فيما يتعلق بالتحويل الزراعي - وهو تحويل اشتراكي في اقصى الصعوبة ، وعلى جانب

كبير جداً من الاهمية في آن واحد – قد تم تنظيمه بصورة صحيحة من حيث مبدؤه وتم تطبيقه بصورة عقلانية ؟ اننـــا لنكون شاكرين اعظم الشكر لكل ماركسي من اوروبا الغربية **ينتقد** سياستنا بعـد ان يطلع على الوثائق الرئيسية على الاقل ، لانه سيقدم لنا بذلـــك خدمة جلى ، ومن جهة اخرى يساعد الثورة التي تنضج في العالم كله . ولكن كاوتسكي يقدم لنا ، بدلاً من الانتقاد ، تشوشاً نظريـــاً لا يصدق ، يُحوّل الماركسية الى ليبيرالية ، وليس عنده ، عملياً ، سوى تهجمات عقيمة ، حقود ، تافهة ، ضيقة الافق ، ضد البلاشفة . فليحكم القارئ بنفسه :

«لم يكن من الممكن الحفاظ على الملكية العقارية الكبيرة . هذا ما توصلت اليه الثورة . وقد ظهر هذا بوضوح منذ البدء ؛ فقـد كان لا بد من نقلها الى السكان الفلاحين . . .» (هذا خطأ ، يـــا سيد كاوتسكي : انك تحل ما هو «واضح» لك محل ما تفكر به مختلـف **الطبقات** عن هذه المسألة ؛ ان تاريخ الثورة قد برهن على ان الحكومة الائتلافية ، حكومة البرجوازيين والبرجوازيين الصغار ، المناشفـة والاشتراكيين-الثوريين ، كانت تطبق سياسة قوامهـــا الحفاظ على الملكية العقارية الكبيرة . والدليل على ذلك انما قدمـه على الاخص قانون س . ماسلوف واعتقال اعضاء لجان الارض (٩٠) . ولـــولا ديكتاتورية البروليتاريا ، لما تغلب «السكان الفلاحون» على الملاك العقاري المتحد مع الرأسمالي .)

«. . . ومع ذلك ، لم يكن هناك اي اجماع حول مسألة الشكل الذي ينبغي ان يتـــم به ذلك . كانت هنـــاك مختلف الحلـــول المحتملة . . .» (ان كاوتسكي يهمـــه اكثـــر ما يهمه «اجماع» «الاشتراكيين» اياً كان الاشخاص الذين يدعون انهم اشتراكيون . اما انه لا بد للطبقتين الاساسيتين في المجتمع الرأسمالي ان تصلا

الى حَلين مختلفين فهذا ما ينساه .) «... فمن وجهة النظر الاشتراكية ، كان الحل الاكثر عقلانية يتلخص في تحويل المشروعات الكبيرة الى ملكية الدولة واحالة زراعة الاملاك الكبيرة بشكل جمعيات الى الفلاحين الذين كانوا يعملون فيها حتى ذاك بوصفهم عمالاً اجراء . ولكن هذا الحل يفترض عمالاً زراعيين لا وجود لهم في روسيا . وكان هناك حل آخر مفاده تحويل الملكية العقارية الكبيرة الى ملكية الدولة ، وتقسيمها حصصاً صغيرة يستأجرها الفلاحون الذين يملكون القليل من الارض . وهكذا كان من الممكن ان يتحقق شيء من الاشتراكية ...»

ان كاوتسكي يتخلص ، كما هو شأنه دائماً ، حسب الصيغة الشهيرة : من جهة ، لا بد من الاعتراف ؛ ومن جهة اخرى ، يجب الاعتراف . انه يضع **جنباً الى جنب** مختلف الحلول دون ان يفكر بالمسألة الواقعية الوحيدة ، الماركسية الوحيدة ، مسألة معرفة **مراحل الانتقال** من الرأسمالية الى الشيوعية في هذه الاوضاع **الخاصة** او تلك . ففي روسيا اجراء زراعيون ، ولكن عددهم ليس كبيراً ، وكاوتسكي لم يتطرق الى المسألة التي **وضعتها** السلطة السوفييتية ، مسألة ما العمل للانتقال الى زراعة الارض بشكل كومونات وبشكل جمعيات . غير ان اطرف ما في الامر ، هو ان كاوتسكي يريد ان يرى «شيئاً من الاشتراكية» في تأجير حصص صغيرة من الارض . وهذا ، في الواقع ، شعار **برجوازي صغير** ليس فيه **اية ذرة** «من الاشتراكية» . فاذا **لم** تكن «الدولة» التي تؤجر الارض دولة من طراز الكومونة ، بل جمهورية برجوازية برلمانية (تلك هي بالضبط فرضية كاوتسكي الدائمة) ، فان تأجير الارض حصصاً صغيرة لن يكون سوى **اصلاح ليبيرالي** نموذجي .

ان كاوتسكي يلزم الصمت المطبق حول ان السلطة السوفييتية قد الغت **كل** ملكية للارض . وما هو شر من ذلك ، انه

يلجأ الى تشويه لا يصدق بايراده مراسيم السلطة السوفييتية بطريقة يغفل بها الامر الجوهري .

فبعد ان يعلن كاوتسكي ان «الانتاج الصغير يطمح الى الملكية الخاصة الكاملة لوسائل الانتاج» ، وان الجمعية التأسيسية من شأنها ان تكون «السلطة الوحيدة» القادرة على منع التقسيم (وهذا قول سيبعث على الضحك الصاخب في روسيا ، لان كل امرىء يعرف ان العمال والفلاحين يعترفون بسلطة السوفييت **فقط لا غير** ، وان الجمعية التأسيسية اصبحت شعار التشيكوسلوفاكيين والملاكين العقاريين) ، يتابع قائلاً :

«لقد اعلن احد المراسيم الاولى التي اتخذتها الحكومة السوفييتية : ١ - تلغى الملكية الاقطاعية للارض فوراً دون اي تعويض . ٢ - توضع املاك الملاكين العقاريين وكذلك جميع اراضي العائلة القيصرية والاديرة والكنيسة ، مع كل ادواتها وماشيتها وابنيتها وكل ما يخصها ، تحت تصرف لجان الارض في النواحي وسوفييتات نواب الفلاحين في الاقضية ، الى ان تبت الجمعية التأسيسية بمسألة الارض» .

ولا يورد كاوتسكي **الا هاتين الفقرتين** ، ويخلص الى القول :

«ان الاشارة الى الجمعية التأسيسية ظلت حبراً على ورق . وبالفعل ، كان في مستطاع الفلاحين في شتى النواحي ان يفعلوا بالارض ما يطيب لهم» (ص ٤٧) .

هذه نماذج من «انتقاد» كاوتسكي ! هذا عمل «علمي» يشبه التزوير بشكل غريب يُلقى في ذهن القارىء الالماني ان البلاشفة استسلموا امام الفلاحين في مسألة الملكية الخاصة للارض ! وان البلاشفة تركوا الفلاحين المنفردين يفعلون («حسب النواحي») ما يطيب لهم !

اما في الواقع ، فان المرسوم الذي يستشهد به كاوتسكي – وهو اول مرسوم صدر في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ (حسب التقويم القديم) – لا يتضمن مادتين بل خمس مواد ، **يضاف اليها** ثماني مواد من «الوصايا» (٩١) التي «ينبغي اتخاذها مرشداً» ، كما جاء في المرسوم .

تنص المادة ٣ من المرسوم على ان استثمارات تنتقل «**الى الشعب**» ، وانه ينبغي وضع «جردة دقيقة لجميع الاملاك المصادرة» وتأمين «الحراسة الثورية الصارمة» عليها . وقد جاء في الوصايا انه «يلغى الى الابد حق الملكية الخاصة للارض» ، و«**لا توزع**» «الاراضي التي تشتمل على استثمارات عالية المستوى» و«تنتقل كل الماشية والعتاد في الاراضي المصادرة ، دون اي تعويض ، وتبعاً لحجمها واهميتها ، اما الى الدولة واما الى المشاعات من اجل الانتفاع بها بلا منازع» و«تحول جميع الاراضي الى صندوق اراضي الشعب بأسره» .

ثم ، وفي نفس الوقت الذي اعلن فيه حل الجمعية التأسيسية (٥ – ١ – ١٩١٨) ، اقر المؤتمر الثالث للسوفييتات «**اعلان حقوق** الشعب الشغيل والمستثمَر» ، المدرج حالياً في القانون الاساسي للجمهورية السوفييتية . وتنص المادة ٢ من هذا الاعلان ، في فقرتها الاولى ، على «الغاء الملكية الخاصة للارض» وعلى «اعلان الاملاك العقارية والاستثمارات الزراعية النموذجية ملكية وطنية» .

وبالتالي ، **لم** تبق الاشارة الى الجمعية التأسيسية حبراً على ورق ، اذ ان مؤسسة تمثيلية اخرى تمثل الشعب بأسره ، تتمتع عند الفلاحين بسلطة اكبر بما لا حد له ، قد اخذت على نفسها حل المسألة الزراعية .

ثم ، في ٦ (١٩) شباط (فبراير) ١٩١٨ ، صدر القانون حول جعل ملكية الارض ملكية اجتماعية ، فجاء يؤكد ، مرة اخرى ، الغاء

كل ملكيــــة للارض ويعهد بــــادارة الاراضي **وجميع الادوات في الملكيات الخاصة** الى السلطات السوفييتية ، **تحت رقابة السلطة السوفييتية الاتحادية** ؛ اما مهمة هذه الادارة ، فهي

«تطوير الاستثمارات الزراعية الجماعية باعتبارها اكثر فائدة من حيث اقتصاد العمل والمنتجات ، على حساب الاستثمارات الفردية ، بغية الانتقــال الى الاقتصاد الاشتراكي» (المادة ١١ ، الفقرة ه) .

وعلى السؤال الاساسي : «من يحق له الانتفاع بالارض ؟» ، اجاب هذا القانون ، اذ اقر الانتفاع **المتساوي** بالارض ، كما يلي :

(المادة ٢٠) . «في حدود جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتيــة ، ينتفع بحصص الاراضي – من اجــل تامين الحاجات العامــة والشخصية : أ – لاغراض التثقيف والتنوير : ١ – الدولة الممثلة بهيئات السلطـــــة السوفييتية (في عموم الاتحاد ، وفي المقاطعة ، والمحافظة ، والقضاء ، والناحية والقرية) . ٢ – المنظمات العامة (باشراف واذن السلطة السوفييتية المحلية) . ب – لاغراض الزراعة : ٣ – الكومونات الزراعية . ٤ – التعاونيات الزراعية . ٥ – الجمعيات الريفية . ٦ – العائلات او الافراد ...»

وهكذا يرى القارىء ان كاوتسكي قد حرّف الامور كلياً ؛ فقد عرض على القارىء الالماني ، بصورة خاطئة اطلاقاً ، مـــا استنته الدولة البروليتارية في روسيا من سياسة زراعية وتشريع زراعي .

اما المسائل النظرية الهامة ، الاساسية ، فان كاوتسكي لم يعرف حتى كيف يطرحها !

وهذه المسائل هي التالية :

١ – الانتفاع المتساوي بالارض

و ٢ – تأميم الارض ، – علاقـــة كل من هاتين المسألتين مع الاشتراكية بوجه عام ومع الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية بوجه خاص .

٣ – التعاون في فلاحة الارض ، بوصفه انتقالاً من الزراعة الصغيرة المجزأة الى الزراعة الكبيرة الاجتماعية ؛ فهل طرح هذه المسألة في التشريع السوفييتي ينطبق على مقتضيات الاشتراكية ؟

وبصدد المسألة الاولى ، تجدر الاشارة بالدرجة الاولى الى الواقعين الاساسيين التاليين : أ – منذ دراسة تجربة عام ١٩٠٥ (اني استشهد مثلاً بمؤلفي عن المسألة الزراعية في الثورة الروسية الاولى) (٩٢) ، نوه البلاشفة بالاهمية الديموقراطية التقدمية والديموقراطية الثورية لشعار التساوي ، وتحدثوا عن هذا بصراحة تامة في عام ١٩١٧ ، **قبل** ثورة اكتوبر . ب – ان البلاشفة ، اذ طبقوا قانون جعل ملكية الارض ملكية اجتماعية ، – و«روح» هذا القانون هو شعار الانتفاع المتساوي بالارض ، – قد اعلنوا بمنتهى الدقة والوضوح : هذه الفكرة ليست فكرتنا ، ونحن لا نوافق على شعار كهذا ، ولكننا نرى من واجبنا ان نطبقه ما دام مطلب الاغلبية الساحقة من الفلاحين . والحال ، ان افكار ومطالب اغلبية الشغيلة ، انما ينبغي ان **يتخلوا** عنها **بانفسهم** : فلا يجوز «الغاؤ»ها ولا «القفز» من فوقها . ونحن البلاشفة **سنساعد** الفلاحين على التخلي عن الشعارات البرجوازية الصغيرة ، على **الانتقال** بأسرع واسهل ما يمكن الى الشعارات الاشتراكية .

ان النظري الماركسي ، الذي يود لو يساعد الثورة العمالية بتحليله العلمي ، انما يتعين عليه ان يجيب اولاً اذا كان من الصحيح ان فكرة الانتفاع المتساوي بالارض تتسم بأهمية ديموقراطية ثورية ، بمعنى السير بالثورة **البرجوازية** الديموقراطية الى النهاية . ثم ، هل كان البلاشفة على حق حين مرروا بأصواتهم القانون البرجوازي الصغير حول التساوي (وتقيدوا به بمنتهى الامانة) ؟

ان كاوتسكي لم يعرف حتى كيف **يرى** اين تقوم نظرياً عقدة المسألة !

وما كان في مقدور كاوتسكي قط ان يدحض الفكرة القائلة ان للتساوي اهمية تقدمية ثورية في الانقلاب البرجوازي الديموقراطي. ان هذا الانقلاب لا يستطيع المضي ابعد من ذلك . وهو اذ يمضي الى النهايـــة ، يبرهن امام الجماهير **بمزيد من الوضوح والسرعة والسهولة عدم كفاية** الحلول البرجوازية الديموقراطيـــة وضرورة الخروج من نطاقها ، والانتقال الى **الاشتراكية** .

ان الفلاحين الذين اسقطوا القيصريـــة والملاكين العقاريين يحلمون بالتساوي ، وما من قوة في العالم تستطيع الوقوف في وجه الفلاحين المتحررين من الملاكين العقاريين والدولـــة **البرجوازيـــة** البرلمانيـــة ، **الجمهوريـــة** . ان البروليتاريين يقولون للفلاحين : سنساعدكم على بلوغ رأسمالية «مثالية» لان التساوي في الانتفاع بالارض انما هو اضفاء صفة المثالية على الرأسمالية من وجهة نظر المنتج الصغير . وسنبين لكم في الوقت نفسه عدم كفايـــة هذا الاجراء ، وضرورة الانتقال الى التعاون في فلاحة الارض .

لقد كان من الطريف ان نرى اي مسلك سيسلكه كاوتسكي لدحض صحـــة **مثل هذه** القيـــادة لنضال الفلاحين مـــن جانب البروليتاريا !

ولكن كاوتسكي فضل التهرب من المسألة . . .

ثم ، انه خدع القراء الالمان فعلاً حين اخفى عنهم ان السلطة السوفييتية قد منحت الكومونات الجمعيات الافضلية **بكل وضوح في القانون** عن الارض ، اذ وضعتها في المرتبة الاولى .

مع الفلاحين ، الى نهاية الثورة البرجوازية الديموقراطية ؛ مع الفئة الفقيرة ، البروليتارية وشبه البروليتارية ، من الفلاحين الى الامام نحو الثورة الاشتراكية ! تلك كانت سياسة البلاشفة ، وكانت تلك السياسة الماركسية الوحيدة .

والحال ، يتلبك كاوتسكي ، عاجزاً عن طرح اي سؤال ! فهو من جهة **لا يجرؤ** على القول انه يتعين على البروليتاريا الافتراق عن

الفلاحين بصدد قضية التساوي ، لانه يشعر بخراقة مثل هذا الافتراق (ناهيك عن ان كاوتسكي قد دافع في عام ١٩٠٥ ، اي قبل ان يصير مرتداً ، دفاعاً واضحاً صريحاً عن تحالف العمال والفلاحين بوصفه شرطاً لانتصار الثورة) . وهو ، من جهة اخرى ، يستشهد ، بحنان ، بالسخافات الليبيرالية للمنشفي ماسلوف الذي «يبرهن» طابع المساواة البرجوازية الصغيرة الطوبوي والرجعي **من وجهة نظر الاشتراكية** ولا يتطرق بكلمة الى الطابع التقدمي والثوري الذي يتسم به النضال البرجوازي الصغير من اجل المساواة ، من اجل التساوي ، **من وجهة نظر الثورة البرجوازية الديموقراطية** .

ولذا ينجم التشوش دائماً عند كاوتسكي : ولاحظوا ان كاوتسكي (في عام ١٩١٨) **يصر** على طابع الثورة الروسية **البرجوازي** . وكاوتسكي (في عام ١٩١٨) يطالب قائلاً : لا تخرجوا من هذا النطاق ! وهذا الكاوتسكي نفسه يرى «شيئاً **من الاشتراكية**» (من اجل الثورة **البرجوازية**) في الاصلاح **البرجوازي الصغير** ، في تأجير الفلاحين **الفقراء** حصصاً صغيرة من الارض (اي في الاقتراب من التساوي) ! !

فليفهم من يقدر على الفهم !

وفضلاً عن ذلك ، يقدم كاوتسكي الدليل على عجز تافه ضيق الافق عن حسبان الحساب للسياسة الفعلية التي ينتهجها حزب معني . فهو يورد **اقوال** المنشفي ماسلوف **ولا يريد ان يرى** سياسة الحزب المنشفي **الفعلية** في عام ١٩١٧ ، حين «ائتلف» هذا الحزب مع الملاكين العقاريين والكاديت ، ودافع فعلاً عن **الاصلاح الزراعي الليبيرالي والتفاهم مع الملاكين العقاريين** (الدليل : اعتقال اعضاء اللجان الزراعية ومشروع قانون س . ماسلوف) .

ولم يلحظ كاوتسكي ان اقوال ب . ماسلوف عن طابع المساواة البرجوازية الصغيرة الرجعي والطوبوي كانت تخفي في

الواقع السياسة المنشفية التي ترمي الى تحقيق **توافق** بين الفلاحين والملاكين العقاريين (اي الى خـــداع الفلاحين من قبـــل الملاكين العقاريين) ، بدلاً من ان تهدف الى اسقاط الملاكين العقاريين من قبل الفلاحين عن طريق **الثورة** .

«ماركسي» ظريف ، هذا الكاوتسكي !

ان البلاشفة بالذات هم الذين ميزوا تمييزاً دقيقاً بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة الاشتراكية : فبالسير بالاولى الى النهاية ، فتحوا الباب للانتقال الى الثانية . وتلك هي السياسـة الثورية الوحيدة ، السياسة الماركسية الوحيدة .

وعبثاً يردد كاوتسكي نكات الليبيراليين الغثة : «ان الفلاحين الصغار لم ينتقلوا قط في اي مكان كان الى الانتاج الجماعي بفعل العقائد النظرية» (ص ٥٠) .

ما اذكى واظرف !

ان الفلاحين الصغار في بلد كبير لم يكونوا قط وفي اي مكان كان ، تحت تأثير دولة بروليتارية .

ان الفلاحين الصغار لم يبلغ بهم الامر قط وفي اي مكان كان ، الى النضال الطبقي السافر بين الفلاحين الفقراء والفلاحين الاغنياء ، بما في ذلك الحرب الاهلية فيما بينهم ، حيث **كان** الفلاحون الفقراء **حظوا** بالتأييـــد الفكري والسياسي والاقتصادي والعسكري من سلطة الدولة البروليتارية .

ان الحرب لم تغن قط وفي اي مكان كان ، الى هذا الحـد ، المضاربين والاغنياء ، وتخرب في الوقت نفسه جماهير الفلاحين الى هذا الحد .

وكاوتسكي يلوك الافكار العتيقة ، ويجتر علفاً قديماً ، خائفاً من مجرد التفكير بالمهام الجديدة الموضوعـة امام ديكتاتوريـــة البروليتاريا .

واذا **لم يكن** عند الفلاحين ، يا صاحبنا اللطيف كاوتسكي ، **ما يكفي** من الادوات للانتاج الصغير **وساعدتهم** الدولة البروليتارية في الحصول على الآلات من اجل فلاحة الارض بصورة جماعية ، فهل هذه «عقيدة نظرية» ؟ — — —

لننتقل الى قضية تأميم الارض . ان اصحابنا الشعبيين ، بمن فيهم جميع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، ينكرون ان يكون التدبير الذي تحقق عندنا هو تأميم الارض ؛ انهم يقترفون خطأ نظرياً . فما دمنا في نطاق الانتاج البضاعي والرأسمالية ، فان الغاء الملكية الخاصة للارض انما يعني تأميمها . اما تعبير «جعل الملكية اجتماعية» فانه لا يعبر الا عن ميل ، عن رغبة ، عن تحضير الانتقال الى الاشتراكية .

وعليه ، اي موقف ينبغي ان يقفه الماركسيون من تأميم الارض ؟

هنا ايضاً ، لا يعرف كاوتسكي كيف يطرح المسألة النظرية او انه — وهذا ادهى — يتهرب قصداً من المسألة ، مع انه يعرف — وهذا معروف من المنشورات الروسية ، — عن المناقشات القديمة بين الماركسيين الروس حول قضية تأميم الارض وجعل الارض ملكاً للبلديات (تسليم الاملاك العقارية الكبيرة للادارات المحلية ذات الاستقلال الذاتي) ، وتوزيع الارض .

وانه لسخرية حقيقية من الماركسية هذا التأكيد الذي تقدم به كاوتسكي والذي يزعم ان تسليم الدولة الاملاك العقارية الكبيرة وتأجيرها حصصاً صغيرة من الفلاحين الذين عندهم قلة من الارض ، من شأنهما ان يحققا «شيئاً من الاشتراكية» . ولقد سبق لنا واوضحنا ان ليس في هذا التدبير اي شيء اشتراكي . ناهيك عن انه لا ينطوي على اي شيء من الثورة **البرجوازية الديموقراطية** السائرة الى النهاية . ومصيبة كاوتسكي الكبرى انه وثق

بالمناشفة ، مما ادى الى هذا الواقع الطريف : ان كاوتسكي ، الذي يدافع عن طابع ثورتنا البرجوازي ، ويلوم البلاشفة على انهم اعتزموا فجأة السير نحو الاشتراكية ، يعرض **بنفسه** اصلاحاً ليبيرالياً على انه تدبير اشتراكي ، **دون ان يسير بهذا الاصلاح** الى حد القضاء التام على جميع بقايا القرون الوسطى في علاقات الملكية العقارية ! وهكذا تبين ان كاوتسكي ، مثله مثل مستشاريه المناشفة ، يدافع عن البرجوازية الليبيرالية التي تخشى الثورة ، بدلاً من ان يدافع عن الثورة البرجوازية الديموقراطية السائرة الى النهاية .

وبالفعل ، لماذا تُحوّل الاملاك العقارية الكبيرة وحدها لا كل الاراضي الى ملكية وطنية ؟ لان البرجوازية الليبيرالية تتوصل بذلك الى الحفاظ على الحد الاقصى من الاوضاع السابقة (اي على الحد الادنى من الاستقامة في الثورة) وعلى اكبر التسهيلات للعودة الى هذه الاوضاع . بينا البرجوازية الراديكالية ، اي البرجوازية التي تسير بالثورة البرجوازية الى النهاية ، ترفع شعار **تأميم الارض** .

في مرحلة سحيقة ، سحيقة جداً ، منذ ما يقرب من عشرين سنة ، كتب كاوتسكي مؤلفاً ماركسياً ممتازاً عن المسألة الزراعية . فهو لا يستطيع اذن ان يجهل اشارات ماركس الى ان تأميم الارض هو بالضبط شعار **منسجم** من شعارات **البرجوازية** (٩٣) . ولا يمكن لكاوتسكي ان يجهل مناظرة ماركس مع رودبرتوس ، وايضاحاته الرائعة في مؤلفه «نظريات القيمة الزائدة» ، حيث بيّن بصورة اخاذة الاهمية الثورية ، بالمعنى البرجوازي الديموقراطي ، لتأميم الارض .

ان المنشفي ب . ماسلوف ، الذي اختاره كاوتسكي ، لسوء الحظ ، مستشاراً له ، قد انكر ان يكون في مقدور الفلاحين الروس ان يوافقوا على تأميم الارض كلها (بما فيها ارض الفلاحين) . ان مفهوم ماسلوف هذا يمكن ربطه ، الى حد ما ، بنظريته «الاصيلة»

(التي تكرر الانتقادات البرجوازية لماركس) اي بانكاره للريع المطلق والاقرار «بقانون» (او «واقع» ، حسب تعبير ماسلوف) «تناقص خصب التربة» .

اما في الواقع ، فقد تبين حتى في عهد ثورة ١٩٠٥ ، ان الاغلبية الساحقة من الفلاحين في روسيا – المشاعيين والفرديين على حد سواء – كانوا يؤيدون تأميم جميع الاراضي . وقد جاءت ثورة ١٩١٧ تؤكد هذا الامر ، وتحققه بعد وصول البروليتاريا الى الحكم . وظل البلاشفة امناء للماركسية : فلم يسعوا قط (خلافاً لما يزعمه كاوتسكي الذي يتهمنا بهذا المسعى ، دون ان يأتي بأي دليل) الى «القفز» من فوق الثورة البرجوازية الديموقراطية . ففي بادىء الامر ، ساعد البلاشفة اشد المفكرين البرجوازيين الديموقراطيين لطبقة الفلاحين نزعة راديكالية ، واوفرهم ثورية ، واكثرهم قرباً من البروليتاريا ، اي الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، على تحقيق ما كان في الواقع تأميم الارض . فان الملكية الخاصة للارض قد الغيت في روسيا منذ ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، اي منذ اليوم الاول للثورة البروليتارية ، الاشتراكية .

هكذا وضع الاساس الاكمل لتطور الرأسمالية (وهذا ما لا يستطيع كاوتسكي انكاره دون القطيعة مع تعاليم ماركس) ، كما اقيم في الوقت نفسه النظام الزراعي **الاكثر مرونة** للانتقال الى الاشتراكية . فمن وجهة النظر البرجوازية الديموقراطية ، **لا يمكن** للفلاحين الثوريين الروس **المضي ابعد من ذلك : فلا يمكن ان يكون ثمة** شيء اكثر «مثالية» من وجهة النظر هذه ، واوفر «راديكالية» (من وجهة النظر ذاتها) من تأميم الارض والانتفاع المتساوي بها . ان البلاشفة ، والبلاشفة وحدهم ، هم الذين ، بفضل انتصار الثورة **البروليتارية** فقط ، ساعدوا الفلاحين على ان يسيروا فعلاً بالثورة البرجوازية الديموقراطية الى النهاية . وعلى هذا النحو فقط فعلوا

اقصى ما يمكن من اجل تسهيل وتعجيل الانتقال الى الثورة الاشتراكية .

وعليه يمكننا ان نكوّن فكرة عن التشوش البالغ الذي لا يصدق والذي يقدمه كاوتسكي لقرائه ، حين يتهم البلاشفة بانهم لا يدركون طابع الثورة البرجوازي وينحرف هو ذاته عن الماركسية الى حد **لزوم الصمت** حول تأميم الارض وعرض الاصلاح الزراعي الليبيرالي الاقل ثورية (من الناحية البرجوازية) على انه «شيء من الاشتراكية» ! — —

ونصل هنا الى المسألة الثالثة من المسائل التي طرحناها آنفاً فالمقصود ان نعرف الى اي حد اخذت ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا بعين الاعتبار ضرورة الانتقال الى التعاون في فلاحة الارض . وهنا ايضاً يقترف كاوتسكي جرماً يشبه التزوير شبهاً غريباً : فهو لا يورد الا «موضوعات» بلشفي تتناول مهمة الانتقال الى فلاحة الارض بصورة جماعية ! فبعد ان اورد صاحبنا «النظري» احدى هذه الموضوعات ، صاح صيحة النصر وقال :

«ان مجرد الاعلان عن شيء معروف بانه مهمة ، لا يعني ، للاسف ، انه تم تنفيذ هذه المهمة . ان الزراعة الجماعية في روسيا لا يزال محكوماً عليها ، وحتى الآن ، بالبقاء حبراً على ورق . ان الفلاحين الصغار لم ينتقلوا قط في اي مكان كان الى الانتاج الجماعي بفعل العقائد النظرية» (ص ٥٠) .

لم يحدث قط في اي مكان كان مثل هذا الغش الادبي الذي انزلق اليه كاوتسكي . فهو يورد «موضوعات» ، ولكنه لا ينبس بكلمة عن **قانون** السلطة السوفييتية . وهو يتحدث عن «العقيدة النظرية» ، ولكنه لا ينبس بكلمة عن سلطة الدولة البروليتارية التي تملك المصانع والبضائع ! وكل ما كتبه الماركسي كاوتسكي عام ١٨٩٩ في «المسألة الزراعية» حول الوسائل التي تتوافر للدولة

البروليتارية من اجل نقل الفلاحين الصغار تدريجياً الى الاشتراكية انما نسيه المرتد كاوتسكي عام ١٩١٨ .

ان بضع مئات من الكومونات الزراعية والاستثمارات السوفييتية (اي الاستثمارات الكبيرة التي تزرعها جمعيات من العمال على حساب الدولة) التي تدعمها الدولة ، هو ، بالطبع ، شيء قليل جداً . ولكن هل يمكن تسمية تجنب كاوتسكي لهذا الواقع «انتقاداً» ؟

ان تأميم الارض الذي قامت به ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا كان خير اجراء امن اتمام الثورة البرجوازية الديموقراطية ، حتى ولو اعادنا انتصار الثورة المضادة من التأميم الى التوزيع (لقد حللت هذا الاحتمال بوجه خاص في كتاب حول برنامج الماركسيين الزراعي في ثورة ١٩٠٥) . فضلاً عن ذلك ، اعطى تأميم الارض الدولة البروليتارية الحد الاقصى من الامكانيات لاجل الانتقال الى الاشتراكية في الزراعة .

لنوجز : ان كاوتسكي يقدم لنا ، في حقل النظرية ، خليطاً لا يصدق ، يتصف بالتخلي التام عن الماركسية ؛ اما في حقل التطبيق العملي ، فانه يعرض استذلاله امام البرجوازية والاصلاحية البرجوازية . فما اجمل هذا الانتقاد ، حقاً !

* * *

يبدأ كاوتسكي «التحليل الاقتصادي» للصناعة بالمحاكمة الرائعة التالية :

في روسيا صناعة رأسمالية كبيرة . أفلا يمكن بناء الانتاج الاشتراكي على هذا الاساس ؟ «يمكن الاعتقاد بذلك ، لو ان الاشتراكية تتلخص في اقدام عمال هذه المناجم والمصانع او تلك

على اخذها ملكاً لهم» (حرفياً : على استملاكها) «قصد استغلال كل منها على حدة» (ص ٥٢) . ويضيف كاوتسكي قائلاً : «واليوم بالضبط ، في ٥ آب (اغسطس) بينا اكتب هذه الاسطر جاء من موسكو خبر عن خطاب القاه لينين في ٢ آب وقال فيه ، كما جاء في الخبر : «ان العمال يمسكون المصانع في ايديهم بقوة ، ولن يعيد الفلاحون الارض للملاكين العقاريين» . ان شعار «المصنع للعمال ، الارض للفلاحين» لم يكن حتى الآن شعاراً اشتراكياً-ديموقراطياً ، بل شعاراً فوضوياً نقابياً» (ص‌ص ٥٢ – ٥٣) .

لقد نقلنا هذا المقطع بكليته لكي يتمكن العمال الروس الذين كانوا يحترمون كاوتسكي فيما مضى – وعلى حق – من ان يتحققوا بانفسهم من اساليب هذا الفار الذي انتقل الى صفوف البرجوازية .

فكروا قليلاً : في ٥ آب ، حين كان قد صدر عدد كبير من المراسيم حول تأميم المصانع في روسيا ، وحين كان العمال لم «يستملكوا» بعد اياً من هذه المصانع ، بل كانت **كلها** قد غدت ملكاً للجمهورية ، في ٥ آب ، يستند كاوتسكي الى تفسير ظاهر الغش لجملة وردت في خطابي ويوحي للقارئ الالماني فكرة ان المصانع في روسيا تنقل الى هؤلاء العمال او اولئك ! وبعد هذا ، خلال عشرات وعشرات من الاسطر ، يكرر كاوتسكي ويلوك ويجتر قائلاً بانه لا يجوز تسليم المصانع الى العمال فرداً فرداً !

ليس هذا انتقاداً بل اسلوب خادم ذليل للبرجوازية ، استأجره الرأسماليون للافتراء على ثورة العمال .

ينبغي نقل المصانع الى الدولة او الى المشاعة ، او الى جمعيات الاستهلاك ، هكذا كتب كاوتسكي ايضاً وايضاً . ثم اضاف في النهاية قائلاً :

«ان هذا السبيل هو ما يسعون الآن الى اتباعه في روسيا . . .» الآن ! ! ما هذا القول ؟ في آب ؟ ترى ، ألم يكن في وسع كاوتسكي

ان يطلب من شتين واكسيلرود او غيرهما من اصدقاء البرجوازية الروسية ان يترجموا له مرسوماً عن المصانع على الاقل ؟

«... اما الى اين وصلوا ، فهذا ما لا نراه حتى الآن . ان هذه الناحية من الجمهورية السوفييتية هي في كل حال على اكبر جانب من الاهمية بالنسبة لنا ، ولكنها لا تزال تضيع كلياً في الظلمات . ليس هناك نقص في المراسيم» ... (ولهذا يجهل كاوتسكي **محتواها** او يخفيه عن قرائه !) «ولكنه ليست هناك معلومات كافية مضمونة عن مفعول هذه المراسيم . ان الانتاج الاشتراكي مستحيل دون احصاء واسع ، مفصل ، امين ، سريع الاعلام . وهذا ما لم تستطع الجمهورية السوفييتية ان تنشئه حتى الآن . وما نعلمه عن نشاطها الاقتصادي في منتهى التناقض ويستحيل التحقق منه . وتلك ايضاً احدى نتائج الديكتاتورية وسحق الديموقراطية . فليس هناك لا حرية صحافة ولا حرية كلام ...» (ص ٥٣) .

هكذا يُكتب التاريخ ! في الصحافة «الحرة» ، صحافة الرأسماليين وانصار دوتوف ، كان بامكان كاوتسكي ان يستقي المعلومات عن المصانع التي تنتقل الى العمال ... في الحقيقة ، هذا «العالم الجدي» القابع فوق الطبقات ، لرائع حقاً ! ان كاوتسكي لا يريد ان يعرف شيئاً عن الوقائع التي لا تحصى والتي تشهد على ان المصانع تنقل الى الجمهورية **وحدها** ، وانها تديرها هيئة تابعة لسلطة السوفييتات ، هي المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، الذي يتألف بصورة رئيسية من مندوبين عن نقابات العمال . وهو لا يفعل غير ان يردد بعناد ، باصرار «الرجل المعلّب» : اعطوني ديموقراطية مسالمة ، دون حرب اهلية ، دون ديكتاتورية ، مع احصاء صالح (لقد انشأت الجمهورية السوفييتية مصلحة احصاء ، تضم خيرة الاحصائيين في روسيا ، ولكنه غني عن البيان انه يستحيل الحصول بسرعة على احصاء مثالي) . والخلاصة ، ان ما يطلبه كاوتسكي ، انما هو ثورة بدون ثورة ، بدون نضال ضار ، بدون عنف . فكأنه يطلب

اضراباً لا يرافقه انفلات المشاعر والاهـــواء عند العمال وارباب العمل . فحاول التمييز بين مثـــل هذا «الاشتراكي» واي موظف ليبيرالي عادي !

ويستند كاوتسكي الى هذه «المواد الواقعية» ، اي انه يغفل قصداً الوقائع الكثيرة بمنتهى الازدراء و«يخلص» الى القول :

«من المشكوك فيه ان تكون البروليتاريا الروسيـة قد حصلـت في جمهورية السوفييت من حيث المنجزات العملية الحقيقية لا من حيـث المراسيم ، على اكثر مما كان من الممكن ان تتلقاه من الجمعية التاسيسيـة التي كانت الهيمنة فيها ، مثلها مثل السوفييتات ، لنفر من الاشتراكيين وان من لون آخر» (ص ٥٨) .

درة واية درة ، أليس كذلك ؟ اننا ننصح المعجبين بكاوتسكي ان ينشروا هذه المحاكمة بين العمال الروس على اوسع نطاق ممكن ، ففي الحقيقة ، ما كان في وسع كاوتسكي ان يقدم خيراً من هـــذه المستندات لتقدير عمق انحطاطه السياسي . ان كيرنسكي ، ايها الرفاق العمال ، كان ، هو ايضاً ، «اشتراكياً» ولكن «من لون آخر» ! ان المؤرخ كاوتسكي يكتفي بالنعت ، باللقب الـــذي «استملكــه» الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والمناشفة . والوقائع التي تبيــن ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين كانوا ، في عهـــد كيرنسكي ، يؤيدون السياسة الامبريالية وسرقات البرجوازيـــة واختلاساتها ، فان المؤرخ كاوتسكي لا يريد ان يعرف عنها شيئاً . اما ان تكون الجمعية التأسيسية قد اعطت الاكثرية لهؤلاء الابطال ، ابطال الحرب الامبريالية وديكتاتورية البرجوازية ، فهذا ما يلزم الصمت حوله بتواضع . وهذا ما يريـــده ان يكـــون «تحليلاً اقتصادياً» ! . .

وختاماً ، اليكم نموذجاً آخر من هذا «التحليل الاقتصادي» :

«... لقد اضطرت الجمهورية السوفييتية ، بعد مرور تسعة اشهر على وجودها ، ان توضح مصدر الفاقة العامة بدلاً من ان توســع الرفاه العام» (ص ٤١) .

لقد عوّدنا الكاديت على هذا النوع من المحاكمات . وهكذا يحاكم جميع خدم البرجوازية في روسيا . فهم يقولون : اعطونا الرفاه العام بعد تسعة اشهر ، – بعد اربع سنوات من حرب مدمرة ، في حين يقدم الرأسمال الاجنبي مساعــدة شاملـــة لاعمال التخريب والانتفاضات التي تقوم بها البرجوازية في روسيا . **وبالفعل** ، لم يبق اي فرق ، لم يبق اي ظل لفرق بين كاوتسكي والبرجوازي المعادي للثورة . ان الخطب المعسولة ، المقنعة «بالاشتراكيـــة» تردد ما يقوله انصار كورنيلوف ودوتوف وكراسنوف في روسيا بفظاظـــة ودون تنميق ودون لف ودوران .

* * *

هذه الاسطر السابقة كتبت في ٩ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩١٨ . وفي ليلة ٩ الى ١٠ ، جاء من المانيـــا نبأ انطلاق الثورة الظافرة ، اولاً في كييل وفي سائر مدن الشمال والساحل ، حيث انتقلت السلطة الى ايدي سوفييتات نواب العمال والجنود ، ثم في برلين ، حيث اخذ السوفييت ايضاً بيده زمام السلطة .

وهكذا لم تبق ثمة اية حاجة الى الخاتمة التي تبقى عليّ كتابتها من اجل كراسي عن كاوتسكي والثورة البروليتارية .

١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨

ن . لينين

الملحق الاول

موضوعات عن الجمعية التأسيسية

الملحق الثاني

كتاب جديد لفاندرفيلده عن الدولة

لم اطلع على كتاب فاندرفيلده : «الاشتراكية ضد الدولـــة» (باريس ، ١٩١٨) الا بعد ان طالعت كتاب كاوتسكي . والمقارنة بين هذين الكتابين ترد على الخاطر بصورة عفوية . فان كاوتسكي زعيم الاممية الثانية (١٨٨٩ – ١٩١٤) الفكري ، وفاندرفيلده ممثلهـــا الرسمي ، بوصفه رئيس المكتب الاشتراكي العالمي . وكلاهما يجسد افلاس الاممية الثانية التام ؛ وكلاهما يعمد «بمهارة» وبكل الحذاقة التي يتميز بها الصحافيون المحنكون ، الى تغطية افلاسها هذا وراء ستار من الالفاظ والتعابير الماركسية ، الى ستر انهيارهما بالذات وانتقالهما الى جانب البرجوازية . احدهما يبين لنا بصورة آسرة ما تمتاز به الانتهازية الالمانية من ثقل ، وادعاء نظري ، وتزوير فظ للماركسية قوامه بتر ما هو غير مقبول في الماركسية بالنسبـــة للبرجوازية . والثاني يمثل النوع الروماني – ويمكن القول الى حد ما ، النوع الاوروبي الغربي (بمعنى انه يقع غربي المانيا) – مـن الانتهازية السائدة ، وهو نوع اكثر مرونة ، واقــل ثقلاً ، ويزور الماركسية بمزيد من الحذاقة بوساطـــة هذا الاسلوب الاساسي نفسه .

وكلاهما يشوه تشويهاً جذرياً سواء مذهب ماركس عن الدولة ام مذهبه عن ديكتاتورية البروليتاريا ؛ وفي هذا المجال ، يتطرق

فاندرفيلده ، اكثر ما يتطرق ، الى القضية الاولى ، بينـــا يتناول كاوتسكي القضية الثانية اكثر . وكلاهما يطمس الصلة الوثقى التي لا تنفصم عراها بين القضية الاولى والقضية الثانية . وكلاهما ثوري وماركسي قولاً ، ومرتد فعلاً ؛ ويبذل كل جهوده **للتهرب بواسطة التعابير** من الثورة . وليس عند اي منهما اي ظل لما تتشرب به كل مؤلفات ماركس وانجلس وما يميز الاشتراكية فعلاً عن صورتها الكاريكاتورية البرجوازية ، ونعني به : تسليط النور على مهمات الثورة ، **خلافاً** لمهمات الاصلاح ، تسليط النور على التكتيـــك الثوري ، خلافاً للتكتيـك الاصلاحي ، تسليط النـــور على دور البروليتاريا **في القضاء على** نمط او منهج او نظام عبودية العمـــل المأجور ، خلافاً لدور البروليتاريا في الدول «الكبـــرى» ، هذه البروليتاريا التي تتقاسم مع البرجوازية جزءاً طفيفاً مما تبتزه هذه البرجوازية من ارباح زائدة امبريالية وغنائم زائدة امبريالية .

واليكم ، برهاناً على هذا التقدير ، بعضـــاً من محاكمـــات فاندرفيلده ذات الدلالة .

يستشهد فاندرفيلده بماركس وانجلس باقصى الحمية ، كما يفعل كاوتسكي . وعلى غرار كاوتسكي ، يورد من ماركس وانجلس كل شيء ، **باستثناء** ما هو غير مقبول اطلاقاً عند البرجوازية ، ما يميز الثوري عن الاصلاحي . وهو يتكلـــم باسهاب عن ظفـــر البروليتاريا بالسلطة السياسية ، ما دام الامر محصوراً عملياً منذ زمن في نطاق برلماني صرف . اما ان يكـون ماركس وانجلس قد اعتبرا من الضروري ، بعد تجربة الكومونة ، ان يكمـــلا «البيان الشيوعي» الذي شاخ جزئياً ، بتوضيح هذه الحقيقة وهي ان الطبقة العاملة لا يمكنها الاكتفاء بالاستيلاء على آلة الدولة الجاهزة ، وانه يجب عليها ان **تحطم** هذه الآلة ، فهذا ما **لا ينبس عنه** فاندرفيلده **ببنت شفة** ! ان فاندرفيلده ، مثله مثل كاوتسكي ، كأنما كانا على

اتفاق مسبق ، يلزم الصمت المطبق حول اهم ما في **تجربة** الثورة البروليتارية بوجه الضبط ، حول ما يميز ثورة البروليتاريا عن اصلاحات البرجوازية بوجه الضبط .

وعلى غرار كاوتسكي ، يتحدث فاندرفيلده عن ديكتاتورية البروليتاريا لكي يتهرب بواسطة الكلام منها . وقد فعل كاوتسكي ذلك بلجوئه الى تزويرات فظة . اما فاندرفيلده ، فقد فعل الشيء ذاته بطريقة اكثر حذاقة . ففي المقطع المقابل ، المقطع ٤ ، حول «ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية» ، يخصص النقطة «ب» لمسألة «الديكتاتورية **الجماعية** للبروليتاريا» ؛ و«يستشهد» بماركس وانجلس (واكرر : مع اغفاله بالضبط ما له علاقة بالامر الاهم ، **بتحطيم** آلة الدولة البرجوازية الديموقراطية القديمة) ، ويخلص الى القول :

«... ان الاوساط الاشتراكية تتصور ، عادة ، الثورة الاجتماعية كما يلي : كومونة جديدة ، ظافرة هذه المرة ، لا في نقطة واحدة ، بل في مراكز العالم الرأسمالي الرئيسية .

فرضية ؛ ولكنها فرضية ليس فيها شيء بعيد الاحتمال في هذه الازمنة التي يبدو فيها منذ حين ان مرحلة ما بعد الحرب ستعرف ، في كثير من البلدان ، تناحرات طبقية واضطرابات اجتماعية لم يسمع بمثلها من قبل .

ولكن ، اذا كان اخفاق كومونة باريس ـ هذا اذا لم نذكر مصاعب الثورة الروسية ـ يثبت شيئاً ما ، فانما يثبت استحالة التغلب على النظام الرأسمالي ما دامت البروليتاريا غير محضرة كفاية لممارسة السلطة التي قد توقعها الظروف في يديها» (ص ٧٣) .

ولا شيء اطلاقاً بعد هذا من حيث الاساس !

ها هم حقاً زعماء وممثلو الاممية الثانية ! في عام ١٩١٢ يوقعون بيان بال ، حيث يتحدثون صراحة عن الصلة بين تلك الحرب بالذات التي انفجرت عام ١٩١٤ والثورة البروليتارية التي **يهددون**

بها صراحة . وحين جاءت الحرب ونشأ وضـــع ثوري ، بدأ هؤلاء الكاوتسكيون والفاندرفيلديون يتملصون من الثورة بواسطـــة التعابير . فالثورة من طراز الكومونة ليست ، على حد زعمهم ، الا فرضية غير بعيدة الاحتمال ! وهذه المحاكمة مماثلة تماماً لمحاكمة كاوتسكي حول دور السوفييتات المحتمل في اوروبا .

ولكن هذه المحاكمة هي محاكمة كل **ليبيرالي** متعلـــم يوافق اليوم بكل تأكيد على ان الكومونة الجديدة «ليست بعيدة الاحتمال» ، وان السوفييتـــات ستضطلـــع بدور كبير ، الخ . . ان الثوري البروليتاري يمتاز عن الليبيرالي بكونه ، كنظري ، يحلل بالضبط المغزى الجديد للكومونة والسوفييتات من حيث هي طراز **دولة** . غير ان فاندرفيلده **يلزم الصمت** حول كـــل ما عرضـــه ماركس وانجلس بهذا الصدد بالتفصيل عندما حللا تجربة الكومونة .

وعلى الماركسي ، بوصفه رجلاً عملياً ، بوصفه سياسياً ، ان يبين ان خونة الاشتراكية هم وحدهم الذين يستطيعون الآن التخلي عن المهمة التالية : تبيان ضرورة الثورة البروليتاريـــة (من طراز الكومونة ، من طراز السوفييتات ، او لنفترض ، من طراز ثالث) ، توضيح ضرورة الاستعداد لها ، القيام بالدعاية بين الجماهير من اجل الثورة ، دحض الاوهام الضيقة الافق المناهضة لضرورة الثورة الخ . .

ولكن لا كاوتسكي ولا فاندرفيلده يقومان بأي عمل من هذا القبيل ، لانهما نفسيهما على وجه الضبط خائنان للاشتراكية يريدان الحفاظ على سمعتهما بين العمال باعتبارهما اشتراكيين وماركسيين .

انظروا الى وضع القضية من الناحية النظرية .

ان الدولة ليست ، في الجمهورية الديموقراطية ايضاً ، الا آلة لقمع طبقة من جانب طبقة اخرى . وكاوتسكي يعرف هذه الحقيقة ، ويعترف بها ، ويشاطرها ، ولكنه . . . ولكنه يتملص من المسألة

الجذرية الرئيسية ، مسألة معرفة اية هي الطبقـــة التي يجب على البروليتاريا ان تقمعها ، ولماذا وبأية وسائل يجب عليها ان تقمعها حين تظفر بالدولة البروليتارية .

وفاندرفيلده يعرف هذه الموضوعة الاساسية في الماركسية ، ويعترف بها ، ويشاطرها ويستشهد بها (ص ٧٢ من كتابـــه) ، ولكنه . . . لا ينبس ببنت شفة حول الموضوع «المزعج» (للسادة الرأسماليين) المتعلق **بقمع مقاومة المستثمِرين** ! !

وفاندرفيلده ، شأنه شأن كاوتسكي ، يتجنب تمامـــاً هذا الموضوع «المزعج» . وفي هذا على وجه التدقيق يقوم ارتدادهما .

وفاندرفيلده ، شأنـــه شأن كاوتسكي ، برع في فن احلال الاختيارية محل الديالكتيك . من جهة لا بد من الاعتراف ، ومن جهة اخرى يجب الاعتراف . من جهة ، يمكن ان تعني الدولة «جسم امة» (راجع قاموس ليتره ، — وهو مؤلف علمي «لا ريب فيه»، — ص ٨٧ عند فاندرفيلده) ؛ ومن جهـــة اخرى ، يمكن ان تعني الدولـــة «الحكومة» (المرجع ذاته) . ان هذه السخافة العلمية ، انما يوردها فاندرفيلده ، مؤيداً اياها ، **الى جانب** اقوال ماركس .

وقد كتب فاندرفيلده قائلاً : ان المعنى الماركسي لكلمـــة «دولة» يختلف عن معناها العادي . فيمكن بالتالي ان يقع «سوء فهم» . «الدولة ، عند ماركس وانجلس ، ليست الدولة بمعنى الكلمة الواسع ، ليست الدولة بوصفها هيئة تمثل وتشرف على مصالـــح المجتمع العامة (intérêts généraux de la société) . انما هي الدولة-السلطة ، الدولة كهيئة السلطة ، الدولة كأداة سيطرة طبقة على اخرى» (فاندرفيلده ، صص ٧٥ — ٧٦) .

اما فيما يتعلق بتحطيم الدولـــة ، فان ماركس وانجلس لا يتحدثان عنه الا بالمعنى الثاني . «. . . ان التأكيدات المطلقة جداً قد تصبح غير صحيحة ، اذ انه توجد كثرة من الدرجات الانتقالية بين

الدولة الرأسمالية ، القائمة على سيادة طبقة واحدة بوجه الحصر ، والدولة البروليتارية التي تهدف الى الغاء الطبقات» .(ص ١٥٦) .

هذه هي «طريقة» فاندرفيلده ، وهي طريقة لا تختلف الا قليلاً جداً عن طريقة كاوتسكي ، بل تماثلها تماماً من حيث الجوهر . ان الديالكتيك ينكر الحقائق المطلقة ، اذ يقرر تعاقب الاضداد ودور الازمات في التاريخ . اما الاختياري فلا يريد تأكيدات «مطلقة جداً» ، لكي يمرر خلسة رغبته ، الرغبة البرجوازية الصغيرة ، التافهة ، الصفية الافق ، في الاستعاضة عن الثورة «**بدرجات انتقالية**» .

ان تكون الدرجة الانتقالية بين الدولة بوصفها هيئة لسيطرة طبقة الرأسماليين ، والدولة بوصفها هيئة لسيطرة البروليتاريا ، انما هي بالضبط **الثورة** التي تعني **اسقاط** البرجوازية ، **وسحق** ، تحطيم آلة دولتها **هي** ، فهذا ما يلزم الصمت حوله الكاوتسكيون والفاندرفيلديون .

وان يكون من الواجب الاستعاضة عن ديكتاتورية البرجوازية بديكتاتورية طبقة **واحدة** هي طبقة البروليتاريا ؛ وان تأتي بعد «الدرجات الانتقالية» **للثورة** «الدرجات الانتقالية» لاضمحلال الدولة البروليتارية التدريجي ، فهذا ما يطمسه الكاوتسكيون والفاندرفيلديون .

وهذا هو ارتدادهم السياسي .

وهذا هو نظرياً وفلسفياً ، احلال الاختيارية والسفسطائية محل الديالكتيك . ان الديالكتيك ملموس وثوري ، و«الانتقال» من ديكتاتورية طبقة الى ديكتاتورية طبقة اخرى ، انما يميزه الديالكتيك عن «انتقال» الدولة البروليتارية الديموقراطية الى اللادولة («اضمحلال الدولة») . ان اختيارية وسفسطائية الكاوتسكيين والفاندرفيلديين ، ارضاء منهم للبرجوازية ، تطمسان كل ما هو ملموس ودقيق في النضال الطبقي ، اذ تحلان محله

المفهوم العام عن «الانتقال» حيث يمكن اخفاء (وحيث **يخفي تسعة اعشار الاشتراكيين-الديموقراطيين** الرسميين في عهدنا) الارتداد عن الثورة !

وفاندرفيلده ، باعتباره اختيارياً وسفسطائياً ، احذق وانعم من كاوتسكي ، اذ انه بوساطة **جملة** : «الانتقال من الدولة بالمعنى الضيق ، الى الدولة بالمعنى الواسع» ، يمكن التملص من جميع قضايا الثورة ، اياً كانت هذه القضايا ، يمكن تجنب كل الفرق بين الثورة والاصلاح ، بله الفرق بين الماركسي والليبيرالي . اذ ان اي برجوازي متعلم على الطريقة الاوروبية ينكر «بوجه عام» «الدرجات الانتقالية» بهذا المعنى «العام» ؟

وقد كتب فاندرفيلده يقول : «اني متفق مع غيد في انه يستحيل جعل وسائل الانتاج والتبادل ملكية اجتماعية ، دون ان يصار مسبقاً الى تحقيق الشرطين التاليين :

١ – تحويل الدولة الحالية ، هيئة سيطرة طبقة على اخرى ، الى ما يسميه منغر دولة العمل الشعبية ، عن طريق ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية .

٢ – فصل الدولة ، بوصفها هيئة السلطة والدولة بوصفها هيئة للادارة او ، حسب التعابير السان سيمونية ، الاشراف على الناس ، عن ادارة الاشياء» (ص ٨٩) .

هذا الكلام يطبعه فاندرفيلده بحرف اسود ، لكي يشير اشارة خاصة الى اهمية هذه الموضوعات . ولكنها تلك حقاً سلاطة اختيارية تامة ، وقطيعة كلية مع الماركسية ! لان «دولة العمل الشعبية» ليست سوى طبعة جديدة عن «الدولة الشعبية الحرة» القديمة التي كان ينادي بها الاشتراكيون-الديموقراطيون الالمان في سنوات العقد الثامن ، والتي ندد بها انجلس ونعتها بالسخافة والخراقة (٩٤) . ان تعبير «دولة العمل الشعبية» تعبير جدير بديموقراطي برجوازي

صغير (شبيه بصاحبنا **الاشتراكي-الثوري اليساري**) ، — تعبير يستعيض عن المفاهيم الطبقية بالمفاهيم **اللاطبقية** . ان فاندرفيلده يضع **في** مستوى واحد ظفر **البروليتاريا (طبقة** واحدة) بسلطة الدولة والدولة «الشعبية» دون ان يلحظ اية سلاطة تنتج عن عمله هذا . ونفس السلاطة عند كاوتسكي مع «ديموقراطيته» «الخالصة» ، نفس التجاهل البرجوازي الصغير واللاثوري لقضايا الثورة الطبقية ، والديكتاتورية البروليتارية الطبقية ، والدولة **الطبقية** (البروليتارية) .

لنتابع . ان الاشراف على الناس لن يزول ولن يخلي المكان لادارة الاشياء الا حين تضمحل **كل** دولة . وبهذا المستقبل البعيد نسبياً ، يستر فاندرفيلده ويعمّي **مهمة الغد : اسقاط** البرجوازية .

وهذا الاسلوب ايضاً يعني الاستخذاء امام البرجوازية الليبيرالية . ان الليبيرالي يوافق على الثرثرة عما سيحدث يوم لا يبقى الناس بحاجة الى ان يكونوا محكومين . ولِمَ لا يستسلم لهذه الاحلام البريئة ، التي لا ضرر منها ؟ اما فيما يتعلق باقدام البروليتاريا على قمع مقاومة البرجوازية التي تقاوم مصادرة املاكها ، فالافضل لزوم الصمت المطبق . فتلك هي المصلحة الطبقية للبرجوازية .

«الاشتراكية ضد الدولة» . بهذا التعبير يرفع فاندرفيلده قبعته تحية للبروليتاريا . وليس من الصعب رفع القبعة تحية ، فكل سياسي «ديموقراطي» يعرف كيف يحيي ناخبيه . وتحت ستار هذه «التحية» ، يمرر مضموناً ضد الثورة ، ضد البروليتاريا .

ان فاندرفيلده يكرر اوستروغورسكي (٩٥) بالتفصيل حين يقول اي تضليل ، وعنف ، ورشو ، وكذب ، ورياء ، واضطهاد للفقراء تختفي وراء وجه الديموقراطية البرجوازية المعاصرة المتمدّن الاملس ، المزين بالمساحيق . ولكن فاندرفيلده لا يستخلص من

هذا القول اية نتيجة . ولا يلاحظ ابداً ان الديموقراطية البرجوازية تقمع الجماهير الكادحة والمستثمَرة ، **في حين** انه سيتعين على **الديموقراطية البروليتارية ان تقمع البرجوازية** . ان كاوتسكي وفاندرفيلده اعميان في هذا المجال . ان مصلحة طبقة البرجوازية التي يسير وراءها هذان البرجوازيان الصغيران ، هذان الخائنان للماركسية ، **تقتضي** تجنب هذه المسألة ولزوم الصمت حولها او انكار ضرورة هذا القمع انكاراً صريحاً .

الاختيارية البرجوازية الصغيرة ضد الماركسية ، السفسطائية ضد الديالكتيك ، الاصلاحية التافهة الضيقة الافق ضد الثورة البروليتارية ، هكذا كان ينبغي ان يكون اسم كتاب فاندرفيلده .

كتب في تشرين الاول (اكتوبر) ــ قبل ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ .
كتب الملحق الثاني بعد ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨
صدر في عام ١٩١٨ في موسكو في كتاب على حدة في دار النشر «كومونيست»

المجلد ٣٧ ،
ص‌ص ٢٣٥ـ٣٣٨

خطاب في المؤتمر الاول لمصالح الزراعة ولجان الفلاحين الفقراء والكومونات في عامة روسيا ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨

(تصفيق حاد يتحول الى هتاف . الجميع يقفون .) ايهـــا الرفاق ، ان تركيب هذا المؤتمر بالذات يدل ، برأيي ، على حدوث تغير جدي ، كما يدل على الخطوة الكبيرة التي خطوناها نحن جمهورية السوفييتات الى امام في مضمار البناء الاشتراكي ، ولا سيمـــا في مضمار العلاقات الزراعية ، التي هي العلاقات الاهم بالنسبـــة لبلادنا . فان هذا المؤتمر يضم ممثلي مصالح الزراعـــة ولجان الفلاحين الفقراء والكومونات الزراعية ، الامر الذي يبين ان ثورتنا قد احرزت تقدماً كبيراً ، خلال فترة وجيزة من الزمن ، خلال سنة واحدة ، فيما يتعلق بتعديل العلاقات التي هي اشد ما يصعـــب تعديله ، والتي كانت اشد ما عرقل قضية الاشتراكية في جميـــع الثورات السابقة ، والتي ينبغي تحويلها تحويلاً جذرياً في سبيل تأمين انتصار الاشتراكية .

ان الطور الاول ، ان المرحلة الاولى من تطور ثورتنـــا بعد تشرين الاول (اكتوبر) قد تكرست ، بصورة رئيسيـــة ، لاحراز النصر على العدو المشترك لجميـــع الفلاحيـــن ، لاحـــراز النصر على الملاكين العقاريين الاقطاعيين .

وانتم تعلمون جميعكم تمام العلـم ، ايها الرفاق ، ان ثورة شباط (فبراير) – ثورة البرجوازية ، ثورة دعاة التوفيق – كانت قد وعدت الفلاحين بهذا الانتصار على الملاكين العقاريين الاقطاعيين وانها لم تف بوعدها . فقط ثورة اكتوبر ، فقط انتصار الطبقـــة العاملة في المدن ، فقط سلطة السوفييتات ، اتاحت بالفعل تخليص روسيا ، من اقصاها الى اقصاها ، من قرحة ميراث القنانة القديم ، من استثمار القنانة القديم ، من الملكية العقارية الاقطاعية ، مــن ظلم الملاكين العقاريين الاقطاعيين على مجمل طبقة الفلاحين ، عـــلى جميع الفلاحين دون اي تمييز .

فكان لا بد لجميـــع الفلاحين ان يهبوا الى هذا النضال ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، وقد هبوا اليه بالفعل . وقد وحّد هذا النضال افقر جماهير الفلاحين الكادحين الذين لا يعيشون من استثمار عمل الآخرين . ووحد ايضاً اكثر جماهير الفلاحين يسراً وحتى اغناهم ، الذين لا يستطيعون الاستغناء عن العمل المأجور .

وطالما ظلت ثورتنا منصرفة الى هذه المهمة ، وتعين علينـــا بذل جميع جهودنا من اجـــل تكنيس سلطـــة الملاكين العقاريين الاقطاعيين حقاً وصدقاً ومن اجل القضاء عليها نهائياً ، بوساطـــة حركة فلاحية مستقلة ذاتياً ، وبمساعدة حركة عمالية في المدن ، فقد ظلت ثورة جميع الفلاحين ، ولهذا السبب لم يكن بوسعها ان تتخطى النطاق البرجوازي .

انها لم تكن لتمس حتى ذاك عدو جميع الشغيلـــة الاقوى ، الاحدث – الرأسمال . ولذا كانت معرضة لان تنتهي بحل وسط ، شأنها شأن اغلبية ثورات اوروبا الغربية التي استطاعت بفضل تحالف موقت بين عمال المدن وجميع الفلاحين ، ان تكنس المَـلَـكية ، ان تكنس بقايا القرون الوسطى ، ان تكنس الملكية العقاريـــة الاقطاعية او سلطة الملاكين العقاريين الاقطاعيين بصورة جذريـــة

متفاوتة الشدة ، ولكنها لم تستطع قط ان تقوض اسس سلطان الرأسمال نفسها .

الى هذه المهمة ، التي هي اهم واصعب بكثير ، اخذت ثورتنا تنتقل منذ صيف وخريف هذه السنة . فان موجة الفتن التي شنها اعداء الثورة في هذا الصيف ، عندما انضمت جميع عناصر الاستثمار والاضطهاد في الحياة الروسية الى زحف امبرياليي اوروبا الغربية ضد روسيا ، الى زحف مرتزقتهم التشيكوسلوفاكيين ، ان هذه الموجة قد استثارت نزعات جديدة وبعثت حياة جديدة في الريف .

فان جميع هذه الفتن قد جمعت عملياً ، في نضال ضار ضد سلطة السوفييتات ، امبرياليي اوروبا ومرتزقتهم التشيكوسلوفاكيين وجميع الذين وقفوا في روسيا الى جانب الملاكين العقاريين الاقطاعيين والرأسماليين . وعلى اثرهم ، انتفض جميع الكولاك في الريف .

ولذا لم تبق القرية متحدة . ففي القرية التي كان فيها الجميع يهبون كرجل واحد ويكافحون الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، تشكل معسكران : معسكر الفلاحين الشغيلة الفقراء الذين ما يزالون يسيرون بحزم مع العمال نحو الاشتراكية والذين انتقلوا من النضال ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى النضال ضد الرأسمال ، ضد سلطان المال ، ضد استخدام التحويل الزراعي الكبير على طريقة الكولاك ، ومعسكر الفلاحين الاوفر يسراً . وهذا النضال فصل الطبقات المالكة ، المستثمِرة ، عن الثورة بصورة نهائية ودفع ثورتنا بكليتها في الطريق الاشتراكي الذي ارادت الطبقة العاملة في المدن ان تدفعها اليه في اكتوبر ، والذي لن تستطيع دفعها فيه بنجاح الا اذا حظيت بمساندة واعية متراصة في الارياف .

تلك هي اهمية الانقلاب الذي قام هذا الصيف وهذا الخريف في أنأى انحاء روسيا ، الريفية ، هذا الانقلاب الذي لم يكن شديد الضجة ، ولم يكن جلياً وبادياً للعيان بالمقارنة مع انقلاب اكتوبر

في السنة الماضية ، ولكنه كان اعمق واهم ايضاً بمـــا لا يقاس .

ولقد كان تأليف لجان الفلاحين الفقراء في الريف بمثابـــة نقطة ، انعطاف ، وبين ان الطبقة العاملة في المدن ، التي اتحدت في اكتوبر مع طبقة الفلاحين من اجل القضاء على العدو الرئيسي لروسيا الحرة ، الشغيلـــة ، الاشتراكيـــة ، اي على الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، سارت من هذه المهمة الى امام ، نحو مهمة اشق بكثير ، اعلى تاريخياً ، واشتراكية حقاً : نقل النضال الواعي من اجـــل الاشتراكية الى الريف ايضاً ، ايقاظ الوعي في الريف ايضاً . ان الانقلاب الزراعي الاعظم اي اعلان الغاء الملكية الخاصة في اكتوبر واعلان جتمعة الارض ، ان هذا الانقلاب كان من شأنه ان يبقى حبراً على ورق ، لو لم يستنهض عمال المدن البروليتاريـا الريفيـــة ، الفلاحين الفقراء ، الفلاحين الكادحين الذين يشكلـــون الاغلبيـــة الساحقة ، والذين لا يستثمرون عمـــل الآخرين ، شأنهـم شأن الفلاحين المتوسطين ، والذين لا مصلحة لهم في الاستثمار ، والذين يستطيعون بالتالي ان ينتقلوا وقـــد انتقلوا فعلاً مـــن النضال المشترك ضـــد الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى نضال عامـــة البروليتاريا ضد الرأسمال ، ضد سلطة المستثمرين المعتمدين على سلطان المال والاموال المنقولة ، والذين انتقلوا من تطهيـــر روسيـــا مـــن الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى اقامـــة النظام الاشتراكي .

وقد كانت هذه الخطوة اصعب خطوة ، ايهـا الرفاق . فان جميع الذين كانوا يشكون بطابع ثورتنا الاشتراكي كانوا يتنبؤون لنا بالاخفاق المحتوم في خطوتنـا هذه . والحال ، على هذه الخطوة يتوقف اليوم مصير الاشتراكية في الريف . تأليف لجان الفلاحين الفقراء ، وشبكتها الواسعة التي تغطي عموم روسيا ، وتحويلها المقبل ، والذي بدأ جزئياً ، الى سوفييتات نواب ريفية تتمتع بكامل

السلطة ويترتب عليها ان تطبق مبادئ البناء السوفييتي الاساسية في الريف ، مبادئ حكم الشغيلة ، - تلك هي الضمانة الحقيقية باننا لم نقصر جهدنا على ما اقتصرت الثورات الديموقراطية البرجوازية العادية في البلدان الاوروبية الغربية . فبعد الغاء المَلَكية وسلطة الملاكين العقاريين الاقطاعيين القروسطية ، ننتقل الآن الى امر بناء الاشتراكية الحقيقي . وهذا العمل في الريف هو من اشق الاعمال ، ولكنه في الوقت نفسه من اهمها . فهو الذي سيعطي اكثر الثمار . واذا كنا قد افلحنا في ايقاظ الوعي عند القسم الكادح من الفلاحين في قلب الريف ، واذا كان هذا القسم بالضبط قد انفصل نهائياً عن مصالح طبقة الرأسماليين من جراء موجة من الانتفاضات الرأسمالية ، واذا كان الفلاحون الكادحون في لجان الفلاحين الفقراء والسوفييتات التي تجري اعادة تنظيمها يتراصّون مع عمال المدن بوثوق متزايد ابداً ، - ففي ذلك كله نرى الضمانة الوحيدة والاكيدة والوثيقة بلا شك بان قضية البناء الاشتراكي في روسيا قد ازدادت رسوخاً الآن . فقد اكتسبت الآن قاعدة في السواد الاعظم من السكان الفلاحين في الريف ايضاً .

ولا ريب ابداً في ان بناء الاشتراكية في بلاد زراعية كروسيا هو مهمة صعبة جداً . ولا ريب ان تكنيس عدو من طراز القيصرية وسلطة الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، وملكيتهم العقارية ، كان امراً سهلاً نسبياً . فلاجل انجاز هذه المهمة ، كانت تكفي بضعة ايام للمركز ، وبضعة اسابيع لعموم البلاد . ولكن المهمة التي نشرع في تنفيذها اليوم لا يمكن القيام بها بنجاح ، من حيث كنهها ، الا ببذل جهد عنيد طويل النفس . ينبغي لنا ان نناضل خطوة خطوة ، وفتراً فتراً ؛ ينبغي لنا ان ندافع عن مكتسبات روسيا الجديدة الاشتراكية ، ينبغي لنا ان نكافح في سبيل زراعة الارض بصورة تعاونية .

وغني عن البيان ان مثل هذا الانقلاب ، الانتقال من الاستثمارات الفلاحية الصغيرة المنعزلة الى زراعة الارض بصورة تعاونية ، يتطلب وقتاً طويلاً ولا يمكن القيام به دفعة واحدة في حال من الاحوال .

اننا نعلم جيد العلم ان الانتقال الى الاشتراكية يستحيل في البلدان ذات الزراعة الفلاحية الصغيرة ، دون المرور بجملة من الدرجات الاولية ، التمهيدية . وادراكاً لذلك وضعت ثورة اكتوبر نصب عينيها ، كهدف اول ، ان تكنس وتزيل سلطة الملاكين العقاريين الاقطاعيين فقط . ان القانون الاساسي الذي صدر في شباط (فبراير) حول جتمعة الارض ، والذي صوت عليه بالاجماع ، كما تعرفون ، الشيوعيون وممن كانوا من المشتركين في سلطة السوفييتات لا يشاطرونهم الرأي ، هو في الوقت نفسه التعبير عن ارادة الاغلبية الساحقة من الفلاحين وعن وعيهم ، والدليل على ان الطبقة العاملة ، على ان الحزب العمالي الشيوعي الذي يدرك واجبه ، يتقدم بعناد وصبر وثبات في اتجاه البناء الاشتراكي الجديد ، وذلك بالتدابير الانتقالية ، وبايقاظه وعي القسم الكادح من الفلاحين ، بالتقدم فقط بقدر ما يستيقظ هذا الوعي وبقدر ما ينتظم الفلاحون بصورة مستقلة .

اننا نعلم جيداً جداً ان الانقلابات العظيمة الهائلة ، التي تمس عشرات الملايين من الناس واعمق اسس الحياة وظروف المعيشة ، كالانتقال من الاستثمارة الفلاحية المنعزلة الصغيرة الى التعاون في زراعة الارض ، لا يمكن ان تتم الا بعد جهد طويل ، لا يمكن ان تتم بوجه عام الا بعد ما تدفع الضرورة بالناس الى اعادة النظر في نمط حياتهم والى تنظيمها من جديد .

وبعد هذه الحرب الضروس الطويلة في العالم بأسره ، نستشف بوضوح بداية الثورة الاشتراكية في العالم بأسره . وحتى

بالنسبة لاكثر البلدان تأخراً ، ظهرت هذه الضرورة التي تؤكد بالحاح على الجميع وعلى كل فرد ، بصرف النظر عن جميع المفاهيم النظرية او المذاهب الاشتراكية ، بانه لم يبق من الممكن العيش كما في السابق .

وحين تكبدت البلاد مثل هذا الخراب الهائل ومنيت بمثل هذا الافلاس ، وحين نرى هذا الافلاس يجتاح العالم بأسره ، وحين نرى مكتسبات الحضارة والعلم والتكنيك ، التي كدستها الانسانية طوال اجيال واجيال ، وقد اكتسحتها اربع سنوات من هذه الحرب الطافحة بالجرائم واعمال التدمير واللصوصية ، وحين نرى كل اوروبا ، لا روسيا فقط ، تعود الى البربرية ، – حينذاك تشعر اوسع الجماهير ، ولا سيما الفلاحون الذين ربما كانوا اشد من عانوا ويلات هذه الحرب ، بانه ينبغي بذل جهد فوق العادة وتوتير جميع القوى للتخلص من ميراث الحرب اللعينة التي لم تترك لنا غير الدمار والبؤس . فمن المستحيل العيش كما في السابق ، كما قبل الحرب ، ولا يمكن كذلك ان يستمر هذا التبديد في القوى البشرية والكدح البشري ، الذي يلازم الاستثمارة الفلاحية الصغيرة المنعزلة . فلو تم الانتقال من الاستثمارة الصغيرة المبعثرة الى الاستثمارة التعاونية ، لازدادت انتاجية العمل ضعفين او ثلاثة اضعاف ، وتوفر الجهد الانساني للزراعة واقتصاد البشرية مرتين او ثلاث مرات .

ان الخراب الناجم عن الحرب لا يتيح حقاً اعادة هذه الاستثمارة الفلاحية الصغيرة القديمة . فان الحرب لم توقظ فقط سواد الفلاحين ولم تبين لهم فقط روائع التكنيك الحديث المتواجدة حالياً والمكيفة لابادة الكائنات البشرية ، بل انها اوحت لهم ايضاً بفكرة انه ينبغي استخدام روائع التكنيك هذه قبل كل شيء لتحويل اوسع فرع في الانتاج ، الفرع الذي يشغل اكبر عدد من الايدي والذي هو اكثر الفروع تأخراً ، عنيت به الزراعة . ولم يستيقظ هذا الوعي

وحسب ، بل لقد ادرك الناس ايضاً بما عانوه من ويلات وفظائع الحرب العصرية ، اية قوى خلقها التكنيك العصري ، وكيف تبدد هذه القوى في مجزرة من اشد المجازر رعباً وجنوناً ؛ وادركوا ان نفس هذه القوى التكنيكية تشكل الوسيلة الوحيدة لاجتناب هذه الويلات . فواجبنا ان نوجه هذه القوى لاقامة الانتاج الاكثر تأخراً ، اى الانتاج الزراعي على اساس جديد ، ان نحوله من مهنة رتيبة ، تمارس بشكل عفوي ، بصورة تقليدية ، الى انتاج يقوم على العلم وعلى منجزات التكنيك . لقد ايقظت الحرب وعي هذه الامور اكثر بما لا حد له مما يستطيع ان يتصوره كل منا . كما انها ، عدا ذلك ، قضت على كل امكانية لاعادة اسلوب الانتاج القديم .

ان من يتصورون ان من الممكن العودة بعد هذه الحرب الى الوضع السابق ، الى النظام الاقتصادي السابق مع الحفاظ على الاساليب السابقة ، يخطئون وهم يدركون خطأهم كل يوم اكثر فاكثر . فقد سببت الحرب من التدميرات الرهيبة بحيث لم يبق لدى بعض استثماراتنا الزراعية الصغيرة لا مواشي للجر ، ولا عتاد ، ولا ادوات . ولم يبق في وسعنا ان نستمر في تبديد الجهد الانساني على هذا النحو . ان الفلاحين الشغيلة الفقراء الذين بذلوا اعظم التضحيات في سبيل الثورة والذين كانوا اشد من عانوا ويلات الحرب ، لم ينتزعوا الارض من الملاكين العقاريين الاقطاعيين لكي يدعوها تقع في ايدي كولاك جدد . والحياة نفسها تضع امام هؤلاء الفلاحين الشغيلة ، وبصورة مباشرة ، مسألة الانتقال الى الزراعة التعاونية ، بوصفها الوسيلة الوحيدة لبعث الحضارة التي دمرتها الحرب وشوشتها ، بوصفها الوسيلة الوحيدة للخروج من الظلمات ، لوضع حد لحالة الخبل والانحطاط التي جعلها الرأسماليون من نصيب جميع سكان الريف والتي اتاحت لهم ، طوال اربع سنوات ، عصر

الانسانية تحت رحى الحرب ، والتي صمم شغيلة جميع البلدان على التخلص منها بالعزيمة الثورية والحمية الثورية مهما كلف الامر .

هذه هي ، ايها الرفاق ، الظروف التي كان لا بد لها ان تتوفر على النطاق العالمي لكي يوضع على بساط البحث هذا الاصلاح الاشتراكي الاصعب والاهم في الوقت نفسه ، هذا التحويل الاشتراكي الاهم والاكثر جذرية . وانه لموضوع على بساط البحث في روسيا . ان تأليف لجان الفلاحين الفقراء ، وهذا المؤتمر المشترك الذي تعقده مصالح الزراعة ولجان الفلاحين الفقراء والكومونات الزراعية ، كل ذلك يبين لنا ، نظراً للنضال الذي جرى في اريافنا طوال الصيف والخريف الماضيين ، ان الوعي قد استيقظ عند اوسع الجماهير من الفلاحين الكادحين ، وان الرغبة في ادخال الزراعة التعاونية متوفرة لدى الفلاحين بالذات ، لدى معظم الفلاحين الكادحين . وأكرر مرة اخرى انه ينبغي لنا ، بالطبع ، ان نشرع في هذا التحويل الاجتماعي الهائل خطوة فخطوة . فمن المستحيل القيام باي شيء في هذا الميدان دفعة واحدة ، الا انه ينبغي لي ان اذكركم بان القانون الاساسي بصدد جتمعة الارض والذي صوتت عليه ، فور الانقلاب بالذات ، في ٢٥ اكتوبر ، الهيئة الاولى لسلطة السوفييتات في اول جلسة عقدتها ، عنيت بهذه الهيئة المؤتمر الثاني لسوفييتات عامة روسيا ، — ان هذا القانون لم يعلن الغاء الملكية الخاصة للارض الى الأبد وحسب ، ولم يعلن الغاء ملكية الملاكين العقاريين الاقطاعيين وحسب ، بل اعلن ايضاً ان العتاد الزراعي ، ومواشي الجر ، والادوات ، التي تصبح ملك الشعب وملك استثمارات العمل الجماعي ، يجب ايضاً ان تتحول الى ملكية اجتماعية ، يجب ان تكف عن ان تكون ملكية خاصة لهذه الاستثمارة او تلك . كذلك القانون حول جتمعة الارض ، الذي اقر في شباط (فبراير) ١٩١٨ ، هذا القانون الذي يتناول المسألة الاساسية — ما هي

الاهداف التي نقصدها واية قضايا تتعلق بالتصرف بالارض نريد تحقيقها ، وما ندعو انصار السلطة السوفييتية ، الفلاحين الشغيلة ، الى تحقيقه في هذا الصدد - هذا القانون انما يوضح في مادتـــه الحادية عشرة ان القضية هي تطوير الاقتصاد التعاوني في الزراعة ، لانه اكثر فائدة من حيث التوفير في العمل والمنتجات ، على حساب الاستثمارات الفرديـة ، قصد الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكي .

ايها الرفاق ، حين صدقنا على هذا القانون ، كان الشيوعيون ابعد من ان يكونوا على اتفاق تام مع الاحزاب الاخرى . بل بالعكس . فقد صدقنا على هذا القانون في فترة كان يقوم فيها التحالف في قلب الحكومة السوفييتية بين الشيوعيين و بين الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذين كانوا لا يشاطرون الشيوعيين افكارهم ، ومع ذلك ، توصلنا بالاجماع الى قرار واحد ما نزال نتمسك به اليوم ، عارفين ان هذا الانتقال من الاستثمارات الفردية الى الزراعة التعاونية لا يمكن ، - واكرر هذا مرة اخرى ، - ان يتم دفعة واحدة ، وان النضال الذي احتدم في المدن كان قد طرح المسألة بشكل ابسط . ففي المدن ، كان رأسمالي واحد ضد الف عامل ، فلم يكن من الصعب جداً تكنيسه . اما في الريف فقد كان النضال اشد تعقيداً . في البدء ، شن جميع الفلاحين هجوماً مشتركاً على الملاكين العقاريين الاقطاعيين ؛ في البدء ، جرى تحطيم سلطتهم تحطيماً تاماً بصورة لا يمكن معها ان تنبعث من جديد ؛ ثم جرى النضال داخل صفوف الفلاحين ، حيث انبعث رأسماليون جدد بشخص الكولاك والمستثمرين والمضاربين الذين استغلوا فوائضهم من الحبوب للاثراء على حساب الاقاليم غيـــر الزراعية الجائعة في روسيا . فكان لا بد من خوض نضال جديـــد هنا ، وانتم تعرفون جميعاً كيف اسفر هذا النضال في هذا الصيف عن جملة من الانتفاضات . ولكننا لا نقول بالنسبة للكولاكي مـــا قلناه بالنسبة للملاك العقاري الرأسمالي ، اننا لا نقول انه ينبغي

تجريد الكولاكي من كل ملكية . ولكننا نقول انه ينبغي سحق المقاومة التي يبديها بوجه التدابير الضرورية التي لا غنى عنها ، كاحتكار الحبوب ، مثلاً ، الذي ينتهكه الكولاكي بقصد الاثراء من بيع فوائض غلته باسعار المضاربة ، بينما العمال والفلاحون في الاقاليم غير الزراعية يتضورون جوعاً . وفي هذا المضمار ، كانت سياستنا مصوبة دائماً الى خوض النضال بلا هوادة كما ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين والرأسماليين . ثم بقيت مسألة العلاقات بين الفلاحين الفقراء الشغيلة والفلاحين المتوسطين . ففيما يتعلق بالفلاحين المتوسطين ، كانت سياستنا تقوم دائماً على اساس التحالف معهم . فهم ليسوا ابداً لا اعداء المؤسسات السوفييتية ، ولا اعداء البروليتاريا ، ولا اعداء الاشتراكية . انهم سيترددون ، بالطبع ، ولن يوافقوا على الانتقال الى الاشتراكية الا حين تتضح لهم ، بمثال عملي لا يدحض ، ضرورة هذا الانتقال . وبدهي انه لا يمكن اقناعهم باعتبارات نظرية او بخطب دعائية — ونحن لا نعتمد كذلك على هذه الوسائل — ولكنهم سيقتنعون بمثال الفلاحين الشغيلة وتلاحم هؤلاء ، وبتحالفهم مع البروليتاريا ، واننا لنعتمد في هذا المجال على بذل جهد مديد ومطرد للاقناع ، على جملة من التدابير الانتقالية الرامية الى تحقيق التفاهم بين القسم البروليتاري الاشتراكي من السكان ، الى تحقيق التفاهم بين الشيوعيين الذين يخوضون المعركة الحاسمة ضد الرأسمال بجميع اشكاله ، وبين الفلاحين المتوسطين .

وبالنظر الى هذا الوضع ، ولما كانت المهمة في الارياف اصعب بما لا حد له ، فاننا نطرح المسألة كما هي مطروحة في القانون حول جتمعة الارض . انتم تعلمون ان هذا القانون يعلن الغاء الملكية الخاصة للارض ، وتوزيعها بالتساوي ، وتعلمون انه على هذا النحو بدئ بتطبيق هذا القانون واننا طبقناه في معظم المناطق الفلاحية .

وفضلاً عن ذلك ، وباجماع اصوات الشيوعيين وجميع الذين كانوا لا يشاركون الشيوعية نظراتها آنذاك ، ورد في القانون نص تلوته عليكم للتو ويقول ان مهمتنا العامة ، ان هدفنا جميعاً ، هو الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكي ، الى تملك الارض الجماعي ، الى التعاون في زراعة الارض . وكلما امتدت مرحلة البناء هذه ، كلما اتضح للفلاحين الذين استقروا في اراضيهم وكذلك لاسرى الحرب الذين يعودون الآن ، بمئات الآلاف وبالملايين ، منهوكين اعياء ، المدى الهائل لما ينبغي علينا القيام به من اجل بعث اقتصادنا ، من اجل انتشال الفلاحين نهائياً من حالة النبذ والخبل والجهل السابقة ، كلما اتضح لهم ان المخرج الجدي حقاً ، والقادر على تقريب جماهير الفلاحين من الحياة المتمدنة وعلى تأمين وضع لهم مساوٍ فعلاً لوضع سائر المواطنين ، انما هو التعاون في حراثة الارض ، الذي تسير نحوه السلطة السوفييتية الآن بشكل منتظم بواسطة تدابير تدريجية . فلاجل بلوغ هذا التعاون في حراثة الارض ، تتأسس الكومونات الزراعية ومزارع الدولة . وقد اشير الى اهمية مثل هذه المزارع في القانون حول جتمعة الارض ؛ ففي القسم الذي توضع فيه مسألة معرفة من الذين يحق لهم الانتفاع بالارض ، تقرؤون ان الدولة تأتي في الدرجة الاولى بين الاشخاص والمؤسسات التي تملك هذا الحق ، ثم تأتي المؤسسات الاجتماعية ثانياً ، فالكومونات الزراعية ثالثاً ، فالتعاونيات الزراعية رابعاً . واني الفت نظركم مرة اخرى الى ان هذه الاحكام الاساسية في القانون حول جتمعة الارض قد صيغت في فترة لم يكن الحزب الشيوعي يطبق ارادته وحده ، بل انه كان يتهاود فيها عن وعي حيال الذين كانوا يعربون ، بشكل او بآخر ، عن معتقدات الفلاح المتوسط وارادته . لقد هاودنا وما نزال نهاود على هذا النحو . لقد عقدنا وما نزال نعقد من هذه الاتفاقات ، لأن الانتقال الى هذا الشكل الجماعي لملكية الارض

والزراعة التعاونية ومزارع الدولة والكومونات الزراعية لا يمكن ان يتم دفعة واحدة ؛ فلهذا الغرض ، ينبغي على السلطة السوفييتية ان تقوم بعمل دؤوب ومثابر ، وقد سبق لها ان خصصت مليار روبل لتحسين الزراعة ، شرط الانتقال الى التعاون في الزراعة . ان هذا القانون يبين اننا نريد ان نؤثر في جماهير الفلاحين المتوسطين قبل كل شيء عن طريق قوة المثال والحث على تحسين اساليب الاستثمار . ولاجل تحقيق هذا الانقلاب العميق الهام في اقتصاد روسيا الزراعية ، لا نعتمد الا على هذا النوع من التدابير وعلى مفعولها التدريجي .

ان الاتحاد الذي تحقق في هذا المؤتمر بين لجان الفلاحين الفقراء والكومونات الزراعية ومصالح الزراعة يؤكد لنا ويبعث فينا اليقين التام بان الانتقال الى التعاون في حراثة الارض قد اتاح تنظيم القضية بشكل صائب ، وعلى الصعيد الاشتراكي الحقيقي . وهذه الجهود الدائبة والمستمرة لا بد ان تؤول الى زيادة انتاجية العمل . ولهذا الغرض ، ينبغي لنا ان نطبق خيرة الاساليب الزراعية وان نستخدم قوى الهندسة الزراعية في روسيا بصورة نستطيع معها استغلال خيرة الاستثمارات التي لم تكن حتى الآن سوى مصدر اثراء لبعض الافراد ، سوى مصدر لاعادة الرأسمالية ، لاضطهاد جديد ، لعبودية جديدة يمنى بها العمال الاجراء ، والتي يجب ان تكون من الآن وصاعداً مصدراً يوفر المعارف الزراعية والثقافة وانتاجية اعلى لجميع الملايين من الشغيلة ، في ظل القانون حول جتمعة الارض وبفضل الغاء الملكية الخاصة للارض كلياً . وفي هذا التحالف بين عمال المدن والفلاحين الشغيلة وفي انشاء لجان الفلاحين الفقراء هذا وفي المعاد انتخابها هيئات سوفييتية ، تكمن الضمانة بان روسيا الزراعية قد سارت في السبيل الذي تنخرط فيه الدول الاوروبية الغربية ، الواحدة تلو الاخرى ، بعدنا ، ولكن

بمزيد من الثبات . لقد كان مـن الاصعب على هذه الدول ان تبدأ الانقلاب ، لان عدوها لم يكن حكماً مطلقاً ، متعفناً ، بل كان طبقة رأسمالية عالية التنظيم والثقافـة . بيد انكـم تعلمون ان هذا الانقلاب قد بدأ ، وتعلمون ان الثورة لم تنحصر في حدود روسيا ، وان املنا الرئيسي ، ان سندنا الرئيسي ، الا وهو بروليتاريا اوروبـا الغربية ، بروليتاريا بلدان اكثر تقدماً من بلادنا ، ان هذا السند الاساسي للثورة العالمية قـد تحرك ، ونحن على اقتناع راسخ – وهو ما يؤكده عملياً مجرى الثورة الالمانيـة – بان الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكي ، واستخدام تكنيـك زراعي ارقى ، واتحاد سكان الارياف الكادحين بمزيد من السرعة ، بان كل ذلك سيتـم هناك باسرع واسهل مما جرى عندنا .

ان الفلاحين الشغيلة في روسيا ، بتحالفهم مع عمال المدن ، بتحالفهم مع البروليتاريا الاشتراكية في العالم بأسره ، يمكنهم ان يكونوا على ثقة الآن بانهم سيتغلبون على جميع المصاعب والعقبات ، ويصدون جميع ضغوط الامبرياليين وينفذون المهمة التي لا يستطيع الشغيلة بدونها ان يتحرروا ، عنيت بها : التعاون في حراثـة الارض ، الانتقال مـن الاستثمارات الفرديـة الصغيرة بصورة تدريجيـة ، ولكن دون انقطاع ، الى التعاون في حراثـة الارض . **(تصفيق حاد متواصل .)**

«البرافدا» ، العدد ٢٧٢ ، ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨

المجلد ٣٧ ، ص ص ٣٥٢–٣٦٤

خطاب في مجلس عام عمالي
في دائرة بريسنيا
١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨

ايها الرفاق ، اسمحوا لي بان اتناول بعض المسائل المقرر عرضها اليوم . المسألة الاولى – الوضع العالمي ؛ والمسألة الثانية – الموقف من الاحزاب الديموقراطية البرجوازية الصغيرة .

اود لو اقول بضع كلمات عن الوضع الدولي . انتم تعرفون ان الامبريالية الانجلو-فرنسية-اميركية قد اعلنت في الوقت الحاضر حملة كبيرة على جمهورية روسيا السوفييتية . ان امبرياليي هذه البلدان يقومون بين عمالهم بالتحريض ضد روسيا ، متهمين البلاشفة بانهم يعتمدون على الاقلية ويضيمون الاغلبية ؛ وبما ان الاغلبية الساحقة من الجرائد والمجلات في فرنسا وبريطانيا هي في يد البرجوازية ، فان الكذب ضد الحكومة السوفييتية يشتد هنا بسرعة وبلا عائق . ولهذا فان هذه الحكاية المضحكة والسخيفة ، الزاعمة ان البلاشفة يعتمدون في روسيا على اقلية السكان ، – الحكاية التي حتى لا يدحضونها نظراً لمبلغ سخافتها بنظر كل من يراقب ما يجري عندنا ، – هذه الحكاية حتى لا تستلفت الانتباه . ولكنك عندما تنظر الى جرائد بريطانيا وفرنسا واميركا – وللمناسبة اقول انه لا تصل الينا الا الجرائد البرجوازية بوجه الحصر ، – ترى ان البرجوازية لا تزال تنشر هذه الحكايات الى الآن هناك .

في بلادنا لم يحرم من حق الانتخاب وحق الاشتراك والتأثير في حياة البلد السياسية غير المستثمِرين الذين لا يعيشون من عملهم بل يستثمرون الآخرين . ان عدد هؤلاء الناس تافه في مجمل عدد السكان . وبوسعكم ان تتصوروا عدد الذين يستثمرون العمل المأجور في المدن . والآن قضي على الملكية العقارية الخاصة . فالملاكون العقاريون الاقطاعيون محرومون الآن من عقاراتهم ؛ والاوتروبيون الذين كانوا لا يزالون ينهبون الفلاحين في عهد ستوليبين (٩٦) ، انتزعت منهم الاراضي ؛ وعدد الذين يستثمرون عمل الغير في القرى ضئيل جداً . ولكن السلطة السوفييتية لا تقول لهم انها تحرمهم من حق الانتخاب ؛ بل تقول : نحن نعترف بحق الاشتراك في الادارة لكل من يريد الامتناع عن استثمار عمل الغير . اذا شئت ان تكون عاملاً ، فتفضل . واذا شئت ان تكون مستثمراً ، فاننا لن نقدم او ننتخب امثال هؤلاء الناس ، وليس هذا وحسب ، بل اننا لن نطعمهم بعمل الغير .

ومن اساس دستورنا هذا يتبين ان السلطة السوفييتية تعتمد على اولئك الذين يعملون ، وتخولهم الحق في تنظيم حياة الدولة وانها تعتمد على الاغلبية الهائلة ، الساحقة من السكان . ان كلاً من مؤتمرات السوفييتات – وكان عددها بالاجمال ستة – ان كل مؤتمر يبيّن لنا ان ممثلي العمال والفلاحين والجنود الحمر ، ممثلي اغلبية السكان الذين يعيشون من عملهم لا من عمل الغير ، انهم هم الذين يشكلون اساس السلطة السوفييتية الذي يتلاحم اكثر فاكثر . لقد انعقد مؤتمر السوفييتات الاول عندنا في حزيران (يونيو) ١٩١٧ عندما كانت روسيا جمهورية برجوازية وعندما كانت تخوض غمار حرب امبريالية . لقد انعقد في حزيران ١٩١٧ ، في ذلك الشهر الذي دفع فيه كيرنسكي العساكر الى الهجوم وازهق فيه ارواح الملايين في المعارك . وفي هذا المؤتمر بلغت نسبة الشيوعيين

او البلاشفة ١٣٪ فقط ، اي السبع . وفي مؤتمر السوفييتات الثاني الذي ارسى بداية حكم العمال والفلاحين ، بلغت نسبة البلاشفة ٥١٪ – النصف ؛ وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد في تموز (يوليو) من السنة الجارية بلغت نسبة البلاشفة ٦٦٪ . وآنذاك عمد الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، وقد رأوا كيف تنمو البلشفية وتتطور بسرعة ، الى القيام بمغامرتهم ، فانشقوا بالنتيجة تماماً . ومن هذا الانشقاق انبثقت ثلاثة احزاب مختلفة ، وآخر حزب منها – حزب الشعبيين-الشيوعيين ، انتقل الى البلاشفة ، كما انتقل عدد كامل من الشخصيات البارزة ، مثل كوليغايف ، الى حزب البلاشفة .

في مؤتمر السوفييتات السادس ، بلغت نسبة البلاشفة ٩٧٪ ، اي تقريباً جميع ممثلي العمال والفلاحين في عموم روسيا . وهذا يبين كيف تتلاحم الآن الاغلبية الساحقة من الشغيلة حول السلطة السوفييتية ، كما يبين الى اي حد هي مضحكة وسخيفة هذه الحكاية الكاذبة وهذا الزعم من جانب البرجوازية ، ومفاده ان البلاشفة يعتمدون على اقلية السكان . ان هذه البرجوازية تكذب هكذا لان دين الحكومة القيصرية للرأسماليين البالغ ١٧ ملياراً ، لان هذه المليارات الـ١٧ التي الغيناها والتي رفضناها (فنحن لا ننوي ان ندفع بالنيابة عنهم ، عن الحكام السابقين ، – نحن نعترف بان هذه الديون كانت ، ونقول : حسناً ، انتم عقدتم هذه الديون ، فسددوها انتم) ، – لان الحلفاء يريدون ان يلقوا هذه الديون على عاتقنا ويعيدوا حكم الاقطاعيين ، حكم القيصر . نحن نعرف ما فعلوه في ارخانغلسك وسامارا وسيبيريا . فهناك حتى المناشفة والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون الذين كانوا اخصامنا بعد صلح بريست وكانوا يظنون ان تعويلنا على الثورة الالمانية لن يتحقق ، اقتنعوا بانهم انفسهم عرضة للطرد وبانه تجري اعادة

الملاكين العقاريين والاقطاعيين والملكية الخاصة بمساعدة العساكر الانجليزية والتشيكوسلوفاكية .

ومهما حاولت الجرائد في بريطانيا وفرنسا ان تخفي الحقيقة ، فان الحقيقة تشق لنفسها طريقاً الآن . ان العمال يحسون ويفهمون ان الثورة في روسيا هي ثورتهم ، هي ثورة عمالية ، اشتراكية . وحتى في فرنسا وبريطانيا نرى الآن حركة عمالية ترفع شعار «اسحبوا العساكر من روسيا !» وشعار «مجرم من يخوض الحرب ضد روسيا !» . وفي لندن ، انعقد مؤخراً في قاعة البرت اجتماع حاشد للاشتراكيين ، وان المعلومات التي تلقيناها ، رغم كل ما بذلته الحكومة الانجليزية من جهود للحيلولة دون تسرب الحقيقة ، ان هذه المعلومات تبيّن ان مطلب «اسحبوا العساكر من روسيا !» قد طرح في الاجتماع الحاشد ، وان جميع زعماء العمال قد قالوا ان سياسة الحكومة الانجليزية هي سياسة النهب والعنف . وهناك معلومات تفيد ان ماكلين – وكان معلماً في اسكتلنده – دعا العمال في المناطق الصناعية الرئيسية في بريطانيا الى الاضراب ، قائلاً ان هذه الحرب هي حرب نهب وسلب . فزجوا به في السجن آنذاك . وهو الآن في السجن للمرة الثانية . ولكن عندما انفجرت الحركة الثورية في اوروبا ، اخلوا سبيل ماكلين ، وجرى ترشيحه للنيابة في البرلمان عن غلاسغو ، وهي من اكبر المدن في انجلترا الشمالية وفي اسكتلنده . وهذا يبيّن ان الحركة العمالية البريطانية تصبح مع مطالبها الثورية اقوى فاقوى . لقد اضطرت الحكومة البريطانية الى اخلاء سبيل ماكلين ، ألد اعدائها ، الذي يقول عن نفسه بانه بلشفي بريطاني .

وفي فرنسا حيث تستحوذ الشوفينية الى الآن على العمال ، وحيث يعتبرون انهم لا يخوضون الحرب الا للدفاع عن الوطن ،

تتنامى الامزجة الثورية . والآن ، وقد تغلبت بريطانيا وفرنسا على الالمان ، تعرفون انهما فرضتا على الالمان شروطاً اشق مائة مرة من شروط صلح بريست . والآن تتحـــول الثورة في اوروبـــا الى امر واقــع . فان الحلفاء الذين تبجحوا وقالوا انهم سيحملون الى المانيا التحرر من القيصر ومن العسكريـــة ، سقطوا الى ذلك الدور الذي اضطلعت به العساكر الروسية في عهد نيقولاي الاول عندما كانت روسيا بلداً جاهلاً ، وعندمـــا ساق نيقولاي الاول العساكر الروسية لخنق الثورة المجرية . كان ذلك في ظـل نظام القنانة القديم منذ اكثر من ٦٠ سنة . اما الآن ، فان بريطانيـــا والبلدان الاخرى الحرة قد تحولـــت الى جلادين ، وهي تظن ان بمقدورها ان تخنق الثورة وتجبر الحقيقة على لزوم الصمت ؛ ولكن هذه الحقيقة ستتغلب على جميع العقبات سواء في فرنســـا ام في بريطانيا ، وسيدرك العمال انهم خدعوهم وساقوهم الى الحرب ، لا لاجل تحرير فرنسا او بريطانيا ، بل لاجل نهـــب بلد آخر . وفي فرنسا ، في الحزب الاشتراكي الذي كان حتى الآن في عداد انصار الدفاع عن الوطن ، يفيدنا النبأ الذي نملكه الآن انهم يعطفون هناك عطفاً حاراً على الجمهورية السوفييتية ويحتجون على تدخل العساكر في روسيا .

ومن جهـــة اخرى تهدد الامبريالية الانجلو-فرنسية بالضغط على روسيا ، وتساند اضراب كراسنوف ودوتوف ، وتساند بعث المَلَكية في روسيا ، وتفكر في خداع الشعب الحر . ونحن نعرف ان الامبرياليين اقوى منا على الصعيد العسكري . وهذا ما عرفناه وقلناه من زمان . وقد دعونا الجميـــع الى مساعدة الجيش الاحمر لكي نصون انفسنا ونصد الضواري وقطاع الطرق . ولكن عندما يقولون لنا : «اذا كانت الامبريالية الانجلو-فرنسية اقوى منـــا ، فان هذا يعني ان قضيتنا ميؤوس منها» ، — فاننا نجيب آنذاك هؤلاء

الناس : «ولكن تذكـــروا صلح بريســـت . اولم تزعـــق البرجوازيـــة الروسية كلها آنذاك ، يا ترى ، ان البلاشفة باعوا روسيا من الالمان ؟ اولم يزعقوا آنذاك ، يا ترى ، ان البلاشفة ، بأملهم في الثورة الالمانية ، يأملون في شبح ، في خيال ؟» . بيد انه تبين ان الامبريالية الالمانية التي كانت اقوى منا الى ما لا قياس له ، والتي توفرت لها الفرصة التامة لنهب روسيا لانه لم يكن عندنا جيش ، ولان الجيش القديم لم يكن يستطيع ويعرف ان يحارب ، لان الناس كانت قد ارهقتهم الحرب الى حد انه لم يكن بمقدورهم ان يحاربوا ، — وكل من يعرف ماذا جرى آنذاك ، يعرف اننا لم نكن آنذاك قادرين البتة على الدفاع عن انفسنا ، وان هذا يعني انه كان من الممكن ان تقع السلطـة الكاملـــة على روسيـــا في ايدي ضواري القيصر الالماني ، — تبيّن انه ما ان انقضت بضعـــة اشهر ، حتى تورط الالمان في روسيا ، ولاقوا هناك رداً ، وتحريضاً بين الجنود الالمان ، قويين ، الى حد ان القنصـــل الالماني قال الآن ، كمـــا روى لي زينوفييف ، رئيس الكومونـــة الشمالية في بتروغراد ، حين فرّ ممثلو المانيا من روسيا : «اجل ، من الصعب الآن القول بدقـــة ووضوح : من ذا الذي كسب اكثر ، نحن ام انتـم» . لقد رأى ان الجنود الالمان الذين هم اقوى منا مراراً ومراراً ، قد اصيبوا بهذه العدوى البلشفية . والمانيا تستحوذ عليها الثورة الان ؛ وهناك يجري النضال في سبيـــل السلطة السوفييتية . وصلح بريست الذي اعتبروه افلاساً تاماً يمنى به البلاشفة ، تبين انه مجرد انتقال الى مرحلة شرعنا فيها ببناء الجيش الاحمر بعد ان ثبتنا الآن اقدامنا في روسيا ؛ ان عساكر المانيا قد اصيبت بعدوى البلشفية ؛ وكانت انتصاراتها الظاهرية مجرد خطوة الى افلاس الامبريالية الالمانيـة التام ، وكانت درجة انتقاليـــة الى اتساع ونمو الثورة العالمية .

في زمن صلح بريست كنا وحدنـــا . وكانت اوروبـــا بأسرها تعتبر الثورة الروسيـــة ظاهرة شاذة ؛ وكانوا يعتقدون هكذا عن ثورتنا ، عن هذه «الثورة الآسيوية» التي بدأت بمثل هذه السرعة واطاحت بالقيصر لان روسيا كانـت بلداً متأخراً ، والتي انتقلت بمثل هذه السرعة الى انتزاع الملكية ، الى الثورة الاشتراكية بحكم تأخرها ، – هكذا كانوا يعتقدون ؛ ولكنهـــم نسوا انه كان للثورة الروسية سبب آخر ، هو انه لم يكن لروسيا مخرج آخر . فان الحرب قد استتبعت درجة من الخراب والجوع في كل مكان ، ودرجـــة من الضعف في صفوف الشعب والعساكر التي رأت انهم خدعوها زمناً طويلاً جداً ، بحيث انه كان امام روسيا مخرج واحد هو الثورة .

قالوا للالمان انه ينبغي ان يدافعوا عن انفسهم دون الزحف الروسي . اما الآن ، فان هذا الكذب ينفضح اكثر فاكثر ويوماً بعد يوم . ان الرأسماليين والجنرالات في المانيا قد ساقوا عساكرهم ضد روسيا حتى عندما اصبحت بلداً اشتراكياً . واذ ذاك بالذات اتضح حتى لاكثر الجنود الالمان جهلاً انهم ظلوا يخدعونه طوال السنوات الاربع جميعها من الحرب وساقوه الى الحرب لكي يتمكن الرأسماليون الالمان من نهب روسيا . ان ما استتبع انهيار الامبريالية الالمانية ، وما استتبع الثورة في المانيا ، ان هذا نفسه يقرب الآن الثورة في فرنسا وبريطانيا وغيرهما من البلدان يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة . كنا وحدنا . والآن لسنا وحدنا . فالثورة الآن في برلين ، في النمسا ، في المجر ؛ وحتى في سويسرا وهولندا والدانمارك ، في هذه البلدان الحرة التي لم تعرف الحرب ، – حتى فيها تنمو الحركـة الثورية ، وفيها شرع العمال يطالبون بتنظيم السوفييتات . والآن تبين انه لم يبق ثمة اي مخرج . ان الثورة تنضج في العالم اجمـــع . وقد اصبحنا الاوائل في هذا المجال وعلينا ان نذود عن هذه الثورة طالما

لم يصل حلفاؤنـــا ، وهؤلاء الحلفاء هم العمال في جميع البلدان الاوروبية . ان هؤلاء الحلفاء سيكونون اقرب الينا بقدر ما تزداد حكوماتهم وقاحة وصفاقة .

عندما اعتبر الالمان انفسهم اصحاب الامر والنهي في زمـن صلح بريست ، كانوا على بعد خطوة من هلاكهم . امـــا الآن ، فان فرنســا وبريطانيـــا اللتين فرضتا عليهم شروطاً للصلح اشد مشقة وخزياً بكثير من الشروط التي فرضتها المانيا علينـا آنذاك ، قد وصلتا الآن الى شفير الهاوية ، ومهما كذبتا ، فانهما تقفان الآن على بعد بضع خطوات من هلاكهما . وهما تخشيان هذا الهلاك ، وكذبهما ينفضح يوماً بعد يوم واكثر فاكثر ، ونحن نقول : مهما كذب هؤلاء الامبرياليون في جرائدهم ، — فان قضيتنا ثابتة ، واثبت من قضيتهم ، لانها تعتمد على وعي جماهير العمال في جميع البلدان ؛ ومن الحرب التي اغرقت العالم كلـه بالدماء في غضون اربع سنوات ، ولد هذا الوعي . ومن هذه الحرب لن تخرج الحكومات القديمة . ان الحكومات القديمة تقول الآن انهـا ضد البلشفيـــة العالمية . ان العمال يعرفون ما يجري في روسيا : ففي روسيـــا تجري ملاحقة الاقطاعيين والرأسماليين الذين يستدعون الى نجدتهم الجنود المرتزقة ، الغرباء . والوضع الآن واضح للجميع . وعمال جميع البلدان يفهمونه . ورغم كل وحشية الامبرياليين ، رغم كل حقدهم ، نمضي بجرأة الى النضال ضدهم ، ونعرف ان كل خطوة من خطواتهـــم في داخل روسيـــا ستكون خطوة الى هلاكهم بالذات ، وسيحدث لهم ما حدث للعساكر الالمانية التي حملت معها البلشفية الروسية عوضاً عن الحبوب الاوكرانية .

تقوم في روسيا سلطة الشغيلة ، واذا لم تكن السلطـة في ايديهم ، فان احداً لن يستطيع يوماً ان يشفي الجراح التي تسببت بها هذه الحرب الضروس والدموية . ان ابقاء السلطـــة في ايدي

الرأسماليين القدماء ، انما يعني القاء كل اعباء الحرب على كاهل الطبقة الكادحة ، لكي تدفع الجزية كلها عن هذه الحرب .

بين بريطانيا واميركا واليابان يحتدم الآن الصراع ، - كل منها تريد ان تختطف اكثر ما يمكن من الغنيمة المسلوبة . وكل شيء تم اقتسامه الآن . ويلسون ، رئيس اوفر الجمهوريات ديموقراطية في العالم . ولكن ماذا يقول ؟ في هذا البلد يطلق جمع الشوفينيين النار على الناس في الشارع لقاء كلمة واحدة تدعو الى السلام . ان كاهناً لم يكن يوماً ثورياً قد سحبوه الى الشارع لانه وعظ بالسلام فقط ، وضربوه ضرباً مبرحاً . وحيث يسود الآن الارهاب الوحشي للغاية ، تستخدم العساكر الآن لاجل خنق الثورة ، لاجل التهديد بقمع الثورة الالمانية . ان الثورة في المانيا قد بدأت منذ زمن غير بعيد جداً ، وقد انقضى شهر فقط على بدايتها ، - وان أحدّ مسألة فيها هي : الجمعية التأسيسية ام السلطة السوفييتية . البرجوازية كلها هناك هي مع الجمعية التأسيسية ، وجميع الاشتراكيين ، - اي اولئك الذين كانوا خدماً للقيصر ولم يتجرأوا على البدء بالحرب الثورية ، - هم مع الجمعية التأسيسية . وقد انقسمت المانيا كلها الى معسكرين . الاشتراكيون هم الآن مع الجمعية التأسيسية ؛ اما ليبكنخت الذي امضى ثلاث سنوات في السجن ، فانه ، مثل روزا لوكسمبورغ ، يرأس «الراية الحمراء» (٩٧) . امس وصلت الى موسكو نسخة من هذه الجريدة . وصلت بمصاعب ومغامرات كبيرة . وفيها ترون عدداً من المقالات - انهم جميعاً ، زعماء الثورة ، يتحدثون في هذه الجريدة عن خداع البرجوازية للشعب . كانت ارادة المانيا في ايدي الرأسماليين . كان الرأسماليون يصدرون جرائدهم فقط ، واذا «الراية الحمراء» تقول ان جماهير العمال هي وحدها التي يحق لها ان تستفيد من ملك الشعب . وفي المانيا ، قد انقسم البلد كله الى معسكرين ، رغم

انه مضى شهر واحـــد فقط على الثورة . ان جميع الاشتراكيين-الخونة يصيحون انهم مع الجمعية التأسيسية ؛ اما الاشتراكيون – الاشتراكيون الحقيقيون ، الشرفاء – فانهم يقولون : «نحن جميعاً مع سلطة العمال والجنود» . وهم لا يقولون : «مع الفلاحين» ، لان قسماً كبيراً من الفلاحين في المانيا يستأجرون هم ايضاً العمال ، بل يقولون : «مع العمال والجنود» . يقولون : «مع الفلاحين الصغار» . ان السلطة السوفييتية قد اصبحت هناك شكلاً للحكم .

ان السلطة السوفييتية انما هي سلطة عالمية . انها تحـل محل الدولة البرجوازية القديمة . وليست الملكية وحسب ، بـل الجمهورية ايضـــاً ، اذا ابقت للرأسماليين ملكيتهم – المصانع والمعامل والمصارف والمطابع – ان الجمهورية من هذا الطراز هي احد اشكال نهب الشعب من قبل البرجوازية . ولقد كان البلاشفة على حق حين قالوا ان الثورة العالمية بسبيل النمو . وهذه الثورة تتطور بصور مختلفة باختلاف البلدان . وهي تجرى دائماً خلال زمن طويـــل وبمشقة . وانه لرديء ذلك الاشتراكي الذي يظن ان الرأسماليين سيتنازلون في الحال عن حقوقهم . كلا . فان الدنيا لم تخلق بعد مثــل هؤلاء الرأسماليين الطيبين . ان الاشتراكيـــة لا تستطيع ان تتطور الا في غمرة النضال ضد الرأسماليـــة . وحتى الآن لم تكن ثمة في الدنيا طبقة سائدة تراجعت بدون نضال . ان الرأسماليين يعرفون ما هي البلشفية . من قبل كانوا يقولون : «الغباوة الروسية والتأخر الروسي يبنيان هناك شعوذات لن تسفر عن شيء . انهم يسعون عندهم في روسيا وراء اشباح ما قادمة من العالم الآخر» . اما الآن فان هؤلاء السادة الرأسماليين انفسهم يرون ان هذه الثورة حريق عالمي وان سلطة الشغيلة هي وحدها التي يمكنها ان تنتصر . والآن ينتقلون عندنا الى لجان الفلاحين الفقراء . اما في المانيـــا ، فان الاغلبية الساحقة هي امـــا من الاجراء

الزراعيين واما من الفلاحين الصغار . والفلاحون الكبار هم بمعظمهم في المانيا نوع من الملاكين العقاريين الاقطاعيين .

امس طردت الحكومة السويسرية من سويسرا ممثلنا في سويسرا ، ونحن نعرف سبب ذلك . نحن نعرف ان الامبرياليين الفرنسيين والانجليز يخافون لانه كان يرسل الينا يومياً برقيات واخباراً عن الاجتماعات الحاشدة في لندن حيث كان عمال انجلترا يهتفون : «اسحبوا العساكر البريطانية من روسيا !» . وقد ابلغنا معلومات عن فرنسا ايضاً . يقولون ان الامبرياليين وجهوا انذاراً الى ممثلي روسيا . لقد طردوا ممثلي السلطة السوفييتية من اسوج ايضاً ، وسوف يتعين على هؤلاء ان يعودوا الى روسيا . ولكنه لا يزال من سابق الاوان للامبرياليين ان يهللوا . فان هذا نصر رخيص . ثم ان هذه الخطوة لن تؤدي الى اي شيء . ومهما اخفى «الحلفاء» الحقيقة ، ومهما كذبوا على الشعب ، ومهما حاولوا ان يتخلصوا من ممثلي روسيا السوفييتية ، فان الشعب سيعرف كل هذه الحقيقة في آخر المطاف .

ونحن نقول لكم : – الرد بجميع القوى على «الحلفاء» والدعم للجيش الاحمر ! ومفهوم ان هذا كله كان يجري عندنا حين لم يكن الجيش الاحمر موجوداً . ولكننا نرى ان الجيش الاحمر يقوى الآن ويحرز الانتصارات . ان جيشنا تجابهه العساكر البريطانية . وعند جيشنا ضباط أُخذوا امس فقط من صفوف الطبقة العاملة ، وانهوا امس فقط للمرة الاولى دورات التعليم العسكري . وعندما يقع اسرى في ايدينا ، تتوفر لنا جملة من الادلة على ان هؤلاء الاسرى يقولون في انفسهم لانفسهم حين يقرأون دستور جمهوريتنا مترجماً الى اللغة الانجليزية : «لقد خدعونا . ان روسيا السوفييتية ليست ما كنا نحسبها . ان السلطة السوفييتية هي سلطة الشغيلة» . ونحن نقول : «اجل ، ايها الرفاق ، نحن لا نحارب من اجل روسيا

السوفييتية فقط ، نحن نناضل من اجل سلطة العمال والشغيلة في العالم اجمع» . وبينما نقاوم ضغط الامبريالية ، تقوى الثورة الالمانية . وتقوى الثورة في جميع البلدان الاخرى ايضاً . ولهذا السبب ، نهضت هذه الثورة العالمية ، بكل قامتها ، اياً كان الاسم الذي يطلقونه عليها في اوروبا ، بينما الامبريالية العالمية بسبيل الهلاك . وان وضعنا ، مهما كان صعباً ، يبعث الثقة في اننا لا نناضل وحدنا في سبيل قضية عادلة ، وانه لدينا حلفاء هم عمال كل بلد من البلدان .

ايها الرفاق ، بعد هذه الملاحظات عن وضعنا الدولي ، اريد ان اقول ايضاً بضع كلمات عن المسائل الاخرى . اريد ان اتحدث عن احزاب البرجوازية الصغيرة . ان هذه الاحزاب كانت تعتبر نفسها احزاباً اشتراكية . ولكنها ليست اشتراكية . نحن نعرف جيداً جداً كيف تسمى المؤسسات في المجتمع الرأسمالي كالمصارف وصناديق التعاضد وجمعيات التعاضد ، «بالمساعدة الذاتية» ، ولكن كل هذا لا يعني البتة اي شيء ؛ وبالفعل ، يتخفى النهب تحت هذا الاسم . وان هذه الاحزاب بالذات التي كانت كأنما تؤيد الشعب ، قد ضلعت ، عندما كانت الطبقة العاملة الروسية تصد هجمات كراسنوف (اعتقلت قواتنا كراسنوف ، ثم اخلي سبيله ، مع الاسف ، لان اهل بتروغراد مفرطون في اللطف) ، – قد ضلع آنذاك هؤلاء السادة المناشفة والاشتراكيون-اليمينيون مع البرجوازية . ان حزبي البرجوازية الصغيرة هذين لا يعرفان ابداً الى اين يذهبان – مع الرأسماليين ام مع العمال . ان هذين الحزبين يتألفان من اناس يعيشون بأمل ان يغتنوا ذات يوم . وهم يرون على الدوام حولهم سوء عيشة الاغلبية من صغار المنتجين ، – وهؤلاء هم جميعهم من الشعب الكادح . وها هي ذي الاحزاب الموزعة في العالم كله ، احزاب البرجوازية الصغيرة ، قد اخذت تتأرجح وتتذبذب . وليس هذا بالحدث الجديد . لقد كان ذلك على الدوام ،

ولا يزال عندنـــا ايضاً . وعندمـــا حل صلح بريست ، — عندما حلت اصعب مرحلة في ثورتنا ، اذ لم يكن عندنا جيش وكان يتعين علينا ان نعقد الصلح ، ولكننا قلنا لانفسنا : لن نوقف عملنا الاشتراكي وان لدقيقة واحدة ، — ابتعدت جميعها عنا . لقد نسيت ان روسيا تبذل اعظم تضحياتهـــا من اجل الثورة الاشتراكيــة ، وضلعت مع انصار الجمعية التأسيسية . وقد ظهر انصار الجمعية التأسيسية في سامارا ، وفي سيبيريا . والآن يطردونهم من هناك ويبينون لهم : اما سلطة الاقطاعيين ، واما سلطة البلاشفة . ولا يمكن ان يكون ثمة وسط . اما سلطة المظلومين ، واما سلطـــة الظالمين . ووراءنا فقط يمكن ان يسير جميع الفلاحين الفقراء . ولن يسيروا وراءنا الا متى رأوا انه ليس ثمـــة اي هوادة ازاء النظام القديم ، وان كل ما يجري ، يجري لخير الشعب . ومثل هذه السلطة فقط ، سلطة السوفييتات ، كان بوسعها ان تحظى بتأييد الشعب طوال سنة ، رغم الظروف الشاقــة والجوع . ان العمال والفلاحين يعرفون ان حكومة العمال والفلاحين ، مهمـــا كانت الحرب شاقة ، ستفعل كل ما يمكن فعله ضد الرأسماليين-المستثمرين لاجـــل القاء كل اعباء الحرب على كواهل هؤلاء السادة وليس على كواهــل العمال . وها ان سلطة العمال والفلاحين تحظى بدعم الشعب منذ اكثر من سنة .

والآن ، وقد نشبت الثورة الالمانية ، حدث انعطاف عند المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . فان افضلهم قد سعوا وراء الاشتراكية . ولكنم كانوا يظنون ان البلاشفة يسعون وراء اشباح ، وراء حكاية . اما الآن وقد اقتنعوا بان ما كان ينتظره البلاشفة ليس ثمرة الخيال بل واقع فعلي ، وبان هذه الثورة العالمية قد بدأت وبانها تتنامى في العالم اجمـع ، فان خيرة الافراد من المناشفـــة والاشتراكيين-الثوريين يبدأون يندمون على انهم اخطأوا ، ويفهمون ان السلطة السوفييتية

ليست سلطة العمال الروسية وحسب ، بل ايضاً سلطـة العمال العالمية ، وانه ليس بمقدور اية جمعية تأسيسيـة ان تجلـب الخلاص .

ان بريطانيا وفرنسا واميركا تعرف انه ليس لديهـا اعداء خارجيون الآن ، اذ نشبت الثورة العالمية . فالاعداء موجودون في داخل كل بلد . والآن يبدأ انعطاف جديد حين اخذ المناشفة والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون يتذبذبون ، وحين طفق خيرتهـم يميلون الى البلاشفة ويرون ان المناشفـة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين ، مهما اقسموا بالجمعية التأسيسية ، يقفون مع ذلك الى جانـب البيض . وفي العالم كله توضع المسألة على النحو التالي : امـا السلطة السوفييتية ، واما سلطة النهابين الذين اهلكوا عشرة ملايين من الناس في هذه الحرب وشوهوا عشرين مليوناً ويواصلون الآن نهب البلدان الاخرى .

هذه هي ، ايها الرفاق ، المسألة التي تثير ذبذبات الديموقراطية البرجوازية الصغيرة . ونحن نعرف ان هذه الاحـزاب تتذبذب على الدوام ، وانها ستتذبذب عـلى الدوام . ان اغلبيـة الناس يستمدون عقائدهـم من الحياة ، ولا يصدقون الكتب والاقوال . ونحن نقول للفلاح المتوسط : انت لست عدونا ؛ وليس لنا اي سبب لان نضيمه ؛ واذا ما ضرب السوفييت المحلي في مكان ما الفلاح المتوسط بقوة وشعر الفلاح المتوسط بالالم ، فانه يتعين حـل هذا السوفييت ، لان هذا يعني انه لا يجيد العمل كما ينبغي العمل . ان الديموقراطية المتوسطة ، البرجوازية الصغيرة ، ستتذبذب على الدوام . واذا ما تأرجحت الى جانبنا كرقاص الساعة ، فيجب دعمها . نحن نقول : «اذا كنتم ستفسدون عملنا ، فاننا لن نرغب فيكم . ولكن اذا كنتم ستساعدوننـا ، فاننـا سنقبلكم» . توجد عند المناشفة فرق مختلفـة ، توجد فرقة «الاكتيفيسـت» (انصار

النشاط) . هذا اسم لاتيني ، وتحته تستر اولئك الذين قالوا : «لا يكفي النقد . يجب تقديم المساعدة بالنشاط» . وقد قلنا : سنحارب التشيكوسلوفاكيين ، اما الذين يساعدون هؤلاء القوم ، فاننا سنعاملهم بلا رحمة . ولكن عندما يتواجد اناس يرون خطأهم ، فانه يجب قبولهم ، ومعاملتهم برفق وتساهل . ان المتوسط ، اي ذاك الذي يقف بين العامل والرأسمالي ، سيتذبذب على الدوام . لقد ظن ان السلطة السوفييتية ستتحطم عما قريب . ولكنه تبين امر آخر في الواقع . فان الامبريالية الاوروبية لا تستطيع ان تحطم سلطتنا . والثورة تتطور الآن على الصعيد العالمي . والآن نقول : يا ايها الذين تذبذبوا وفهموا الآن ورأوا خطأهم ، تعالوا الينا . نحن لن نتنكر لكم . يجب ان نركز كل انتباهنا قبل كل شيء على ان يأتي الينا هؤلاء الناس ، اياً كانوا من قبل ، وسواء تذبذبوا ام لا ، اذا كانوا صادقين معنا . نحن الآن على ما يكفي من القوة لكي لا نخشى احداً . اننا سنتحملهم جميعاً . اما هم ، فانهم لن يتحملونا . تذكروا ان تذبذبات هذه الاحزاب محتمة . اليوم مال رقاص الساعة الى هناك ، وغداً يميل الى هنا . يجب ان نبقى حزباً بروليتارياً للعمال والمظلومين . ولكننا نحكم الآن روسيا بأسرها ، وليس لنا من عدو سوى ذاك الذي يعيش من عمل الغير . اما الآخرون ، فليسوا لنا باعداء . انهم متذبذبون وحسب . ولكن المتذبذبين ليسوا بعد اعداء .

والآن اليكم مسألة اخرى . مسألة التموين . انتم جميعاً تعرفون ان وضعنا التمويني الذي كان قد تحسن قليلاً في الخريف يتدهور الآن من جديد . فالشعب يعاني الجوع من جديد ، وقبيل الربيع سيزداد هذا الوضع سوءاً على سوء . والحال ان نقلياتنا الحديدية مختلة كثيراً الآن . وهي الآن ، بالاضافة الى ذلك ، محملة فوق طاقتها بالاسرى العائدين الى الوطن . فمن المانيا يفر الآن الى

روسيا مليونا شخص . وهذان المليونان من الاشخاص مرهقون ومعذبون . لقد جاعوا كما لم يجع احد . انهم ليسوا بشراً بل ظلال بشرية ، هياكل بشرية . ونقلياتنا مخربة اكثر ايضاً من جراء الحرب الداخلية . لا قاطرات عندنا ، ولا عربات . والوضع التمويني يزداد عسراً على عسر . وانطلاقاً من هذا الوضع الصعب ، قال مجلس مفوضي الشعب لنفسه : اذا كان عندنا الآن جيش وانضباط اسسته الخلايا الحزبية الموجودة في كل فوج ، – واذا كانت اغلبية الضباط الآن ضباطاً من العمال وليس من «الاولاد المدللين» ؛ واذا كان هؤلاء ضباطاً فهموا انه يجب على الطبقة العاملة ان تقدم اناساً بوسعهم ان يصرفوا شؤون الدولة وضباطاً حمراً ، – فان الجيش الاشتراكي سيكون آنذاك جيشاً اشتراكياً بالفعل ، جيشاً سلك ضباطه مجدد بمشاركة الضباط الحمر . ونحن نعرف ان الانعطاف قد بدأ الآن . ان الجيش موجود . وفيه انضباط جديد . والانضباط تدعمه الخلايا ، يدعمه العمال والمفوضون الذين راحوا بمئات الآلاف الى الجبهة واوضحوا للعمال والفلاحين لماذا تدور رحى الحرب . ومن جراء هذا بدأ الانعطاف في جيشنا . ولهذا تبدى بمثل هذه القوة . فان الجرائد الانجليزية تقول انهم يلاقون الآن في روسيا عدواً جدياً .

نحن نعرف جيداً مدى رداءة جهاز التموين عندنا . وقد اندست فيه جماعات معينة من افراد غشوا ويغشون وينهبون . ونحن نعرف ان جميع الذين يأخذون على عاتقهم ، بين جمهور شغيلة السكك الحديدية ، كل اعباء العمل هم جميعاً الى جانب السلطة السوفييتية . اما في اعلى ، فانهم يتمسكون بالنظام القديم – فهم اما يخربون واما ينظرون الى الامور بفتور . ايها الرفاق ، انتم تعرفون ان هذه الحرب حرب ثورية . ولاجل هذه الحرب يجب اجتذاب جميع القوى الشعبية . يجب ان تتحول البلاد بأسرها الى

معسكر ثوري . الجميع الى المساعدة ! والحال ان هذه المساعدة لا تقتصر على ذهاب الجميع الى الجبهة ، بل تتلخص كذلك في قيام تلك الطبقة التي تقود الجميع الى التحرر ، وتدعم السلطة السوفييتية ، – في قيامها بوظائف الحكم لانها وحدها تملك الحق في ذلك . نحن نعرف مدى صعوبة هذا العمل ، لأن الطبقة العاملة كانت مبعدة خلال زمن طويل جداً ، لا عن شؤون الحكم وحسب ، بل ايضاً عن التعليم ، ونحن نعرف ان من الشاق عليها كثيراً ان تتعلم كل شيء دفعة واحدة . ان الطبقة العاملة قد قامت مع ذلك بهذا الانعطاف في المجال العسكري ، اي في اصعب واخطر المجالات . وعلى العمال الواعين ان يساعدونا في القيام بمثل هذا الانعطاف في مجال التموين ومجال السكك الحديدية . يجب على كل من العاملين في مجال السكك الحديدية وعلى كل من العاملين في مجال التموين ان يعتبر نفسه جندياً يقوم بواجبه . يجب ان يدرك انه يحارب الجوع . يجب ان ينبذ جانباً عادات المماطلة البيروقراطية القديمة . ومن المقرر ان ننشئ عندنا عما قريب مصلحة للتفتيش التمويني العمالي (٩٨) . ونحن نقول لانفسنا : لكي يحدث الانعطاف في جهاز السكك الحديدية ، لكي نجعل من هذا الجهاز نوعاً من جيش احمر ، لا بد من اشتراك العمال . فادعوا رجالكم . نظموا دورات دراسية ، علموهم ، عينوهم مفوضين . فهم وحدهم ، اذا قدموا عاملين من صفوفهم ، هم وحدهم سيفلحون بحيث نجعل من جيش الموظفين القدماء في مجال التموين نوعاً من جيش احمر اشتراكي يقوده العمال ، ويعمل ، لا تحت العصا ، بل طوعاً واختياراً ، مثلما يعمل في الجبهة ويموت الضباط الحمر ، عالمين انهم يموتون في سبيل الجمهورية الاشتراكية .

صدر للمرة الاولى بنصه الكامل في عام ١٩٥٠ في الطبعة الرابعة لمؤلفات لينين ، المجلد ٢٨

المجلد ٣٧ ،
ص ص ٢٧٠–٢٨٣

عن «الديموقراطية» والديكتاتورية

ان الاعداد القليلة ، التي وصلت الى موسكو ، من «الراية الحمراء» الصادرة في برلين و «النداء» (Weckruf) الصادرة في فيينا ، لسان حال الحزب الشيوعي في النمسا الالمانية ، تبيّن لنا ان خونة الاشتراكية الذين كانوا يسندون حرب الضواري الامبرياليين ، ان جميع اولئك الذين هم على شاكلة شيدمان وايبرت واوسترليتز ورينر ، انما يتلقون الرد اللازم من جانب ممثلي البروليتاريا الثورية الحقيقيين في المانيا والنمسا . واننا لنحيي بحرارة هاتين الجريدتين ، الشاهدتين على حيوية الاممية الثالثة ونموها .

ان المسألة الرئيسية في الثورة ، سواء في المانيا ام في النمسا ، هي اليوم ، كما يبدو ، المسألة التالية : **الجمعية التأسيسية ام سلطة السوفييتات** ؟ ان جميع ممثلي الاممية الثانية المفلسة ، من شيدمان حتى كاوتسكي ، هم انصار الجمعية التأسيسية ويسمون وجهة نظرهم الدفاع عن «الديموقراطية» (وبلغ الامر بكاوتسكي حد الكلام عن «الديموقراطية الخالصة») ، خلافاً للديكتاتورية . وفي كراسي «الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي» ، الذى صدر منذ امد قريب في موسكو وبتروغراد ، حللت بالتفصيل وجهات نظر

كاوتسكي * . اما الآن ، فساحاول ان اعرض بايجاز جوهر المسألة موضوع الخلاف ، التي ترد منذ الآن عملياً في جدول الاعمال في جميع البلدان الرأسمالية المتقدمة .

ان شيدمان وكاوتسكي ومن لف لفهما يتكلمون عن «الديموقراطية الخالصة» او «الديموقراطية» بوجه عام ، لكي يخدعوا الجماهير ويخفوا عنها الطابع **البرجوازي** للديموقراطية **الحالية** . فلتستمر البرجوازية في القبض على كل جهاز سلطة الدولة ، ولتستمر حفنة من المستثمِرين في استخدام آلة الدولة القديمة ، البرجوازية ! فغني عن البيان ان الانتخابات التي تجري في مثل هذه الاحوال ، انما يطيب للبرجوازية ان تنعتها بانها «حرة» ، «متساوية» ، «ديموقراطية» ، «شاملة كل الشعب» ، اذ ان هذه الكلمات تستخدم لاخفاء الحقيقة ، لاخفاء واقع ان ملكية وسائل الانتاج والسلطة السياسية باقيتان للمستثمِرين ، فلا يمكن بالتالي حتى التحدث عن حرية حقيقية ، مساواة حقيقية للمستثمَرين ، اي لاغلبية السكان الساحقة . ومن المفيد والضروري للبرجوازية ان تخفي عن الشعب طابع الديموقراطية الحالية **البرجوازي** وان تعرضها على انها الديموقراطية بوجه عام او «الديموقراطية الخالصة» ؛ واذ يكرر الشيدمانيون وكذلك الكاوتسكيون هذا ، يتخلون **فعلاً** عن وجهة نظر البروليتاريا وينتقلون الى جانب البرجوازية .

عندما كتب ماركس وانجلس معاً للمرة الاخيرة مقدمة «بيان الحزب الشيوعي» (كان ذلك عام ١٨٧٢) ، رأيا من الضروري لفت نظر العمال بصورة خاصة الى ان البروليتاريا لا يسعها الاكتفاء بأخذ آلة الدولة الجاهزة (اي البرجوازية) وتشغيلها لاغراضها ، انما يجب عليها ان تكسّر هذه الآلة ، ان تحطمها . وهذه الحقيقة الماركسية

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ١٥٩–٢٨٤ . **الناشر** .

الاكثر أهمية يخفيها المرتد كاوتسكي عن العمال حيث يشوه جوهر الماركسية بالذات في كراسه «ديكتاتورية البروليتاريا» ، ومن المفهوم بالتالي ان تكون المدائح التي اغدقها السادة شيدمان وشركاه ومن لف لفهم على هذا الكراس قد جاءت في محلها تماماً ، اذ انها صدرت عن عملاء للبرجوازية الى ذلك الذي ينتقل الى جانب البرجوازية .

ان التشدق بالديموقراطية الخالصة ، والديموقراطية بوجه عام ، والمساواة ، والحرية ، والشمول ، بينا العمال وجميع الشغيلة جياع ، عراة ، مفتقرون ، منهوكون ، لا بسبب من العبودية الرأسمالية المأجورة وحسب ، بل ايضاً بسبب من اربع سنوات من حرب لصوصية ، في حين ان الرأسماليين والمضاربين لا يزالون يحتفظون «بملكيتهم» المسروقة وبجهاز «جاهز» لسلطة الدولة ، انما هو هزء بالشغيلة والمستثمَرين ، انما هو لطمة على وجه الحقائق الاساسية للماركسية التي علّمت العمال : يجب عليكم ان تستخدموا الديموقراطية البرجوازية بوصفها تقدماً تاريخياً كبيراً بالنسبة للاقطاعية ، ولكن اياكم ان تنسوا لحظة طابع هذه «الديموقراطية» البرجوازي ، طابعها النسبي والمحدود تاريخياً ، اياكم ان تتبنوا «الايمان الخرافي» بـ«الدولة» ، وان تنسوا ان الدولة ، حتى في اوفر الجمهوريات ديموقراطية ، لا في ظل النظام المَلَكي فقط ، ليست سوى آلة لاضطهاد طبقة من جانب طبقة اخرى .

ان البرجوازية مضطرة الى النفاق والى اطلاق تسمية «سلطة الشعب كله» او الديموقراطية بوجه عام ، او الديموقراطية الخالصة ، على الجمهورية الديموقراطية **(البرجوازية)** التي هي بالفعل ديكتاتورية البرجوازية ، ديكتاتورية المستثمِرين على الجماهير الشغيلة . ان شيدمان وكاوتسكي واوسترليتز ورينر ومن هم على شاكلتهم (الذين يساعدهم الآن فريدريخ آدلر ، ويا للاسف)

يدعمون هذا الكذب وهذا النفاق . اما الماركسيون ، الشيوعيون ، فانهم يفضحون هذا النفاق ويقولون الحقيقة السافرة والصريحة للعمال والجماهير الشغيلة : ان الجمهورية الديموقراطية ، والجمعية التأسيسية ، والانتخابات العامة ، الخ . ، ان كل هذا ، انما هو بالفعل ديكتاتورية البرجوازية ؛ فلأجل تحرير العمل من نير الرأسمال ، ليس ثمة من وسيلة غير الاستعاضة عن هذه الديكتاتورية **بديكتاتورية البروليتاريا** . فقط ديكتاتورية البروليتاريا بمقدورها ان تحرر الانسانية من نير الرأسمال ، من كذب الديموقراطية البرجوازية ، الديموقراطية **للاغنياء** ، من بهتانها ونفاقها ، وتقيم الديموقراطية **للفقراء** ، اي ان تضع **فعلاً** خيرات الديموقراطية في متناول العمال والفلاحين الفقراء ، بينما خيرات الديموقراطية هذه (حتى في الجمهورية **البرجوازية** الاوفى ديموقراطية) ليست **فعلاً** الآن في متناول الاغلبية الساحقة من الشغيلة .

لنأخذ ، مثلاً ، حرية الاجتماعات وحرية الصحافة . ان شيدمان وكاوتسكي واوسترليتز ورينر ومن لف لفهم يحاولون اقناع العمال بان الانتخابات الحالية الى الجمعية التأسيسية في المانيا والنمسا تجري «بصورة ديموقراطية» . هذا كذب : فان الرأسماليين والمستثمرين والملاكين العقاريين والمضاربين يملكون **فعلاً** تسعة اعشار خيرة قاعات الاجتماع الصالحة لاجراء الاجتماعات ، وتسعة اعشار مخزونات الورق ، والمطابع ، الخ . . بينا العامل في المدينة والاجير الزراعي والمياوم في الريف معزولون **فعلاً** عن الديموقراطية بسبب من «حق الملكية المقدس» هذا (الذي يحميه السادة كاوتسكي ورينر واضرابهما الذين انضم اليهم فريدريخ آدلر ، ويا للاسف) ، وكذلك بسبب من جهاز سلطة الدولة البرجوازي ، اي بسبب من الموظفين البرجوازيين ، والحكام البرجوازيين ، الخ . . ان «حرية الاجتماعات والصحافة» الحالية في الجمهورية

«الديموقراطية» (الديموقراطية البرجوازية) الالمانية كذب ونفاق ، لأنها **بالفعل الحرية للاغنياء** في شراء الصحافة ورشوتهـا ، **الحرية للاغنياء** في ارواء الشعب بالخمرة الرخيصة ، خمرة اكاذيب الصحف البرجوازية ، **الحرية للاغنياء** في «امتلاك» بيوت الملاكين العقاريين ، وخيرة العمارات ، الخ . «ملكية خاصة» . ان ديكتاتورية البروليتاريا **ستنتزع** من الرأسماليين ، في صالح الشغيلـــة ، بيوت الملاكين العقاريين ، وخيرة العمارات ، والمطابع ، ومستودعات الورق .

ان هذا سيعني احلال «ديكتاتورية طبقـــة واحدة» محـــل «الديموقراطية «الخالصة» ، «الشاملة لكل الشعب» ، – هكذا يزعق امثال شيدمان وكاوتسكي واوسترليتز ورينر (بصوت واحد مـع زملائهـــــم في الخارج امثال غومبرس وهندرسون ورينوديـــل وفاندرفيلده ؛ وشركاهم) .

واننا لنجيب : كلا ، ليس كذلـــك . ان هذا سيعني احلال ديكتاتورية البروليتاريا محل ديكتاتورية البرجوازيـــة الفعليـــة (المقنعة نفاقاً باشكال الجمهورية الديموقراطية البرجوازيـة) . ان هذا سيعني احلال الديموقراطية للفقراء محل الديموقراطية للاغنياء . ان هذا سيعني احلال حرية الاجتماعات والصحافة **لاغلبية** السكان ، للشغيلة ، محل حرية الاجتماعات والصحافة الاقلية ، للمستثمِرين . ان هذا سيعني **توسيع** الديموقراطية توسيعاً هائلاً ذا اهمية عالمية تاريخية ، وتحويلها من كذب الى حقيقة ، ان هذا سيعني تحرير الانسانية من قيود الرأسمـــال الذى **يشوه** ويبتر كل ديموقراطية **برجوازية** حتى اوفرها نزعة «ديموقراطية» وجمهورية . ان هذا سيعني احلال الدولة **البروليتارية** محل الدولة البرجوازية ، بوصفه الوسيلة الوحيدة التي تؤول الى اضمحلال الدولة بوجه عام .

ولكن لماذا لا يمكن بلوغ هذا الهدف دون ديكتاتورية طبقـة واحدة ؟ لماذا لا يمكن الانتقال مباشرة الى الديموقراطية «الخالصة» ؟

هكذا يسأل اصدقاء البرجوازيـــة المراؤون او السذج من صغار البرجوازيين والتافهين الضيقي الافق الذين خدعتهم البرجوازية .

اننا نجيب : لأن الدور الحاسم ، فى كل مجتمع رأسمالي ، يعود اما الى البرجوازية ، واما الى البروليتاريا ، بينا يظل صغار الملاكين حتماً مترددين وعاجزين مـــع احلامهم الخرقاء عن الديموقراطيـــة «الخالصة» اي اللاطبقية وما فوق الطبقية . لأن ديكتاتورية الطبقة المظلومة هي وحدها التي تتيح الخروج من مجتمع تضطهد فيه طبقة طبقةً اخرى . لأن البروليتاريا وحدها قادرة على قهر البرجوازية ، على اسقاطها ، اذ انها الطبقة الوحيدة التي جمعتها و«درّبتها» الرأسمالية والتي تستطيع ان تجتذب وراءها الجمهور الحائر من الشغيلة ممن يعيشون على طريقة البرجوازيين الصغار ، — ان تجتذبه وراءها او على **الاقل** ان «تجعله حيادياً» . لأن البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الافق المعسولين وحدهم يستطيعون ان يحلموا ، خادعين انفسهم بالذات وخادعين العمال بهذه الاحلام ، بدك نير الرأسمال دون جهد طويل ومضنٍ من اجل **قمع مقاومة** المستثمِرين . ان هذه المقاومة لم تنم حتى الآن بصورة مكشوفة في المانيا والنمسا ، لأن مصادرة املاك المغتصبين لم تبدأ بعد فيهما . ولكنهـــا حين تبدأ ستلقى مقاومة مسعورة ، ضارية . ان اضراب شيدمان وكاوتسكي واوسترليتز ورينر ، اذ يخفون هذا عن انفسهم وعن العمال ، انما يخونون مصالح البروليتاريا ، ويتخلون في أحسم اللحظات عـــن مواقع النضال الطبقي ودك النير البرجوازي وينتقلون الى مواقع التوافق بين البروليتاريـــا والبرجوازيـــة ، الى مواقـــع «السلام الاجتماعي» ، الى مواقع المصالحة بين المستثمِرين والمستثمَرين .

قال ماركس : الثورات قاطرات التاريخ . ان الثورات تعلّم بسرعة . ولن يلبث عمال المدن والاجراء الزراعيون في الارياف في المانيا والنمسا ان يروا خيانة الاشتراكية من جانب شيدمان وكاوتسكي

واوسترليتز ورينر ومن لف لفهم . واذ ذاك ، ستقذف البروليتاريا بهم بعيداً ، هؤلاء «الاشتراكيين الخونـــة» ، الاشتراكيين قولاً ، الخونة للاشتراكية فعلاً ، كما قذفت في روسيا بنفس البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الافـــق ، المناشفـــة و«الاشتراكيين-الثوريين» . وسترى البروليتاريا ، - بسرعة تزداد بقدر ما تتكامل سيطرة «الزعماء» المبينة اسماؤهم ، - ان الوسيلة الوحيدة لشق الطريق امام الاشتراكيـــة ، انما هي الاستعاضـــة عن الدولـة البرجوازية ، وان كانت اوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية ، بدولة من طراز كومونة باريس (طالما تحدث عنها ماركس ، الذي زوره وخانه شيدمان وكاوتسكي واضرابهما) ، او بدولة من طراز السوفييتات . ان ديكتاتورية البروليتاريا ستخلص الانسانية من نير الرأسمال ومن الحروب .

موسكو ، ٢٣-١٢-١٩١٨

«البرافدا» ، العدد ٢ ، في ٣ كانـــون الثاني (يناير) ١٩١٩ — المجلد ٣٧ ، ص ص ٣٨٨-٣٩٣

بصدد مهام النقابات (٩٩)

١

يعرب تومسكي ورادوس-زنكوفيتش ونوغين ، كل في موضوعاته ، عن وجهة نظر «اختصاصه» المناسب ، اي عن وجهة نظر قائد من قادة النقابات ومفوضية وتعاونيات ذات صناديق للضمان .

ولهذا تشكو كل مجموعة من الموضوعات من التأكيد الوحيد الجانب على مظهر من مظاهر المسألة ومن طمس القضايا المبدئية الاساسية .

ان طرح هذه القضايا المبدئية المتعلقة بالحركة النقابية الحالية وبموقفها من السلطة السوفييتية طرحاً صحيحاً يتطلب ، اكثر ما يتطلب ، الحسبان الصحيح لخصائص الحقبة **الحالية** ، **الراهنة** ، في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ان هذا الجانب ، الجانب الجذري من القضية اما نوه به كل المؤلفين الثلاث بشكل غير كاف واما لم ينوهوا به كلياً تقريباً .

٢

وفيما يتعلق بالمسألة التي نحن بصددها تتلخص الخاصة الرئيسية في الحقبة الراهنة فيما يلي :

ان السلطة السوفييتية ، بوصفها دكتاتورية البروليتاريا ، قد انتصرت سواء بين الجماهير البروليتاريـــة في المدينة ام بين الفلاحين الفقراء في الريف ، ولكنها لا تزال ابعد من ان تكون قــد شملت بالدعاية الشيوعية والتنظيم المتين جميع المهن وكل جمهور انصاف البروليتاريين .

ومن هنا الاهمية الخاصة ، الخارقة في الوقت الحاضر ، التي تتسم بها الدعاية المشتدة والعمل التنظيمي ، من جهة ، بغية بسط نفوذنـــا عـــلى فئات العمال والمستخدمين التي هي **الاقل اتساماً بالصبغة السوفييتية** (اي الاكثر بعداً عن الاعتراف الكامل بالمرتكز السوفييتي) واخضاع هذه الفئات للحركة العامة للبروليتاريا ؛ – ومن جهة ثانية ، بغية هز اقل فئات وعناصر البروليتاريا وشبــه البروليتاريا تطوراً ، كالفعلة مثلاً ، ثم الخدم في المدن وانصاف البروليتاريين في القرى ومن اليهم ، بغية هزها وانهاضها فكرياً ، وشد لحمتها تنظيمياً .

وبعد ، تتلخص الخاصة الاساسية الثانية في الحقبة الراهنة في كون بناء المجتمع الاشتراكي عندنا قد ولج الخط القويم ، اي في كونه لم يتحدد بوصفه مهمة وبوصفه اقرب هدف عملي وحسب ، بل وانشأ جملة من اكبر هيئات هذا البناء (مثلاً ، مجالس الاقتصاد الوطني) ، وارسى ممارسة معينة في علاقاتها المتبادلة مع المنظمات الجماهيرية (النقابات ، التعاونيات) ، واكتسب تجربة عمليـــة معينة . ولكن البناء لا يزال مع ذلك ابعد من ان يكون قد أُنجز ، قد انتهى ، ولا تزال الثغرات كثيرة ، ولا يزال الجوهري غير مؤمــن (مثلاً ، جمع الحبوب وتوزيعها بصورة صحيحة ، انتاج وتوزيـــع الوقود) ، ولا يزال اشتراك جماهير الكادحين الواسعة في هذا البناء غير كاف ابداً .

٣

من الوضع الموصوف اعلاه ، تنجم المهمات التالية المترتبة على النقابات في الحقبة الحاضرة .

لا يمكن حتى الكلام عن «حياد» النقابات اياً كان . وكل دعاية للحياد هي إمّا ستار من النفاق لحجب نزعة العداء للثورة ، وإمّا دليل انعدام الوعي انعداماً تاماً .

نحن الآن على ما يكفي من القوة في النواة الاساسية من الحركة النقابية لكي يكون بامكاننا ان نخضع لنفوذنا وللانضباط البروليتاري العام سواء العناصر المتأخرة او الخاملة ، غير الشيوعية ، في داخل النقابات ، ام تلك من فئات الكادحين التي لا تزال برجوازية صغيرة من بعض النواحي .

ولهذا تتلخص المهمة الرئيسية الآن لا في تحطيم مقاومة العدو القوي ، لأنه لم يبق لهذا العدو وجود الآن بين جماهير البروليتاريا وشبه البروليتاريا في روسيا السوفييتية ، بل في التغلب ، بعمل تثقيفي وتنظيمي اوسع مفعم بالعناد والمثابرة ، على اوهام فئات برجوازية صغيرة معينة من البروليتاريا وشبه البروليتاريا ، ومتابعة توسيع قاعدة السلطة السوفييتية التي ليست بعد على ما يكفي من السعة (اي زيادة عدد العمال والفلاحين الفقراء المشتركين مباشرة في ادارة الدولة) ، وتثقيف الفئات المتخلفة من الشغيلة (لا بالكتب والمحاضرات والجرائد وحسب ، بل ايضاً بالمشاركة العملية في الادارة) ، والبحث عن **اشكال تنظيمية جديدة** سواء لأجل هذه المهمات الجديدة المترتبة على الحركة النقابية بوجه عام ، ام لأجل اجتذاب جماهير اضخم عدداً بما لا يقاس من انصاف البروليتاريين ، مثلاً ، من الفلاحين الفقراء .

مثلاً ، اجتذاب **جميع** اعضاء النقابات الى المشاركة في نشاط

الادارة الحكومية – بواسطة التفويض ، بواسطة الاشتراك في فرق المراقبة المتنقلـــة ، وهكذا دواليك وهلم جراً . اجتذاب خــدم البيوت ، اولاً الى الاشتراك في عمل التعاونيات ، في قضية تزويد السكان بالمأكولات ، في الاشراف على انتاج المأكولات ، والخ . ، ثم الى الاشتراك في عمل اكثر مسؤولية واقل «ضيقاً» ، – وبالطبع مع مراعاة التدرج الضروري .

اجتذاب «الاختصاصيين» الى عمل الدولــة مع العمال سوية ، والمراقبة على الاختصاصيين .

ان مراعاة الاشكال الانتقالية تتطلب اطارات تنظيمية جديدة . مثلاً ، لجان الفلاحين الفقراء في الريف تلعب دوراً هائلاً . قد يخشى من ان يؤدي اندماجها في السوفييتات الى ابقاء **جماهير** انصاف البروليتاريين هنا او هناك **خارج** اطار التنظيم الدائم . لا يجوز ان نستبعد عنـا مهمة تنظيم الفلاحين الفقراء في القرى بحجة انهم ليسوا عمالاً اجراء . يمكن ويجب البحث والبحث عن اشكال جديدة ، وان ، مثلاً ، بانشاء نقابات للفلاحين الفقراء (ولتكن لجان الفلاحين الفقراء ذاتها) كنقابات **افقر** الفلاحين (α) الذين لا مصلحة لهم في المضاربة بالحبوب وفي الاسعار العالية للحبوب ، (β) ويسعون الى تحسين حياتهم باجراءات عامة مشتركـــة للجميع ، (γ) ويسعون الى تعزيز حراثة الارض المشتركة ، (δ) ويسعون وراء التحالف الدائم مع عمال المــــدن ، وما الى ذلك .

ان نقابة كهذه لفقراء الفلاحين من شأنها ان تشكل **فرعاً خاصاً** من مجلس النقابات لعامة روسيا ، لكي لا يكون بوسعها ان تسحق العناصر البروليتارية الصرف . يمكن تغيير شكلها ويجب البحث عنه وفقاً للممارسة ، وفقاً للمهمة الجديدة القاضيــة بشمول العناصر الاجتماعية الجديدة ، الانتقالية (فقراء الفلاحين ليسوا البروليتاريا ،

وليسوا حتى شبه البروليتاريا الآن ، بل **اولئك الذين** هم اقرب ما يكون الى شبه البروليتاريا ، لأن الرأسمالية لم تمت بعد ، وهؤلاء هم في الوقت نفسه **اولئك الذين** يتعاطفون اكثر ما يكون مع الانتقال الى الاشتراكية) . . . *

كتب في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ـ في النصف الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩١٩
صدر للمرة الاولى عام ١٩٣٣ في المجموعة اللينينية ، العدد ٢٤

المجلد ٣٧ ،
ص‌ص ٤٠٣ـ٤٠٦

* وهنا تنقطع المخطوطة . **الناشر** .

لوحة صغيرة لتوضيح قضايا كبيرة

حمل الي" الرفيق سوسنوفسكي ، رئيس تحرير صحيفة «بدنوتا» (١٠٠) كتاباً بديعاً ، يجب ان يطلع عليه اكبر عدد ممكن من العمال والفلاحين ، ومنه يجب استخلاص عبر جدية للغاية في اهم قضايا البناء الاشتراكي الموضحة بامثلة حية توضيحاً بديعاً . هذا الكتاب هو كتاب الرفيق .لكسندر تودورسكي : «سنة – مع البندقية والمحراث» ، وقد اصدرته في بلدة فيسيبيغونسك لجنة القضاء التنفيذية لمناسبة الذكرى السنوية لثورة اكتوبر .

يصف الكاتب خبرة سنة من نشاط قادة العمل الهادف الى بناء السلطة السوفييتية في قضاء فيسيبيغونسك ، – اولاً الحرب الاهلية ، وانتفاضة الكولاك المحليين وقمعها ، ثم «بناء الحياة السلمي» . وقد جاء وصف مجرى الثورة في قضاء ناء بقلم المؤلف بسيطاً وحياً في الوقت نفسه الى حد ان عرضه هنا لا يفعل غير ان يضعف الانطباع منه . يجب نشر هذا الكتاب على نطاق واسع ، والاعراب عن التمني بان يعمد اكبر عدد من العاملين ، المشتغلين بين الجماهير ومع الجماهير ، في خضم الحياة الفعلية الحقيقي ، الى وصف خبرتهم . فان اصدار بضع مئات او على الاقل بضع عشرات

من خيرة هذه الاوصاف ، واصدقها ، وابسطها ، واغناها بالمضمون القيّم من الوقائع سيكون انفع لقضية الاشتراكية بما لا حد له من كثير من النتاجات التي ينشرها في الجرائد والمجلات والكتب ادباء محترفون لا يرون البتة او يكاد الحياة وراء الورق .

وآخذ مثالاً صغيراً من حديث الرفيـــق تودورسكي . كان المقصود عدم ابقاء «الايدي التجارية» «عاطلة عن العمل» ، وحملها على «الانصراف الى العمل» .

«... لهذا الغرض ، دعي الى اللجنة التنفيذية ثلاثة صناعيين شبان ، ذوي همة وحزم ، وذوي حذق وفطنة على الاخص ، هم يفريموف ، لوغينوف ، كوزلوف ، وأُوكل اليهم ، تحت طائلة الاعتقال ومصادرة جميع الاملاك ، بانشاء مصنع لنشر الخشب ومصنع للجلود الكروميـــة . وبوشر على الفور تجهيزهما .

ان السلطة السوفييتيـــة لم تخطئ في اختيار العاملين ، ولقـــد كان الصناعيون تقريباً اوائل من ادركوا ، لما فيه فخرهم ، انهم لا يتعاملـــون مع «ضيوف من باب الصدفة لمدة اسبوعين» ، بل مع اسياد حقيقيين قبضوا على مقاليد السلطة بيد ثابتة .

وبما انهم ادركوا هذا بصورة صحيحة تماماً ، فقد عكفوا بهمة وعزم على تنفيذ اوامر اللجنة التنفيذية ، واذا فيسييغونسك تملك في الوقت الحاضر مصنعاً لنشر الخشب يعمل بكل طاقته ، ويؤمن جميـــــع حاجات السكان المحليين وينفذ طلبات السكة الحديدية الجاري بناؤها حديثاً .

اما فيما يتعلق بمصنع انتاج الجلود الكرومية ، فقد تـــم حتى الآن تجهيز البنايـــة ، ويجري تركيب المحرك والدارات وغيرهـــا من الآلات المستقدمة من موسكو ، وفي مدة لا تتعدى شهراً ونصف الشهر او شهرين ، سيكون لدى فيسييغونسك جلد كرومي من صنعها بالذات .

ان تجهيز مصنعين سوفييتيين بأيد «غير سوفييتية» هو مثال طيب يبين كيف يجب النضال ضد الطبقة المعادية لنا .

اننا لا نقوم الا بنصف العمل اذا ضربنا المستثمرين على ايديهم ، وحلنا دونهم وفعل الشر ، او «اجهزنا عليهم» . ان القضية ستتحقـــق بنجاح اذا

اجبرناهم على العمل ، واذا ساعدنا ، بالعمل الذي يقومون به بايديهم ، في تحسين الحياة الجديدة وفي توطيد السلطة السوفييتية» .

هذا التحليل الممتاز والصحيح تماماً انما يجدر نقشه على الالواح ولصقها في كل من مجالس الاقتصاد الوطني ، وهيئات التموين ، في كل مصنع ، وكل مصلحة للزراعة ، وهكذا دواليك . لان ما ادركه الرفاق في فيسييغونسك النائية لا يدركه في اغلب الاحيان العاملون السوفييتيون في العاصمتين . وليس من النادر ان نجد مثقفاً سوفييتياً او عاملاً شيوعياً يغضن انفه بازدراء لدن التذكير بالتعاونية ، ويعلن بخارق الوقار والكبرياء – وبخارق الغباوة ايضاً – ان هذه ليست ايد سوفييتية ، وان هؤلاء برجوازيون ، اصحاب دكاكين ، مناشفة ، وان التعاونيين قد اخفوا في زمان ما ومكان ما ، باحتيالاتهم المالية ، مساعدتهم للحرس الابيض ، وان جهاز التموين والتوزيع في جمهوريتنا الاشتراكية انما يجب ان تبنيه ايد سوفييتية نظيفة .

ان هذه المحاكمة نموذجية بمعنى ان الحقيقة تختلط فيها بالكذب بحيث يكون الحاصل تشويهاً في منتهى الخطورة لمهام الشيوعية يعود بافدح الضرر على قضيتنا .

اجل ، ان التعاونيات هي جهاز للمجتمع البرجوازي نشأ في بيئة «الدكنجية» ، وربى القادة بروح السياسة البرجوازية والفلسفة البرجوازية ، واعطى بالتالي نسبة مئوية عالية من رجال الحرس الابيض او من اعوان الحرس الابيض . وهذا امر لا جدال فيه . ولكنه من السيئ ان يشرعوا باستخلاص استنتاجات خرقاء من حقيقة لا مراء فيها عن طريق تبسيطها وتطبيقها بغباوة . فنحن لا يسعنا ان نبني الشيوعية بغير المواد التي صنعتها الرأسمالية ، بغير ذلك الجهاز الثقافي الذي انشأته الاوضاع البرجوازية والذي هو بالتالي مشبع لا مناص – ما دام الكلام يتناول المادة البشرية

بوصفها جزءاً من الجهاز الثقافي – بالنفسية البرجوازية . وهنا تكمن صعوبة بناء المجتمع الشيوعي ، ولكن هنا ايضاً تكمن ضمانة امكانية ونجاح بنائه . وان الماركسية تختلف عن الاشتراكية الطوبوية القديمة بكون هذه الاخيرة قد ارادت ان تبني المجتمع الجديد ، لا من اولئك الممثلين الجماهيريين للمادة البشرية الذين تصنعهم الرأسمالية الدموية والقذرة والنهابة والحانوتية ، بل من اناس فضلاء للغاية تربوا في منابت مدفأة خاصة . ان هذه الفكرة المضحكة هي الآن مضحكة للجميع ومهملة من الجميع ، ولكن ليس الجميع يريدون او يستطيعون ان يمعنوا الفكر في مذهب الماركسية المخالف ، ان يمعنوا الفكر في كيف يمكن (ويجب) بناء الشيوعية من المادة البشرية الجماهيرية التي افسدتها مئات وآلاف السنين من العبودية والقنانة والرأسمالية ، وتسيير الاقتصاد المجزأ الصغير ، وحرب الجميع ضد الجميع من اجل مكان صغير في السوق ، من اجل سعر اعلى للمنتوج او للعمل .

ان التعاونيات هي جهاز برجوازي . ومن هذا ينجم انها لا تستحق الثقة السياسية ، ولكنه لا ينجم البتة انه يجوز الاعراض عن الاستفادة منها لأجل اغراض الادارة والبناء . فمن عواقب عدم الثقة السياسية انه لا يجوز ايلاء الناس غير السوفييتيين مناصب مسؤولة سياسياً . ومن عواقبه ان اللجان الاستثنائية تتتبع بانتباه ممثلي الطبقات او الفئات او الجماعات التي تميل الى ذهنية الحرس الابيض . (مع العلم ، ونقول هذا بين هلالين ، انه ليس من الالزامي اطلاقاً التمادي في الكلام الى حد اطلاق سخافات كالسخافة التي كتبها الرفيق لاتسيس ، وهو من خير الشيوعيين ومن الشيوعيين المجربين ، في مجلته «كراسني تيرور» الصادرة في قازان ؛ فقد اراد ان يقول ان الارهاب الاحمر هو القمع العنيف للمستثمرين الذين يحاولون بعث سيادتهم ، وعوضاً عن هذا كتب في الصفحة ٢ من العدد الاول من مجلته : «لا

تبحثوا (! ! ؟) في الملف عن ادلة الاتهام ، فيمـــا اذا كان ثار على السوفييت بالسلاح او بالكلمة» .)

ان عدم الثقة السياسة حيال ممثلي الجهاز البرجوازي مشروع وضروري . اما الامتناع عن الاستفادة منهـــم في اغراض الادارة والبناء ، فهو غباوة فظيعة جداً تعود بافدح الضرر على الشيوعية . ان من يرغب في التوصية بالمنتشفي كاشتراكي او كقائد سياسي ، او حتى كمستشار سياسي ، انما يقترف خطأ جسيماً ، لان تاريخ الثورة في روسيا قد برهن نهائيا ان المناشفـــــة (والاشتراكيين-الثوريين) ليسوا اشتراكيين ، بل ديموقراطيون برجوازيون صغـــار بمقدورهم ان يقفوا الى جانـــــب **البرجوازية** لدى كل تأزم جدي في النضال الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية . ولكن الديموقراطيـــة البرجوازية الصغيرة ليست تشكيلة سياسية صدفية ، ليست استثناء ما ، بل نتاج **ملازم** للرأسمالية ، هذا مع العلم ان «مورّد» هـــذه الديموقراطية ليس فقط فئة الفلاحين المتوسطين القديمة من قبل الرأسمالية ،الرجعية اقتصادياً ، بل ايضاً التعاونيات المتمدنـــة الرأسمالية المتنامية في تربة الرأسمالية الكبيرة ، وفئـــــــــة الانتلليجنسيا ، وهلمجرا . ذلك انه حتى في روسيا المتأخرة ، ظهر الى جانب كولوبايف ورازوفايف واضرابهما ، رأسماليـــون عرفوا كيف يضعون الانتلليجنسيا المتعلمة ، المنشفية ، والاشتراكية-الثورية ، واللاحزبية في خدمتهم . فهـل نكون ، يا ترى ، اغبى من هؤلاء الرأسماليين ، وهل لن نعرف ، يا ترى ، كيف نستغل هـــذه «المادة البنائية» لاجل بناء روسيا الشيوعية ؟

كتب في اواخر ١٩١٨ او في اوائـــل ١٩١٩
صدر للمـرة الاولى في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٦ في جريدة «البرافدا» ، العدد ٢٥٨

المجلد ٣٧ ، ص ص ٤٠٧-٤١١

تقرير في مؤتمر النقابات الثاني
لعامة روسيا
٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩

(تصفيق عاصف متواصل .) ايها الرفاق ، يجب عليّ قبل كل شيء ان اعتذر لانه سيتعين عليّ ، بحكم وعكة صغيرة ، ان اكتفي اليوم بكلمة موجزة في المسألة المطروحة الآن امامكم ، وهي مسألة مهمات النقابات .

ان مشروع القرار المعروض عليكم يُعرض على مؤتمر النقابات باسم كتلة الشيوعيين حيث كان موضع مناقشة من جميع النواحي . وبما ان مشروع القرار مطبوع الآن ، فاني اظن ان جميع الحاضرين هنا قد اطلعوا عليه ، واسمح لنفسي ان اتناول فقط بندين اساسيين هما ، بنظري ، وعلى العموم ، البندان الرئيسيان بين البنود الواردة في مشروع القرار هذا .

يبدو لي ان البند الاول من هذين البندين ، وطابعه ، اذا جاز القول ، سلبي ، هو البيان بصدد راية وحدة او استقلال الحركة النقابية (١٠١) ، تلك الراية التي يقول عنها البند الثالث من مشروع القرار انها دفعت في الواقع العملي الجماعات التي تتبنى هذا الشعار ، الى النضال السافر ضد السلطة السوفييتية ؛ وهذه المحاولة وضعتها ، اي وضعت هذه الجماعات ، خارج صفوف الطبقة العاملة .

يخيل الي ، ايها الرفاق ، ان هذا الشعار السيئ الشهرة ، شعار الاستقلال ، جدير بالانتباه ، وليس فقط من وجهة النظر النقابية . فاني اعتقد ان كل الصراع الذي يملأ العالم كله الآن ، والذي يتأزم بكل جلاء بسرعة لم يسمع بمثلها من قبل حول مسألة الاختيار بين ديكتاتورية البروليتاريا وديكتاتورية البرجوازية ، اني اعتقد ان كل هذا الصراع لا يمكن فهمه فهماً صحيحاً ، ومراعاته مراعاة صحيحة ، لا يمكن ان يؤمن للطبقة العاملة وممثليها الواعين امكانية الاشتراك في هذا الصراع اشتراكاً صحيحاً الا شرط فهم ما يشكله شعار الاستقلال هذا من خداع للنفس بالنسبة للبعض ، ومن خداع بالنسبة للبعض الآخر . واود لو اشير قبل كل شيء ، وان بايجاز ، الى مبلغ خطأ هذا الشعار من الناحية النظرية ، والى اي حد لا يصمد من الناحية النظرية وان لاخف النقد .

ايها الرفاق ، ان الحدث الاخير الذي وقع في المانيا ، ان اغتيال ليبكنخت ولوكسمبورغ (١٠٢) بوحشية وغدر ، ليس الحدث الاشد درامية ومأساوية في الثورة الالمانية المبتدئة وحسب ، — بل انه ، فضلاً عن ذلك ، يلقي نوراً خارق السطوع على طرح مسائل الصراع المعاصر في التيارات الحالية في قلب مختلف النظرات السياسية وفي الانشاءات النظرية الحالية . فمن المانيا بالذات سمعنا اكثر مما من اي بلد آخر خطابات ، وان على الاقل ، مثلاً ، عن الديموقراطية السيئة الشهرة ، وعن شعارات الديموقراطية بوجه عام ، وكذلك عن شعارات استقلال الطبقة العاملة عن سلطة الدولة . ان هذه الشعارات التي تبدو من النظرة الاولى غير مترابطة بعضها ببعض ، هي بالفعل مترابطة بوثوق . انها مترابطة بوثوق لانها تبيّن ان الاوهام البرجوازية الصغيرة لا تزال قوية حتى الآن ، رغم التجربة الضخمة لنضال البروليتاريا الطبقي ؛ وان النضال الطبقي لا يزال يلقي الاعتراف في كل مكان ، حسب التعبير الالماني ،

من الشفاه فقط ، دون ان يدخل بالفعل لا الى رؤوس ولا الى قلوب اولئك الذين يتحدثون عنه . بأي نحو ، بالفعل – اذا تذكرنا على الاقل ألفباء الاقتصاد السياسي ، كما استوعبناه من مؤلف ماركس «رأس المال» ، اذا تذكرنا ذلك التعليم عن النضال الطبقي الذي نقف جميعنا في تربته بالقدمين الاثنتين – باي نحو ، في ظل تأزم النضال بالنطاق الحالي ، بالابعاد الحالية ، واذ اتضح ان الثورة الاشتراكية وردت في جدول الاعمال في العالم اجمع ، واذ اتضح هذا عملياً من الاعمال والاحداث في البلدان الاوفر ديموقراطية ، – بأي نحو يمكن التحدث هنا عن الديموقراطية بوجه عام ، او بأي نحو يمكن التحدث هنا عن الاستقلال . ان من يفكر على هذا النحو ، انما يبين ، – اذا تكلمنا حسب نظرية الاقتصاد السياسي ، – انه لم يفهم اية صفحة من مؤلف ماركس «رأس المال» الذي يحلف به الآن جميع الاشتراكيين بلا استثناء في جميع البلدان .

ولكنهم ، حين اقتربوا عن كثب من هذا النضال الرئيسي الذي قاد اليه مؤلف ماركس «رأس المال» ، يتراجعون بالفعل عن هذا النضال الطبقي ، مع حلفهم بهذا المؤلف ، ويتصورون انه يمكن ان تقوم ديموقراطية خارج الطبقات او فوق الطبقات ، وانه يمكن ان تكون ثمة في المجتمع الحالي ، ما دام الرأسماليون يحافظون على الملكية ، ديموقراطية اخرى ، غير برجوازية اي ديموقراطية مغطاة بلافتات ديموقراطية زائفة ، كاذبة ، ديكتاتورية برجوازية . ومن المانيا هذه على وجه الضبط ، وصلت الينا مؤخراً اصوات تقول ان ديكتاتورية البروليتاريا لن تتخطى هناك ، على الارجح ، وحتى بالتأكيد ، اطار الديموقراطية ، وان الديموقراطية ستبقى محققة . وهناك على وجه الضبط ، عمد اناس يدعون بانهم معلمو الماركسية ، اناس كانوا ايديولوجيي الاممية الثانية كلها من عام ١٨٨٩ الى عام ١٩١٤ ، من طراز كاوتسكي ، الى رفع راية

الديموقراطية ، دون ان يفهموا ان الديموقراطية ، ما دامت الملكية باقية للرأسماليين ، ليست غير تستير منافق لديكتاتورية البرجوازية ، وانه لا يمكن حتى ان يدور الحديث حول اي حل جدي لمسألة تحرير العمل من نير الرأسمال ، اذا لم ينزع هذا التستير المنافق ، اذا لم نطرح المسألة كما علمنا ماركس على الدوام طرحها ، وكما علمنا نضال البروليتاريا اليومي طرحها ، وكما علم كل اضراب ، كل تأزم في النضال النقابي طرحها ؛ يجب طرح المسألة على النحو التالي : ان كل ديموقراطية لا يمكن ان تكون ، ما دامت الملكية باقية للرأسماليين ، سوى تستير منافق للديكتاتورية البرجوازية . ان شتى الاقاويل عن الاقتراع العام ، وعن ارادة الشعب بأسره ، وعن المساواة بين الناخبين ، ستكون خداعاً بخداع لانه لا يمكن ان تقوم المساواة بين المستثمِر والمستثمَر ، بين مالك الرأسمال والملكية والعبد المأجور المعاصر .

يقيناً ان الديموقراطية البرجوازية هي تقدم هائل على الصعيد التاريخي بالقياس الى القيصرية ، والحكم المطلق ، والمَلَكية ، وشتى بقايا الاقطاعية . ويقيناً انه سيتعين علينا ان نستفيد منها ، وآنذاك سنطرح المسألة بحيث تكون الاستفادة من اشكال الديموقراطية البرجوازية الزامية بالنسبة لنا طالما لم ترد في جدول الاعمال مسألة نضال الطبقة العاملة من اجل السلطة بكاملها . ولكن الحكاية اننا وصلنا على الصعيد العالمي بالضبط الى هذه اللحظة الحاسمة من النضال . والآن بالضبط اصبحت المسألة مسألة ما اذا كان الرأسماليون سيحتفظون بالسلطة على وسائل الانتاج ، وقبل كل شيء ، بملكية وسائل الانتاج . والحال ان هذا يعني انهم يحضّرون حروباً جديدة . ان الحرب الامبريالية قد بينت لنا بكل وضوح وجلاء ان الملكية الرأسمالية مرتبطة بمجزرة الشعوب هذه ، وانها ادت الى هذه المجزرة بصورة محتمة لا مرد لها . ولكن شتى الاقاويل عن

الديموقراطية بمعنى الاعراب عن ارادة الشعب بأسره تغدو آنذاك بصورة واضحة للجميع خداعاً بخداع ، تغدو مجرد امتياز للرأسماليين والاغنياء في تخدير عقول اشد فئات الشغيلة تأخراً ، سواء بواسطة صحافتهم التي تبقى لاصحاب الملكية ، ام بجميع وسائل التأثير السياسي الاخرى .

ان المسألة تطرح هكذا وهكذا فقط . اما ديكتاتورية البرجوازية المستورة بجمعيات تأسيسية ، وبشتى ضروب التصويت والديموقراطية ، وما الى ذلك من ضروب الخداع البرجوازي الذي يُعمون به الحمقى والذي لا يمكن ان يفتخر ويتباهى به الآن غير الذين امسوا كلياً وعلى طول الخط مرتدين عن الماركسية ومرتدين عن الاشتراكية ،– واما ديكتاتورية البروليتاريا لاجل قمع البرجوازية التي تحرّش اقل العناصر وعياً على خيرة زعماء البروليتاريا العالمية ، لاجل قمعها بيد حديدية . والحال ان هذه الديكتاتورية تعني انتصار البروليتاريا لاجل قمع البرجوازية التي تنظم الآن مقاومة في منتهى اليأس بوجه البروليتاريا وبصورة تشتد ضراوة بقدر ما ترى بمزيد من الوضوح ان هذه المسألة قد طرحتها الجماهير . لان البرجوازية اعتبرت حتى الآن ، في الاغلبية الساحقة من الحالات ، استياء العمال وسخطهم تعبيراً موقتاً عن استيائهم . وحتى الآن ، ينظر الرأسماليون الانجليز مثلاً ،– وهم ، اغلب الظن ، الاوفر حنكة في مضمار خداع العمال سياسياً ، الاوفر تربية وتنظيماً من الناحية السياسية ،– حتى الآن ينظر الرأسماليون الانجليز ، بصورة كلية الى الامور بمعنى ان الحرب قد ادت بالطبع الى الاستياء وان هذا يولد وسيولد حتماً الاضطرابات العمالية ، ولكنهم لم يقولوا بعد ان المسألة المطروحة الآن هي مسألة معرفة من سيكون على رأس الدولة ، ومن سيتربع على دست سلطة الدولة وما اذا كانت الملكية

ستبقى عند السادة الرأسماليين . بيد ان الاحداث بيّنت ان هذه المسألة بالذات قد وردت ، دون اي شك ، في جدول الاعمال ، لا في روسيا وحسب ، بل ايضاً في جملة كاملة من بلدان اوروبا الغربية ، وحتى ليس في البلدان التي اشتركت في الحرب وحسب ، بل ايضاً في بلدان حيادية عانت نسبياً اقل مما عانى غيرها ، مثل سويسرا وهولندا .

ان البرجوازية قد تربت اكثر ما تربت ، وربت الجماهير اكثر ما ربت ، بروح البرلمانية البرجوازية ، ولكن جرى في هذه الجماهير اختمار الحركة السوفييتية ، الحركة من اجل السلطة السوفييتية ، الامر الذي اصبح واضحاً كل الوضوح . فان الحركة السوفييتية لم تبق شكلاً روسياً لسلطة البروليتاريا ، واصبحت موقع البروليتاريا العالمية في نضالها من اجل السلطة ، اصبحت الخطوة الثانية في تطور الثورة الاشتراكية العالمي . لقد كانت كومونة باريس الخطوة الاولى ، وبينت ان الطبقة العاملة لن تصل الى الاشتراكية الا عبر الديكتاتورية ، الا عبر قمع المستثمرين بالعنف . ان اول ما بينته كومونة باريس هو ان الطبقة العاملة لن تتمكن من الوصول الى الاشتراكية عبر الدولة البرلمانية البرجوازية الديموقراطية القديمة ، وانها لن تتمكن من ذلك الا عبر دولة من طراز جديد تحطم البرلمانية والدواوينية على السواء من القاعدة الى القمة .

وكانت السلطة السوفييتية الخطوة الثانية من وجهة نظر تطور الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي . ولئن كانوا قد اعتبروها في البدء ظاهرة روسية فقط ، — ولقد كان من الممكن وحتى من الواجب اعتبارها كذلك ، اذا لم ينحرف المرء عن تربة الوقائع ، — فان الاحداث قد بينت الآن انها ليست ظاهرة روسية فقط ، وانها شكل عالمي لنضال البروليتاريا ، وان الحروب التي خلطت الجماهير البروليتارية وشبه البروليتارية بطريقة جديدة

قد اعطتها تنظيماً جديداً مضاداً بكل جلاء للامبريالية النهابة ، مضاداً لطبقة الرأسماليين مع ارباحها التي لم يسمع بمثلها من قبل ، التي لا سابق لها قبل الحرب ، وخلقت في كل مكان هذه المنظمات الجماهيرية الجديدة للنضال ، منظمات البروليتاريا لاجل الاطاحة بسلطة البرجوازية .

وليس الجميع ادركوا اهمية السوفييتات هذه عندما انبثقت السوفييتات . وليس الجميع يدركون هذه الاهمية الآن ايضاً . اما نحن الذين عشنا عهد اجنة هذه السوفييتات في عام ١٩٠٥ ، نحن الذين عشنا ، بعد ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، مرحلة طويلة من الذبذبات والتأرجحات بين التنظيم السوفييتي للجماهير وبين الايديولوجية البرجوازية الصغيرة ، التوفيقية ، المارقة ، – فان اللوحة واضحة لنا الآن منتهى الوضوح . ان هذه اللوحة منبسطة امامنا كما على راحة اليد ؛ ومن وجهة نظر هذه اللوحة ، من وجهة نظر كيف تطور ويتطور نضال البروليتاريا يوماً بعد يوم ، وبصورة اوسع فاوسع واعمق فاعمق ، من اجل السلطة في الدولة وضد الملكية الرأسمالية ، نقدم على حل المسألة . ومن وجهة النظر هذه ، ماذا تساوي جميع الاشارات الى الديموقراطية وجميع الجمل عن «الاستقلال» وما ماثل من الاقاويل التي تنحرف على الدوام الى موقف ما خارج الطبقات ، لاننا نعرف ان البرجوازية تسود في المجتمع الرأسمالي ، وان المجتمع الرأسمالي يولد على وجه الضبط من سلطة البرجوازية سواء في الميدان السياسي ام في الميدان الاقتصادي . اما سلطة البروليتاريا ، واما ديكتاتورية البرجوازية ، – ولا يمكن ان يكون ثمة اي وسط في المسائل الجدية نوعاً ، وخلال مدة طويلة نوعاً . وان من يتكلم عن الاستقلال ، من يتكلم عن الديموقراطية بوجه عام ، يفترض عن وعي او عن لا وعي وجود شيء ما وسط ، شيء ما بين الطبقات ، شيء ما

فوق الطبقات ؛ الا ان هذا هو في جميع الاحوال خداع للنفس ، هذا خداع ، هذا تستير للامر التالي : ما دامت سلطة الرأسماليين باقية ، وما دامت ملكية وسائل الانتاج باقية للرأسماليين ، — فمن ممكن ان تكون الديموقراطية اقل سعة او اكثر سعة ، ومتمدنة ، وما الى ذلك ، بينما تبقى الديكتاتورية البرجوازية بالفعل ، وتنفجر الحرب الاهلية من كل تناقض كبير بمزيد من الوضوح ، بمزيد من الجلاء .

بقدر ما كانت الاشكال السياسية في فرنسا اقرب الى الديموقراطية ، بقدر ما كانت الحرب الاهلية تنبع بمزيد من السرعة من قضية مثل قضية دريفوس . وبقدر ما تكون الديموقراطية في اميركا اوسع ، مع البروليتاريا ، مع الاميين ، وحتى مع المسالمين العاديين ، بقدر ما تنبع بمزيد من السرعة حالات الاعدام بدون محاكمة قانونية وانفجارات الحرب الاهلية . ان اهمية هذا تزداد وضوحاً لنا الآن خصوصاً وقد ادى الاسبوع الاول من الحرية البرجوازية والديموقراطية البرجوازية في المانيا الى اشتباك في الحرب الاهلية في غاية الضراوة والسعير ، الى اشتباك اشد حدة بكثير مما عندنا ، اشد استماتة بكثير . وان من يحكم على هذه الانفجارات من وجهة نظر ما اذا كانت محكمة هذه الاحزاب او تلك هي القائمة ؛ من يحكم من وجهة نظر مجرد اغتيال ليبكنخت ولوكسمبورغ ، انما يتميز بعمى الفكر وجبانة الفكر ، ولا يرغب في ان يفهم ان ما نواجهه هنا انما هو انفجارات حرب اهلية لا مردّ لها ، حرب تنبع بصورة لا مردّ لها من جميع تناقضات الرأسمالية . ولا وسط ولا يمكن ان يكون ثمة وسط . وان شتى الاقاويل عن الاستقلال او عن الديموقراطية بوجه عام ، اياً كانت الصلصات التي تُتَبَّل بها ، انما هي خداع في منتهى الفداحة ، خيانة للاشتراكية في منتهى الفداحة . واذا كانت الدعاية النظرية التي يقوم بها البلاشفة ، الذين

هم الآن مؤسسو الامية العمليون ، اذا كانت دعاية البلاشفة النظرية عن الحرب الاهلية لم تمض بعيداً ، وتوقفت كلياً وفي كل مكان امام عراقيل الرقابة الحكومية وامام الاجراءات الحربية الواقية من جانب الدول الامبريالية ، فليست الدعاية ولا النظرية ، بل وقائع الحرب الاهلية هي التي تزداد الآن ضراوة وسعيراً بقدر ما تشيخ ديموقراطية الدول الاوروبية الغربية ، بقدر ما يمتد اجلها . ان هذه الوقائع ستخرق اشد الجماجم تخلفاً ، واشدها بلادة . والآن يمكن التحدث عن اولئك الذين يتشدقون بالديموقراطية بوجه عام ، بالاستقلال ، كما عن احافير .

ومع ذلك ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ظروف النضال الشاقة التي ولدت وترعرعت منها مؤخراً الحركة النقابية في روسيا والتي ترعرعت الآن نهائياً تقريباً ، يتعين القاء نظرة الى الوراء عرضاً ، وتذكر الامس . وباعتقادي ان هذه الذكريات والتذكيرات ضرورية خصوصاً وان الحركة النقابية ، بوصفها على وجه الضبط حركة نقابية ، تمر في عهد الثورة الاشتراكية العالمية البادئة بانعطاف حاد للغاية .

في هذه الحركة النقابية حاول ايديولوجيو البرجوازية على نطاق واسع جداً ان يصطادوا السمك في الماء العكر . فقد بذلوا جهدهم ليجعلوا النضال الاقتصادي الذي يشكل اساس الحركة النقابية مستقلاً عن النضال السياسي . ولكنه يتعين على النقابات ، بوصفها اوسع منظمات البروليتاريا على الصعيد الطبقي ، والآن على وجه الضبط ، يتعين عليها بالفعل ، ولا سيما بعد الانقلاب السياسي الذي اعطى البروليتاريا السلطة ، يتعين عليها في مثل هذا الظرف على وجه الضبط ، ان تلعب دوراً كبيراً بخاصة ، يتعين عليها ان تشغل مكان الصدارة بالذات في السياسة ، يتعين عليها ان تصبح هيئة سياسية رئيسية بمعنى معين للكلمة ، لان جميع

المفاهيم القديمة والمقولات القديمة لهذه السياسية قد دحضها وقلبها رأساً على عقب الانقلاب السياسي الذي وضع مقاليد السلطة في يد البروليتاريا . فان الدولة القديمة كما بنتها وان خيرة الجمهوريات البرجوازية واوفرها ديموقراطية - اكرر قولي - لم تكن يوماً ولا يمكن ان تكون غير ديكتاتورية البرجوازية اي ديكتاتورية اولئك الذين يملكون المصانع وادوات الانتاج والارض والسكك الحديدية ، وبكلمة ، جميع الوسائل المادية ، جميع ادوات العمل التي ، بدون امتلاكها ، يبقى العمل في براثن العبودية .

ولهذا السبب بالذات ، عندما انتقلت السلطة السياسية الى يد البروليتاريا ، ترتب على النقابات ان تضطلع اكثر فاكثر بدور بناة سياسة الطبقة العاملة ، بدور اناس ينبغي ان تحل منظمة طبقتهم محل الطبقة الاستثمارية السابقة ، محطمة جميع التقاليد والاوهام القديمة للعلم القديم الذي قال للبروليتاريا على لسان احد العلماء : دبروا شؤونكم الاقتصادية ، اما السياسية فسوف يدبر شؤونها حزب العناصر البرجوازية (١٠٣) . وقد تبين ان كل هذا الوعظ كان اداة سافرة في يد طبقة المستثمرين وجلاديهم لاجل قمع البروليتاريا المنتقلة في كل مكان الى الانتفاضات والى الكفاح .

وهنا ، ايها الرفاق ، يتعين على النقابات في عملها على بناء الدولة ، ان تطرح مسألة جديدة تماماً ، هي مسألة «استدالة» النقابات ، حسبما اسميت هذه المسألة في مشروع القرار الذي اقترحته كتلة الشيوعيين . هنا يتعين على النقابات ان تمعن الفكر اكثر ما تمعن في واحد من اعمق واشهر الاقوال المأثورة لمؤسسي الشيوعية المعاصرة : «بقدر ما يزداد الانقلاب الجاري في المجتمع سعة وعمقاً ، بقدر ما لا بد ان يزداد عدد اولئك الذين يقومون بهذا الانقلاب ، والذين هم صانعو هذا الانقلاب بمعنى الكلمة الاصلي» (١٠٤) . خذوا مجتمع النبلاء والاقطاعيين القديم . في هذا المجتمع

كانت الانقلابات سهلة الى حد مضحك طالما كان المقصود انتزاع السلطة من حفنة من النبلاء او الاقطاعيين واعطاؤها لحفنة اخرى . خذوا المجتمع البرجوازي الذي يتباهى بالاقتـــــراع العام . اما في الواقع ، كما نعرف ، فان هذا الاقتراع العام ، كل هذا الجهاز يتحول الى خداع ، لان الاغلبية الساحقة من الشغيلة مظلومة ومكبوتة حتى في اكثر البلدان تقدماً وثقافة وديموقراطية ، - مكبوتة بالاشغال الشاقة الرأسمالية ، ولهذا لا تشترك عملياً في السياسة ولا يمكنها ان تشترك فيها . والآن يقع للمرة الاولى في تاريخ البشرية انقلاب يمكنه ان يؤدي الى انتصار الاشتراكية التام ، - ولكن شرط ان تعكف جماهير ضخمة جديدة على الادارة بصورة مستقلة . ان الانقلاب الاشتراكي لا يعني تغيير اشكال الدولة ، ولا الاستعاضـــــة عن المَلَكية بالجمهورية ، ولا اقتراعاً جديداً من قبل الناس يفترض اناساً «متساوين» تماماً ولكنه بالفعل تعتيـــم وتستير بارع لكون احدهم مالكاً والآخر معدماً . وما دامت هناك «ديموقراطية» وما دام الرأسمالي والبروليتاري يشتركان في هذا الاقتراع ، فان هذا من وجهة نظر اهل المجتمع البرجوازي ، انما هو «ارادة الشعب» ، انما هو «المساواة» ، انما هو الاعراب عن رغائبـــه . ونحن نعرف اي خداع خسيس هي هذه الاقاويل التي لا تستر غير الجلادين والقتلة من امثال ايبرت وشيدمان . ان سواد الشغيلـــة في المجتمـــع البرجوازي قد حكمتهم البرجوازية بهذه الاشكال او تلك ، باشكال اقل او اكثر ديموقراطية ، حكمتهم اقلية ، حكمهم مالكون يشاركون في الملكية الرأسمالية ، وحولوا التعليم والعلم ، حصن الحضارة الرأسمالية الاسمى ونخبتهـــا ، الى اداة للاستثمـــار ، الى احتكار ، لكي يبقوا اغلبية الناس الساحقة في براثن العبودية . وان الانقلاب الذي باشرناه ، والذي نقوم به منذ سنتين والذي وطدنا العزم على السير به الى النهايـــة (**تصفيق**) ، - هذا الانقلاب ممكن

وقابل للتحقيق شرط ان نحقق انتقال السلطة الى الطبقة الجديدة ، شرط ان تحل الطبقة الجديدة محل البرجوازية ، ومالكي العبيد الرأسماليين ، والمثقفين البرجوازيين ، وممثلي جميع المالكين ، جميع اصحاب الملكية ، في كل ميدان الادارة ، في كل مجال بناء الدولة ، في كل قضية توجيه الحياة الجديدة ، من اسفل الى اعلى . (**تصفيق** .)

هذه هي المهمة التي تواجهنا الآن . ان الانقلاب الاشتراكي لا يمكن ان يكون وطيداً الا متى تربت هذه الطبقة الجديدة ، لا من الكتب ، لا من الاجتماعات الحاشدة ، لا من الخطابات ، - بل من ممارسة حكمها ، الا متى اجتذبت الى هذا اوسع جماهير الشغيلة ، الا متى وضعت اشكالاً توفر لجميع الشغيلة امكانية التكيف بسهولة لامر تصريف شؤون الدولة وانشاء نظام للدولة ؛ واذا ما تحقق هذا الشرط ، فلا يمكن للانقلاب الاشتراكي ان لا يكون وطيداً . واذا تأمّن هذا الشرط ، فانه سيمثل قوة تدفع الرأسمالية الى الوراء مع جميع بقاياها كالقشة ، كالغبار .

هذه هي المهمة التي تواجهنا من وجهة النظر الطبقية ، اذا تكلمنا بصورة عامة ، كشرط للانقلاب الاشتراكي المظفر ، هذه المهمة التي تتلاصق مباشرة مع مهمة تلك المنظمات التي سعت ، حتى في اطار المجتمع الرأسمالي ، وراء اوسع ما يكون من النضال الجماهيري لاجل القضاء على المجتمع الرأسمالي . ولكن النقابات التي كانت من بين منظمات ذلك العهد اوسع المنظمات ، يمكنها ويجب عليها الآن ، مع بقائها منظمات مستقلة شكلاً ، كما تقول احدى موضوعات مشروع القرار المعروض عليكم ، ان تشترك اشتراكاً فعالاً في عمل السلطة السوفييتية عن طريق العمل مباشرة في جميع هيئات الدولة ، عن طريق تنظيم الرقابة الجماهيرية على اعمالها ، وما الى ذلك ، عن طريق انشاء هيئات جديدة للحساب والرقابة

وضبط كل الانتاج والتوزيع ترتكز على المبادرة المنظمة لاكثر جماهير الكادحين الواسعة مصلحة في ذلك .

في المجتمع الرأسمالي في خيرة الاحوال ، وفي اكثر البلدان تقدماً ، وبعد عشرات السنين ، وحتى احياناً بعد قرون من تطور الحضارة والثقافة لم يحدث يوماً لدى الديموقراطية البرجوازية ان ضمت النقابات اكثر من خمس العاملين الاجراء . كانت القمة الصغيرة تشترك فيها ، ومن هذه القمة كان قسم ضئيل فقط يغريه الرأسماليون ويرشونه لكي يشغل افراده في المجتمع الرأسمالي مكاناً لهم بصفتهم زعماء العمال . وكان الاشتراكيون الاميركيون ينعتون هؤلاء الافراد بانهم «متعهدون عمال في خدمة طبقة الرأسماليين» . فقد رأوا في بلد الثقافة البرجوازية الاوفر حرية والجمهورية الاوفر ديموقراطية ، افضل ما رأوا ، هذا الدور الذي تقوم به القمم الضئيلة من البروليتاريا ، التي دخلت عملياً في خدمة البرجوازية ، في نوبتها ، وكانت موضع رشوة وشراء من قبل البرجوازية ، وانشأت تلك الملاكات من الاشتراكيين-الوطنيين والدفاعيين الذين سيبقى ايبرت وشيدمان بطليهم الى الابد .

والوضع عندنا ، ايها الرفاق ، مغاير الآن . ففي استطاعة النقابات ان تباشر بناء الاقتصاد على صعيد الدولة بطريقة جديدة ، معتمدة على كل ما خلقته الثقافة الرأسمالية ، معتمدة على ما خلقه الانتاج الرأسمالي ، بانية الاشتراكية من هذه القاعدة المادية بالذات ، من ذلك الانتاج الكبير الذي كان ينيخ بكلكله علينا ، والذي انشئ ضدنا ، والذي تم اختلاقه لاجل اضطهاد جماهير العمال الى ما لا نهاية له ، ولكنه وحّدها وشد لحمتها وخلق بالتالي طليعة المجتمع الجديد . وهذه الطليعة اخذت ، بعد ثورة اكتوبر ، بعد انتقال السلطة الى البروليتاريا ، تتولى قضيتها الحقيقية ، اي تربية الجمهور المستثمَر الكادح ، واجتذابه الى ادارة الدولة ، الى ادارة

الانتاج بدون الموظفين ، بدون البرجوازية ، بدون الرأسماليين . ولهذا كان مشروع القرار المعروض عليكم ينبذ جميع الخطط البرجوازية وجميع هذه الخطابات والاقوال الغدارة . ولهذا السبب يقول مشروع القرار ان استدالة النقابات امر محتم لا مناص منه . ولكنه يخطو في الوقت نفسه خطوة الى الامام . فنحن لم نعد نكتفي بان نطرح الآن بصورة نظرية مسألة استدالة النقابات هذه . فقد خرجنا ، والحمد لله ، من ذلك الطور الذي كنا ننصرف فيه الى طرح هذه المسائل على بساط النقاش النظري وحسب . بل انه تسنى لنا ، اغلب الظن ، ان ننسى احياناً تلك الازمنة التي كنا ننصرف فيها الى مثل هذه المناقشات الحرة في موضوع نظري صرف . هذه الازمنة قد دفنت من زمان ، وهذه المسائل نطرحها الآن على اساس تجربة سنة واحدة من قيام النقابات بدورها كمنظَمة للانتاج ؛ ففي هذه السنة ، انشأت النقابات هيئات مثل المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ، واقترفت في هذا العمل ، في هذا العمل الصعب صعوبة لا تصدق ، طائفة من الاخطاء ولا تزال تقترف منها ، بالطبع ، على الدوام ، غير معيرة اي انتباه لهناف البرجوازية الحانق وقولها : هه ، شرع البروليتاريون يبنون ، هه ، واقترفوا الاخطاء .

ان البرجوازية تتصور انها حين اخذت زمام الامور من ايدي القيصر والنبلاء ، لم تقترف اي خطأ . وهي تتصور ان اصلاح عام ١٨٦١ الذي رمم صرح الاقطاعية ، وترك السلطة وكثرة من المداخيل في ايدي الاقطاعيين ، ان هذا الاصلاح قد جرى بملاسة ، وانه لم تقم الفوضى عندهم طوال عشرات السنين في روسيا . وليس هناك بلد لم يتهكم فيه السادة النبلاء من حديثي النعمة البرجوازيين ومن اللانبلاء الذين شرعوا يقومون بمهمة ادارة الدولة .

وغني عن البيان ان كل صفوة الانتلليجنسيا البرجوازية ، ومن الافضل القول ، كل زبدها ، يتهكم الآن هو ايضاً من كل خطأ تقترفه

السلطة الجديدة ولا سيما عندما تأتي للطبقة الجديدة ، من جراء مقاومة المستثمرين المسعورة ، من جراء زحف تحالف المستثمرين العالمي على بلد من اضعف البلدان واقلها استعداداً كما هي عليه روسيا ، - عندما تأتي لتحالف الشغيلة ان يقوم بانقلابه بسرعة محمومة ، وعندما تعين التفكير في جريان هذا الانقلاب بملاسة اقل مما في الطريقة التي تمكن من الصمود حتى تبدأ تستيقظ البروليتاريا الاوروبية الغربية . وهذه المهمة نفذناهـــا . وفي هذا الصدد ، نستطيع القول الآن ، ايها الرفاق ، اننا اسعد حظاً بمرار عديدة من قادة الثورة الفرنسية التي سحقهـــا تحالف البلدان المَلَكيـــة والمتخلفة ، والتي دامت سنة في شخص سلطة الفئات الدنيا من برجوازية ذلك الزمن ، والتي لم تستتبع في الحال حركة مماثلة في البلدان الاخرى ، والتي فعلت مع ذلك ، من اجل البرجوازية ، من اجل الديموقراطية البرجوازية ، الكثير بحيث ان كـــل تطور البشرية المتمدنة كلها في القرن التاسع عشر كله - بحيث ان كل شيء ينطلق من الثورة الفرنسية الكبرى ، وكل شيء مدين لها .

نحن اسعد حظاً بكثير . فان ما فعله قادة ذلك الزمن في سنة واحدة لاجل تطوير الديموقراطية البرجوازية ، قد فعلناه نحن ، في المدة ذاتها ، خلال هذه السنة المنصرمة ، بمقدار اكبر بكثير من اجل النظام البروليتاري الجديد ، وفعلناه بحيث ان الحركـــة في روسيا ، وهي التي بدأت ، لا بفضل مآثرنا ، بل بحكـــم اجتماع خاص من الملابسات ومن الظروف الخاصة التي وضعت روسيا بين العملاقين الامبرياليين في العالم المتمدن المعاصر ، - بحيث ان هذه الحركة وانتصار السلطة السوفييتية في السنة الجارية قد بلغا الآن النتيجة التالية ، وهي ان الحركة ذاتها اصبحت عالميـــة وانه تم تأسيس الاممية الشيوعية ، قد بلغا النتيجة التالية ، وهي ان شعارات الديموقراطية البرجوازية القديمة ومثلها العليا قد حطّمت ؛

وليس هناك الآن سياسي مدرك في العالم كله ، اياً كان حزبه ، بوسعه ان لا يرى ان الثورة الاشتراكية العالمية قد بدأت ، وانها تجري . (**تصفيق** .)

ايها الرفاق ، لقد خرجت قليلاً عن الموضوع حين تطرقت الى كوننا ، بابتعادنا كثيراً عن طرح المسألة نظرياً ، قد اقتربنا من حلها عملياً . وعندنا تجربة سنة اعطتنا الآن بالذات من النجاحات لاجل انتصار البروليتاريا وثورتها اكثر بما لا قياس له مما اعطته سنة من ديكتاتورية الديموقراطية البرجوازية في اواخر القرن الثامن عشر لاجل انتصار هذه الديموقراطية البرجوازيـــة في العالم كله . ولكننا في هذه السنة ، اكتسبنا ، علاوة على ذلك ، تجربة عملية ضخمة تتيح لنا ، ان لم يكن حساب كل خطوة من خطواتنـــا بدقة ، فعلى الاقل ، رسم وتيرة التطور ، سرعته ، ورؤية المصاعب العملية ، واتخاذ الخطوات العملية التي تؤدي من انتصار جزئي في امر الاطاحة بالبرجوازية الى انتصار جزئي آخر .

واننا اذ ننظر الى الوراء ، نرى اي اخطاء يتعين علينا اصلاحها ، ونرى بوضوح ما يجب علينا ان نبنيه ، وكيف يجب ان نبني لاحقاً . ولهذا لا يقتصر مشروع قرارنا على اعلان استدالة النقابـــات ، على الاعلان المبدئي لديكتاتورية البروليتاريا ، وذلك بحكم اننا ، كما تقول احدى فقرات مشروع القرار ، نمضي «لا مناص نحو اندماج المنظمات النقابية مع هيئات سلطة الدولة» ، – وهذا ما نعرفـــه نظرياً ايضاً ، وهذا ما رسمناه قبل اكتوبر ايضاً ، وهذا ما كان ينبغي رسمه من قبل ايضاً . ولكن هذا لا يكفي . فبالنسبة للحزب الذي اقترب كلياً من بناء الاشتراكية عملياً ، بالنسبة للنقابات التي قدمت هيئات لادارة الصناعة على صعيد روسيا بأسرها وعلى صعيد الدولة بأسرها ، والتي انشأت المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ،

والتي اكتسبت بآلاف الاخطاء آلاف العناصر من خبرتها التنظيمية بالذات ، لم يبق كنه المسألة الآن كما كان من قبل .

فالآن لم يعد يكفينا الاقتصار على اعلان ديكتاتورية البروليتاريا . فلا ندحة عن استدالة النقابات ، لا ندحة عن اندماجها في هيئات سلطة الدولة ، لا خدحة عن انتقال امر بناء الانتاج الكبير الى يدها كلياً . ولكن كل هذا لا يكفي .

ينبغي لنا كذلك ان نأخذ بالحسبان تجربتنا العملية ، لكي نأخذ بالحسبان الفرصة الاقرب ، الحالية . وهنا يكمن الآن كنه المهمة بالنسبة لنا . وهذه الفرصة يتناولها مشروع القرار حين يقول انه اذا ما حاولت النقابات الآن ان تأخذ على عاتقها اعتباطاً وظائف سلطة الدولة ، لما كان الحاصل غير اللخبطة . ولقد عانينا ما يكفي من هذه اللخبطة . وناضلنا كثيراً ضد تلك البقايا من النظام البرجوازي اللعين ، ضد تلك التطلعات المفعمة بروح الملكية الخاصة ، — ولا احد يعرف ما اذا كانت فوضوية او انانية ، — التي ترسبت عميقاً في نفوس العمال ايضاً .

ان العامل لم يكن يوماً مفصولاً عن المجتمع القديم بسور كسور الصين . وقد بقيت لديه كثرة من عناصر ذهنية المجتمع الرأسمالي التقليدية . ان العمال يبنون مجتمعاً جديداً دون ان يصبحوا اناساً جدداً انقياء من اوحال العالم القديم ، بل مع بقائهم غارقين حتى الركب في هذه الاوحال . فلا يبقى غير الحلم بنفض هذه الاوحال . وانه لمن اعمق الطوبويات ان يظن المرء انه يمكن فعل هذا على الفور . ان هذا سيكون طوبوية لا تؤدي عملياً الا الى استبعاد ملكوت الاشتراكية الى السماء .

كلا . ما هكذا نقبل على بناء الاشتراكية . فنحن نقبل عليه واقفين في تربة المجتمع الرأسمالي ، مكافحين جميع مظاهر الضعف والنواقص التي يعاني منها الشغيلة ايضاً والتي تجرّ البروليتاريا

الى اسفل . وفي هذا الكفاح ، توجـد كثرة من العادات والخبرات القديمة الانفصالية المفعمة بروح الملكية الخاصة ، ولا يزال يسري الشعار القديم القائل : «كل لنفسه والله للجميع» . ومن هذا كان يوجد ما يكفي ويزيد في كل نقابة ، في كل مصنع ؛ وكان كل مصنع لا يفكر الا في نفسه ؛ اما الباقي ، فليعتن به الرب وولاة الامور . وهذا رأيناه ، وهذا عانيناه بلحمنا ودمنا ، وهذا كلفنا من الاخطاء ، من الاخطاء الفادحة ما جعلنـــا نأخذ هذه الخبرة الآن بعين الاعتبار ونقول للرفاق : نحن نحذركم باقصى الحزم من جميع التصرفـــات الاعتباطية في هذا الميدان . ونحن نقول : ان هذا لن يكون بنـــاء الاشتراكية ، ان هذا سيعني اننا نستسلم جميعاً لمظاهر ضعف الرأسمالية .

لقد تعلمنا الآن كيف نأخذ بالحسبان كل صعوبة المهمة التي تواجهنا . نحن في مركز العمل الهادف الى بناء الاشتراكية ، ومن وجهة نظر مركز العمل هذا نعارض جميع التصرفات الاعتباطيـــة في هذا الميدان ، اياً كانت . ومن هذه التصرفات الاعتباطية يجب تحذير العمال الواعين . يجب القول : نحن لا نستطيع الآن ان ندمـــج النقابات دفعة واحدة في هيئات الدولة . فان هذا سيكون خطأ . وما هكذا تطرح المسألة .

فنحن نعرف الآن ان البروليتاريا قد قدمت بضعة آلاف ولربما بضع عشرات الآلاف من البروليتاريين للقيام بادارة الدولة . ونحن نعرف ان للطبقة الجديدة – البروليتاريا – ممثلين عنها الآن في كل فرع من فروع ادارة الدولة ، في كل رقعة من مؤسسة مجتمعة او بسبيل الجتمعة ، او في ميدان الاقتصاد . والبروليتاريا تعرف هذا . وقد باشرت العمل فعلاً ، وهي ترى الآن انه ينبغي مواصلة السير في هذا السبيل ذاته ، انه لا يزال ينبغي القيام بخطوات كثيرة قبل ان يصبح بالامكان القول : ان اتحادات الكادحين المهنية قد اندمجت

22*

نهائياً مع كل جهاز الدولة . ان هذا سيكون عندما يأخذ العمال في ايديهم نهائياً هيئات العنف لطبقة ضد اخرى . ان هذا سيكون ، ونحن نعرف هذا .

والآن نريد ان نركز كل انتباهكم على قضية عملية قريبة للغاية . يجب توسيع اشتراك الشغيلة انفسهم في ادارة الاقتصاد وفي بناء الانتاج الجديد ، يجب توسيعه ايضاً وايضاً . واذا لم نقم بهذه المهمة ، اذا لم نحول النقابات الى هيئات لتربية جماهير اوسع مما هي عليه الآن بعشر مرات لاجل الاشتراك مباشرة في ادارة الدولة ، — فاننا لن نسير بقضية البناء الشيوعي الى النهاية . وهذا نراه بوضوح . وهذا قيل في مشروع قرارنا ، والى هذه النقطة الاخيرة اود لو الفت انتباهكم اكثر ما الفت .

منذ ان حدث اعظم انقلاب في التاريخ ، منذ ان اخذت البروليتاريا في يدها زمام سلطة الدولة ، تمر النقابات باكبر انعطاف في نشاطها كله . فهي تصبح البانية الرئيسية للمجتمع الجديد ، لان بناة هذا المجتمع لا يمكن ان يكونوا غير الجماهير العديدة الملايين . وكما كان هؤلاء البناة يعدون بالمئات في عهد الاقطاعية ، وكما بنى الآلاف وعشرات الآلاف منهم الدولة في عهد الرأسمالية ، كذلك الآن لا يمكن تحقيق الانقلاب الاشتراكي الا بمشاركة عشرات الملايين مشاركة عملية مباشرة نشيطة في ادارة الدولة . ولقد مضينا نحو هذا ، ولكننا لم نبلغه بعد .

يجب على النقابات ان تعرف انه توضع الى جانب تلك المهام التي يوضع قسم منها وسقط قسمها الآخر ، والتي لا يمكن لها ، على كل حال ، حتى ولو بقيت ، الا ان تبقى مهام صغيرة بالنسبة لنا ، انه توضع الى جانب هذه المهام ، مهام الحساب واقرار المعدلات وتوحيد المنظمات ، مهمة اسمى واكبر قوامها تعليم الجمهور الادارة ، لا بالكتب ، لا بالمحاضرات ، لا بالاجتماعات الحاشدة ، بل

بالتجربة ، والعمل بحيث ترتفع الى مصف تلك الفئة الطليعية التي ابرزتها البروليتاريا من بيئتها والتي عهدت اليها بان تأمر وتنظم ، فئات من العمال اكبر فاكبر في هذه المصالح ، فئات من العمال جديدة وجديدة ابداً ، بحيث تقوم مقام هذه الفئات الجديدة عشرات من مثيلاتها . هذه المهمة تبدو ضخمة وشاقة . ولكن اذا ما تذكرنا بأية سرعة وفرت خبرة الثورة امكانية تنفيذ اضخم المهام المطروحة منذ اكتوبر ، وكيف اندفعت الى تحصيل المعرفة تلك الفئات من الكادحين التي كانت هذه المعرفة مستحيلة المنال عليها وغير لازمة لها ، واذا ما امعنا الفكر في هذا ، — فان هذه المهمة لا تعود تبدو لنا ضخمة .

اننا سوف نرى ان بمقدورنا اداء هذه المهمة ، ان بمقدورنا تعليم جماهير من الكادحين اكبر بما لا قياس له القيام بادارة الدولة وادارة الصناعة ، ان بمقدورنا القيام بنشاط عملي ، وتدمير ما ترسخ في جماهير العمال خلال قرون وعقود ، — اي تدمير ذلك الوهم الضار الزاعم ان امر ادارة الدولة انما هو شأن المميزين ، انما هو فن خاص . هذا غير صحيح . اننا سنقترف الاخطاء ولا مناص ، ولكن الذين سيتعلمون من كل خطأ لن يكونوا بعد الآن جماعات من الطلاب الذين يدرسون نظرياً منهاجاً ما في ادارة الدولة ، بل الملايين من الشغيلة الذين سيشعرون بانفسهم بعواقب كل خطأ ، ويرون بانفسهم انه تواجههم مهام عاجلة ، مهام حساب وتوزيع المنتوجات وزيادة انتاجية العمل ، ويرون بتجربتهم ان السلطة في ايديهم وانه ما من احد سيساعدهم اذا لم يساعدوا انفسهم بانفسهم ، — وهذه هي النفسية الجديدة التي تتكون في الطبقة العاملة ، وهذه هي المهمة الجديدة ذات الشأن التاريخي الهائل التي تواجه البروليتاريا والتي يجب ادخالها ، اكثر من اي شيء آخر ، في ادراك النقابات وقادة الحركة النقابية . فان النقابات ليست جمعيات مهنية وحسب . انها

الآن نقابات ، لانها موحدة ضمن الاطارات الممكنة الوحيدة المرتبطة بالرأسمالية القديمة ، ولانها توحد اكبر عدد من الشغيلة . اما مهمتها ، فتحريك هذه الملايين وعشرات الملايين من الشغيلة من نشاط بسيط الى نشاط اعلى ، دون ان تكل ابداً عن اغتراف فئات جديدة من احتياطي الشغيلة ، ودون ان تكل ابداً عن تحريكها نحو اصعب المهام ، وبالتالي تعويد جمهور اوسع فاوسع على ادارة الدولة ؛ والاندماج في نضال البروليتاريا التي اخذت الديكتاتورية في يدها وتمسك بها الآن امام العالم كله ، مجتذبة كل يوم في جميع البلدان فصيلة اثر فصيلة من العمال الصناعيين ومن الاشتراكيين ، الذين كانوا في الامس بالذات يصبرون على توجيهات الاشتراكيين-الخونة والاشتراكيين-الدفاعيين والذين يقتربون الآن اكثر فاكثر من راية الشيوعية والامية الشيوعية .

حمل هذه الراية ، وتوسيع صفوف بناة الاشتراكية بلا انقطاع في الوقت نفسه ، والتذكر ان مهام النقابات هي ان تكون بانية الحياة الجديدة ، ان تكون مربية الملايين وعشرات الملايين الجديدة من الشغيلة بحيث يتعلمون من تجربتهم عدم اقتراف الاخطاء ، ونبذ الاوهام القديمة ، بحيث يتعلمون من تجربتهم ادارة الدولة وادارة الانتاج – في هذا فقط ، تكمن الضمانة الاكيدة بان قضية الاشتراكية ستنتصر تماماً ، نافية كل امكانية للعودة الى الوراء .

صدر عام ١٩٢١ في كتاب «مؤتمر النقابات الثاني لعامة روسيا . محضر اختزالي»

المجلد ٣٧ ،
ص ص ٤٣٥ – ٤٥٣

رسالة الى عمال اوروبا واميركا

أيها الرفاق ! قلت في نهاية رسالتي الى العمال الاميركيين بتاريخ ٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٨ اننا في قلعة محاصرة طالما لم تهب لمساعدتنا جيوش اخرى للثورة الاشتراكية العالمية * . واضفت قائلاً ان العمال يقطعون صلتهم باشتراكييهم الخونة من امثال غومبرس ورينر ، ويقتربون ببطء ولكن بدأب من التكتيك الشيوعي والبلشفي .

مر اقل من ٥ اشهر على كتابة هذه الكلمات ولا بد من القول ان اختمار الثورة البروليتارية العالمية بسبب انتقال عمال مختلف البلدان الى الشيوعية والبلشفية جرى في هذا الوقت بسرعة فائقة .

آنذاك ، في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٨ ، كان حزبنا ، الحزب البلشفي ، هو وحده الذي قطع صلته بحزم مع الاممية القديمة ، الثانية ، العائدة لسني ١٨٨٩ - ١٩١٤ ، والتي افلست افلاساً مشيناً في اثناء الحرب الامبريالية ١٩١٤ - ١٩١٨ . وكان حزبنا هو وحده الذي انتقل كلياً الى درب جديد ، من الاشتراكية والاشتراكية-الديموقراطية اللتين شانتا نفسهما بتحالفهما مع البرجوازية النهابة

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ١٣٥ . الناشر .

الى الشيوعية ، من الاصلاحية البرجوازية الصغيرة والانتهازية اللتين كانت ولا تزال تتشرب بهما حتى مخ العظام الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية والاشتراكية الرسمية الى التكتيك البروليتاري والثوري حقاً .

والآن ، في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، اصبحنا نرى عدداً من الاحزاب البروليتارية الشيوعية ليس فقط في حدود امبراطورية القيصر السابقة ، في لاتفيا وفنلنده وبولونيا مثلاً ، وانما ايضاً في اوروبا الغربية ، في النمسا والمجر وهولندا واخيراً في المانيا . وعندما اقدم «اتحاد سبارتاك» الالماني ذو القادة المعروفين عالمياً والمشهورين عالمياً والانصار الامناء للطبقة العاملة ، من امثال ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وكلارا تسيتكين وفرانتس مهرينغ ، على قطع صلته نهائياً بالاشتراكيين من صنف شيدمان وزوديكوم ، بهؤلاء الاشتراكيين-الشوفينيين (الاشتراكيين بالاقوال والشوفينيين بالافعال) الذين شانوا انفسهم الى الابد بتحالفهم مع برجوازية المانيا الامبريالية النهابة ومع غليوم الثاني ، وعندما سمى «اتحاد سبارتاك» نفسه بـ«الحزب الشيوعي الالماني» ، - فان **تأسيس** اممية ثالثة بروليتارية حقاً واممية حقاً وثورية حقاً ، **الاممية الشيوعية** ، اصبح عندئذ **واقعاً** . هذا التأسيس لم يجر تثبيته رسمياً بعد ولكن الاممية الثالثة اصبحت الآن موجودة فعلاً .

ان جميع العمال الواعين وجميع الاشتراكيين المخلصين اصبحوا الآن يرون حتماً اية خيانة سافلة للاشتراكية ارتكبها اولئك الذين ايدوا برجوازية«هم» في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ، على غرار المناشفة و«الاشتراكيين-الثوريين» في روسيا ، على غرار شيدمان وزوديكوم في المانيا ، ورينوديل وفاندرفيلده في فرنسا ، وهندرسون وويب في بريطانيا وغومبرس وشركاه في اميركا . لقد فضحت هذه الحرب نفسها بنفسها تماماً بكونها حرباً امبريالية رجعية لصوصية سواء

من جانب المانيا او من جانب رأسماليي بريطانيا وفرنسا وايطاليا واميركا الذين بدأوا الآن يتنازعون على تقاسم الغنيمة المنهوبة ، على تقاسم تركيا وروسيا والمستعمرات الافريقية والبولينيزية والبلقان وغيرها . اما اقوال ويلسون و«الويلسونيين» المرائية عن «الديموقراطية» و«اتحاد الشعوب» فتنفضح بسرعة مدهشة عندما نرى استيلاء البرجوازية الفرنسية على ضفة الراين اليسرى واستيلاء الرأسماليين الفرنسيين والبريطانيين والاميركيين على تركيا (سوريا وما بين النهرين) وعلى اجزاء من روسيا (سيبيريا وارخانغلسك وباكو وكراسنوفودسك وعشق آباد وغيرها) ، – عندما نرى العداء المتزايد شدة بسبب تقاسم الغنيمة المنهوبة بين ايطاليا وفرنسا ، وبين فرنسا وبريطانيا ، وبين بريطانيا واميركا ، وبين اميركا واليابان .

والى جانب اولئك «الاشتراكيين» الجبناء ، المائعين ، المشربين حتى مخ العظام باوهام الديموقراطية البرجوازية ، الذين كانوا بالامس يدافعون عن حكومات«هم» الامبريالية ويكتفون اليوم بـ«الاحتجاجات» الافلاطونية على التدخل العسكري ضد روسيا ، – الى جانب هؤلاء يزداد في بلدان الوفاق عدد الناس الذين يسيرون في الدرب الشيوعي ، في درب ماكلين ودبس ولوريو ولادزاري وسيراتي ، هؤلاء الناس الذين ادركوا ان لا شيء يستطيع خنق الامبريالية وتأمين النصر للاشتراكية وضمان السلام الوطيد سوى اسقاط البرجوازية وهدم البرلمانات البرجوازية وسوى السلطة السوفييتية وديكتاتورية البروليتاريا .

آنذاك ، في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩١٨ ، كانت الثورة البروليتارية تقتصر على روسيا ، وكانت «السلطة السوفييتية» ، اي انحصار **كل** السلطة في الدولة في ايدي سوفييتات نواب العمال

والجنود والفلاحين ، لا تزال تبدو (بل كانت بالفعل) مؤسسة روسية فقط .

اما الآن ، في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، فنرى حركة «سوفييتية» جبارة لا في اجزاء من امبراطورية القيصر السابقة وحسب ، مثلاً في لاتفيا وبولونيا واوكرانيا ، وانما ايضاً في بلدان اوروبا الغربية وفي البلدان الحيادية (سويسرا ، هولنـــدا ، نروج) وفي البلدان التي عانت الحرب (النمسا ، المانيا) . فالثورة في المانيا – التي هي ذات اهمية خاصة ودلالة خاصة بوصفها من اكثر البلدان الرأسمالية تقدماً – اتخذت حالاً الاشكال «السوفييتية» . وان كل سير تطور الثورة الالمانية وخصوصـــاً نضال «السبارتاكيين» اي ممثلي البروليتاريا الحقيقيين والوحيدين ضد تحالف الاوغاد الخونة من اضراب شيدمان وزوديكوم مع البرجوازية ، – ان كل هذا يبين بوضوح كيف **طرح** التاريخ المسألة فيما يتعلق بالمانيا :

اما «السلطة السوفييتية» واما البرلمان البرجوازي مهما اتخذ من لافتات (مثل الجمعية «الوطنية» او «التأسيسية») .

هكذا طرح **التاريخ العالمي** المسألة . والآن يمكن ويجب قول هذا بدون اية مبالغة .

ان «السلطة السوفييتية» هي الخطوة ، او المرحلة التاريخية العالمية ، الثانية لتطور ديكتاتورية البروليتاريـــا . ولقد كانت كومونة باريس الخطوة الاولى . وبيّن تحليل ماركس العبقـــري لمضمون ومدلول هذه الكومونة في كتابه «الحرب الاهليـــة في فرنسا» ، ان الكومونة اوجدت **نمطاً جديداً** للدولـــة ، هو **الدولة البروليتارية** . ان كل دولة ، بما فيها الجمهورية الاوفر ديموقراطية ، ليست الا آلة قمع في ايدي طبقة ضد طبقة اخرى . اما الدولـــة البروليتارية فهي آلة قمع في يد البروليتاريا ضد البرجوازيـــة ، وهذا القمع ضروري بسبب تلك المقاومة المسعورة اليائسة غير

المتورعة عن شيء ، التي يبديها الملاكون العقاريون والرأسماليون ، كل البرجوازية وكل اعوانها ، كل المستغلين ، عندما تبدأ الاطاحة بهم ، عندما يبدأ انتزاع ملكية مغتصبي الملكية .

ان البرلمان البرجوازي ، حتى وان كان اكثر البرلمانات ديموقراطية في اكثر الجمهوريات ديموقراطية ، هو آلة في يد حفنة من المستغلين لقمع ملايين الكادحين ما دامت ملكية الرأسماليين وسلطتهم قائمة . ولقد كان على الاشتراكيين ، المناضلين لتحرير الكادحين من الاستغلال ، ان يستفيدوا من البرلمانات البرجوازية كمنبر ، كقاعدة من قواعد الدعاية والتحريض والتنظيم ، **طالما كان نضالنا محدوداً في اطار النظام البرجوازي** . اما الآن ، وقد طرح التاريخ العالمي في جدول الاعمال مسألة تحطيم كل هذا النظام واسقاط المستغلين وقمعهم والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، فان الاقتصار على البرلمانية البرجوازية والديموقراطية البرجوازية ، وتجميلها كـ«ديموقراطية» بوجه عام ، وطمس طابعها **البرجوازي** ، ونسيان ان الحق الانتخابي العام هو احدى ادوات الدولة البرجوازية ، ما دامت هناك ملكية الرأسماليين ، — ان هذا يعني الآن خيانة البروليتاريا خيانة شائنة والانتقال الى جانب عدوها الطبقي ، البرجوازية ، يعني الخيانة والارتداد .

ان الاتجاهات الثلاثة في الاشتراكية العالمية ، التي تتحدث عنها الصحافة البلشفية بلا كلل منذ سنة ١٩١٥ ، تتجلى الآن لنا بوضوح خاص في ضوء النضال الدامي والحرب الاهلية في المانيا .

ان كارل ليبكنخت اسم يعرفه عمال جميع البلدان . وهذا الاسم هو في كل مكان ، وخصوصاً في بلدان الوفاق ، رمز اخلاص القائد لمصالح البروليتاريا ، ورمز الوفاء للثورة الاشتراكية . هذا الاسم هو رمز النضال ضد الرأسمالية ، الصادق فعلاً ، المستعد فعلاً لكل تضحية ، الخالي من الشفقة . هذا الاسم هو رمز النضال

بلا مهادنة ضد الامبريالية لا بالاقوال بل بالافعال ، النضال المستعد للتضحية عندما بلد «المناضل» تأخذه نشوة الانتصارات الامبريالية . ان مع ليبكنخت و«السبارتاكيين» يسير كل ما بقي من شريف وثوري فعلاً بين اشتراكيي المانيا ، كل ما في البروليتاريا من فاضل ومؤمن ، كل جماهير المستغَلين التي يغلي فيها السخط ويزداد العزم على الثورة .

وضد ليبكنخت يقف اضراب شيدمان وزوديكوم وكل هذه العصابة من خدم القيصر والبرجوازية المحتقرين . انهم خونة للاشتراكية كاضراب غومبرس وفكتور برغر وهندرسون وويب ورينوديل وفاندرفيلده . انهم تلك الفئة العليا من العمال المباعين للبرجوازية الذين كنا نسميهم نحن البلاشفة (مطلقين هذه التسمية على امثال زوديكوم الروس ، المناشفة) «عملاء البرجوازية في الحركة العمالية» والذين اطلق عليهم خيرة اشتراكيي اميركا لقباً رائعاً من حيث قوة تعبيره وعمق صدقه وهو : "labor lieutenants of the capitalist class" «متعهدون عمال في خدمة طبقة الرأسماليين» . انه **احدث طراز** "moderne" من الخيانة الاشتراكية لان البرجوازية في جميع البلدان المتمدنة الطليعية تنهب – سواء بواسطة الاضطهاد الاستعماري او بواسطة تحصيل «المنافع» مالياً من الشعوب الضعيفة المستقلة شكلياً – تنهب سكاناً يزيد عددهم اضعافاً مضاعفة عن عدد سكان بلد«ها» هي . ومن هنا امكان «الارباح الفاحشة» الاقتصادي بالنسبة للبرجوازية الامبريالية واستخدام جزء من هذا الربح الفاحش لشراء الفئة العليا المعنية من البروليتاريا ولتحويلها الى برجوازية صغيرة اصلاحية انتهازية تخاف الثورة .

وبين السبارتاكيين والشيدمانيين يوجد «الكاوتسكيون» – انصار كاوتسكي المتذبذبون ، الضعاف النفوس ، «المستقلون»

بالقول ، **والتابعون** بالفعل كلياً وعلى طول الخط للبرجوازية والشيدمانيين اليوم وللسبارتاكيين غداً ، السائرون جزئياً وراء الاولين وجزئياً وراء الثانين ، الناس الذين ليس عندهم افكار ولا طبع ولا سياسة ولا شرف ولا ضمير ، الناس الذين هم تجسيد حي لحيرة البرجوازيين الصغار الضيقي الافق المؤيدين قولاً للثورة الاشتراكية والعاجزين فعلاً عن فهمها عندما بدأت والمدافعين بأسلوب المرتدين عن «الديموقراطية» بوجه عام ، اي المدافعين **بالفعل** عن الديموقراطية **البرجوازية** .

في كل بلد رأسمالي يستشف كل عامل مفكر ، حتى في الاوضاع المغايرة تبعاً للظروف القومية والتاريخية ، هذه الاتجاهات الاساسية الثلاثة بالذات سواء بين الاشتراكيين او بين السنديكاليين ، لان الحرب الامبريالية وبداية الثورة البروليتارية العالمية تولدان في العالم كله تيارات فكرية وسياسية متماثلة .

* * *

كتبت الاسطر السابقة قبل اغتيال كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ بوحشية وسفالة على يد حكومة ايبرت وشيدمان . ان هذين الجلادين اللذين يركعان بخنوع امام البرجوازية واللذين تركا الحرس الابيض الالماني ، كلاب حراسة الملكية الرأسمالية المقدسة ، يغتالون روزا لوكسمبورغ ويقتلون كارل ليبكنخت بدعوى «هربه» الواضحة الكذب (ان القيصرية الروسية عندما اغرقت بالدم ثورة ١٩٠٥ لجأت مرات كثيرة الى مثل هذا القتل بدعوى «هرب» المعتقلين الكاذبة ذاتها) ، — وفي الوقت نفسه تستر هذان الجلادان على الحرس الابيض بهيبة الحكومة زاعمين انها بريئة من كل ذنب وانها فوق الطبقات ! ليست في اللغة كلمات تفي بالمرام للتعبير عن كل نذالة وحطة هذه الجريمة التي ارتكبها اناس

يدعون بالاشتراكية . يبدو ان التاريخ قد اختار طريقاً يجب ان يصل فيه دور «المتعهدين العمال في خدمة طبقة الرأسماليين» الى «آخر حدود» الوحشية والحطة والنذالة . فليتحدث الحمقى الكاوتسكيون في جريدتهم «فريهيت» عن «المحكمة» المؤلفة من ممثلي «جميع» الاحزاب «الاشتراكية» (ان هذه النفوس الخنيعة لا تزال تسمي الجلادين من امثال شيدمان بالاشتراكيين) ! ان هؤلاء الابطال لغباوة الضيقي الافق ولجبن صغار البرجوازيين لا يفهمون حتى واقع ان المحكمة هي هيئة لسلطة الدولة وان النضال والحرب الاهلية في المانيا انما يجريان من اجل السلطة ولمعرفة في يد من ستكون : في يد البرجوازية التي «سيخدمها» اضراب شيدمان كجلادين ومدبرين لاعمال القتل والسلب واضراب كاوتسكي كمداحين «للديموقراطية الخالصة» ام في يد البروليتاريا التي ستسقط المستغلين الرأسماليين وتسحق مقاومتهم .

ان دماء خيرة ابناء الاممية البروليتارية العالمية ، زعيمي الثورة الاشتراكية العالمية الخالدين ، ستثير في جماهير جديدة وجديدة من العمال العزم الراسخ على النضال نضال حياة او موت . ولسوف يؤدي هذا النضال الى النصر . لقد عشنا نحن في روسيا ، صيف سنة ١٩١٧ ، «ايام تموز (يوليو)» (١٠٥) ، عندما اتخذ اضراب شيدمان الروس ، المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، من الدولة ستاراً غطوا به «انتصار» الحرس الابيض على البلاشفة ، عندما اغتال القوزاق في شوارع بتروغراد العامل فوينوف لتوزيعه منشورات بلشفية . ونعرف من خبرتنا بأية سرعة تشفي «انتصارات» البرجوازية وخدمها هذه الجماهير من اوهام الديموقراطية البرجوازية و«الاقتراع العام» وما اشبه .

* * *

يلاحظ الآن بعض التردد في اوساط البرجوازية وحكومات الوفاق . فبعضهم يرى ان تفسخاً قد بدأ في قوات الحلفاء في روسيا ، التي تساعد الحرس الابيض وتخدم اشد الرجعية المَلَكية والاقطاعية اسوداداً ، وان استمرار التدخل العسكري ومحاولات قهر روسيا ، التي تتطلب جيش احتلال مؤلفاً من مليون شخص ولمدة طويلة ، هو اضمن طريق لنقل الثورة البروليتارية بأسرع ما يمكن الى بلدان الوفاق . ومثال قوات الاحتلال الالمانية في اوكرانيا مقنع الى حد كاف .

والجزء الآخر من البرجوازية في بلدان الوفاق لا يزال ينادي بالتدخل العسكري في روسيا و«بالتطويق الاقتصادي» (كليمانسو) وخنق الجمهورية السوفييتية . وكل الصحف التي تخدم هذه البرجوازية ، اي اكثرية صحف بريطانيا وفرنسا اليومية المباعة للرأسماليين ، تتنبأ بانهيار السلطة السوفييتية السريع وتبالغ في وصف اهوال المجاعة في روسيا وتكذب فيما يتعلق «بالاضطرابات» و«عدم متانة» الحكومة السوفييتية . فقوات الحرس الابيض والملاكين العقاريين والرأسماليين التي تساعدها بلدان الوفاق بالضباط والقذائف والاموال والفصائل المساعدة ، تقطع مركز روسيا وشمالها الجائعين عن اخصب مناطق الحبوب ، عن سيبيريا والدون .

ان نكبات العمال الجائعين في بتروغراد وموسكو وفي ايفانوفو-فوزنيسينسك وغيرها من المراكز العمالية كبيرة حقاً . وما كان بوسع الجماهير العاملة ان تتحمل قط مثل هذه النكبات ومثل آلام الجوع هذه التي يسببها لها التدخل العسكري لبلدان الوفاق (التدخل الذي كثيراً ما تستره هذه البلدان بالوعود المرائية بعدم ارسال قوات«ها» مع استمرار ارسال «ذوي البشرة السوداء» والقذائف والاموال والضباط) ، - ما كان بوسع الجماهير ان تتحمل

هذه النكبات لو لم يدرك العمال انهم يدافعون عن قضية الاشتراكية في روسيا وفي العالم بأسره على السواء .

ان ارخانغلسك وبيرم واورينبورغ وروستوف على الدون وباكو وعشق آباد في ايدي القوات «الحليفة» وقوات الحرس الابيض ، ولكن «الحركة السوفييتية» استولت على ريغا وخاركوف . وتصبح لاتفيا واوكرانيا جمهوريتين سوفييتيتين . ويرى العمال ان التضحيات الجسام التي يقدمونها لن تذهب سدى وان انتصار السلطة السوفييتية يأتي ويتسع وينمو ويشتد في العالم كله . وكل شهر من النضال الشاق والتضحيات الجسيمة يعزز قضية السلطة السوفييتية في العالم كله ويضعف اعداءها ، المستغِلين .

لا يزال في ايدي المستغِلين ما يكفي من القوة لقتل واغتيال خيرة قادة الثورة البروليتارية العالمية ، ولتشديد تضحيات وآلام العمال في البلدان والمناطق المحتلة او المستولى عليها . ولكن ليس عند المستغِلين في العالم كله ما يكفي من القوة لمنع انتصار الثورة البروليتارية العالمية التي تحرر البشرية من نير الرأسمال ومن الخطر الازلي ، خطر الحروب الامبريالية الجديدة والمحتومة في ظل النظام الرأسمالي .

ن . لينين

٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩

«البرافدا» ، العدد ١٦ ، و «ازفيستيا فتسيك» («انباء اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا») ، العدد ١٦ ، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩

المجلد ٣٧ ، ص ص ٤٥٤ ـ ٤٦٢

موضوعات وتقرير عن الديموقراطية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا (٤ آذار-مارس) في المؤتمر الاول للاممية الشيوعية المنعقد في ٢-٦ آذار ١٩١٩

١ - ان نمو الحركة الثورية للبروليتاريا في جميع البلدان قد اثار محاولات يائسة من جانب البرجوازية وعملائها في المنظمات العمالية من اجل ايجاد حجج فكرية سياسية للدفاع عن سيطرة المستثمرين . وبين هذه الحجج يشغل شجب الديكتاتورية والدفاع عن الديموقراطية مكاناً خاصاً . ان بطلان ورياء هذه الحجة المرددة في الصحافة الرأسمالية بالف شكل ولون ، وفي المؤتمر الذي عقدته الاممية الصفراء في برن في شهر شباط (فبراير) ١٩١٩ ، واضحان كلياً لكل من يود ان يبقى اميناً للمبادئ الاساسية للاشتراكية .

٢ - بادئ بدء ، يتذرع اصحاب هذه الحجة بمفهومي «الديموقراطية بوجه عام» و«الديكتاتورية بوجه عام» ، دون ان يذكروا اية طبقة يقصدون . ان طرح القضية على هذا النحو ، من وجهة نظر الامة كلها ، كما يزعمون ، خارج الطبقات او فوقها ، انما هو هزء صريح بالمذهب الاساسي للاشتراكية ، بمذهب النضال الطبقي بالضبط ، الذي يعترف به قولاً الاشتراكيون الذين انتقلوا الى جانب البرجوازية ، ولكن ينسونه فعلاً . لان ما هو قائم في جميع البلدان الرأسمالية المتمدنة ، ليس «الديموقراطية بوجه عام» ، بل الديموقراطية البرجوازية ؛ وليس المقصود «الديكتاتورية

بوجه عام» ، بل ديكتاتورية الطبقة المضطهَدة ، اي البروليتاريا ، على المضطهِدين والمستثمِرين ، اي البرجوازية ، من اجل التغلب على المقاومة التي يبديها المستثمِرون دفاعاً عن سيطرتهم .

٣ – ان التاريخ يعلمنا انه ما من طبقة مضطهَدة توصلت يوماً او كان باستطاعتها ان تتوصل الى السيطرة ، دون ان تمر بمرحلة من الديكتاتورية ، اي مرحلة الظفر بالسلطة السياسية والتحطيم بالقوة لاكثر وجوه المقاومة ضراوة ويأساً ، المقاومة التي لا تتورع عن ارتكاب اية جريمة ، والتي ابداها المستثمِرون دائماً . فان البرجوازية التي يدافع اليوم عن سيطرتها الاشتراكيون الذين يهبون ضد «الديكتاتورية بوجه عام» ويتشدقون «بالديموقراطية بوجه عام» قد ظفرت بالسلطة في البلدان المتقدمة عن طريق جملة من الانتفاضات والحروب الاهلية ، وسحق الملوك والاقطاعيين ومالكي العبيد بالقوة والقضاء على محاولاتهم للعودة . والوف وملايين المرات ، شرح الاشتراكيون في جميع البلدان للشعب الطابع الطبقي لهذه الثورات البرجوازية ، لهذه الديكتاتورية البرجوازية ، في كتبهم وكراريسهم ، في قرارات مؤتمراتهم ، في خطبهم التحريضية . ولهذا فان الدفاع اليوم عن الديموقراطية البرجوازية بخطب عن «الديموقراطية بوجه عام» ، ولعن ديكتاتورية البروليتاريا بالصياح والزعيق ضد «الديكتاتورية بوجه عام» ، انما يعنيان خيانة الاشتراكية صراحة ، والانتقال فعلاً الى جانب البرجوازية ، وانكار حق البروليتاريا في القيام بثورتها هي ، البروليتارية ، والدفاع عن الاصلاحية البرجوازية في اللحظة التاريخية التي افلست فيها هذه الاصلاحية في العالم بأسره واسفرت فيها الحرب عن نشوء وضع ثوري .

٤ – ان جميع الاشتراكيين ، اذ اوضحوا الطابع الطبقي للحضارة البرجوازية والديموقراطية البرجوازية والبرلمانية

البرجوازيـــة ، قد عبّروا عن الفكرة التي اعرب عنهـا ماركس وانجلس باقصى الدقـة العلمية بقولهمـا ان اوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية ليست سوى آلة لقمع الطبقة العاملـة من جانب البرجوازية ، لقمع سواد الشغيلة من جانـب حفنـة من الرأسماليين (١٠٦) . وليس ثمة ثوري واحد ، ولا ماركسي واحد ، بين اولئك الذين يرفعون الصوت اليوم ضد الديكتاتورية ومن اجـل الديموقراطية ، لم يقسم الايمان المغلظة امام العمال بانه يقر بهذه الحقيقة الاساسية للاشتراكية ؛ اما الآن ، والبروليتاريا الثوريـة آخذة في الاختمار والحركة الهادفة الى تحطيم آلة الاضطهاد هذه والى الظفر بديكتاتورية البروليتاريا ، فيصور خونة الاشتراكيـة هؤلاء الامور بصورة تحمل على الاعتقاد بان البرجوازية وهبت الشغيلـة «الديموقراطية الخالصة» ، واقلعت عن المقاومـة ، انها مستعدة للخضوع لاغلبية الشغيلة ، وانه ليست ثمة في اية جمهوريـة ديموقراطية ولم تكن ثمة اية آلـة دولة لقمع العمل من قبـل الرأسمال .

٥ – ان كومونة باريس ، التي يجلّها قولاً جميع اولئك الذين يريدون ان يظهروا بمظهر الاشتراكيين ، لانهم يعرفون ان الجماهير العمالية تكنّ لها عطفاً حاراً وصادقاً ، قد بينت بوضوح بالغ مـا تتسم به البرلمانية البرجوازية والديموقراطية البرجوازية من نسبية تاريخية وقيمة محدودة ، وهما مؤسستان تقدميتـان الى حد كبير بالنسبة لمؤسسات القرون الوسطى ، ولكنهما تتطلبان بالضرورة تحويلاً جذرياً في عهد الثورة البروليتاريـة . ان ماركس الذي كان خير من قدر اهمية الكومونة التاريخية ، عند تحليله لها ، هو الذي برهن على الطابع الاستثماري للديموقراطية البرجوازية والبرلمانية البرجوازية ، حيث تحصل الطبقات المضطهَدة على حق البت مرة كل عدة سنوات في الامر التالي : اي ممثل للطبقات المالكة «سيمثـل

ويقمع» (ver-und zertreten) الشعب في البرلمان (١٠٧) . وفي هذه الفترة التي تشمل فيها الحركة السوفييتية العالم كله وتواصل عمل الكومونة امام عيون الجميع ، في هذه الفترة بالذات ، ينسى خونة الاشتراكية تجربة كومونة باريس الملموسة ودروسها الملموسة ويستعيدون العبارات والاقوال البرجوازية المبتذلة القديمة عن «الديموقراطية بوجه عام» . ان الكومونة لم تكن مؤسسة برلمانية .

٦ – ثم ان اهمية الكومونة تتلخص في انها حاولت ان تسحق ، ان تحطم كلياً جهاز الدولة البرجوازي – الدواويني ، والقضائي ، والعسكري ، والبوليسي – وتستعيض عنه بمنظمة جماهيرية للعمال ذات ادارة ذاتية ، ولا تعرف فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية . وبجهاز الدولة هذا لا تزال تحتفظ جميع الجمهوريات الديموقراطية البرجوازية المعاصرة ، بما فيها الجمهورية الالمانية التي يسميها خونة الاشتراكية بروليتارية سخراً بالحقيقة . وهكذا يثبت مرة اخرى وبكل وضوح ، ان الصيحات من اجل «الديموقراطية بوجه عام» ليست في الواقع الا دفاعاً عن البرجوازية وامتيازاتها الاستثمارية .

٧ – ان «حرية الاجتماعات» يمكن اتخاذها مثالاً على مطالب «الديموقراطية الخالصة» . ان كل عامل واع لم يقطع الصلة بطبقته سيدرك في الحال انه من السخف وعد المستثمِرين بحرية الاجتماع في فترة وفي احوال يقاوم فيها هؤلاء المستثمِرون امر اسقاطهم ويدافعون فيها عن امتيازاتهم . فان البرجوازية ، عندما كانت ثورية ، لم تمنح قط ، لا في انجلترا عام ١٦٤٩ ، ولا في فرنسا عام ١٧٩٣ ، «حرية الاجتماعات» للمَلَكيين والنبلاء الذين كانوا يستنجدون بالجيوش الاجنبية و«يجتمعون» قصد تنظيم المحاولات للعودة . واذا كانت البرجوازية الحالية ، التي صارت رجعية منذ زمن بعيد ، تطالب البروليتاريا بان تضمن سلفاً «حرية الاجتماعات»

للمستثمِرين ، دون اي اعتبار للمقاومة التي سيبديها هؤلاء الرأسماليون بوجه مصادرة املاكهم ، فليس للعمال الا ان يضحكوا ويسخروا من رياء البرجوازية .

ومن جهة اخرى ، يعرف العمال جيداً جداً ان «حرية الاجتماعات» ، حتى في اوفر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية ، هي تعبير اجوف لا معنى له ، اذ ان الاغنياء يتصرفون بخيرة المباني العامة والخاصة ، وعندهم اوقات الفراغ الضروري للاجتماع ، كما تُضمن الحماية لهذه الاجتماعات من جانب جهاز السلطة البرجوازي . اما بروليتاريو المدن والارياف والفلاحون الصغار ، اي الاغلبية الساحقة من السكان ، فانهم لا يملكون لا الاول ولا الثاني ولا الثالث . وما دام الحال هكذا ، فان «المساواة» ، اي «الديموقراطية الخالصة» ستظل مجرد خداع . فلاجل الظفر بالمساواة الحقيقية ، لاجل تحقيق الديموقراطية فعلاً للشغيلة ، ينبغي اولاً انتزاع جميع المباني العامة والدور الخاصة الفخمة من المستثمِرين ؛ ينبغي اولاً اعطاء الشغيلة اوقات فراغ ؛ ينبغي ان تكون حرية اجتماعاتهم في حماية عمال مسلحين ، لا في حماية نبلاء او في حماية ضباط رأسماليين مع جنود مخبلين مظلومين .

وبعد هذا التحول فقط يمكن الحديث عن حرية الاجتماعات وعن المساواة ، دون الهزء بالعمال والشغيلة والفقراء . ولكن ، من ذا الذي يستطيع تحقيق هذا التحول ، ان لم تكن طليعة الشغيلة ، البروليتاريا ، التي تسقط المستثمِرين ، البرجوازية ؟

٨ – ان «حرية الصحافة» هي ايضاً من اكبر الشعارات الرئيسية «للديموقراطية الخالصة» . وهنا ايضاً يعرف العمال – وقد اعترف بذلك الاشتراكيون في جميع البلدان ملايين المرات – ان هذه الحرية ليست سوى خداع ، طالما يستأثر الرأسماليون بخيرة المطابع وبأضخم مخزونات الورق ، وطالما تبقى سلطة الرأسمال

على الصحافة ، وهي سلطة تتجلى في العالم بأسره بمزيد من الوضوح والجلاء والوقاحة بقدر ما يكون النظام الديموقراطي والنظام الجمهوري اكثر تطوراً ، كما في اميركا مثلاً . فلاجل الظفر بالمساواة الحقيقية والديموقراطية الحقيقية للشغيلة ، للعمال والفلاحين ، يجب اولاً ان تنزع من الرأسمال امكانية استئجار الكتاب وشراء دور النشر ورشوة الصحف ؛ ولهذا يجب دك نير الرأسمال ، واسقاط المستثمرين ، وقمع مقاومتهم . ان الرأسماليين كانوا دائماً يطلقون اسم «الحرية» على حرية الاغنياء في الاثراء وعلى حرية العمال في الموت جوعاً . ان الرأسماليين ينعتون بحرية الصحافة حرية الاغنياء في رشوة الصحف وحريتهم في استخدام ثرواتهم لتلفيق وتزوير ما يسمى الرأي العام . ومرة اخرى ، نرى المدافعين عن «الديموقراطية الخالصة» يتولون في الواقع الدفاع عن النظام الاكثر قذارة وارتشاء ، نظام سيطرة الاغنياء على وسائل تثقيف الجماهير ؛ وهم الذين يخدعون الشعب ويصرفونه بجمل جميلة مضللة وكاذبة كلياً عن المهمة التاريخية الملموسة القاضية بتحرير الصحافة من عبوديتها للرأسمال . ولن تكون ثمة حرية حقيقية ومساواة حقيقية الا في ظل النظام الذي يعمل الشيوعيون الآن على بنائه ، والذي سيستحيل فيه الاثراء على حساب الغير ؛ والذي ستزول فيه الامكانية الموضوعية لاخضاع الصحافة ، مباشرة وبصورة غير مباشرة ، لسلطة المال ؛ والذي لن يمنع فيه شيء الشغيل (او جماعة من الشغيلة مهما كان عددهم) من امتلاك وممارسة الحق المتساوي في استخدام المطابع العامة ومخزونات الورق التي تخص المجتمع .

٩ – ان تاريخ القرنين التاسع عشر والعشرين قد بيّن لنا ، منذ ما قبل الحرب ، ما هي عليه في الواقع هذه «الديموقراطية الخالصة» المزعومة في ظل النظام الرأسمالي . ان الماركسيين قد

رددوا دائماً انه بقدر ما تكون الديموقراطية اكثر تطوراً و«نقاوة» ، بقدر ما يزداد النضال الطبقي حدة وضراوة وعنفاً ، ويتجلى نير الرأسمال وديكتاتورية البرجوازية بمزيد من «الحرية» . ان قضية دريفوس في فرنسا الجمهورية ، واعمال القمع الدامية التي ترتكبها فصائل المرتزقة الذين يسلحهم الرأسماليون ويطلقونهم على المضربين في جمهورية اميركا الحرة والديموقراطية ، — ان هذه الوقائع والآلاف من الوقائع المماثلة الاخرى تكشف الحقيقة التي تحاول البرجوازية اخفاءها عبثاً وهي انه يسود بالفعل في اوفر الجمهوريات ديموقراطية ارهاب وديكتاتورية البرجوازية اللذان يظهران على المكشوف كلما خُيّل للمستثمِرين ان سلطة الرأسمال تترنح وتتداعى .

١٠ — ان الحرب الامبريالية في ١٩١٤ — ١٩١٨ قد بينت نهائياً ، حتى للعمال المتأخرين ، هذا الطابع الحقيقي للديموقراطية البرجوازية ، حتى في اكثر الجمهوريات حرية ، بوصفه طابع ديكتاتورية البرجوازية . فلاغنياء جماعة المانية او انجليزية من اصحاب الملايين او من اصحاب المليارات ، قتل عشرات الملايين من الناس وفرضت الديكتاتورية العسكرية للبرجوازية في اكثر الجمهوريات حرية . وهذه الديكتاتورية العسكرية لا تزال قائمة ، حتى بعد هزيمة المانيا ، في دول الوفاق . ان الحرب على وجه الضبط هي التي فتحت عيون الشغيلة اكثر من غيرها وانتزعت عن الديموقراطية البرجوازية بهرجها ؛ وبينت للشعب جحيم المضاربة والربح ابان الحرب وبفضل الحرب . فباسم «الحرية والمساواة» قامت البرجوازية بهذه الحرب ؛ وباسم «الحرية والمساواة» جنى تجار الاسلحة والمستلزمات الحربية ثروات اسطورية . ان كل جهود اممية برن الصفراء لن تستطيع ان تخفي عن الجماهير الطابع

الاستثماري ، المفضوح الآن الى النهاية ، للحرية البرجوازية ، والمساواة البرجوازية ، والديموقراطية البرجوازية .

١١ – وفي المانيا ، البلد الرأسمالي الاكثر تطوراً في اوروبا القارية ، كانت الاشهر الاولى من الحرية الجمهورية التي جاءت بها هزيمة المانيا الامبريالية قد بينت للعمال الالمان والعالم بأسره الطبيعة الطبقية الحقيقية للجمهورية الديموقراطية البرجوازية . ان اغتيال كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ حدث تاريخي عالمي الاهمية ، لا بسبب من الموت الفاجع الذي لقيه زعيما الاممية الشيوعية ، البروليتارية حقاً وخيرا ممثليها ، وحسب ، بل ايضاً لانه كشف الى النهاية الجوهر الطبقي لدولة متقدمة في اوروبا ، وحتى ، – يمكن القول بلا مبالغة ، – لدولة متقدمة على النطاق العالمي . فاذا امكن لنفر من الضباط والرأسماليين قتل اناس معتقلين ، اي كانوا في حماية سلطة الدولة ، وقتلهم بلا عقاب ، في عهد حكومة الاشتراكيين-الوطنيين ، فذلك يعني ان الجمهورية الديموقراطية التي امكن ان يحدث فيها مثل هذا الحدث هي ديكتاتورية للبرجوازية . ان الذين يعربون عن استيائهم واستنكارهم لاغتيال كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ ، ولكنهم لا يدركون هذه الحقيقة ، لا يبدون بالتالي غير غباوتهم او نفاقهم . ان «الحرية» في جمهورية من اوفر الجمهوريات حرية واكثرها تقدماً في العالم ، الجمهورية الالمانية ، هي حرية قتل زعماء البروليتاريا المعتقلين ، حرية قتلهم بلا عقاب . ولا يمكن ان يكون الحال غير ذلك ما دامت الرأسمالية قائمة ، لان تطور الديموقراطية لا يثلم النضال الطبقي ، بل يزيد حدته ، وقد بلغ الآن هذا النضال نقطة الغليان اثر جميع نتائج الحرب وتأثيراتها وعواقبها .

وفي كل العالم المتمدن ، يلجأون الآن الى نفي البلاشفة ، ويلاحقونهم ، ويسجنونهم ، كما يحدث في سويسرا مثلاً ، وهي من

اوسع الجمهوريات البرجوازية حرية ؛ وفي اميركا ، ينظمون المذابح ضد البلاشفة ، الخ . . فمن وجهة نظر «الديموقراطية بوجه عام» او «الديموقراطية الخالصة» ، نرى من المضحك حقاً ان تخشى بلدان متمدنة ، متقدمة ، ديموقراطية ، مدججة بالاسلحة ، وجود بضع عشرات من الناس قدموا من روسيا المتأخرة الجائعة الخربة ، من روسيا التي تقول عنها الصحف البرجوازية الصادرة بعشرات الملايين من النسخ ، بانها متوحشة ، مجرمة ، الخ . . بديهي ان الاوضاع الاجتماعية التي آلت الى نشوء تناقض صارخ كهذا ، ليست في الواقع غير ديكتاتورية البرجوازية .

١٢ – في هذا الوضع ، ليست ديكتاتورية البروليتاريا شرعية تماماً وحسب ، بوصفها اداة لاسقاط المستثمِرين وسحق مقاومتهم ، بل انها ايضاً ضرورية لا غنى عنها لكل سواد الشغيلة بوصفها الوسيلة الوحيدة للدفاع ضد ديكتاتورية البرجوازية التي قادت الى الحرب وتحضّر حروباً جديدة .

ان النقطة الرئيسية التي لا يدركها الاشتراكيون والتي تثبت قصر نظرهم في حقل النظرية وخضوعهم للاوهام البرجوازية وخيانتهم السياسية ازاء البروليتاريا هي انه لا يمكن ان يكون شيء وسط بين ديكتاتورية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا في المجتمع الرأسمالي ما ان يتفاقم لدرجة خطيرة نوعاً النضال الطبقي الذي يكمن في اساس هذا المجتمع . ان كل حلم بشيء ثالث ليس سوى عويل رجعي يطلقه برجوازي صغير . والدليل على ذلك ايضاً ، تجربة تطور دام اكثر من قرن ومرت به الديموقراطية البرجوازية والحركة العمالية في جميع البلدان المتقدمة ، وبخاصة تجربة السنوات الخمس الاخيرة . وهذا ما يعلمه ايضاً كل علم الاقتصاد السياسي وكل محتوى الماركسية التي توضح حتمية ديكتاتورية البرجوازية من الناحية الاقتصادية في كل اقتصاد بضاعي ، وهي

ديكتاتورية لا يمكن ان يحل محلها غير طبقة يطورها ويكثرها ويحشدها ويقويها تطور الرأسمالية نفسه ، عنيت بها طبقة البروليتاريين .

١٣ – وهناك خطأ نظري وسياسي آخر يقع فيه الاشتراكيون وهو انهم لا يدركون ان اشكال الديموقراطية قد توالت على الدوام خلال آلاف السنين ، منذ اولى بذورها في الازمان الغابرة ، بقدر ما كانت طبقة سائدة تحل محلها طبقة اخرى . ففي جمهوريات اليونان القديمة ، وفي مدن القرون الوسطى ، وفي البلدان الرأسمالية المتقدمة ، تتخذ الديموقراطية اشكالاً شتى وتبلغ درجات متنوعة من حيث التطبيق . فمن الخرق اطلاقاً الاعتقاد ان اعمق ثورة في تاريخ الانسانية ، انتقال السلطة لاول مرة في العالم من ايدى اقلية من المستثمِرين الى ايدي اغلبية من المستثمَرين ، يمكن ان يتم في ذلك النطاق القديم ، نطاق الديموقراطية البرجوازية ، البرلمانية ، القديمة ، دون انقلابات جذرية ودون نشوء اشكال جديدة للديموقراطية ، ومؤسسات جديدة تجسد الظروف الجديدة لتطبيقها ، الخ . .

١٤ – ان ديكتاتورية البروليتاريا تشبه ديكتاتورية الطبقات الاخرى ، بكونها تنجم ، ككل ديكتاتورية ، عن ضرورة استعمال القوة لقمع مقاومة الطبقة التي تفقد سيطرتها السياسية . اما الفرق الجذري بين ديكتاتورية البروليتاريا وديكتاتورية الطبقات الاخرى – ديكتاتورية الاقطاعيين في القرون الوسطى ، ديكتاتورية البرجوازية في جميع البلدان الرأسمالية المتمدنة ، – فهو ان ديكتاتورية الاقطاعيين والبرجوازية كانت تقمع بالقوة مقاومة الاغلبية الساحقة من السكان ، اي الشغيلة . اما ديكتاتورية البروليتاريا فهي على العكس تقمع بالقوة مقاومة المستثمِرين ، اي انها تقمع اقلية ضئيلة من السكان ، الملاكين العقاريين والرأسماليين .

ينجم اذن انه لا بدّ لديكتاتورية البروليتاريا ان تؤدي لا الى تغيير للاشكال والمؤسسات للديموقراطية بوجه عام وحسب ، بل ايضاً الى تغيير لها من شأنه ان يتيح توسعاً لا مثيل له في العالم في التمتع الفعلي بالديموقراطية من قبل الطبقات التي تضطهدها الرأسمالية ، من قبل الطبقات الكادحة .

وبالفعل ، ان شكل ديكتاتورية البروليتاريا ، الذي صيغ في الواقع ، اي سلطة السوفييت في روسيا ، وRäte-System في المانيا ، و Shop Stewards Committees وغيرها من المؤسسات السوفييتية المماثلة في بلدان اخرى ، انما يعني ويوفر للطبقات الكادحة على وجه الضبط ، اي لاغلبية السكان الساحقة ، الامكانية العملية للتمتع بالحقوق والحريات الديموقراطية ، وهي امكانية لم توجد قط فيما مضى ، حتى بصورة تقريبية ، في خيرة الجمهوريات البرجوازية واوفرها ديموقراطية .

ان جوهر سلطة السوفييت يتلخص في ان الاساس الدائم والوحيد لكل سلطة الدولة ولكل جهاز الدولة ، هو التنظيم الواسع النطاق لتلك الطبقات بالضبط ، التي كانت تضطهدها الرأسمالية ، اي للعمال وانصاف البروليتاريين (الفلاحين الذين لا يستثمِرون عمل الغير ويلجأون على الدوام الى بيع قسم على الاقل من قوة عملهم) . ان هذه الجماهير التي كانت مع تمتعها بالمساواة في الحقوق بموجب القانون ، معزولة فعلاً ، بالف احبولة ومناورة ، عن الاشتراك في الحياة السياسية ، عن ممارسة الحقوق والحريات الديموقراطية حتى في اكثر الجمهوريات البرجوازية ديموقراطية ، انما هي مدعوة الآن للاسهام بقسط دائم ، الزامي ، بل حاسم ، في ادارة الدولة ادارة ديموقراطية .

١٥ – ان المساواة بين المواطنين ، دون تمييز في الجنس ، والدين ، والعنصر ، والقومية ، ان هذه المساواة التي كانت تعد

بها الديموقراطية البرجوازية دائماً وفي كل مكان ، ولكن لم تحققها في اي مكان ولم يكن بوسعها ان تحققها بحكم سيطرة الرأسمالية ، انما تحققها سلطة السوفييت اي ديكتاتورية البروليتاريا بلا ابطاء وبصورة كاملة ، لانه لا يستطيع ان يحققها الا سلطة العمال الذين لا مصلحة لهم لا في الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، ولا في الصراع من اجل تقاسمها واعادة تقاسمها .

١٦ – لقد كانت الديموقراطية القديمة اي الديموقراطية البرجوازية ، والبرلمانية منظمتين على نحو يبعد الجماهير الكادحة بالذات عن الجهاز الاداري اكثر ما يمكن . اما سلطة السوفييت ، اي ديكتاتورية البروليتاريا ، فهي ، بالعكس ، منظمة على نحو يقرّب الجماهير الكادحة من الجهاز الاداري . والى الهدف نفسه يرمي اجتماع السلطتين التنفيذية والتشريعية في التنظيم السوفييتي للدولة ، وكذلك الاستعاضة عن الدوائر الانتخابية الاقليمية بوحدات الانتاج ، كالمصنع ، والمعمل ، مثلاً .

١٧ – ان الجيش لم يكن اداة اضطهاد في ظل المَلَكية وحدها . فلقد ظل كذلك في جميع الجمهوريات البرجوازية ، حتى في اكثرها ديموقراطية . ان سلطة السوفييت وحدها بوصفها تنظيم دولة دائم لتلك الطبقات التي كانت تضطهدها الرأسمالية فيما مضى ، بمقدورها ان تقضي على خضوع الجيش للقيادة البرجوازية ، وان تدمج البروليتاريا في الجيش فعلاً ، وان تحقق فعلاً تسليح البروليتاريا ونزع سلاح البرجوازية ، والا استحال انتصار الاشتراكية .

١٨ – ان التنظيم السوفييتي للدولة مكيف للدور القيادي للبروليتاريا بوصفها الطبقة التي ركزتها الرأسمالية وعلمتها اكثر من سائر الطبقات . ان تجربة جميع الثورات وجميع حركات الطبقات المضطهَدة ، تجربة الحركة الاشتراكية في العالم بأسره ،

تعلمنا ان البروليتاريا وحدها بمستطاعها ان تحشد وتقود وراءها الفئات المبعثرة والمتأخرة من السكان الكادحين والمستثمَرين .

١٩ – ان التنظيم السوفييتي للدولة هو وحده الذي يستطيع فعلاً ان يحطم بضربة واحدة ويسحق نهائياً الجهاز القديم ، اي البرجوازي ، الدواويني والقضائي ، الذي بقي وكان لا بدّ له حتماً ان يبقى في ظل النظام الرأسمالي ، حتى في اكثر الجمهوريات ديموقراطية ، والذي كان في الواقع اكبر عقبة امام تحقيق الديموقراطية للعمال والشغيلة . وفي هذا السبيل خطت كومونة باريس الخطوة الاولى ذات الاهمية التاريخية العالمية ؛ وخطت سلطة السوفييت الخطوة الثانية .

٢٠ – ان القضاء على سلطة الدولة هو الهدف الذي استهدفه جميع الاشتراكيين ، وفي عدادهم وعلى رأسهم ماركس . فبدون تحقيق هذا الهدف ، يستحيل تحقيق الديموقراطية الحقيقية ، اي المساواة والحرية . والحال ، ان الوسيلة العملية الوحيدة لبلوغ هذا الهدف هي الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية ، ذلك لانها ، اذ تجتذب منظمات الشغيلة الجماهيرية الى الاشتراك الدائم والالزامي في ادارة الدولة ، تبدأ فوراً في تحضير اضمحلال كل دولة اضمحلالاً تاماً .

٢١ – ان الافلاس التام الذي مني به الاشتراكيون المجتمعون في برن (١٠٨) ، وعدم تفهمهم المطلق للديموقراطية الجديدة ، اي البروليتارية ، يتجليان على الاخص فيما يلي . في ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٩ ، اختتم برانتينغ في برن المؤتمر العالمي للاممية الصفراء . وفي ١١ شباط (فبراير) ١٩١٩ ، نشرت جريدة المشتركين فيه ، "Die Freiheit" («دي فريهايت») ، الصادرة في برلين ، نداء من حزب «المستقلين» (١٠٩) الى البروليتاريا . وهذا النداء يقر بالطابع البرجوازي لحكومة شيدمان ، ويتهمها بالرغبة

في الغاء السوفييتات المسماة Träger und Schützer der Revolution (حاملة الثورة وحاميتها) ، ويقترح اضفاء صفة شرعية على السوفييتات ، ومنحها حقوق الدولة ، وحق تعليق قرارات الجمعية الوطنية ، وطرح القضايا على الاستفتاء العام .

ان هذا الاقتراح ينم عن الفشل الفكري التام الذي اصاب اولئك النظريين الذين كانوا يدافعون عن الديموقراطية دون ان يدركوا طابعها البرجوازي . والمحاولة المضحكة لابقاء نظام السوفييتات ، اي ديكتاتورية البروليتاريا ، والجمعية الوطنية ، اي ديكتاتورية البرجوازية ، تكشف الى النهاية عن فقر التفكير عند الاشتراكيين والاشتراكيين-الديموقراطيين الصفر ، وطبيعتهم السياسية الرجعية بوصفهم برجوازيين صغاراً ، وتنازلاتهم الجبانة لقوة الديموقراطية الجديدة ، البروليتارية ، النامية نمواً لا مرد له .

٢٢ – ان اغلبية اممية برن الصفراء التي لم تتجاسر ، رغم شجبها للبلشفية ، على التصويت رسمياً على قرار مناسب ، خوفاً من جماهير العمال ، قد سلكت سلوكاً صحيحاً من وجهة النظر الطبقية . فان هذه الاغلبية بالضبط متضامنة كلياً مع المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الروس وكذلك مع الشيدمانيين في المانيا . ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الروس ، الذين يتذمرون بسبب من تعرضهم لملاحقات البلاشفة ، يحاولون ان يخفوا واقع ان هذه الملاحقات ناجمة عن اشتراك المناشفة والاشتراكيين-الثوريين في الحرب الاهلية الى جانب البرجوازية ضد البروليتاريا . وكذلك ، اعطى الشيدمانيون وحزبهم الدليل ، في المانيا ، على نفس اشتراكهم في الحرب الاهلية الى جانب البرجوازية ضد العمال .

ولذا كان من الطبيعي تماماً ان تعرب اغلبية الذين اشتركوا في اممية برن الصفراء ، عن شجبهم للبلاشفة . ولم يكن ذلك دفاعاً عن «الديموقراطية الخالصة» ، بل دفاعاً عن النفس من جانب

اولئك الذين يعرفون ويشعرون بانهم يأخذون في الحرب الاهلية جانب البرجوازية ضد البروليتاريا .

ولذا ، من المحتم ، من وجهة النظر الطبقية ، الاقرار بصحة قرار اغلبية الاممية الصفراء . وعلى البروليتاريا ان لا تخشى الحقيقة ، بل ان تواجهها بصراحة وتستخلص كل النتائج السياسية التي تنجم عنها .

ايها الرفاق ! اود لو اضيف بعض الشيء بصدد النقطتين الاخيرتين . واظن ان الرفاق المكلفين بتقديم تقرير لنا عن مؤتمر برن سيحدثوننا عن هذا الموضوع بمزيد من التفصيل .

خلال مؤتمر برن كله ، لم تصدر اية كلمة عن اهمية سلطة السوفييت . ومنذ سنتين ، نحن نبحث هذه المسألة في روسيا . ففي المجلس العام للحزب في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، طرحنا المسألة من الناحية النظرية والسياسية : «ما هي سلطة السوفييت ، ما هو مضمونها ، ما هي اهميتها التاريخية ؟» . ولا نزال نناقش هذه المسألة منذ سنتين تقريباً ، وقد اتخذ مؤتمر حزبنا قراراً بهذا الصدد (١١٠) .

في ١١ شباط (فبراير) ، نشرت "Freiheit" الصادرة في برلين نداء الى البروليتاريا الالمانية ، لم يوقعه زعماء الاشتراكيين-الديموقراطيين المستقلين الالمان وحسب ، بل وقعه ايضاً جميع اعضاء كتلة المستقلين . وفي آب (اغسطس) ١٩١٨ ، قال كاوتسكي ، وهو من ابرز نظريي هؤلاء المستقلين ، في كراسه «ديكتاتورية البروليتاريا» ، انه من انصار الديموقراطية والهيئات السوفييتية ، ولكنه يجب على السوفييتات ان تكون لها اهمية اقتصادية فقط ولا يمكن ابداً الاعتراف بها كمنظمات دولة . وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) و ١٢ كانون الثاني (يناير) ، كرر كاوتسكي الفكرة نفسها في "Freiheit" . وفي ٩ شباط (فبراير) صدر مقال

رودولف هيلفردينغ الذي يعتبر ايضاً من اكبر نظريي الاممية الثانية ذوي النفوذ . وقد قدم اقتراحاً مفاده ان يصار ، بصورة قانونية ، عن طريق تشريع الدولة ، الى دمج نظام السوفييتات والجمعية الوطنية . كان ذلك في ٩ شباط (فبراير) . وفي ١١ شباط ، صدر هذا الاقتراح بشكل نداء اقره مجمل حزب المستقلين .

فبالرغم من ان الجمعية الوطنية موجودة منذ حين ، وحتى بعد ان صارت «الديموقراطية الخالصة» امراً واقعاً ، وحتى بعد ان اعلن اكبر نظريي الاشتراكيين-الديموقراطيين المستقلين انه يجب ألاّ تكون المنظمات السوفييتية منظمات دولة ، بالرغم من كل هذا ، تردد جديد ! وهذا يثبت ان هؤلاء السادة لم يدركوا بالفعل شيئاً لا من الحركة الجديدة ولا من ظروف نضالها . ولكن هذا يثبت شيئاً آخر ايضاً وهو انه لا بدّ لهذا التردد من ان تكون له موجباته ، اسبابه ! فحين يُعرض علينا ، بعد جميع هذه الاحداث ، بعد الثورة المظفرة القائمة في روسيا منذ سنتين تقريباً ، قرارات من نوع تلك التي وافق عليها مؤتمر برن ، قرارات لا تشير بكلمة الى السوفييتات واهميتها ، في مؤتمر لم ينبس اي مندوب فيه ببنت شفة عنها في اي من الخطب ، يكون من حقنا كلياً ان نؤكد ان جميع هؤلاء السادة قد ماتوا بنظرنا ، بوصفهم اشتراكيين ونظريين .

ولكن ذلك يثبت عملياً ، ايها الرفاق ، من الناحية السياسية ، ان انعطافاً خطيراً يطرأ في موقف الجماهير ما ان يعمد هؤلاء المستقلون ، الذين كانوا ، نظرياً ومبدئياً ، ضد منظمات الدولة هذه ، ويطلقوا فجاة هذه الحماقة : دمج الجمعية الوطنية ونظام السوفييتات دمجاً «سلمياً» اي دمج ديكتاتورية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا . اننا نرى افلاسهم جميعهم من الناحيتين الاشتراكية والنظرية ، وتغيراً هائلاً يطرأ بين الجماهير . ان الجماهير المتأخرة من البروليتاريا الالمانية تأتي الينا ، وقد اتت

الينا ! وهكذا ، ان اهمية حزب الاشتراكيين-الديموقراطيين المستقلين الالمان ، خيرة عناصر مؤتمر برن ، تنحط الى الصفر من الناحيتين النظرية والاشتراكية . غير ان بعض الاهمية قد بقيت له ، ذلك لان هذه العناصر المترددة تعتبر دليلاً على مزاج الفئات المتأخرة من البروليتاريا . وهنا تكمن ، برأيي ، اهمية هذا المؤتمر التاريخية الهائلة . وقد عرفنا شيئاً ما مماثلاً في ثورتنا . فانّ المناشفة في بلادنا قد قطعوا تقريباً نفس طريق التطور التي قطعها نظريو المستقلين في المانيا . ففي البدء ،كانوا يؤيدون السوفييتات ، حين كانت لهم الاكثرية في السوفييتات . وحينذاك كان يُسمع فقط : «عاشت السوفييتات !» «في سبيل السوفييتات !» ، «السوفييتات هي الديموقراطية الثورية !» . ولكن ، حين انتقلت الاغلبية في السوفييتات الينا ، نحن البلاشفة ، غيروا لازمتهم : يجب ان لا تقوم السوفييتات الى جانب الجمعية التأسيسية ؛ وقدّم مختلف نظريي المنشفية اقتراحات مماثلة تقريباً ، كدمج نظام السوفييتات في الجمعية التأسيسية وادخال السوفييتات في تنظيم الدولة . ومرة اخرى يتجلى هنا ان مجرى الثورة البروليتارية العام هو نفسه في العالم بأسره . اولاً ، نشوء السوفييتات بشكل عفوي ، ثم انتشارها وتطورها ، ثم المسألة العملية التالية : السوفييتات ام الجمعية الوطنية ، او الجمعية التأسيسية ، او البرلمانية البرجوازية ؛ التحير المطلق بين الزعماء ، واخيراً ، الثورة البروليتارية . ولكنني اعتقد انه يترتب علينا ، بعد انقضاء سنتين على الثورة تقريباً ، ان لا نطرح المسألة على هذا النحو ، بل ان نأخذ قرارات ملموسة ، لان انتشار نظام السوفييتات مهمة اولية بالنسبة لنا ، ولا سيما بالنسبة لمعظم بلدان اوروبا الغربية .

وهنا اود لو استشهد بقرار واحد فقط من قرارات المناشفة . وقد طلبت من الرفيق اوبولنسكي ان يترجمه الى الالمانية . فوعدني

بذلك ، ولكنه غائب ، مع الاسف . وبما انه ليس لديّ النص الكامل لهذا القرار ، فاني سأحاول ان استعيده حسبما وعته الذاكرة .

ان اجنبياً يجهل كل شيء عن البلشفية ليصعب عليه ان يكوّن رأياً شخصياً عن قضايانا المتنازع عليها . كل ما يؤكده البلاشفة ، يدحضه المناشفة ، والعكس بالعكس . ولا ريب انه لا يمكن ان يكون الامر على غير هذا المنوال في مجرى النضـــال ، ولذا كان من بالغ الاهمية ان اتخذ المجلس العام الاخير للحزب المنشفي في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ، قراراً طويلاً مفصلاً نشرته الجريدة المنشفية «غازيتا بيتشاتنيكوف» بنصه الكامل . وفي هذا القرار ، يوجز المناشفة انفسهم تاريخ النضال الطبقي والحرب الاهليـــة . وينص القرار على انهم يشجبون فرق حزبهم ، المتحالفة مع الطبقات الموسرة في الاورال ، والجنوب ، والقرم ، وجورجيا ، — وكل هذه المناطق واردة اسماؤها في القرار . ان فرق الحزب المنشفي التي سارت ، بالتحالف مع الطبقات الموسرة ، ضد سلطة السوفييت ، يشجبها القرار الآن ؛ والفقرة الاخيرة منه تشجب ايضاً اولئك الذين انتقلوا الى جانب الشيوعيين . ينجم عن ذلك ان المناشفة ملزمون بالاعتراف بان حزبهم عديم الوحدة وان بعضهم من انصار البرجوازية وبعضهم الآخر من انصار البروليتاريا . ومعظمهم انتقلوا الى جانب البرجوازية وناضلوا ضدنا ابان الحرب الاهلية . يقيناً اننا نلاحق المناشفة ، بل اننا نعدمهم رمياً بالرصاص حين يشتركون في حرب ضدنا ويحاربون جيشنا الاحمر ويعدمـــون قوادنـــا الحمر رمياً بالرصاص . وعلى حرب البرجوازية رددنا بحرب البروليتاريا ، ولا يمكن ان يكون ثمة مآل آخر . وهكذا اذن ، ان كل هذا ليس ، من الناحية السياسية ، سوى نفاق منشفي . فمن غير المفهوم تاريخياً كيف تمكن اناس لم يُعترف رسمياً بانهم مجانين ، من التحدث ، في مؤتمر برن ، بتكليف من المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، عـــن

نضال البلاشفة ضدهـــم ، ومن لزوم الصمت في آن واحد حول نضالهم ، بالتحالف مع البرجوازية ، ضد البروليتاريا .

انهم جميعاً يشنونه هجوماً ضارياً ضدنا لاننا نلاحقهم . هذا صحيح . ولكنهم لا ينبسون ببنت شفة عن الدور الذي قاموا به بانفسهم في الحرب الاهلية ! لا بد لي ، كما اظن ، من تقديم النص الكامل للقرار لاجل المحضر ، وأطلب من الرفاق الاجانب ان يولوه انتباههم ، اذ ان هذا القرار وثيقة تاريخية تطرح المسألة بصورة صحيحة وتتيـــح على خير وجــه تقديـــر النقاش بين التيارات «الاشتراكية» في روسيا . وثمة بين البروليتاريا والبرجوازية طبقة من الناس يميلون تارة الى جهة ، وطوراً الى اخرى ؛ ولقد كان الحال كذلك في كل زمان وفي جميع الثورات ، ومن المستحيـل اطلاقاً في المجتمع الرأسمالي حيث البروليتاريا والبرجوازية تشكلان معسكرين خصمين ، ان لا تكون بينهما فئات وسطية . ان وجود هذه العناصر المترددة امر محتم تاريخياً ؛ وان مثل هذه العناصر التي تجهل هي نفسها الى جانب من ستناضل غداً ستبقى موجودة ، ويا للاسف ، خلال فترة طويلة نسبياً .

وعندي اقتراح عملي اود عرضه ، ومفاده اتخاذ قرار يشير خصوصاً الى النقاط الثلاث التالية :

اولاً : من اكبر المهام التي تواجه الرفاق في اوروبا الغربية ، تنوير الجماهير حول دور نظام السوفييتات واهميته وضرورته . فحول هذه القضية ، يوجد بعض النقص في الفهم . فمع ان كاوتسكي وهيلفردينغ قد أفلسا من الناحية النظرية ، الا ان مقالاتهما الاخيرة في "Freiheit" تبرهن انهما يعبران بصورة صحيحة عن مزاج الفئات المتأخرة من البروليتاريا الالمانية . وقد حصل الشيء نفسه عندنا : فخلال الاشهر الثمانية الاولى من الثورة الروسية ، نوقشت قضية التنظيم السوفييتي نقاشاً واسعاً جداً ، فان العمال قد غمض عليهم

قوام النظام الجديد ، وما اذا كان بالامكان انشاء جهاز للدولة من السوفييتات . ولقد سرنا الى الامام في ثورتنـــا بسبيل عملي لا بسبيـــل نظري . مثلاً ، فيمـا مضى ، لم نطـــرح في الميدان النظري مسألة الجمعية التأسيسية ، ولم نقل اننا لا نعترف بها . وفقط فيما بعد ، حين انتشرت المنظمات السوفييتية في عموم البلاد وظفرت بالسلطة السياسية ، حينذاك فقط ، قررنا حل الجمعيـــة التأسيسية . والآن نرى ان المسألة توضع في المجر وسويسرا بحدة اشد بكثير . من جهة ، هذا جيد جداً : فمن هنا نستمد الاقتناع الراسخ بان الثورة تتقدم بصورة اسرع في دول اوروبا الغربية ، وانها ستأتي بانتصارات كبيرة لنا . ومن جهة اخرى ، ينطوي هذا على بعض الخطر ، اي ان النضال سيرتفع بسرعة فائقـــة بحيث يتخلف وعي جماهير العمال عن هذا التطور . ان اهميـــة نظام السوفييتات ليست واضحـــة ، حتى في الوقت الحاضر ، للجماهير الغفيرة من العمال الالمان المتعلمين سياسياً ، لانهم تربوا بروح البرلمانية والاوهام البرجوازية .

ثانياً : انتشار نظام السوفييتات . عندما نسمع بأية سرعة تنتشر فكرة السوفييتات في المانيا وحتى في بريطانيا فاننـــا نعتبر ذلك برهاناً بالغ الاهمية على ان الثورة البروليتارية ستنتصر . ولا يمكن تأخير زحفها الا فترة قصيرة من الزمن . والامر خلاف ذلك حين يعلن لنا الرفيقان آلبرت وبلاتن ان السوفييتات تكاد تكون غير موجودة عندهم في الارياف بين العمال الريفيين والفلاحين الصغار . وقد قرأت في "Rote Fahne" («روته فانه») مقالاً يعارض سوفييتات الفلاحين ، ويؤيد ، بحق ، سوفييتات الاجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء (١١١) . ان البرجوازية وخدمها ، امثال شيدمان وشركاه ، قد سبق لهم وصاغوا هذا الشعار : سوفييتات الفلاحين . ولكننا لا نحتاج الا الى سوفييتات الاجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء . ومع

الاسف ، نرى حسب تقارير الرفيقين آلبرت وبلاتن وغيرهما ، انه باستثناء المجر ، قلما تبذل المساعي والجهود لنشر النظام السوفييتي في الريف . ولربما هنا يكمن ايضاً خطر عملي كبير بما فيه الكفاية بالنسبة لتأمين انتصار اكيد للبروليتاريا الالمانية . ولا يمكن الاعتقاد بان يكون الانتصار مضموناً الا اذا لم يُكتفَ بتنظيم عمال المدن ، والا اذا رافقه تنظيم بروليتاريي الارياف ايضاً : والمقصود تنظيم ، لا كما في السابق ، في نقابات وفي تعاونيات ، بل في سوفييتات . ان انتصارنا قد كان اسهل لاننا سرنا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ مع الفلاحين ، مع جميع الفلاحين . وبهذا المعنى . كانت ثورتنا آنذاك برجوازية . واول خطوة خطتها حكومتنا البروليتارية ، انها سنت في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ (حسب التقويم القديم) ، غداة الثورة ، قانوناً يعترف بالمطالب السابقة التي صاغتها سوفييتات واجتماعات الفلاحين في عهد كيرنسكي باسم عموم الفلاحين . هنا كانت قوتنا ، وهذا ما اتاح لنا الظفر بمثل هذه السهولة بالاغلبية الساحقة . فبالنسبة للريف ، ظلت ثورتنا برجوازية ، وبعد ذاك فقط ، بعد مضي ستة اشهر ، اضطررنا الى بدء النضال الطبقي في الريف ، ضمن نطاق تنظيم الدولة ، الى انشاء لجان من الفلاحين الفقراء ، انصاف البروليتاريين ، في كل قرية ، والى مكافحة البرجوازية الريفية بدأب وانتظام . وقد كان ذلك امراً محتماً لا مناص منه عندنا بسبب من تأخر روسيا . اما في اوروبا الغربية ، فان الامر لن يكون كذلك ، ولذا ينبغي لنا ان نشير الى انه من الضروري اطلاقاً نشر نظام السوفييتات حتى يشمل سكان الريف ايضاً ، بأشكال ملائمة ، وربما جديدة .

ثالثاً : علينا ان نقول بان الظفر بالاغلبية الشيوعية في السوفييتات هو المهمة الرئيسية في جميع البلدان التي لم تنتصر فيها بعد سلطة السوفييت . ان هيئة تحرير القرارات قد بحثت

امس هذه القضية . ولربما يبدي رفاق آخرون رأيهم بهذا الصدد ، ولكني اود لو اقترح تبني هذه النقاط الثلاث كقرار خاص . نحن لا نستطيع ، بالطبع ، ان نفرض سبيل التطور ؛ فمن المحتمل جداً ان تنشب الثورة قريباً جداً في كثير من بلدان اوروبا الغربية ، ولكننا نحن ، بوصفنا القسم المنظم من الطبقة العاملة ، بوصفنا حزباً ، انما نسعى ويجب علينا ان نسعى وراء الحصول على الاغلبيـــة في السوفييتات . حينذاك يكون انتصارنا مضموناً ، ولن تستطيع اية قوة ان تفعل شيئاً ضد الثورة الشيوعية . والا ، فان النصر لن يكون لا سهلاً جداً ولا طويل العمر . وعليـــه ، اقترح تبني هذه النقاط الثلاث بمثابة قرار خاص .

صدر في ٦ آذار (مـــارس) ١٩١٩ في جريدتـي «البرافـدا» ، العـــدد ٥١ و «ازفيستيا فتسيك» ، العدد ٥١

المجلد ٣٧ ، ص‌ص ٤٩١-٥٠٩

المكتسَب والمسجَل

ليس في الثورة من شيء متين غير مـــا اكتسبتـــه جماهير البروليتاريا . ولا يستأهل التسجيل الا ما تم اكتسابه بمتانة حقاً .

ولقد كان تأسيس الاممية الثالثة ، الشيوعية ، في موسكو في ٢ آذار (مارس) ١٩١٩ تسجيلاً لما اكتسبته الجماهير البروليتارية لا الروسية منها وحسب ولا المقيمة في روسيا وحسب ، وانما أيضاً الالمانية والنمساوية والمجرية والفنلندية والسويسرية ، – وبكلمة واحدة : الجماهير البروليتارية العالمية .

ولهذا فان تأسيس الاممية الثالثة ، الشيوعية ، هو شيء متين .

لأربعة أشهر خلت فقط لم يكن بعد من الممكن القول ان السلطة السوفييتية ، ان الشكل السوفييتي للدولة هو مكتسب عالمي . كان فيها شيء ، وشيء جوهري ، لا يخص روسيا فقط بل يخص البلدان الرأسمالية جميعاً . ولكن لم يكن بعد من الممكن القول ، قبل الامتحان العملي ، ما هي التغيرات التي سيأتي بها تطور الثورة العالمية اللاحق وما هو عمقها وأهميتها .

ولقد كانت الثورة الالمانية هذا الامتحان ، اذ قام بلد رأسمالي طليعي على اثر بلد من أكثر البلدان تأخراً وأظهر للعالم كله في مدة وجيزة ، في مئة وبضعة أيام ، ليس فقط قوى الثورة الاساسيـــة نفسها وليس فقط اتجاهها الاساسي نفسه ، بل أيضاً ذلك الشكل

الاساسي نفسه للديموقراطيـــة الجديـــدة ، البروليتاريـــة : السوفييتات .

والى جانب هذا نرى في بريطانيا ، في البلد المنتصر ، في أغنى البلدان بالمستعمرات ، في البلد الذي كان واشتهر أطول مدة من أي بلد آخر كنموذج «للسلام الاجتماعـــي» ، في أقدم بلـــدان الرأسمالية ، نرى نمواً واسعـــاً فائراً جباراً لا يرد للسوفييتات وأشكال النضال البروليتاري الجماهيري السوفييتية الجديدة ، لجان وكلاء فرق المعامل ، "Shop Stewards Committees" .

وفي أميركا ، في أقوى البلدان الرأسمالية وافتاها ، تحبيذ عظيم للسوفييتات من جماهير العمال .

ان الجليد قد بدأ يذوب .

ان السوفييتات قد انتصرت في العالم كله .

انتصرت قبل كل شيء واكثـــر من كل شيء من حيث انها اكتسبت تحبيذ الجماهير البروليتاريـــة . وهذا اهم شيء . وهذا المكسب لا تستطيع أية وحشية تقترفها البرجوازية الامبريالية وأية ملاحقة واغتيال للبلاشفة ان تنتزعه من الجماهير . وكلما ازدادت البرجوازية «الديموقراطية» هياجاً ، ازدادت متانة هذه المكاسب في نفوس الجماهير البروليتارية ، وفي حالتها النفسية وفي وعيها وفي استعدادها البطولي للنضال .

ان الجليد قد بدأ يذوب .

ولهذا جرى عمل مؤتمر موسكو العالمي للشيوعيين ، الذي اسس الاممية الثالثة ، بمثل هذه السهولـة والانسجام وبمثل هذا العزم الهادئ والراسخ .

لقد كنا نسجل ما تم اكتسابه . كنا ننقل الى الورق ما سبق أن أصبح وطيداً في وعي الجماهير . كنا جميعاً نعرف ، – بل أكثر من ذلك : كنا جميعاً نرى ونشعر ونلمس ، كل على أساس تجربة

بلده ، ان حركة جديدة بدأت تغلي وتفور ، حركة لا سابق لها في العالم من حيث القوة والعمق ، هي الحركة البروليتارية ، وان هذه الحركة لا يمكن حصرها في أية اطر قديمة ولا يستطيع كبحها المهرة المحنكون في العمل السياسي الممجوج ولا رجالات الرأسمالية «الديموقراطية» الانجلو-أميركية ذوو الخبرة العالمية والبراعة العالمية من أمثال لويد جورج وويلسون ، ولا اضراب هندرسون ورينوديل وبرانتينغ وغيرهم من أبطال الاشتراكية-الشوفينية المحنكين .

ان الحركة الجديدة تسير نحو ديكتاتورية البروليتاريا ، تسير بالرغم من كل التذبذبات ، بالرغم من الهزائم الشنيعة ، بالرغم من الفوضى «الروسية» الفظيعة التي لا تصدق (اذا نظر الى الأمر سطحياً ، من بعيد) ، — تسير نحو **السلطة السوفييتية** بقوة السيل الكاسح ، سيل الملايين وعشرات الملايين من البروليتاريين .

لقد سجلنا هذا . وأثبتنا في مقرراتنا وموضوعاتنا وتقاريرنا وخطاباتنا ما أصبح مكتسباً .

ولقد ساعدتنا نظرية الماركسية ، المضاءة بنور ساطع من تجربة العمال الثوريين الجديدة ، الغنية عالمياً ، في فهم كل السياق المنطقي لما يحدث . ولسوف تساعد بروليتاريي العالم أجمع ، المناضلين لاسقاط العبودية المأجورة الرأسمالية ، في ادراك أهداف نضالهم بوضوح أكبر وفي السير بحزم أشد في الطريق الذي بانت معالمه ، وفي احراز النصر وتوطيده بثقة أكبر وقوة أشد .

ان تأسيس الاممية الثالثة ، الشيوعية ، هو عتبة جمهورية السوفييتات الاممية وانتصار الشيوعية العالمي .

٥ آذار (مارس) ١٩١٩ .

«البرافدا» ، العدد ٥١ ، في ٦ آذار (مارس) ١٩١٩

المجلد ٣٧ ، ص ص ٥١٢-٥١٤

في تأسيس الاممية الشيوعية

خطاب الفي في جلسة الاحتفال الموحدة للجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ، وسوفييت موسكو ، ولجنة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا والمجلس المركزي للنقابات في عامة روسيا ، والنقابات ولجان المعامل والمصانع في موسكو ، في يوم الاحتفال بافتتاح الاممية الشيوعية في ٦ آذار (مارس) ١٩١٩

(**تصفيق عاصف** .) ايها الرفاق ، لم يتسن لنا ان نجمع للمؤتمر الاول للاممية الشيوعية مندوبين من جميع البلدان التي يوجد فيها اصدقاء اوفياء لهذه المنظمة وعمال هم بكل عواطفهم معنا . فاسمحوا لي اذن ان ابدأ باستشهاد وجيز يبين لكم كم عندنا حقاً من الاصدقاء اكثر مما نرى ومما نعرف ومما استطعنا ان نجمع هنا في موسكو بالرغم من كل الملاحقات وبالرغم من كل اتحاد البرجوازية العالمية الذي يبدو في الظاهر قادراً على كل شيء . ولقد بلغت هذه الملاحقات حداً حاولوا معه تطويقنا بما يشبه سور الصين وينفون البلاشفة بالعشرات والدزينات من اكثر جمهوريات العالم حرية وكأنهم يخافون ان عشرة او دزينة من البلاشفة قادرون على نشر العدوى في العالم كله ، — ولكننا نحن نعرف ان هذا الخوف مضحك لان العالم كله اصيب بعدواهم ولأن نضال العمال الروس جعل جماهير العمال في جميع البلدان تعرف ان مصير الثورة العالمية العامة يتقرر هنا في روسيا .

ايها الرفاق ، ها هي في يدي جريدة ''**L'Humanité**'' ، **وهي** جريدة فرنسية اقرب في اتجاهها الى مناشفتنا او اشتراكيينا الثوريين اليمينيين . وكانت هذه الجريدة في اثناء الحرب تهاجم باشد

ما يكون من القسوة كل من كان يأخذ بوجهة نظرنا . والآن تدافع هذه الجريدة عن الذين ساروا في اثناء الحرب مع برجوازية بلدانهم . وها هي هذه الجريدة ، في عددها الصادر في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، تقول ان باريس شهدت اجتماعاً ضخماً ، باعتراف الجريدة نفسها ، للعاملين النشيطين في الحزب واتحادات العمال في منطقة السين ، اقرب المناطق الى باريس ، مركز الحركة البروليتارية ، مركز كل الحياة السياسية في فرنسا . وكان اول المتكلمين في هذا الاجتماع براك – الاشتراكي الذي كان طول مدة الحرب يأخذ بوجهة نظر مناشفتنا والدفاعيين اليمينيين . اما الآن فظهر باقصى التواضع ولم ينطق بكلمة في اية مسألة حادة ! وختم خطابه بقوله انه ضد تدخّل حكومة بلده في نضال بروليتاريا البلدان الاخرى . وقوبل تصريحه بالتصفيق . ثم تكلم احد رفاقه في الفكر ، المدعو بيير لافال . فتكلم عن التسريح وهو اشد مسائل فرنسا الحالية حدة ، وفرنسا هي البلد التي ربما تكبدت من التضحيات في هذه الحرب الاجرامية اكثر من اي بلد آخر . وها هو هذا البلد يرى الآن ان التسريح يسوّف ويعاق وليست هناك رغبة في تنفيذه وان الاستعداد جار لحرب جديدة تلقي بوضوح على عاتق العمال الفرنسيين تضحيات جديدة من اجل معرفة كم من الغنائم الاخرى سينال الرأسماليون الفرنسيون او البريطانيون . وها هي الجريدة تعلن ان الجمهور استمع الى الخطيب بيير لافال ولكن اقواله المعادية للبلشفية اثارت من الاحتجاجات واوجدت من الهياج ما جعل من غير الممكن مواصلة الاجتماع . فبعد هذا لم يستطع المواطن بيير رينوديل ان يلقي كلمته وانفض الاجتماع بكلمة قصيرة من المواطن بيريكا وهو واحد من القلائل من ممثلي الحركة العمالية الفرنسية المتضامنين بصورة عامة معنا . وهكذا اضطرت الجريدة ان تعترف بان الاجتماع قاطع الخطيب منذ ان تكلم هذا ضد البلاشفة .

ايها الرفاق ، لم نستطع في الوقت الحاضر ان نحصل مباشرة من فرنسا ولا على مندوب واحد . وبشق النفس استطاع واحد فقط من الفرنسيين ان يصل الى هنا وهو الرفيـــق غيلبو . (**تصفيق عاصف**.) ولسوف يتكلم اليوم . وكان قد قضى اشهراً في سجون سويسرا ، في هذه الجمهورية الحرة ، واتهم بانه على اتصال بلينين وبانه يعد ثورة في سويسرا . وسيق عبر المانيـــا مخفوراً بالدرك والضباط خوفاً ، كمـــا يبدو ، من ان يلقي عود الكبريت الذي سيحرق به المانيا . ولكن المانيا تلتهب بدون عود الكبريت هذا . وفي فرنسا ايضاً ، كما نرى ، يوجد محبذون للحركة البلشفية . ان الجماهير الفرنسية هي ربما من اكثر الجماهير خبرة وتربيـــة سياسية وسرعة رد . ولن تسمح لخطيب في اجتمـــاع شعبي ان يتلفظ باية كلمة نابية ،– وستقاطعه . والحمد لله على كل حال انها ، على ما يمتاز به الفرنسيون من طبع حام ، لم تشده وتجره من المنبر ! ولهذا عندما تعترف جريدة معاديـــة لنا بما جرى في هذا الاجتماع الكبير نقول : ان البروليتاريا الفرنسية معنا .

ساذكر استشهاداً قصيراً آخر من جريدة ايطالية . انهم يحاولون قطعنا عن العالم لدرجة ان اعداد الجرائد الاشتراكية تصل الينا من البلدان الاخرى كاشياء نادرة جداً . وكشيء نادر وصل الينا عدد من جريدة "Avanti!" الايطاليـــة ، لسان حال الحزب الاشتراكي الايطالي الذي اشترك في زيميرفالد وناضل ضد الحرب وقرر الآن رفض الذهاب الى مؤتمر الصفر في برن ، مؤتمر الاممية القديمة التي يشترك فيها اناس ساعدوا ، مع حكوماتهم ، في اطالة امد هذه الحرب الاجرامية . وحتى الآن تصدر جريـــدة "Avanti!" تحت الرقابـــة الشديدة . ولكن في هذا العدد الذي وقع في ايدينـــا بالمصادفة ، قرأت رسالة عن الحياة الحزبية لمحلة تدعى كافرياغو ،– ولعلها محلة صغيرة جداً لان العثور عليها في الخارطة مستحيل ،– وتبين

ان العمال الذين اجتمعوا هناك اتخذوا قراراً يعبر عن تحبيذهم لجريدتهم لموقفها غير المتهاود واعلنوا انهم يؤيدون السبارتاكيين الالمان ، – ثم تلي ذلك كلمتان مفهومتان في العالم اجمع مع انهما مكتوبتان باللغة الايطالية : "Sovietisti russi" ، – فهم يحيون «اصحاب السوفييتات» الروس ويعربون عن امنيتهم بان يقر برنامج الثوريين الروس والالمان في العالم كله وان يؤدي خدمته في السير بالنضال ضد البرجوازية والسيطرة العسكرية حتى النهاية . وعندما تقرأ قراراً كهذا من بوشيخونيه * ايطالية ، تستطيع ان تقول لنفسك بملء الحق : ان الجماهير الايطالية معنا ، ان الجماهير الايطالية فهمت من هم «اصحاب السوفييتات» الروس وما هو برنامج «اصحاب السوفييتات» الروس والسبارتاكيين الالمان ، مع انه لم يكن عندنا آنذاك برنامج كهذا ! لم يكن عندنا اي برنامج مشترك مع السبارتاكيين الالمان ومع ذلك فان العمال الايطاليين ينبذون كل ما رأوه في صحافتهم البرجوازية ، المباعة لاصحاب الملايين والمليارات ، والتي تنشر عنا الافتراءات في الملايين من النسخ . انها لم تخدع العمال الايطاليين . ان العمال الايطاليين فهموا من هم السبارتاكيون و«اصحاب السوفييتات» ، وقالوا انهم يحبذون برنامجهم ، عندما لم يكن لهذا البرنامج وجود اطلاقاً . لهذا كانت مهمتنا في هذا المؤتمر بمثل هذه السهولة . كان علينا فقط ان نسجل كبرنامج ما سبق ان انطبع في اذهان وقلوب العمال ، حتى في هذه المحلة المجهولة ، المعزولين عنا بالاحزمة البوليسية

* «بوشيخونيه» ، مرادف لزاوية اقليمية نائية تسود فيها الاخلاق والعادات البطريركية الوحشية . اصبح التعبير شائع الاستعمال بفضل القصة السخرية «عتاقة بوشيخونيه» التي كتبها الكاتب الروسي سالتيكوف-شدرين وتهكم فيها وفضح نمط حياة النبلاء الملاكين العقاريين وسيادة الجهل والتعسف. – **الناشر** .

والعسكرية . لهذا افلحنا بمثل هذه السهولة وبمثل هذا الاجماع التام في التوصل ، في جميع المسائل الرئيسية ، الى قرارات اجماعية ، ونحن على اتم اليقين من ان هذه القرارات ستلقى صدى قوياً لدى بروليتاريا جميع البلدان .

ان الحركة السوفييتية ، ايها الرفاق ، هي ذلك الشكل الذي تم اكتسابه في روسيا ، والذي ينتشر الآن في العالم كله ، والذي يقدم للعمال ، بتسميته وحدها ، برنامجاً كاملاً . ايها الرفاق ، آمل اننا ، نحن الذين كان من حسن حظنا ان نطور الشكل السوفييتي حتى النصر ، لن نكون كاولئك الناس الذين يمكن ان يقال عنهم انهم شمخوا بانوفهم .

ايها الرفاق ، اننا نعرف جيداً ان الاقدار كتبت لنا ان نكون اول من يشترك في الثورة البروليتارية السوفييتية لا لأننا كنا مهيئين مثل العمال الآخرين او احسن منهم وانما لاننا كنا اسوأ منهم تهيئة . وهذا الظرف هو الذي كان السبب في اننا قد واجهنا اشد الاعداء توحشاً وعفونة ، وهذا الظرف هو الذي اثار الاتساع الظاهري للثورة . ولكننا نعرف ايضاً ان السوفييتات موجودة عندنا حتى الآن وانها تقارع صعوبات هائلة سببها المستوى الثقافي الناقص والعبء الثقيل الذي وقع في غضون اكثر من سنة علينا ونحن واحدون في مهمتنا محاطون من جميع الجهات بالاعداء وقد انقضت علينا ، وانتم تعرفون ذلك حق المعرفة ، آلام لا تصدق واوزار مجاعة ومحن لا يطيقها بشر .

ايها الرفاق ، ان اولئك الذين يقفون مباشرة او بصورة غير مباشرة في جانب البرجوازية يحاولون كثيراً مخاطبة العمال واثارة سخطهم مشيرين الى ما يقاسيه العمال الآن من محن شديدة . ونحن نقول لهم : نعم ان هذه المحن شديدة ولا نخفيها عنكم . هكذا نقول نحن للعمال وهم يعرفون هذا جيداً من تجربتهم . وانكم ترون

اننا نناضل ليس فقط لانتصار الاشتراكية من اجلنا ، وليس فقط لكي يتذكر ابناؤنا الرأسماليين والاقطاعيين وكأنهم يتذكرون حيوانات فظيعة الشكل عائدة لما قبل التاريخ ، وانما نناضل لكي ينتصر عمال العالم بأسره معنا .

وهذا المؤتمر الاول للاممية الشيوعية الذي قرر ان السوفييتات تحظى في العالم كله بتحبيذ العمال ، يبين لنا ان قضية انتصار الثورة الشيوعية العالمية مضمونة . **(تصفيق .)** ان البرجوازية ستظل تهيج وتشتاظ غيظاً في عدد من البلدان ، وهناك لا تزال البرجوازية في طور البداية فقط في اعداد موارد التهلكة لخيرة الناس ، لخيرة ممثلي الاشتراكية ، كما يدل على ذلك اغتيال روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت اغتيالاً وحشياً بايدي الحرس الابيض . ان هذه الضحايا لا بد منها . ولسنا نسعى الى تفاهم مع البرجوازية وانما نخوض ضدها المعركة الاخيرة والفاصلة ، ولكننا نعرف انه ، بعد عذابات الحرب وآلامها ومصائبها ، واذ تناضل الجماهير في العالم كله من اجل التسريح من الجيش ، وتشعر بانها مخدوعة وتدرك مدى فداحة اعباء الضرائب الملقاة على عاتقها من قبل الرأسماليين الذين قتلوا عشرات الملايين من الناس في تسابقهم على الارباح ، — نعرف ان عهد سيطرة قطاع الطرق هؤلاء قد انقضى !

الآن ، وقد اصبحت كلمة «سوفييت» مفهومة للجميع ، بات انتصار الثورة الشيوعية مضموناً . ولقد رأى الرفاق الحاضرون في هذه القاعة كيف تأسست اول جمهورية سوفييتية ، ويرون الآن كيف تأسست الاممية الثالثة ، الشيوعية **(تصفيق)** ، وسيرون جميعاً كيف ستتأسس جمهورية السوفييتات الاتحادية العالمية . **(تصفيق .)**

نشر بصورة تقريرين صحفيين في ٧ آذار (مارس) ١٩١٩ في «البرافدا» ، العدد ٥٢ و«ازفيستيا فتسيك» ، العدد ٥٢

المجلد ٣٧ ، ص‌ص ٥١٥—٥٢٠

نجاحات السلطة السوفييتية ومصاعبها

الآن بالضبط ، وقد افلحنا وبعثنا الاممية الثورية ، الاممية الشيوعية ، الآن بالضبط ، وقد اصبح شكل الحركة السوفييتي بحد ذاته برنامجاً نظرياً وعملياً على السواء بالنسبة للاممية الثالثة جمعاء ، الآن بالضبط وقد تحقق هذا ، من المناسب ان نتذكر تطور السوفييتات العام . ما هي السوفييتات ؟ اية اهمية يتسم بها هذا الشكل الذي هو من ابداع الجماهير وليس من اختلاق احد ؟

من وجهة النظر هذه وحدها ، يمكن ، كما يبدو لي ، ان نقيم بصورة صحيحة سواء المهام التي نواجهها الآن ، — التي تواجهها السلطة التي ظفرت بها البروليتاريا ، — ام تحقيق هذه المهام الذي حاولنا ان نقوم به وقمنا به في غضون السنة الاخيرة ، في ظل ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا .

ومن وجهة نظر دور السوفييتات العام واهميتها العامة ومكانها في التطور التاريخي العالمي ، من وجهة النظر هذه فقط يمكننا ان نفهم الوضع الذي نحن فيه ، والاسباب التي اضطرتنا الى التصرف على هذا النحو وليس على نحو آخر ، وبما يجب ان نتحقق ، ناظرين الى الوراء ، من كون خطواتنا صحيحة ام خاطئة .

والحال ان مثل هذه النظرات الاعم والاوسع او الابعد مدى ضرورية لنا الآن ضرورة مضاعفة ، لان الحزبيين في روسيا الآن

يتألمون احياناً ، ويلاحظون نواقص عملهم وعيوبه وعدم جودته ، بسبب ان التنفيذ العملي لمهام الحكم الملحة ، الجارية ، المباشرة ، اليومية التي القيت وتلقى على كاهل السلطة السوفييتية يلهينا احياناً كثيرة ، يثلم حدة انتباهنا ، ويجبرنا ، خلافاً لجميع جهودنا ، - فلا حول ولا قوة هنا ضد ظروف النشاط ، - على ايلاء تفاصيل الحكم الصغيرة قدراً من الانتباه اكبر من اللزوم ، وعلى نسيان المجرى العام لتطور الديكتاتورية البروليتارية بكاملها على الصعيد العالمي ، وتطورها من خلال سلطة السوفييتات ، والاصح القول ، من خلال الحركة السوفييتية ، من خلال تيهان الجماهير البروليتارية في داخل السوفييتات ، - الامر الذي عشناه جميعاً ونسيناه جميعاً ، - ومن خلال محاولة تحقيق الديكتاتورية في داخل السوفييتات .

هذه هي المصاعب التي جابهتنا ، واليكم اية مهام عامة يجب ، برأيي ، ان نحاول ايلاءها الانتباه لكي ننتزع انفسنا بأنفسنا ، قدر الامكان ، بعض الشيء ، من شباك تفاصيل الحكم الملقاة على عاتق كل امرئ يمارس نشاط السوفييتات العملي المباشر ، ولكي ندرك مدى الخطوة التي يترتب علينا ان نقوم بها نحن - بوصفنا فصيلة من فصائل الجيش البروليتاريا العالمي .

لا يمكن في روسيا وحدها احراز النصر على الصعيد العالمي كلياً ونهائياً ؛ لا يمكن ذلك الا متى انتصرت البروليتاريا في جميع البلدان المتقدمة على الاقل ، او حتى في بعض من اكبر البلدان المتقدمة . وآنذاك فقط سنتمكن من القول بكل ثقة ويقين ان قضية البروليتاريا قد انتصرت ، وان هدفنا الاول - الاطاحة بالرأسمالية - قد تحقق .

هذا الهدف تحقق عندنا في اطار بلد واحد ، وطرح امامنا مهمة ثانية . واذا كانت سلطة السوفييتات قد قامت ، واذا كانت

البرجوازية قد اطيح بها في بلد واحد ، فان النضال على الصعيد العالمي ، النضال في ميدان آخر ، نضال الدولة البروليتارية في وسط الدول الرأسمالية هو المهمة الثانية .

ان الوضع جديد غاية الجدة وصعب غاية الصعوبة .

ولكن ، من جهة اخرى اذا كان قد اطيح بسلطة البرجوازية ، فان مهمة تنظيم البناء تصبح المهمة الرئيسية .

ان الاشتراكيين الصفر ، الذين يعتزمون الآن ، وقد اجتمعوا في برن ، ان يسعدونا بزيارة اجانب مشهورين ، يطيب لهم ، اكثر ما يطيب لهم ، ان يدلوا بجمل كهذه : «يؤمن البلاشفة بكلية جبروت العنف» . ان هذه الجملة تبين فقط ان من يدلون بها هم اناس عاجزون ، في معمعان النضال الثوري ، حين يضيق عليهم كلياً عنف البرجوازية ، — انظروا ما يجري في المانيا ، — عن ان يعلموا بروليتاريا بلدهم تكتيك **العنف الضروري** .

هناك ظروف يكون فيها العنف ضرورياً ومفيداً في آن واحد ، وهناك ظروف لا يمكن فيها للعنف ان يسفر عن اية نتائج . ولكنه كانت ثمة حالات من عدم استيعاب هذا الفرق من قبل الجميع ، وعن هذا يجب التحدث . ففي ثورة اكتوبر ، اسفر العنف ، الاطاحة بالبرجوازية من قبل السلطة السوفييتية ، ازالة الحكومة القديمة بواسطة العنف الثوري ، عن نجاح باهر .

لماذا ؟ اولاً لان الجماهير كانت منظمة في السوفييتات ، وثانياً ، لان الخصم — البرجوازية — قد تم نسفه وتقويضه وتمييعه خلال حقبة سياسية طويلة تمتد من شباط (فبراير) الى تشرين الاول (اكتوبر) ، مثلما تؤثر مياه الربيع في قطعة من الجليد ، وقد اصبح منهوك القوى كلياً على الصعيد الداخلي . وعليه فان الحركة في اكتوبر ، — اذا اجرينا مقارنة مع الحركة الثورية الحالية في المانيا

على الاقل ، – قد اسفرت بمثل هذه السهولة عندنا عن انتصار العنف الثوري انتصاراً تاماً ، باهراً .

فهل يمكن الظن ان هذا السبيل ، هذا الشكل للنضال ، هذا النصر السهل للعنف الثوري ، قابل للتحقيق بدون توفر هـــذه الظروف ؟

ان مثل هذا الظن سيكون خطأ فادحاً للغاية . وبقدر ما تكون الانتصارات المحرزة في ظروف معينة اكبر واجلّ ، بقدر ما يتواتر خطر انتشائنا بهذه الانتصارات ، بدون التفكير برباطـــة جأش وهدوء وانتباه في الظروف التي امكن في ظلها تحقيق ذلك .

وبعدما انهكنا كلياً ، اذا جاز القول ، حكومة كيرنسكي ، وزارة ميليوكوف الائتلافية ، واختبرنا كيف نجلسهم في المناصب الوزارية بجميع التركيبات ، واجبرناهم على اللعب بلعبـة النط الوزاري من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين ، ومن اسفل الى اعلى ومن اعلى الى اسفل ، تبين انهم لم يصلحوا ، كيفمـــا جلسوا ، ليكونوا عازفين ، فتطايروا آنذاك مثل الرغايات .

فهل هذا الوضع يشبهه ما واجه الآن مهمتنا العمليـــة حيال الامبريالية العالمية ؟ كلا طبعاً .

ولهذا ، تسببت لنا مسألة صلح بريست بمثل هذه المصاعب في حقل السياسة الخارجية . وقد ساعدنا طابع الحركـة الجماهيري على تذليلها .

ولكن ما هو سبب الاخطاء التي حملت قسماً من الرفاق على الظن باننا نقترف جريمة فادحة ؟ فالآن ايضاً يتواجد غربـاء اطوار منفردون من هذا الطراز بين ذوي القلم السيّال الذين يتصورون انهـم ، كاشخاص ، ذوو شأن وخبرة ، وان بوسعهـــم ان يلقنوا الآخرين ، وما شابه ، ولا يزالون يؤكدون ان ذلك كان توافقاً مع الامبريالية الالمانية .

اجل ، لقد حصل مثل هذا التوافق عندما «توافقنا» مع القيصر ، بذهابنا الى الدوما الرجعي المقيت ، وبتفجيرنا اياه من داخله .

هل كان يمكن التعويل على الاطاحة بالامبريالية العالمية ، بمجرد استخدام العنف ، وبدون تطور البروليتاريا في هذه البلدان الامبريالية تطوراً مناسباً ؟

اذا طرحنا المهمة على هذا النحو ، – ونحن كماركسيين علمنا على الدوام انه يجب طرحها على هذا النحو وعلى هذا النحو فقط ، – فان انتهاج سياسة العنف في هذا المجال سيكون مجرد سخافة وهراء ، وسيعني عدم فهم تام للظروف التي تسفر فيها سياسة العنف عن النجاح .

والآن نرى هذا . فقد تحلينا بالخبرة .

فبينما كنا مضطرين ، في حقبة صلح بريست ، لان نحشد القوى ونرسي ، بمصاعب في منتهى الايلام ، اساس جيش جديد ، اساس الجيش الاحمر ، في بلد خربته وعذبته الحرب كما لم تخرب وتعذب اي بلد آخر في العالم ، بينما كنا نرسي ، حصاة حصاة ، في النصف الاول وفي بداية النصف الثاني من عام ١٩١٨ ، اساس الجيش الاحمر الاشتراكي الحقيقي ، – في هذا الوقت كانت الامبريالية في البلدان الاخرى يقرضها الانحلال الداخلي وتفاقم الاحتجاج ، وكان يدب فيها الضعف .

وان العنف الثوري في المانيا قد احرز النصر عندما قرض تطور النضال خلال شهور عديدة الامبريالية في هذا البلد ؛ والآن تتكرر العملية نفسها لدرجة معينة – لدرجة معينة وليس بصورة تامة – فيما يتعلق ببلدان الوفاق .

قال لي مؤخراً اميركي تتبع ما يجري في بلدان اوروبا الغربية ببالغ الانتباه ، عن كثب ، وبلا تحيز تماماً : «لا ريب ان فرنسا

ستصاب بخيبة امل عظيمة للغاية ، بانهيار الاوهام ؛ فالفرنسيون يشبعونهم بالوعود قائلين لهم : انتم انتصرتم» . فان المشاعر الوطنية القديمة عند الشعب الفرنسي بأسره ، والحقد بسبب سحقهم في عام ١٨٧٠ ، والغضب المسعور بسبب ان البلاد اقفرت من السكان ، ونزفت دماؤها ، وخارت قواها بنتيجة اربع سنوات من الحرب – كل هذا تستغله البرجوازية لكي توجهه في مجرى الشوفينية: «لقد انتصرنا على الالمان، وستمتلئ جيوبنا، ونستريح». ولكن الاميركي الصافي الذهن ، الذي ينظر الى الامور بعين التاجر يقول : «ان الالماني لن يدفع لانه ليس لديه ما يدفع به» .

ولهذا السبب بالذات يشبعون الشعب الفرنسي بالوعود والحكايات الزاعمة ان السلام ، ان النصر النهائي سيحل بين ليلة وضحاها . ولكن السلام انما هو انهيار جميع الآمال في انه بوسع المرء ان يتخلص من هذا المستنقع الدموي حياً ، بيدين ورجلين مكسورة ، ولكن حياً . ولكنه يستحيل التخلص من هذا العالم في ظل الرأسمالية القديمة ، لانه تراكمت اكوام من الديون الرأسمالية على درجة من الضخامة ، وكتل من الخراب والدمار في العالم الرأسمالي كله بسبب من الحرب على درجة من الفداحة بحيث انه يستحيل الخلاص بدون دك هذه الاكوام والكتل بالذات .

وحتى اولئك الذين ليسوا ثوريين ولا يؤمنون بالثورة ، ويخافون من الثورة ، يبحثونها مع ذلك من الناحية النظرية ، وسيحملهم سير الاحداث وعواقب الحرب الامبريالية على الاقتناع بانه لا مخرج غير الثورة .

واني اكرر انه اعجبني بخاصة تقييم الوضع الذي اعطاه اميركي من وجهة نظر تاجر لا يهتم طبعاً بنظرية النضال الطبقي ويعتبر ذلك هراء ولغواً ، ولكنه يهتم بالملايين والمليارات ، ويسأل ، وهو

يحسن الحساب : هل يدفعون ام لن يدفعوا ؟ – ويجيب ، كذلك من وجهة نظر الحساب التجاري العملي تماماً : «ليس هناك ما يدفع به ! بل انك لن تحصل على ٢٠ كوبيكاً مقابل روبل !» .

هذا هو الوضع الذي نرى في ظله في جميع بلدان الوفاق غلياناً هائلاً جداً وشاملاً ، منطلقاً من تعاطف العمال مع الشكل السوفييتي .

مثلاً ، في باريس ، الجمهور ، – ولعله الاشد حساسية بين جميع التجمعات الشعبية في البلدان الاخرى ، لانه مر في باريس بمدرسة كبيرة ، وقام بعدد من الثورات ، – الجمهور هناك ، وهو الاكثر استجابة ، ولا يسمح للخطيب باللجوء الى لهجة زائفة ، يقاطع الآن اولئك الذين يتجاسرون ويتكلمون ضد البلشفية ؛ والحال لم يكن من الممكن منذ بضعة اشهر فقط حتى النبس بكلمة واحدة امام الجمهور الباريسي تحبيذاً للبلشفية دون سماع الاصداء الساخرة من قلب هذا الجمهور نفسه .

وفي باريس تحرك البرجوازية في الوقت نفسه كل جهازها للكذب والافتراء والخداع ضد البلاشفة . ولكننا نعرف ما يعنيه هذا ، اذ كنا نحن البلاشفة في عام ١٩١٧ عرضة لحملات الصحافة البرجوازية كلها . ان السادة البرجوازيين في بلادنا قد اخطأوا قليلاً في الحساب ، وافرطوا ، حين ظنوا انهم سيوقعون البلاشفة في شباك الكذب والافتراء ؛ ولكنهم افرطوا في حملاتهم الى حد انهم قاموا بمثابة دعاية مجانية لنا وحملوا حتى اكثر العمال تأخراً على المحاكمة كما يلي : «اذا كان الرأسماليون يسبون البلاشفة بهذه الشدة ، فان هذا يدل على ان هؤلاء البلاشفة يجيدون مكافحة الرأسماليين !» .

ولهذا كانت تلك السياسة التي اضطررنا لان ننتهجها خلال حقبة صلح بريست ، الصلح الاشد ضراوة وجوراً واذلالاً ، السياسة الصحيحة الوحيدة .

واني اعتقد انه من المفيد التذكير بهذه السياسة مرة اخرى الآن بالذات ، اذ يصبح الوضع فيما يخص بلدان الوفاق مماثلاً ، واذ انها جميعها ما تزال مفعمة بالرغبة المسعورة في القاء ديونها وفقرها وخرابها على عاتق روسيا ، في نهب روسيا وخنقها ، لكي تصرف عن نفسها استياء جماهيرها الكادحة المتعاظم .

ونحن اذ ننظر الى الامور بصفاء ذهن ، نرانا مضطرين الى ان نقول لانفسنا بوضوح تام ، اذا لم نشأ ان نضلل انفسنا ونضلل الآخرين ، — وهذا شغل ضار بالنسبة للثوري ، — ينبغي ان نقول ان بلدان الوفاق اقوى منا من حيث القوة العسكرية ، ولكن اذا اخذنا القضية في تطورها ، فاننا سنقول كذلك بكل وضوح وبالاقتناع الذي لا يرتكز على آرائنا الثورية وحسب ، بل ايضاً على التجربة ، ان جبروت بلدان الوفاق هذا لن يدوم زمناً طويلاً ؛ فهي عشية انعطاف هائل في مزاج جماهيرها .

ولقد اطعمت العمال الفرنسيين والعمال الانجليز على السواء وعوداً : «سنكمل نهب العالم كله ، وآنذاك ستشبع» . بهذا تزعق الصحافة البرجوازية كلها ، غارزة كل هذا في رؤوس الجماهير غير المتطورة .

ولنفترض انها ستعقد صلحاً بعد بضعة اشهر ، هذا اذا لم تتعارك في الحال ، الامر الذي تتوفر له جملة كاملة من العلائم الجدية للغاية . ولكن اذا افلحت وعقدت صلحاً دون ان تتمسك بشعر وخناق بعضها بعضاً ، فان هذا الصلح سيكون بداية افلاس فوري ، لانه ليس بمقدورها ان تسدد هذه الديون التي لا سابق لها ، وان تذلل الخراب المستميت في ظرف انخفض فيه انتاج القمح في فرنسا اكثر من النصف ، ويدق فيه الجوع على الابواب في كل مكان ، وتدمرت فيه القوى المنتجة ، لانه ليس بمقدورها ان تذلل ذلك .

واذا نظرنا الى الامور بصفاء ذهن ، فانه يجب الاعتراف بان ذلك الاسلوب لتقييم الامور الذي اعطانا ذلك المعيار الصحيح لدن تقييم الثورة الروسية ، يعطي كذلك يوماً بعد يوم التأكيد على الثورة العالميـــة . ونحن نعرف ان السواقـــي التي ستجرف جليديات الانتانت هذه – جليديات الوفـــاق ، جليديـــات الرأسماليـــة والامبريالية ، – تقوى يوماً بعد يوم .

ان بلدان الوفاق اقوى منا ، هذا من جهة ؛ ومن جهة اخرى ، ليس بوسعها ان تصمد في اي حال من الاحوال خلال زمن طويل مـا بسبب وضعها الداخلي .

ومن هذا الوضع بالذات ، تنجم مهمـات معقدة في حقـــل السياسة الدوليـة – مهمات سيتأتى علينا ، اغلب الظن بل بالتأكيد ، ان نحلها في الايام القريبة القادمة ، مهمات لست مطلعاً عليهــا كفاية بكل تفاصيلها ، ولكني اود لو اتكلم عنها اكثر مما عن شيء آخر ، – وذلك على وجه الضبط لكي تنتصب التجربـــة في ميدان نشاط مجلس مفوضي الشعب ، في ميدان السياسة الخارجيـــة امامكم ، ايها الرفاق ، بشكل واضح وآسر .

ان تجربتنا الاهم – صلح بريست . ذلك هو الاهم في حاصـل سياسة مجلس مفوضي الشعب الخارجيـــة . كان ينبغي لنا ان نتريث ، ونتراجع ، ونناور ، ونوقع الصلح الاشد اذلالاً ، لنحصل من خلال ذلك على امكانية بناء اساس جديد لجيش اشتراكي جديد . وهذا الاساس ارسيناه ، فتبين ان عدونا الجبار والكلي القدرة فيما مضى صار الآن عاجزاً .

ونحو هذا تسير الامور كذلك في العالم اجمع ، وهذا هـــو الدرس الرئيسي والاساسي الذي يجب ان نستوعبه باكثر ما يمكن من الثبات ، ويجب ان ندركه باكثر ما يمكن من الوضـــوح لكي لا نقترف الاخطاء في مسائل السياسة الخارجية ، وهي مسائـل معقدة

جداً ، صعبة جداً ، مشوشة جداً ، ستواجه في الايام القريبة مجلس مفوضي الشعب ، واللجنة التنفيذية المركزية ، والسلطة السوفييتية كلها على العموم .

وهنا انتهي من تناول مسألة السياسة الخارجية لانتقل الى بعض من اهم المسائل الاخرى .

ايها الرفاق ، فيما يتعلق بالنشاط العسكري ، لم يكن عندنا اي جيش في شباط وآذار (فبراير ومارس) ١٩١٨ ، اي منذ سنة . كان عندنا ، كما اظن ، ١٠ ملايين من العمال والفلاحين المسلحين ، الذين كانوا يشكلون الجيش القديم ، المتفسخ كلياً ، المفعم بالاستعداد المطلق والعزم المطلق على الهرب ، على الفرار ، وترك كل شيء ، مهما كلف الامر .

وهذه الظاهرة اعتبرت آنذاك ظاهرة روسية محضة . فقد ظنوا ان الروس ، بما يلازمهم من قلة صبر او من نقص في التنظيم ، لن يصمدوا وان الالمان سيصمدون .

هكذا كانوا يقولون لنا . ولكننا نرى الآن ، وقد انقضت بضعة اشهر ، ان تنظيم الجيش الالماني الذي كان ارقى من تنظيمنا بما لا يقاس من حيث المستوى الثقافي ، والتكنيك والانضباط ، من حيث الظروف المرضية المؤمنة للمرضى والجرحى ، من حيث الاجازات والخ . ، ان تنظيمه قد حدث له هو ايضاً نفس ما حدث لنا . فان الجماهير الاكثر ثقافة وانضباطاً لم تتحمل المجزرة ، المجزرة التي دامت سنوات عديدة ؛ وحلت مرحلة من التفسخ المطلق ، عندما فشل الجيش الالماني الراقي هو ايضاً .

وواضح انه يوجد حد ، لا بالنسبة لروسيا وحسب ، بل ايضاً بالنسبة لجميع البلدان . والحد يختلف باختلاف البلدان ، ولكنه حد لا يمكن بعد بلوغه مواصلة خوض الحرب من اجل مصالح الرأسماليين . وهذا ما نلاحظه الآن .

ان الامبريالية الالمانية قد فضحت نفسها الى النهاية في انها كانت ضارية . والاهم هو ان الامبريالية في اميركا وفي فرنسا على السواء ، في ظل هاتين الديموقراطيتين المزعومتين (وعن الديموقراطيات يثرثر خونة الاشتراكية ، المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، هؤلاء الناس المناحيس الذين يقولون عن انفسهم انهم اشتراكيون) ، في ظل هاتين الديموقراطيتين الطليعيتين في العالم ، في هاتين الجمهوريتين ، تتزايد وقاحة يوماً بعد يوم ، وتتكشف الوحوش الشرسة ، الضواري ، اكثر مما في اي مكان آخر . انهم ينهبون العالم ، ويتعاركون ، ويتسلحون بعضهم ضد بعض . ولا يمكن اخفاء هذا زمناً طويلاً . كان يمكن اخفاء هذا عندما كانت تسود حمى الحرب . ان الحمى تزول ، والسلام يقترب ، والجماهير في ظل هاتين الديموقراطيتين بالذات ترى ، رغم الكذب كله ، ان الحرب ادت الى نهب جديد . فان الجمهورية الاوفر ديموقراطية ليست سوى ثوب للضاري ، الاشد وحشية ووقاحة ، المستعد لانزال الخراب بمئات الملايين من الناس ، لاجل تسديد الديون ، اي لاجل دفع الاموال للسادة الامبرياليين ، الرأسماليين ، لانهم تفضلوا وسمحوا للعمال بان يذبحوا بعضهم بعضاً . وهذا ما يتضح للجماهير اكثر فاكثر ويوماً بعد يوم .

هذا هو الوضع الذي تظهر فيه امكانية المداخلات السياسية مثل مقالة معلق عسكري في جريدة البرجوازية الاوفر غنى والاوفى حنكة على الصعيد السياسي – في «التايمس» الانجليزية ، – يقيم الاحداث بالتعابير التالية : «في العالم اجمع ، تتفسخ الجيوش ، ولكنه يوجد بلد واحد فقط يبنى فيه الجيش ، وهذا البلد هو روسيا» .

هذه هي الحقيقة التي تضطر الى الاعتراف بها برجوازية اقوى بكثير من البلشفية السوفييتية في الميدان العسكري . وبهذه الحقيقة نعمد الى تقييم ما فعلناه في هذه السنة من العمل السوفييتي .

لقد افلحنا في ان نحقق انعطافاً مفاده انه عوضاً عن الجيش الذي يضم عشرة ملايين رجل ، والذي فر كله ولم يصمد لويلات الحرب وادرك ان هذه الحرب مجرمة ، اخذ يتشكل ، مائة الف اثر مائة الف ، جيش اشتراكي ، يعرف الهدف الذي يناضل من اجله ويقدم على بذل التضحيات وتحمل الحرمانات اكثر مما في ظل القيصرية لانه يدرك انه يذود عن قضيته وارضه وسلطته في الفبركة ، ويدافع عن سلطة الشغيلة ، وان الشغيلة في البلدان الاخرى يستيقظون ، وان بصعوبة ومشقة .

ذلك هو الوضع الذي يعطي فكرة عن تجربة السلطة السوفييتية خلال سنة .

ان الحرب صعبة صعوبة لا تصدق بالنسبة لروسيا السوفييتية ، والحرب صعبة صعوبة لا تصدق بالنسبة للشعب ، الذي ظل طوال اربع سنوات يعاني من ويلات الحرب الامبريالية . والحرب مرهقة ارهاقاً لا يصدق بالنسبة لروسيا السوفييتية . ولكن الاعداء الاقوياء انفسهم يعترفون حالياً بان جيشهم يتفسخ ، في حين ان جيشنا يبنى . لان الجيش يبنى للمرة الاولى في التاريخ على التقارب ، على التقارب الذي لا ينفصم عراه – ويمكن القول ، على التلاحم الذي لا ينفصم عراه – بين السوفييتات والجيش . فان السوفييتات توحد جميع الشغيلة والمستثمَرين ، – والجيش يبنى على مبدأ الدفاع الاشتراكي والوعي الاشتراكي .

قال ملك بروسي في القرن الثامن عشر قولاً ذكياً : «لو كان جنودنا فهموا لاي غرض نحارب ، لاستحال خوض اي حرب» . ان هذا الملك البروسي الكهل كان عاقلاً . ونحن الآن مستعدون للقول ، ونحن نقارن وضعنا بوضع هذا الملك : نحن نستطيع ان نخوض الحرب لان الجماهير تعرف لاي غرض تحارب ، وهي تريد ان تحارب رغم الاعباء التي لا سابق لها – واكرر ، ان اعباء الحرب هي الآن اكبر

مما في زمن القيصرية – وتعرف انها تبذل تضحيات هائلة ، مرهقة بشكل لا يطاق ، اذ تدافع عن قضيتها الاشتراكية ، اذ تناضل جنباً الى جنب مع اولئك العمال في البلدان الاخرى الذين «يتفسخون» وبدأوا يدركون وضعنا .

هناك اغبياء يزعقون بالنزعة العسكرية الحمراء ؛ هؤلاء هم محتالون سياسيون يتظاهرون بانهم يصدقون هذه الحماقة ، وينثرون مثل هذه التهم يميناً ويساراً ، مستغلين لهذا الغرض مهارتهم في المحاماة لاختلاق حجج زائفة ، وذر الرماد في عيون الجماهير . ويصيح المناشفة والاشتراكيون-الثوريون على السواء : «انظروا ، عوضاً عن الاشتراكية ، يعطونكم النزعة العسكرية الحمراء !» .

وبالفعل ، يا للجريمة «الرهيبة» ! امبرياليو العالم اجمع انقضوا على جمهورية روسيا لكي يخنقوها ؛ اما نحن فشرعنا ننشئ جيشاً يعرف للمرة الاولى في التاريخ لاي غرض يحارب ولاي غرض يبذل التضحيات ، ويقاوم بنجاح عدواً يتفوق عليه بالعدد ، مقرباً الثورة العالمية مع كل شهر من المقاومة على نطاق لا نظير له حتى الآن ، – وهذا يشجبونه على اعتباره نزعة عسكرية حمراء !

اكرر – اما ان هؤلاء حمقى لا يطبق عليهم اي تقييم سياسي ، واما انهم محتالون سياسيون .

يعلم الجميع ان هذه الحرب قد فرضت علينا فرضاً ؛ ففي مطلع عام ١٩١٨ انهينا الحرب القديمة ولم نبدأ حرباً جديدة ؛ والجميع يعرفون ان رجال الحرس الابيض قد هاجمونا في الغرب وفي الجنوب وفي الشرق ، وذلك فقط بفضل مساعدة الوفاق الذي بعزق الملايين يميناً وشمالاً ، ناهيك عن ان البلدان الطليعية قد جمعت الاحتياطيات الهائلة من القذائف والمعدات الحربية المتبقية من الحرب الامبريالية وارسلتها لتدعيم رجال الحرس الابيض ، لان

هؤلاء السادة اصحاب الملايين واصحـــاب المليارات يعرفون ان مصيرهم يتقرر هنا ، وانهم سيهلكون هنا اذا لم يخنقونا فوراً .

ان الجمهورية الاشتراكية تبذل جهوداً منقطعة النظير ، وتبذل التضحيات ، وتحرز الانتصارات ؛ واذا القينا الآن ، بعد سنـــة من الحرب الاهلية ، نظرة الى الخريطة : في اي حال كانـــت روسيـــا السوفييتية في آذار (مارس) ١٩١٨ ، في اي حال صارت قبيل تموز (يوليو) ١٩١٨ ، عندما كان الامبرياليون الالمان يقفون في الغرب على الخط المقرر في صلـــح بريست ، وكانـــت اوكرانيا تحت نير الامبرياليين الالمان ، وكان التشيكوسلوفاكيون الذين اشتراهـم الفرنسيـــون والانجليـــز يسودون في الشرق حتى قازان وسيمبيرسك ، - واذا اخذنا الخريطـــة الآن ، فاننا سنرى اننـــا توسعنا بصورة لم يسمع بمثلها من قبل ، واننا احرزنا انتصارات جليلة .

ذلك هو الوضع الذي لا يمكن ان يطلق فيه كلمات طنانة في سياق اتهامنا بالنزعة العسكرية الحمراء غير اقذر واسفـــــــل المحتالين السياسيين .

فلم تحدث في التاريخ ثورات يمكن ، بعد الظفر بها ، وضعها في الجيب والنـــوم على اكاليـــل الغار . وان من يظن ان ثورات كهذه ممكنة ، ليس ثورياً ، بل ألد عدو للطبقة العاملة . فلم تقع اي ثورة ، حتى من الدرجة الثانية ، وحتى برجوازية ، عندمـــا كان المقصود ينحصر في تسليم السلطة من قبل اقلية موسرة الى اقليـــة اخرى . ونحن نعرف امثلة ! وان الثورة الفرنسية التي تألبت عليها الدول القديمة في مطلع القرن التاسع عشر لاجل خنقهـــا ، تسمى بالثورة الكبرى ، وذلك على وجه الضبط لانها استطاعـــت ان تستنهض الى الدفاع عن مكاسبها جماهير شعبية غفيرة جابهت العالم كله . وهنا تكمن احدى مآثرها الكبيرة .

ان الثورة تتعرض لاخطر الامتحانات على محك الواقع العملي ، في غمرة النضال ، في غمرة النيران . واذا كنت مظلوماً ومستثمَراً ، واذا كنت تفكر في دك سلطة المستثمِرين ، وعزمت على السير بقضية الاطاحة حتى النهاية فعليك ان تعرف انه سيتأتى لك ان تتعرض لهجوم المستثمِرين في العالم كله ؛ واذا كنت مستعداً لصد هذا الهجوم والاقدام على بذل تضحيات جديدة لاجل الصمود في النضال ، فانت ثوري في هذه الحال ؛ والا سحقوك سحقاً .

هكذا طرح المسألة تاريخ جميع الثورات .

ان امتحان ثورتنا الحقيقي هو اننا استطعنا نحن ، في بلد متأخر ، ان نأخذ السلطة قبل الآخرين ، ان نظفر بالشكل السوفييتي للحكم ، بسلطة الشغيلة والمستثمَرين . فهل نتمكن من الاحتفاظ بهذه السلطة والصمود وان على الاقل حتى تتحرك الجماهير في البلدان الاخرى ؟ فاذا لم نستطع الاقدام على بذل تضحيات جديدة وعلى الصمود ، فانهم سيقولون : ان الثورة كانت امراً لا مبرر له تاريخياً . ولكن ديموقراطيي البلدان المتمدنة ، المسلحين من الرأس الى اخمص القدمين ، يخشون من ظهور نحو مائة بلشفي في جمهورية ما حرة يبلغ عدد سكانها مائة مليون ، من طراز اميركا مثلاً ، فهم عدوى واي عدوى ! وان مكافحة مائة شخص جاؤوا من روسيا الجائعة ، الخربة ، واخذوا يتحدثون عن البلشفية تصبح امراً فوق طاقة الديموقراطيين ! فان عطف الجماهير هو معنا ! ولا نجاة للبرجوازيين الا فيما يلي : ما دام السيف لم يسقط من ايديهم ، ما دامت المدافع في ايديهم ، ينبغي الاسراع بتوجيه هذه المدافع ضد روسيا السوفييتية وسحقها خلال بضعة اشهر ، لانه يستحيل فيما بعد سحقها بأي وسيلة كانت . هذا هو وضعنا ، هذا ما يحدد السياسة العسكرية لمجلس مفوضي الشعب خلال هذه السنة ، ولهذا يحق لنا ان نقول ، مشيرين الى الوقائع ، الى النتائج ، اننا

نؤدي الامتحان لسبب واحد فقط هو ان العمـــال والفلاحين الذين انهكتهم الحرب بصورة منقطعة النظير ، يبنون جيشاً جديداً في ظروف اشد ايلاماً ، ضاربين آيات جديدة من البطولة .

هذه هي ، بايجاز ، نتائج سياسة السلطة السوفييتيـــة في الميدان العسكري . واني اسمح لنفسي هنا بان اقول بضع كلمات اخرى بصدد نقطة تتلاقى فيها السياسة في المسألة العسكرية مـع السياسة في المسائل الاخرى ، مع السياسة الاقتصاديـة ،– واني اقصد هنا الاختصاصيين العسكريين .

انتم تعرفون ، اغلب الظن ، اي مجادلات استثارتهــا هذه المسألة ، وان رفاقاً من عداد اخلص البلاشفة-الشيوعيين الاقحاح قد اعربوا احياناً كثيرة عن احتجاجات شديدة على اننـــا نستفيد في بنـاء الجيش الاشتراكي الاحمر من خدمات اختصاصيين عسكريين قدماء ، جنرالات وضباط قيصريين ، اساؤوا الى سمعتهم بخدمـــة القيصرية ، واحياناً بعمليات التنكيل الدموي بالعمال والفلاحين .

ان التناقض يفقأ العين ، والغضب يتفجر هنا تلقائياً كمـــا يمكن القول . فكيـف يمكن بنـــــاء الجيش الاشتراكي بمساعدة اختصاصيي القيصرية ؟ !

لقد تبين اننا بنيناه بهذا النحو فقط . واذا امعنـــــا الفكر في المهمة التي القيت على عاتقنا ، فليس من العسير ان نفهم انه لـم يكن من الممكن بناؤه الا بهذا النحو . فان هذه القضية ليســـت عسكرية وحسب ؛ وهذه المهمة واجهتنا في جميع ميادين الحيـــاة الشعبية والاقتصاد الوطني .

كان الاشتراكيون-الطوبويون القدماء يتصورون انه يمكن بناء الاشتراكية مع اناس آخرين ، وانهم سيربون في البدء اناســـاً طيبين ، نظيفين ، متعلمين بصورة ممتازة ، ويبنون بهم الاشتراكية .

وكنا دائماً نضحك ونقول ان هذه لعبة دمى ، ان هذه تسلية آنسات ساذجات مولعات بالاشتراكية ، وليست سياسة جدية .

نحن نريد ان نبني الاشتراكية بهؤلاء الناس الذين ربتهم الرأسمالية وشوهتهم وافسدتهم ، ولكنها بالمقابل مرستهم للنضال . فهناك بروليتاريون ممرسون الى حد ان في وسعهم احتمال قدر من التضحيات يزيد الف مرة عما يستطيع احتماله اي جيش كان ؛ وهناك عشرات الملايين من الفلاحين المظلومين ، الجهلاء ، المشتتين ، ولكنهم القادرون على الالتفاف حول البروليتاريا في النضال اذا ما اتبعت تكتيكاً حكيماً . ثم هناك اختصاصيون في ميداني العلم والتكنيك مفعمون من رؤوسهم الى اخمص اقدامهم بالمفهوم البرجوازي عن العالم ، وهناك اختصاصيون عسكريون تربوا في الاحوال البرجوازية ، – وحسناً لو تربوا في الاحوال البرجوازية فقط ، اذ انهم تربوا كذلك في احوال الاقطاعية ، في احوال العصا ، في احوال القنانة . اما فيما يخص الاقتصاد الوطني ، فان جميع المهندسين الزراعيين والمهندسين والمعلمين ، جميعهم تحدروا من الطبقة الموسرة ؛ ولم ينزلوا من السماء ! ولم يكن لا في وسع البروليتاري المعوز ولا في وسع الفلاح المعدم ان يحصلا على التعليم الجامعي لا في عهد القيصر نيقولاي ولا في عهد الرئيس الجمهوري ويلسون . فالعلم والتكنيك للاغنياء ، للموسرين ؛ ان الرأسمالية لا تمنح الثقافة الا للاقلية . والحال ينبغي لنا ان نبني الاشتراكية من هذه الثقافة . ولا مادة اخرى عندنا . نحن نريد ان نبني الاشتراكية فوراً من المادة التي خلفتها لنا الرأسمالية ، بين عشية وضحاها ، الآن بالذات ، لا من اولئك الناس الذين يُستنبتون في المنابت المدفأة ، اذا تسلينا بهذه الحكاية . فلدينا يتوفر اختصاصيون برجوازيون ، لا غير . وليس عندنا آجرّ اخرى ، وليس عندنا ما نبني منه . يجب ان تنتصر الاشتراكية ، ونحن ، الاشتراكيين

والشيوعيين ، يجب علينا ان نثبت عملياً اننا قادرون على بناء الاشتراكية من هذه الآجر ، من هذه المادة ، على بناء المجتمع الاشتراكي من البروليتاريين الذين استفادوا من الثقافة بقدر تافه ، ومن الاختصاصيين البرجوازيين .

واذا لم تبنوا المجتمع الشيوعي من هذه المادة ، فانتم منمقو جمل فارغة وثرثارون .

هكذا طرح المسألة ميراث الرأسمالية العالمية التاريخي ! وهذه هي الصعوبة التي جابهتنا بصورة ملموسة عندما اخذنا السلطة ، عندما حصلنا على الجهاز السوفييتي !

هذا نصف المهمة ، ولكنه نصفها الاكبر . فان الجهاز السوفييتي يعني ان الشغيلة متحدون بنحو يسحقون معه الرأسمالية بثقل اتحادهم الجماهيري المكثف . ولقد سحقوها حقاً وفعلاً . ولكنك لن تشبع من الرأسمالية المسحوقة . انما ينبغي اخذ كل الثقافة التي خلفتها الرأسمالية ، وبناء الاشتراكية منها . ينبغي اخذ العلم كله والتكنيك كله والمعارف كلها والفن كله . وبدون هذا ، لا نستطيع بناء حياة المجتمع الشيوعي . والحال ، ان هذا العلم والتكنيك والفن في ايدي الاختصاصيين وفي رؤوسهم .

هكذا توضع المهمة في جميع الميادين ، وهي مهمة متناقضة ، كما الرأسمالية كلها متناقضة ، وفي منتهى الصعوبة ، ولكنها قابلة للتحقيق . لا لاننا سنربي اختصاصيين شيوعيين خالصين بعد حوالي عشرين سنة : الجيل الاول من الشيوعيين الخالين من كل عيب وكل نقص . كلا ، عفواً ينبغي لنا ان ندبر كل شيء الآن ، لا بعد عشرين سنة ، بل بعد شهرين ، من اجل النضال ضد البرجوازية ، ضد العلم البرجوازي والتكنيك البرجوازي في العالم كله . وهنا يجب ان ننتصر . ان اجبار الاختصاصيين البرجوازيين بكل ثقلنا المكثف على خدمتنا امر صعب ولكنه ممكن ؛ واذا فعلنا هذا ، انتصرنا .

عندما ابلغنـي الرفيق تروتسكي مؤخراً ان عدد الضباط في مصلحتنا العسكرية يبلغ بضع عشرات الآلاف ، آنذاك ادركـت بوضوح سر الاستفادة من عدونا : كيف نجبر على بناء الشيوعيـة اولئك الذين هم اخصامها ، على بناء الشيوعية من آجر جمعهـا الرأسماليون ضدنا ! وليس لدينا آجر اخرى ! ومن هذه الآجـر بالذات ، وتحت قيادة البروليتاريا ، ينبغي ان نجبر الاختصاصيين البرجوازيين على بناء صرحنا . هنا الصعوبة ، وهنا عربون النصر !

وفي هذا السبيل ، وقع بالطبع عدد غير قليل من الاخطاء لأنه سبيل جديد وعسير ؛ وفي هـذا السبيـل ، كان ينتظرنا عدد غير قليل من الهزائم ؛ والجميع يعرفون ان عدداً معيناً من الاختصاصيين كان يخوننا دائماً : ففي المصانـع وفي الزراعـة ، وفي ميدان الادارة واجهنا ولا نزال نواجه لدى كل خطوة وقائع من سوء العمـل والتخريب المتعمدين من قبل الاختصاصيين .

ونحن نعرف ان هذه كلها مصاعب جسيمـة وانه لا يمكن تذليلها بالعنف وحده ... نحن لسنا ، بالطبع ، ضد العنف ؛ نحن نسخر من الذين يقفون موقفاً سلبياً من ديكتاتورية البروليتاريـا ، ونقول ان هؤلاء اناس حمقى ، لا يستطيعون ان يفهموا انه يجب ان تقوم اما ديكتاتورية البروليتاريا واما ديكتاتورية البرجوازية . وان من يقول برأي آخر ، هو اما غبي ، واما امي سياسياً الى حد انه من العيب لا السماح له بالارتقاء الى المنبر وحسب ، بـل ايضاً مجرد السماح له بحضور الاجتماع . وليس هناك سوى واحد من امرين ، فاما العنف بحق ليبكنخت ولوكسمبورغ والبطش بخيرة زعماء العمال ، واما قمع المستثمِرين بالعنف ؛ ومن يحلم بحـل وسط هو اضرّ واخطر عدو لنا . هكذا توضع المسألة الآن . وهكذا متى تحدثنا عن استخدام الاختصاصيين ، يجب الا يغيب عن البال درس السياسـة السوفييتية طيلة السنة المنصرمة ؛ ففي غضون هذه السنـة

حطمنا المستثمِرين وانتصرنا عليهم ؛ والآن يجب علينا ان ننفذ مهمة استخدام الاختصاصيين البرجوازيين . وهنا ، اكرر قولي ، لن نفعل شيئاً بالعنف وحده . ولا بد هنا ، اضافة الى العنف ، وبعد العنف المظفر ، من التنظيم والانضباط والنفوذ المعنوي لدى البروليتاريا المظفرة التي تخضع لنفسها جميع الاختصاصيين البرجوازيين وتشركهم في عملها !

سيقولون : عوضا عن العنف ، يوصي لينين بالتأثير المعنوي ! ولكنه من الغباوة الظن بانه من الممكن بالعنف وحده حل مسألة تنظيم على علم جديد وتكنيك جديد في مضمار بناء المجتمع الشيوعي . غباوة ! نحن ، بوصفنا حزباً ، بوصفنا اناساً تعلموا شيئاً ما في غضون هذه السنة من العمل السوفييتي ، لن نقع فى لجة هذه الغباوة وسنحذر الجماهير منها . ان مهمة استخدام كل جهاز المجتمع البرجوازي ، الرأسمالي لا تتطلب العنف المظفر وحسب ، بل تتطلب ، علاوة على هذا ، التنظيم والانضباط ، والانضباط الرفاقي وسط الجماهير ، وتنظيم التأثير البروليتاري في جميع السكان الآخرين ، وخلق جو جديد في اوساط الجماهير يرى فيه الاختصاصي البرجوازي ان لا مخرج له وانه تستحيل العودة الى المجتمع القديم ، وانه لا يسعه ان يقوم بعمله الا مع الشيوعيين الذين يقفون بقربه ويقودون الجماهير ويتمتعون بمطلق ثقة الجماهير ويعملون على ان لا تعود ثمار العلم والتكنيك البرجوازيين ، ثمار تطور المدنية خلال آلاف السنين ، الى حفنة من الافراد يستغلونها لكي يبرزوا ويثروا ، بل ان تعود الى جميع الشغيلة بلا استثناء .

وانها لمهمة فائقة الصعوبة ينبغي صرف عشرات السنين من اجل ادائها كلياً ! ولاجل ادائها ، ينبغي انشاء قوة ، انضباط ، انضباط رفاقي ، انضباط سوفييتي ، انضباط بروليتاري ، من

شأنه ، لا ان يسحق جسدياً اعداء الثورة من ابناء البرجوازية وحسب ، بل ان يشملهم كذلك كلياً ويخضعهم لنفسه ، ويجبرهم على السير في دربنا وخدمة قضيتنا .

واكرر قولي اننا في امر البناء العسكري والبناء الاقتصادي وفي عمل كل مجلس من مجالس الاقتصاد الوطني وفي عمل كل لجنة مصنعية وكل مصنع مؤمم ، — اننا قد اصطدمنا كل يوم بهذه القضية . ومن المشكوك فيه ان يكون قد مر وان اسبوع خلال هذه السنة لم نطرح فيه هذه المسألة في مجلس مفوضي الشعب ، بنحو او آخر ، بهذا الشكل او ذاك ، ولم نحلها . واني لواثق بانه ما من لجنة مصنعية في روسيا ، وما من كومونة زراعية ، او استثمارة سوفييتية ، او هيئة زراعية في قضاء من الاقضية لم تواجه هذه المسألة عشرات المرات خلال هذه السنة من العمل السوفييتي .

هذه هي صعوبة المهمة ، ولكن هذه ايضاً مهمة تعود بالخير حقاً ، وهذا ما يجب علينا ان نحققه الآن ، في اليوم التالي لسحق المستثمِرين من قبل قوة الانتفاضة البروليتارية . لقد سحقنا مقاومتهم ، — وكان ينبغي القيام بذلك ، — ولكنه لم يكن ينبغي القيام بذلك وحسب ، بل كان ينبغي ايضاً اجبارهم بقوة التنظيم الجديد ، بقوة تنظيم الشغيلة الرفاقي على خدمتنا ، كان ينبغي علاجهم وشفاؤهم من القروح القديمة ، والحؤول دون عودتهم الى ممارستهم الاستثمارية . لقد ظلوا برجوازيين كما من قبل ، وهم يشغلون مناصب الضباط والوظائف في هيئات اركان جيشنا ايضاً ، وهم مهندسون وخبراء زراعيون ، هؤلاء البرجوازيون القدامى الذين يقولون عن انفسهم بانهم مناشفة واشتراكيون-ثوريون . ان النعوت لا تغير شيئاً ، ولكنهم برجوازيون تماماً ، من الرأس حتى اخمص القدمين ، من حيث مفهومهم عن العالم وعاداتهم .

فما العمل ، يا ترى ، هل نطردهم ؟ انك لن تطرد مئات

الآلاف ! واذا ما طردناهم ، لقصصنا اجنحتنا بأنفسنا . فلا يمكننا ان نبني الشيوعية الا مما خلقته الرأسمالية . ولا يجب طردهم ، بل يجب تحطيم مقاومتهم ، ومراقبتهم لدى كل خطوة ، دون ان نقوم باية تنازلات سياسية يقوم بها فاقدو الرجولة في كل لحظة . ان الناس المثقفين يتأثرون بسياسة ونفوذ البرجوازية لانهم اخذوا ثقافتهم كلها من الوسط البرجوازي وبواسطته . ولهذا يتعثرون في كل خطوة ويقومون بتنازلات سياسية للبرجوازية المعادية للثورة .

ان الشيوعي الذى يقول انه لا يجوز توسيخ اليدين ، وانه يجب ان تكون لديه يدان شيوعيتان نظيفتان وانه سيبني المجتمع الشيوعي بيدين شيوعيتين نظيفتين ، دون ان يستخدم التعاونيين البرجوازيين الحقراء المعادين للثورة ، انما هو منمق جمل فارغة ، لانه ، بالعكس ، لا يمكن الاستغناء عن استخدامهم .

ان المهمة العملية تتلخص الآن في ان نجذب الى خدمتنا اولئك الذين ربتهم الرأسمالية ضدنا ، وان نراقبهم كل يوم ، ونضع فوقهم مفوضين عمالاً في جو التنظيم الشيوعي ، وان نقطع كل يوم دابر التطاولات المعادية للثورة ، ونتعلم منهم في الوقت نفسه .

وعندنا ، في افضل الاحوال ، علم المحرض ، الداعية ، اي الانسان الذي مرسه وصلب عوده المصير الشاق الجهنمي الذي هو مصير عامل المصنع او الفلاح الجائع ، – العلم الذي يعلم الصمود طويلاً والعناد في النضال ، الامر الذي انقذنا حتى الآن ؛ وكل هذا ضروري ؛ ولكن هذا قليل ، لا يكفي ، وبهذا وحده يستحيل احراز النصر ؛ فلكي يكون النصر كاملاً ونهائياً ، ينبغي ان نأخذ ايضاً كل ما في الرأسمالية من قيّم ، ينبغي ان نأخذ لانفسنا العلم كله والثقافة كلها .

ولكن من اين نأخذ هذا ؟ يجب ان يتعلم منهم ، من اعدائنا ،

فلاحونا الطليعيون من الخبير الزراعي البرجوازي في القسم الزراعي بالقضاء ، وعمالنا الواعون في مصانعهم من المهندس البرجوازي ومن غيره ، لكي يستوعبوا ثمار ثقافتهم .

وفي هذا المجال ، كان النضال الذي نشب في حزبنا خلال السنة المنصرمة مثمراً للغاية ؛ وقد استثار عدداً لا بأس به من الاصطدامات الحادة ، ولكن لا نضال بدون اصطدامات حادة ؛ اما نحن فقد كسبنا خبرة عملية في مسألة لم توضع يوماً امامنا ، ولكنه لا يمكن بدونها تحقيق الشيوعية . ان مهمة الجمع بين الثورة البروليتارية المظفرة وبين الثقافة البرجوازية والعلم البرجوازي والتكنيك البرجوازي ، التي كانت حتى الآن في منال قلة من الناس ، ان هذه المهمة ، - واقول هذا مرة اخرى ، - مهمة صعبة . وهنا يتوقف كل شيء على تنظيم ، على انضباط الفئة الطليعية من الجماهير الكادحة . ولو لم تكن في روسيا ، على رأس الملايين من الفلاحين التعساء ، الجهلاء ، العاجزين اطلاقاً عن البناء المستقل ، المظلومين طيلة قرون وقرون من قبل الاقطاعيين ، لو لم تكن في جوارهم الفئة الطليعية من عمال المدن المفهومين منهم والقريبين اليهم ، والذين يتمتعون بثقتهم ، الذين يصدقهم الفلاح بوصفهم من جماعته ، جماعة العمل ، لو لم يكن هناك هذا التنظيم القادر على ان يرص صفوف الجماهير الكادحة ويوحي لها ويوضح لها ويقنعها باهمية مهمة اخذ الثقافة البرجوازية كلها لانفسها ، - لكانت قضية الشيوعية لا امل فيها .

وانا لا اقول هذا من وجهة النظر المجردة ، بل اقوله من وجهة نظر الخبرة اليومية المكتسبة في سياق سنة بكاملها . واذا كانت هذه الخبرة تنطوي على الكثير من التوافه المملة احياناً ، وغير المستطابة ، فانه يجب ان نرى وراء جميع هذه التوافه شيئاً ما اعمق ، يجب ان نفهم ان توافه العمل هذه ، ان المصادمات بين اللجنة

المصنعيـــة والمهندس ، بين هذا الجندي الاحمر وذاك الضابط البرجوازي ، بين هذا الفلاح وذاك المهندس الزراعي البرجوازي ، — ان هذه النزاعات والاحتكاكات والتوافه تنطوي على مضمون اعمق بما لا قياس له . فقد تغلبنا على الرأي الباطل الزاعم انه ينبغي طرد هؤلاء الاختصاصيين البرجوازيين . ولقد اخذنا هذه الآلة ، وهذه الآلة لا تزال تسير سيئاً ، — ولن نعلل انفسنا بالاوهـــام ، — فان هذه الآلة تتعثر لدى كل خطوة ، وتقترف الاخطـــاء لدى كل خطوة ، وتسقط في القناة لدى كل خطوة ؛ ولكننا ننتشلهـا من جديـــد ، ولكنها اخذت تسير ، ولسوف نقودها في الطريق الصائب . وهكذا فقط سنتخلص من مستنقع الخراب والمصاعب الرهيبة والدمـــار والتوحش والفقر والجوع ، من هذا المستنقع الذي دفعتنا اليـــه الحرب والذي يحاول امبرياليو جميع البلدان ان يدفعونا اليـه وان يجعلونا نتورط فيه .

ولقد بدأنا التخلص منه . وهذه هي اولى الخطوات .

ان سنة من العمل السوفييتي قد علمتنا فهم هذه المهمـــة بوضوح في كل حالة بمفردها من حالات الممارسة المصنعية وممارسة العمل الفلاحي ، والالمام بهذا العمل . وهذا مكسب في منتهـــى الضخامة احرزته السلطة السوفييتية في غضون سنة واحدة . ولم يكن من المؤسف صرف سنة على هذا . واننا لن نحاكم نظرياً وبوجه عام ، كما في الازمنة الغابرة ، حول شأن الاختصاصيين البرجوازيين وحول شأن المنظمات البروليتارية ، بل اننـا سنستفيـد من كل خطوة من تجربتنا في كل لجنة مصنعية وفي كل هيئة زراعيـة . واذا كنا قد ارسينا اساس الجيش الاحمر ، واذا كان لدينا اساس غير كبير ، واذا كانت هناك مؤسسات مؤممة فهم فيها العمال مهماتهـم وشرعوا يزيدون انتاجية العمل بمساعدة اولئـــك الاختصاصيين البرجوازيين الذين يحاولون لدى كل خطوة ان يرجعوا القهقرى في حين

تجبرهم منظمات العمال الجماهيرية على السير الى الامام مع السلطة السوفييتية قدماً لقدم ، – فان هذا اكبر مكاسب السلطـــــة السوفييتية . وهذا عمل غير منظور ، ولا شيء باهر فيـــه ، ومن الصعب تقديره بكل مغزاه ، ولكن خطوة حركتنا الى الامام تتجلى على وجه الضبط في كوننا قد انتقلنا من المهمة البسيطة ، مهمة قمــــع المستثمرين وحسب ، الى مهمة تعليم انفسنا بانفسنا ، وتعليـــم الجماهير بناء الشيوعية من الآجر الرأسمالية ، وجعل الاختصاصيين البرجوازيين الرأسماليين يعملون من اجلنـــا . في هذا السبيل فقط سنحرز النصر . ونحن نعرف الآن اننا بمواصلة السير كما سرنا حتى الآن سنحرز هذا النصر حقاً وفعلاً .

ايها الرفاق ، انتقل الى المسألة الاخيرة التي اود لو اوضحها ، وان بايجـاز ، نظراً لاني اطلت خطابي اكثر من اللزوم ، – واعني بها مسألة الموقف من الريف .

اذا كنت قد تحدثت حتى الآن عـــن العمـــل العسكري ، عن الديكتاتورية ، عن استخدام الاختصاصيين البرجوازيين ، فهنا نواجه صعوبة جسيمة جديدة من صعوبات البناء الشيوعي .

فما العمل اذا كانت السلطة قد انتقلت الى يد البروليتاريـــا في بلد تشكل فيه بروليتاريا المدن اقلية السكان ، بينما الاغلبيـــة تتشكل من فلاحين اعتادوا تسيير استثماراتهـــم كلاً بمفرده ، ومفعمين كلياً بهذه العادات ، عادات تسيير الاستثمارات المبعثرة والمشتتة ؟

ولكن معظم هؤلاء الفلاحين حل بهم الخراب والاملاق والعذاب من جراء اضطهاد الملاكين العقاريين الاقطاعيين والرأسماليين الى حد انهم يهبون طوعاً واختياراً الى مساعدة البروليتاريين . واذا كان عامل من عمال المدينة يعامل الفلاح معاملة ذكية ولبقة وانسانية نوعـاً ، وليس مثلما حين يريد المرء ان يترأس ويتحكـــم فيستثير الكره

المشروع ، – اذا كان هذا العامل يعامل الفلاح معاملة انسانية نوعاً ، فانه يلقى منه الثقة الرفاقية التامة والدعم الكامل . وهذا ما نعرفه . وبفضل هذا تصمد السلطة السوفييتية في الريف . وهي لم تستطع الصمود الا بفضل اصدق الدعم من جانب اغلبية الكادحين . ولقد حصلنا على هذا الدعم لان عمال المدن اقاموا الصلات مع الفلاحين الفقراء بآلاف من السبل التي لم تخطر لنا يوماً في بال .

وان سلطة الدولة التي كانت تعيق ذلك من قبل تبذل الآن قصارى الجهود لمساعدته . وبفضل ذلك فقط تصمد السلطة السوفييتية ، وفي ذلك فقط ضمانة النصر .

ان المصاعب الجسيمة التي نوهت بها للتو تتلخص في كون الفلاح قد اعتاد العمل بمفرده ، والمتاجرة الحرة بالحبوب ، ويخيل اليه ان هذا امر مشروع . فهو يحاكم كما يلي : انا الذي كدحت لانتاج الحبوب والذي كلفتني هذه الحبوب مثل هذا القدر من العرق والدم ، كيف لا يحق لي ان ابيعها بحرية ؟ ان هذا يبدو للفلاح ضيماً .

ولكننا نعلم من كل تجربة تطور روسيا ان حرية المتاجرة تعني حرية غرس الرأسماليين ؛ وان حرية المتاجرة في بلاد اعياها الجوع ، والجائع فيها على استعداد لاعطاء كل شيء لقاء كسرة من الخبز ، وحتى للقبول بالعبودية ، – ان حرية المتاجرة في بلاد تعاني المجاعة انما تعني حرية اغناء الاقلية وانزال الخراب بالاغلبية .

يجب ان نبرهن ان المهمة الاولى في بلاد اعياها الجوع هي تقديم المساعدة للفلاحين ، ولكن لا يمكن تقديم المساعدة لهم الا بتحقيق تضافر جهودهم ، بتوحيد الجماهير ، لان الفلاحين مشتتون ، مبعثرون ، واعتادوا العيش والعمل كلاً بمفرده .

وليست ثمة عقبات خارجية تحول دون تحقيق هذه المهمة الصعبة ؛ وما كان ينبغي فعله هنا بالعنف قد تم فعله ؛ ونحن لا

نتخلى عن العنف ؛ ونحن نعرف انـــــه يوجـد بين الفلاحين كولاك يقاوموننا ، منظمين على المكشوف فتناً معاديـــة لنا ؛ هذا القول لا يتعلق بكل جمهور الفلاحين . فالكولاك اقلية ؛ وهنـــا لا بد من النضال ومن النضال ؛ يجب قمعهم ونحن نقمعهـم ؛ ولكن بعـد اداء مهمة قمع المستثمرين في الريف اداء مظفراً ، تنهض مسألــــة يستحيل حلها بالعنف ؛ وفي هذا الميدان ، كما في جميـع الميادين الاخرى ، لا يمكننا ان نؤدي مهمتنا الا بواسطة التنظيم الجماهيري ، الا بالتأثير التربوي المديد من جانب بروليتاريا المدن على الفلاحين .

فهل نحقق هذه المهمة ؟ – اجـــل ، ونحـن نعرف هذا من التجربة . ولان الاغلبية الساحقة من الفلاحين تثق بالسلطــــة العمالية ، لهذا السبب وحده يمكن ، بالاستناد الى تجربة هذه الثقة بالعمال ، بناء الاساس الذي بدئ ببنائه ، والذي يجب مواصلـــة بنائه ، ولكن يجب بناؤه عن طريق التأثير الرفاقي والانضبـــاط الرفاقي .

هذه هي المهمة التي واجهتنا عملياً .

عندما عمدنا الى تأسيس لجان الفلاحين الفقراء ، وعندمـــا حاولنا ان ننظم التبادل التجاري مع الريف ، لم نقصد من ذلـك ان يحصل الاغنياء على البضائع ، بل قصدنا ان يحصل الفلاح الفقير في المقام الاول على تلك البضائع القليلة التي كان بوسع المدينة ان تقدمها لكي نستطيع ، بتقديم العون للفلاحين الفقراء ، ان ننتصر ، بمساعدة هؤلاء بدورهم ، على الكولاك ونأخذ منهم فوائض الحبوب .

لقد كان من الصعب منتهى الصعوبة اداء مهمة تزويد السكان بالحبوب في بلاد شاسعة وسائط المواصلات فيها رديئة ، والفلاحون مشتتون ؛ وهذه المهمة تسببت لنا اكثر من غيرها بالهمـــوم والمشاغل . واني اذ اتذكر جميع جلسات مجلس مفوضي الشعب ، اقول انه لم تكن ثمة مهمة عملت السلطة السوفييتية على ادائهـــا

بمثل ذلك العناد الذي عملت به على اداء هذه المهمة . فالفلاحون عندنا مشتتون ومتفرقون لدرجة هائلة ، وفي الريف يسود الجهل والتعود على الاستثمارة المنفردة اكثر ما يسود ؛ وهناك يعتبرون منع المتاجرة الحرة بالحبوب ضيماً ؛ وفي هذه الاثناء يظهر بالطبع ، المحتالون السياسيون ، الاشتراكيون-الثوريون والمناشفة من كل شاكلة وطراز ، ويثيرون الفلاحين ويقولون لهم : «انهم ينهبونكم !».

فهناك انذال يصيحون بعد سنة من العمل السوفييتي ، بعد ان اثبت شغيلة مصلحة التموين ، فيما اثبتوا ، اننا اعطينا الريف في الاشهر الاخيرة ٤٢ الف عربة حديدية موسوقة بالمنتوجات وحصلنا مقابل ذلك على ٣٩ الف عربة فقط من الحبوب ، - هناك انذال يصيحون مع ذلك : «ايها الفلاحون ، السلطة السوفييتية تنهبكم !» .

وفي حين يتعذب فيه العمال في المدن ، - وليس ثمة في اي مكان جوع اشد مما هو عليه في المدن وفي روسيا غير الزراعية - في حين اخذ الفلاحون جميع اراضي الاقطاعيين ، واخذوا الحبوب ، في حين اشتغل الفلاحون بسوادهم ، - ونحن نعرف هذا ، - في السنة الاولى من السلطة السوفييتية من اجل انفسهم لا من اجل السيد ولا من اجل التاجر ، وحسنوا تغذيتهم ، وحين تتضور البلاد من الجوع في المدن وفي الانحاء غير الزراعية ، بينما يجهد جميع الرأسماليين لتقويضنا بالجوع ، - في هذا الحين يظهر اناس متنكرون باردية منشفية واشتراكية-ثورية او باردية مهرجين آخرين ، ويتجاسرون على القول : «انهم ينهبونكم !» . ان هؤلاء عملاء للرأسمالية ، ولن نعاملهم ، ويجب ان لا نعاملهم الا كعملاء للرأسمالية !

في الوقت الذي ترى فيه السلطة السوفييتية في مسألة الجوع الصعوبة الرئيسية الكبرى ، من واجب كل مواطن سوفييتي ان يعطي الجائع جميع فوائض الحبوب . وهذا واضح وجلي ، وهذا

مفهوم لكل انسان كادح ، الى حد انه يستحيل الاعتراض عليه . ولا بد هنا من الكذب ومن الغش السياسي لابهام الحقيقة البسيطة ، والواضحة ، الجلية ، او لجعلها غير مفهومة ، او لتشويهها !

وعلى هذه الحقيقة يعتمد عامل المدينة . وبفضل وضوح هذه الحقيقة ، يقوم بعمله الفائق الصعوبة . وحتى الآن قال للفلاحين الفقراء : نحن نشكل معكم سند السلطة السوفييتية الحقيقي . ولهذا الغرض انشئت لجان الفلاحين الفقراء ، وهيئات التبادل التجاري ، وتقرر اشراك التعاونيات الزاماً في العمل على توحيد جميع السكان . وان جميع المراسيم التي صدرت في ميدان الزراعة كانت مفعمة بهذه الفكرة الاساسية ، وجميع النداءات الى عمال المدن كانت تقول : اتحدوا مع الفلاحين الفقراء ، وبدون هذا لن تحلوا المسألة الاهم والاصعب – مسألة الحبوب . اما الفلاح ، فقد كنا نقول له : اما ان تتحد مع عامل المدينة ، وآنذاك سننتصر ، واما ان تنصاع لمواعظ ونصائح الرأسماليين واعوانهم وخدمهم في الالبسة المنشفية الذين يوعزون اليك قائلين : «لا تدع المدينة تنهبك ، تاجر بحرية ؛ ان الغني سيزداد غنى ؛ واذا مات احدهم جوعاً ، فما شأنك في هذا» ، – وآنذاك ستهلك انت بالذات ايضاً ، وتمسي عبداً للرأسمالي ، وتهدم السلطة السوفييتية . ففي ظل الرأسمالية فقط كانوا يحاكمون كما يلي : «انا اتاجر ، انا اغتني ، كل لنفسه والله للجميع» . وهكذا كانت تحاكم الرأسمالية ، فولدت الحرب ؛ ولهذا السبب كان العمال والفلاحون فقراء ، وكان عدد ضئيل من الاشخاص اصحاب مليارات .

والمهمة هي ان نعرف كيف نعامل الفلاح في الممارسة العملية ، كيف ننظم الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين ، لكي نناضل لدى كل خطوة ضد ميلهم الى القديم ، ضد محاولتهم العودة الى الوراء ، الى التجارة الحرة ، ضد سعيهم الدائم الى تسيير

استثماراتهم «بحرية» . ان كلمة «الحرية» كلمة طيبة ؛ فلدى كل خطوة نجد «الحرية» : حرية المتاجرة ، والبيع ، وبيع النفس ، والخ . . وهناك مناشفة واشتراكيون-ثوريون ، محتالون يعربون ويصرفون هذه الكلمة الرائعة «الحرية» في كل جريدة وكل خطاب ؛ ولكنهم جميعهم كذابون ، عواهر للرأسمالية ، يجرون الشعب الى الوراء .

واخيراً ، كانت مكافحة المجاعة الموضوع الرئيسي لهموم مجلس مفوضي الشعب ومجلس الدفاع على السواء ، وهدف اعمالهما في الآونة الاخيرة ، في الاشهر والاسابيع الاخيرة .

ان المجاعة هي في الوقت الحاضر بالضبط ، عشية الربيع ، شرفادح بالنسبة لنا ؛ ان الربيع سيكون اشق مرحلة علينا . وكما كانت اواخر الشتاء ، والربيع ، واوائل الصيف في السنة الماضية اشق الاوقات ، كذلك في هذه السنة ندخل الآن بالضبط في مرحلة شاقة . والآن تتعزز من جديد آمال رجال الحرس الابيض ، والملاكين العقاريين ، والرأسماليين ، في انهم قد يستغلون المجاعة ، مرة اخرى ، ما داموا عاجزين عن تحطيم السلطة السوفييتية في الصراع السافر .

ثم ان اولئك الذين يسمون انفسهم بالمناشفة والاشتراكيين-الثوريين – اليمينيين واليساريين – وينحطون الى درجة انهم يعلنون بالاقوال انهم انصار الشعب العامل ، ولكنهم يحاولون ، حين يتأزم الوضع على الصعيد التمويني ، وحين تزحف المجاعة ، ان يستغلوا المجاعة في اغراضهم ويؤلبون الجماهير الشعبية ضد سلطة العمال والفلاحين ، لا يدركون الحقيقة التالية : مثلما كانت خيانة الاشتراكي-الثوري اليساري مورافيوف في الجبهة الشرقية في السنة الماضية قد كلفت حياة عشرات الآلاف من العمال والفلاحين في الحرب ضد رجال الحرس الابيض ، كذلك الآن ليس كل ضرب من هذه السياسة ،

ليس كل تحريض واستغلال للمجاعة يقوم بهما الاشتراكيـون-الثوريون اليساريون كأنما في مصلحة العمال ، سوى مساعـدة مباشرة لرجـال الحرس الابيض . فان كل تحريض من هذا النوع يكلف الآلاف من الضحايا الزائدة في الحرب ضد رجـال الحرس الابيض . وحين اقترف مورافيوف خيانته في السنة الماضية ، كاد يشل الجبهة كلها يتسبب بذلك بطائفة من الهزائم الشنعاء .

ولهذا اود لو اتناول قبل كل شيء واكثر من كل شيء الوقائع الرئيسية باوجز نحو .

اذا كان وضعنا على الصعيد التمويني قد تردى الآن من جديد ، كما في ربيع السنة الماضية ، فلنا الآن امل كبير ، لا في اننـا سنتغلب على هذه الصعوبة وحسب ، بل ايضاً في اننا سنخرج منها خيراً مما في السنة الماضية . وهذا الامل يرتكز على كون الامور في الشرق والجنوب تسير بصورة افضـل بكثير ؛ والحال ان الشرق والجنوب هما الاهراءات الرئيسية للحبوب في روسيا . وفي سيـاق جملة من مداولات مجلس الدفاع ومجلس مفوضي الشعـب خلال الايام الاخيرة ، تحققنا بدقة ، من ان هناك ما يناهز ٩ ملايين بود من الحبوب المدروسة المهيلة في مختلف الاماكن الواقعـة على خطوط طرق المواصلات بين قازان وساراتوف وعلى طريـق الفولغـا - بوغولما ، من سامارا باتجاه الشرق ، فيما وراء الفولغا .

الا ان الصعوبة الجسيمة كلها ، ان الخطر العظيم كله يتلخصان في كون نقلياتنا مريضة ، ونقص القاطرات فادح الى حد اننا لسنـا على يقين من اننا سننقل هذه الحبوب . ذلك كان الهم الرئيسي في نشاطنا في الآونة الاخيرة ، ولهذا السبب اقدمنا على اتخـاذ هذا التدبير الخطير وهو ايقاف حركة نقل الركاب ، وايقافها كلياً من ١٨ آذار (مارس) الى ١٠ نيسان (ابريل) .

نحن نعرف ان هذا امر مرهق ، وسيتواجد محرضون يساعدون

رجال الحرس الابيض ، ويأخذون في الزعيق : «انظروا ، الشعب يجوع ، ومع ذلك ينتزعون منه قطارات الركاب لكي يستحيل جلب الحبوب» . هؤلاء المحرضون موجودون . ولكننا نقول لانفسنا : رغم جميع المصاعب ، نعول على وعي العمال الشرفاء وهؤلاء سيؤيدوننا .

ان ايقاف الحركة ، كما افادنا الاختصاصيون ، سيوفر لنا ٢٢٠ قاطرة . وان هذه القاطرات المعدة لقطارات الركاب هي اقل قوة من القاطرات المعدة لقطارات البضائع اي اقل قدرة على الجر ، ولكننا حسبنا ان بمقدورها ان تنقل في هذه الفترة من الزمن زهاء ثلاثة ملايين ونصف مليون بود . ولو عمد «الميشوتشنيك» ، الناس الجياع الذين يندفعون على غير هدى الى هنا وهناك ، الى نقل الحبوب كلاً بمفرده ، لما نقلوا ، خلال هذه الفترة من الزمن ، في افضل الاحوال ، نصف مليون بود . وهذه الحقيقة يؤكدها كل عامل محنك من عمال السكك الحديدية ، كل من كان في الطريق الممتدة فيما وراء الفولغا ورأى الحبوب مهيلة احياناً على الثلج مباشرة . ان الاكياس التي فيها الحبوب ، قد تتلف ، ناهيك عن الحبوب فيها مبللة ؛ وسيسوء الحال اكثر ايضاً عندما يبدأ الفيضان . ولكننا اقدمنا على اتخاذ هذا الاجراء المرهق ، اذ اننا على يقين بانه يستحيل اخفاء الحقيقة عن السواد الاعظم من العمال ، وبانه يستحيل على المحرضين من عداد الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ان يصرفوا العمال عن الطريق القويم وبان هذه الحقيقة ستنتصر .

ان هذا الاجراء المرهق ، اي ايقاف حركة نقل الركاب ، من شأنه ان يعطي بضعة ملايين البودات من الحبوب . واننا اذ ننبذ جانباً الكذب والافتراء والخرافات الزاعمة انه من الضار ايقاف حركة نقل الركاب ، لا بد ان نقول ان هذا سيعطي ما يكفي من الحبوب بمساعدة عمال بتروغراد وموسكو وايفانوفو-فوزنيسنسك الذين

سيمضون الى الجنوب بقصد جلبها . واني اود لو اشير ، فيما اشير ، الى انه ما من مدينة اعطت من القوى لاجل تنظيم شؤون التموين قدر ما اعطت بتروغراد : ان خيرة قواها كلها قد ارسلت الى العمل ؛ وهكذا بالذات يجب ان يسلك عمال المدن الطليعية .

لا يمكن القيام بالثورة الاشتراكية بدون الطبقة العاملة ؛ ولا يمكن القيام بها اذا لم يتكدس في صفوف الطبقة العاملة من القوى ما يكفي لقيادة عشرات الملايين من ابناء الريف المضامين من قبل الرأسمالية ، المعذبين والاميين والمتفرقين . والحال ، لا يمكن ان يقودهم غير العمال الطليعيين . ولكن خيرة القوى قد نفدت وتملكها الضنى والعياء . فيجب الاستعاضة عنها بتقديم العمال المتوسطي العمر والشباب . قد يقترف هؤلاء الاخطاء ؛ فلا ضير شرط ان يكونوا اوفياء لقضية العمال ، وان يكونوا قد تربوا في النضال البروليتاري .

لقد اتخذنا جملة من الاجراءات لاجل ارسال خيرة القوى الى طريق الفولغا-بوغولما . ومع فصيل العمال ، راح الى هناك الرفيق بريوخانوف . كذلك ارسلت الى طرق اخرى فصائل عسكرية ومعها عمال ؛ واكرر قولي بان هناك املاً كبيراً في ان تتوفر لنا الحبوب . وسيحل نصف سنة صعب ، ولكنه سيكون نصف السنة الصعب الاخير ، لاننا نواجه ، عوضاً عن العدو الذي يقوى ويشتد ، عدواً ينحل ، اذ ان الحركة السوفييتية تتنامى في جميع البلدان .

تلك هي الاسس التي صرحنا بموجبها ، بعد التحليل باحتراس وبعد التثبت مراراً من صحة الحسابات ، ان ايقاف حركة الركاب سيمكننا من جلب بضعة ملايين البودات من الحبوب ، والاستفادة من اهراءات الشرق والجنوب ، الفائقة الغنى . وفي نصف السنة الصعب هذا ، سنتغلب على عدونا الرئيسي ، الجوع ،

ناهيك عن اننا الآن في ظروف افضل مما في السنة الماضية ، لانـــه توجد لدينا احتياطيات .

في السنـــة الماضيـــة ، وصل التشيكوسلوفاكيون الى قازان وسيمبيرسك ، وكانت اوكرانيا تحت عقب الالمان ، وكان كراسنوف يجمع العساكر في الدون بالنقود الالمانية ، وكان الجنوب مفصولاً عنا . اما الآن ، فان اوكرانيا تتحرر من الامبرياليين الالمان الذين كانوا يريدون ان يستوردوا من اوكرانيا الى المانيا ٦٠ مليون بود من الحبوب ولكنهـــم لم يستوردوا سوى ٩ ملايين بـود فقط ، وبالاضافة اليها استوردوا شيئاً لا يستطيعون هضمه — لقـــد استوردوا النزعة البلشفية . وبسبب البلشفية طار الامبرياليون الالمان ، وبسببها سيطير الامبرياليون الفرنسيون والامبرياليون البريطانيون اذا ما تسنى لهم التحرك الى ابعد في ارجاء روسيا .

لدينا الآن اوكرانيا السوفييتية . والحال ان الحكومـــة السوفييتية في اوكرانيا ، حين تنهض مسألـــة الحبوب ، لن تقرر الاسعار حيالنا على طريقة التجار ، لن تقررها كما يقررها المضارب وذلك الفلاح الذي يقول : «ان الجائع سيدفع حتى الفاً لقاء البود ، وانا لا ابالي باحتكار الدولة ، كل ما يهمني هو ان اغتني ، واذا جاع الشعب ، فان هذا حسن جداً لانهم سيدفعون اكثر» . هكذا تفكـر البرجوازية الريفيـــة ، وهكذا يفكر الكولاك ، والمضاربـــون ، ويساعدهم جميـــع الذين يزعقون ضد احتكار الحبوب ، وينادون «بحرية» التجارة ، اي بحرية الاثراء للفلاح الغني وبحرية الموت جوعاً بالفعل للعامل الذي لن يحصل على شيء . ولكن الحكومـــة الاوكرانية قالت : «ان المهمة الاولى هي مساعدة الشمال الجائع . فان اوكرانيا لن تستطيع الصمود اذا لم يصمـــد الشمال الذي يتضور جوعاً ؛ ان اوكرانيا ستصمد وتنتصر من كل بد اذا ساعدت الشمال الجائع» .

وانها لهائلة احتياطيات الحبوب في اوكرانيا . ولا يمكن اخذها كلها دفعة واحدة . لقد ارسلنا الى اوكرانيا خيرة قواننا السوفييتية ، وقد افادتنا ، بصوت واحد ، علماً بما يلي : «احتياطيات الحبوب هائلة ، ولكنه لا يمكن نقلها كلها دفعة واحدة ، فليس ثمة جهاز» . فقد خرب الالمان اوكرانيا الى حد انه بدأ للتو يتكون هناك جهاز ؛ وهناك تسود الفوضى التامة . وان اسوأ الاوقات – وذلك عندما كنا مقيمين في سمولني خلال الاسابيع الاولى من ثورة اكتوبر ورحنا نكافح الخراب – ان هذه الاوقات لا تمكن مقارنتها بتلك المصاعب التي تعانيها اوكرانيا الآن . والعويل يتعالى من جانب الرفاق الاوكرانيين بانه ليس لديهم ناس ، ليس لديهم احد لبناء السلطة السوفييتية ، لا يوجد اي جهاز ، لا يوجد مركز بروليتاري مثل بتروغراد او مثل موسكو ، بينما المراكز البروليتارية الاوكرانية في ايدي الاعداء . فان كييف ليست مركزا بروليتاريا ، ومنطقة حوض دونتس التي تتضور جوعاً لم يتم بعد تحريرها من القوزاق . «هبوا الى مساعدتنا ، يا عمال الشمال !» .

ولهذا نقول بالنيابة عن الرفاق الاوكرانيين لعمال بتروغراد ، عالمين انهم اعطوا اكثر مما اعطته اي مدينة اخرى : «اعطوا المزيد ، ابذلوا المزيد من الجهود !» . ففي وسعنا الآن ومن واجبنا ان نساعد الرفاق الاوكرانيين ، لانهم يبنون جهاز السلطة السوفييتية في مكان افرغته واجتاحته المحن والويلات الهائلة الى درجة لا نظير لها في اي مكان وفي اي زمان !

وبعد ان بحثنا في لجنة حزبنا المركزية هذا الوضع ، اعطينا المهمة التالية – في البدء بذل قصارى الجهود لبناء جهاز في اوكرانيا ، والانصراف الى العمل حين يتوفر السلاح في الايدي ويتوفر الجهاز ،

والحصول نحو الاول من حزيران (يونيو) ، مقابـــل هذا ، على ٥٠ مليون بود من الحبوب .

انا لا اريد البتة ان اؤكد لكم ان هذه المهمة ستنفذ . ونحن جميعنا نعرف اننا لم نكن نستطيع ان ننفذ المهمات في الموعد المعين مهما كنا نأخذ على عاتقنا من المهمات . فليتم تنفيذ وان جزء فقط من هذه المهمة . ومع ذلك ، خذوا علماً وكونوا متأكدين بان هناك امكانية للحصول ، في اليوم الاسود ، اي عندما يستفحل الجوع عندنا ، على معونة عاجلة من الجنوب وتحسين وضعنا ، وذلك بعد ان يعمـــل الجهاز التمويني كله على قدم وساق في الشرق وفي الجنوب .

وعندنا ، فضلاً عن اوكرانيا ، مصدر آخر ، هو منطقة الدون . هناك اجترحت انتصارات الجيش الاحمر المعجزات . فمنذ بضعة اسابيع ، كان وضعنا في منطقة الدون في الحرب ضد كراسنوف ، ضد العدو الرئيسي ، ضد الضباط ، ضد القوزاق ، الذين رشاهم الالمان في البدء بالملايين ثم الانجليز والفرنسيون الذين لا يزالون يساعدونهم الآن — منذ بضعة اسابيع كان وضعنا عسيـــراً ؛ اما الآن ، فقد ظفرنا بسرعة هائلة برقعـــة هذه المنطقـــة ، لا حتى تساريتسين وحسب ، بل مضينا قدماً ايضاً جنوبي تساريتسين . ولقد تم تحطيم اعداء الثورة من رجال كراسنوف وابناء منطقة الدون ، ولم تنقذهم اي مساعدة من جانب الامبرياليين .

فماذا يعني هذا ؟ هذا يعني اننا اقتربنا من الفحم ومن الحبوب التي نهلك بدونهما ، لان السكك الحديدية والمصانع تتوقف بسبب من نقص الفحم ، ولان العمال في المدن وفي الانحاء غير الزراعية على العموم يعانون آلام الجوع بسبب من نقص الحبوب * .

---

* ثم ورد في المحضر الاختزالي نص لم يرد في الكراس : «ان الجيش الاحمر يؤدي واجبه في ظروف خارقة الصعوبة . وفي الوقت الذي انهكت فيه

وانها لهائلة احتياطيات الحبوب في منطقـــة الدون كما في اوكرانيا ؛ وعلاوة على ذلك ، لا يمكننا ان نقول انه لا يوجد هناك جهاز ؛ ففي كل وحدة عسكرية توجد خلية شيوعية ، ويوجد مفوضون من العمال ، وتوجد فرق من العمال الذين يتعاطون شؤون التموين ؛ وهناك كانت الصعوبة الرئيسيـــة تتلخص في ان رجال الحرس الابيض كانوا ينسفون الجسور اثناء تراجعهم وان اياً من الخطين الرئيسيين لم يكن لهذا السبب صالحاً .

ولقد خصصنا الجلسة الاخيرة لمجلس الدفاع ومجلس مفوضي الشعب لاستدعاء الاختصاصيين وللاستفسار منهم عن كيفية توفير المواد لاجل اصلاح الخطين وكيفية اصلاح واحد منهما على الاقل . وفي الجلسة الاخيرة لمجلس الدفاع ، استطعنا ان نتثبت مما يلي : بفضل بذل قصارى الجهد ، لم يتم توفير المواد وحسب ، بل بلغتنا كذلك تأكيدات من الرفاق المحليين بانهم يضمنون لنا كلياً تقريباً ترميم الخطين قبل الفيضان . ان استئناف النقليـات على الخطين يوازي ، اغلب الظن ، انتصارات عديدة على القوزاق ، وهذا ما يتيح لنا ان نقول : «يجب ان نصمد خلال بضعـــة اشهر صعبة اخرى ،

الحرب الجميع في العالم كله ، اصبح جيشنا منتظماً ، وفي صفوفه يقاتل افراد يتحملون اعباء حرب اشق الى ما لا قياس له مما في عهد القيصر ، ولكنهم يتحملونها لانهم يرون مفوضاً من الشيوعيين ــ خير عامل من بتروغراد او من موسكو او من ايفانوفو-فوزنيسنسك ــ بجوار كل آمر عسكري . وفي كل وحدة عسكرية ، تبنى خلايا شيوعية ؛ وكل هيئة اركان تتحول الى مركز للدعاية . ان قوة جيشنا ترتكز كلها على امر واحد وعلى امر واحد فقط ، على صلته الوثقى مع خيرة عمال بتروغراد وموسكو وايفانوفو-فوزنيسنسك . وهذا ما حقق الانعطاف واجترح المعجزات : فمن الجيش الذي كان يفر كلما سمع مجرد كلمة «قوزاق» ، تشكل جيش استولى في بضعة اسابيع على خطي سكة حديد هما الطريقان الرئيسيان الى الحبوب والفحم» . **الناشر** .

ونبذل قصارى الجهد ، ونلقى العون من عمال بتروغراد وموسكو وايفانوفو-فوزنيسنسك» . وعدا الشرق من حيث يصعب نقل شيء ما ، وعدا اوكرانيا حيث الاحتياطيات هائلة ولكن حيث لا يوجد جهاز ، توجد منطقة الدون التي انتصر عليها الجيش الاحمر . ولهذا نقول باحتراس ، بعد الحساب الدقيق ، بعد التحقق من صحة كل هذا بالتقارير والاخبار العديدة الواردة من الهيئات المحلية ، وبعد الاستماع الى الاختصاصيين في شؤون التموين وشؤون السكك الحديدية ، اننا على يقين معلل وفي منتهى الجد باننا لن نتمكن من الصمود كما في السنة الماضية وحسب ، بل اننا سنتمكن كذلك من تحسين وضعنا بصورة ملحوظة .

ان عدونا يتفسخ داخلياً ، ولن يصمد طويلاً في اي حال من الاحوال عدونا الخارجي ايضاً . وان ما اقنعنا بذلك على الاخص ، ايها الرفاق ، هو ما سمعناه من الرفاق الاجانب الذين وصلوا الى هنا ، والذين اسسنا معهم منذ وقت قريب في موسكو الاممية الشيوعية . ففي باريس يطردون من على المنبر في الاجتماعات الشعبية الخطباء لحملاتهم على البلشفية . اجل ، النصر لنا ! لا يزال في وسع الامبرياليين ان يسفكوا دماء آلاف وآلاف العمال ، ويقتلوا روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت والمئات من خيرة ممثلي الاممية ؛ وفي وسعهم ان يملأوا سجون بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا بالاشتراكيين ، ولكن عبثاً ! فالنصر لنا ! لان عمال جميع البلدان قد فهموا ما هي السوفييتات ، ما هي السلطة السوفييتية ، رغم جميع سيول الاكاذيب والافتراء القذر . لا مخرج لرأسماليي جميع البلدان . واكرر قولي انهم سيتشاجرون وسيتضاربون بعد ان يعقدوا الصلح . فان فرنسا مستعدة لان تنقض على ايطاليا ، فهما لا تستطيعان ان تتقاسما الغنيمة . واليابان تتسلح ضد اميركا . لقد حملوا الشعوب جزية لا سابق لها ، هي المليارات

والمليارات من القروض الحربية ، ولكن الشعوب انهكتها الحرب وعذبتها في كل مكان ، وفي كل مكان نقص الى الاغذية وتوقف في الانتاج ، والجوع في كل مكان . ان بلدان الوفاق التي لا تضن بالوعود بمساعدة جميع اعداء الثورة لا تستطيع ان تطعم نفسها . ان جماهير العمال سواء في باريس ام في لندن ام في نيويورك قد ترجموا كلمة «سوفييت» الى لغاتهم ، وجعلوا هذه الكلمة مفهومة لدى كل عامل ، لانهم يعرفون انه يستحيل على الجمهورية البرجوازية القديمة ان تساعد القضية ، وان السلطة العمالية هي وحدها التي تستطيع ان تساعد .

واذا كانت السلطة السوفييتية في روسيا تجابه مصاعب هائلة ، فذلك لان اقوى دول العالم واكثرها تسلحاً قد انهالت بقوتها الحربية على روسيا . ورغم هذا ، استطاعت السلطة السوفييتية في روسيا ان تكسب عطف عمال العالم اجمع ، وانتباههم وتأييدهم المعنوي . وعلى اساس هذه المعطيات ، ودون اية مبالغة فيها ودون اغماض العين على ان دماء العمال تسفح في المانيا وغيرها من البلدان وان كثيرين من خيرة زعماء الاشتراكية يهلكون نتيجة عذابات وحشية – وهذا ما نعرفه ولا نغمض العين عليه – نؤكد نحن ان النصر لنا ، النصر الكامل ، لان امبرياليي البلدان الاخرى قد ترنحوا ، ولان العمال يخرجون من حالة النشوة والضلال ، ولان السلطة السوفييتية قد ظفرت باعتراف عمال العالم كله بها ؛ وفي كل مكان يعلقون الآمال على قيام السوفييتات فقط ، ولا يرون الامل الا في ان يأخذ العمال السلطة في ايديهم .

وعندما يعرف العمال ان العمال المتحدين ، وان كانوا غير متطورين وفي بلد متأخر ، قد استطاعوا ، بعد ان اخذوا السلطة في ايديهم ، ان ينشئوا قوة تقاوم امبرياليي العالم كله ، وان هؤلاء العمال قد استطاعوا ان ينتزعوا المصانع من الرأسماليين ويعطوا

الفلاحين اراضي الاقطاعيين ، – عندما تتغلغل هذه الحقيقة بين جماهير العمال في جميع البلدان ، عند ذاك سيصبح من الممكن القول امام الملأ ، وبكامل الثقة واليقين ، ومرة اخرى ان النصر مضمون لنا على الصعيد العالمي لان البرجوازية ترنحت ولن تنجح بعد في خداع العمال ، لان الحركة السوفييتية قد ولدت في كل مكان ، وسنشهد عما قريب ، كما شهدنا في الخامس والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ولادة الجمهورية السوفييتية وكما شهدنا في هذه الايام في موسكو ولادة الامية الثالثة ، الشيوعية ، سنشهد عما قريب ولادة الجمهورية السوفييتية العالمية . **(قوطع الخطاب مراراً واختتم بالتصفيق المتواصل .)**

ارجو الرفاق من بتروغراد شديد الرجاء بان يصدروا ما يلي بصفة **مقدمة** او بصفة **تذييل** لخطابي ، وان باصغر احرف الطباعة .

١٧ – ٤ .

لينين

تذييل

بما اني بذلت قدراً لا يستهان به من الجهود على تصليح تسجيل خطابي ، اراني مضطراً الى التقدم بطلب ملح من جميع الرفاق الذين يريدون تدوين خطاباتي لاجل طبعها .

وطلبي هو عدم الاعتماد ابداً لا على التسجيل الاختزالي لخطاباتي ولا على اي تسجيل آخر لها ، وعدم السعي ابداً وراء تسجيلها ، وعدم طبع تسجيلات خطاباتي ابداً .

وعوضاً عن تسجيلات خطاباتي ، ليطبعوا التقارير عنها عند الاقتضاء . وقد رأيت في الجرائد تقارير عن خطاباتي كانت مرضية . ولكني لم ار مرة واحدة تسجيلاً مرضياً نوعاً لخطاب من خطاباتي .

اما لماذا يحدث هذا ، فلا آخذ على نفسي ان احكم في الامر ، فلربما بسبب من سرعة كلامي الخارقة ، او بسبب من بنيانه غير الصحيح ، او بسبب آخر ؛ ولكن الواقع يظل واقعاً : انني لم ار مرة واحدة اي تسجيل مرض لخطاباتي ، لا التسجيل الاختزالي ، ولا اي تسجيل آخر .

التقرير الجيد عن الخطاب افضل من التسجيل الرديء للخطاب . ولهذا ارجو عدم طبع اي تسجيلات لخطاباتي ابداً .

١٧-٤-١٩١٩ .

ن . لينين

طبع عام ١٩١٩ بكراس على حدة اصدره سوفييت نواب العمال والجنود الحمر في بتروغراد . صدر التذييل للمرة الاولى عام ١٩٢٢ في مجموعة مؤلفات ن . لينين (ف . اوليانوف) ، المجلد ١٦

المجلد ٣٨ ،
ص‌ص ٣٩-٧٣

المؤتمر الثامن
للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا
١٨–٢٣ آذار (مارس) ١٩١٩

١

تقرير اللجنة المركزية
١٨ آذار

(**تصفيق عاصف ، متواصل ؛ هتافـات** : «عاش ايليتش !» ، «عاش الرفيق لينين !» .) ايها الرفاق ، اسمحوا لي بان ابدأ بتقرير اللجنة المركزية السياسي . ان تقديم تقرير عن نشاط اللجنة المركزية في الحقل السياسي خلال الحقبة المنصرمة بعد ارفضاض المؤتمر الاخير انما يعني ، من حيث الجوهر ، اعطاء تقرير عن كل ثورتنا . وان الجميع ، كما اعتقد ، سيوافقون معي على انه ليس بوسع شخص واحد ان يؤدي هذه المهمة بمفرده في مثل هذه المدة القصيرة ، وليس هذا وحسب ، بل ان اداءها امر يفوق قدرة فرد واحد عموماً . ولهذا قررت ان اكتفي بالبنود التي تتسم ، برأيي ، باهمية بالغة جداً ، لا فيما يتعلق بتاريخ ما تأتى لحزبنا ان يفعله في هذه المرحلة وحسب ، بل ايضاً من حيث وجهة نظر المهمات الراهنة . ان الانصراف كلياً الى التاريخ في مثل هذا الزمن الذي نعيشه ، تذكر الماضي دون التفكير لا في الحاضر ولا في المستقبل ، هو بالنسبة لي ، – واعترف بذلك ، – امر فوق طاقتي .

واذا بدأنا بالسياسة الخارجية ، فانه غني عن البيان ان موقفنا من الامبريالية الالمانية ومسألة صلح بريست يشغلان المرتبة

الاولى . ويبدو لي انه يلزم الكلام في هذه المسألة ، لانها ذات اهمية وليس من الناحية التاريخية فقط . ويبدو لي ان الاقتراح الذي تقدمت به السلطة السوفييتية من الدول الحليفة ، او بالاصح الموافقة التي اعربت عنها حكومتنا على الاقتراح المعروف لدى الجميع بصدد المؤتمر في جزر الامراء (١١٢) - يبدو لي ان هذا الاقتراح وجوابنا يعكسان بعض النواحي ، وهي نواح جوهرية نوعاً ، من الموقف تجاه الامبريالية الذي رسمناه في زمن صلح بريست . ولهذا السبب اعتقد انه من الضروري تناول هذه القضية ، نظراً لسرعة تطور الاحداث في الظرف الراهن .

عندما كانت تتقرر مسألة صلح بريست ، كان البناء السوفييتي ، فضلاً عن البناء الحزبي ، لا يزال في الطور الاول . وانتم تعرفون ان خبرة الحزب بمجمله كانت آنذاك قليلة جداً لكي يقدر ، وان بصورة تقريبية ، سرعة تحركنا في الطريق الذي سلكناه . ثم ان الفوضى المعروفة الموروثة عن الماضي بصورة لا ندحة عنها ، قد جعلت آنذاك امر مراقبة الاحداث وتتبعها ، والتعرف بدقة على ما يجري امراً في منتهى الصعوبة . ثم ان العزلة البالغة عن اوروبا الغربية وعن جميع البلدان الاخرى حالت دوننا ودون الحصول على اي مواد موضوعية لاجل تكوين فكرة عن السرعة المحتملة لتصاعد الثورة البروليتارية في الغرب او عن اشكاله . ومن جراء هذا الوضع المعقد ، استثارت مسألة صلح بريست الكثير من الخلافات في حزبنا .

ولكن الاحداث بيّنت ان هذا التراجع الاضطراري امام الامبريالية الالمانية المتسترة بصلح في منتهى العنف والجور والنهب ، ان هذا التراجع كان من وجهة نظر موقف الجمهورية الاشتراكية الفتية من الامبريالية العالمية (من نصف الامبريالية العالمية) المخرج الصحيح الوحيد . فآنذاك لم يبق لنا قطعاً ، نحن

الذين كنا قد اسقطنا للتـــو الملاكين العقاريين والبرجوازيـــة في روسيا ، اي اختيار غير التراجع امام قوى الامبريالية العالمية . وان اولئك الذين شجبوا هذا التراجع من وجهة نظر الثوري ، انما تبنوا بالفعل وجهة نظر غير صحيحة وغير ماركسية بتاتاً . فقد نسوا ما يلي : في اية ظروف ، وبعد اي تطور مديـــد وصعب في عهـــد كيرنسكي ، وباي ثمن من العمل التحضيري الهائل في السوفييتات ، توصلنا الى واقع ان التصميم على اسقاط البرجوازية والاستعداد لاسقاطها قد نضجا كلياً في آخر المطاف بين الجماهير الغفيرة من الشغيلة في تشرين الاول (اكتوبر) ، بعد هزائم تموز (يوليو) ، بعد الفتنة الكورنيلوفية ، كما نضجت كلياً القوة المادية المنظمة الضرورية لهذا الغرض . ومفهوم انه لم يكن من الممكن حتى ان يدور الحديث آنذاك عن شيء من هذا القبيل على الصعيد العالمي . ومن وجهة النظر هذه ، كانت مهمة النضال ضد الامبريالية العالمية تتبدى كما يلي : مواصلة العمل بمعنى افساد هذه الامبريالية ، بمعنى تثقيف وتوحيد الطبقة العاملة التي اخذت تتحرك في كل مكان ، ولكنها لم تتحل حتى الآن بالوضوح التام فى نشاطاتها .

ولهذا كانت تلك السياسة التي رسمناها فيما يتعلق بصلح بريست السياسة الصحيحة الوحيدة ، رغم انها تسببت آنذاك ، بالطبع ، باشتداد التعادي بيننا وبين طائفة من العناصر البرجوازية الصغيرة ، التي هي ابعد من ان تكون ، ويمكنها ان تكون ، ولا بد ان تكـــون ، في جميع الظروف وفي جميع البلدان ، من خصـــوم الاشتراكية . وفي هذا المجال لقننا التاريخ درساً يجب استيعابه جيداً ، لانه لا ريب في انه سيتعين علينا الاستفادة منه مراراً . ان هذا الدرس يتلخص في ان موقف حزب البروليتاريـــا من الحزب الديموقراطي البرجوازي الصغير ، من تلك العناصـــر والفئات والجماعات والطبقات التي هي قوية جداً وكثيرة جداً في روسيـــا

والمتواجدة في جميع البلدان ، هو مهمة في منتهى التعقد والصعوبة . فان العناصر البرجوازية الصغيرة تتذبذب بين المجتمع القديم والمجتمع الجديد . ولا يمكن ان تكون محركات للمجتمع القديم ، ولا للمجتمع الجديد . وهي في الوقت نفسه ليست موالية للمجتمع القديم بقدر موالاة الملاكين العقاريين والرأسماليين له . ان الوطنية ، انما هي شعور ينبع من الظروف الاقتصادية لحياة المالكين الصغار على وجه الضبط . اما البرجوازية ، فهي اكثر اممية من المالكين الصغار . وقد تأتى لنا وصادفنا هذا الامر في عهد صلح بريست ، وذلك عندما وضعت السلطة السوفييتية الديكتاتورية العالمية للبروليتاريا والثورة العالمية فوق جميع التضحيات القومية والوطنية على اختلافها ، مهما كانت فادحة . هذا مع العلم انه تأتى لنا ان ندخل في تصادم بمنتهى الشدة والضراوة مع العناصر البرجوازية الصغيرة . وآنذاك تراصت ضدنا مع البرجوازية ومع الملاكين العقاريين جملة كاملة من هذه العناصر التي شرعت تتذبذب فيما بعد .

ان المسألة التي اثارها بعض الرفاق هنا ، واعني بها مسألة الموقف من الاحزاب البرجوازية الصغيرة ، قد تناولها برنامجنا بدرجة ملحوظة ، وسيجري تناولها ، من حيث الجوهر ، لدن بحث كل من بنود جدول الاعمال . ان هذه المسألة قد فقدت في مجرى ثورتنا طابعها المجرد ، طابعها العام ، واصبحت ملموسة . وفي عهد صلح بريست ، كانت مهمتنا ، بوصفنا امميين ، تتلخص في توفير الفرصة للعناصر البروليتارية ، مهما كلف الامر ، لكي تتقوى وتتراصّ . وهذا بالذات ما ابعد عنا آنذاك الاحزاب البرجوازية الصغيرة . ونحن نعرف ان العناصر البرجوازية الصغيرة اخذت تتذبذب من جديد بعد الثورة الالمانية . وقد فتحت هذه الاحداث عيون الكثيرين ممن كانوا في عهد نضوج الثورة البروليتارية ، يحكمون من وجهة نظر الوطنية القديمة ، وكانوا يحكمون ، لا بطريقة غير اشتراكية

وحسب ، بل ايضاً بطريقة غير صحيحة على العموم . ونظراً للوضع التمويني الصعب ، ونظراً للحرب التي لا تزال جارية ضد الوفاق ، نواجه الآن من جديد موجة من ذبذبات الديموقراطية البرجوازية الصغيرة . لقد تأتي لنا واخذنا هذه الذبذبات بالحسبان من قبل ايضاً ، ولكن ، – وهذا ما يلقننا نحن جميعاً درساً بالغ الاهمية ، – الاوضاع القديمة لا تتكرر في صورتها السابقة . ان الوضع الجديد اشد تعقداً . ويمكن اخذه بالحسبان بصورة صحيحة ، ويمكن ان تكون سياستنا صحيحة اذا تسلحنا بخبرة صلح بريست . فعندما اجبنا بالموافقة على اقتراح بعقد مؤتمر في جزر الامراء ، كنا نعرف اننا نقدم على صلح في منتهى الجور . ولكننا ، من جهة اخرى ، مطلعون الآن بدرجة اكبر كذلك على تصاعد الموجة البروليتارية الثورية في اوروبا الغربية ، وعلى تحول الغليان هناك الى استياء واع ، يؤدي الى تنظيم حركة بروليتارية سوفييتية عالمية . ولئن كنا آنذاك نسير بتلمس ، ولئن كنا آنذاك نخمّن بصدد الوقت الذي قد تنفجر فيه الثورة في اوروبا ، – وكنا نخمّن على اساس معتقداتنا النظرية بان هذه الثورة آتية من كل بد ، – فانه تتوفر لنا الآن جملة من الوقائع التي تبين كيف تنضج الثورة في البلدان الاخرى ، كيف بدأت هذه الحركة . ولهذا يتأتى لنا او سيتأتى لنا ان نكرر فيما يتعلق باوروبا الغربية ، ببلدان الوفاق ، الكثير مما قمنا به في عهد صلح بريست . وبعد تجربة بريست ، سيكون من الاسهل بكثير علينا ان نفعل هذا . وعندما تعين على لجنتنا المركزية ان تبحث مسألة الاشتراك في مؤتمر جزر الامراء مع البيض ، – الامر الذي كان من شأنه ان يؤدي ، من حيث الجوهر ، الى إلحاق كل ما يحتله البيض ، – لم تستثر مسألة الهدنة هذه اي صوت ساخط في بيئة البروليتاريا ، والموقف نفسه وقفه الحزب ايضاً من هذه المسألة .

على كل حال ، لم اسمع اصوات الاستياء او السخط من اي مكان . وقد حدث هذا لان درسنا في السياسة الدولية قد أوتي أكله .

اما فيما يتعلق بالعناصر البرجوازية الصغيرة ، فان حزبنا لم يجد بعد حلاً نهائياً في هذا المجال . ففي جملة من المسائل ، اي من حيث جوهر الامر في جميع المسائل الواردة في جدول الاعمال بلا استثناء ، بنينا في السنة المنصرمة اساساً لاجل حل هذه القضية حلاً صائباً ، ولا سيما فيما يتعلق بالفلاح المتوسط . فمن الناحية النظرية ، اتفقنا على ان الفلاح المتوسط ليس عدونا ، وانه لا بد من معاملته على نحو خاص ، وان الامور ستتغير هنا تبعاً للملابسات العديدة في الثورة ، وتبعاً ، مثلاً ، لحل المسألة التالية : مع الوطنية ام ضد الوطنية ؟ ان هذه المسائل هي بالنسبة لنا مسائل من الدرجة الثانية او حتى من الدرجة الثالثة ، ولكنها تعمي ابصار البرجوازية الصغيرة كلياً . ومن جهة اخرى ، تتذبذب جميع هذه العناصر في النضال وتصبح مائعة تماماً . وهي لا تعرف ما تريد ، وليست قادرة على الذود عن وضعها . وهنا يتطلب منا الحال تكتيكاً في منتهى المرونة ، في منتهى الاحتراس ، لانه يتأتى احياناً الاعطاء بيد والاخذ بيد اخرى . والذنب في ذلك لا يقع علينا ، بل يقع على تلك العناصر البرجوازية الصغيرة التي لا تستطيع ان تحشد قواها . ونحن نشهد الآن هذا في الواقع ؛ واليوم ايضاً تأتى لنا ان نقرأ في الجرائد الى ما يسعى المستقلون الالمان الذين يملكون قوى ضخمة مثل كاوتسكي وهيلفردينغ . وانتم تعرفون انهم ارادوا ادراج نظام السوفييتات في دستور الجمهورية الديموقراطية الالمانية ، اي ان يجعلوا «الجمعية التأسيسية» تقترن بديكتاتورية البروليتاريا (١١٣) . ان هذا هو بنظرنا سخر من الفحوى السليم لثورتنا ، والثورة الالمانية ، والثورة المجرية ، والثورة البولونية المختمرة ، لا يسعنا حياله الا ابداء العجب . وفي مقدورنا ان نقول ان هذه العناصر المتذبذبة

تتواجد في اكثر البلدان تقدماً . واحياناً تقول وتفعل عناصر متعلمة ، متطورة ، مثقفة حتى في بلد متقدم من الناحية الرأسمالية مثل المانيا ، بصورة اشد فوضى وضجيجاً بمائة مرة مما تقول وتفعل برجوازيتنا الصغيرة المتأخرة . ومن هنا ينبع الدرس بالنسبة لروسيا فيما يتعلق باحزاب البرجوازية الصغيرة والفلاح المتوسط . وان مهمتنا ستظل خلال زمن طويل معقدة ومزدوجة . فان هذه الاحزاب ستقوم من كل بد ، خلال زمن طويل ، بخطوة الى الامام وخطوتين الى الوراء ، لانه محكوم عليها بهذا بحكم وضعها الاقتصادي ، لانها ستسير مع الاشتراكية ليس البتة بحكم اقتناعها الراسخ بعدم صلاح النظام البرجوازي . ولا داعي اطلاقاً الى مطالبتها بالاخلاص للاشتراكية . ومن المضحك التعويل على اشتراكيتها . انها لن تسير نحو الاشتراكية الا متى اقتنعت بانه لا يوجد اي سبيل آخر ، الا متى تم تحطيم وقمع البرجوازية نهائياً .

ليس بوسعي ان استخلص بشكل منسق رصيد عبر السنة المنصرمة ؛ ولم الق نظرة الى الماضي الا من حيث ما سيتطلب غداً او بعد غد لاجل سياستنا . ان العبرة الرئيسية هي ان نكون محترسين جداً في معاملتنا للفلاح المتوسط والبرجوازية الصغيرة . وهذا ما تتطلبه خبرة الماضي ، وهذا ما تعلمنا من مثال بريست . وسيتعين علينا ان نعمد احياناً كثيرة ما الى تعديل خط سلوكنا ، الامر الذي قد يبدو للمراقب السطحي غريباً وغير مفهوم . انه سيقول: «كيف هذا ، امس اعطيتم البرجوازية الصغيرة الوعود ، واليوم يعلن دزرجينسكي ان الاشتراكيين-الثوريين اليساريين والمناشفة سيُعدَمون رمياً بالرصاص . فيا للتناقض ! . .» . اجل ، تناقض . ولكن سلوك الديموقراطية البرجوازية الصغيرة نفسها متناقض ، اذ انها لا تعرف اين تجلس ، وتحاول ان تجلس بين كرسيين ، وتنط من كرسي الى آخر ، وتسقط تارة الى اليمين وطوراً الى اليسار . ولقد

عدلنا تكتيكنا حيالها ؛ وكلما استدارت نحونا ، نقول لها : «اهلاً وسهلاً بك» . نحن لا نريد البتة ان نصادر املاك الفلاح المتوسط ، نحن لا نرغب البتة في استعمال العنف حيال الديموقراطية البرجوازية الصغيرة . نحن نقول لها : «انت لست عدواً خطيراً . ان عدونا هو البرجوازية . ولكن اذا ضلعت معها ، فاننا سنكون مضطرين الى تطبيق تدابير الديكتاتورية البروليتارية بحقك ايضاً» .

وانتقل الآن الى مسألة البناء الداخلي ، واتناول بايجاز الامر الرئيسي الذي يميز الخبرة السياسية ، حاصل النشاط السياسي للجنة المركزية في هذه الحقبة من الزمن . ان نشاط اللجنة المركزية السياسي هذا قد تجلى في حل مسائل بالغة الاهمية في غضون كل يوم . ولولا تضافر جهدنا الجهيد الذي تحدثت عنه ، لما كنا استطعنا ان نفعل كما فعلنا ، لما كنا استطعنا ان نؤدي المهمات القتالية . وفي مسألة الجيش الاحمر التي تستثير الآن مثل هذه المناقشات والتي خُصِّص لها بند خاص في جدول اعمال المؤتمر ، اتخذنا طائفة من القرارات الصغيرة المنفردة التي تقدمت بها لجنة حزبنا المركزية ، ومررتها عبر مجلس مفوضي الشعب وعبر اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا . ويربو على هذا عدد الاجراءات المنفردة البالغة الاهمية التي اتخذها مفوضو الشعب كل بمبادرته ، ولكنهم انتهجوا جميعهم بدأب وانتظام وانسجام خطاً مشتركا واحداً .

ان مسألة بنيان الجيش الاحمر كانت مسألة جديدة تماماً ، اذ انها لم تطرح البتة حتى على الصعيد النظري . فيما مضى قال ماركس ان من افضال رجال كومونة باريس كونهم طبقوا قرارات لم يستوحوها من اية مذاهب متحيزة ، بل املتها الضرورة الفعلية (١١٤) . ان كلمات ماركس هذه بحق رجال الكومونة تنطوي على قدر من اللذع ، لان تيارين كانا يسودان في الكومونة – هما البلانكيون والبرودونيون (١١٥) – ولان هذين التيارين اضطرا الى

التصرف خلافاً لما كان يمليه مذهبهما . اما نحن ، فقد تصرفنا وفقاً لما علمتنا اياه الماركسية . وفي الوقت ذاته ، كان نشاط اللجنة المركزيـــة السياسي ، في مظاهره الملموســـة ، محدداً كليـــاً بالمقتضيات المطلقة للحاجة الحيوية الملحة . فقد كنا مضطرين لان نتخبط في تصرفاتنا في اغلب الاحيان . وهذا الواقع سيشير اليه بوجه خاص كل مؤرخ سيكون بوسعه ان يستعرض بالاجمال كل نشاط لجنة الحزب المركزية ونشاط السلطة السوفييتية خلال هذه السنة . وهذا الواقع يفقأ العين اكثر من غيره كلما حاولنا ان نشمل بنظرة واحدة ما عشناه . ولكن هذا لم يجعلنا نتردد البتة حتى في ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ عندما تقررت مسألة اخذ السلطة . ولم يخالجنا الشك في انه سيتعين علينا ، على حد قول الرفيـــق تروتسكي ، ان نختبر ، ان نقوم بتجربة . وقد عكفنا على قضية لم يعكف عليها من قبل احد في العالم بمثل هذه السعة .

والشيء نفسه فيما يتعلق بالجيش الاحمر . فعندمـــا اخذ الجيش يتفسخ بعد نهايـــة الحرب ، ظن كثيرون في البدء ان هذه ظاهرة روسية وحسب . ولكننا نرى ان الثورة الروسية كانت ، من حيث الجوهر ، تمريناً عاماً او احد التمارين للثورة البروليتارية العالمية . وعندما بحثنا صلح بريست ، عندما طرحنا في مطلع كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ مسألة الصلح ، لم نكن نعرف بعد متى وفي اية بلدان اخرى سيبدأ هذا التفسخ في الجيش . لقد سرنا من تجربة الى تجربة ، وجربنا انشاء جيش من المتطوعين ، وتخبطنا ، مجربين ، في البحث عن الطريق المؤدي الى اداء المهمة في الوضـــع الراهن . والحال كانت المهمة واضحة . فبدون الدفاع المسلح عن الجمهورية الاشتراكية كان وجودنا امراً مستحيلاً . ان الطبقـــة السائدة لن تسلم يوماً سلطتها للطبقة المظلومة . ولكن لا بـــد لهذه الاخيرة ان تثبت عمليـــاً انها ليست قادرة على الاطاحـــة

بالمستثمِرين وحسب ، بل ايضاً على تنظيم صفوفها لاجل الدفاع عن نفسها ، ولاجل المجازفة بكل شيء . لقد قلنا دوماً : «هناك حرب وحرب» . فقد شجبنا الحرب **الامبريالية** ، ولكننا لم ننكر **الحرب على العموم** . لقد تورط في الخطأ اولئك الذين حاولوا ان يتهمونا بالعسكرية . وعندما تسنى لي وقرأت تقريراً عن مؤتمر الصفر في برن حيث استعمل كاوتسكي تعبيراً مفاده ان ما لدى البلاشفة ليس الاشتراكية بل العسكرية ضحكت ضحكة ساخرة ، ولوحت يدي عجباً . كأنما كانت ثمة بالفعل ، في التاريخ ، ثورة كبيرة واحدة على الاقل لم تكن مقرونة بالحرب . كلا بالطبع ! ونحن لا نعيش في دولة وحسب ، بل نعيش كذلك **في نظام من الدول** ، ووجود الجمهورية السوفييتية بجوار الدول الامبريالية خلال زمن طويل امر مستحيل . ففي نهاية المطاف سينتصر إمّا هذا وإمّا ذاك . وطالما لم تحل هذه النهاية ، فلا مناص من وقوع عدد من ارهب المصادمات بين الجمهورية السوفييتية والدول البرجوازية . وهذا يعني ان الطبقة السائدة ، البروليتاريا ، اذا شاءت ان تسود واذا سادت ، لا بد لها من ان تثبت ذلك بتنظيمها العسكري ايضاً . كيف تستطيع طبقة اضطلعت حتى الآن بدور بهيمة خاملة لاجل الآمرين من ابناء الطبقة الامبريالية السائدة ، – كيف يمكنها ان تخلق آمرين متحدرين من صفوفها ، كيف يمكنها ان تؤدي مهمة الجمع بين حماسة المظلومين وابداعهم الثوري الجديد بالاستفادة من ذلك الاحتياطي من العلم البرجوازي وتكنيك العسكرية في اسوأ اشكالهما ، الذي لن يمكنها بدونه ان تتضلع بالتكنيك العصري والاسلوب العصري لخوض غمار الحرب ؟

هنا تواجهنا مهمة تعممت خلال تجربة دامت سنة . فعندما سجلنا في البرنامج الثوري لحزبنا البنود المتعلقة بالاختصاصيين ، لخصنا تجربة حزبنا العملية في مسألة من اضخم المسائل . انا لا

اتذكر ان يكون معلمو الاشتراكية السابقون الذين توقعوا كثيراً جداً من الامور في الثورة الاشتراكية المقبلة ورسموا كثيراً جداً من الامور فيها ، - انا لا اتذكر ان يكونوا قد اعربوا عن آرائهم في هذه المسألة . فان هذه المسألة لم تكن واردة بالنسبة لهم ، لانها لم ترد الا حين عكفنا على بناء الجيش الاحمر . وقد عنى ذلك : بناء جيش مفعم بالحماسة من الطبقة المظلومة التي حولوها الى بهيمة خاملة ، وحمل هذا الجيش على ان يستعمل ما هو الاشنع والاشد عنفاً فيما بقي لنا ارثاً عن الرأسمالية .

وهذا التناقض الذي يواجهنا في مسألة الجيش الاحمر يواجهنا ايضاً في جميع ميادين بنائنا . خذوا المسألة التي شغلت بالنا اكثر من غيرها ، وهي مسألة الانتقال من الرقابة العمالية على الصناعة الى الادارة العمالية للصناعة . فبعد مراسيم وقرارات مجلس مفوضي الشعب والهيئات المحلية للسلطة السوفييتية ، - وهي جميعها عملت على خلق خبرتنا السياسية في هذا الميدان - ، لم يبق للجنة المركزية ، من حيث جوهر الامر ، الا التلخيص والتعميم . وبالكاد كان بوسعها ان تقود في هذه المسألة ، بمعنى هذه الكلمة الحقيقي . حسبنا التذكير بذلك القدر من العجز والعفوية والصدفية الذي اتسمت به مراسيمنا وقراراتنا الاولى بصدد الرقابة العمالية على الصناعة . كان يخيل الينا ان من السهل القيام بذلك . اما في الواقع ، فقد ادى ذلك الى اثبات ضرورة البناء ، ولكننا لم نجب اطلاقاً عن مسألة **كيفية** البناء . كل مصنع مؤمم ، كل ميدان من الصناعة المؤممة ، والنقليات ، ولا سيما النقليات الحديدية ، - وهي اضخم تجسيد للآلية الرأسمالية ، مبني باشد التمركز على اساس التكنيك المادي الكبير ، واشد الامور ضرورة للدولة ، - كل هذا انطوى على الخبرة الممركزة للرأسمالية وتسبب لنا بمصاعب لا قياس لها .

ونحن لم نتخلص بعد من لجة هذه المصاعب حتى في الوقت الحاضر . ففي البدء نظرنا الى هذه المصاعب نظرة مجردة تماماً ، كثوريين يمارسون الدعاية ولكنهم لا يعرفون كيف ينصرفون الى العمل . ويقيناً ان كثيرين من الناس قد اتهمونا ، وان جميع الاشتراكيين والاشتراكيين-الديموقراطيين لا يزالون يتهموننا الى الآن ، باننا انصرفنا الى هذا العمل دون ان نعرف كيف نسير به الى النهاية . ولكن هذا اتهام مضحك من اناس موتى . فكأنه يمكن القيام بثورة عظيمة للغاية مع سابق المعرفة بكيفية القيام بها الى النهاية ! وكأنّ هذه المعرفة تُستقى من الكتب ! كلا . فمن تجربة الجماهير فقط امكن لقرارنا ان ينجم . واني اعتبر فضلاً لنا كوننا عكفنا ، رغم المصاعب التي لا تصدق ، على حل مسألة كانت مبهمة في نصفها بالنسبة لنا واجتذبنا الجماهير البروليتارية الى العمل المستقل واقدمنا على تأميم المؤسسات الصناعية ، والخ . . ونحن نتذكر كيف كنا نصدر في سمولني ١٠ مراسيم و١٢ مرسوماً دفعة واحدة . وكان ذلك دليلاً على عزمنا ورغبتنا في ايقاظ خبرة الجماهير البروليتارية ومبادرتها . وهذه الخبرة متوفرة لدينا حالياً . والآن انتقلنا من الرقابة العمالية على الصناعة الى الادارة العمالية للصناعة او اقتربنا منها عن كثب . وعوضاً عن العجز المطلق ، تتوفر لنا الآن جملة من عبر الخبرة ، وهذه الخبرة لخصناها في برنامجنا قدر الامكان . وسيتعين تناول هذا الامر بالتفصيل لدن تناول المسألة التنظيمية . ولو لم يساعدنا ويعمل معنا الرفاق في النقابات ، لما استطعنا القيام بهذا العمل .

في اوروبا الغربية ، توضع المسألة على نحو آخر . فالرفاق هناك يرون الشر في النقابات ، لان ممثلي الاشتراكية القديمة الصفر قد استولوا هناك على النقابات الى حد ان الشيوعيين لا يرون فائدة ترجى من مساندتها . وينادي كثيرون من ممثلي الشيوعيين

الغربيين ، وحتى روزا لوكسمبورغ ، بتصفية النقابات (١١٦) . وهذا يبيّن الى اي حد تكون مهمتنا في اوروبا الغربية اصعب . اما عندنا ، فما كان بوسعنا ان نصمد وان شهراً واحداً بدون مساندة النقابات . وفي هذا المجال تتوفر لنا تجربة نشاط عملي هائل تتيح الشروع بحل اصعب المسائل .

لنأخذ مسألة الاختصاصيين التي تواجهنا لدى كل خطوة ، والتي تطرح لدن كل توظيف لمنصب ، والتي يضطر ممثلو الاقتصاد الوطني وكذلك لجنة الحزب المركزية الى طرحها . وفي الظرف الراهن ، لا يمكن للجنة الحزب المركزية ان تعمل متشبثة بالشكليات . ولو لم يكن من الممكن ايجاد رفاق للعمل بصورة مستقلة في فرعهم ، لما كنا استطعنا اطلاقاً ان نعمل . ولكن بفضل وجود منظمين عندنا مثل يا . م . سفردلوف ، بفضل ذلك فقط ، استطعنا في ظروف الحرب ان نعمل بحيث انه لم يقع ثمة نزاع يؤبه له . وفي هذا العمل كان يترتب علينا بصورة لا مناص منها ان نستفيد من مساعدة اولئك الذين عرضوا علينا خدماتهم ، وهم من ذوي معارف مأخوذة من الازمنة القديمة .

لنأخذ مثلاً مسألة ادارة المصلحة العسكرية . هنا يستحيل حل المسألة بدون الثقة بهيئة الاركان ، بكبار المنظمين الاختصاصيين . كانت هناك خلافات بيننا في هذا الصدد ، ولكنه لم يكن من الممكن ان تقوم الشكوك في الاساس . ولقد لجأنا الى مساعدة الاختصاصيين البرجوازيين المفعمين بالنفسية البرجوازية والذين خانونا وسوف يخونوننا خلال سنوات . ومع ذلك ، اذا طرحنا المسألة بمعنى اننا سنبني الشيوعية بايدي الشيوعيين المثاليين فقط ، وليس بمساعدة الاختصاصيين البرجوازيين ، فان هذه فكرة صبيانية . فنحن متمرسون في النضال ، ولنا قوى ، ووحدة ، ويجب علينا ان نسير بطريق العمل التنظيمي ، مستغلين معارف هؤلاء الاختصاصيين

وخبرتهم . وهذا شرط ضروري يستحيل بدونه بناء الاشتراكية . ويستحيل علينا بناء الاشتراكية بدون ميراث الحضارة الرأسمالية . ولا يمكن بناء الشيوعية الا مما تركته لنا الرأسمالية .

ينبغي لنا ان نبني الآن عملياً ، ونحن مضطرون لان نبني المجتمع الشيوعي بايدي اعدائنا . ويبدو هذا تناقضاً ، ولربما حتى تناقضاً مستعصياً لا حل له ، ولكنه لا يمكن بالفعل اداء مهمة البناء الشيوعي الا بهذا السبيل . وحين نتفحص خبرتنا ، وحين نواجه كل يوم هذه المسألة ، وحين نرى نشاط اللجنة المركزية العملي ، فانه يبدو لي ان حزبنا قد ادى هذه المهمة اساساً . ولقد كان ذلك امراً في منتهى الصعوبة ، ولكن على هذا النحو فقط كان يمكن اداء المهمة . ان العمل التنظيمي المبدع بتضافر الجهود لا بد من ان يضغط على الاختصاصيين البرجوازيين بحيث يسيرون في صفوف البروليتاريا ، مهما قاوموا ومهما ناضلوا لدى كل خطوة . يجب علينا ان نشركهم في العمل كقوة تكنيكية وثقافية ، لكي نصونهم ونجعل من بلاد رأسمالية متوحشة وغير مثقفة بلاداً شيوعية مثقفة . واني اعتقد اننا تعلمنا البناء في غضون هذه السنة وانخرطنا في السبيل القويم ؛ وعن هذا السبيل لن نحيد .

واود لو اتناول ايضاً بايجاز مسألة التموين ومسألة الريف . ان مسألة التموين كانت دائماً عندنا اصعب المسائل . ففي بلد تأتى فيه للبروليتاريا ان تأخذ السلطة بمساعدة الفلاحين ، وانيط فيه بالبروليتاريا دور عميل للثورة البرجوازية الصغيرة ، – كانت ثورتنا قبل تأسيس لجان الفلاحين الفقراء ، اي قبل صيف وحتى قبل خريف ١٩١٨ ثورة **برجوازية** بمقدار كبير . ونحن لا نخشى قول هذا . ولقد حققنا ثورة اكتوبر بمثل هذه السهولة لأن الفلاحين ، بوجه عام ، ساروا معنا ، لأنهم ساروا ضد الملاكين العقاريين ، لانهم رأوا اننا سنسير هنا الى النهاية ، لأننا طبقنا بصورة القوانين

ما كان مطبوعاً في جرائد الاشتراكيين-الثوريين ،– ما وعدت بـــه البرجوازية الصغيرة الجبانة ، ولكن ما لم تستطع تحقيقه . بيد انه عندما اخذت تتشكل لجان الفلاحين الفقراء ،– اصبحت ثورتنا مـنـذ ذاك ثورة **بروليتارية** . وواجهتنا مهمة نحن ابعد من ان نكون قـــد نفذناها . ولكنه من خارق الاهمية اننا طرحناها عملياً . ان لجـــان الفلاحين الفقراء كانت درجة انتقالية . وان اول مرســوم بتأسيس لجان الفلاحين الفقراء انما اصدرته السلطـة السوفييتيـة بمبادرة الرفيـق تسوروبـا الذي كان آنذاك يترأس قطاع التموين . كان ينبغي انقاذ السكان غير الزراعيين الذين كانوا يتضورون جوعاً . ولم يكن من الممكن القيام بذلك الا بواسطـة لجان الفلاحين الفقراء بوصفها لجاناً بروليتارية . وعندما رأينـــا ان ثورة اكتوبر بدأت وحدثت في الريف في صيف ١٩١٨ ، عند ذاك فقط ، وقفنـــا على اساسنا البروليتاري الحقيقي ، وعند ذاك فقط **صارت** ثورتنـــا **ثورة بروليتارية بالفعل** وليس بالبيانـــــات ، ولا بالوعـــود والتصريحات .

نحن لمّا ننفذ حتى الآن المهمة التي تواجه حزبنا ، مهمـــة ابداع اشكال لتنظيم البروليتاريـا وشبه البروليتاريا في الريف . ومؤخراً تسنى لي ان اذهـــب الى بتروغراد واحضر واحداً من اولى مؤتمرات العمال الزراعيين بمحافظة بتروغراد . وقد رأيت كيف لا نزال نتناول هذه القضية تلمـــاً ، ولكني اعتقد انهـــا ستتقدم الامر ، بلا ريب . ولا بدّ لي ان اقول ان العبرة الرئيسيـــة التي اكتسبناها من خلال القيادة السياسية طوال هذا العام ، تتلخص في وجوب ايجاد السند التنظيمي هنا . وقد خطونا خطوة نحـــو هذا بتشكيل لجان الفلاحين الفقراء ، وباعادة انتخاب السوفييتـــات وبتعديل السياسة في ميدان التموين حيـــث واجهنـا مصاعـب لا تُصدَّق . ولربما سيتعين تغيير هذه السياسة في تلك الاطراف من

روسيا التي تصبح الآن سوفييتية ، – اوكرانيا ، منطقة الدون . وسيكون من الخطأ اذا ما اكتفينا باستنساخ المراسيم حسب الكليشه لجميع انحاء روسيا ، واذا ما عمد البلاشفة-الشيوعيون ، والعاملون السوفييتيون في اوكرانيا ومنطقة الدون الى تعميمها ، بكل بساطة ، على جميع المناطق الاخرى . ولا بدّ من مواجهة الكثير من الحالات الاصيلة ، ونحن لا نقيد انفسنا البتة بكليشه وحيد الشكل ، ولا نقرر مرة واحدة والى الابد انه يمكن تعميم خبرتنا ، خبرة روسيا الوسطى ، على جميع المناطق الاخرى بلا تعديل . ولقد اقتربنا للتو من مهمة البناء الحقيقي ، ونحن لا نزال نخطو الخطوات الاولى في هذا المضمار ، – وامامنا يتكشف ميدان شاسع للعمل .

لقد اشرت الى ان تشكيل لجان الفلاحين الفقراء كان الخطوة الحاسمة الاولى التي خطتها السلطة السوفييتية . وقد قام بها العاملون في مصلحة التموين واملتها الضرورة . ولاداء مهماتنا الى النهاية ، تنبغي منظمات لا تكون منظمات موقتة ، كلجان الفلاحين الفقراء . فالى جانب السوفييتات ، توجد عندنا منظمات مهنية نستخدمها كمدرسة لتربية الجماهير المتأخرة . ان شريحة العمال الذين اداروا روسيا عملياً في غضون هذه السنة وطبقوا السياسة كلها ، وشكلوا قوتنا ، – ان هذه الشريحة في روسيا رقيقة للغاية . ولقد اقتنعنا بهذا ، ونحن نشعر بهذا . واذا ما جمع المؤرخ المقبل ذات يوم المعطيات عما هي الجماعات التي ادارت في روسيا خلال هذه الاشهر الـ ١٧ ، وعما هي المئات والآلاف من الافراد الذين اخذوا على عاتقهم كل هذا العمل ، اخذوا على عاتقهم كل عبء ادارة البلاد الهائل ، – فان احداً لن يصدّق انه كان يمكن بلوغ ذلك بمثل هذا القدر التافه من القوى . وهذا القدر تافه لأن عدد القادة السياسيين المثقفين ، المتعلمين ، القديرين في روسيا كان قليلاً . ان هذه الشريحة في روسيا كانت رقيقة ، وارهقت نفسها في غمار النضال

المنصرم واجهدت نفسها ، وفعلت اكثر مما كانت تستطيع . واني اظن اننا سنبحث في هذا المؤتمر عن الوسائل العملية لكي نستخدم في الصناعة وكذلك في الريف – وهذا اهم ايضاً – القوى الجديدة تلو الجديدة على صعيد جماهيري ، لكي نجتذب الى العمل السوفييتي العمال والفلاحين الواقفين في مستوى الفلاح المتوسط او حتى ادنى من هذا المستوى . فبدون مساعدتهم على صعيد جماهيري ، يستحيل ، برأينا ، مواصلة النشاط .

وبما ان وقتي قد انقضى كله تقريباً ، فاني اريد ان اقول بضع كلمات عن موقفنا من الفلاح المتوسط . ان موقفنا منه كان واضحاً لنا من الناحية المبدئية حتى قبل بداية الثورة . وكانت مهمة تحييد الفلاحين مطروحة امامنا . وفي اجتماع بموسكو تأتى فيه طرح مسألة الموقف من احزاب البرجوازية الصغيرة ، اوردت اقوالاً دقيقة لانجلس لم يشر فيها الى ان الفلاح المتوسط هو حليفنا وحسب ، بل اعرب فيها كذلك حتى عن الثقة بانه قد يتسنى الاستغناء عن اجراءات التنكيل والقمع حيال الفلاحين الكبار ايضاً (١١٧) . ولكن هذه الفرضية لم تصلح في روسيا : فاننا قد كنا ولا نزال وسوف نظل في حالة حرب اهلية سافرة ضد الكولاك . وهذا امر محتم لا مناص منه . ولقد رأينا هذا في الممارسة . بيد ان الضربات التي كانت تقصد الكولاك اصابت الفلاحين المتوسطين في كثير من الحالات بسبب من عدم خبرة العاملين في السوفييتات ، بسبب من صعوبة المسألة . وفي هذا المجال اقترفنا من الاخطاء ما يكفي ويزيد . وان الخبرة المكتسبة في هذا المجال ستساعدنا على فعل كل ما يلزم لكي نتجنب ذلك في المستقبل . وهذه مهمة لا تواجهنا على الصعيد النظري ، بل تواجهنا على الصعيد العملي . وانتم تعرفون جيداً جداً ان هذه المهمة صعبة . فليست متوفرة لدينا خيرات يمكننا ان نقدمها للفلاح المتوسط ؛ والحال ان الفلاح

المتوسط مادي ، عملي ، ويطالب بخيرات مادية ملموسة ، لا نستطيع الآن ان نقدمها له وقد تكون البلاد محرومة منها طوال عدة اشهر من النضال الشاق الذي يبشر الآن بالنصر التام . ولكننا نستطيع ان نفعل الكثير في ممارستنا الادارية : ان نحسن جهازنا ونستأصل شأفة الكثير من التجاوزات . ونحن نستطيع ويجب علينا ان نصحح ونقوم خط حزبنا الذي اقدم بصورة غير كافية على التكتل ، على التحالف ، على التوافق مع الفلاحين المتوسطين .

هذا هو ، بايجاز ، ما تسنى لي ان اعرضه عليكم فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي والسياسي الذي قامت به اللجنة المركزية خلال السنة المنصرمة . ويجب عليّ الآن ان اتطرق باوجز شكل الى القسم الثاني من المهمة التي عهدت بها اليّ اللجنة المركزية ، الا وهي تقرير اللجنة المركزية التنظيمي . هذه المهمة لم يكن يستطيع ان يؤديها كما ينبغي الا ياكوف ميخائيلوفيتش سفردلوف * الذي كان قد عهد اليه القاء تقرير اللجنة المركزية في هذه المسألة . وبما انه كان يتحلى بذاكرة خارقة لا تصدق ، فكان يحتفظ فيها بمعظم تقريره ؛ كما ان الاطلاع الشخصي على حالة العمل التنظيمي في المحال كان يتيح له القاء هذا التقرير . وانا لست بقادر على ان احل محله حتى بنسبة واحد بالمئة لأننا كنا مضطرين الى الاعتماد كلياً في هذا العمل ، وكانت تتوفر لنا جميع المبررات للاعتماد على الرفيق سفردلوف الذي كان يتخذ وحده القرارات في اغلب الاحيان .

بوسعي ان اتلو هنا مقتطفات صغيرة مما هو جاهز من التقارير الخطية . ولكن امانة اللجنة المركزية ، التي لم تتمكن من انجاز عملها هذا ، قد قطعت على نفسها عهداً بان التقارير الخطية ستكون في الاسبوع المقبل جاهزة للطبع ، وستطبع منها نسخ

* توفي الرفيق سفردلوف في ١٦ آذار (مارس) ١٩١٩ . **الناشر .**

عديدة على الطابعة الدوارة ، وتوضع تحت تصرف جميع اعضاء المؤتمر . وستكمل المعلومات الجزئية العاجلة التي يمكنني ان اوردها هنا . ففي محتويات التقرير المتوفرة الآن بالشكل الخطي ، نجد قبل كل شيء معلومات عن الاوراق الواردة : في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ - ١٤٨٣ ، وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ - ١٥٣٧ ، وفي شباط (فبراير) - ١٨٤٠ . هناك توزيع نسبي لهذه الاوراق ، ولكنني اسمح لنفسي بعدم تلاوة هذا . وان الرفاق الذين يهمهم الامر سيرون من التقرير الذي سيوزع ان عدد الزيارات الى الامانة بلغ ، مثلاً ، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ٤٩٠ زيارة . وان الرفاق الذين اعطوني هذا التقرير يقولون هنا انه قد لا يشمل نصف ما مارسته الامانة ، لان الرفيق سفردلوف كان يستقبل كل يوم عشرات المندوبين ، اكثر من نصفهم كانوا ، على الارجح ، عاملين حزبيين وليس عاملين سوفييتيين .

يجب ان الفت الانتباه الى التقرير عن نشاط اتحاد الفرق الاجنبية (١١٨) . واني على علم بهذا الميدان من العمل بقدر تسنى لي به ان اطلع بنظرة خاطفة على مواد الفرق الاجنبية . كان عدد هذه الفرق في البدء ٧ ؛ وعددها الآن ٩ . ان الرفاق الذين يعيشون في انحاء روسية صرف ، ولا تتوفر لهم امكانية التعرف مباشرة على هذه الفرق ، ولم يروا التقارير في الجرائد يمكنهم الاطلاع على مقتبسات من الجرائد اسمح لنفسي بعدم تلاوتها بكاملها . يجب ان اقول انه يلاحظ هنا اساس حقيقي لما قمنا به لاجل الاممية الثالثة . ان الاممية الثالثة قد تأسست في موسكو في مؤتمر قصير سيقدم الرفيق زينوفييف تقريراً مفصلاً عنه ، كما عن كل ما تقدمه اللجنة المركزية في جميع المسائل المتعلقة بالاممية . واذا كنا قد استطعنا خلال مدة قصيرة ان نحقق هذا القدر الكبير من الامور في مؤتمر الشيوعيين في موسكو ، فمرد ذلك الى ان لجنة حزبنا المركزية

ومنظم المؤتمر الرفيق سفردلوف قد قاما بعمل تحضيري هائل . فقد جرت الدعاية بين الاجانب الموجودين في روسيا ، وجرى تنظيم جملة من الفرق الاجنبية . وتم اطلاع عشرات من اعضاء هذه الفرق بصورة تامة على الخطط الاساسية والمهمات العامة للسياسة بمعنى الخطوط الموجِّهة . ان مئات الآلاف من اسرى الحرب من الجيوش التي بناها الامبرياليون لخدمة اغراضهم بوجه الحصر قد تصرفوا ، بعد انتقالهم الى المجر والمانيا والنمسا ، بحيث ان جراثيم البلشفية تملكت هذه البلدان كلياً . واذا كانت تسود في هذه البلدان جماعات او احزاب متضامنة معنا ، فمرد ذلك الى ذلك العمل غير البارز في الظاهر ، والمعروض في التقرير التنظيمي بشكل اجمالي وموجز ، الذي قامت به الفرق الاجنبية في روسيا ، والذي شكل صفحة من اهم الصفحات في نشاط الحزب الشيوعي في روسيا بوصفه خلية من خلايا الحزب الشيوعي العالمي .

ثم ترد في المواد التي احيلت اليّ معطيات عن كيف وصلت المعلومات الى اللجنة المركزية ومن اية منظمات ؛ وهنا يتبدى انعدام التنظيم الذي تتميز به بلادنا روسيا بكل قباحته التي تخزينا جميعاً . لقد تواردت المعلومات المنتظمة من منظمات ٤ محافظات ، والمعلومات غير المنتظمة من ١٤ محافظة ، والمعلومات من باب الصدفة من ١٦ محافظة . واسماء هذه المحافظات ترد في قائمة ، وانتم تسمحون لي بعدم تلاوتها . يقيناً ان الكثير في انعدام تنظيمنا الاقصى ، في قلة تنظيمنا القصوى يعزى الى ظروف الحرب الاهلية ، ولكن ليس الكل اطلاقاً . واقل ما ينبغي فعله ، هو التذرع بهذا . فان النشاط التنظيمي لم يكن يوماً الجانب القوي عند الروس على العموم وعند البلاشفة على الخصوص ، في حين ان المهمة الرئيسية التي تواجه الثورة البروليتارية انما هي **المهمة التنظيمية** بالضبط . وليس عبثاً توضع المهمة التنظيمية هنا في احد الاماكن البارزة .

وهنا يجب النضال بجميع الاجراءات بحزم وصلابـــة ، ومرة اخرى بحزم ومرة اخرى بصلابة . وبدون التربية المديدة واعادة التربية لن نفعل شيئاً هنا . هنا يقوم ذلك الميدان الذي يُستعمل فيـــه العنف الثوري ، وتُستعمـل فيــــه الديكتاتوريـــة لاجل اساءة الاستعمال ، وقد اتجرأ واحذركم من اساءة الاستعمال هذه . ان العنف الثوري والديكتاتورية شيء رائع اذا جرى تطبيقهمـــا حين ينبغي وضد من ينبغي . ولكنه لا يجوز تطبيقهما في ميدان التنظيم . وهذه المهمة ، مهمة التربية واعادة التربية والعمل التنظيمــــــي المديد لم ننفذها اطلاقاً وبهذا يجب ان نقوم بدأب وانتظام .

وهنا يوجد تقرير مالي مفصل . واكبر باب بين مختلـــف الابواب – باب النفقات على الدار العمالية للطبـــع والنشر وعلى الجرائد : مليون ، ومليـون ثم مليون – ٣ ملايين . على المنظمات الحزبية ٢٨٠٠٠٠٠ ، نفقـات هيئات التحرير ٣٦٠٠٠٠٠ . وهناك ارقام اكثر تفصيلاً في هذا التقرير الذي سيطبع ويوزع على جميع المندوبين . وحتى ذاك يمكن للرفاق ان يطلعوا عليه بواسطة ممثلي الفرق . فاسمحوا لي بعدم تلاوة هذه الارقـام . فان الرفاق الذين قدموا التقارير قد اعطوا هنا الامر الرئيسي والاوضح ، عنيت بـــه النتائج العامة للنشاط الدعائي ، اي في ميدان الطبع والنشر . فان دار «كومونيســـت» قد اصدرت ٦٢ مطبوعـة . واعطـــت جريدة «البرافدا» في عام ١٩١٨ مليوني روبل من الربح الصافي ، وطبعت ٢٥ مليون نسخة . واعطت جريدة «بدنوتـــا» من الربح الصافي ٢٣٧٠٠٠٠ روبل ، وطبعت ٣٣ مليون نسخة . وقد وعد الرفاق من المكتب التنظيمي لدى اللجنة المركزية بتصنيف الارقام المفصلـة المتوفرة عندهم بحيث يمكن اجراء مقارنة بين نقطتين انطلاقيتين على الاقل . وآنذاك سيتضح لكل امرئ ذلك النشاط التنويري الهائل الذي قام به حزب يستعمل لاول مرة في التاريخ التكنيـــك الطباعي

الرأسمالي الضخم في صالح العمال والفلاحين وليس في صالح البرجوازية . لقد اتهمونا آلاف وملايين المرات ولا يزالون يتهموننا بانتهاك حرية الطبع ، بالتخلي عن الديموقراطية . ان المتهمين يسمون بالديموقراطية امكانية شراء الصحافة من قبل الرأسمال ، امكانية استخدام الصحافة من قبل الاغنياء في اغراضهم . اما نحن فاننا نسمي هذا بالبلوتوقراطية وليس بالديموقراطية . فان كل ما خلقته الثقافة البرجوازية لكي تخدع الشعب وتدافع عن الرأسماليين انما انتزعناه منهم لكي نلبي متطلبات العمال والفلاحين السياسية . ولقد فعلنا في هذا الصدد ما لم يستطع ان يفعله اي حزب اشتراكي خلال ربع قرن او نصف قرن . ولكننا فعلنا مع ذلك قليلاً الى ما لا قياس له مما يجب فعله .

المادة الاخيرة التي احالها اليّ المكتب – الرسائل السيارة . عددها ١٤ ، والرفاق الذين لم يطلعوا عليها او قلما اطلعوا عليها مدعوون الى الاطلاع عليها . ومن المؤكد ان نشاط اللجنة المركزية في هذا المجال لم يكن كافياً ، ولكنه يجب ان يؤخذ بالحسبان انه حين يتأتى العمل في تلك الظروف التي عملنا فيها ، وحين يتأتى كل يوم اعطاء توجيهات سياسية في جملة من المسائل ، وحين لا يمكن القيام بذلك بواسطة المكتب السياسي او بواسطة دورة اللجنة المركزية الا في حالات استثنائية وحتى نادرة ، – يستحيل في هذه الظروف الظن انه كان يمكننا في كثير من الاحيان اللجوء الى الرسائل السيارة السياسية .

واني اكرر قولي بانه لا يمكننا ، بوصفنا هيئة كفاحية لحزب كفاحي في عهد الحرب الاهلية ، ان نعمل بنحو آخر . والا كان ذلك إمّا انصاف كلمات وإمّا برلماناً ؛ والحال لا يمكن للبرلمان في عهد الديكتاتورية ان يحل المسائل ولا ان يوجه الحزب او المنظمات السوفييتية . ايها الرفاق ، ان اهمية الرسائل السيارة من اللجنة

المركزية قد قلت في عهـــد نستخدم فيه جهاز المطابع والصحافـــة البرجوازية . ونحن لا نرســل سوى التوجيهـات التي كان لا يجوز طبعها ، لان العمل السري بقي ولا يزال باقياً وسوف يبقى في نشاطنا الذي كان علنياً رغم كل ابعاده الهائلة . ونحن لم نخش الملامـات بسبب عدم علنيتنا وبسبب سريتنا ؛ كلا ، بل كنا نعتز بذلك . وعندما تأتى لنا ورأينا انفسنا في وضع واجهنا فيه البرجوازيـــة الاوروبية بعد ان اسقطنا البرجوازية في بلادنا ، بقي السر في اعمالنا وبقي عدم العلنية في نشاطنا .

وبهذا ، ايها الرفاق ، اختتم تقريري . (**تصفيق** .)

صدر في ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٩ في جريدة «البرافدا» ، العدد ٦٠

المجلد ٣٨ ، ص ص ١٣١–١٥٠

٢

تقرير حول برنامج الحزب
١٩ آذار (مارس) ١٩١٩

(**تصفيق** .) ايها الرفاق ، وفقاً لتقسيم المواضيع ، الذي اتفقنا عليه مع الرفيق بوخارين ، كلفت بتوضيح وجهة نظر اللجنة حول جملة من النقاط الملموسة التي يدور حولها اشد النقاش او التي تهم الحزب في الوقت الحاضر اكثر من غيرها .

سأبدأ ، بصورة موجزة ، بالنقاط التي عالجها الرفيق بوخارين في نهاية تقريره ، لأنها بيننا ، في قلب اللجنة ، نقاط مختلف عليها . النقطة الاولى تتناول طابع ترتيب القسم العام من البرنامج . برأيي ان الرفيق بوخارين لم يعرض هنا بشكل صحيح تماماً الاسباب التي دفعت اغلبية اللجنة الى رفض جميع المحاولات لوضع البرنامج بشطب كل ما قيل فيه عن الرأسمالية القديمة . ولقد تكلم الرفيق بوخارين على نحو يحمل على الظن احياناً ان اغلبية اللجنة قد خشيت القال والقيل ، خشيت اتهامها بعدم احترام الماضي . أكيد ان موقف اغلبية اللجنة معروضاً على هذا النحو يبدو مضحكاً جداً . ولكن هذا بعيد عن الحقيقة . فان اغلبية اللجنة قد رفضت المحاولات التي نتحدث عنها لانها كانت خاطئة . ولو قبلتها ، لما كانت تطابقت

مع الوضع الفعلي . فان الامبريالية الخاصة بلا قاعدة رأسمالية اساسية لم يكن لها وجود قط ، ولا وجود لها في اي مكان ، ولن يكون لها وجود ابداً . وان محاولة تصوير الرأسمالية المالية على انها لا ترتكز على اي من اسس الرأسمالية القديمة ، انما هي تعميم خاطئ لكل ما قيل عن السنديكات والكارتلات والتروستات والرأسمالية المالية .

هذا خطأ . هذا خطأ ولا سيما بالنسبة لعهد الحرب الامبريالية وبالنسبة لعهد ما بعد الحرب الامبريالية . ولقد كتب انجلس في حينه في احد تحليلاته عن الحرب المقبلة انها ستكون افظع تدميراً بكثير من حرب الثلاثين سنة ، وان الانسانية ستعود بصورة ملحوظة الى حالة الوحشية ، وان جهازنا الاصطناعي للتجارة والصناعة سيصاب بالافلاس (١١٩) . في بداية الحرب ، راح الاشتراكيون-الخونة والانتهازيون يتباهون بصدد حيوية الرأسمالية ، ويسخرون من «المتعصبين او انصاف الفوضويين» ، كما كانوا يسموننا . وكانوا يقولون : «انظروا ، ان تنبؤاتهم لم تصدق . فقد بينت الاحداث انها لم تكن صحيحة الا بالنسبة لعدد قليل جداً من البلدان ولفترة وجيزة جدا !» . اما الآن ، فليس في روسيا وحدها ولا في المانيا وحدها ، بل ايضاً في البلدان الظافرة ، يبدأ هذا التدمير الرهيب للرأسمالية المعاصرة ، هذا التدمير بالذات ، الذي يقضي في كثرة كثيرة من الانحاء على هذا الجهاز الاصطناعي ويبعث الرأسمالية القديمة .

وعندما قال الرفيق بوخارين انه يمكن محاولة رسم لوحة اجمالية عن تدمير الرأسمالية والامبريالية ، اجبنا في قلب اللجنة ويجب عليّ ان اجيب هنا : حاولوا ، تروا انكم لن تنجحوا في ذلك . وقام الرفيق بوخارين بمحاولة من هذا النوع ، هناك ، في اللجنة ، ثم عدل عنها بنفسه . واني لواثق تماماً بأنه لو كان في مستطاع

احدهم ان يفعل ذلك ، لكان الرفيق بوخارين قبل غيره ، لأنه اهتم بهذه المسألة كثيراً جداً وجدياً جداً . واني اؤكد ان محاولة كهذه لا يمكن ان يحالفها التوفيق ، نظراً لأن المهمة غير صحيحة . فاليوم ، في روسيا ،نعاني عواقب الحرب الامبريالية ونعيش المرحلة الاولى من ديكتاتورية البروليتاريا . وفي عدة مناطق من روسيا انفصل بعضها عن بعض اكثر مما مضى ، نشهد في الوقت نفسه ، في كثرة كثيرة من الحالات ، انبعاث الرأسمالية وتطور مرحلتها الاولى . ومن المستحيل تجاهل ذلك . فاذا حررنا البرنامج كما اراد الرفيق بوخارين ، كان هذا البرنامج خاطئاً ، وتضمن في افضل الحالات خير ما قيل عن الرأسمالية المالية والامبريالية ؛ ولكنه لن يعكس الواقع ، وذلك بالضبط لأن هذا الواقع خال من هذا الانسجام . ان برنامجاً مؤلفاً من اقسام متباينة ، ليس بالشيء الظريف (ولكن هذا ليس ذا شأن ، بالطبع) ؛ غير ان برنامجاً من نوع آخر سيكون مجرد خطأ . واننا ، خلال مرحلة طويلة جداً ، لن نتخلص من هذا التباين ، من هذا التنوع في مواد البناء ، — مهما كان ذلك مزعجاً وقليل الانسجام . وعندما نتخلص منه ، سنضع برنامجاً آخر . ولكننا آنذاك نعيش في مجتمع اشتراكي . وان الزعم بأن الامور ستسير فيه كما تسير اليوم ، انما هو زعم مضحك .

نحن نعيش في مرحلة انبعثت فيها جملة كاملة من الظاهرات الاساسية ، الاولية ، للرأسمالية . خذوا مثلاً تدهور النقليات الذي نشعر به جيداً جداً ، او الذي ، بالاحرى ، نتضرر بسببه فادح الضرر . وهو ملحوظ ايضاً في بلدان اخرى ، حتى في البلدان الظافرة . والحال ، ماذا يعني تدهور النقليات في النظام الامبريالي ؟ — العودة الى اولى اشكال الانتاج البضاعي . ونحن نعرف

جيداً من هم الميشوتشنيك * . ان هذه الكلمة ، على ما يبدو ، كانت حتى الآن غير مفهومة للاجانب . والآن ، اسألوا الرفاق القادمين الى مؤتمر الاممية الثالثة ، يقولوا لكم ان كلمات مماثلة اخذت تظهر في المانيا وسويسرا ايضاً . والحال انكم لن تدخلوا هذه الفئة في اي مفهوم لديكتاتورية البروليتاريا ؛ انما سيترتب عليكم العودة الى وراء ، الى المظاهر البدائية للمجتمع الرأسمالي والانتاج البضاعي .

ان الانفلات من هذا الواقع المؤسف بوضع برنامج سلس ومتماسك ، انما يعني القفز الى الفراغ ، الى ما وراء الغيوم ، انما يعني تدبيج برنامج خاطئ . وليس ابداً احترام القديم هو الذي اضطرنا ، كما ألمح الرفيق بوخارين بكل ادب ، الى ادراج مقاطع من البرنامج القديم هنا . واذا اخذنا بكلامه ، بوخارين ، بدت المسألة على النحو التالي : وُضع البرنامج في عام ١٩٠٣ بمساهمة لينين ؛ وهذا البرنامج سيئ بما لا يقبل الجدل ، ولكن ، بما انه يطيب للناس المسنين ، اكثر ما يطيب ، التذكير بالماضي ، فقد وضعوا في المرحلة الجديدة برنامجاً جديداً يكررون فيه ، احتراماً للماضي ، ما قيل في البرنامج القديم . فاذا كان الامر كذلك ، فمن الممكن الهزء بمثل هؤلاء الغرباء . ولكني اؤكد ان الامر ليس كذلك . فان الرأسمالية التي وصفناها في عام ١٩٠٣ لا تزال موجودة في عام ١٩١٩ في الجمهورية البروليتارية السوفييتية ، وذلك ، على وجه الضبط ، نتيجة لتفسخ الامبريالية ، بسبب من افلاسها . وهذه الرأسمالية انما يمكن ان نجدها مثلاً في محافظة سامارا وفي محافظة فياتكا ، وكلتاهما غير بعيدتين كثيراً عن موسكو . وفي المرحلة

* الميشوتشنيك (من الكلمة الروسية «ميشوك» ومعناها «كيس») مضاربون بالماكولات اثناء التدخل المسلح الاجنبي والحرب الاهلية في روسيا السوفييتية . وكانوا في المعتاد ينقلون بضائعهم في الاكياس . **الناشر** .

التي تمزق فيها الحرب الاهلية البلاد ، لن نخرج عما قريب من هذا الوضع ، من هذه المضاربة التي يلجأ اليها الميشوتشنيك . ولهذا كان كل ترتيب آخر للبرنامج خاطئاً . يجب قول ما هو موجود ، اذ يجب أن يتضمن البرنامج ما لا يقبل الجدل اطلاقاً ، ما ثبت فعلاً ، وحينذاك فقط يكون برنامجاً ماركسياً .

نظرياً ، يفهم الرفيق بوخارين هذا الامر جيداً جداً وهو يقول انه يجب ان يكون البرنامج ملموساً . ولكن الفهم شيء ، والتطبيق العملي شيء آخر . ان الشيء الملموس عند الرفيق بوخارين ليس سوى عرض كتبي للرأسمالية المالية . ففي الواقع ، نلاحظ ظاهرات مختلفة النوع . في كل محافظة زراعية ، نرى المزاحمة الحرة الى جانب الصناعة المحتكرة . ان الرأسمالية الاحتكارية لم توجد ولن توجد ابداً في اي مكان من العالم دون وجود المزاحمة الحرة في شتى الفروع . وان وصف نظام كهذا انما يعني وصف نظام منفصل عن الحياة ، وخاطئ . واذا كان ماركس قد قال عن المانيفاكتورة انها بناء فوقي للانتاج الصغير الواسع الانتشار ، فان الامبريالية والرأسمالية المالية تشكلان بناء فوقياً للرأسمالية القديمة . اهدموا قمتها ، تظهر لكم الرأسمالية القديمة . ان من يتمسك بوجهة النظر القائلة انه توجد امبريالية متكاملة بدون الرأسمالية القديمة ، انما يأخذ رغائبه على انها وقائع .

هذا خطأ طبيعي يسهل الوقوع فيه . فلو كانت امامنا امبريالية متكاملة اعادت بناء الرأسمالية كلياً ، لكانت مهمتنا ايسر بمئة الف مرة . ولكان امامنا نظام يخضع فيه كل شيء للرأسمال المالي وحده . ولما بقي لنا آنذاك الا ان نلغي قمة البناء ونسلّم البروليتاريا الباقي ، ولكان الامر مستطاباً جداً ؛ ولكن هذا غير موجود في الواقع . فالتطور ، في الواقع ، لعلى نحو بحيث انه يترتب علينا العمل بطريقة اخرى تماماً . ان **الامبريالية هي بناء فوقي**

للرأسمالية . فحين تنهار ، نشهد انهيار القمة وتعري الاسس . ولهذا يجب ان يقول برنامجنا ما هو موجود اذا شاء ان يكــــون صحيحاً . توجد الرأسمالية القديمة التي بلغت الامبريالية في شتى الميادين . وميولها امبريالية صرف . والقضايا الاساسية لا يمكــن بحثها الا من وجهة نظر الامبريالية . وان اي مسألة هامة في مضمار السياسة الداخلية او الخارجية لا يمكن حلها الا من وجهــة نظر هذا الميل . ولكن البرنامـــج لا يتطرق الى هذا الامر الآن . فهناك ، في الواقع ، بناء تحتي هائل هو الرأسمالية القديمة . هناك بنــاء فوقي امبريالي جاء بالحرب ، ومن هذه الحرب جاءت بداية ديكتاتوريـــة البروليتاريا . وانكم لن تنفلتوا من هذا الطور . وان هذا الواقـــع ليصف وتيرة تطور الثورة البروليتارية بالذات في العالـــم بأسره ، وسيبقى واقعاً سنوات طويلة .

قد تجري الثورات في اوروبا الغربية بصورة اكثر سلاسة ؛ ومع ذلك ، فان اعادة تنظيم العالم بأسره ، اعادة تنظيم معظـــم البلدان ستتطلب سنوات طويلة ، طويلة جداً . وهذا يعني اننا لن ننفلت ، في المرحلة الانتقالية التي نعيش ، من هذا الواقـــــع الفسيفسائي الشكل . فان هذا الواقع الذي يتألـــــف من عناصر متباينة ، انما يستحيل نبذه ، مهما كان غير طريف ، لا يمكن حذف اي ذرة منه . وان برنامجاً يوضع على نحو آخر ، على نحو مغاير لما هو عليه ، لن يكون صحيحاً .

اننا نقول اننا بلغنا الديكتاتورية . ولكنه ينبغي لنا مـــع ذلك ان نعرف **كيف** بلغناها . ان الماضي يتشبث بنـــا ، ويقبض علينا بألف يد ، ويمنعنا من السير خطوة واحدة الى الامام ، او انه يجبرنا على اساءة هذه الخطوات كما نسيئها اليوم . ونحن نقول : لفهم الوضع الذي هو وضعنا ، ينبغي لنا ان نقول كيف سرنا ، وما الذي قادنا الى الثورة الاشتراكية بالذات . لقد قادتنا اليهـــــا

الامبريالية ، قادتنا الرأسمالية باشكالها الاقتصادية البضاعية البدائية . كل هذا يجب فهمه ، لأننا لن نتمكن من حل القضايا الواردة كقضية موقفنا من الفلاحين المتوسطين ، مثلاً ، الا اذا اخذنا الواقع بعين الاعتبار . وبالفعل ، من اين يمكن ان يأتي الفلاح المتوسط في عهد الرأسمالية الامبريالية الصرف ؟ اذ انه لم يكن موجوداً حتى في بلدان الرأسمالية العادية . فاذا حللنا مسألة موقفنا من هذه الظاهرة التي هي كلياً تقريباً من ظاهرات القرون الوسطى (من الفلاحين المتوسطين) منطلقين بوجه الحصر من وجهة نظر الامبريالية وديكتاتورية البروليتاريا ، فاننا لن نستطيع ابداً معالجة هذه المسألة ، ولن نكسب غير الجراح والكدمات . ولكن اذا كنا اعتزمنا على ان نغير موقفنا من الفلاح المتوسط ، فتفضلوا آنذاك وقولوا لنا ، في القسم النظري ايضاً ، من اين أتى ومن هو . انه منتج صغير للبضائع . هذه ألفباء الرأسمالية التي يجب علينا النطق بها ، لأننا لم نتجاوز بعد هذه الالفباء . اما تجاهلها والقول : «اي جدوى لنا من الاهتمام بالالفباء ، بعد ان درسنا الرأسمالية المالية !» ، فهذا ليس جدياً على الاطلاق .

وينبغي ان اقول الشيء نفسه فيما يتعلق **بالمسألة القومية** . هنا ايضاً يعتبر الرفيق بوخارين رغائبه على انها وقائع . فهو يقول بانه لا يجوز الاعتراف بحق الامم في تقرير مصيرها . الامة ، انما هي البرجوازية والبروليتاريا معاً . ونحن البروليتاريين ، أترانا نعترف بحق برجوازية حقيرة في تقرير مصيرها بنفسها ! هذا لا يتوافق مع اي شيء ! كلا ، عفواً ، فان هذا يتوافق مع ما هو موجود . فاذا نبذتم ما هو موجود ، كان ذلك ضرباً من الخيال . انتم تستشهدون بعملية التمايز الجارية في احشاء الامة ، بعملية انفصال البروليتاريا عن البرجوازية . ولكن دعنا نرى كيف سيجري هذا التمايز .

خذوا ،مثلاً ، المانيا ، وهي نموذج بلد رأسمالي متقدم ، كان من حيث التنظيم الرأسمالي والرأسمالية المالية يتفوق على اميركا . كانت المانيا دون اميركا في كثرة من النواحي ، من ناحية التكنيك والانتاج ، من الناحية السياسية ؛ ولكن المانيا كانت ارقى من اميركا من حيث تنظيم الرأسمالية المالية ، من حيث تحويل الرأسمالية الاحتكارية الى رأسمالية احتكارية للدولة . كان يبدو ان المانيا هي النموذج . والحال ، ماذا يجري هناك ؟ هل تمايزت البروليتاريا الالمانية عن البرجوازية ؟ كلا ! اذ انه بصدد بعض المدن الكبيرة فقط ، أعلن ان اغلبية العمال فيها ضد انصار شيدمان . فكيف جرى ذلك ؟ بتحالف السبارتاكيين مع المناشفة-المستقلين الالمان الملعونين ثلاثاً والذين يشوشون كل شيء ويريدون تزويج نظام السوفييتات بالجمعية التأسيسية ! هذا ما يجري في المانيا هذه نفسها ! هذا مع العلم انها بلد متقدم .

يقول الرفيق بوخارين : «اية فائدة لنا من حق الامم في تقرير مصيرها !» . لا بد لي ان اردد ما اجبته به حين اقترح في ١٩١٧ نبذ برنامج الحد الادنى والاكتفاء ببرنامج الحد الاقصى . لقد اجبته آنذاك : «لا تتبجح عند ذهابك الى الحرب ، بل عند عودتك» . فحين نظفر بالسلطة وننتظر قليلاً ، حينذاك سنفعل ذلك . ولقد ظفرنا بالسلطة ، وانتظرنا قليلاً ، والآن انا موافق على فعل ذلك . لقد انصرفنا بكليتنا الى عمل البناء الاشتراكي ، وصددنا الهجوم الاول الذي كان يهددنا ، — فالآن سيكون ذلك في وقته . وهذا يصح ايضاً بالنسبة لحق الامم في تقرير مصيرها . «انا لا اريد ان اعترف الا بحق الطبقات الكادحة في تقرير مصيرها» ، — هكذا يصرح الرفيق بوخارين . فانت تقصد اذن الاعتراف بما لم يتحقق فعلاً في اي بلد كان ، باستثناء روسيا . هذا مضحك .

خذوا فنلنده : انها بلد ديموقراطي ، اكثر تطوراً ، اكثر ثقافة

منّا . هناك تجري عملية تبلور البروليتاريا ، تميزها ؛ وهي تجري بصورة اصيلة ، بصورة اضنى مما عندنا . لقد عرف الفنلنديون ديكتاتورية المانيا ، وهم الآن يعانون ديكتاتورية دول الحلفاء . ولكن ، بما اننا اعترفنا بحق الامم في تقرير مصيرها ، فقد سهلت عملية التمايز هناك . واني لاذكر تماماً المشهد الذي جرى في سمولني حيث كان عليّ ان اسلم الشهادة لسفينهوفود (١٢٠) – وهذا ما يعني باللغة الروسية «ذو رأس خنزير» ، – ممثل البرجوازية الفنلندية ، الذي اضطلع بدور جلاد . شد على يدي بكل ود ، وتبادلنا المجاملات فما أقبح ما جرى ! ولكنه كان لا بد من فعله لأن هذه البرجوازية كانت في ذلك الظرف تخدع الشعب ، تخدع الجماهير الكادحة ، زاعمة ان المسكوب ، الشوفينيين ، الروس العظام ، يريدون خنق الفنلنديين . فكان ينبغي التصرف على ذلك النحو .

وامس ، ألم نضطر الى سلوك المسلك نفسه بشأن جمهورية البشكير (١٢١) ؟ حين قال الرفيق بوخارين : «يمكن الاعتراف بهذا الحق لبعضهم» ، سجلت ان الهوتنتوت ، والبوشمن ، والهنود واردون في لائحته . وبينا اصغي الى هذا التعداد ، كنت افكر : كيف امكن للرفيق بوخارين ان نسي هذا التفصيل الصغير ، ان نسي البشكير ؟ لا يوجد بوشمن في روسيا ؛ اما الهوتنتوت ، فلم اسمع ايضاً انهم يطمحون الى انشاء جمهورية ذات حكم ذاتي . ولكن أليس عندنا البشكير والقرغيز ، وجملة كاملة من الشعوب الاخرى التي لا يجوز لنا الامتناع عن الاعتراف بحقها ؟ لا يجوز لنا الامتناع عن الاعتراف بحق اي من الشعوب القاطنة في حدود الامبراطورية الروسية القديمة . بل لنفترض ان البشكير اسقطوا المستثمرين ، واننا ساعدناهم على ذلك . والحال ، ان هذا الامر لا يمكن الا حيث بلغ الانقلاب حد النضوج الكامل . ويجب عمل هذا بحذر واحتراس ، لكي لا يعرقل تدخلنا عملية تمايز البروليتاريا ، هذه العملية التي

يتوجب علينا تعجيلها . فماذا نستطيع فعله ازاء شعوب كالقرغيز والاوزبك ، والطاجيك والتركمان ، الذين لا يزالون حتى الآن خاضعين لتأثير ائمتهم ؟ ان سكان روسيا ، بعد تجربة طويلة مع الكهنة ، ساعدونا على طرحهم ارضاً . ولكنكم لا تجهلون ان مرسوم الزواج المدني لا يزال يساء تطبيقه . وهل من الجائز لنا ان نمضي الى هذه الشعوب ونقول لها : «سنطرح ارضاً بمستثمريكم» ؟ لا يجوز لنا ذلك لأنهم خاضعون كلياً لائمتهم . واذ ذاك ، لا بد من الانتظار حتى تتطور الامة ، وتتميز البروليتاريا عن العناصر البرجوازية ، وهذا ما سيحدث حتماً .

ان الرفيق بوخارين لا يريد ان ينتظر . فقد تملكه عدم الصبر . «لماذا هذا ؟ ! ما دمنا نحن انفسنا قد اسقطنا البرجوازية ، واعلنّا سلطة السوفييت وديكتاتورية البروليتاريا ، فلماذا نسلك هذا السلوك !» . ان هذا يفعل فعل نداء منعش ، وفيه اشارة الى طريقنا ، ولكننا اذا اكتفينا باعلان ذلك في البرنامج ، فلن يبقى برنامجاً ، بل يصبح اعلاناً . في مستطاعنا ان نعلن سلطة السوفييت وديكتاتورية البروليتاريا ، والازدراء التام بالبرجوازية التي استحقته الف مرة ، ولكنه يجب علينا ان نكتب في البرنامج ، بدقة مطلقة ، ما هو موجود . واذ ذاك لا يبقى اي مجال للطعن في برنامجنا .

اننا نتمسك بكل دقة بوجهة نظر طبقية . ان ما ندرجه في البرنامج ، انما هو الاعتراف بما جرى فعلاً ، بعد العهد الذي كنا نكتب فيه عن حق الامم في تقرير مصيرها ، بوجه عام . في ذلك العهد ، لم تكن ثمة بعد جمهوريات بروليتارية . وعندما ظهرت ، وبقدر ما ظهرت فقط ، استطعنا ان نكتب ما كتبناه هنا : «الاتحاد الفيديرالي بين الدول المنظمة وفقاً **للنموذج السوفييتي**» . النموذج السوفييتي ، لا يعني بعد السوفييتات كما هي موجودة في روسيا ، ولكن النموذج السوفييتي يصبح عالمياً . هذا هو الشيء الوحيد الذي

نستطيع قوله . وان السير الى ابعد ، ولو خطوة واحدة ، ولو قيد شعرة واحدة ، خطأ ، ولهذا السبب لا يصلح هذا للبرنامج .

نقول : يجب ان ناخذ بعين الاعتبار المرحلة التي تكون فيها الامة المعنية على الطريق من القرون الوسطى الى الديموقراطية البرجوازية ومن الديموقراطية البرجوازية الى الديموقراطية البروليتارية . وهذا صحيح تماماً . فان جميع الامم يحق لها تقرير مصيرها بنفسها ، فلا ضرورة للاشارة بوجه خاص الى الهوتنتوت والبوشمن . وان الاغلبية الساحقة ، من عموم سكان الكرة الارضية ، ومن الأكيد تسعة اعشارهم ، ولربما ٩٥ بالمئة منهم ، ينطبق عليهم هذا الوصف اذ ان جميع البلدان هي على الطريق من القرون الوسطى الى الديموقراطية البرجوازية ، او على الطريق من الديموقراطية البرجوازية الى الديموقراطية البروليتارية . وهذا طريق محتم اطلاقاً . ولا يمكن قول اي شيء اضافي ، لأنه سيكون خاطئاً ، لأنه لن يكون ما هو موجود . ان نبذ حق الامم في تقرير مصيرها وادراج حق الشغيلة في تقرير مصيرهم ، انما هو خاطئ اطلاقاً ، لأن طرح المسألة على هذا النحو لا يأخذ بالحسبان كم هو صعب ومتعرج الطريق الذي يسير عليه التمايز في قلب الامم . ففي المانيا ، يجري التمايز على غير ما يجري عندنا : في بعض النواحي ، أسرع ، وفي بعضها الآخر ، يسلك طريقاً اقل سرعة واشد دموية . وما من حزب من الاحزاب عندنا تبنى هذه الفكرة الفظيعة ، فكرة الجمع بين السوفييتات والجمعية التأسيسية . ولكنه يجب علينا ان نعيش مع هذه الامم جنباً الى جنب . والآن ايضاً ، يقول انصار شيدمان عنّا اننا نريد غزو المانيا . يقيناً ان هذا قول مضحك وهراء . ولكن للبرجوازية مصالحها ، ولها صحافتها التي تعلن ذلك امام الملأ ، بمئات الملايين من النسخ ؛ وويلسون ، لمصلحته بالذات ، يؤيد هذه الحملة . يقولون ان البلاشفة يملكون جيشاً

كبيراً ، وهـــم يريدون عن طريق الفتوحات غرس بلشفيتهـــم في المانيا . ان نخبة الشعب الالماني ، السبارتاكيين ، قد رووا لنا ان هناك من يحرضون عمال المانيا على الشيوعيين قائلين لهم : انظروا كيف تسوء الامور عند البلاشفة ! والحال ، اننا لا نستطيع القول ان كل شيء يسير عندنا على خير ما يرام . وها هم اعداؤنا في المانيا يتذرعون ، للتأثير في الجماهير ، بحجة ان الثورة البروليتاريـة في هذا البلد تعني نفس الاضطراب كما في روسيا . ان اضطراباتنا ، انما هي مرضنا المزمن . واننا لنناضل ضد مصاعب رهيبـــة ، منشئين عندنا ديكتاتورية البروليتاريا . وطالما تتأثر البرجوازية ، او البرجوازية الصغيرة ، او حتى قسم من العمال الالمان ، بهذه الفزاعة : «البلاشفة يريدون اقامة نظامهم بالعنف» ، فان صيغة «حق الشغيلة في تقرير مصيرهم» لن تكون علاجاً للموقف . ينبغي لنا ان نعمل بطريقة لا يستطيع معها الاشتراكيون-الخونـــة الالمان ان يقولوا ان البلاشفة يفرضون نظامهم الشامل ، نظامهم الذي يمكن ، حسب زعم هؤلاء الاشتراكيين ، حمله الى برلين على رؤوس حراب الجنود الحمر . والحال ، اذا رحنا ننكر مبدأ حرية الامم في تقريـــر مصيرها ، فقد يحدث هذا الامر بالضبط .

يجب ان لا ينص برنامجنا على حق الشغيلة في تقرير مصيرهم ، لأن هذا خطأ . انما يجب ان ينص على ما هو موجود . فما دامت الامم على مراحل مختلفة من الطريـــق المؤدي من القرون الوسطى الى الديموقراطية البرجوازية ومن الديموقراطيـــة البرجوازيـــة الى الديموقراطية البروليتارية ، فان موضوعة برنامجنا هذه صحيحة تماماً . لقد عرفنا في هذا الطريق كثرة كثيرة من التعرجات . ويجب ان تنال كل امة الحق في تقرير مصيرها بنفسها ؛ فان هذا يسهم في حرية الشغيلة في تقرير مصيرهم . ففي فنلنده ، تجري عملية تمايز البروليتاريا عن البرجوازية بسطوع كبير ، وقوة ، وعمق . وفي

جميع الاحوال ، ستجري الامور هناك على غير ما تجري عندنا . فاذا قلنا اننا لا نعترف اطلاقاً بالامة الفنلندية ، بل بالجماهير الكادحة وحدها ، كان ذلك منا تفاهة ما بعدها تفاهة . فمن المستحيل عدم الاعتراف بما هو موجود : ان الواقع سيفرض نفسه بنفسه . وفي مختلف البلدان ، يسلك التمايز بين البروليتاريا والبرجوازية سبلاً خاصة . وهنا لا بد لنا من اكبر الانتباه . ويجب ان ننتبه على الاخص لمختلف الامم ، لانه ليس ما هو اسوأ من عدم الثقة من جانب امة ما . ان البروليتاريا البولونية بسبيل تقرير مصيرها بنفسها ، وفيما يلي الارقام الاخيرة المتعلقة بتركيب سوفييت نواب العمال في فرصوفيا (١٢٢) : الاشتراكيون-الخونة البولونيون – ٣٣٣ ؛ الشيوعيون – ٢٩٧ . وهذا يبين ان تشرين الاول (اكتوبر) ، حسب تقويمنا الثوري ، لم يبق بعيداً هناك . انهم هناك في شهر آب (اغسطس) او ربما في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . ولكنه ، اولاً ، لم يصدر بعد اي مرسوم يتعين بموجبه على جميع البلدان ان تعيش حسب التقويم الثوري البلشفي ؛ ولو ان هذا المرسوم صدر ، لما كان طبق . ثانياً ، تبدو الامور اليوم على النحو التالي : ان اغلبية العمال البولونيين ، الذين هم اكثر تقدماً من عمالنا ، واوفر ثقافة ، يتمسكون بوجهة نظر الاشتراكية-الدفاعية ، الاشتراكية-الوطنية . فيجب الانتظار . فلا يجوز الحديث هنا عن حق الجماهير الكادحة في تقرير مصيرها بنفسها . يجب ان نقوم بدعاية في صالح هذا التمايز . وهذا ما نفعله ، ولكنه لا ريب على الاطلاق بانه لا يجوز عدم الاعتراف الآن بحق الامة البولونية في تقرير مصيرها . هذا امر واضح . ان الحركة البروليتارية البولونية تسلك نفس السبيل الذي سلكته حركتنا ، وهي تسير نحو ديكتاتورية البروليتاريا ، ولكن على غير ما في روسيا . وثمة من يخوّفون العمال هناك قائلين لهم ان المسكوبيين ، الروس العظام ، الذين اضطهدوا البولونيين دائماً ،

يريدون ان يحملوا الى بولونيا شوفينيتهم الروسية ، تحت ستار الشيوعية . فلا يمكن ادخال الشيوعية بالعنف . ان واحداً من خيرة الرفاق الشيوعيين البولونيين ، حين قلت له : «ستفعلون على نحو آخر» ، اجابني : «كلا ، سنفعل الشيء نفسه ، ولكن خيراً منكم» . فلم يكن في وسعي اطلاقاً ان اعترض بشيء على حجة كهذه . يجب ان يترك للناس امكان تحقيق هذه الرغبة المتواضعة : بناء سلطة السوفييت خيراً مما عندنا . لا يجوز عدم مراعاة واقع ان التطور هناك يسلك سبيلاً خاصاً نوعاً ، ولا يجوز القول : «فليسقط حق الامم في تقرير مصيرها ! اننا لا نمنح الحق في تقرير المصير الا للجماهير الكادحة» . ان تقريرالمصير هذا يسلك سبيلاً معقداً جداً وصعباً جداً . وهو غير موجود الا في روسيا ، ويجب ، مع حسبان الحساب سلفاً لجميع مراحل التطور في البلدان الاخرى ، عدم اصدار اية مراسيم من موسكو . لهذا السبب ، كان هذا الاقتراح غير مقبول مبدئياً .

وانتقل الى النقاط الاخرى التي يعود اليّ ، بموجب الخطة التي رسمناها ، امر ايضاحها . لقد وضعت في المرتبة الاولى مسألة **الملاكين الصغار والفلاح المتوسط** . وبهذا الصدد جاء في الفقرة ٤٧ ما يلي :

«ان سياسة الحزب الشيوعي في روسيا ازاء الفلاحين المتوسطين تقوم على اجتذابهم تدريجياً ومنهاجياً الى ممارسة البناء الاشتراكي . ان الحزب يضع نصب عينيه مهمة فصلهم عن الكولاك ، واكتسابهم الى جانب الطبقة العاملة ، وذلك بالانتباه الى حاجاتهم ، ومحاربة تأخرهم بالتأثير الفكري وليس ابداً بالتدابير الزجرية ، بالسعي ، كلما كان الامر يمس مصالحهم الحيوية ، الى بلوغ اتفاقات عملية معهم ، باجراء تنازلات في صالحهم فيما يخص تحديد الطرائق الواجب اتباعها لتحقيق التحويلات الاشتراكية» .

اعتقد اننا نصوغ هنا ما قاله مؤسسا الاشتراكية مراراً عديدة عن الفلاحين المتوسطين . وعيب هذه الفقرة الوحيد ، انها ليست ملموسة بقدر كاف . وليس في مستطاعنا او يكاد ان نعطي اكثر من ذلك في البرنامج . ولكنه لا تطرح في المؤتمرات المسائل البرنامجية وحسب ؛ ويجب علينا ان نعير مسألة الفلاحين المتوسطين انتباهاً متصلاً ، بل متصلاً مثنى وثلاثاً . يستفاد من المعلومات التي نملك ان الانتفاضات التي جرت في بعض المناطق قد كشفت بوضوح عن **خطة عامة** ، وهذه الخطة مرتبطة بوضوح بالخطة العسكرية التي رسمها الحرس الابيض الذي قرر هجوماً عاماً وتنظيم جملة من الانتفاضات في شهر آذار (مارس) . ولدى رئاسة المؤتمر مشروع نداء من المؤتمر سيعرض عليكم . ان هذه الانتفاضات تبين لنا بوضوح ساطع ان الاشتراكيين-الثوريين اليساريين وقسماً من المناشفة – فالمناشفة هم الذين اعدوا انتفاضة بريانسك – يضطلعون بدور العملاء المباشرين للحرس الابيض . هجوم عام من جانب الحرس الابيض ، انتفاضات في الارياف ، تعطيل الحركة على السكك الحديدية : – ترى ، ألا ننجح في اسقاط البلاشفة وان بهذه الوسائل؟ هنا ، يبدو دور الفلاح المتوسط ببروز أخاذ ، ويتجلى بالحاح ضرورة حيوية . وفي المؤتمر ، يتوجب علينا ، لا ان نشير بشدة وحزم الى اننا مستعدون للتساهل مع الفلاح المتوسط وحسب ، بل ان نفكر ايضاً بجملة من التدابير تكون ملموسة قدر الامكان وتؤمن للفلاحين المتوسطين فوائد مباشرة ، وان طفيفة . وهذه التدابير تمليها علينا بقوة مصلحة بقائنا بالذات ومقتضيات النضال ضد جميع اعدائنا الذين يعرفون ان الفلاح المتوسط يتردد بيننا وبينهم ويبذلون جهدهم لصرفه عنا . ووضعنا اليوم هو التالي : عندنا احتياطيات هائلة . ونحن نعرف ان الثورة البولونية والثورة المجرية تتصاعدان بسرعة بالغة . ان هاتين الثورتين ستقدمان لنا

احتياطيات بروليتارية ، وستخففان وضعنا وتعززان بمقاييس هائلة قاعدتنا البروليتارية التي هي ضعيفة عندنا . وقد يحدث هذا في الاشهر القريبة القادمة ، ولكننا لا نعرف متى سيحدث هذا . وانتم لا تجهلون ان الظرف الراهن خطير ؛ ولذا فان مسألة الفلاح المتوسط تكتسب اليوم اهمية عملية هائلة .

وأود لو اتناول ايضاً موضوع **التعاون** ، الفقرة ٤٨ من برنامجنا . ان هذه الفقرة قد شاخت الى حد ما . وعندما حررناها في اللجنة ، كان التعاون موجوداً عندنا ، ولم تكن ثمة مشاعات استهلاك ، ولكن مرسوماً اتخذ بعد بضعة ايام حول دمج جميع اشكال التعاون في مشاعة واحدة للاستهلاك . وانا لا اعرف ما اذا كان هذا المرسوم قد نشر وما اذا كان معظم الحاضرين قد اطلعوا عليه . فاذا كان المرسوم لم ينشر بعد ، فسينشر غداً او بعد غد . وبهذا الصدد ، شاخت هذه الفقرة . ولكنه يبدو لي مع ذلك انها ضرورية لأننا جميعنا نعرف جيداً ان الشقة بين المراسيم وتطبيقها كبيرة . اننا نهتم كثيراً بالتعاونيات ، منذ نيسان (ابريل) ١٩١٨ ، وقد احرزنا نجاحاً مرموقاً ، ولكنه غير حاسم بعد . ففي كثرة من الاقضية ، توفقنا احياناً في حشد حتى ٩٨ بالمئة من السكان الريفيين في التعاونيات . ولكن هذه التعاونيات التي كانت قائمة في المجتمع الرأسمالي مفعمة بكليتها بروح المجتمع البرجوازي ، ويرأسها مناشفة واشتراكيون-ثوريون واخصائيون برجوازيون . ولم نستطع بعد اخضاع هذه التعاونيات لانفسنا ؛ وهنا لا تزال مهمتنا معلقة . ان مرسومنا يسجل خطوة الى الامام في اتجاه انشاء مشاعات الاستهلاك ؛ وهو ينص بالنسبة لعموم روسيا على دمج التعاونيات من كل شاكلة وطراز . ولكن هذا المرسوم ايضاً ، حتى اذا طبقناه بكليته ، سيترك الفرع المستقل ذاتياً من التعاون العمالي قائماً في داخل مشاعة الاستهلاك المقبلة ؛ وذلك لأن ممثلي التعاون

العمالي المطلعين عملياً على مجرى الامور ، قالوا لنا وبرهنوا لنا ان التعاون العمالي بوصفه تنظيماً اكثر تطوراً ، انما يجب الحفاظ عليه لأن عمله ضروري . لقد نشبت كثرة من الخلافات في حزبنا ، وكثرة من المجادلات بصدد التعاون ؛ وحدثت احتكاكات بين البلاشفة العاملين في التعاونيات والبلاشفة اعضاء السوفييتات . ومبدئياً ، يبدو لي انه يجب حل المسألة ، بلا ريب ، بمعنى ان جهاز التعاون ، الجهاز الوحيد الذي اعدّته الرأسمالية بين الجماهير ، الجهاز الوحيد العامل بين الجماهير الريفية التي لا تزال الآن في طور الرأسمالية البدائية ، انما يجب ، باي ثمن كان ، الحفاظ عليه وتطويره ، وعدم نبذه في اي حال من الاحوال . والمهمة هنا صعبة لأن قادة التعاونيات ، في معظم الاحيان ، اختصاصيون برجوازيون هم في غالب الاحيان من افراد الحرس الابيض الفعليين . ومن هنا الحقد على هؤلاء القادة ، الحقد المشروع ، والنضال ضدهم . ولكن هذا النضال انما يجب طبعاً خوضه بذكاء وفطنة : **يجب قطع دابر محاولات التعاونيين المعادية للثورة ولكن دون ان يكون ذلك نضالاً ضد جهاز التعاون** . يجب علينا ان نقطع دابر نشاط هؤلاء القادة المعادين للثورة ، ولكنه يجب علينا ان نخضع الجهاز التعاوني بالذات لانفسنا . وهنا توضع المهمة تماماً بنفس الطريقة التي توضع بها قضية الاختصاصيين البرجوازيين ، وهذه قضية اخرى اود لو اتحدث عنها هنا .

ان قضية **الاختصاصيين البرجوازيين** تثير الكثير من الاحتكاكات والخلافات . وقد سنحت لي الفرصة مؤخراً ان اتكلم في سوفييت بتروغراد وكانت عدة من الاسئلة التي طرحت عليّ خطياً تتعلق بالرواتب . فقد سئلت : هل يمكن في الجمهورية الاشتراكية دفع راتب يبلغ حتى ٣٠٠٠ روبل ؟ واذا كنا قد ادرجنا هذه المسألة في البرنامج ، فذلك من حيث جوهر الامر لأن الاستياء الذي اثارته مضى بعيداً نسبياً . ان قضية الاختصاصيين البرجوازيين تواجهنا في

الجيش ، في الصناعة ، في التعاونيات ، وهي تواجهنا في كل مكان . انها قضية هامة جداً في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية . واننا لن نتمكن من بناء الشيوعية الا يوم نجعلها اسهل منالاً على الجماهير ، بوسائط العلم البرجوازي والتكنيك البرجوازي . ولا يمكن بناء المجتمع الشيوعي بطريقة اخرى . ولبنائه على هذا النحو ، ينبغي لنا ان نأخذ الجهاز الذي انشأته البرجوازية ، ينبغي لنا ان نستخدم جميع هؤلاء الاختصاصيين . وقصداً وعمداً عرضنا هذه المسألة بالتفصيل في برنامجنا ، لكي تحل حلاً جذرياً . ونحن نعرف تمام المعرفة ماذا يعني تأخر روسيا ثقافياً ، وما يفعله بالسلطة السوفييتية التي اعطت مبدئياً ديموقراطية بروليتارية اسمى بما لا حد له من الديموقراطيات المعروفة حتى الآن ، وقدمت نموذجاً عن هذه الديموقراطية للعالم بأسره ، – نحن نعرف كيف يحط هذا التأخر من مكانة السلطة السوفييتية ويبعث البيروقراطيـــة . ان الجهاز السوفييتي هو ، بالاقوال ، في متناول جميع الشغيلـــة ؛ اما في الواقع ، فانه ليس ابداً في متناول جميعهم ، وهذا ما لا يجهله احد منا . وليس ذلك ابداً لان القوانين تحول دون ذلك ، كما كان الحال في ظل النظام البرجوازي : فان قوانيننا ، بالعكس ، تساعد عـلى ذلك . ولكن القوانين وحدها لا تكفي هنا . يجب بذل قدر كبير من العمل التربوي والتنظيمي والتثقيفي ، الامر الذي لا يمكن القيام به بسرعة بواسطة القانون ، ويتطلب جهداً هائلاً وطويل النفس . ان قضية الاختصاصيين البرجوازيين انما يجب حلها بوضوح تام في هــــذا المؤتمر . فان هذا الحل سيتيح للرفاق الذين من المؤكد انهم يصغون الى ما يقوله المؤتمر ، ان يستندوا الى سلطته وان يروا المصاعب التي نصطدم بها . وسيساعد الرفاق الذين يصطدمون بهذه المسألة لدى كل خطوة ، على الاشتراك في عمل الدعاية على الاقل .

ان الرفاق الذين يمثلون السبارتاكيين في المؤتمر ، هنا في

موسكو ، قد رووا لنا انه في المانيا الغربية ، حيث الصناعة اكثر تطوراً ، وحيث تأثير السبارتاكيين في العمال هو الاقوى ، جاء الى السبارتاكيين ، - رغم انهم لم يحرزوا الغلبة بعد ، - مهندسون ، ومدراء عدد كبير من اضخم المشاريع وقالوا لهم : «سنمشي معكم» . وهذا لم يحصل عندنا . من المحتمل ان وجود العمال هناك على مستوى ثقافي ارفع ، وانطباع الفنيين بالطابع البروليتارى انطباعاً اكبر ، وربما شتى الاسباب الاخرى التي نجهل ، قد اوجدت علاقات تختلف بعض الشيء عن علاقاتنا .

وهنا ، على كل حال ، عقبة من اكبر العقبات في طريق تقدمنا لاحقاً . فيجب علينا اليوم بالذات ان نزيد فوراً القوى المنتجة ، دون ان ننتظر مساندة البلدان الاخرى . ولا يمكن تحقيق ذلك دون الاختصاصيين البرجوازيين . يجب ان نقول هذا صراحة وقطعاً . يقيناً ان معظم هؤلاء الاختصاصيين متشربون كلياً بالذهنية البرجوازية . فينبغي احاطتهم بجو من التعاون الاخوي ، بمفوضين عمال ، بخلايا شيوعية ؛ ينبغي وضعهم في وضع لا يستطيعون الافلات منه ، ولكنه ينبغي توفير ظروف عمل لهم افضل مما في ظل الرأسمالية ، والا فان هذه الفئة الاجتماعية التي ربتها البرجوازية لن تشتغل . وليس من الممكن اجبار فئة اجتماعية بكاملها على العمل بالعصا . ولقد ادركنا هذا تمام الادراك . يمكن اجبار هذه العناصر على الامتناع عن الاسهام النشيط في الثورة المضادة ؛ يمكن تخويفها بما يكفي لكي تخاف من مدّ اليد للمس نداء الحرس الابيض . وفي هذا الصدد ، يعمل البلاشفة بعزم وحزم . وهذا يمكن فعله ونحن نفعله كفاية . وقد تعلمناه جميعنا . ولكنه يستحيل بهذه الطرائق اجبار فئة اجتماعية بكليتها على العمل . ان هؤلاء الناس قد اعتادوا القيام بعمل ثقافي ؛ وقد دفعوا الثقافة الى الامام في نطاق النظام البرجوازي ، - اي انهم اغنوا البرجوازية بمكتسبات مادية هائلة ،

لم يخصصوا منها للبروليتاريا الا جزءاً ضئيلاً جداً . ولكنهم مع ذلك دفعوا الثقافة الى امام ، وكانت تلك مهنتهم . وبما انهم يرون ان الطبقة العاملة تقدم فئات منظمة وطليعية لا تقدر الثقافة وحسب ، بل تساعد كذلك على نشرها بين الجماهير ، فانهم يعدلون موقفهم منا . وحين يلاحظ طبيب ان البروليتاريا تحفز مبادرة الشغيلة في مكافحة الاوبئة ، يتخذ منا موقفاً آخر تماماً . وعندنا فئة كبيرة من هؤلاء الاطباء والمهندسين والمهندسين الزراعيين والتعاونيين البرجوازيين ، وحين يرون في الواقع ان البروليتاريا تجتذب الى هذا النشاط جماهير متزايدة ابداً ، فانهم سيغلبون على امرهم **معنوياً** ، ولا يفصلون عن البرجوازية سياسياً وحسب . وحينذاك ستغدو مهمتنا اسهل . حينذاك سينجذبون من تلقاء انفسهم الى جهازنا ، ويصبحون قسماً من اقسامه المكونة . ولهذا الغرض يجب بذل التضحيات . وان دفع مليارين على الاقل لهذا الغرض لامر تافه . والخوف من بذل هذه التضحية خوف صبياني ، ويعني اننا لا نفهم المهام التي تواجهنا .

ان تشوش النقليات ، وتشوش الصناعة والزراعة يقوضان وجود الجمهورية السوفييتية ذاته . وهنا يجب علينا اتخاذ اشد الاجراءات عزماً وحزماً ، اجراءات توتر جميع قوى البلاد الى اقصى حد . وازاء الاختصاصيين ، يترتب علينا ان لا ننتهج سياسة المضايقات الحقيرة . فان هؤلاء الاختصاصيين ليسوا خدم المستثمِرين ؛ انما هم من صنّاع الثقافة ، الذين كانوا يخدمون البرجوازية في المجتمع البرجوازي والذين قال عنهم جميع الاشتراكيين في العالم بانهم في المجتمع البروليتاري سيخدموننا **نحن** . وفي هذه المرحلة الانتقالية ، يتعين علينا ان نوفر لهم شروط حياة طيبة قدر الامكان . وسيكون هذا السياسة الفضلى واسلوب الادارة الاكثر توفيراً . والا ، فاننا ، بتوفير بضعة مئات الملايين ،

نتعرض لخسارة تبلغ من الفداحة بحيث لن تستطيع المليارات ان تعوّض علينا ما نكون قد خسرناه .

في سياق حديث بصدد الرواتب ، عرض عليّ الرفيق شميدت ، مفوض الشعب للعمل ، الوقائع التالية . قال : لقد فعلنا ، من اجل تسوية الاجور ، ما لم تفعله اي دولة برجوازية في اي مكان من العالم وما لا تستطيع فعله في عشرات السنين . خذوا تعريفات ما قبل الحرب : كان الفاعل يتقاضى روبلاً واحداً في اليوم ، اي ٢٥ روبلاً في الشهر ، والاختصاصي ٥٠٠ روبل في الشهر ، عدا اولئك الذين كانت تدفع لهم مئات الآلاف من الروبلات . كان الاختصاصي يتقاضى ما يزيد عشرين مرة عما يتقاضاه العامل . اما في تعريفاتنا الحالية ، فان الاجور تتراوح بين ٦٠٠ روبل و ٣٠٠٠ روبل ، والفرق بنسبة واحد الى خمسة فقط . لقد فعلنا الكثير من اجل تسوية الاجور . من المؤكد اننا ندفع اليوم للاختصاصيين اكثر مما يستحقون ، ولكن دفع علاوة لقاء المعرفة التي يقدمونها لنا ليس امراً يجدر القيام به وحسب ، انما هو امر ضروري تماماً والزامي من الوجهة النظرية . وبرأيي ان هذه المسألة قد صيغت بما فيه الكفاية في برنامجنا . ويجب الاشارة اليها بقوة . من الضروري حل المسألة هنا ، لا مبدئياً وحسب ؛ انما يجب العمل بحيث يتمكن جميع مندوبي المؤتمر ، بعد عودتهم الى محال اقامتهم ، من التوصل الى تطبيق قرارنا ، سواء عند تقديم تقاريرهم في منظماتهم ام في كامل نشاطهم .

لقد سبق لنا واحدثنا انعطافاً كبيراً جداً بين المثقفين المترددين ، واذا كنا في الامس قد تكلمنا عن اضفاء صفة شرعية على الاحزاب البرجوازية الصغيرة ، واذا كنا اليوم نعتقل المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، فاننا نطبق ، عبر هذه التقلبات ، نهجاً محدوداً تماماً . وعبر هذه التقلبات ، يمتد خط واحد ، خط لا

ينثني على الاطلاق : **بتر الثورة المضادة بالفأس ، استخدام الجهاز الثقافي البرجوازي** . ان المناشفة هم اخطر اعداء الاشتراكية ، لأنهم يلبسون جلد البروليتاريين ، ولكن المناشفة ليسوا فئة بروليتارية . وفي هذه الفئة لا يشكل البروليتاريون سوى شريحة سطحية ضئيلة جداً ؛ اما الفئة نفسها ، فتتألف من صغار المثقفين . هذه الفئة تتجه الينا . وسنظفر بها كلياً بوصفها فئة اجتماعية . وكلما جاء الينا هؤلاء الناس ، نقول لهم : «اهلاً وسهلاً» . وعند كل من هذه التقلبات ، يأتي قسم منهم الينا . وهذا ما حصل للمناشفة ، لجماعة «نوفايا جيزن» ، للاشتراكيين-الثوريين ؛ وهذا ما سيحصل لجميع هذه العناصر المترددة التي ستكون زمناً طويلاً ايضاً عقبة تعترض سيرنا ، وتنوح وتتشكى ، وتركض من معسكر الى آخر ؛ انهم هكذا ، ولا طائل من اصلاحهم . ولكن ، عبر جميع هذه التقلبات ، سنتلقى في صفوف الشغيلة السوفييتيين فئات المثقفين المتعلمين ، ونبتر العناصر التي تواصل تأييد الحرس الابيض .

والمسألة التالية التي ، بحكم تقسيم المواضيع ، يعود اليّ امر معالجتها ، هي **مسألة البيروقراطية واشراك الجماهير الغفيرة في العمل السوفييتي** . من زمان ، ترتفع الشكاوى من البيروقراطية ويقيناً انها صحيحة . وفي محاربة البيروقراطية ، فعلنا ما لم تفعله اي دولة في العالم . لقد دمرنا حتى النهاية الجهاز المشبع بالروح البيروقراطية ، جهاز الاضطهاد البرجوازي ، الذي لا يزال كذلك حتى في اوفر الجمهوريات البرجوازية حرية . ونكتفي بمثال القضاء . صحيح ان المهمة كانت هنا اسهل ، ولم يكن علينا ان ننشيء هنا جهازاً جديداً ، لأن كل امرئ يستطيع ان يحكم بموجب ادراك الحق الثوري الملازم للجماهير الكادحة . ولا نزال هنا ابعد من ان نكون قد انجزنا مهمتنا ، ومع ذلك ، فاننا ، في عدة مناطق ، قد جعلنا من المحكمة ما يجب ان تكونه . لقد انشأنا هيئات نستطيع ان

نشرك فيها الجميع بلا استثناء : لا الرجال وحسب ، بل النساء ايضاً ، اي العنصر الاكثر تأخراً والاكثر جموداً .

ان مستخدمي الفروع الاخرى من الادارة هم موظفون بيروقراطيون اكثر تحجراً . والمهمة هنا اشق واصعب . ونحن لا نستطيع الاستغناء عن هذا الجهاز . وجميع فروع الادارة تجعله ضرورياً . ونحن هنا نكابد من كون روسيا لم تتطور كفاية في الميدان الرأسمالي . ان المانيا ، على ما يبدو ، تجتاز هذه المرحلة بمزيد من السهولة ، لأن جهازها البيروقراطي مرّ بمدرسة طيبة : يعصرونك عصراً ، ولكنهم يحملونك على القيام بعمل جدي بدلاً من ان تتلف دارة الجلد التي تجلس عليها ، كما يجري في دوائرنا . ان هذه العناصر البيروقراطية القديمة قد بددنا شملها وهززناها هزاً ، ثم شرعنا من جديد نعهد اليها بمناصب جديدة . ان البيروقراطيين القيصريين اخذوا ينتقلون شيئاً فشيئاً الى المؤسسات السوفييتية ، حيث ينشرون الروح البيروقراطية ؛ وهم يتظاهرون بانهم شيوعيون ؛ وهم يستحصلون على بطاقات عضوية الحزب الشيوعي في روسيا لكي يؤمنوا نجاحاً اكبر في الترقي . وهكذا يعودون من الشباك بعد ان طردوا من الباب . هنا قبل كل شيء تتبدى قلة القوى المثقفة . هؤلاء البيروقراطيون ، انما يمكن عند الاقتضاء طردهم من مناصبهم ، ولكنه تستحيل اعادة تربيتهم دفعة واحدة . والمهام التي نواجهها هنا ، انما هي قبل كل شيء ، مهام التنظيم والتثقيف والتربية .

ان مكافحة البيروقراطية الى النهاية ، مكافحتها حتى النصر التام ، لا يمكن القيام بها الا اذا اشترك جميع السكان في ادارة البلاد . وفي الجمهوريات البرجوازية ، لم يكن هذا مستحيلاً وحسب ، **فالقانون نفسه كان يمنعه** . ان افضل الجمهوريات البرجوازية ، مهما كانت ديموقراطية ، توجد فيها آلاف العقبات التشريعية التي

تحول دون اشتراك الشغيلة في ادارة الدولة . ولقد فعلنا بحيث لا تبقى هذه العقبات قائمة عندنا ؛ ولكننا لم نتوصل بعد الى ان تتمكن الجماهير الكادحة من الاشتراك في ادارة البلاد ، – فعلاوة على القانون ، يوجد ايضاً المستوى الثقافي الذي لا يمكن اخضاعه لأي قانون . وبسبب من هذا المستوى الثقافي المنخفض ، نرى ان السوفييتات التي هي ، من حيث برنامجها ، هيئات للحكم **بواسطة الشغيلة** ، هي في الواقع هيئات للحكم **من اجل الشغيلة** ، بواسطة الفئة المتقدمة من البروليتاريا لا بواسطة الجماهير الكادحة .

وهنا نواجه مهمة لا يمكن انجازها الا عن طريق عمل تثقيفي وتربوي طويل . هذه المهمة لفي منتهى الصعوبة اليوم بالنسبة لنا ، لأن فئة العمال التي تحكم **رقيقة** الى أقصى حد ، الى حد لا يصدق ، كما سبق واشرت مراراً . فيجب ان نتلقى النجدة . ان جميع الدلائل تشهد على ان هذا الاحتياط ينمو في داخل البلاد . هناك عطش شديد الى المعرفة ، ونجاح التعليم المكتسب في معظم الاحيان خارج المدرسة رائع جداً ، وروعة نجاح تعليم الجماهير الكادحة لا تدع مجالاً لاي شك . ان هذا النجاح لا يقاس باي مقياس مدرسي ، ولكنه هائل . وكل شيء يحمل على الاعتقاد بانه سيكون لنا في المستقبل القريب احتياطي هائل يحل محل الافراد المنهوكين جداً في العمل من الفئة البروليتارية الرقيقة . ولكن وضعنا الحالي هو ، على كل حال ، لفي منتهى الصعوبة في هذا الصدد . لقد منيت البيروقراطية بالهزيمة . وأزيح المستثمرون . ولكن المستوى الثقافي لم يرفع بعد ، ولهذا يحتل البيروقراطيون مناصبهم السابقة . ولن يكون في المستطاع زحزحتهم الا بتنظيم البروليتاريا والفلاحين على نطاق اوسع بكثير مما حتى الآن ، وبتطبيق تدابير ترمي الى اشراك العمال في ادارة البلاد تطبيقاً فعلياً . وهذه التدابير تعرفونها جميعكم في نطاق صلاحية كل من مفوضيات الشعب ، ولن اتوقف عندها .

النقطة الاخيرة التي يبقى عليّ بحثها ، **هي دور البروليتاريا القيادي والحرمان من حق الانتخاب** . ان دستورنا يقر بتفوق البروليتاريا في المرتبة على الفلاحين وينتزع من المستثمرين حق التصويت . وهذا ما حمل عليه قبل غيره ديموقراطيو اوروبا الغربية الخالصون . فرددنا عليهم ونحن نرد عليهم بانهم نسوا المبادئ الاساسية للماركسية ، نسوا ان الامر يتعلق عندهم بالديموقراطية البرجوازية بينا انتقلنا نحن الى الديموقراطية **البروليتارية** . وليس فى العالم بلد فعل على الاقل عشر ما فعلته الجمهورية السوفييتية في الاشهر المنصرمة من اجل العمال والفلاحين الفقراء من حيث اشراكهم في ادارة الدولة . وهذه حقيقة مطلقة . ولن ينكر احد اننا ، من اجل الديموقراطية الحقيقية ، لا الورقية ، من اجل اشراك العمال والفلاحين ، قد فعلنا اكثر مما فعلت وما كان في مستطاعها ان تفعل في مئات السنين خيرة الجمهوريات الديموقراطية . وهذا ما حدد اهمية السوفييتات ؛ وبفضل ذلك ، اصبحت السوفييتات شعار البروليتاريا في جميع البلدان .

ولكن هذا لا يخلصنا ابداً من هذه العقبة التي نتعثر بها وهي النقص في ثقافة الجماهير . ان حرمان البرجوازية من حق الانتخاب ، لم نر اليه البتة من وجهة نظر مطلقة ، لأنه نظرياً يمكن تماماً الاقرار بان ديكتاتورية البروليتاريا ستقمع البرجوازية لدى كل خطوة ، دون ان تحرمها مع ذلك من الحقوق الانتخابية . هذا محتمل تماماً نظرياً ؛ ونحن لا نطمح كذلك الى جعل دستورنا نموذجاً للبلدان الاخرى . انما نقول فقط : ليس اشتراكياً ذاك الذي يتصور الانتقال الى الاشتراكية دون قمع البرجوازية . ولكن اذا كان من الضروري قمع البرجوازية بوصفها طبقة ، فليس من الضروري حرمانها من حق الانتخاب ومن المساواة . نحن لا نريد الحرية للبرجوازية ، نحن لا نقر بالمساواة بين المستثمَرين

والمستثمِرين ، ولكننا في برنامجنا نرى الى هذه المسألة بمعنى ان التدابير التي تنص ، مثلاً ، على عدم المساواة بين العمال والفلاحين ، لم يقض بها الدستور اطلاقاً . فان الدستور قد سجلها **بعد** تطبيقها . بل ان البلاشفة ليسوا هم الذين صاغوا دستور السوفييتات ؛ انما المناشفة والاشتراكيون-الثوريون هم الذين صاغوه ضد انفسهم ، قبل الثورة البلشفية . وقد صاغوه ، كما صاغته الحياة . فان تنظيم البروليتاريا كان يجري بأسرع بكثير من تنظيم الفلاحين ، وهذا ما كان يجعل من العمال سند الثورة ويمنحهم تفوقاً فعلياً . والمهمة التالية هي الانتقال التدريجي من هذا التفوق الى تحقيق المساواة . ان احداً لم يطرد البرجوازية من السوفييتات ، لا قبل ثورة اكتوبر ولا بعدها . **فالبرجوازية قد انسحبت من السوفييتات من تلقاء نفسها .**

هذه هي الحال فيما يخص حق البرجوازية في الانتخاب . ومهمتنا ان نطرح المسألة بكل وضوح . نحن لا نفتش اطلاقاً عن اعذار لسلوكنا ، ولكننا نعدد الوقائع بدقة فائقة كما هي . ان دستورنا قد اضطر ، كما نبين ، الى اقرار هذه اللامساواة ، لأن المستوى الثقافي منخفض ، لأن درجة تنظيمنا ضعيفة . ولكننا لا نجعل منها مثالاً اعلى . بل بالعكس ، فبموجب البرنامج ، يتعهد الحزب بان يعمل بمثابرة على الغاء هذه اللامساواة القائمة بين البروليتاريا الاحسن تنظيماً وبين الفلاحين . ان هذه اللامساواة ، سنلغيها ما ان ننجح في رفع المستوى الثقافي . وحينذاك نستطيع ان نستغني عن هذه القيود . وهي الآن ، بعد سبعة عشر شهراً فقط من الثورة ، لا تتسم عملياً الا باهمية ضعيفة جداً .

تلك هي ، ايها الرفاق ، النقاط الرئيسية التي رأيت من الضروري التوقف عندها خلال البحث العام للبرنامج كي يستمر البحث لاحقاً اثناء المناقشات . (**تصفيق** .)

صدر في ٢١ آذار (مارس) ١٩١٩ في جريدة «ازفيستيا فتسيك» ، العدد ٦١

المجلد ٣٨ ، ص‌ص ١٥١–١٧٣

٣

تقرير عن النشاط في الريف
٢٣ آذار (مارس) ١٩١٩

(تصفيق متواصل .) ايها الرفاق ، يجب عليّ ان اعتذر لعدم تمكني من حضور جميع جلسات القسم الذي انتخبه المؤتمر لدراسة مسألة النشاط في الريف . ولهذا ستكون كلمات الرفاق الذين اشتركوا منذ البدء في اعمال هذا القسم بمثابة تكميل لتقريري . ولقد صاغ القسم ، في آخر الامر ، موضوعات احيلت الى اللجنة المختصة وستعرض عليكم . غير اني ارغب في التوقف عند الاهمية العامة للمسألة ، كما بدت لنا كحاصل لعمل القسم ، وكما تبدو اليوم ، حسب رأيي ، امام الحزب كله .

ايها الرفاق ، طبيعي تماماً ان يترتب علينا ، في مجرى تطور الثورة البروليتارية ، ان نضع في المنزلة الاولى ، هذه القضية طوراً ، وتلك طوراً ، من بين اهم قضايا الحياة الاجتماعية واكثرها تعقيداً . وطبيعي تماماً انه ما من حزب وما من حكومة ، حتى اقرب الحكومات من الجماهير ، يستطيع ان يشمل جميع جوانب الحياة **بنظرة واحدة** ، في غمار انقلاب يمس ولا بد له ان يمس اعمق اسس الحياة واوسع جماهير السكان . واذا كان يترتب علينا الآن ان نتوقف عند مسألة النشاط في الريف وان نخصص من ضمنها وضع جماهير الفلاحين المتوسطين ، فلا يمكن ان يكون في الامر

شيء غريب او شاذ ، من وجهة نظر تطور الثورة البروليتارية بوجه عام . مفهوم ان تكون الثورة البروليتارية قد اضطرت للبدء بالعلاقات الاساسية بين الطبقتين المتعاديتين : البروليتاريا والبرجوازية . لقد كانت المهمة الاساسية هي تسليم زمام الحكم الى الطبقة العاملة ، وتأمين ديكتاتوريتها ، واسقاط البرجوازية وانتزاع المصادر الاقتصادية لسلطتها منها ، هذه المصادر التي هي ، بلا شك ، عقبة بوجه كل بناء اشتراكي على العموم . ونحن جميعنا ، لكوننا ملمين بالماركسية ، لم نشك قط في هذه الحقيقة القائلة ان الدور الحاسم يمكن ان يعود في المجتمع الرأسمالي اما الى البروليتاريا واما الى البرجوازية ، وذلك بحكم البنيان الاقتصادي لهذا المجتمع . وها نحن نرى الآن عدداً كبيراً من الماركسيين السابقين ، – من المعسكر المنشفي مثلاً ، – يزعمون ان من الممكن ان تسود **الديموقراطية بوجه عام** في مرحلة النضال الحاسم الذي تخوضه البروليتاريا ضد البرجوازية . هكذا يتشدق المناشفة الذين توافقوا كلياً مع الاشتراكيين-الثوريين . كأن البرجوازية ليست هي التي تخلق الديموقراطية او تقضي عليها ، وفق ما يكون اكثر فائدة لها ! واذا كان الامر كذلك ، فلا يمكن ان يدور حتى الكلام حول الديموقراطية بوجه عام ، في مرحلة الصراع الحادّ بين البرجوازية والبروليتاريا . ولا يسع المرء الا ان يدهش من السرعة التي ينزع فيها هؤلاء الماركسيون او الماركسيون المزيفون – اصحابنا المناشفة ، مثلاً – القناع عن وجوههم ومن السرعة التي تتكشف فيها طبيعتهم الحقيقية بوصفهم ديموقراطيين برجوازيين صغاراً .

ان اشد ما حاربه ماركس ، طوال حياته كلها ، انما هو اوهام الديموقراطية البرجوازية الصغيرة والنزعة الديموقراطية البرجوازية . واشد ما سخر منه ، انما هو التعابير الفارغة حول

الحرية والمساواة ، عندما تغطي هذه التعابير حرية العمال في ان يموتوا جوعاً ، او عندما تخفي مساواة الرجل الذي يبيع قوة عمله ، مع البرجوازي الذي يشتري بحرية وبكل مساواة قوة العمل هذه في السوق التي يزعم انها حرة ، الخ . . لقد اوضح ماركس ذلك في جميع مؤلفاته الاقتصادية . ويمكن القول ان مؤلف ماركس ، «رأس المال» ، يهدف بكامله الى القاء النور على الحقيقة القائلة ان **قوتي المجتمع الرأسمالي الاساسيتين ليستا ولا يمكن ان تكونا سوى البرجوازية والبروليتاريا** : البرجوازية بوصفها بنّاءة هذا المجتمع الرأسمالي ، بوصفها قائدته ، بوصفها باعثة الحركة والنشاط فيه ؛ والبروليتاريا بوصفها حفارة قبر هذا المجتمع ، بوصفها القوة الوحيدة القادرة على الحلول محله . واني لأشك في ان يكون هناك فصل واحد في اي من مؤلفات ماركس ، غير مكرس لهذه الفكرة الرئيسية . ويمكن القول ان اشتراكيي العالم بأسره في الاممية الثانية قد اقسموا مراراً عديدة الايمان المغلظة امام العمال بانهم فهموا هذه الحقيقة . ولكن ، عندما بلغت الامور حد النضال الحقيقي ، النضال الحاسم بين البروليتاريا والبرجوازية في سبيل السلطة ، تبين لنا ان اصحابنا المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، وكذلك زعماء الاحزاب الاشتراكية القديمة في العالم بأسره ، قد نسوا هذه الحقيقة واخذوا يرددون ، بصورة آلية محضة ، تعابير تافهة ضيقة الافق حول الديموقراطية بوجه عام .

ويحاولون عندنا احيانا ان يضفوا على هذه التعابير طابعاً «اقوى» ، عندما يقولون : «ديكتاتورية الديموقراطية» . هذا كلام لا معنى له اطلاقاً . اننا نعلم جيداً جداً من خبرة التاريخ ان ديكتاتورية البرجوازية الديموقراطية لم تعن سوى قمع العمال عندما يثورون . هكذا كانت الحال ابتداء من ١٨٤٨ ، وليس بعد هذا العام على كل حال ، ولكن بامكاننا ايجاد امثلة منفردة قبل هذا

العام . ان التاريخ يبين لنا انه في ظل الديموقراطية البرجوازية على وجه الضبط يحتدم بين البروليتاريا والبرجوازية اشد ما يكون من النضال حدة ، بكل حرية وعلى نطاق واسع . وقد اتاحت لنا الظروف الاقتناع عملياً بصحة هذه الحقيقـــة . فاذا كانت التدابير التي اتخذتها الحكومة السوفييتية ، ابتداء من تشرين الاول (اكتوبر) من ١٩١٧ ، مفعمة بروح الحزم والصلابة في جميع القضايا الاساسية ، فلأننا لم ننحرف قط عن هذه الحقيقة ، ولم ننسهـــا يوماً . فقط ديكتاتورية طبقة واحدة – هي البروليتاريا – تستطيع الفصـــل في الامر في غمرة النضال ضد البرجوازيـــة من اجل السيادة . فقط ديكتاتورية البروليتاريا تستطيع التغلب على البرجوازيـة . فقط البروليتاريا تستطيع اسقاط البرجوازية . فقط البروليتاريـــا تستطيع ان تقود الجماهير وراءها ضد البرجوازية .

بيد ان ذلـك لا يعني ابداً – ويكون ذلك خطأ مـــن افدح الاخطاء – ان بامكاننا فيما بعد ، اي في سياق بناء الشيوعية لاحقاً ، عندما يكون قد تم اسقاط البرجوازية واصبحت السلطة السياسية بيد البروليتاريـــا ، الاستغناء عن اشتراك العناصر المتوسطة ، الوسطية .

طبيعي ان يتجه كل انتباه القائمين بالثورة ، في بدايـــة الثورة – الثورة البروليتارية – نحو امر رئيسي ، اساسي ، هـو سيادة البروليتاريا وتأمين هذه السيادة بالتغلب على البرجوازية ، – اي تأمين الشروط الضرورية لكي لا تتمكن البرجوازية من العودة الى الحكم . اننا نعلم جيداً جداً ان البرجوازيـــة تحتفظ حتى الآن بالمزايا التي تستمدها من ثرواتهـــا في البلدان الاخرى او التي تستمدها ، حتى عندنا احياناً ، من ثرواتها المالية . ونحن نعلم جيداً ان هناك عناصر اجتماعية اوفر تجربـــة من البروليتاريين تساعد البرجوازية . ونحن نعلم جيداً ان البرجوازيـــة لم تقلع عن فكرة

استعادة الحكم ، وانها لم تكف عن محاولاتها الرامية الى بعث سيطرتها .

ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . فان البرجوازية التي تنادي بوجه خاص بالمبدأ القائل : «الوطن يكون حيث تطيب الحياة» ؛ البرجوازية التي كانت دائماً اممية من وجهة نظر المال ، — **ان البرجوازية على النطاق العالمي ما تزال حتى الآن اقوى منا** . ان سيادتها تتقوض بسرعة ؛ انها ترى امثلة كمثال الثورة المجرية ، — التي سعدنا امس باحاطتكم علماً باندلاعها والتي جاءت اليوم انباء اخرى تؤكد واقع اندلاعها ، — وقد أخذت تدرك ان سيادتها تتزعزع . ولم تبق لها حرية التصرف . ولكن ، اذا اخذنا اليوم بعين الاعتبار الموارد المادية على النطاق العالمي ، فلا يسعنا الا الاعتراف بان البرجوازية هي اقوى منا حتى الآن ، من الناحية المادية .

ولذا كرسنا وكان ينبغي علينا ان نكرس تسعة اعشار انتباهنا ونشاطنا العملي لهذه القضية الاساسية ، وهي اسقاط البرجوازية ، وترسيخ سلطة البروليتاريا ، والقضاء على كل امكانية لعودة البرجوازية الى الحكم . وهذا امر طبيعي وشرعي وحتمي تماماً ، وقد حققنا بنجاح الكثير لاجل ذلك .

والآن ينبغي لنا ان نطرح على بساط البحث المسألة المتعلقة بفئات اجتماعية اخرى . ينبغي لنا ان نطرح على بساط البحث **مسألة جماهير الفلاحين المتوسطين** ، بكل مداها ، — ذلك كان استنتاجنا المشترك في القسم الزراعي ، واننا لواثقون بان جميع مناضلي الحزب سيوافقون على هذا الاستنتاج ، لأننا لم نقم الا بتعميم خبرة ملاحظاتهم .

من المؤكد ان هناك اناسا سيستغلون كل خطوة تتخذها السلطة السوفييتية لان يسخروا ويوجهوا النقد الخبيث والسطحي على غرار

السادة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليمينيين ، بدلاً من التفكير في سير ثورتنا ، بدلاً من التفكير في المهمات التي نواجهها الآن . ان هؤلاء القوم لم يفهموا حتى الآن انه يترتب عليهم ان يختاروا بيننا وبين الديكتاتورية البرجوازية . لقد ابدينا نحوهم الكثير من الصبر بل الكثير من طيبة القلب ؛ وسنتيح لهم مرة اخرى امكانية امتحان طيبة قلبنا ، ولكننا سنضع في المستقبل القريب حداً لهذا الصبر وطيبة القلب هذه ، واذا لم يختاروا ، فاننا سنقترح عليهم بكل جد الذهاب الى كولتشاك (**تصفيق** .) اننا لا نتوقع من هؤلاء القوم مؤهلات ذهنية لامعة جداً (**ضحك** .) ولكنه كان من الممكن ان نتوقع منهم ان يدركوا ، بعد ان خبروا بانفسهم وحشية كولتشاك ، ان من حقنا ان نطلب منهم الخيار بيننا وبين كولتشاك . واذا كان كثيرون من السذج قد بلغت بهم الغباوة ، في الاشهر الاولى التي عقبت ثورة اكتوبر ، حد الاعتقاد بان ديكتاتورية البروليتاريا شيء عارض ، موقت ، فعلى المناشفة والاشتراكيين-الثوريين انفسهم ان يدركوا الآن ان هناك شيئاً مشروعاً ومحتوماً في النضال القائم تحت ضغط البرجوازية العالمية بأسرها .

وبالفعل ، تشكلت قوتان فقط : ديكتاتورية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا . ومن لم يستوعب ذلك من مؤلفات ماركس ، من لم يستوعب ذلك من مؤلفات كبار الاشتراكيين جميعهم ، لم يكن اشتراكياً يوماً من الايام ، ولم يفهم شيئاً من الاشتراكية وهو لم يفعل غير ان سمى نفسه اشتراكياً . هؤلاء القوم نمنحهم مهلة وجيزة للتفكير ، ونطلب منهم ان يختاروا . واذا كنت تحدثت عنهم ، فلأنهم يقولون الآن او انهم سيقولون : «لقد اثار البلاشفة مسألة جماهير الفلاحين المتوسطين ، ويريدون التغزل بهم» . اني اعلم تماماً ان محاجة كهذه ، بل اسوأ منها بكثير ، تجد مجالاً رحباً في صحافة المناشفة . ولكننا نحن ننبذ هذه

المحاجة ؛ فنحن لا نولي ابداً ثرثرات اخصامنا اية اهمية . ان اناساً ما يزال بامكانهم حتى الآن التنقل بين البرجوازية والبروليتاريا ، يستطيعون قول ما يشاؤون . اما نحن ، فاننا نتابع طريقنا .

ان طريقنا يرسمها لنا قبل كل شيء حساب القوى الطبقي . فالنضال بين البرجوازية والبروليتاريا يتطور في المجتمع الرأسمالي . وما دام هذا النضال قائماً لم ينته ، فاننا سنركز اهتمامنا المضاعف على أمر السير به الى نهايته . ان هذا النضال لم يبلغ حتى الآن نهايته . وفي هذا النضال نجحنا بتحقيق الكثير . ان البرجوازية العالمية لم تبق اليوم طليقة الايدي . وخير دليل على ذلك هو الثورة البروليتارية المجرية . وعليه من الواضح ان عملنا البنائي في الريف قد تخطى النطاق الذي كان فيه كل شيء خاضعاً للمطلب الاساسي التالي : النضال في سبيل السلطة .

ان هذا العمل البنائي قد مر بمرحلتين اساسيتين . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، استولينا على السلطة **مع جماهير الفلاحين بمجموعهم** . كانت تلك ثورة برجوازية ، لأن النضال الطبقي في الريف لم يكن قد احتدم بعد . ولم تبدأ الثورة البروليتارية الحقيقية في الريف الا في صيف ١٩١٨ ، كما سبق وقلت . فلو لم نستطع ان نشن هذه الثورة ، لما كان عملنا كاملاً . كانت المرحلة الاولى مرحلة الاستيلاء على السلطة في المدينة ، واقامة الشكل السوفييتي للحكم . اما المرحلة الثانية – وذلك ما هو جوهري بالنسبة لجميع الاشتراكيين ، والا لما كانوا اشتراكيين ، – فقد كانت مرحلة تمييز العناصر البروليتارية وشبه البروليتارية في الريف ، وضمها الى بروليتاريا المدن بقصد النضال ضد البرجوازية الريفية . وهذه المرحلة ايضاً انتهت ، اساساً . والمنظمات التي شكلناها لهذا الغرض في البداية ، اي لجان الفلاحين الفقراء ، قد توطدت الى حد اننا ارتأينا من الممكن الاستعاضة عنها بسوفييتات

تنتخب حسب الاصول ، اي اعادة تنظيم السوفييتات الريفية على نحو تصبح معه هيئات للسيادة الطبقية ، هيئات للسلطة البروليتارية في الريف . فان التدابير المتخذة كالقانون المتعلق بنظام الارض الاشتراكي وباجراءات الانتقال الى الزراعة الاشتراكية ، – وهو قانون اقرته مؤخراً اللجنة التنفيذية المركزية ويعرفه الجميع بكل تأكيد ، – تلخص رصيد ما عشناه ، من وجهة نظر ثورتنا البروليتارية .

وان الامر الرئيسي الذي هو المهمة الاولى ، الاساسية ، للثورة البروليتارية ، قد حققناه . وعلى وجه الضبط لأننا حققنا هذا ، توضع اليوم على بساط البحث مهمة اكثر تعقيداً ، عنيت بها **موقفنا من جماهير الفلاحين المتوسطين** . ان من يظن ان وضع هذه المهمة هو بمثابة تخفيف من طابع سلطتنا ، وارخاء في ديكتاتورية البروليتاريا ، وتغيير ، ولو جزئي ، ولو طفيف ، في سياستنا الاساسية ، لا يدرك اطلاقاً مهمات البروليتاريا ، مهمات الانقلاب الشيوعي . واني لواثق بانه لن يكون ثمة في حزبنا اناس من هذا الطراز . لقد اردت فقط تحذير رفاقنا من غير المنتمين الى حزب العمال الذين سيدلون بمثل هذه الاقاويل ، لا بحكم معتقداتهم ، بل لمجرد الرغبة في الحاق الضرر بنا ومساعدة الحرس الابيض ، – اي ، بتعبير آخر ، بقصد تحريض الفلاح المتوسط علينا ، وهو الذي تأرجح دائماً ولا يستطيع الا يتأرجح وسيظل يتأرجح زمناً طويلاً نسبياً . ولكي يحرضوه علينا ، سيقولون له : «انظر ، انهم يغازلونك ! ويعني هذا انهم اخذوا انتفاضاتكم بالحسبان ، انهم تذبذبوا» ، الخ . ، الخ . ينبغي ان يكون جميع رفاقنا مسلحين ضد مثل هذا التحريض . وانا واثق بانهم سيكونون مسلحين اذا ما استطعنا الآن طرح هذه المسألة من وجهة نظر النضال الطبقي .

من الواضح تماماً ان هذه المسألة الاساسية هي اكثر تعقيداً من سابقتها ولكنها ليست اقل حيوية منها : **كيف نحدد بدقة**

موقف البروليتاريا من جماهير الفلاحين المتوسطين ؟ ايها الرفاق ، ان هذه المسألة ليست صعبة على الماركسيين ، من الناحية النظرية ، هذه الناحية التي استوعبتها الاغلبية الساحقة من العمال . سأعيد الى الاذهان ، مثلاً ، ما جاء في مؤلف كاوتسكي عن المسألة الزراعية ، وهو المؤلف الذي كتبه كاوتسكي في المرحلة التي كان ما يزال يعرض فيها مذهب ماركس عرضاً صحيحاً والتي كان معترفاً به فيها كخبير لا جدال ارأيه في الموضوع ، – لقد جاء في هذا المؤلف بصدد الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ما يلي : ان مهمة الحزب الاشتراكي هي **تحييد الفلاحين** اي التوصل الى ما يلي : ان يظل الفلاح محايداً في النضال بين البروليتاريا والبرجوازية ، ان لا يتمكن الفلاح من اسداء مساعدة نشيطة الى البرجوازية ضدنا .

خلال المرحلة الطويلة التي دامت فيها سيادة البرجوازية ، دعم الفلاحون سلطة البرجوازية ، وكانوا الى جانبها . وهذا امر مفهوم اذا اخذنا بعين الاعتبار ما لدى البرجوازية من قوة اقتصادية وما لديها من وسائل سياسية لبسط سيادتها . وليس بوسعنا ان نحسب ان الفلاح المتوسط سيقف فوراً الى جانبنا . ولكن ، اذا انتهجنا سياسة صحيحة ، فان هذه التأرجحات ستكف بعد فترة من الزمن ، واذ ذاك يتمكن الفلاح من الانتقال الى جانبنا .

لقد سبق لانجلس الذي ارسى مع ماركس اسس الماركسية العلمية ، اي اسس المذهب الذي يسترشد به حزبنا على الدوام ولا سيما ابان الثورة ، – ان قسّم الفلاحين الى فلاحين صغار ، ومتوسطين ، وكبار ، ولا يزال هذا التقسيم ينطبق على الواقع اليوم في الاغلبية الساحقة من البلدان الاوروبية . لقد قال انجلس : «قد لا تكون ثمة حاجة لأن يصار ، في كل مكان ، الى قمع حتى كبار الفلاحين بالعنف» . اما احتمال لجوئنا يوماً من الايام الى العنف ازاء

الفلاحين المتوسطين (ان صغار الفلاحين هم اصدقاؤنا) ، فهذا ما لم يفكر به قط اي اشتراكي عاقل . هكذا تكلم انجلس سنة ١٨٩٤ ، اي قبل وفاته بسنة ، حين وردت المسألة الزراعية في جدول الاعمال . ان وجهة النظر هذه تبين لنا الحقيقة التي ينساها بعضهم احياناً ، ولكن التي نتفق عليها جميعاً من الناحية النظرية . ان مهمتنا ، بالنسبة للملاكين العقاريين والرأسماليين ، هي مصادرة ممتلكاتهم مصادرة تامة . **ولكننا لا نقر باي عنف ازاء الفلاحين المتوسطين** . وحتى فيما يتعلق بالفلاحين الاغنياء لسنا جازمين ازاءهم بقدر ما نحن جازمين ازاء البرجوازية : فنحن لا نقول بالمصادرة المطلقة لممتلكات الفلاحين الاغنياء والكولاك . ان هذا التمييز قد سجلناه في برنامجنا . اننا نقول : قمع مقاومة الفلاحين الاغنياء ، قمع نشاطاتهم المعادية للثورة . وليس ذلك بالمصادرة المطلقة .

ان التمييز الجوهري الذي يحدد موقفنا من البرجوازية ومن الفلاحين المتوسطين ، انما هو المصادرة المطلقة لممتلكات البرجوازية والتحالف مع الفلاحين المتوسطين الذين لا يستثمرون الغير ؛ وهذه الخطة الاساسية يعترف بها الجميع نظرياً . غير انها لا تطبق في الواقع بصورة دائبة ؛ فالمسؤولون المحليون لم يتعلموا حتى الآن كيف يطبقونها . فعندما باشرت البروليتاريا ، من مختلف النواحي ، مهمة بناء المجتمع الجديد ، بعدما اسقطت البرجوازية ووطدت حكمها ، حكم البروليتاريا ، تقدمت قضية الفلاحين المتوسطين الى المرتبة الاولى . ولم ينكر اي اشتراكي في العالم ان بناء الشيوعية سيتبع سبلاً مختلفة في البلدان ذات الزراعة الضخمة وفي البلدان ذات الزراعة الصغيرة . وتلك حقيقة من ابسط الحقائق ، تلك حقيقة اولية . ومن هذه الحقيقة ينجم انه يترتب علينا تركيز اهتمامنا الرئيسي ، الى حد ما ، على الفلاحين المتوسطين بالذات وذلك بقدر ما نقترب من مهام البناء الشيوعي .

ان الكثير يتوقف على تحديد موقفنا من الفلاحين المتوسطين . ان هذه المسألة محلولة من الناحية النظرية ، غير اننا امتحنا تماماً ونعرف بتجربتنا الخاصة الفرق بين الحل النظري لقضية ما وبين التطبيق العملي لهذا الحل . لقد اقتربنا عن كثب من هذا الفرق الذي كان من ابرز صفات الثورة الفرنسية الكبرى ، حين كانت الكونفانسيون الفرنسية تقر تدابير واسعة المدى دون ان يكون لديها السند الضروري لتطبيق هذه التدابير ، بل دون ان تعرف على اية طبقة تعتمد من اجل تطبيق هذا التدبير او ذلك .

اما نحن ، فاننا في ظروف اوفق بما لا حد له . فبفضل قرن كامل من التطور ، نعرف على اية طبقة نعتمد . بيد اننا نعرف ايضاً ان هذه الطبقة تفتقر كثيراً جداً الى الخبرة العملية . ان الامر الاساسي بالنسبة للطبقة العاملة ، لحزب الطبقة العاملة كان واضحاً : دك سلطة البرجوازية واعطاء العمال السلطة . ولكن **كيف** العمل لبلوغ هذا الغرض ؟ ان الجميع ليذكرون خلال اية صعوبات واية اخطاء انتقلنا من الرقابة العمالية الى ادارة الصناعة من جانب العمال . والحال ان هذا كان عملاً جرى في داخل طبقتنا ، في الوسط البروليتاري الذي تعاملنا معه دائماً . والآن يترتب علينا تحديد موقفنا ازاء طبقة جديدة ، ازاء طبقة لا يعرفها عامل المدينة . من الضروري ان نحدد موقفنا من الطبقة التي لا تقف موقفاً مستقراً واضح المعالم . ان البروليتاريا تقف بمعظمها الى جانب الاشتراكية ؛ والبرجوازية تقف بمعظمها ضد الاشتراكية ، — فمن اليسير تحديد العلاقة بين هاتين الطبقتين . ولكن ، عندما ننتقل الى فئة كالفلاحين المتوسطين ، يتبين لنا **ان تلك طبقة متأرجحة** . انها من جهة مالكة ومن جهة اخرى شغيلة . انها لا تستثمر الشغيلة الآخرين . وقد اضطرت ، طوال عشرات السنين ، لان تدافع عن وضعها باذلة لهذا الغرض جهوداً هائلة . وعانت من استثمار الملاكين العقاريين

والرأسماليين ؛ وتحملت كل شيء ؛ بيد انها مالكة في الوقت نفسه . ولذا كان موقفنا من هذه الطبقة المتأرجحة حافلاً بمصاعب قصوى . فبالاستناد الى تجربتنا التي دامت اكثر من سنة ، والى النشاط البروليتاري الذي نقوم به في الريف منذ اكثر من ستة اشهر ، والى التمايز الطبقي الذي جرى في الريف ، ينبغي علينا قبل كل شيء ان نحترس هنا من التسرع ، من التنظير غير الصائب ، من اعتبارنا جاهزاً ما نحن عاملون على وضعه ، ما لم ننته حتى الآن من وضعه . وانكم لواجدون تحذيراً كافياً بهذا الصدد في القرار الذي تقترحه عليكم اللجنة التي انتخبتها القسم الزراعي والذي سيتلوه عليكم احد الخطباء الذين سيتكلمون بعدي .

وبديهي من وجهة النظر الاقتصادية ، انه ينبغي علينا ان نمد يد المساعدة الى الفلاحين المتوسطين . وليس هنا اي مجال للشك من الناحية النظرية . ولكن ، نظراً لاخلاقنا وعاداتنا ، ومستوانا الثقافي ، والنقص في القوى الثقافية والتكنيكية التي نستطيع تقديمها الى الريف ، ونظراً لهذا العجز الذي غالباً ما نبديه في علاقاتنا بالريف ، نرى ان رفاقنا يلجأون كثيراً جداً الى الاكراه ، الامر الذي يلحق الضرر بكل عملنا . وليس ابعد من امس ، سلمني احد الرفاق كراساً عنوانه : «تعليمات واحكام حول تنظيم عمل الحزب في مقاطعة نيجني نوفغورود» ، وقد اصدرته لجنة هذه المدينة للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . ولقد قرأت في هذا الكراس ، مثلاً ، في الصفحة ٤١ ، ما يلي : «ان مرسوم الضريبة الاستثنائية ينبغي ان يحل بكل ثقله على الكولاك الريفيين ، وعلى المضاربين ، **وبوجه عام ، على العنصر المتوسط من الفلاحين**» . هنا ، يمكن القول ان القوم قد «فهموا» ! اما ان يكون ذلك خطأ مطبعياً – ولكن لا يجوز وقوع مثل هذه الاخطاء ! – واما ان يكون عملاً جرى بعجلة ، بتسرع ، عملاً يبين مدى خطورة كل تسرع في هذا المجال . واما اننا نواجه هنا مجرد عدم

فهم – وتلك شر فرضية لا اود الاعراب عنها بحق رفاق نيجني نوفغورود . وقد يكون ذلك مجرد سهو .

وفي الواقع العملي يمكن ان تقع حالات كالتي حدثنا عنها احد الرفاق في اللجنة . فقد احاط به عدد من الفلاحين واخذ كل منهم يسأله : «قرر من اكون انا : فلاحاً متوسطاً ام لا ؟ عندي حصانان وبقرة . عندي بقرتان وحصان» ، الخ . . والحال ، ينبغي على هذا المحرض ، الذي يتجول في الاقضية ، ان يملك «ميزاناً للحرارة» لا يخطىء ، ويتيح له «قياس حرارة الفلاح» والقول ما اذا كان هذا الفلاح فلاحاً متوسطاً ام لا . ولهذا الغرض ، ينبغي عليه ان يعرف كل تاريخ استثمارة هذا الفلاح ، وعلاقاته مع الفئات الدنيا والعليا ، – وتلك امور لا يمكننا معرفتها بدقة .

يقتضي الامر هنا الكثير من المعارف العملية والالمام بالظروف المحلية . وهذا ما لا نحوزه حتى الآن . وليس ثمة اي عار في الاقرار به ، بل ينبغي علينا الاقرار به على رؤوس الاشهاد . اننا لم نكن قط طوبويين ولم نتخيل قط باننا سنبني المجتمع الشيوعي بأيد نظيفة لشيوعيين نظيفين ، سيولدون ويتربون في المجتمع الشيوعي الصرف . تلك قصص للاطفال . ينبغي علينا ان نبني الشيوعية على انقاض الرأسمالية ، ولا يستطيع القيام بهذه المهمة سوى الطبقة التي تمرست في النضال ضد الرأسمالية . ان البروليتاريا ، كما تعرفون جيداً جداً ، ليست خالية من عيوب المجتمع الرأسمالي ونواحي ضعفه . وهي تناضل في سبيل الاشتراكية ، وتكافح في الوقت نفسه النواقص الملازمة لها هي البروليتاريا . ان خيرة البروليتاريا ، القسم المتقدم منها ، الذي خاض نضالاً عنيداً في المدن طوال عشرات السنين ، كان بوسعه ان يقتبس كل ثقافة حياة المدن والعواصم في غمرة هذا النضال ، وقد استوعبها الى حد ما . وانتم تعلمون ان الامية والجهل كانا من نصيب الريف حتى في البلدان المتقدمة . من المؤكد

اننا سنرفع مستوى الثقافة في الريف ، ولكن تلك مهمة تستغرق سنوات وسنوات . وهذا ما ينساه رفاقنا في كل مكان ، وهذا ما تبينه لنا بجلاء خاص كل كلمة ينطق بها الرفاق المحليون ، وهم ليسوا مثقفين من هنا ، ولا رجال مكاتب ، – فلقد سمعنا هؤلاء كثيراً ، – انما هم اناس شهدوا النشاط في الريف بأم عيونهم . ان هذه الاصوات هي التي كانت قيمة بخاصة لنا في القسم الزراعي . واني لواثق بأنها ستكون قيمة بخاصة الآن لمجموع مؤتمر الحزب ، لانها لا تنبع من الكتب ، من المراسيم ، بل من الحياة نفسها .

كل ذلك يحفزنا الى العمل بصورة نوضح فيها باشد الوضوح موقفنا من الفلاحين المتوسطين . وهذا امر صعب جداً لأن **هذا الوضوح غير موجود في الحياة** . ان هذه المسألة لم تجد لها حلاً ، وليس هذا وحسب ، ولكنها **غير قابلة للحل** اذا أريد حلها **دفعة واحدة وفوراً** . هناك من يقولون : «لم يكن من الواجب تدبيج مثل هذا العدد من المراسيم» ، – وهم يلومون الحكومة السوفييتية لانها باشرت تدبيج المراسيم دون ان تعرف كيف تطبقها . ان هؤلاء الناس لا يلاحظون ، من حيث الجوهر ، انهم ينزلقون الى معسكر الحرس الابيض . فلو اننا اعتقدنا ان تدبيج مئة من المراسيم يغير كل الحياة الريفية ، لكنا اغبياء تماماً . ولكن ، لو كنا اقلعنا عن ان نرسم السبيل في المراسيم ، لكنا خونة للاشتراكية . ان هذه المراسيم ، التي لم يكن بالامكان تطبيقها عملياً دفعة واحدة وبكاملها ، قد لعبت دوراً هاماً في حقل الدعاية . فاذا كنا فيما مضى قد قمنا بالدعاية بواسطة حقائق عامة ، فاننا اليوم **نقوم بالدعاية بواسطة العمل** . وتلك ايضاً دعاية ، الا انها دعاية بواسطة العمل هذه المرة ، ولكن ليس بمعنى القيام باعمال منفردة يؤديها نفر من الادعياء المغرورين ، الامر الذى سخرنا منه كثيراً في عهد الفوضويين والاشتراكية القديمة . ان مرسومنا هو نداء ، ولكنه بغير مفهوم

الامس : «ايها العمال ، هبوا ، واسقطوا البرجوازية !» . كلا ، انه نداء الى الجماهير ، نداء يدعوها الى العمل التطبيقي . **ان المراسيم ، انما هي تعليمات تدعو الى القيام بعمل تطبيقي جماهيري** . هذا هو المهم . اني اقر بان المراسيم تحوي الكثير من الاشياء غير النافعة ، التي لن «تمكث في الارض» . ولكن فيها حافزاً للقيام بعمل تطبيقي ، فمهمة المراسيم تعليم المئات والآلاف والملايين من الناس الذين يصغون الى صوت السلطة السوفييتية ، القيام بالعمل التطبيقي . وتلك تجربة للقيام بعمل تطبيقي في ميدان البناء الاشتراكي في الريف . فاذا نظرنا الى الامور بهذه الطريقة فاننا سنستخلص الكثير من مجمل قوانيننا ومراسيمنا وقراراتنا . ولن نرى اليها كأنها احكام مطلقة ينبغي تطبيقها حالاً ، ودفعة واحدة ، وباي ثمن كان .

ينبغي اجتناب كل ما من شأنه ان يشجع في الواقع سوء التصرف هذا او ذاك . فان هناك وصوليين ومغامرين تسللوا الى صفوفنا ويعلنون انهم شيوعيون ويخدعوننا ؛ وقد اندفعوا الى صفوفنا لان الشيوعيين قابضون الآن زمام الحكم ، لان بعض العناصر الاكثر شرفاً بين الموظفين السابقين لم يأتوا الى العمل معنا بسبب من افكارهم المتأخرة ؛ بينما الوصوليون خالون من الافكار ، خالون من الشرف . ان هؤلاء الناس الذين يسعون الى الترقي في المناصب وحسب ، يلجأون الى الاكراه حيث يعملون ، ويظنون انهم حسناً يفعلون . والحال ان تصرّفهم هذا يدفع الفلاحين احياناً الى القول : «لتحي السلطة السوفييتية ولكن **فلتسقط الكومونية** !» (اي فلتسقط الشيوعية) . ان هذه الامثلة ليست ملفقة بل مستقاة من الواقع الحي ، من افادات الرفاق المحليين . ولذا لا يجوز ان يغيب عن بالنا الاذى البالغ الذي يسببه كل افراط ، كل تسرّع ، كل عجلة .

لقد اضطررنا للتسرّع ، باي ثمن كان ، من اجل الخروج ، بقفزة يائسة ، من الحرب الامبريالية التي قادتنا الى الافلاس ؛ لقد اضطررنا لبذل اشد الجهود من اجل سحق البرجوازية والقوى التي كانت تهدد بسحقنا . كان الامر يقتضي كل ذلك ، والا لما استطعنا احراز النصر . ولكن سلوك السلوك نفسه ازاء الفلاحين المتوسطين انما يعني درجة من الغباوة ، درجة من البلاهة ، درجة من الخطورة بالنسبة للقضية ، بحيث ان التصرف عن وعي على هذا النحو لا يستطيعه غير الاستفزازيين . فتنبغي صياغة المهمة هنا بشكل مغاير تماماً . فليس المقصود هنا سحق مقاومة مستثمرين معروفين والتغلب عليهم واسقاطهم ، اي المهمة التي طرحناها فيما مضى . كلا . فبقدر ما ادينا هذه المهمة الاساسية ، توضع على بساط البحث مهام اكثر تعقيداً . اننا لن نبني هنا اي شيء بواسطة العنف . **ان العنف ازاء الفلاحين المتوسطين هو العمل الاشد ضرراً .** ان الفلاحين المتوسطين يؤلفون فئة وافرة العدد تضم الملايين من الناس . وحتى في اوروبا ، حيث لم تبلغ هذه الفئة هذه الدرجة من القوة ، وحيث التكنيك ، والثقافة ، وحياة المدن ، والسكك الحديدية بلغت درجة هائلة من التطور ، وحيث كان من السهل جداً التفكير باستعمال العنف ، ما من احد ، ما من اشتراكي من اشد الاشتراكيين ثورية ، اقترح قط اتخاذ تدابير العنف ازاء الفلاحين المتوسطين .

حين استلمنا السلطة ، اعتمدنا على مجموع طبقة الفلاحين . حينذاك كانت ثمة مهمة واحدة موضوعة امام جميع الفلاحين : النضال ضد الملاكين العقاريين . ولكن الفلاحين ما يزالون يحذرون الاستثمارة الكبيرة . فالفلاح يقول في نفسه : «اذا كانت هناك استثمارة كبيرة ، فهذا يعني اني اعود اجيراً» . بديهي انه على خطأ . ولكن فكرة الاستثمارة الكبيرة مرتبطة عند الفلاح بشعور من الحقد والكراهية ، بذكرى استبداد الملاكين العقاريين بالشعب . ان هذا الشعور ما يزال حياً ، ولم يمت حتى الآن .

ينبغي لنا ان نستند قبل كل شيء الى الحقيقة القائلة انه لا يمكن بلوغ اى شيء هنا باساليب العنف ، وهذا ينجم من جوهر الامر . فالمهمة الاقتصادية تبدو هنا على نحو آخر تماماً . فليست هنا قمة يمكن قطعها ، مع ابقاء الاساس كله ، الصرح كله . ان القمّة التي كان يمثلها في المدن الرأسماليون غير موجودة هنا . **ان استعمال العنف هنا يهلك القضية كلها** . ان ما ينبغي هنا ، انما هو القيام بعمل تثقيفي طويل النفس . فللفلاح الذي هو رجل عملي وواقعي ليس في بلادنا فقط ، بل ايضاً في العالم بأسره ، ينبغي ان نقدّم امثلة ملموسة تثبت له ان «الكومونية» خير الامور . ومن المؤكد انه لن تسفر عن اية منفعة رحلات مفوضين عجولين يأتون الى الارياف من المدينة لكي يتحدثوا ويثرثروا ولكي يثيروا بعض المشاحنات من نوع مشاحنات المثقفين او غير المثقفين ، ثم يغادرونها متخاصمين مع اهلها . هكذا يحدث . انهم ، بدلاً من اثارة الاحترام ، يثيرون السخرية ، وانها لسخرية مشروعة تماماً .

ينبغي لنا ان نقول بصدد هذه المسألة اننا نشجع الكومونات ، غير انه ينبغي تنظيم الكومونات **بصورة نكسب معها ثقة الفلاح** . وحتى ذاك ، نحن تلامذة الفلاحين ، لا معلموهم . وليس ثمة اسخف من موقف اناس لا يعرفون شيئاً عن الزراعة وخصائصها ، اناس تدافعوا الى الريف لمجرد انهم سمعوا بفائدة الاستثمارات التعاونية ، وانهم ملّوا حياة المدن ويرغبون في العمل في الريف ، ولكنهم يعتبرون انفسهم معلمين للفلاحين في كل شيء . **وليس ثمة اسخف من فكرة استعمال العنف في ميدان علاقات الفلاح المتوسط الاقتصادية** .

ان المهمة هنا لا تتلخص في مصادرة ممتلكات الفلاح المتوسط ، بل في أخذ الظروف الخاصة لحياة الفلاح بالحسبان ، في التعلّم من الفلاحين كيفية الانتقال الى تنظيم احسن ،

والامتناع اطلاقاً عن اصدار الاوامر ! تلك هي القاعدة التي رسمناها لانفسنــــا . (**تصفيق من جانب المؤتمر كله** .) تلك هـــي القاعدة التي حاولنا عرضها في مشروع قرارنا ، لأننا ، ايها الرفاق ، قد ارتكبنا الكثير من الاخطاء في هذا الميدان . وليس ثمة اي عار في الاعتراف بذلك . فلم تكن لدينا الخبرة . بل ان النضال ضــد المستثمرين قد تعلّمناه من تجربتنا . فاذا كانوا قد لامونا احياناً بهذا الصدد ، فبوسعنا ان نقول : «ايها السادة الرأسماليون ، هذا بسببكم . فلو انكم لم تبدوا مقاومة ضارية ، خرقاء ، وقحة ، يائسة ، الى حد بالغ ، ولو انكم لم تتحالفوا مع برجوازية العالم بأسره ، لكانت الثورة اتخذت اشكالاً اكثر سلمية» . واليوم ، وقد صددنا الهجوم الجنوني علينا من كل النواحي ، نستطيع الانتقال الى اساليب اخرى لأننا لا نعمل كأننا حلقة صغيرة ، بل كحزب يقود ملايين الناس . ان هذه الملايين لا تستطيــــع ان تدرك في الحال تغيّر الاتجاه ؛ ولهذا غالباً مــــا يحدث ان الضربات المسددة الى الكولاك ، تصيب الفلاح المتوسط . وليس في ذلك مــا يدعو الى الدهشة . ينبغي الادراك فقط ان ذلك ناجم عن الاوضاع التاريخية التي زالــت اليوم ، وان الاوضاع الجديدة والمهمات الجديدة ازاء طبقة الفلاحين المتوسطين تتطلب ذهنية جديدة .

ان مراسيمنا المتعلقة بالاستثمارة الفلاحية صحيحة من حيث الاساس . وليس لدينا اي سبب يدعونا الى التخلي عن اي مــن هذه المراسيم او الى التأسف على اتخاذه . ولكن اذا كانت المراسيم صحيحة ، **فمن الخطأ فرضها على الفلاح بالقوة** . وليس هناك اي مرسوم منها يشير الى استعمال القوة . ان هذه المراسيم صحيحة بوصفها سبلاً مرسومة ، بوصفها نداء الى العمل التطبيقي . فعندما نقول : «شجعوا التشارك» ، — فأنما نعطي توجيهات ينبغي امتحانها مراراً عديدة قبل ايجاد **الشكل** النهائي لتطبيقها . وما دمنا نقول

ان من الضروري العمل على تأمين الموافقة الاختيارية ، فذلك يعني اذن انه ينبغي اقناع الفلاحين واقناعهم عملياً . انهم لن يدعوا انفسهم يقتنعون بالاقوال ، وحسناً يفعلون . ويكون من المؤسف ان يدعوا انفسهم يقتنعون بمجرّد قراءة المراسيم والمناشير التحريضية . فاذا كان بالامكان اعادة تنظيم الحياة الاقتصادية على هذا النحو ، فان كل هذه العملية لن تساوي فلساً واحداً . انما ينبغي بادئ ذي بدء تقديم الدليل على ان هذا التشارك افضل – اشراك الناس بشكل يتشاركون به حقاً ولا يتخاصمون – وتقديم الدليل على ان هذا التشارك مفيد لهم . على هذا النحو يضع الفلاح المسألة ، وعلى هذا النحو تضعها مراسيمنا . واذا كنا لم نتوصل حتى الآن الى تقديم هذا الدليل ، فليس في ذلك اي عار وينبغي علينا الاعتراف بذلك بكل صراحة .

اننا حتى الآن ، لم نؤد سوى المهمة الجوهرية في كل انقلاب اشتراكي ، هي مهمة الانتصار على البرجوازية . وهذه المهمة اديناها اساساً ، مع العلم اننا على ابواب ستة أشهر صعبة وقاسية : فان امبرياليي العالم بأسره يبذلون جهودهم الاخيرة لسحقنا . غير انه يمكننا ان نقول الآن ، دون اي مبالغة ، **انهم ادركوا انفسهم ان قضيتهم خاسرة الى الابد بعد انقضاء هذه الاشهر الستة .** فاما انهم سيستغلون الآن وهننا ونزوف قوانا ويتغلبون على بلد واحد ؛ واما اننا نحن سنكون ظافرين ، وليس بالنسبة لبلادنا فقط . في غضون هذه الاشهر الستة ، وقد اجتمعت ازمة المواد الغذائية مع ازمة النقليات ، واذ تحاول الدول الامبريالية شن الهجوم في عدة جبهات ، سيكون وضعنا صعباً الى اقصى حدّ . غير **انها ستكون الاشهر الستة الصعبة الاخيرة** . ينبغي لنا ، كما في السابق ، بذل جميع قوانا من اجل محاربة العدو الخارجي الذي يهاجمنا .

ولكن ، عندما نتحدث عن مهمات النشاط في الريف ، ينبغي

لنا ، رغم جميع المصاعب ، ورغم ان كل تجربتنا ترمي الى قمع المستثمرين مباشرة ، ينبغي لنا ان نتذكر ، ينبغي ان لا يغيب عن بالنا ان المهام مغايرة في الريف فيما يخص الفلاحين المتوسطين .

ان جميع العمال الواعين ، - من بتروغراد وايفانوفو- فوزنيسينسك وموسكو الذين كانوا في الريف - قد حملوا الينا امثلة على ازالة او تخفيف مشاكل من سوء التفاهم كان يبدو انها مستعصية ، ومنازعات كان يبدو انها جسيمة ، وذلك بفضل تدخل عمال اذكياء خاطبوا الفلاحين ليس بلغة الكتب ، بل بلغة مفهومة للفلاح ، وعاملوهم ليس كقادة يسمحون لأنفسهم باصدار الاوامر رغم انهم لا يعرفون شيئاً عن حياة الريف ، بل كرفاق يشرحون الوضع ، ويستحثون مشاعر الفلاحين كشغيلة ضد المستثمرين . فبفضل هذه الايضاحات الرفاقية ، تم التوصل الى ما لم يستطع التوصل اليه مئات الآخرين ممن سلكوا سلوك الزعماء والقادة .

وهذه هي الروح التي تتخلل كامل القرار الذي نطرحه عليكم الآن .

لقد حاولت في تقريري الموجز توضيح الناحية المبدئية ، توضيح اهمية هذا القرار السياسية العامة . وحاولت ان اثبت - وكلي امل بأني نجحت في هذا الامر - ان ليس ثمة اي انعطاف ، اي تغيير في خطتنا ، من وجهة نظر مصالح الثورة بمجموعها . ان الحرس الابيض واعوانهم يعلنون ذلك او سيعلنونه . فلندعهم وشأنهم . فان ذلك لا يقلقنا . اننا نطور مهماتنا بأوفر ما يكون من الانسجام والمثابرة . وعلينا ان ننقل اهتمامنا من قضية قمع البرجوازية الى تنظيم حياة الفلاحين المتوسطين . ينبغي ان نعيش بسلام معهم . ان الفلاحين المتوسطين لن يقفوا الى جانبنا في المجتمع الشيوعي الا حين نخفف من اوضاعهم الاقتصادية ونحسنها . فاذا استطعنا غداً ان نقدّم ١٠٠٠٠٠ تراكتور ممتاز ، وان نزوّدها

بالبنزين ، وبالسواقين ، (وانتم تعلمون جيداً جداً ان ذلك حتى الآن ضرب من الاحلام) فان الفلاح المتوسط سيقول : «انا مع الكومونية» (اي مع الشيوعية) . ولكن ، من اجل بلوغ هذا الغرض ، ينبغي اولاً التغلب على البرجوازية العالمية ، ينبغي اجبارها على تزويدنا بهذه التراكتورات او ينبغي علينا ان نرفع انتاجيتنا بصورة نستطيع معها ان نقدم هذه التراكتورات بانفسنا . على هذا النحو فقط ستطرح هذه المسألة بصورة صائبة .

ان الفلاح بحاجة لصناعة المدينة ؛ ولا يسعه الاستغناء عنها ؛ والحال ، ان هذه الصناعة هي في ايدينا . فاذا اقدمنا على العمل كما ينبغي ، فان الفلاح سيشكرنا على ما نحمله اليه من المدينة من منتجات ، وادوات ، وثقافة . فليس المستثمرون ولا الملاكون العقاريون هم الذين سيقدمون له كل هذه الاشياء ، بل نفس الرفاق الشغيلة الذين يقدّرهم عالي التقدير ، ولكنه يقدرهم من الناحية العملية ، يقدّرهم لمساعدتهم الفعالة فقط ، — هذا مع العلم انه ينبذ اساليب اصدار الاوامر ، و«التعليمات» الصادرة من عل ، وهو على حق في ذلك .

ساعدوا اولاً ، ثم عملوا على كسب الثقة . فاذا كان هذا العمل منظماً كما ينبغي ، اذا كانت كل فرقة من فرقنا تنظم كما ينبغي كل تدبير تتخذه في القضاء ، في الناحية ، في فصيلة التموين ، في اية منظمة من المنظمات ؛ واذا ما صار التحقق بعناية ، ومن وجهة النظر هذه ، من كل تدبير من التدابير المتخذة ، فاننا نكسب ثقة الفلاح ، وعند ذاك فقط نستطيع السير الى الامام . اما اليوم ، فينبغي لنا ان نساعد الفلاح ، ان ننصحه . ولن تكون نصيحتنا امراً من رئيس ، بل نصيحة من رفيق . وعند ذاك سيكون الفلاح الى جانبنا كلياً .

هذا ما يتضمنه مشروع قرارنا ، ايها الرفاق ؛ وهذا ، برأيي ، ما

ينبغي ان يكون عليه قرار المؤتمر . فاذا اتخذنا هذا القرار ، واذا كان هذا سيحدد كل نشاط منظماتنا الحزبية ، فاننا سنؤدي كذلك المهمة الكبرى الثانية التي تواجهنا .

كيف العمل لاسقاط البرجوازية ، كيف العمل لقمعها ، هذا ما تعلمناه ونحن فخورون بذلك . كيف ننظم علاقاتنا مع ملايين الفلاحين المتوسطين ، كيف نكسب ثقتهم ، هذا ما لم نتعلمه بعد ، وينبغي ان نقوله بكل صراحة . بيد اننا فهمنا المهمة ، ووضعناها نصب عيوننا ، واننا لنقول لانفسنا ، ونحن مفعمون بالامل ، وبكل الحزم وبأتم المعرفة : اننا سننفذ هذه المهمة ، واذ ذاك لن يكون بالامكان اطلاقاً التغلب على الاشتراكية . **(تصفيق متواصل .)**

صدر في ٢٦ آذار (مارس) ١٩١٩ في جريدة «بيدنوتا» («الفقراء») ، العدد ٢٩٣

المجلد ٣٨ ، ص ص ١٨٧–٢٠٥

٤

قرار حول الموقف من الفلاحين المتوسطين

ان المؤتمر الثامن ، اذ يعتمد على برنامج الحزب الذي أقر في ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٩ ، واذ يؤيد كلياً القانون الذي بدأت تطبقه السلطة السوفييتية حول النظام الاشتراكي لاستعمال الارض والتدابير الواجب اتخاذها للانتقال الى الزراعة الاشتراكية ، يقر بان المهم بخاصة في الوقت الحاضر ان يصار الى تطبيق خطة الحزب ازاء الفلاحين المتوسطين بصورة أصح ، بمعنى ايلاء حاجاتهم مزيداً من الانتباه والقضاء على تعسّف السلطات المحلية ، وبذل الجهود للتفاهم معهم .

١– ان الخلط بين الفلاحين المتوسطين والكولاك ، وتعميم التدابير الموجهة ضد الكولاك على الفلاحين المتوسطين ، باي شكل كان ، انما يعنيان خرق جميع مراسيم السلطة السوفييتية وكل سياستها بأشد الفظاظة ، وليس هذا وحسب ، وانما يعنيان ايضاً خرق جميع المبادئ الاساسية للشيوعية ، التي تقول بالتفاهم بين البروليتاريا والفلاحين المتوسطين في مرحلة النضال الحاسم الذي تخوضه البروليتاريا في سبيل اسقاط البرجوازية ، باعتبار ذلك شرطاً من الشروط الضرورية للانتقال بلا آلام الى ازالة كل استثمار .

٢ – ان الفلاحين المتوسطين ، الذين لهم جذور اقتصادية قوية نسبياً ، لكون التكنيك الزراعي يتأخر عن التكنيك الصناعي حتى في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، فضلاً عن روسيا ، سيبقون مرحلة طويلة نسبياً بعد نشوب الثورة البروليتارية . ولذا ينبغي ان يكون تكتيك ممثلي السوفييتات في الريف ، وكذلك تكتيك مناضلي الحزب ، موجهاً نحو التعاون مع الفلاحين المتوسطين خلال مدة طويلة .

٣– ينبغي على الحزب ، مهما كلف الامر ، ان يعمل على ان يدرك جميع ممثلي السوفييتات في الريف تمام الادراك وبكل وضوح الحقيقة التي اثبتتها الاشتراكية العلمية تماماً والقائلة بان الفلاحين المتوسطين لا ينتمون الى فئة المستثمِرين ، اذ انهم لا ينتفعون من عمل الآخرين . ان طبقة كهذه من صغار المنتجين لن تخسر شيئاً في ظل الاشتراكية ، بل انها ستكسب بالعكس ، الى حد ملحوظ جداً ، من دك نير الرأسمال ، الذي يستثمرها بألف شكل وشكل في جميع الجمهوريات ، حتى في اكثرها ديموقراطية .

فان السياسة الصحيحة تماماً ، التي تنهجها السلطة السوفييتية في الريف ، تؤمن ، بالتالي ، التحالف والتفاهم بين البروليتاريا الظافرة والفلاحين المتوسطين .

٤ – واذ يشجع ممثلو السلطة السوفييتية شتى انواع الجمعيات وكذلك كومونات الفلاحين المتوسطين الزراعية ، لا ينبغي لهم ان يلجأوا الى اي اكراه لدن انشائها . فان الجمعيات التي نشأت بمبادرة الفلاحين انفسهم والتي تحققوا من افضلياتها في الوقائع ، هي وحدها ذات قيمة . والمبالغة في التسرّع في هذا المضمار ضارة ، اذ لا يمكن لها الاّ ان تقوّي محاذير الفلاحين المتوسطين من التجديدات .

ان ممثلي السلطة السوفييتية الذين يسمحون لانفسهم باللجوء الى الاكراه ، لا المباشر وحسب ، بل حتى غير المباشر ، بقصد ضم الفلاحين في كومونات ، انما ينبغي ان يتحملوا اشد المسؤولية صرامة ، وينبغي ابعادهم عن العمل في الريف .

٥ – ان جميع المصادرات التعسفية ، اي التي لا تقوم على الاحكام الدقيقة الواردة في قوانين السلطة المركزية ، ينبغي ان تستتبع العقاب الصارم . ان المؤتمر يلحّ على تعزيز الرقابة في هذه الناحية من جانب مفوضية الشعب للزراعة ، ومفوضية الشعب للداخلية ، وكذلك من جانب اللجنة التنفيذية المركزية في عامة روسيا .

٦– ان الخراب الفظيع الذي نجم في جميع بلدان العالم عن اربع سنوات من حرب امبريالية قامت لتأمين مصالح الرأسماليين في النهب والسلب ، واستفحل شرّه بخاصة في روسيا ، زج بالفلاحين المتوسطين في وضع صعب .

وعليه ، فان قانون السلطة السوفييتية حول الضريبة الاستثنائية ، خلافاً لجميع القوانين التي تسنّها الحكومات البرجوازية في العالم بأسره ، يلحّ على القاء عبء الضريبة بكليته على كاهل الكولاك ، على كاهل ممثلي فئة الفلاحين المستثمِرين الضئيلة التي اثرت بخاصة خلال الحرب . اما فئة الفلاحين المتوسطين ، فينبغي ان تكون الضريبة المفروضة عليها معتدلة جداً ، وبقدر طاقتها فقط ، دون ان تتجاوزها .

ان الحزب يلحّ على تخفيف استيفاء الضريبة الاستثنائية من الفلاحين المتوسطين من كل بد ، حتى ولو اسفر هذا عن تخفيض مبلغ الضريبة الاجمالي .

٧– يجب على الدولة الاشتراكية ان تقدّم للفلاحين واسع المساعدة على ان تتلخص ، اساساً ، في تزويد الفلاحين المتوسطين

بمنتجات صناعة المدينة ولا سيما بالادوات الزراعية المتقنة ، والبذار ، وشتى انواع المواد ، بغية رفع مستوى الزراعة وتأمين عملهم ومعيشتهم .

واذا كان الخراب الحالي لا يتيح تحقيق هذه التدابير فوراً وعلى اكمل وجه ، فانه يترتب على السلطات السوفييتية المحلية ان تبحث عن مختلف السبل والوسائل لكي تقدّم للفلاحين الفقراء والمتوسطين شتى المساعدات الفعلية قصد اغاثتهم في هذه الفترة العصيبة . ويعتبر الحزب من الضروري ان تخصص الدولة لهذا الغرض مبلغاً كبيراً .

٨- ينبغي السعي بخاصة لكي يطبق فعلاً وكلياً قانون السلطة السوفييتية الذي يفرض على مزارع الدولة ، وعلى الكومونات الزراعية وغيرها من الجمعيات المماثلة ، ان تقدم فوراً مساعدة متعددة الوجوه للفلاحين المتوسطين في جوارها . فقط على اساس مثل هذه المساعدة الفعلية يمكن التوصل الى التفاهم مع الفلاحين المتوسطين . وعلى هذا النحو فقط يمكن ويجب كسب ثقتهم .

ان المؤتمر يلفت انتباه جميع المناضلين الحزبيين الى ضرورة التطبيق الفوري والفعلي لجميع الاحكام الواردة في فصل الزراعة من برنامج الحزب ، وهي :

أ- تحسين نظام انتفاع الفلاحين بالارض (ازالة تناثر قطع الاراضي ، الغاء قطع الاراضي الضيقة ، الخ .) ؛ ب- تزويد الفلاحين بالبذار المجودة والاسمدة الكيماوية ؛ ج- تحسين جنس الماشية التي يملكون ؛ د- نشر المعارف الزراعية الهندسية ؛ هـ- تقديم العون الهندسي الزراعي للفلاحين ؛ و- اصلاح العتاد الزراعي الذي يملكه الفلاحون في مشاغل التصليح التابعة للدولة ؛ ز- تنظيم محطات للتأجير ، ومحطات للتجارب ، وحقول نموذجية ، الخ . ؛ ح- استصلاح اراضي الفلاحين .

٩- ان اتحادات الفلاحين التعاونيـة ، المعدة لرفع الانتاج الزراعى ، ولا سيما لمعالجة المنتجات الزراعية ، وتجويد اراضي الفلاحين والمساهمة في تطوير الصناعة الحرفيـة ، الخ . ، ينبغي ان تجد لدى الدولة مساعدة واسعة ، ماليـة كانت ام تنظيمية .

١٠- ان المؤتمر يذكّر بأن قرارات المؤتمر ومراسيـم السلطة السوفييتية لم تنحرف قط عن الخط الرامي الى التفاهم مع الفلاحين المتوسطين . مثلاً ، بصدد المسألة الاهم ، ونعني بها بناء السلطة السوفييتية في الريف ، عندما انشئت لجان الفلاحين الفقراء ، صدر تعميم ، وقّعه رئيس مجلس مفوّضي الشعب ومفوض الشعب للتموين ، وقد نص هذا التعميم على ضرورة ادخال ممثلي الفلاحين المتوسطين ايضاً في لجان الفلاحين الفقراء . وعندما ألغيت لجان الفلاحين الفقراء أكد مؤتمر سوفييتات عامة روسيا من جديد ضرورة ادخال ممثلي الفلاحين المتوسطين في سوفييتات النواحي . وينبغي لسياسة حكومة العمال والفلاحين والحزب الشيوعي ان تستمـر في الاستيحاء من نفس روح التفاهم بين البروليتاريا والفلاحين الفقراء وبين الفلاحين المتوسطين .

صدر في ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٩ في جريدة «ازفيستيا فتسيك» ، العدد ٦٦

المجلد ٣٨ ، ص ص ٢٠٧-٢١٠

الامية الثالثة ومكانها في التاريخ

ان امبرياليي بلدان الوفاق يضربون الحصار حول روسيا ، ساعين الى عزل الجمهورية السوفييتية عن العالم الرأسمالي بوصفها بؤرة للعدوى . وهؤلاء الناس الذين يتباهون «بديموقراطيـة» مؤسساتهم انما أعماهم حقدهم على الجمهورية السوفييتية الى حدّ انهم لا يلاحظون انهم جعلوا من أنفسهم مدعاة للسخرية . تصوّروا فقط : ان البلدان الأكثر تقدماً وتمدناً و«ديموقراطية» ، المدججة بالسلاح تدجيجاً ، والتي تسيطر من الناحية العسكرية بلا منازع على العالم بأسره ، تخاف ، خوفها من النار ، عدوى **الافكار** الآتية من بلد خرب ، جائـع ، متأخر ، بل نصـف متوحش ، على حد زعم هذه البلدان !

ان هذا التناقض وحده يفتح عيون الجماهير الكادحة في جميع البلدان ويساعد على كشف القناع عن رياء الامبرياليين كليمانسو ، ولويد جورج ، وويلسون وحكوماتهم .

ولكن ما يساعدنا ، ليس فقط عماوة الرأسماليين الناجمـة عن حقدهم على السوفييت ، بل ايضاً تخاصمهم فيمـا بينهم ، اذ يدفعهم الى تدبير المكائد بعضهم لبعض . فقد حاكوا فيما بينهم

مؤامرة صمت حقيقية غرضها منع اشد ما يخشونه ، اي انتشار الانباء الصحيحة عن الجمهورية السوفييتية بعامة ووثائقها الرسمية بخاصة. غير ان جريدة «الوقت» (”Le Temps“) ، لسان حال البرجوازية الفرنسية المركزي ، نشرت نبأ تأسيس الأممية الثالثة ، الأممية الشيوعية ، في موسكو .

واننا لنوجه للسان حال البرجوازية الفرنسية المركزي ، لحامل لواء الشوفينية الفرنسية والامبريالية الفرنسية ، فائق شكرنا . ونحن مستعدون لان نوجه لجريدة «الوقت» رسالة تهنئة اعراباً منا عن امتناننا لما تبدي لنا من عون موفق وحاذق .

فمن الطريقة التي صاغت بها جريدة «الوقت» نبأها المبني على اذاعاتنا ، تتبين بكل جلاء الدوافع التي ألهمت هذا الناطق بلسان كيس النقود . لقد شاءت «الوقت» ان تقرص ويلسون ، ان تلسعه ، وكأنها تقول : هؤلاء هم الذين تتفاوضون معهم ! ان الحكماء الذين يكتبون بناء على طلب كيس النقود لا يلحظون ان تخويفهم لويلسون ببعبع البلاشفة يتحول ، في عيون الجماهير الكادحة ، الى دعاية للبلاشفة . ومرة اخرى ، نعرب عن فائق شكرنا وامتناننا للسان حال أصحاب الملايين الفرنسيين !

ان تأسيس الأممية الثالثة قد جرى في وضع عالمي لا يمكن فيه لأي منع ، او اية مناورة ممجوجة وهزيلة من جانب امبرياليي الوفاق او من جانب خدم الرأسمالية ، أمثال شيدمان في ألمانيا ورينر في النمسا ، ان يحولا دون انتشار النبأ عن هذه الاممية بين صفوف الطبقة العاملة في العالم بأسره والتعاطف معها . وان هذا الوضع ناجم عن الثورة البروليتارية التي تنمو في كل مكان بشكل بيّن ، لا يوماً فيوماً ، بل ساعة فساعة . انه ناجم عن حركة الجماهير الكادحة **في سبيل السوفييت** ، هذه الحركة التي اشتدت الى حد انها غدت **عالمية** حقاً .

ان الاممية الاولى (١٨٦٤-١٨٧٢) كانت قد ارست أسس تنظيم العمال على نطاق عالمي بغية تحضير هجومهم الثوري على الرأسمال . وكانت الأممية الثانية (١٨٨٩-١٩١٤) منظمة عالمية للحركة البروليتارية تنامت **افقياً** ، الأمر الذي أدى الى هبوط موقت في المستوى الثوري ، الى اشتداد موقت في الانتهازية ، مما ادى في آخر المطاف الى افلاس هذه الأممية افلاساً مخزياً .

لقد نشأت الاممية الثالثة فعلاً عام ١٩١٨ ، عندما اسفرت عملية النضال خلال سنوات طويلة ضد الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية ، ولا سيما خلال الحرب ، عن نشوء أحزاب شيوعية في عدة أمم . وتأسست الأممية الثالثة ، رسمياً ، في مؤتمرها الاول ، المنعقد في موسكو في آذار (مارس) ١٩١٩ . وان الميزة البارزة لهذه الأممية ، ان رسالتها ، المتلخصة في تطبيق تعاليم الماركسية وتحقيق المثل العليا العريقة ، مثل الاشتراكية والحركة العمالية ، -ان هذه الميزة البارزة الملازمة للأممية الثالثة قد تجلت منذ الوهلة الاولى في كون «جمعية الشغيلة العالمية» الجديدة ، الثالثة ، اخذت **تتطابق منذ الآن** ، الى حد معين ، مع **اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية** .

فالاممية الاولى ارست اسس النضال البروليتاري ، العالمي ، في سبيل الاشتراكية .

والأممية الثانية سجلت مرحلة تمهيد السبيل من أجل انتشار الحركة في عدة البلدان على نطاق واسع ، جماهيري .

والأممية الثالثة ورثت ثمار نشاطات الأممية الثانية ، وبترت دنسها البرجوازي والبرجوازي الصغير ، الانتهازي والاشتراكي-الشوفيني ، **وأخذت تحقق** ديكتاتورية البروليتاريا .

ان الاتحاد العالمي للأحزاب التي تقود الحركة الأكثر ثورية في العالم ، حركة البروليتاريا في سبيل خلع نير الرأسمال ، يحوز

الآن قاعدة راسخة مكينة بشكل لا سابق له ، ونعني بها عدة **جمهوريات سوفييتية** تجسّد على النطاق العالمي ديكتاتورية البروليتاريا وانتصارها على الرأسمالية .

ان الأهمية التاريخية العالمية للاممية الثالثة ، الأممية الشيوعية ، تعود الى كونها بدأت بتطبيق أعظم شعار لماركس ، الشعار الذي استخلص رصيد تطور الاشتراكية والحركة العمالية خلال قرن ، الشعار الذي يعبر عنه المفهوم التالي : ديكتاتورية البروليتاريا .

ان هذه النبوءة العبقرية ، هذه النظرية العبقرية تصبح أمراً واقعاً .

ان هاتين الكلمتين اللاتينيتين قد ترجمتا اليوم الى جميع اللغات الشعبية في اوروبا المعاصرة ، بل الى جميع لغات العالم .

ان عهداً جديداً قد انفتح في تاريخ العالم .

ان الانسانية تخلع عن نفسها آخر شكل من اشكال العبودية : العبودية الرأسمالية او المأجورة .

وبتحررها من العبودية ، تنتقل الانسانية لاول مرة الى الحرية الحقيقية .

كيف حدث ان كان أول بلد حقق ديكتاتورية البروليتاريا وأسس جمهورية سوفييتية ، بلداً من أشد بلدان اوروبا تأخراً ؟ اننا قد لا نخطئ اذا قلنا ان هذا التناقض بالضبط بين تأخر روسيا و«القفزة» التي قامت بها ، من فوق الديموقراطية البرجوازية ، نحو الشكل الأعلى للديموقراطية ، نحو الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية ، ان هذا التناقض بالضبط قد كان سبباً (بالاضافة الى العادات الانتهازية والاوهام التافهة الضيقة الافق التي كان يرزح تحتها معظم الزعماء الاشتراكيين) من الاسباب التي صعّبت بشكل خاص او أخرت فى الغرب فهم دور السوفييتات .

ان جماهير العمال في العالم اجمع قد أدركت بالغريزة أهمية السوفييتات بوصفها سلاحاً للنضال بيد البروليتاريا وبوصفها شكلاً للدولة البروليتارية . ولكن «الزعماء» الذين أفسدتهم الانتهازية قد تابعوا وما يزالون يتابعون تقديس الديموقراطية البرجوازية ويسمّونها «الديموقراطية» بوجه عام .

فهل ثمة ما يدعو الى الدهشة اذا كان تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا قد بيّن قبل كل شيء هذا «التناقض» بين تأخر روسيا وبين «القفزة» التي قامت بها **من فوق** الديموقراطية البرجوازية ؟ بل انه لكان من المدهش لو ان التاريخ اتحفنا بشكل **جديد** من الديموقراطية **دون** حدوث جملة من التناقضات .

لا ريب ان كل ماركسي ، بل كل انسان مطلع على العلم المعاصر ، بوجه عام ، سيجيب بالنفي ، اذا ما طرح عليه السؤال التالي : «هل من الممكن ان يتم انتقال شتى البلدان الرأسمالية الى ديكتاتورية البروليتاريا بصورة متساوية او بصورة متناسقة ومتناسبة ؟» . فلم توجد قط ولم يكن بالامكان ان يوجد في العالم الرأسمالي لا مساواة في التطور ، ولا تناسق ، ولا تناسب . فكل بلد طوّر بأبرز شكل هذا الجانب او ذاك ، هذه الميزة او تلك ، هذه المجموعة او تلك من خصائص الرأسمالية والحركة العمالية . وجرى التطور بشكل متفاوت .

فحين كانت فرنسا تقوم بثورتها البرجوازية الكبرى وتوقظ كل القارة الاوروبية على حياة جديدة من الناحية التاريخية ، وقفت بريطانيا ، التي كانت متطورة أكثر بكثير من فرنسا من الناحية الرأسمالية ، على رأس ائتلاف معاد للثورة . ولكن الحركة العمالية البريطانية في تلك المرحلة كانت تحمل في طياتها ، بصورة عبقرية ، كثيراً من جوانب الماركسية المقبلة .

وعندما اعطت بريطانيا العالم اول حركة ثورية بروليتارية

واسعة ، جماهيرية فعلاً ، ومتبلورة سياسياً ، هي الشارتية ، لم يكن يجري ، في معظم الاحيان ، في القارة الاوروبية ، غير ثورات برجوازية ضعيفة ؛ وانفجرت في فرنسا اول حرب اهلية عظيمة بين البروليتاريا والبرجوازية . وتغلبت البرجوازية على شتى فصائل البروليتاريا في مختلف الاوطان ، على انفراد وبطرق مختلفة باختلاف البلدان .

واصبحت بريطانيا نموذجاً عن بلد خلقت البرجوازية فيه ، على حدّ قول انجلس ، الى جانب اريستقراطية متبرجزة ، الفئة العليا من البروليتاريا الأكثر برجزة (١٢٣) . وهكذا اصبح البلد الرأسمالي المتقدم متأخراً عشرات من السنين من حيث النضال الثوري البروليتاري . وبدت فرنسا وكأنها استنزفت قوى بروليتارياها في انتفاضتين بطوليتين – أعطتنا كثيراً جداً من حيث التاريخ العالمي – قامت بهما الطبقة العاملة ضد البرجوازية فى ١٨٤٨ و ١٨٧١ . ثم انتقلت الزعامة في أممية الحركة العمالية العالمية الى المانيا ، منذ سبعينيات القرن التاسع عشر ، عندما كانت المانيا متأخرة اقتصادياً عن بريطانيا وفرنسا . ولكن عندما سبقت المانيا هذين البلدين اقتصادياً ، اي نحو العقد الثاني من القرن العشرين ، تبين ان الحزب العمالي الماركسي الالماني ، الحزب النموذجي آنذاك بنظر العالم كله ، قد اصبح تحت قيادة حفنة من الاوباش العريقين ، من اقذر الحثالات المباعة للرأسماليين ، ابتداء من شيدمان ونوسكه حتى دافيد وليغين ، اشنع الجلادين المتحدرين من العمال والمنتقلين الى خدمة المَلَكية والبرجوازية المعادية للثورة .

ان التاريخ العالمي يسير بصورة لا مرد لها نحو ديكتاتورية البروليتاريا ، ولكنه لا يسير نحوها بطرق سهلة ، بسيطة ، مستقيمة .

حين كان كارل كاوتسكي ما يزال ماركسياً ، اي قبل ان

يصبح مرتداً عن الماركسية بوصفه مناضلاً في سبيل الوحدة مع شيدمان واضرابه وفي سبيل الديموقراطية البرجوازية ضد الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية ، كتب في مطلع القرن العشرين مقالاً عنوانه : «السلاف والثورة» . وفي هذا المقال ، عرض كاوتسكي الاحوال التاريخية التي كانت توفر امكانية انتقال الزعامة في الحركة الثورية العالمية الى السلاف .

وهذا ما حدث فعلاً . فلفترة من الزمن – فترة قصيرة ، بالطبع – انتقلت الزعامة في الأممية البروليتارية الثورية الى الروس ، مثلما كانت في شتى مراحل القرن التاسع عشر فى أيدي الانجليز ، ثم الفرنسيين ، ثم الالمان .

وقد سبق ان كررت مراراً ما يلي : بالقياس الى البلدان المتقدمة ، كان من الأسهل على الروس أن **يبدأوا** بالثورة البروليتارية الكبرى ، غير انه سيكون من الأصعب عليهم **مواصلتها** والسير بها حتى الانتصار النهائي ، بمعنى تنظيم المجتمع الاشتراكي تنظيماً تاماً .

لقد كان من الأسهل علينا ان نبدأ ، اولاً لأن تأخر الملكية القيصرية السياسي غير العادي – بالنسبة لاوروبا القرن العشرين – كان قد اسفر عن قوة لا نظير لها في ضغط الجماهير الثوري . ثانياً ، كان تأخر روسيا قد جمع بصورة أصيلة بين الثورة البروليتارية ضد البرجوازية وبين الثورة الفلاحية ضد الملاكين العقاريين . من هنا بدأنا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ؛ ولو اننا سلكنا غير هذا السبيل لما كنا انتصرنا بمثل هذه السهولة . في ١٨٥٦ ، اشار ماركس ، في حديثه عن بروسيا ، الى امكانية اقتران الثورة البروليتارية ، بصورة أصيلة ، مع حرب الفلاحين (١٢٤) . ومنذ مطلع ١٩٠٥ ، دافع البلاشفة عن فكرة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية الثورية . ثالثاً ،

لقد كان لثورة ١٩٠٥ شأن هائل فيما يتعلق بتثقيف جماهير العمال والفلاحين سياسياً ، سواء من حيث تعريف طليعتهم على آخر ما توصلت اليه الاشتراكية في الغرب ، ام من حيث **عمل** الجماهير الثوري . ولولا هذا «التمرين العام» في ١٩٠٥ ، لما كان من الممكن ان تقوم ثورتا ١٩١٧ ، الثورة البرجوازية في شباط (فبراير) ، والثورة البروليتارية في تشرين الاول (اكتوبر) . رابعاً ، ان وضع روسيا الجغرافي قد مكنها من الصمود ، مدة اطول بالمقارنة مع البلدان الأخرى ، في وجه تفوق البلدان الرأسمالية المتقدمة العسكري . خامساً ، ان موقف البروليتاريا غير المألوف من الفلاحين قد سهل الانتقال من الثورة البرجوازية الى الثورة الاشتراكية ، وسهل تأثير بروليتاريي المدن على فئات اشباه البروليتاريين والفقراء في الأرياف . سادساً ، ان المدرسة المديدة من النضال بواسطة الاضرابات وتجربة الحركة العمالية الجماهيرية في اوروبا قد سهلتا ، في ظل الوضع الثوري العميق والمتفاقم بسرعة ، ظهور شكل فريد من التنظيم الثوري البروليتاري ، كما هي عليه **السوفييتات** .

ومن المؤكد ان هذا التعداد ليس بكامل . غير انه من المستطاع التوقف الآن عند هذا الحدّ .

ان الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية قد ولدت في روسيا . وقد تمت ، بالمقارنة مع كومونة باريس ، خطوة ثانية ذات أهمية تاريخية عالمية . فان الجمهورية السوفييتية البروليتارية-الفلاحية قد اصبحت اول جمهورية اشتراكية مستقرة في العالم . ولا يمكن لها بعد الآن ان تموت وتزول بوصفها **نموذجاً جديداً للدولة** . وهي ليست وحيدة اليوم .

ان مواصلة عمل البناء الاشتراكي والسير به الى النهاية يتطلبان الكثير والكثير . فان الجمهوريات السوفييتية في البلدان

الأكثر حضارة ، حيث تتمتع البروليتاريا بوزن أكبر ونفوذ أوسع ، تتوفر لها كل الامكانيات لتجاوز روسيا ، ما ان تسير في طريق ديكتاتورية البروليتاريا .

ان الأممية الثانية التي منيت بالافلاس تحتضر وتهترئ . فهي تقوم ، فعلاً ، بدور خادمة للبرجوازية العالمية . انها لأممية صفراء حقاً . وأكبر زعمائها الفكريين ، من امثال كاوتسكي ، يطرون الديموقراطية **البرجوازية** التي ينعتونها «بالديموقراطية» بوجه عام ، او – وذلك ما هو أشد سخافة وفظاظة – «بالديموقراطية الخالصة» .

لقد ولى زمن الديموقراطية البرجوازية ، شأنها شأن الأممية الثانية التي قامت بعمل ضروري تاريخياً ومفيد في مرحلة كان المطلوب فيها تحضير الجماهير العمالية في نطاق هذه الديموقراطية البرجوازية .

ان الجمهورية البرجوازية الأكثر ديموقراطية لم تكن قط ولم يكن بوسعها ان تكون سوى آلة لقمع الشغيلة من قبل الرأسمال ، واداة لسلطة الرأسمال السياسية ، وديكتاتورية للبرجوازية . ان الجمهورية البرجوازية الديموقراطية قد وعدت الأغلبية بالسلطة ونادت بها ، ولكنها لم تستطع قط البر بوعدها طالما كانت الملكية الخاصة للأرض وسائر وسائل الانتاج قائمة .

ان «الحرية» في الجمهورية الديموقراطية البرجوازية لم تكن بالفعل سوى حرية **للاغنياء** . وكان في مستطاع البروليتاريين والفلاحين الكادحين ، وكان ينبغي عليهم ، ان يستغلوا هذه الحرية بغية تحضير قواهم لأجل اسقاط الرأسمال ، لأجل التغلب على الديموقراطية البرجوازية ؛ ولكن الجماهير الكادحة لم تستطع ، كقاعدة عامة ، ان تستفيد **فعلياً** من الديموقراطية في ظل الرأسمالية .

فلأول مرة في العالم ، خلقت الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية ، **ديموقراطية** للجماهير ، للشغيلة ، للعمال وصغار الفلاحين .

فلم يسبق قط في تاريخ العالم ان قامت سلطة دولة تمارسها **اغلبية** السكان ، سلطة **فعلية** لهذه الاغلبية ، كالسلطة السوفييتية .

ان السلطة السوفييتية هذه تقمع «حرية» المستثمِرين واعوانهم ؛ انها تنتزع منهم «حرية» الاستثمار ، «حرية» الاثراء من مجاعة الآخرين ، «حرية» الكفاح في سبيل اعادة سلطة الرأسمال ، «حرية» التحالف مع البرجوازية الاجنبية ضد عمال البلاد وفلاحيها .

لندع كاوتسكي وامثاله يدافعون عن هذه الحرية . فان من يدافع عنها ، لا بد ان يكون مرتداً عن الماركسية ، مرتداً عن الاشتراكية .

ان افلاس زعماء الأممية الثانية الفكريين ، مثل هيلفردينغ وكاوتسكي ، لم يتجل فى شيء اوضح مما تجلى في عجزهم المطلق عن فهم معنى الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية ، وصلتها بكومونة باريس ، ومكانها في التاريخ ، وضرورتها كشكل لديكتاتورية البروليتاريا .

في ١١ شباط (فبراير) ١٩١٩ ، نشرت جريدة «الحرية» ("Die Freiheit") ، لسان حال الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية «المستقلة» (اقرأ : الضيقة الافق ، المبتذلة ، البرجوازية الصغيرة) في عددها رقم ٧٤ ، نداء : «الى البروليتاريا الثورية الالمانية» .

وقد وقّعت على هذا النداء قيادة الحزب وكل كتلته في «الجمعية الوطنية» ، «الجمعية التأسيسية» الالمانية .

وهذا النداء يتهم شيدمان وامثاله بانهم يريدون ازالة **السوفييتات** ويقترح - لا تضحكوا ! - **توحيد** السوفييتات مع الجمعية التأسيسية ، ومنح السوفييتات بعض الحقوق على صعيد الدولة ، ومكاناً معيناً في الدستور .

التوفيق ، التوحيد بين ديكتاتورية البرجوازية وبين ديكتاتورية

البروليتاريا ! ليس ثمة ما هو أبسط ! وانها لفكرة عبقرية جديرة بالتافهين الضيقي الافق !

غير انه من المؤسف ان تكون هذه الفكرة قد اختبرها في روسيا ، في عهد كيرنسكي ، المناشفة والاشتراكيون-الثوريون المتحدون معهم ، هؤلاء الديموقراطيون البرجوازيون الصغار الذين يدّعون بأنهم اشتراكيون .

ان من لم يفهم ، وهو يطالع ماركس ، انه لا يمكن ان تقوم في المجتمع الرأسمالي ، لدن كل ظرف خطير ، لدن كل صدام جدّي بين الطبقات ، سوى ديكتاتورية واحدة - اما ديكتاتورية البرجوازية واما ديكتاتورية البروليتاريا ، لم يفهم شيئاً لا من مذهب ماركس الاقتصادي ولا من مذهبه السياسي .

ولكن فكرة هيلفردينغ وكاوتسكي وشركائهما العبقرية التافهة الضيقة الأفق حول الجمع السلمي بين الديكتاتورية البرجوازية والديكتاتورية البروليتارية تتطلب منا ان نفرد لها بحثاً خاصاً ، اذا شئنا الالمام بكل السخافات الاقتصادية والسياسية المكدّسة في هذا النداء ، الرائع للغاية ، المضحك للغاية ، الصادر في ١١ شباط (فبراير) . بيد انه ينبغي لنا ان نؤجل ذلك الى مقال آخر * .

موسكو ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٩ .

صدر في ايار (مايو) ١٩١٩ في مجلة «كومونيستيتشيسكي انترناسيونال» («الاممية الشيوعية») ، العدد الاول

المجلد ٣٨ ، ص ص ٣٠١-٣٠٩

* راجعوا : لينين «ابطال اممية برن» . المحرر .

خطاب حول خداع الشعب
بشعاري الحرية والمساواة
(١٩ ايار – مايو)
في المؤتمر الاول لعامة روسيا
للتعليم غير المدرسي
٦ – ١٩ ايار ١٩١٩

ايها الرفاق ، عوضاً عن تقييم الظرف الراهن الذي توقعه البعض منكم اليوم ، على ما يبدو ، اسمحوا لي بان اجيب عن أهم المسائل السياسية – لا النظرية وحدها بالطبع ، بل ايضاً العملية ، – التي تواجهنا الآن والتى تميز كل مرحلة الثورة السوفييتية والتي تستثير ، اكثر ما تستثير ، المجادلات ، والحملات من جانب اولئك الذين يعتبرون انفسهم اشتراكيين ، وسوء الفهم من جانب اولئك الذين يعتبرون انفسهم ديموقراطيين وينشرون بسرور خاص وسعة خاصة الاتهامات ضدنا بانتهاكنا للديموقراطية . ويخيل اليّ ان هذه المسائل السياسية العامة ترد احيانا كثيرة اكثر من اللزوم ، وحتى على الدوام في عموم الدعاية الراهنة ، وفي عموم التحريض الراهن ، وفي جميع المطبوعات المعادية للبلشفية ، – هذا ، بالطبع ، اذا كانت هذه المطبوعات ترتفع ، وان قليلاً جداً ، فوق مستوى الكذب السافر ، والافتراء ، والشتيمة ، فوق هذا الطابع الذي تتسم به في جميع المطبوعات البرجوازية . واذا اخذنا المطبوعات ، المرتفعة فوق هذا وان قليلاً جداً ، فاني اعتقد ان المسائل الاساسية المتعلقة بالعلاقة بين الديموقراطية

والديكتاتورية ، بمهمات الطبقة الثورية في المرحلة الثورية ، بمهمات الانتقال الى الاشتراكية على العموم ، بالعلاقات بين الطبقة العاملة والفلاحين ، اني اعتقد ان هذه المسائل تشكل الاساس الجوهري الأهم لجميع المناقشات السياسية المعاصرة ، وان توضيحها ، — وان كان يبدو لكم احياناً ، على الارجح ، بعيداً نوعاً عن موضوع الساعة المباشر ، — ان توضيحها ، كما اعتقد ، انما يجب ان يشكل مع ذلك مهمتنا الرئيسية العامة . ويقيناً اني لا استطيع في اي حال من الاحوال في تقرير موجز ان ادّعي بتناول جميع هذه المسائل . فاخترت بعضها وعن بعض هذه المسائل اريد ان احكي .

١

ان المسألة الاولى بين المسائل التي اخترتها ، هي مسألة المصاعب التي تواجه كل ثورة ، كل انتقال الى نظام جديد . واذا امعنتم النظر في تلك الحملات التي تنهال على البلاشفة من جانب اولئك الذين يعتبرون انفسهم اشتراكيين وديموقراطيين ، — وكنموذج عن هؤلاء الناس استطيع ان آخذ اعضاء الفرقتين الادبيتين في «دائماً الى الامام !» و«قضية الشعب» (١٢٥) ، — وهما جريدتان تم اغلاقهما ، باعتقادي ، عن كامل الحق والصواب وفي مصلحة الثورة ، جريدتان يلجأ ممثلوهما في حملاتهم ، التي تتسم بطابع مفرط في العفوية من جانب صحف تعترف سلطتنا بانها معادية للثورة ، يلجأون ، اكثر ما يلجأون ، الى النقد النظري ، — اذا امعنتم النظر في هذه الحملات التي تنهال على البلاشفة من هذا المعسكر ، لرأيتم انه يرد في اغلب الاحيان بين الاتهامات الاتهام التالي : «ايها الشغيلة ، لقد وعدكم البلاشفة بالخبز والسلام والحرية ؛ ولكنهم لم يعطوا لا الخبز ولا السلام ولا الحرية ، وقد خدعوكم وخدعوكم بتراجعهم عن الديموقراطية» . بصدد التراجع عن الديموقراطية ، سيكون لي حديث خاص . اما الآن ،

فآخذ جانباً آخر في هذا الاتهام : «لقد وعد البلاشفة بالخبز والسلام والحرية ، ولكن البلاشفة اعطوا بالفعل مواصلة الحرب ، اعطوا نضالاً ضارياً للغاية وعنيداً للغاية ، اعطوا حرب جميـــع الامبرياليين ، وجميع الرأسماليين في جميع بلدان الوفاق ، اي في جميع البلدان الاوفر حضارة والاكثر تقدماً ضد روسيا المعذبة ، الممزقـــة ، المتأخرة ، التعبة» . وهذه الاتهامات – واكرر قولي – ترونها في كل من الجريدتين المذكورتين وتسمعونها في كل حديث لمثقف برجوازي يتوهم بالطبع انه ليس برجوازياً ، – وانتم تسمعون هذا على الدوام في كل حديث لبرجوازي صغير ، ضيق الافق . ولهذا ادعوكـم الى امعان الفكر في هذا الضرب من الاتهامات .

اجل ، ان البلاشفة قد اقدموا على الثورة ضد البرجوازية ، على اسقاط الحكومة البرجوازية بالعنف ، على القطيعة مع جميـــع العادات والوعود والوصايا التقليدية الملازمـــة للديموقراطيـــة البرجوازية ، على نضال وحرب في منتهى الاستماتة والعنف من اجل قمع الطبقات المالكة ، – اقدموا على هذا لكي ينتزعوا روسيا ، ثم البشرية جمعاء من المجزرة الامبريالية ويضعوا حداً لجميع الحروب . اجل ، لقد اقدم البلاشفة على الثورة في سبيل هذا ، ومن المؤكد انهم لم يفكروا يوماً بالتنكر لمهمتهم هذه الاساسية ، الرئيسية . ولا ريب كذلك في ان المحاولات للخروج من هذه المجزرة الامبرياليـــة ، ولتحطيم سيادة البرجوازية ، في ان هذه المحاولات قد استتبعت زحف جميع الدول المتمدنة على روسيا . لأن ذلك هو البرنامـــج السياسي لفرنسا وانجلترا واميركا ، مهما اكدت انها تمتنع عـــن التدخل . ومهما اكد لويـــد جورج وويلسون وكليمانصو واضرابهم على هذا ، مهما اكدوا انهم يمتنعون عن التدخل ، فاننا نعرف جميعاً ان هذا كذب . نحن نعرف ان سفن الحلفاء الحربيـــة التي غادرت اوديسا وسيباستوبول واضطرت الى مغادرتهما تحاصر سواحل البحر

الاسود ، وحتى تطلق النار في جوار كيرتش على ذلك القسم من شبه جزيرة القرم الذي اقام فيه المتطوعون . انهم يقولون : «نحن لا يسعنا ان نعطيكم هذا . وحتى اذا لم يتغلب عليكم المتطوعون ، فانه لا يسعنا ان نسلمكم هذا القسم من شبه جزيرة القرم ، لأنكم ستصبحون اسياداً على بحر آزوف وتقطعون علينا الطريق الى دينيكين ، وتحولون دوننا ودون تزويد اصدقائنا» . او يتسع الهجوم على بتروغراد : امس جرت معركة بين نسافة لنا واربع نسافات للعدو . اوليس من الواضح ، يا ترى ، ان هذا تدخل ، ألا يشترك الاسطول الانجليزي هنا ، يا ترى ؟ ألا يحدث الشيء نفسه ، يا ترى ، في ارخانغلسك وفي سيبيريا ؟ اليكم الواقع : ان العالم المتمدن كله يزحف الآن على روسيا .

واننا لنتساءل : أناقضنا انفسنا بانفسنا حين دعونا الشغيلة الى الثورة ووعدناهم بالسلام ، ولكننا اوصلناهم الى زحف العالم المتمدن كله على روسيا الضعيفة ، التعبة ، المتأخرة ، المحطَّمة ، ام وقع في تناقض مع ابسط مفاهيم الديموقراطية والاشتراكية اولئك الذين تكفيهم الوقاحة لتوجيه مثل هذا اللوم الينا ؟ هذا هو السؤال . ولكي اصوغ هذا السؤال في صيغة نظرية ، عامة ، اسوق مقارنة . نحن نتحدث عن الطبقة الثورية ، عن سياسة الشعب الثورية ، واقترح عليكم اخذ ثوري بعينه . لنأخذ مثلاً تشيرنيشيفسكي ، ولنقيّم نشاطه . كيف يمكن ان يقيمه انسان جاهل وامي تماماً ؟ انه سيقول على الأرجح : «لا بأس ، حطم هذا الرجل حياته ، ونفي الى سيبيريا ، ولم يبلغ شيئاً» . اليكم نموذجاً . اذا سمعنا مثل هذا الرأي من شخص لا نعرفه ، فاننا سنقول : «انه يصدر في افضل الاحوال عن شخص جاهل جهلاً مطبقاً ، غير مسؤول ، اغلب الظن ، عن كونه مخبلاً الى حد انه لا يستطيع ان يفهم اهمية نشاط ثوري بعينه على صلة بالسلسلة العامة للاحداث الثورية ؛ واما ان هذا الرأي يصدر

عن سافل ، عن نصير للرجعية ، يريد عن وعي ان يخيف الشغيلة من الثورة» . لقد اخذت مثال تشيرنيشيفسكي لأنه لا يمكن ان يقوم هنا ، من حيث الجوهر ، اي خلاف في تقييم هذا الثوري الفرد ، اياً كان الاتجاه الذي ينتسب اليه اولئك الذين يسمون انفسهم بالاشتراكيين . ان الجميع يوافقون على اننا اذا قيّمنا ثورياً بعينه من وجهة نظر ما تحمله من تضحيات ، غير نافعة ظاهرياً ، وعقيمة في غالب الاحيان ، تاركين جانباً مضمون نشاطه ، وعلاقة نشاطه بالثوريين السابقين واللاحقين ، — اذا قيّمنا على هذا النحو اهمية نشاطه ، فان هذا أما جهل وامية لا مخرج منهما ، واما دفاع خبيث ومنافق عن مصالح الرجعية ، عن الاضطهاد والاستثمار والظلم الطبقي . ولا يمكن ان تقوم الخلافات في هذا الصدد .

وادعوكم الآن الى الانتقال من ثوري بمفرده الى ثورة شعب بكامله ، بلد بكامله . فهل انكر احد من البلاشفة يوماً ، يا ترى ، انه لا يمكن للثورة ان تنتصر نهائياً الا متى شملت جميع او على الاقل بعضاً من اكبر البلدان المتقدمة شأناً ووزناً ؟ لقد قلنا هذا على الدوام . وهل زعمنا ، يا ترى ، ان الخروج من الحرب الامبريالية ممكن بمجرد غرز الحراب فى الارض ؟ اني آخذ قصداً وعمداً وعلى وجه الضبط ذلك التعبير الذي كنا نستعمله في عهد كيرنسكي على الدوام — انا شخصياً وجميع رفاقنا في القرارات وفى الخطابات وفي الجرائد . كنا نقول : لا يمكن انهاء الحرب بغرز الحراب في الارض ؛ واذا كان هناك تولستويون يفكرون على هذا النحو ، فلا بدّ من التأسف على اناس مخبولين — ولا بأس ، فمنهم لن تأخذ شيئاً .

لقد قلنا ان الخروج من هذه الحرب قد يعني حرباً ثورية . لقد قلنا هذا منذ عام ١٩١٥ ثم في عهد كيرنسكي . ويقيناً ان الحرب الثورية انما هي ايضاً حرب ، انما هي ايضاً شيء مرهق ودام ومؤلم . وحين تتحول الى ثورة على الصعيد العالمي ، فانها تستتبع

حتماً الرد على الصعيد العالمي ايضاً . ولهذا ، حين نجد انفسنا الآن في وضع تزحف فيه على روسيا جميع بلدان العالم المتمدنة ، يمكننا ان لا ندهش اذا ما وجه الينـا ، لقاء ذلك ، فلاحون جاهلون جهلاً مطبقاً تهمة النكث بوعودنا ، بل سنقول – لا يمكن اخذ شيء منهم . ان جهلهم المطبق ، واميتهم القصوى لا يسمحان باتهامهم . فكيف نطلب ، بالفعل ، من فلاح جاهل تمامـاً ان يفهم انه توجد حرب وحرب ، وانه توجد حروب عادلة وحروب غير عادلة ، حروب تقدمية وحروب رجعيـة ، حروب الطبقات الطليعيـة وحروب الطبقات المتأخرة ، حروب تسهم في توطيد الاضطهاد الطبقي وحروب تسهم في اسقاطه ؟ لهذا الغرض ، لا بدّ ان يكون المرء مطلعاً على النضال الطبقي ، على اسس الاشتراكيـة ، وعلى تاريخ الثورة بعض الشيء على الاقل . وبهذا لا يسعنا ان نطالب الفلاح الجاهل .

ولكن اذا راح شخص يقول عن نفسـه انـه ديموقراطي ، اشتراكي ، الى المنبر ليتكلم علناً ، بصرف النظر عمّا يقوله عن نفسه – انه منشفي ، او اشتراكي-ديموقراطي ، او اشتراكي-ثوري او اشتراكي حقيقي ، او نصير لاممية برن – وهناك كثرة من شتى الالقاب ، فالالقاب رخيصة ، – واذا وجه هذا الشخص الينا الاتهام التالي : «انتم وعدتم بالسلام ولكنكم اثرتـم الحرب !» – فبم نرد عليه ؟ هل يمكن الظن انه ذهب في الجهل ، كالفلاح الجاهل ، الى حد انه لا يستطيع ان يميز بين حرب وحرب ؟ هل يمكن التسليم بانه لا يفهم الفرق بين الحرب الامبريالية التي كانت حرباً لصوصية والتي تم فضحها الآن الى النهاية ، – فبعد صلح فرساي (١٢٦) ، – ولا يمكن ان لا يرى انها كانت حرباً لصوصية من كلا الجانبين غير الذين لا يستطيعون البتة ان يحاكموا ويفكروا او غير العميان تماماً ، – هل يمكن التسليم بانه يوجد وان شخص متعلم واحد لا يفهم الفرق بين تلك الحرب ، الحرب اللصوصية ، وبين حربنا التي تكتسب ابعاداً

عالمية لأن البرجوازية العالمية فهمت ان المعركة الفاصلة تدور رحاها ضدها ؟ نحن لا يسعنا التسليم بكل هذا . لهذا نقول : ان كل من يدعي بلقب الديموقراطي اوبلقب الاشتراكي من اي لون كان ويشيع في صفوف الشعب بهذا النحو او ذاك ، بصورة مباشرة ام بصورة غير مباشرة ، الاتهام الزاعم ان البلاشفة يمددون اجل الحرب الاهلية ، الحرب المرهقة ، الحرب المعذّبة ، في حين انهم كانوا قد وعدوا بالسلام ،- انما هو نصير للبرجوازية ، وسوف نرد عليه وسوف نقف احدنا ضد الآخر ، مثلما رددنا على كولتشاك ووقفنا ضده ،- هذا هو ردنا . هنا كنه القضية .

يعجب السادة من «ديلو نارودا» : «ولكننا نحن ضد كولتشاك ؛ فاي ظلم صارخ ان يطاردونا» .

من المؤسف جداً ، ايها السادة ، انكم لا تريدون التفكير والتحليل ولا تريدون ان تفهموا هذه الحقيقة البديهة السياسية البسيطة التي تنبع منها استنتاجات معينة . انتم تؤكدون انكم ضد كولتشاك . وانا آخذ جريدة «فسيغدا فبريود !» وجريدة «ديلو نارودا» ، آخذ جميع المحاكمات التافهة والضيقة الافق من هذا الطراز ، وهذه الامزجة التي هي كثيرة جداً في صفوف الانتلليجنسيا ، والتي تهيمن في صفوف الانتلليجنسيا . واني اقول : ان كل فرد منكم يشيع في صفوف الشعب اتهامات من هذا النوع ، انما هو كولتشاكي ، لأنه لا يفهم ذلك الفرق البدائي ، الاساسي المفهوم لكل امرئ متعلم ، القائم بين الحرب الامبريالية التي قضينا عليها ، وبين الحرب الاهلية التي جلبناها على انفسنا . ونحن لم نخف يوماً عن الشعب اننا نقدم على هذه المجازفة . ونحن نحشد جميع القوى لكي ننتصر في هذه الحرب الاهلية على البرجوازية وننسف من الجذور امكانية الاضطهاد الطبقي . كلا ، لم تقم ولا يمكن ان تقوم ثورة تكون مضمونة دون النضال المديد والمرهق ، ولربما

الحافل بافدح التضحيات . وان من لا يعرف كيف يميز التضحيات المبذولة في غمرة النضال الثوري ، من اجل انتصاره ، حين تكافح جميع الطبقات المالكة ، جميع الطبقات المعادية للثورة ضد الثورة ، ان من لا يعرف كيف يميز هذه التضحيات عن تضحيات الحرب الاستثمارية اللصوصية ، – انما هو ، اما ممثل للجهل المطبق ، ويجب القول عنه : يجب اجباره على تعلم الالفباء ، يجب فرض التعليم المدرسي الادنى عليه قبل التعليم خارج المدرسة ، – واما ممثل اشرس صنوف الرياء الكولتشاكي ، اياً كان الاسم الذي يتسمّى به ، واياً كانت الالقاب التي يتستر بها . والحال ان هذه الاتهامات الموجهة الى البلاشفة انما هي اتهامات عادية و«دارجة» ولا اكثر . وهذه الاتهامات مرتبطة بالفعل بالجماهير الكادحة الغفيرة ، لأنه من الصعب على الفلاح الجاهل ان يفهم هذا . وهو يتألم من الحرب في كل حال ، اياً كان الغرض من هذه الحرب . وانا لا ادهش حين اسمع في صفوف الفلاحين الجاهلين آراء من النوع التالي : «في سبيل القيصر حاربنا ، وفي سبيل المناشفة حاربنا كذلك ، والآن في سبيل البلاشفة سنحارب ايضاً» . ان هذا لا يدهشني . وبالفعل ، الحرب هي الحرب ، وهي تحمل معها التضحيات الشاقة بلا نهاية . «قال القيصر ان هذا من اجل الحرية والتحرر من الاضطهاد ، وقال المناشفة ان هذا من اجل الحرية والتحرر من الاضطهاد ، والآن يقول البلاشفة الشيء نفسه . الجميع يقولون ، فكيف يمكننا ان نتفهم الوضع !» .

وبالفعل ، كيف يمكن ، يا ترى ، للفلاح الجاهل ان يتفهم الوضع . فلا يزال يتعين على امرئ كهذا ان يتعلم المبادئ الاولية للسياسة . ولكن ما عسانا ان نقول عن امرئ يستخدم كلمات «الثورة» و«الديموقراطية» و«الاشتراكية» ، ويدّعي باستعمال هذه الكلمات مع فهمه لها . انه لا يستطيع ان يتلاعب بمثل هذه المفاهيم

اذا كان لا يريد ان يتحول الى محتال سياسي ، لأن الفرق بين الحرب التي يخوضها فريقان من النهابين والحرب التي تخوضها الطبقة المظلومة التي تثور على كل نهب وسلب ، انما هو فرق اولي ، جذري واساسي . ان المسألة لا تقوم في كون هذا الحزب او ذاك ، هذه الطبقة او تلك ، هذه الحكومة او تلك قد بررت الحرب ، بل تقوم فيما يلي : ما هو مضمون هذه الحرب ، ما هو مضمونها الطبقي ، اي طبقة تخوض الحرب ، اي سياسة تتحقق في الحرب .

٢

ومن مسألة تقييم هذه المرحلة الشاقة والصعبة التي نعيشها الآن والمقترنة بالثورة بصورة محتمة لا مناص منها ، انتقل الى مسألة سياسية اخرى غالباً ما تظهر هي ايضاً في جميع المناقشات وفي جميع مظاهر سوء الفهم ، — هي مسألة التكتل مع الامبرياليين ، مسألة التحالف ، مسألة الاتفاق مع الامبرياليين .

من المحتمل انكم رأيتم في الجرائد اسمي الاشتراكيين-الثوريين فولسكي ، — والثاني ، على ما يبدو — سفياتيتسكي اللذين كتبا فى الوقت الاخير في «ازفيستيا» ايضاً واللذين نشرا بياناً لهما ، واللذين يعتبران نفسيهما بالضبط اشتراكيين-ثوريين لا يمكن اتهامهما بالكولتشاكية : فعن كولتشاك ابتعدا ، وبسبب من كولتشاك تكبدا الاضرار ، وبالالتحاق بنا قدما لنا خدمة ضد كولتشاك . هذا صحيح . ولكن امعنوا الفكر فى محاكمات هذين المواطنين . امعنوا الفكر فى كيفية تقييمهما لمسألة التكتل مع الامبرياليين ، لمسألة التحالف او التوافق مع الامبرياليين . لقد تسنّى لي واطلعت على محاكماتهما عندما صادرت سلطتنا المناضلة ضد الثورة المضادة كتاباتهما ، وعندما تعين علينا الاطلاع على وثائقهما لكي نقيّم كما ينبغي علاقتهما بالكولتشاكية . لا شك انهما

احسن ممثلي زمرة الاشتراكيين-الثوريين ، فقد عثرت في كتاباتهما على محاكمة من الطراز التالي : «عفواً ، انهم ينتظرون منا الندامة ؛ ينتظرون منا ان نعلن ندامتنا . لن نندم يوماً ، ولن نندم على شيء ! وليس لنا ما نندم عليه ! يتهموننا باننا كنا في كتلة ، في توافق مع الوفاق ، مع الامبرياليين . ولكن انتم البلاشفة ، ألم تكونوا ، يا ترى ، فى اتفاق مع الامبرياليين الالمان ؟ وما هو صلح بريست ؟ اوليس صلح بريست ، ياترى ، اتفاقاً مع الامبريالية ؟ لقد اتفقتم مع الامبريالية الالمانية في بريست ، ونحن اتفقنا مع الامبريالية الفرنسية ، – فنحن تخالصنا ، وليس لنا ما نندم عليه !» .

هذه هي المحاكمة التي عثرت عليها فى كتابات الشخصين اللذين ذكرتهما ورفاقهم بالفكر والتي اعثر عليها حين اتذكر الجرائد التي سميتها ، وحين احاول ان استخلص رصيد الانطباعات من الاحاديث التافهة ، الضيقة الافق . وهذه المحاكمة تعثرون عليها دائما . وهي احدى المحاكمات السياسية الاساسية التي نواجهها . واني ادعوكم الى التوقف لتحليل هذه المحاكمة ، للتفكير النظري فيها . فما هو معناها ؟ أهم على حق اولئك الذين يقولون : «نحن الديموقراطيين ، الاشتراكيين ، كنا في كتلة مع الوفاق ، وانتم كنتم في كتلة مع غليوم ، وعقدتم صلح بريست ، ليس لنا ما نلوم عليه بعضنا بعضاً ؛ لقد تخالصنا ، أليس كذلك» ؟ ام نحن على حق حين نقول ان اولئك الذين اظهروا انفسهم ، لا بالاقوال بل بالافعال ، في توافق مع الوفاق ضد الثورة البلشفية ، انما هم كولتشاكيون . انهم كولتشاكيون من جذورهم الاساسية ، وبكل مضمون ومغزى محاكماتهم واعمالهم ، رغم انهم انكروا ذلك مائة الف مرة ، رغم انهم ابتعدوا شخصياً عن كولتشاك واعلنوا للشعب بأسره انهم ضد كولتشاك . فمن على حق ؟ هذه هي المسألة الاساسية في الثورة ، وفيها يجب التأمل .

ولايضاح هذه المسألة ، اسمح لنفسي باجراء مقارنة ، لا مع ثوري بمفرده هذه المرة ، بل مع تافه ضيق التفكير . تصور قطاع طرق يطوقون سيارتك ويقربون فوهة المسدس من صدغك . تصور انك ، بعد هذا ، تعطي قطاع الطرق النقود والسلاح وتوفر لهم فرصة الذهاب بهذه السيارة . فما في الامر ؟ لقد اعطيت قطاع الطرق السلاح والنقود . هذا واقع . وتصور الآن ان مواطنـاً آخر اعطى قطاع الطرق السلاح والنقود لكى يشترك في مغامرات قطاع الطرق هؤلاء ضد المواطنين الآمنين .

في الحالتين ، يوجد اتفاق . وليس من المهم اذا كان مكتوبـاً ام لا ، اذا كان تم بالقول ام لا . فمن الممكن ان نتصور ان يسلم المرء صامتاً مسدسه وسلاحه ونقوده . ان مضمون الاتفاق واضح . انه يقول لقطاع الطرق : «انا اعطيكم المسدس والسلاح والنقود ، وانتم تعطوني فرصة الابتعاد عن جواركم المستطـاب» **(ضحك)** ؛ الاتفاق صريح . ومن الممكن كذلك ان ينعقد اتفاق صامت اذا اعطى امرؤ قطاع الطرق السلاح والنقود لكي يتيح لهم نهب الآخرين ، ثم يحصل فيما بعد على حصة من الغنيمة . وهذا ايضاً اتفاق صامت .

واني اسألكم ما اذا كان يوجد امرؤ متعلم لا يستطيع ان يميز بين الاتفاقين . ستقولون : من المؤكد انه غبي ، اذا كان يوجد بالفعل امرؤ يعجز عن التمييز بين هذا الاتفاق وذاك ويقول : «انت اعطيت قطاع الطرق السلاح والنقود ، فلا تتهم احداً بقطع الطرق ؛ ومن اين لك الحق بعد هذا ان تتهم بقطع الطرق ؟» . اذا صادفتم متعلمـاً كهذا ، فانه سيتعين عليكم ان تعترفوا ، او ان ٩٩٩ شخصاً من اصل ١٠٠٠ سيعترفون على كل حال بانه مجنون وبانـه لا يمكن النقاش مع امرئ كهذا ، لا فى المواضيع السياسية وحسب ، بل حتى في المواضيع الجنائية ايضاً .

والآن ادعوكم الى الانتقال من هذا المثال الى اجراء مقارنـة

بين صلح بريست والاتفاق مع الوفاق . ماذا عنى صلح بريست ؟ اولا يعني ، يا ترى ، عنف قطاع طرق اعتدوا علينا عندما عرضنا الصلح بصدق وشرف ، باقتراحنا على جميع الشعوب الاطاحة ببرجوازيتها **بالذات** ؟ لو بدأنا باسقاط البرجوازية الالمانية ، لكان ذلك مضحكاً ! ولقد شهرنا بهذه المعاهدة امام العالم اجمع بوصفها معاهدة فى منتهى اللصوصية والسلب والنهب ، ووصمناها بالعار ، وحتى رفضنا ان نوقع على هذا الصلح في الحال ، آملين في مساعدة العمال الالمان . ولكن عندما قرب العسّافون المسدس من صدغنا ، قلنا : خذوا السلاح والنقود ، فاننا سنتخالص معكم فيما بعد بوسائل اخرى . نحن نعرف ان للامبريالية الالمانية عدواً آخر لم يره العميان ، هو العمال الالمان . فهل تمكن مقارنة هذا الاتفاق مع الامبريالية بذلك الاتفاق الذي عقده الديموقراطيون ، الاشتراكيون ، الاشتراكيون-الثوريون - لا تمزحوا ، فكلما كان الاسم اقوى ، كلما كان اشد دوياً ، - عندما اتفقوا مع الوفاق على السير ضد عمال بلدانهم ؟ والواقع ان القضية وردت هكذا وهكذا ترد حتى الآن . والواقع ان القسم الاقوى نفوذاً من المناشفة والاشتراكيين-الثوريين المعروفين على الصعيد الاوروبي هم الآن فى الخارج ، ويتفقون الآن مع الوفاق . انا لا اعرف اذا كان هذا مكتوباً ام لا : اغلب الظن انه ليس مكتوباً ؛ فالناس الاذكياء يفعلون بصمت مثل هذه الاشياء . ولكنه واضح انه يوجد اتفاق كهذا ما داموا يحملونهم على الراحات ، ويعطونهم جوازات السفر ، وينشرون فى الدنيا قاطبة بالتلغراف اللاسلكي الانباء القائلة ان اكسيلرود تكلم اليوم ، وان سافينكوف او افكسنتييف سيتكلم غداً ، وان بريشكوفسكايا ستتكلم بعد غد . اوليس هذا اتفاقاً ، وان كان اتفاقاً صامتاً ؟ اوليس هذا اتفاقاً مع الامبرياليين مثل اتفاقنا ؟ ان مظهره الخارجي يشبه اتفاقنا مثلما عمل رجل يعطي قطاع الطرق البندقية والنقود

يشبه في الظاهر اي عمل من هذا النوع ، بصرف النظر عن هدفه وطابعه ، – وعلى كل حال ، بصرف النظر عن الغرض الذي اعطي قطاع الطرق السلاح والنقود من إجله : ألكي اتخلص منهم عندما يعتدون عليّ وعندما ارى نفسي في وضع يقتلونني فيه اذا لم اعطهم المسدس ؟ ام اعطي قطاع الطرق النقود والسلاح لاستعمالها في النهب والسلب ، الامر الذي لا بدّ ان اعرفه والذي اشترك في دخله ؟

«يقيناً اني اسمّي هذا بتحرير روسيا من ديكتاتورية العسّافين ، وانا ، بالطبع ، ديموقراطي ، لأني اؤيد ديموقراطية سيبيريا او ارخانغلسك التي يعرفها الجميع ، وانا اناضل بالطبع في سبيل الجمعية التأسيسية . لا ترتابوا بي في شيء ما طالح ، واذا كنت اقدم خدمة لقطاع الطرق ، للامبرياليين الانجليز والفرنسيين والاميركيين ، فاني افعل ذلك في مصلحة الديموقراطية والجمعية التأسيسية والسلطة الشعبية ووحدة طبقات السكان الكادحة واسقاط العسّافين والمغتصبين والبلاشفة !» .

الاهداف ، بالطبع ، نبيلة للغاية . ولكن ألم يسمع جميع من يتعاطون السياسة ان السياسة لا تقدّر حسب الاقوال ، بل حسب المضمون الطبقي الفعلي ؟ اي طبقة انت تخدم ؟ اذا كنت متفقاً مع الامبرياليين ، فهل تشترك في اللصوصية الامبريالية ام لا ؟

لقد اشرت في «رسالتي الى العمال الاميركيين» * ، فيما اشرت ، الى ان الشعب الاميركي الثوري ، عندما تحرر في القرن الثامن عشر من انجلترا ، عندما خاض حربه التي هي من اولى الحروب التحريرية فعلاً ومن اعظمها في تاريخ البشرية ، والتي هي من الحروب الثورية فعلاً القليلة في تاريخ البشرية ، – ان الشعب الاميركي الثوري العظيم ، الذي كان يحرر نفسه قد عقد اتفاقاً مع قطاع الطرق من

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ١١٨ – ١٣٦ . **الناشر** .

الامبريالية الاسبانية والفرنسية التي كانت تملك آنذاك مستعمرات في اميركا بالذات في جوار هذا الشعب . وبالتحالف مع قطاع الطرق هؤلاء ، هزم الانجليز وتحرر منهم . وهل تواجد في الدنيا اناس متعلمون ، هل رأيتم اشتراكيين ، واشتراكيين-ثوريين ، وممثلين للديموقراطية ، او كما يسمونهم ايضاً هناك ، بمن فيهم المناشفة ، - هل رأيتم يوماً انهم عمدوا الى اتهام الشعب الاميركي علناً بهذا ، الى القول انه خالف مبدأ الديموقراطية والحرية والخ . ؟ ان غرباء الاطوار هؤلاء لم يولدوا بعد . والآن يظهر عندنا اناس من هذا الطراز يطلقون على انفسهم مثل هذه النعوت ، وحتى يدّعون بانه يجب ان يكونوا معنا في اممية واحدة وبان هذه مشاكسة بلشفية بوجه الحصر - ومعلوم ان البلاشفة مشاكسون اذا انشأوا اممية خاصة بهم ، هي الاممية الشيوعية ، واذا رفضوا الذهاب الى اممية برن ، الجيدة ، القديمة ، المشتركة ، الواحدة !

ويتواجد اناس يقولون : «ليس لنا ما نندم عليه ، - انتم اتفقتم مع غليوم ونحن اتفقنا مع الوفاق - ، نحن تخالصنا !» .

اني اؤكد ان هؤلاء الناس كولتشاكيون اذا كانوا يملكون التحصيل السياسي الابتدائي ، مهما انكروا ذلك شخصياً ، ومهما سئموا شخصياً من الكولتشاكية ، ومهما تضرروا شخصياً من كولتشاك ، وحتى لو انتقلوا الى جانبنا . انهم كولتشاكيون لأنه لا يمكننا ان نتصور انهم لا يدركون الفرق بين الاتفاق الاضطراري في النضال ضد المستثمِرين ، الذي اضطرت الطبقات المستثمَرة الى عقده في غالب الاحيان في كل تاريخ الثورات ، وبين الاتفاق الذي عقده ويعقده من هم الاوسع نفوذاً بين ممثلي ديموقراطيينا المزعومين ، بين ممثلي الانتلليجنسيا «الاشتراكية» المزعومة ، الذين عقد امس قسم منهم ، ويعقد اليوم قسم آخر منهم اتفاقاً مع قطاع الطرق واللصوص من الامبريالية العالمية ضد قسم - ، فهكذا هم

يقولون ، – ضد قسم من الطبقات الكادحة في بلادهم . ان هـؤلاء الناس كولتشاكيون ، ولا يجوز اي موقف منهم عدا الموقف الذي يجب ان يقفه الثوريون الواعون من الكولتشاكيين .

٣

وانتقل الآن الى المسألة التالية . انها مسألة الموقف مـــن الديموقراطية على العموم .

لقد تسنّى لي واشرت الى ان التذرع بالديموقراطية هـــو التبرير الاوسع انتشاراً ، الدفاع الاوسع انتشاراً عن تلك المواقف السياسية التي يقفها الديموقراطيون والاشتراكيون ضدنا . وكان احزم ممثل لوجهة النظر هذه في المطبوعات الاوروبية ، كما تعرفون بالطبع ، هو كاوتسكي ، الزعيم الفكري للاممية الثانية وعضو اممية برن حتى الآن . «لقد اختار البلاشفة طريقة تخالف الديموقراطية ؛ لقد اختار البلاشفة طريقة الديكتاتورية ، ولذا كانت قضيتهم غير صحيحة» ، – هكذا يقول كاوتسكي . وهذه الحجة وردت الف مرة ومليون مرة في كل مكان وعلى الدوام في عموم الصحافة وفي الجرائد التي سمّيتها . وعلى الدوام ترددها الانتلليجنسيا كلها ، واحياناً يرددها بصورة نصف واعية التافهون الضيقو الافق في محاجاتهم . «الديموقراطية – انما هي الحرية ، انما هي المساواة ، انما هي قرار الاغلبية ؛ وما عسى ان يكون اسمى من الحريـة والمساواة وقرار الاغلبية ! واذا كنتم ، ايها البلاشفة ، قد تراجعتم عن هذا ، وحتى تواقحتم فضلاً عن ذلك وقلتم انكم اسمى من الحرية ومن المساواة ومن قرار الاغلبية ، فلا تتعجبوا في هذه الحال ولا تتشكوا اذا كنا ننعتكم بالمغتصبين وبالعسّافين !» .

نحن لا نعجب البتة من هذا لأننا نريد الوضوح اكثر ما نريد ، ولأننا نأمل فقط في ان يدرك القسم الطليعي من الشغيلة وضعـــه

بوضوح فعلاً . اجل ، لقد قلنا ونقول دائماً في برنامجنا ، في برنامج الحزب ، اننا لن ننخدع بشعارات رائعة الدوي كشعارات الحريـــة والمساواة وارادة الاغلبية ، واننا نقف من اولئك الذين يقولون عن انفسهم انهم ديموقراطيون ، انصار الديموقراطية الخالصة ، انصار الديموقراطية المنسجمة ، معارضين بها ديكتاتورية البروليتاريـــا بصورة مباشرة او غير مباشرة ، — موقفنا من اعوان كولتشاك .

حللوا ، يجب التحليل . أيقوم ذنـــب الاشتراكيين الخالصين فعلاً فى كونهم يعظون بالديموقراطية الخالصة ويدافعون عنها دون المغتصبين ، أم يقوم ذنبهم في كونهم يقفون الى جانـــب الطبقات المالكة ، الى جانب كولتشاك ؟

لنبدأ التحليل من الحرية . لا داعي الى القول ان الحريـــة بالنسبة لكل ثورة ، سواء كانت اشتراكية ام ديموقراطية ، انمـا هي شعار جوهري جداً جداً . والحال ان برنامجنا يعلن ان الحرية ، اذا كانت تناقض تحرير العمل من نير الرأسمال ، انما هي خداع . وكل من قرأ منكم ماركس — ، واعتقد ان حتى كل من قرأ على الاقل عرضاً مبسطاً واحداً لآراء ماركس ، — يعرف ان ماركس كرس معظم حياته ودراساته الادبية ومعظم بحوثه العلمية للتهكم على وجـه الدقة من الحرية والمساواة وارادة الاغلبيـــة وشتى اضراب بنتام الذين نمقوا كل هذا ، ولتقديم البرهان على ان بطانة هذه الجمـــل والتعابير تنطوي على مصالح حرية مالك البضائع ، وحرية الرأسمال ، وان مالك البضائع يستغل هذه الحرية لاجل اضطهاد الجماهير الكادحة .

ونحن نقول لكل امرىء في هذا الظرف الذي بلغت فيه الامور حد الاطاحة بسلطة الرأسمال في العالم بأسره ، او على الاقل في بلد واحد ، وفي مثل هذا الظرف التاريخي الذي يبرز اثناءه في المرتبة الاولى نضال الطبقات الكادحة المظلومة من اجل الاطاحة التامـــــة بالرأسمال ، من اجل القضاء التام على الانتاج البضاعي ، — نقـول

لكل امرئ يستعمل في مثل هذا الظرف السياسي كلمة «الحريـــة» بوجه عام ، ويسير باسم هذه الحريـــة ضد ديكتاتوريـــة البروليتارية ، - نقول انه يساعد المستثمِرين ، لا اكثر ولا اقل ، وانه نصيرهم ، لأن الحرية ، اذا لم تخضع لمصالح تحرير العمل من نير الرأسمال ، انما هي خداع ، كما اعلنا ذلك صراحة فى برنامـج حزبنا ، قد يكون هذا شيئاً نافلاً من وجهة نظر بنية البرنامـــج الخارجية ، ولكن هذا هو الشيء الجذري ولا اكثر من وجهة نظر كل دعايتنا وتحريضنا ، من وجهـة نظر اسس النضـال البروليتاري والسلطة البروليتارية . نحن نعرف جيداً جداً انه يتعين علينا ان نناضل ضد الرأسمال العالمي ، ونحن نعرف جيداً جداً ان الرأسمال العالمي قد استهدف في حينه انشاء الحرية ، وانه اطاح بالعبوديـة الاقطاعية ، وانه انشأ الحرية البرجوازية ، ونحن نعرف جيداً جداً ان هذا تقدم تاريخي عالمي . ونحن نعلن اننا نسير ضد الرأسمالية على العموم ، ضد الرأسمالية الجمهوريـــة ، ضد الرأسماليـــة الديموقراطية ، ضد الرأسمالية الحرة ، - ونحن نعرف بالطبع انها ترفع ضدنا راية الحرية . ونحن نرد عليها . ولقد رأينا انـــه من الضروري اعطاء هذا الرد في برنامجنا : ان كل حريـــة هي كذب وخداع اذا كانت تناقض مصالح تحرير العمل من نير الرأسمال .

ولكن ، لعل هذا لا يمكن ان يكون ؟ لعله لا يوجد تناقض بين الحرية وبين تحرير العمل من نير الرأسمال ؟ انظروا الى جميـــع البلدان الاوروبية الغربية ، سواء منها التي كنتم فيها ام التي قرأتم عنها على كل حال . كل كراس كان يقول عن نظامها انه اوفر الانظمة حرية ؛ والآن رفعت هذه البلدان المتمدنة الاوروبية الغربيـــة - فرنسا ، بريطانيا ، اميركا - هذه الراية ، وهي تسير ضد البلاشفة «باسم الحرية» . وفي الايام الاخيرة بالذات ، - ان الجرائد الفرنسية نادراً ما تصل الينا الآن لأننا محاطون بطوق ، ولكن الانباء تصـــل

الينا بالراديو ، اذ انه يستحيل مع ذلك الاستيلاء على الهواء ، ونحن نلتقط البرقيات الاجنبية ، – في الايام الاخيرة سنحت لي الفرصة وقرأت برقية ارسلتها حكومة النهب الفرنسية مفادها ان فرنسا ، بسيرها ضد البلاشفة وبدعمها اخصامهم ، ترفع عالياً كما من قبل «مثل الحرية الاعلى» الملازم لها . وهذا ما نلقاه لدى كل خطوة ، وهذه هي نغمتهم الاساسية في المناظرة ضدنا .

ولكن ماذا يعنون بالحرية ؟ ان هؤلاء الفرنسيين والبريطانيين والاميركيين المتمدنين ، ان هؤلاء يعنون بالحرية حرية الاجتماع على الاقل . ففي الدستور يجب ان يرد : «حرية الاجتماع لجميع المواطنين» . وهم يقولون : «هذا هو المضمون ، هذا هو المظهر الاساسي للحرية . اما انتم ، ايها البلاشفة ، فقد خالفتم حرية الاجتماع» .

اما نحن ، فاننا نجيب : أجل ، ان حريتكم ، ايها السادة البريطانيون والفرنسيون والاميركيون ، هي خداع اذا كانت تناقض تحرير العمل من نير الرأسمال . انتم نسيتم امراً تافهاً ، ايها السادة المتمدنون . انتم نسيتم ان حريتكم مسجلة في دستور **يضفي على الملكية الخاصة صفة قانونية** . وهذا هو جوهر القضية .

الى جانب الحرية ، الملكية ؛ هكذا ورد في دستوركم . اما انكم تقرون بحرية الاجتماع ، فان هذا بالطبع تقدم كبير جداً بالمقارنة مع النظام الاقطاعي ، بالمقارنة مع اوضاع القرون الوسطى ، مع الحق الاقطاعي . وهذا ما اعترف به جميع الاشتراكيين عندما استغلوا حرية المجتمع البرجوازي هذه لكي يعلموا البروليتاريا كيف تدك نير الرأسمالية .

ولكن حريتكم لعلى نحو بحيث انها حرية على الورق لا حرية بالفعل . وهذا يعني انه اذا كانت توجد في المدن الكبيرة قاعات كبيرة كهذه ، فانها تخص الرأسماليين والملاكين العقاريين ، وهي تسمى ، مثلاً ، قاعات «المجتمع الراقي» . في وسعكم ان تجتمعوا

بحرية ، يا مواطني الجمهورية الديموقراطية الروسية ، ولكن هـذه ملكية خاصة ، فاعذرونا من فضلكم ؛ يجب احترام الملكية الخاصة ، والا كنتم بلاشفة ومجرمين وقطاع طرق ونهابين واشقياء . اما نحن فنقول : «اننا سنقلب هذا . هذا المبنى سنحوله بادئ ذي بـدء من مبنى «للمجتمع الراقي» الى مبنى لمنظمات العمال ، وبعد ذاك سنتحدث عن حرية الاجتماع» . انتم تتهموننا بمخالفة الحريـة . اما نحن ، فاننا نعتبر ان كل حرية هي خداع اذا لم تخضع لمصالح تحرير العمل من نير الرأسمـال . ان حرية الاجتماع المسجلة في دساتير جميع الجمهوريات البرجوازية هي خداع لأن الاجتماع في بلد متمدن لم يقض مع ذلك على الشتاء ولم يغير الطقس يتطلب قاعات لأجل الاجتماع ، في حين ان خيرة المباني ملك خاص . لنأخـذ في البدء خيرة المباني ، وبعد ذاك نتكلم عن الحرية .

ونحن نقول ان حرية الاجتماعات لأجل الرأسماليين انما هي افدح جريمة ضد الشغيلة ، انما هي حرية الاجتماع لأجل اعداء الثورة . ونحن نقول للسادة المثقفين البرجوازيين ، للسادة انصـار الديموقراطية : انتم تكذبون حين تتهموننا بانتهاك الحرية ! فعندمـا قام ثوريوكم العظام البرجوازيون بالثورة في انجلترا عام ١٦٤٩ ، وفي فرنسا في عامي ١٧٩٢ و١٧٩٣ ، لم يمنحوا الملكيين حريـة الاجتماع . وان الثورة الفرنسية تسمّى بالثورة الكبرى لأنها لـم تتميز بما تميزت به ثورات عديدة في عام ١٨٤٨ من ترهل وميوعـة وثرثرة باطلة ، ولأنها كانت ثورة عملية فعالة اطاحت بالملكيين وقمعتهم الى النهاية . وعلى النحو نفسه سنتمكن نحن ايضاً من معاملة السادة الرأسماليين لأننا نعرف ان تحرير الشغيلة من نير الرأسمال يقتضي انتزاع «حريتـ»هم او بترها . فان ذلك يسهم في تحرير العمل من نير الرأسمال ، ان ذلك يسهم في تلك الحرية الحقيقية التي لن تبقى في ظلها عمارات تعيش في كل منها عائلة واحدة بمفردهـا ،

وتخص افراداً مـــا بمفردهم – مـــن ملاكين عقاريين ورأسماليين وشركات مساهمة . وحين يتحقق هذا ، وحين ينسى الناس انـــه يمكن ان تكون البنايات العامة ملكاً لافراد ما ، آنذاك سننادي بالحرية التامة . وحين لا يبقى في الدنيا غير الشغيلة ، وحين ينسى الناس التفكير بان غير الشغيل يمكن ان يكون عضواً من اعضاء المجتمع ، – ولن يتم ذلك عمّا قريب ، والسادة البرجوازيون والسادة المثقفون البرجوازيون هم المسؤولون عن المماطلة ، – حينذاك سننادي بحرية الاجتماع لكل امرئ ؛ اما الآن ، فان حرية الاجتماع انما هي حرية الاجتماع للرأسماليين ، لاعداء الثورة . ونحن نناضل ضدهـــم ، ونحن نرد عليهم ونعلن اننا نلغي هذه الحرية .

نحن نخوض غمار القتال ؛ وهذا هو مضمون ديكتاتوريـــة البروليتاريا . ولقد ولت ازمان الاشتراكية الساذجة ، الطوبوية ، الخيالية ، الميكانيكية ، اشتراكية المثقفين ، تلك الازمان التي كانوا يصورون فيها الامور بحيث يكفي اقناع اكثرية الناس ، ورســـم لوحة جميلة عن المجتمع الاشتراكي حتى تتبنى الاكثرية وجهة نظر الاشتراكية . لقد ولت تلك الازمان التي كانوا فيها يسلون انفسهم والآخرين بحكايات الاطفال هذه . فان الماركسيـــة التي تعترف بضرورة النضال الطبقي تقول : ان البشرية لن تصل الى الاشتراكية الا عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا . ان الديكتاتورية كلمـــة قاسية ، مرهقة ، دامية معذبة ؛ ومثل هذه الكلمات لا يلقى على عواهنه . واذا كان الاشتراكيون قد رفعوا هذا الشعار ، فذلك لانهم يعرفون ان طبقة المستثمرين لن تستسلم بدون نضال يائس ، لا رحمة فيه ولا هوادة ، وانها ستستر سيادتهـــا بشتى الكلمات الجميلة .

حرية الاجتماع ، – ما عسى ان يكون اسمى من هذه الكلمة ، ما عسى ان يكون افضل منها ! وهل يعقل تطور الشغيلة ووعيهم بدون

حرية الاجتماع ؟ وهل تعقل النزعة الانسانية بدون حرية الاجتماع ؟ اما نحن ، فاننا نقول ان حرية الاجتماع ، بموجب دستور انجلترا ودستور الولايات المتحدة الاميركية الشمالية ، انما هي خداع لأنها تقيد ايدي الجماهير الكادحة خلال كل مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، – انما هي خداع لأننا نعرف جيداً جداً ان البرجوازية سوف تبذل قصارى جهدها للاطاحة بهذه السلطة غير العادية تماماً ، «الفظيعة» تماماً في البدء . ولا يمكن ان يكون الحال آخر في نظر من يمعن الفكر في النضال الطبقي ، في نظر من يفكر بصورة ملموسة نوعاً ، بصورة واضحة في موقف العمال الثائرين من البرجوازية التي أطيح بها في بلد واحد بمفرده ولم يطح بها في جميع البلدان والتي تندفع الى النضال بمزيد من الشراسة والضراوة لهذا السبب على وجه الضبط ، وهو انه لم يطح بها تماماً .

فبعد الاطاحة بالبرجوازية على وجه الضبط ، يرتدي النضال الطبقي أحدّ الاشكال . ولا يصلح البتة لشيء اولئك الديموقراطيون والاشتراكيون الذين يخدعون انفسهم ، ثم يخدعون الآخرين ايضاً قائلين : ما دام قد اطيح بالبرجوازية ، فقد انتهى الامر . لقد بدأ الامر وحسب ، ولم ينته ، لأن البرجوازية لم تصدق حتى الآن فكرة الاطاحة بها ، ولأنها مزحت عشية ثورة اكتوبر ببالغ العطف وببالغ الادب والانس ؛ ومزح ميليوكوف وتشيرنوف واصحاب وانصار «نوفايا جيزن» سواء بسواء . لقد مزحوا قائلين : «حسناً ، تفضلوا ايها السادة البلاشفة ، وشكلوا وزارة ، خذوا بأنفسكم السلطة لاسبوع او اسبوعين ، فبذلك تقدمون لنا مساعدة ممتازة !» . وهذا ما كتبه تشيرنوف بالنيابة عن الاشتراكيين-الثوريين ، وهذا ما كتبه ميليوكوف في «ريتش» ، وهذا ما كتبته «نوفايا جيزن» نصف المنشفية . لقد مزحوا لأنهم لم يأخذوا الامر على محمل الجدّ . اما الآن ، فقد رأوا ان الامر سار بصورة جدية ، وان السادة

البرجوازيين الانجليز والفرنسيين والسويسريين الذين ظنـوا ان «جمهورياتهم الديموقراطية» انما هي درع يحميهم ، - رأوا وادركوا ان الامر سار بصورة جدية ، فشرعوا الآن يتسلحون جميعهم . ولو امكنكم ان تروا ما يجري في سويسرا الحرة ، لرأيتم كيف يتسلح هناك كل برجوازي من الرأس الى اخمص القدمين ، وينشئ حرساً ابيض لأنه يعرف ان المسألة غدت الآن مسألة ما اذا كان بوسعـه ان يحتفظ بامتيازاته التي تتيح له ان يبقي الملايين في عبودية العمل المأجور . والآن اتخذ النضال نطاقاً عالمياً ، ولهذا فان كل من يستعمل كلمتي «الديموقراطية» و«الحرية» ضدنا انما يقف الآن الى جانب الطبقات المالكة ، ويخدع الشعب ، لأنه لا يدرك ان الحرية والديموقراطية كانتا حتى الآن الحرية والديموقراطية **من اجل المالكين** ومجرد فتائت متساقطة عن المائدة من اجل المعدمين .

فما هي حرية الاجتماع حين يرزح الشغيلـة في عبوديـة الرأسمال والعمل من اجل الرأسمال ؟ ان هذا خداع ؛ وللسير نحو الحرية من اجل الشغيلة ، يجب في البدء التغلب على مقاومـة المستثمرين ؛ واذا كنت اواجه مقاومة طبقة بكاملها ، فمن الواضح اني لا استطيع ان اعد لا بالحرية ولا بالمساواة ولا بقرار الاغلبية من اجل هذه الطبقة .

٤

والآن انتقل من الحرية الى المساواة . ان القضية هنا اكثر عمقا . هنا نلمس مسألة اوفر جدية ، مسألة تثير خلافات كبيرة ، مسألة اشد ايلاماً .

فان الثورة تسقط في مجراها طبقة استثمارية بعد اخرى . فقد اطاحت في البدء بالملكية ولم تفهـم بالمساواة الا قيام السلطـة المنتخبة ، وقيام الجمهورية . وبالمضي قدماً ، اطاحت بالملاكين

العقاريين الاقطاعيين ، وانتم تعرفـــون ان النضال ضد الاوضاع القروسطية ، ضد الاقطاعية ، قد جرى كله تحت شعار «المساواة» . الجميع متساوون ، بصرف النظر عن الطبقة والفئة الاجتماعيـــة ، الجميع متساوون بمن فيهم المليونير والمعدم ، — هكذا كان يقول ، هكذا كان يفكر ، هكذا كان يعتبر بصدق واخلاص اعاظم الثوريين من تلك المرحلة التي دخلت التاريخ بوصفها مرحلة الثورة الفرنسية الكبرى . لقد سارت الثورة ضد الملاكين العقاريين الاقطاعيين تحت شعار المساواة ؛ وقالوا انه يجب ان يملك المليونير والعامل حقوقاً متساوية وسموا ذلك بالمساواة . ومضت الثورة الى ابعد . وهي تقول ان «المساواة» ، — نحن لم نقل هذا بصورة خاصة في برنامجنا ، ولكنه لا يجوز التكرار الى ما لا نهاية ، فهذا واضح وضوح ما قلناه عن الحرية ، — ان المساواة انما هي خداع اذا كانت تناقض تحرير العمل من نير الرأسمال . نحن نقول هذا ، وقولنا هذا هو الحقيقة الكاملة . نحن نقول ان الجمهوريـــة الديموقراطية ذات المساواة المعاصرة انما هي كذب وخـــداع ، وان المساواة لا تراعى هناك ، ولا يمكن ان تقوم لها قائمة هناك ، وان ما يحول دون التمتع بهذه المساواة — انما هو ملكية وسائل الانتاج ، ملكية النقود ، ملكية الرأسمال . يمكن انتزاع ملكية المباني الفخمـــة في الحال ، يمكن انتزاع الرأسمال وادوات الانتاج بسرعة نسبية ، ولكن حاولوا ان تنتزعوا ملكية النقود .

فان النقود انما هي مكثف الثروة الاجتماعية ، مكثف العمـــل الاجتماعي ؛ النقود انما هي الدليل على تحصيل الجزية من جميع الشغيلة ؛ النقود انما هي بقية استثمار الامس . هذه هي النقود . فهل يمكن القضاء عليها في الحال بطريقة ما ؟ كلا . وحتى قبل الثورة الاشتراكية ، كتب الاشتراكيون انه لا يمكن الغاء النقود في الحال ، وبوسعنا ان نؤكد بتجربتنا صحة هذا الرأي . فلا بدّ من مكاسب

تكنيكية عديدة ، – وما هو اصعب بكثير وأهم بكثير – لا بد كذلك من مكاسب تنظيمية لأجل القضاء على النقود ؛ وحتى ذاك ، لا بدّ من البقاء عند المساواة بالاقوال ، في الدستور ، وفي وضع يملك فيه كل من يملك النقود الحق الفعلي في الاستثمار . ونحن ايضاً لم نستطع ان نلغي النقود في الحال . ونحن نقول : ان النقود لا تزال باقية ، وستبقى زمناً طويلاً في غضون مرحلة الانتقال من المجتمع القديم ، الرأسمالي ، الى المجتمع الجديد ، الاشتراكي . ان المساواة انما هي خداع اذا كانت تناقض مصالح تحرير العمل من نير الرأسمال .

لقد كان انجلس على حق الف مرة حين كتب يقول : ان مفهوم المساواة هو وهم سخيف وغبي للغاية بدون محو الطبقات . وبسبب من مفهوم المساواة حاول الاساتذة البرجوازيون ان يتهمونا باننا نريد ان نجعل من شخص مساوياً لآخر . وبهذه السخافة التي اختلقوها بأنفسهم حاولوا ان يتهموا الاشتراكيين . ولكنهم لم يكونوا يعرفون ، بسبب من جهلهم ، ان الاشتراكيين – وبالضبط مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة ماركس وانجلس – قالوا : ان المساواة كلمة فارغة ، اذا لم نفهم بالمساواة محو الطبقات . نحن نريد محو الطبقات ؛ وفي هذا المجال ننادي بالمساواة . اما الزعم باننا سنجعل جميع الناس متساوين ، فهو كلام فارغ واختلاق غبي من مثقف يتصنع احياناً عن حسن نية ، ويتلاعب بالكلمات ، ولكن بدون اي مضمون ، – سواء قال عن نفسه انه كاتب ، او احياناً انه عالم ، او انتحل اية صفة او مهنة اخرى .

وها نحن نقول : نحن نبتغي المساواة هدفاً بمعنى محو الطبقات . وفي هذه الحال ينبغي كذلك محو الفرق الطبقي بين العمال والفلاحين . وهذا بالذات ما يشكل هدفنا . ان المجتمع الذي بقي فيه الفرق الطبقي بين العامل والفلاح ليس مجتمعاً شيوعياً ولا

مجتمعاً اشتراكياً . من المؤكد انه يمكن نعته بالمجتمع الاشتراكي في حال تفسير كلمة الاشتراكية بمعنى معين ، ولكن هذا سيكون ضرباً من السفسطة ، وجدالاً حول الكلمات . ان الاشتراكية انما هي الطور الاول من الشيوعية ؛ ولكنه لا يجدر الجدال حول الكلمات . هناك امر واضح ، وهو انه ما دام الفرق الطبقي بين العامل والفلاح قائماً ، لا يسعنا ان نتحدث عن المساواة ، دون الاحتراس من السقوط كالماء في طاحونة البرجوازية . ان الفلاحين انما هم طبقة العهد البطريركي ، طبقة ربتها عقود وقرون من العبودية ؛ وفي غضون هذه العقود كافة ، عاش الفلاح **كمالك صغير** ، خاضعاً في البدء لطبقات اخرى ، ثم حراً ومتساوياً شكلاً ، ولكن **مالكاً وصاحباً لمواد التغذية** .

وهنا نقترب من المسألة التي تستدعي اكثر من غيرها اللوم والعتاب من جانب اعدائنا ، والتي تثير اكثر من غيرها الشكوك بين غير المحنكين وغير المفكرين ، والتي تفصلنا اكثر من غيرها عن اولئك الذين يرغبون في اعتبار انفسهم ديموقراطيين واشتراكيين والذين يزعلون منا لكوننا لا نعتبرهم لا ديموقراطيين ولا اشتراكيين بل ننعتهم بانصار الرأسماليين ، لربما بسبب من جهلهم ، ولكن انصار الرأسماليين .

ان وضع الفلاح ، من حيث معيشته ، وظروف الانتاج ، وظروف حياته ، وظروف اقتصاده ، يجعل منه فى آن واحد نصف شغيل ونصف مضارب .

وهذا واقع . ومن هذا الواقع لن تتفلتوا طالما لم تقضوا على النقود ، ولم تقضوا على التبادل . وللقيام بذلك ، تنبغي سنوات وسنوات من سيادة البروليتاريا سيادة ثابتة ، لأن البروليتاريا وحدها قادرة على قهر البرجوازية . وعندما يقولون لنا : «انتم مخالفون للمساواة ، انتم خالفتم المساواة ، وليس مع المستثمِرين

وحسب ، – واغلب الظن اني مستعد للموافقة على هذا ؛ هكذا يعلن اشتراكي-ثوري ما او منشفي ما ، غير مدرك لما يقوله ، – ولكنكم خالفتم ايضاً مساواة العمال مع الفلاحين ، خالفتم مساواة «ديموقراطية العمل» ، انتم مجرمون !» . ونحن نجيب : «اجل ، لقد خالفنا مساواة العمال مع الفلاحين ، ونحن نؤكد انكم انتم الذين تنادون بهذه المساواة ، انصار كولتشاك» . لقد قرأت مؤخراً مقالة رائعة للرفيق غرمانوف فى «البرافدا» كانت تتضمن موضوعات للمواطن شير ، وهو من اوفر الاشتراكيين-الديموقراطيين المناشفة «اشتراكية» . وهذه الموضوعات كانت قد عرضت في احدى مؤسساتنا التعاونية . ان هذه الموضوعات لعلى نحو بحيث كان ينبغي حفرها على لوحة وتعليقها في مركز كل لجنة تنفيذية على صعيد الناحية ، والتوقيع تحتها : «هذا كولتشاكي» .

اني اعرف جيداً جداً ان هذا المواطن شير ورفاقه بالفكر سينعتونني من جراء هذا بالمفتري وبنعوت اسوأ . ومع ذلك ادعو اولئك الذين تعلموا الفباء الاقتصاد السياسي والعلم السياسي الى التحليل بانتباه لمعرفة من هو المحق ومن هو المذنب . يقول المواطن شير : ان السياسة التموينية التي تتبعها السلطة السوفييتية ، وسياستها الاقتصادية على العموم لا تصلحان لشيء ، ويجب الانتقال تدريجياً فى البدء ، ثم على نطاق اوسع ، الى حرية التجارة بالمنتوجات الغذائية والى ضمان الملكية الخاصة .

اني اقول ان هذا هو برنامج كولتشاك الاقتصادي ، اساسه الاقتصادي . واني اؤكد ان من قرأ مؤلفات ماركس ، ولا سيما الفصل الاول من «رأس المال» ، من قرأ مؤلفات ماركس معروضة باسلوب مبسط من جانب كاوتسكي على الاقل : «مذهب كارل ماركس الاقتصادي» ، لا بدّ له ان يخلص الى القول بان حرية المتاجرة بالحبوب في ظرف تجري فيه ثورة البروليتاريا ضد

البرجوازية ، ويجري فيه اسقاط الملكية الاقطاعية والرأسمالية ، وتجوع فيه البلاد التي دمرتها حرب امبريالية دامت اربع سنوات ، انما هي بالفعل حرية الرأسمالي ، حرية بعث سلطة الرأسمال . ان هذا هو برنامج اقتصادي كولتشاكي ، لان كولتشاك لا يتعلق بالهواء .

من بالغ السخافة ذم كولتشاك لمجرد انه ظلم العمال وحتى جلد المعلمات لعطفهن على البلاشفة . فان هذا دفاع مبتذل عن الديموقراطية ؛ ان اتهامات غبية موجهة ضد كولتشاك . فان كولتشاك يلجأ الى الاساليب التي يجدها . ولكن بم يتعلق ويصمد من الناحية الاقتصادية ؟ انه يتعلق بحرية التجارة ، وهو يحارب من اجلها ، **ومن اجل هذا** يدعمه جميع الرأسماليين . اما انت ، فانك تقول : «انا انفصلت عن كولتشاك ، انا لست كولتشاكياً» . يقيناً ان هذا يشرفك ، ولكن هذا لا يبرهن بعد انه كان على كتفيك رأس قادر على التفكير والتحليل . هكذا نرد على هؤلاء الناس ، دون ان نمس البتة شرف الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة الذين انصرفوا عن كولتشاك ، عندما رأوا انه عسّاف . ولكن اذا واصل مثل هذا الرجل في بلاد تناضل ضد كولتشاك في اشتباك مستميت ، اذا واصل النضال من اجل «مساواة ديموقراطية العمل» ، من اجل حرية المتاجرة بالحبوب ، فانه كولتشاكي ، ولكنه لا يفهم الامور ، ولا يستطيع التفكير والتحليل .

ان كولتشاك يصمد لأنه ، وقد استولى على منطقة غنية بالحبوب ، - سيّان كان اسمه كولتشاك او دينيكين ؛ فان المعاطف العسكرية مختلفة ، ولكن الجوهر واحد ، - يسمح هناك بحرية المتاجرة بالحبوب **وبحرية بعث الرأسمالية** . هكذا كان الحال في جميع الثورات ، وهكذا سيكون الحال عندنا اذا انتقلنا من ديكتاتورية البروليتاريا الى هذه «الحرية» والى «مساواة» السادة الديموقراطيين ، والاشتراكيين-الثوريين ، والمناشفة اليساريين ،

والخ . حتى الفوضويين ضمناً احياناً ، – فالالقاب كثيرة . والآن تختار كل عصابة في اوكرانيا لقباً ، كل لقب اوفر حرية من غيره ، واوفر ديموقراطية من غيره ؛ وفي كل قضاء عصابة .

ان «حماة مصالح الفلاح الكادح» يقدمون لنا المساواة بين العمال والفلاحين ؛ وهم بمعظمهم اشتراكيون-ثوريون . اما الآخرون ، كالمواطن شير ، فقد تعلموا الماركسية ، ولكنهم لا يفهمون مع ذلك انه لا يمكن ان تقوم المساواة بين العامل والفلاح في زمن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وانه يجب اعتبار من يعدون بها اناساً يطورون برنامج كولتشاك رغم انهم لا يفهمون هذا . واني اؤكد ان كل من يمعن الفكر في ظروف البلد الملموسة ، ولا سيما ظروف بلد خرب تماماً ، سيفهم هذا .

ان «اشتراكيي»نا الذين يزعمون اننا نعيش الآن عهد ثورة برجوازية ، يتهموننا على الدوام بان الشيوعية عندنا شيوعية استهلاكية . ويضيف بعضهم انها شيوعية جندية ، ويتصورون انفسهم واقفين اعلى ، يتصورون انهم ارتفعوا فوق هذا النوع «السافل» من الشيوعية . ان هؤلاء مجرد اناس يتلاعبون بالكلمات . فقد رأوا الكتب ، واستظهروا ما في الكتب ، ورددوا ما في الكتب ، ولكنهم لم يفهموا شيئاً مما في الكتب . يتواجد اناس علماء وحتى علامون من هذا النوع . فقد قرأوا في الكتب ان الاشتراكية هي اعلى مراحل تطور الانتاج . حتى ان كاوتسكي نفسه لا يفعل الآن غير ان يردد هذا . وقد رأيت في الايام الاخيرة جريدة المانية وصلت الينا صدفة ، وقرأت فيها عن مؤتمر السوفييتات الاخير في المانيا . وكان كاوتسكي مقرراً ؛ وقد اشار في تقريره ، – لم يلق كاوتسكي التقرير شخصياً ، بل القته زوجته ، لأنه كان مريضاً ، وزوجته تلت تقريره ، – اذن ، اشار كاوتسكي في هذا التقرير الى ان الاشتراكية هي اعلى مراحل تطور الانتاج ، وانه لا يمكن ، لا للرأسمالية ولا

للاشتراكية ، الصمود والبقاء بدون الانتاج ، وان العمال الالمان لا يفهمون هذا .

يا للعمال الالمان المساكين ! انهم يناضلـــون ضد شيدمان ونوسكه ، يناضلون ضد الجلادين ، ويحاولون اسقاط سلطـــة الجلادين اللذين لا يزالان يعتبران نفسيهمـــا اشتراكيين ـ ديموقراطيين ، سلطة شيدمان ونوسكه ، ويعتقدون ان حربـــاً اهلية تدور رحاها . لقد اغتيل ليبكنخـــت ، واغتيلـــت روزا لوكسمبورغ . وجميع البرجوازيين الروس يقولون — وقد ورد ذلك في جريدة تصدر في ايكاتيرينودار — : «هكذا تجب معاملـــة بلاشفتنا !» . هكذا ورد بالضبط . ان من يفهـــم الامر ، يعرف جيداً جداً ان البرجوازية العالمية جمعاء تتبنى وجهـة النظر هذه . يجب الدفاع عن النفس . فان شيدمان ونوسكه يشنان حرباً اهليـة ضد البروليتاريا . الحرب هي الحرب . وان العمال الالمان يعتقدون انهم في حرب اهلية ، وان جميع المسائل الباقية تتسم بأهميـــة ثانوية . يجب في المقام الاول اطعام العامل . ولكن كاوتسكي يرى ان هذه شيوعية جندية او استهلاكية . يجب تطوير الانتاج ! . .

يا للسادة الحكماء ! ولكن كيف يمكنكم ان تطوروا الانتاج في بلاد نهبها وخربها الامبرياليون ، ولا يوجد فيها لا فحم ، ولا خامات ، ولا ادوات ؟ «تطوير الانتاج» ! ولكن لا تنعقد عندنا جلسة لمجلس مفوضي الشعب او لمجلس الدفاع لا نقسم فيها الملايين الاخيرة من بودات الفحم او البترول ، شاعرين بهذا الوضع المؤلم الذي يأخـذ فيه جميع المفوضين لأنفسهم البقايا الاخيرة ويحس فيه كل امرؤ بالعوز ويتعين فيه حل مسألة اغلاق الفبارك هنا او هناك ، مسألة ابقاء العمال بلا عمل هنا او هناك ، — وهذه مسألة مؤلمة ، ولكنـه يجب حلها ، لأنه لا وجود للفحم . والفحم — في حوض دونتس . والفحم قضى عليه الغزو الالماني . خذوا بلجيكا ، بولونيا ، — هذه ظاهرة

نموذجية ، وفي كل مكان يحدث الشيء نفسه كعاقبة للحرب الامبريالية . وهذا يعني ان البطالة والمجاعة ستسودان سنوات عديدة ، لأنه توجد مناجم ، اذا ما غمرتها المياه ، لا يمكن ترميمها وبعثها الا بعد سنوات عديدة . وهنا يقولون لنا : «الاشتراكية هي زيادة الانتاجية» . لقد قرأتم الكتب ، ايها السادة الاطايب ، وكتبتم الكتب ، ولكنكم لم تفهموا شيئاً في الكتب . **(تصفيق)** .

ومن وجهة نظر مثل هذا المجتمع الرأسمالي الذي ينتقل الى الاشتراكية في زمن السلم بصورة سلمية ، من المؤكد اننا لن نجابه مهمات اشد الحاحاً من مهمة زيادة الانتاجية . ولكنه تجب اضافة كلمة صغيرة : «لو» . **لو** كانت الاشتراكية تولد بصورة سلمية بحيث لا يرغب السادة الرأسماليون في السماح لها بان تولد . وهكذا حصل نقص صغير صغير . وحتى لو لم تكن ثمة حرب ، لكان بذل السادة الرأسماليون قصارى الجهد للحيلولة دون هذا التطور السلمي . فان الثورات الكبرى ، حتى عندما بدأت بصورة سلمية ، كالثورة الفرنسية الكبرى ، قد انتهت بحروب طاحنة شنتها البرجوازية المعادية للثورة . ولا يمكن ان يكون الحال آخر اذا نظرنا الى هذه المسألة من وجهة نظر النضال الطبقي ، وليس من زاوية تلك الثرثرة الفارغة التافهة عن الحرية والمساواة وديموقراطية العمل وارادة الاغلبية ، من زاوية تلك الثرثرة الفارغة التافهة البليدة التي يتحفنا بها المناشفة والاشتراكيون-الثوريون وكل هذه «الديموقراطية» . فلا يمكن ان يقوم التطور السلمي نحو الاشتراكية . وانه لمن المضحك ، في المرحلة الراهنة ، بعد الحرب الامبريالية ، القول بان يجري التطور بصورة سلمية ، ولا سيما في بلاد خربة . خذوا فرنسا . فرنسا – منتصرة ، ولكن انتاج الحبوب هبط هناك الى النصف . وفي انجلترا ، كما رأيت في الجرائد البرجوازية الانجليزية ، يقولون : «نحن الآن فقراء متسولون» .

وبعد هذا ، يلومون الشيوعيين في بلاد خربة على توقف الانتاج ! ان من يقول هذا ، هو امّا غبي تماماً ، وان سمى نفسه ثلاثاً زعيماً لاممية برن ، وامّا خائن للعمال .

ان المهمة الاولى في بلاد حل بها الخراب ، هي انقاذ الشغيل . وان القوة المنتجة الاولى لدى البشرية جمعاء هي العامل ، الشغيل . فاذا ظل حياً ، فاننا سننقذ ونبعث **كل شيء** .

سوف نتحمل سنوات عديدة من الفقر والعوز ، والعودة الى الوراء ، الى الهمجية . فان الحرب الامبريالية قد دفعتنا الى الوراء ، الى الهمجية ؛ واذا انقذنا الشغيل ، اذا انقذنا القوة المنتجة الرئيسية لدى البشرية ، - العامل - ، فاننا سنستعيد كل شيء ؛ ولكننا سنهلك اذا لم نتمكن من انقاذه ؛ ولهذا فان من يزعق في هذا الظرف بصدد الشيوعية الاستهلاكية والجندية ، ناظراً الى الآخرين من فوق الى تحت ، متصوراً انه ارتفع الى اعلى من هؤلاء البلاشفة-الشيوعيين ، فهو - واكرر قولي - لا يفهم البتة اي شيء في الاقتصاد السياسي ويتشبث بمقتبسات من الكتب مثل عالم يملك في رأسه ما يشبه جراراً حافلاً بالمقتبسات ، ويخرجها علكا ، ولكنه يرتبك اذا ما ظهرت ظاهرة جديدة غير موصوفة في الكتاب ، فيسحب من الجرار المقتبس الذي لا يصح بالضبط سحبه .

ان مهمتنا الرئيسية ، الاساسية في هذا الظرف الذي حل فيه الخراب بالبلاد ، هي الذود عن حياة العامل ، **انقاذ العامل** ، اذ ان العمال يهلكون لأن المصانع متوقفة ، والمصانع متوقفة لأنه لا وجود للمحروقات ، ولأن انتاجنا كله مصطنع ، لأن صناعتنا مفصولة عن اماكن الحصول على الخامات . وهذا هو الحال في العالم اجمع . يجب استجلاب الخامات لأجل مصانع الاقمشة القطنية الروسية من مصر ، من اميركا ، ومن اقرب مصدر لها ، من تركستان ؛ فاستجلبوا ، من فضلكم ، بعد ان استولت العصابات

المعادية للثورة والقوات الانجليزيـــة هناك على عشـق آبـــاد وكراسنوفودسك ، استجلبوا من مصر ، من اميركا ، بعد ان توقفت السكك الحديدية عن النقل ، بعد ان خربوها ، بعد ان تعطلت لعدم وجود الفحم .

يجب انقاذ العامل رغم انه لا يستطيع ان يشتغل . واذا انقذناه خلال بعض السنوات هذه ، فاننا سننقذ البلاد والمجتمــــــع والاشتراكية . واذا لم ننقذه ، فاننا سننزلـــــق الى الوراء ، الى العبودية المأجورة . هكذا توضع مسألة الاشتراكية التي لا تولد من خيال احمق مسالم يقول عن نفسه انه اشتراكي-ديموقراطي ، بل تولد من الواقع الفعلي ، من النضال الطبقي المسعور ، المستميت الضراوة . وهذا واقع . يجب التضحية بكل شيء لانقاذ وجـــــود العامل . ومن وجهة النظر هذه ، نجيب حين يتوجهون الينا ويقولون : «نحن نؤيد مساواة ديموقراطية العمل ، اما انتم الشيوعيين ، فانكم لا تمنحون المساواة حتى للعمال والفلاحين» ، – نجيب : العامـــل والفلاح متساويان بوصفهما كادحين ، ولكن المضارب المتخـــم بالحبوب ليس مساوياً للكادح الجائع . ولهذا السبب وحده ، جاء في دستورنا ان العامل والفلاح ليسا متساويين .

انتم تقولون انــــه يجب ان يكونا متساويين ؟ هيّا بنا نزن ونحسب . خذوا ٦٠ فلاحاً و١٠ عمال . عند الفلاحين الـ٦٠ فائض من الحبوب . ان ثيابهم رثة ، ولكن توجد عندهـــم حبـوب . خذوا ١٠ عمال . انهم ، بعد الحرب الامبريالية ، رثو الثياب ، منهوكو القوى ، ولا توجد عندهم حبوب ومحروقات وخامات . المصانع متوقفة . فهل هما متساويان في رأيكم ؟ ٦٠ فلاحـــاً يملكون الحق في التقرير ، ويتعين على العمال الـ ١٠ ان يخضعوا ؟ فما اعظـــم مبدأ المساواة ووحدة ديموقراطية العمل وقرار الاغلبية !

هكذا يقولون لنا . ونحن نجيب : «انكم مهرجون بهاليل لأنكم تصرفون الانتباه عن مسألة المجاعة وتحجبونها بكلمات رائعة طيبة» .

نحن نسألكم : العمال الجياع في بلاد خربة توقفت فيها المصانع ، هل يملكون الحق في الخضوع لقرار اغلبية الفلاحين اذا كان هؤلاء لا يقدمون فوائض الحبوب ؟ هل يملكون الحق في اخذ فوائض الحبوب هذه ، وان حتى بالعنف ، اذا استحال ذلك بنحو آخر ؟ اجيبوا صراحة ! هنا يشرعون في المواربة والمراوغة ، حين تنبغي معرفة جوهر القضية الحقيقي .

لقد حل الخراب بالصناعة في جميع البلدان وسوف يحل بها الخراب خلال بضع سنوات ، لأن احراق المصانع او غمر المناجم بالمياه شيء سهل ، ولأن نسف عربات السكك الحديدية وتحطيم القاطرات شيء سهل ؛ وكل احمق قادر جداً على هذا – حتى وان كان ضابطاً المانياً او فرنسياً ، – خصوصاً اذا كانت لديه آلة جيدة لاجراء التفجيرات ، واطلاق الرصاص ، والخ . ؛ ولكن الترميم امر صعب جداً ، وهو يتطلب سنوات .

ان الفلاحين طبقة خاصة : فهم ، بوصفهم كادحين ، اعداء للاستثمار الرأسمالي ، ولكنهم في الوقت نفسه مالكون . ولقد تربى الفلاح خلال قرون وقرون بفكرة ان الحبوب هي له وانه حر في بيعها . والفلاح يعتقد : هذا حقي ، لأن هذا كدحي وعرقي ودمي . ومن المستحيل تغيير نفسيته بسرعة ؛ وهذه عملية مديدة وصعبة من عمليات النضال . وان من يتصور ان الانتقال الى الاشتراكية سيجري على النحو التالي ، وهو ان شخصاً يقنع آخر ، وهذا ثالثاً ، انما هو طفل في افضل الاحوال ، او منافق سياسي ؛ واغلبية اولئك الذين يبرزون في الحلبة السياسية ينتسبون بالطبع الى الفئة الاخيرة .

ان المسألة توضع على النحو التالي وهو ان الفلاح اعتاد على حرية المتاجرة بالحبوب . وعندما اطحنا بالمؤسسات الرأسمالية ، تبين انه لا تزال توجد قوة تعلقت بها الرأسمالية ، هي قوة العادة .

وبقدر ما اطحنا بمزيد من الحزم بجميع المؤسسات التي كانت تدعم الرأسمالية ، بقدر ما كانت تبرز بمزيد من الوضوح قوة اخرى كانت تدعم الرأسمالية هي قوة العادة . وفي حال التوفيق ، يمكن تحطيم المؤسسة فوراً ، ولكنه لا يمكن ابداً تحطيم العادة فوراً ، اياً كان التوفيق . وبعدما منحنا الفلاحين الارض كلها ، وحررناهم من الملكية العقارية الاقطاعية ، وبعدما نبذنا كل ما كان يقيدهم ، لا يزالون يعتبرون «الحرية» حرية بيع الحبوب واللاحرية واجب تسليم فائض الحبوب بسعر ثابت . اما ما يعنيه هذا وكيف «تسليم» هذا ، فان ذلك يغضب الفلاح خصوصاً اذا كان الجهاز فضلاً عن ذلك سيئاً ، وهو سيئ لأن الانتلليجنسيا البرجوازية كلها تقف الى جانب سوخاريفكا . ومفهوم انه ينبغى لهذا الجهاز ان يعتمد على اناس يتعلمون ، وسيتعلمون ، خلال بضع سنوات ، في افضل الاحوال ، اذا كانوا نزهاء ومخلصين للقضية ؛ وحتى ذاك ، سيكون الجهاز سيئاً ، وسيلتصق به احياناً محتالون من كل شاكلة وطراز يقولون عن انفسهم انهم شيوعيون . وهذا الخطر يتهدد كل حزب حاكم ،كل بروليتاريا مظفرة ، لأنه لا يمكن فوراً ، لا تحطيم مقاومة البرجوازية ، ولا انشاء جهاز كامل . ونحن نعرف جيداً جداً ان جهاز مفوضية الشعب للتموين لا يزال سيئاً . ومؤخراً جرت دراسات احصائية علمية لمعرفة كيف يتغذى العامل في المحافظات غير الزراعية . وقد تبين انه يتلقى من مفوضية الشعب للتموين نصف كل كمية المنتوجات الغذائية ، ويتلقى النصف الثانى من المضاربين ؛ وهو يدفع لقاء النصف الاول عشر مجمل نفقاته على المأكولات ، ولقاء النصف الثاني تسعة اعشار .

ان نصف المأكولات الذي جمعته واوصلته مفوضية الشعب للتموين قد تم جمعه بصورة سيئة طبعاً ، ولكن تم جمعه بطريقة اشتراكية وليس بطريقة رأسمالية . لقد تم جمعه بفضل النصر على

المضارب وليس بفضل صفقة معه ، وتم جمعه بفضل التضحية بجميع المصالح الباقية في الدنيا ، بما فيها مصالح «المساواة» الشكلية التي يتغندر بها السادة المناشفة والاشتراكيون-الثوريون وشركاهم ، من اجل مصالح العمال الجياع . فأبقوا مع «مساواتـ»كم ، ايها السادة ؛ اما نحن ، فاننا سنبقى مع العمال الجياع الذين انقذناهم من المجاعة . ومهما لامنا المناشفة على مخالفتنا «للمساواة» ، يظل من الامور الواقعة اننا نفذنا مهمة التموين نصفياً في غمرة مصاعب لا سابق لها ولا تصدق . ونحن نقول اذا كان ٦٠ فلاحاً يملكون فوائض من الحبوب ، و١٠ عمال يجوعون ، فانه يجب التحدث ، لا عن «المساواة» على العموم ، ولا عن «المساواة بين ناس العمل» ، بل عن الواجب المطلق الذي يقضي على الفلاحين الـ٦٠ بالخضوع لقرار العمال الـ١٠ ، وباعطائهم فوائض الحبوب ، وان حتى على سبيل القرض .

ان كل الاقتصاد السياسي ، اذا كان احد ما قد تعلم منه شيئاً ما ، وكل تاريخ الثورة ، وكل تاريخ التطور السياسي في سياق القرن التاسع عشر كله ،– يعلمنا ان الفلاح يسير ، امّا وراء العامل ، واما وراء البرجوازي . ولا يمكنه ان يسير على نحو آخر . وهذا ، بالطبع ، يبدو لديموقراطي ما ، على الارجح ، مهيناً ، في حين يظن ديموقراطي آخر اني افتري على الفلاح بدافع من الحقد الماركسي . الفلاحون هم الاغلبية ، وهم كادحون ، ومع ذلك لا يستطيعون ان يسيروا في طريقهم ! لماذا ؟

وقد اقول لمثل هذا المواطن : اذا كنت لا تعرف ، فاقرأ مبادئ الاقتصاد السياسي لماركس ، وعرضه عند كاوتسكي ، وامعن الفكر في تطور اي من الثورات الكبيرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، في التاريخ السياسي لاي بلد في القرن التاسع عشر . فان هذا التاريخ سيرد عليك موضحاً الاسباب . ان اقتصاد المجتمع

الرأسمالي لعلى نحو بحيث ان القوة السائدة لا يمكن ان تكون سوى الرأسمال او البروليتاريا التي تسقطه .

ولا قوة اخرى في اقتصاد هذا المجتمع .

ان الفلاح نصف كادح ، نصف مضارب . الفلاح كادح لأنه يحصل على خبزه بالعرق والدم ، ويستثمره الاقطاعيون والرأسماليون والتجار . والفلاح مضارب لأنه يبيع الحبوب ، المادة الضرورية ، المادة التي اذا لم تتوفر ، يصح اعطاء جميع الاموال لقاءها . فان المجاعة ليست خالة حنوناً ؛ ولقاء الحبوب يعطون حتى الف روبل واي مبلغ كان ، وحتى الاموال كلها .

وليس الذنب في ذلك ذنب الفلاح ، ولكن ظروفه الاقتصادية تتميز بكونه يعيش في ظل الاقتصاد البضاعي ، وعاش عشرات ومئات السنين ، واعتاد مبادلة حبوبه بالنقود . ولا يمكن تغيير العادة ، ولا يمكن الغاء النقود فوراً . فلأجل الغائها ، يجب تنظيم توزيع المنتوجات الغذائية لأجل مئات الملايين من الناس ، – وهذه قضية سنوات طويلة . وما دام الاقتصاد البضاعي قائماً ، وما دام هناك عمال جياع الى جانب فلاحين متخمين يخبئون الحبوب ، فان تناقضاً معيناً بين مصالح العمال والفلاحين سيظل قائماً ؛ وكل من يتملص من هذا التناقض الواقعي الذي خلقته الحياة ، بالجمل والتعابير حول «الحرية» و«المساواة» و«ديموقراطية العمل» ، انما هو ثرثار فارغ تماماً في افضل الاحوال ، ومدافع منافق عن الرأسمالية في اسوأ الاحوال . واذا ما انتصرت الرأسمالية على الثورة ، فانها ستنتصر باستغلال جهل الفلاحين لكون الرأسمالية ترشوهم وتغريهم بالعودة الى التجارة الحرة . والمناشفة والاشتراكيون-الثوريون يقفون فى الحقيقة الى جانب الرأسمالية وضد الاشتراكية .

ان البرنامج الاقتصادي لكولتشاك ودينيكين وجميع رجال

الحرس الابيض الروس ، هو التجارة الحرة . وهم يفهمون هذا ، وليس الذنب ذنبهم اذا كان المواطن شير لا يفهم هذا . ان الوقائع الاقتصادية في الحياة لا تتغير اذا كان الحزب المعني لا يفهمها . ان شعار البرجوازية هو التجارة الحرة . ويحاولون خداع الفلاحين قائلين لهم : «اولم يكن من الافضل العيش على النمط القديم ؟ اولم يكن من الافضل العيش بالبيع الحر للعمل الزراعي ؟ وما عسى ان يكون اعدل من هذا ؟» . هكذا يقول الكولتشاكيون الواعون ، وهم على حق من وجهة نظر مصالح الرأسمال . فلأجل بعث سلطة الرأسمال في روسيا ، يجب الاعتماد على التقاليد ، – على توهم الفلاح ضد بصيرته ، على العادة القديمة للتجارة الحرة ، – ويجب قمع مقاومة العمال وقمعها بالعنف . ولا مخرج آخر . ان الكولتشاكيين على حق من وجهة نظر الرأسمال ، وهم يعرفون كيف يوفقون بين البنود في برنامجهم الاقتصادي والسياسي ، ويدركون اين البداية واين النهاية ، ويدركون الصلة بين تجارة الفلاحين الحرة واطلاق النار على العمال قهراً وغصباً . ان الصلة متواجدة ، وان كان المواطن شير لا يدركها . ان التجارة الحرة بالحبوب هي برنامج الكولتشاكيين الاقتصادي ، واعدام عشرات الآلاف من العمال رمياً بالرصاص (كما في فنلنده) هو وسيلة ضرورية لأجل تطبيق هذا البرنامج ، لأن العامل لن يسلم طوعاً تلك المكاسب التي كسبها . ان الصلة لا تنفصم عراها ؛ وان هؤلاء الذين لا يفهمون شيئاً على الاطلاق في العلم الاقتصادي وفي السياسة الاقتصادية ، هؤلاء الذين ينسون اسس الاشتراكية بسبب من تخوفهم البليد الحقير – ونعني بهم بالذات المناشفة و«الاشتراكيين-الثوريين» – ان هؤلاء يحاولون حملنا على نسيان هذه الصلة بالجمل والتعابير عن «المساواة» وعن «الحرية» ، وبالزعيق والصياح اننا نخالف مبدأ المساواة داخل «ديموقراطية العمل» ، وان دستورنا «غير عادل» .

ان صوت بعض الفلاحين يعني قدر ما يعنيه صوت عامل واحد . وهذا غير عادل ؟

كلا ، ان هذا عادل بالنسبة للعهد الذي يجب فيه اسقاط الرأسمال . واني اعرف من اين تأخذون مفاهيمكم عن العدالة . ان مفاهيمكم مستقاة من العهد الرأسمالي الماضي . مالك البضائع ، مساواته ، حريته – هذه هي مفاهيمكم عن العدالة . انها بقايا برجوازية صغيرة لاوهام برجوازية صغيرة – هذه هي عدالتكم ، مساواتكم ، ديموقراطية عملكم . اما في نظرنا ، فان العدالة تخضع لمصالح اسقاط الرأسمال . ولا يمكن اسقاط الرأسمال الا بتضافر جهود البروليتاريا .

هل يمكن توحيد عشرات الملايين من الفلاحين ضد الرأسمال ، ضد التجارة الحرة ، على الفور وبصورة راسخة ؟ ليس بوسعكم ان تفعلوا هذا بحكم الظروف الاقتصادية ، حتى اذا كان الفلاحون احراراً تماماً واوسع ثقافة بكثير . ولا يمكن فعل هذا لانه تنبغي لهذا ظروف اقتصادية اخرى ، تنبغي لهذا سنوات طويلة من الاستعداد . ومن ذا الذي سيقوم به ، هذا الاستعداد ؟ اما البروليتاريا ، واما البرجوازية .

ان الفلاح في المجتمع البرجوازي يواجه بحكم وضعه الاقتصادي واحداً من امرين : اما السير وراء العامل ، واما السير وراء البرجوازية . **ولا وسط** . قد يتأرجح ، ويرتبك ، ويتخيل ، وقد ينكر ويشتم ، وقد يلعن ممثلي البروليتاريا «الضيقين» ، وممثلي البرجوازية «الضيقين» . فهم ، على حد زعمه ، يمثلون الاقلية . يمكن لعنهم ، يمكن اطلاق جمل مدوية عن الاغلبية ، عن الطابع الواسع والعام لديموقراطية عملكم ، عن الديموقراطية الخالصة . بوسع المرء ان يرصف قدر ما يريد من الكلمات . ولكنها ستكون كلمات تستر الواقع التالي : اذا كان الفلاح لا يسير وراء العامل ،

فانه يسير وراء البرجوازية . وليس ثمة ولا يمكن ان يكون ثمة وسط . ان هؤلاء الذين **لا يساعدون العمال** ، في هذه المرحلة الانتقالية الفائقة الصعوبة من مراحل التاريخ ، في وقت يجوع فيه العمال وتتوقف فيه صناعتهم ، على اخذ الحبوب بسعر اعدل ، **لا** بالسعر «**الحر**» ، لا بالسعر الرأسمالي ، لا بالسعر التجاري ، — ان هؤلاء يطبقون برنامج الكولتشاكيين ، مهما انكروا ذلك لاجل انفسهم شخصياً ومهما كانوا على اقتناع صادق بانهم ينفذون برنامجهم بالذات بنزاهة واخلاص .

٥

واتناول الآن المسألة الاخيرة التي ذكرتها ، مسألة هزيمة الثورة وانتصارها . ان كاوتسكي الذي ذكرته لكم ، بوصفه الممثل الرئيسي للاشتراكية القديمة ، والمتعفنة ، لم يفهم مهمات ديكتاتورية البروليتاريا . وقد لامنا لأن القرار بالاغلبية من شأنه ان يكون قراراً بوسعه ان يؤمن المآل السلمي ، في حين ان قرار الديكتاتورية هو قرار بالسبيل الحربي . وبالتالي ، اذا لم تكسبوا بالسبيل الحربي ، فانكم ستقهرون وتبادون لان الحرب الاهلية لا تأخذ اسرى ، بل تبيد . هكذا «خوفـ»نا كاوتسكي المذعور .

صحيح تماماً . هذا امر واقع . ونحن نؤكد صحة هذه الملاحظة . ولا مجال للاعتراض هنا . فان الحرب الاهلية حرب اوفر جدية وقساوة من اية حرب اخرى . وهكذا كان الحال دائماً في التاريخ ، ابتداء من الحروب الاهلية في روما القديمة لان الحروب الدولية كانت تنتهي دائماً بصفقات بين الطبقات المالكة ، بينما في الحرب الاهلية وحدها توجه الطبقة المظلومة جهودها نحو القضاء التام على الطبقة الظالمة ، نحو القضاء على الظروف والشروط الاقتصادية لوجود هذه الطبقة .

اني اسألكم : ماذا يساوي «الثوريون» الذين يخوفون الثورة المبتدئة بانها قد تمنى بالهزيمة ؟ كلا ، لم تقم ولا تقوم ولن تقوم ولا يمكن ان تقوم ثورات لا تتعرض لخطر الهزيمة . ان نضال الطبقات المستميت ، البالغ اقصى درجات القساوة يسمى بالثورة . ان النضال الطبقي امر محتم . فاما يجب العدول عن الثورة تماماً ، واما يجب الاعتراف بان النضال ضد الطبقات المالكة سيكون الاقسى بين جميع الثورات . وفي هذا الصدد ، لم تقم بين الاشتراكيين ، الواعين نوعاً ، اية خلافات في الآراء . وحين تأتى لي ان احلل كل هذا المكنون الارتدادي في كتابات كاوتسكي هذه ، كتبت منذ سنة قائلاً : وحتى لو ، - كان ذلك في ايلول (سبتمبر) من السنة الماضية ، - حتى لو اطاح الامبرياليون غداً بالسلطة البلشفية ، فاننا لن نندم وان ثانية واحدة على كوننا قد اخذنا السلطة * . وما من عامل من العمال الواعين الذين يمثلون مصالح الجماهير الكادحة سيندم على هذا ، سيشك في ان ثورتنا قد انتصرت ، مع ذلك . لان الثورة تنتصر اذا كانت تدفع الى الامام الطبقة الطليعية التي تسدد ضربات جدية الى الاستثمار . وبهذا الشرط تنتصر الثورات حتى عندما تمنى بالهزيمة . قد يبدو هذا تلاعباً في الكلام ؛ ولكن لتبيان ان هذا امر واقع ، لنأخذ مثلاً ملموساً من التاريخ .

خذوا الثورة الفرنسية الكبرى . فليس عبثاً تسمى بالثورة الكبرى . فلأجل طبقتها ، التي عملت لاجلها ، لأجل البرجوازية ، فعلت الكثير الى حد ان القرن التاسع عشر كله ، ذلك القرن الذي اعطى البشرية جمعاء الحضارة والثقافة ، انقضى تحت راية الثورة

---

* راجعوا هذا الكتاب ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ . **الناشر** .

الفرنسية . ان هذا القرن لم يفعل في جميع انحاء الدنيا غير ان طبق ، وحقق جزءاً جزءاً واكمل ما صنعه الثوريون الفرنسيون العظام من البرجوازية التي خدموا مصالحها ، رغم انهم لم يدركوا هذا ، متسترين بكلمات الحرية والمساواة والاخوة .

ان ثورتنا قد فعلت لأجل طبقتنا ، لأجل الطبقة التي نخدمها ، لأجل البروليتاريا ، في سياق سنة ونصف السنة ، اكثر بما لا قياس له مما فعله الثوريون الفرنسيون العظام .

لقد صمدوا في بلدهم سنتين ثم هلكوا تحت ضربات الرجعية الاوروبية المتحدة ، هلكوا تحت ضربات الجحافل المتحدة للعالم باسره التي حطمت الثوريين الفرنسيين ، واعادت الملك الليجيتمي ، الشرعي في فرنسا ، ملكاً من آل رومانوف في ذلك الزمن ، واعادت الاقطاعيين ، وخنقت لعقود طويلة من السنين كل حركة ثورية في فرنسا . ومع ذلك انتصرت الثورة الفرنسية الكبرى .

ان كل امرئ ينظر الى التاريخ نظرة واعية سيقول ان الثورة الفرنسية ، حتى وان كانوا هزموها ، قد انتصرت مع ذلك ، لانها اعطت العالم اجمع دعائم للديموقراطية البرجوازية ، للحرية البرجوازية ، كان قد غدا من المستحيل ازالتها .

وفي سياق سنة ونصف السنة ، فعلت ثورتنا لأجل البروليتاريا ، لأجل تلك الطبقة التي نخدمها ، لأجل ذلك الهدف الذي نعمل في سبيله ، لأجل دك سيطرة الرأسمال ، اكثر بما لا قياس له مما فعلت الثورة الفرنسية لأجل طبقتها . ولهذا نقول انه حتى لو اخذنا من الحالات الممكنة اسوأها ، الحالة المحتملة فرضاً ، حتى لو استطاع غداً كولتشاك ما حسن الطالع ان يبيد جميع البلاشفة عن بكرة ابيهم وكل بلشفي بمفرده ، فان الثورة ستبقى منيعة لا تقهر . واننا لنجد البرهان على كلامنا في كون تنظيم الدولة الجديد الذي تقدمت به ثورتنا قد انتصر معنوياً في صفوف الطبقة العاملة في العالم

اجمع ، ويحظى الآن بمساندتها . وعندما هلك الثوريون البرجوازيون الفرنسيون العظام في غمرة النضال ، هلكوا وحدهم منفردين ، ولم يكن لديهم سند ودعم في البلدان الاخرى . وضدهم تراصت جميع الدول الاوروبية وفي المقام الاول بينها بريطانيا المتقدمة . اما ثورتنا ، فقد توصلت الآن ، بعد سنة ونصف السنة فقط من سيادة السلطة البلشفية ، الى الامر التالي ، وهو ان تنظيم الدولة الجديد الذي انشأته ، التنظيم السوفييتي ، اصبح مفهوماً ، معروفاً ، شعبياً ، بين عمال العالم اجمع ، اصبح بالنسبة لهم تنظيمهم بالذات .

لقد برهنت لكم ان ديكتاتورية البروليتاريا محتمة ، وضرورية ، والزامية من كل بد لأجل الخروج من الرأسمالية . ان الديكتاتورية لا تعني العنف فقط ، مع انها مستحيلة بدون العنف ، بل تعني كذلك تنظيماً للعمل ارقى من التنظيم السابق . ولهذا السبب اشرت في تحيتي الموجزة في بداية المؤتمر الى هذه المهمة الاساسية ، الابتدائية ، البسيطة للغاية ، مهمة **التنظيم** ؛ ولهذا السبب انظر بمثل هذا العداء الذي لا هوادة فيه الى شتى اختلاقات المثقفين ، الى شتى «الثقافات البروليتارية» . وهذه الاختلاقات اعارضها بالفباء التنظيم . وزعوا الحبوب والفحم بحيث يتجلى الحرص على كل بود من الفحم ، على كل بود من الحبوب ، — تلك هي مهمة الطاعة البروليتارية . وليست هذه بطاعة تستند الى العصا ، كما كانت تستند الطاعة الى العصا عند مالكي الاقنان ، او الى الجوع كما عند الرأسماليين ، بل طاعة رفاقية ، طاعة الاتحادات العمالية . ادوا هذه المهمة الابتدائية ، البسيطة للغاية ، فننتصر . لان الفلاح سيسير كلياً آنذاك معنا ، وهو الذي يتذبذب بين العامل والرأسمالي ، ولا يعرف ما اذا كان يجب عليه ان يذهب الى اولئك الذين لا يؤمن فيهم بعد ، ولكن لا يستطيع ان ينكر انهم يطبقون نظاماً اعدل للعمل لن يكون فيه مكان للاستثمار ،

وستكون في ظله المتاجرة «الحرة» بالحبوب جريمة عظمى ، – ما اذا كان يجب عليه ان يسير وراءهم ام وراء اولئك الذين يعدون ، كما في السابق ، بحرية المتاجرة بالحبوب التي تعني ، حسب زعمهم ، حرية العمل . واذا رأى الفلاح ان البروليتاريا تبني سلطة دولتها بحيث تستطيع ان تؤمن النظام ، – والواقع ان الفلاح يطالب به ، يريده ، وهو على حق في ذلك ، رغم ان الكثير من الامور الغامضة والكثير من الآراء الرجعية والكثير من الاوهام المسبقة مقترن بهذا الطموح الفلاحي الى النظام ، – فان الفلاح سيسير وراء العامل في آخر المطاف ، بعد جملة من الذبذبات . ان الفلاح لا يستطيع ان يمضي ببساطة ، وسهولة ، ودفعة واحدة من المجتمع القديم الى المجتمع الجديد . فهو يعرف ان النظام القديم قد اعطاه «النظام» بثمن خراب الشغيلة ، بثمن تحويلهم الى عبيد . وهو لا يعرف ما اذا كان بوسع البروليتاريا ان تعطيه النظام . ولا تمكن مطالبته باكثر من ذلك ، هو الانسان المضام ، الجاهل ، المبعثر . وهو لا يصدق اية اقوال ولا اية برامج . وحسناً يفعل اذا كان لا يصدق الاقوال ، والا لما كان ثمة اي مخرج من الخداع والكذب . وهو لا يصدق الا الفعل ، الا التجربة العملية . اثبتوا له انكم انتم البروليتاريا المتحدة ، السلطة البروليتارية ، ديكتاتورية البروليتاريا ، تستطيعون ان توزعوا الحبوب والفحم بحيث تنقذون كل بود من الحبوب وكل بود من الفحم ، تستطيعون ان تتصرفوا بحيث لا يصل اي بود فائض من الحبوب واي بود فائض من الفحم الى البيع بالمضاربة ، بحيث لا يخدم ابطال سوخاريفكا ، بل يخدم قضية التوزيع العادل ، قضية تموين العمال الجياع ، قضية دعمهم حتى في ازمان مثل زمن البطالة ، حين تتوقف المصانع والمعامل عن العمل . اثبتوا هذا . هذه هي المهمة الاساسية التي تواجه الثقافة البروليتارية والتنظيم البروليتاري . يمكن اللجوء الى العنف دون ان تكون الجذور

الاقتصادية متوفرة ، ولكن التاريخ سيحكم عليه آنذاك بالفشل . بيد انه يمكن اللجوء الى العنف بالاعتماد على الطبقة الطليعية ، على مبادئ ارفع ، هي مبادئ البنيان الاشتراكي والنظام الاشتراكي والتنظيم الاشتراكي . **وآنذاك قد يمنى موقتاً بالفشل ، ولكنه لن يقهر** .

اذا بيّن التنظيم البروليتاري للفلاح ان النظام صحيح ، ان توزيع العمل والحبوب صحيح ، ان الحرص على كل بود من الحبوب ومن الفحم مؤمن ، اننا نحن العمال نستطيع ان نحقق هذا بطاعتنا الرفاقية ، الاتحادية ، واننا لا نناضل بالعنف الا للذود عن مصالح العمل ولانتزاع الحبوب من المضاربين ، وليس من الكادحين ، واننا نقدم على الاتفاق مع الفلاح المتوسط ، مع الفلاح الكادح ، واننا مستعدون ان نعطيه كل ما في وسعنا ان نعطيه الآن ، — اذا رأى الفلاح هذا ، فان اتحاده مع الطبقة العاملة ، اتحاده مع البروليتاريا سيكون ثابتاً لا يتزعزع ، — ونحو هذا بالذات نمضي .

لقد خرجت عن الموضوع بعض الشيء ، ويجب عليّ ان اعود اليه . ففي جميع البلدان لم تبق الآن كلمة «بلشفي» وكلمة «سوفييت» تعبيراً غريباً ، كما كانتا عليه حتى الآونة الاخيرة ، مثل كلمة «بوكسر» التي كنا نكررها دون ان نفهمها . ان كلمة «بلشفي» وكلمة «سوفييت» تترددان الآن في جميع لغات العالم . وان العمال الواعين يرون البرجوازية في جميع البلدان تصب كل يوم بملايين النسخ من جرائدها سيول الافتراءات على السلطة السوفييتية ، — وهم يتعلمون من هذا الشتم . لقد قرأت مؤخراً بعض الجرائد الاميركية . ورأيت خطاب كاهن اميركي قال ان البلاشفة اناس بلا اخلاق ، وانهم يطبقون تأميم النساء ، وانهم قطاع طرق ونهابون . ورأيت رد الاشتراكيين الاميركيين : انهم يوزعون ، لقاء ٥ سنتات ، دستور جمهورية روسيا السوفييتية ، دستور هذه «الديكتاتورية»

التي لا تمنح «مساواة ديموقراطية العمل» . وهم يردون مستشهدين بفقرة من هذا الدستور لهؤلاء «المغتصبين» ، «قطاع الطرق» ، «العسافين» ، الذين ينتهكون وحدة ديموقراطية العمل . ولكن عندما حيوا بريشكوفسكايا ، طبعت الجريدة الرأسمالية الكبرى في نيويورك باحرف عريضة جداً في يوم وصول بريشكوفسكايا : «اهلاً وسهلاً ، يا جدة !» . وقد اعاد الاشتراكيون الاميركيون طبع هذا وقالوا : «انها تؤيد الديموقراطية السياسية ، — فهل يدهشكم ، ايها العمال الاميركيون ، اذا كان الرأسماليون يمدحونها ؟» . انها تؤيد الديموقراطية السياسية . لماذا يجب عليهم ان يمدحوها ؟ لانها ضد الدستور السوفييتي . يقول الاشتراكيون الاميركيون : «واليكم فقرة من دستور قطاع الطرق هؤلاء» . ويستشهدون دائماً بالفقرة ذاتها التي تقول ان من يستثمر عمل الغير لا يحق له ان ينتخب ويُنتخب . وهذه الفقرة من دستورنا يعرفونها في العالم اجمع . ان السلطة السوفييتية ، بفضل انها قالت على المكشوف ان كل شيء يخضع لديكتاتورية البروليتاريا ، ان ديكتاتورية البروليتاريا هي طراز جديد من تنظيم الدولة ، بفضل ذلك على وجه الضبط ، كسبت عطف العمال في العالم اجمع . ان هذا التنظيم الجديد للدولة يولد باعظم الجهد ، لان انتصار الطبقة المعنية على استهتارها التشويشي ، البرجوازي الصغير — انما هو الامر الاصعب ، انما هو اصعب بمليون مرة من قمع العسّاف-الاقطاعي او العسّاف-الرأسمالي ، ولكنه ايضاً انجع بمليون مرة لاجل انشاء تنظيم جديد ، خال من الاستثمار . وحين يتم التنظيم البروليتاري حل هذه المهمة ، حينذاك ستنتصر الاشتراكية نهائياً . ولهذا الغرض يجب علينا ان نكرس كل نشاطنا سواء داخل نظام التعليم ام خارجه . ورغم الظروف المرهقة ارهاقاً ، ورغم ان الانقلاب الاشتراكي يحدث ، للمرة الاولى في العالم ، في بلد بمثل

هذا المستوى الثقافي المنحط ، رغم هذا ، حظيت السلطة السوفييتية باعتراف العمال في البلدان الاخرى . ان تعبير «ديكتاتورية البروليتاريا» تعبير لاتيني ، وكل كادح سمعه لم يفهم ما يعنيه ، لم يفهم كيف يتحقق هذا في الواقع . اما الآن فان هذا التعبير قد ترجم من اللاتينية الى اللغات العصرية الشعبية ؛ اما الآن ، فقد بيّنا ان ديكتاتورية البروليتاريا هي السلطة السوفييتية ، هي تلك السلطة التي تقوم حين ينظم العمال انفسهم بانفسهم ويقولون : «ان تنظيمنا ارفع من اي آخر ؛ ولا يحق لاي امرئ لا يشتغل ، ولا لاي مستثمر ان يشتركا في هذا التنظيم . ان هذا التنظيم يرمي كله الى هدف واحد – الى اسقاط الرأسمالية . ولن يخدعنا احد باية شعارات زائفة ، باية تمائم من طراز «الحرية» و«المساواة» . فنحن لا نعترف لا بالحرية ، ولا بالمساواة ، ولا بديموقراطية العمل ، اذا كانت تناقض مصالح تحرير العمل من نير الرأسمال» . وهذا ما ادرجناه في الدستور السوفييتي واجتذبنا اليه عطف العمال في العالم اجمع . فان هؤلاء العمال يعرفون انه مهما كانت ولادة النظام الجديد صعبة ، ومهما كانت المحن وحتى الهزائم التي ستكون من نصيب مختلف الجمهوريات السوفييتية مرهقة ، فما من قوة في العالم تستطيع ان تعيد البشرية الى الوراء . **(تصفيق صاخب .)**

صدر عام ١٩١٩ في كتاب : ن . لينين . «خطابان في المؤتمر الاول لعامة روسيا للتعليم غير المدرسي (١٦–١٩ ايار – مايو ١٩١٩)» . موسكو

المجلد ٣٨ ، ص‌ص ٣٣٣–٣٧٢

مقدمة لطبعة الخطاب
حول خداع الشعب
بشعاري الحرية والمساواة

لا مراء في ان المسألة التي بحثتها في خطابي ، في ١٩ ايار (مايو) امام مؤتمر التعليم غير المدرسي ، اي مسألة المساواة بوجه عام ، ومساواة العامل والفلاح بوجه خاص ، هي من اشد القضايا صعوبة و«ايلاماً» في الوقت الحاضر ، فهي تمس اعمق اوهام البرجوازي الصغير ، ورب العمل الصغير ، ومالك البضائع الصغير ، والتافه الضيق الافق ، وتسعة اعشار المثقفين (ومنهم المثقفون المناشفة والاشتراكيون-الثوريون) .

انكار المساواة بين العامل والفلاح ! ما افظع هذا ! طبيعي ان جميع اصدقاء الرأسماليين ، واذيالهم وبالدرجة الاولى بينهم المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، سيحاولون التمسك بهذا «للتحرش» بالفلاح ، «لتهييجه» ، لتأليبه على العمال ، على الشيوعيين . وهذا النوع من المحاولات امر لا مناص منه ، ولكن مصيرها الاخفاق المخزي لانها قائمة على الكذب .

ان الفلاحين اناس جديون ، سليمو التفكير ، اناس عمليون . ينبغي توضيح الامور لهم بصورة عملية ، بامثلة جد بسيطة ، مستقاة من الحياة . فهل من العدل ان يعمد الفلاح الذي لديه فوائض من الحبوب الى اخفائها حتى ترتفع الاسعار الى اسعار المضاربة

الشديدة ، دون ان يأبـه للعمال الجائعين ؟ أوليس من العدل ان تحصل سلطة الدولة ، الموجودة في ايدي العمال ، على جميع فوائض الحبوب بسعر ثابت تقرره الدولة ، لا بسعر المضاربـة ، بسعر فاحش ، بسعر جائر ؟

على هذا النحو بالضبط توضع المسألـة . وهـذا هو جوهر الامر كله . وان جوهر الامر هذا يريد التملص منه بواسطة الكلام الفارغ حول «المساواة» وحول «وحدة ديموقراطية العمل» ، جميع المخاتلين الذين يعملون ، على غرار المناشفـة والاشتراكيين-الثوريين ، في صالـح الرأسماليين ، مـن اجـل بعث تسلط الرأسماليين .

ينبغي على الفلاحين ان يختاروا :

اما حريـة التجارة بالحبوب – وهذا يعني المضاربـة على الحبوب ، وحرية الاغنياء في الاثراء ، وحرية الفقراء في معاناة البؤس والجوع ، وبعث تسلط الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وفصم عرى التحالف بين الفلاحين والعمال ؛

واما تسليم الدولة ، اي سلطة العمال الموحـدة ، فوائض الحبوب بسعر ثابت ، وهذا يعني تدعيم تحالف الفلاحين مع العمال من اجـل القضاء التام على البرجوازية وازالة كـل امكانية لبعث سلطتها .

تلك هي المعضلة .

ان الفلاحين الموسرين ، الكولاك ، سيختارون السبيل الاول ، سيرغبون في تجريب حظهـم في التحالف مع الرأسماليين والملاكين العقاريين ضد العمال ، ضد الفقراء . ولكن هؤلاء الفلاحين سيكونون اقلية في روسيا . اما اغلبية الفلاحين ، فانهم سيؤيدون التحالف مع العمال ضد بعث سلطة الرأسماليين ، ضد «حرية الغني في الاثراء» ، ضد «حرية الفقير في التضور جوعاً» ، ضد تستير هذه «الحريـة»

الرأسمالية اللعينة (حرية الموت جوعاً) ، خداعاً ، وراء تعابير طنانة حول «المساواة» (مساواة المتخم الذي يملك فوائض من الحبوب مع الجائع) .

فمهمتنا ان نناضل ضد الخداع الرأسمالي الداهي الذي يمارسه المناشفة والاشتراكيون-الثوريون عن طريق تعابير جميلة رنانة حول «الحرية» و«المساواة» .

ايها الفلاحون ! انزعوا القناع عن وجوه هؤلاء الذئاب الذين يلبسون لباس الحملان ، والذين ينشدون الاناشيد العذبة حول «الحرية» و«المساواة» و«وحدة ديموقراطية العمل» ، مدافعين بالفعل بهذه الطريقة عن «حرية» الملاك العقاري في اضطهاد الفلاحين ، عن «المساواة» بين الرأسمالي الغني والعامل او الفلاح نصف الجائع ، عن «المساواة» بين المتخم ، الذي يخفي فوائض حبوبه ، والعامل الذي يتضور من الجوع والبطالة بسبب من الخراب الناجم عن الحرب . ان هؤلاء الذئاب الذين يلبسون لباس الحملان هم ألد اعداء الشغيلة ، وسواء تسموا مناشفة ، أو اشتراكيين-ثوريين ، أو لاحزبيين ، فانهم اصدقاء الرأسماليين .

«ان العامل والفلاح متساويان بوصفهما شغيلين ، ولكن المضارب بالحبوب ، المضارب المتخم ، ليس مساوياً للشغيل الجائع» . «اننا نناضل دفاعاً عن مصالح العمل فقط ، آخذين الحبوب من المضارب لا من الشغيل» . «اننا نقدم على التفاهم مع الفلاح المتوسط ، مع الفلاح الشغيل» ، – هذا ما اعلنته في خطابي ، هذا هو **جوهر** المسألة ، هذه هي الحقيقة الفعلية التي يشوشونها بجمل طنانة حول «المساواة» . واغلبية الفلاحين الهائلة تعرف ان هذا صحيح ، ان **دولة العمال** تكافح المضاربين والاغنياء ، وتساعد الشغيلة والفقراء ، بجميع الطرق ، بينما **دولة الملاكين العقاريين** (في عهد القيصر) **والدولة الرأسمالية** (في ظل النظام الجمهورى

الاوفر حرية وديموقراطية) تعمدان دائماً وفي كل مكان ، في جميع البلدان ، **الى مساعدة الاغنياء في نهب الشغيلة ، الى مساعدة المضاربين والاغنياء في الاثراء على حساب الفقراء الذين يعانون وطأة الخراب .**

وهذه الحقيقة ، انما يعرفها كل فلاح . ولهذا ، كلما ازداد الوعي عند اغلبية الفلاحين ، كلما اختاروا بمزيد من السرعة والحزم : يختارون التحالف مع العمال ، والتفاهم مع حكومة العمال ، ضد دولة الملاكين العقاريين او الرأسماليين ؛ يختارون السلطة السوفييتية ضد «الجمعية التأسيسية» او «الجمهورية الديموقراطية» ؛ يختارون التفاهم مع البلاشفة الشيوعيين ، ضد اسداء اية مساندة للرأسماليين والمناشفة والاشتراكيين-الثوريين !

* * *

اما السادة «المتعلمون» ، والديموقراطيون ، والاشتراكيون ، والاشتراكيون-الديموقراطيون والاشتراكيون-الثوريون ، الخ . . ، فاننا نقول لهم : انتم جميعاً تقرون قولاً «بالنضال الطبقي» ، ولكنكم تنسونه بالفعل خصوصاً حينما يحتدم الى الذروة . فان تناسي النضال الطبقي يعني الانتقال الى جانب الرأسمال ، الى جانب البرجوازية ، ضد الشغيلة .

ان من يقر بالنضال الطبقي لا بد له ان يقر بان «الحرية» و«المساواة» في الجمهورية البرجوازية ، حتى وان كانت اوفر الجمهوريات البرجوازية حرية وديموقراطية ، لم يكن بامكانهما ان تكونا ولم تكونا قط إلا التعبير عن مساواة وحرية **مالكي البضائع** ، عن مساواة وحرية **الرأسمال** . وقد اوضح ماركس ذلك الف مرة في جميع مؤلفاته ولا سيما في «رأس المال» (الذي تقرون به جميعكم **بالاقوال**) وسخر من المفهوم المجرد عن «الحرية والمساواة» ، ومن السطحيين اضراب بنتام الذين لم يدركوا هذا المفهوم المجرد ،

وعرّى الجذور المادية لهذه التجريدات .

ان «الحرية والمساواة» في ظل النظام البرجوازي (اي حيث ما تزال الملكية الخاصة للارض ووسائل الانتاج) وفي نظام الديموقراطية البرجوازية ، تظلان شكليتين ؛ وتعنيان بالفعل **عبودية العمل المأجور** بالنسبة للعمال (العمال الاحرار شكلاً ، المتساوين شكلاً في الحقوق) **وتسلط الرأسمال** ، واضطهاد الرأسمال للعمل . وهذه الفباء الاشتراكية ، ايها السادة «المتعلمون» ، — ونسيتموها .

من هذه الالفباء ، ينجم ما يلي : اثناء الثورة البروليتارية ، حين يحتدم النضال الطبقي الى حد ان يتحول الى حرب اهلية ، لا يمكن الا للاغبياء والخونة التملص بالجمل الفارغة حول «الحرية» و«المساواة» و«وحدة ديموقراطية العمل» . اما في الواقع ، فان مآل الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية هو الذي يقرر كل شيء بينما الطبقات المتوسطة ، الوسطية (ومنها كل البرجوازية الصغيرة ، اي أيضاً كل طبقة «الفلاحين») ، فانها تتأرجح حتماً بين المعسكرين .

ان الكلام يدور حول انضمام هذه الفئات الوسطية الى احدى القوتين الرئيسيتين : البروليتاريا او البرجوازية . **ولا يمكن ان يكون** ثمة شيء آخر ؛ ان من لم يدرك ذلك عند قراءة كتاب ماركس ، «رأس المال» ، لم يفهم شيئاً من ماركس ، لم يفهم شيئاً من الاشتراكية ، وهو بالفعل تافه ضيق الافق ، وبرجوازي صغير يسير وراء البرجوازية عن عمى . ومن ادرك ذلك ، لن ينخدع بالجمل حول «الحرية» و«المساواة» ، بل سيفكر ويتحدث **باشياء عملية** ، اي بالشروط الملموسة **للتقارب** بين الفلاحين والعمال ، **بتحالفهم** ضد الرأسماليين ، **بتفاهمهم** ضد المستثمرين والاغنياء والمضاربين .

ان ديكتاتورية البروليتاريا ليست نهاية النضال الطبقي ؛ انما هي استمراره باشكال جديدة . ان ديكتاتورية البروليتاريا هي

النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا الظافرة التي تسلمت زمام السلطة السياسية ، ضد البرجوازية التي تم التغلب عليها ، ولكن لم يتم القضاء عليها والتي لم تزل ، ولم تكف عن المقاومة ، بل شددت مقاومتها . ان ديكتاتورية البروليتاريا هي شكل خاص من التحالف الطبقي بين البروليتاريا ، طليعة الشغيلة وبين الفئات العديدة غير البروليتارية من الشغيلة (البرجوازية الصغيرة ، صغار ارباب العمل ، الفلاحين ، المثقفين ، الخ .) ، او اغلبية هذه الفئات ، وهو تحالف ضد الرأسمال ، تحالف يهدف الى اسقاط الرأسمال بصورة تامة وسحق مقاومة البرجوازية ومحاولاتها للعودة سحقاً ، تحالف يهدف الى اقامة الاشتراكية وتوطيدها نهائياً . انه تحالف من نوع خاص ، يتكون في ظروف خاصة ، اي في ظروف حرب اهلية ضارية ؛ انه تحالف بين انصار الاشتراكية الحازمين وحلفائها المترددين ، «الحياديين» احياناً (وحينذاك يتحول التحالف من تفاهم في سبيل النضال الى تفاهم في سبيل الحياد) ، انه تحالف بين طبقات تختلف على الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري . ولا يستطيع التهرب من دراسة اشكال هذا التحالف الملموسة ، من دراسة شروط هذا التحالف ومهماته ، بوساطة جمل عامة حول «الحرية» و«المساواة» و«وحدة ديموقراطية العمل» — اي بوساطة خرق مستمدّة من جعبة عهد الانتاج البضاعي الفكرية — الا الابطال المتعفنون في الامية المتعفنة ، امية برن الصفراء ، من طراز كاوتسكي ومارتوف وشركاهما .

ن . لينين

٢٣ حزيران (يونيو) ١٩١٩ .

صدر عام ١٩١٩ في كتاب : ن . لينين . «خطابان في المؤتمر الاول لعامة روسيا للتعليم غير المدرسي (٦–١٩ ايار – مايو ١٩١٩)» . موسكو

المجلد ٣٨ ،
صص ٣٧٣–٣٧٧

ملاحظات

١ – فور انتقال سلطة الدولة في روسيا الى ايدي سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، اقر مؤتمر السوفييتات الثاني لعامة روسيا في ٢٦ اكتوبر – تشرين الاول (٨ تشرين الثاني – نوفمبر) ١٩١٧ مرسوم السلام الذي اقترح فيه على جميع الحكومات والشعوب المتحاربة وضع حد للحرب الامبريالية التي دامت اكثر من ثلاث سنوات والبدء بمفاوضات الصلح . وبما ان دول الوفاق رفضت الاقتراح السوفييتي وواصلت الحرب ، فقد بدأت الحكومة السوفييتية مفاوضات منفردة للصلح مع المانيا . وفي ٣ آذار (مارس) ١٩١٨ وقعت روسيا السوفييتية في بريست-ليتوفسك على معاهدة الصلح مع المانيا وحليفاتها . عقد الصلح بشروط في منتهى المشقة بالنسبة للبلاد السوفييتية ، ولكنه اعطى الشعب السوفييتي فترة للراحة ضرورية له واتاح الشروع بترميم الاقتصاد الذي دمرته الحرب . – ص ٨ .

٢ – **المؤتمر الرابع ، الاستثنائي لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعامة روسيا** . انعقد في موسكو في ١٤ و١٥ و١٦ آذار (مارس) ١٩١٨ . صادق المؤتمر على معاهدة بريست للصلح . – ص ٨ .

٣ – **المناشفة** – الجناح الانتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية في روسيا . نشأ عام ١٩٠٣ اثناء مؤتمر الحزب الثاني ، ثم تشكل في حزب

المناشفة . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية عام ١٩١٧ ، دعم المناشفة سياسة الحكومة الموقتة البرجوازية واشتركوا فيها . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، عارض المناشفة عقد الصلح مع المانيا ، ونادوا بمواصلة الحرب الامبريالية . في سنوات الحرب الاهلية ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، اشترك قسم من المناشفة في نضال اعداء الثورة ضد الشعب السوفييتي . — ص ٨ .

٤ — في المؤتمر الرابع لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين الذي انعقد في موسكو في ١٤ و١٥ و١٦ آذار (مارس) ١٩١٨ ، كان ٧٩٥ مندوباً من اصل ١٢٣٢ مندوباً بصوت تقريري يمثلون السوفييتات المحلية ، اي الاغلبية الساحقة ، من البلاشفة . وقد بيّن تركيب المؤتمر على هذا النحو ان اغلبية العمال والجنود والفلاحين الذين انتخبوا السوفييتات المحلية تدعم البلاشفة وتقف الى جانب السلطة السوفييتية . — ص ١١ .

٥ — **الكاديت** — اسم مختصر لاعضاء الحزب الدستوري-الديموقراطي ، الحزب الرئيسي للبرجوازية الليبيرالية الروسية المؤسس عام ١٩٠٥ .

بعد ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، ناضل الكاديت ، وهم في قوام الحكومة الموقتة البرجوازية ، ضد حركة العمال والفلاحين الثورية ، وذادوا عن الملكية العقارية الاقطاعية ، وحاولوا اكراه الشعب على مواصلة الحرب الامبريالية . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، سار الكاديت على رأس الثورة المضادة التي نظمت النضال المسلح ضد روسيا السوفييتية . — ص ١١ .

٦ — **الاشتراكيون-الثوريون** — اعضاء حزب الاشتراكيين-الثوريين . وهو حزب للبرجوازية الصغيرة تشكل في عامي ١٩٠١ و١٩٠٢ . ناضل الاشتراكيون-الثوريون ضد القيصرية بطرائق الارهاب الفردي .

بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية عام ١٩١٧ ، ساند الاشتراكيون-الثوريون سياسة الحكومة الموقتة البرجوازية واشتركوا فيها . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، عارض الاشتراكيون-الثوريون عقد الصلح مع المانيا ونادوا بمواصلة الحرب الامبريالية . نظم زعماء الاشتراكيين-الثوريين نضال الثورة المضادة المسلح ضد الشعب السوفييتي في سنوات ١٩١٨ ، ١٩١٩ و١٩٢٠ . — ص ١١ .

٧ — نص **قانون جتمعة الارض** (قانون جعل الارض ملكية اجتماعية) بتاريخ ١٨ (٣١) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ على تطبيق التوزيع المتساوي للارض وفقاً «لمعدل العمل» او وفقاً «لمعدل الاستهلاك» ، الامر الذي سبق وطالب به الفلاحون . ولكن القانون طرح في الوقت نفسه مهمة «تطوير الاقتصاد الجماعي في الزراعة لأنه أفيد من حيث توفير العمل والمنتجات» بغية الانتقال الى الاقتصاد الاشتراكي . — ص ١٣ .

ونصت «**لائحة الرقابة العمالية**» التي صادقت عليها اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ١٤ (٢٧) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ على تطبيق الرقابة العمالية في المؤسسات على انتاج وتوزيع جميع المنتجات والمواد الاولية . وكان الممثلون المنتخبون للعمال والمستخدمين في المؤسسة المعنية هم الذين يبسطون هذه الرقابة . اضطلع تطبيق الرقابة العمالية بدور كبير في اعداد تأميم الصناعة . — ص ١٣ .

٨ — المقصود هنا الثورة الفرنسية في اعوام ١٧٨٩ — ١٧٩٤ وكومونة باريس فى عام ١٨٧١ . — ص ١٥ .

٩ — في ١٨ تشرين الثاني — نوفمبر (اول كانون الاول — ديسمبر) ١٩١٧ ، اقر مجلس مفوضي الشعب مرسوماً ينص على ان يكون الحد الاعلى لرواتب مفوضي الشعب وكبار المستخدمين ٥٠٠ روبل في الشهر مع علاوة قدرها ١٠٠ روبل عن كل عضو غير قادر على

العمل من اعضاء العائلة ، اي ما كان يناسب تقريباً متوسط اجرة العامل . وفي ٢ (١٥) كانون الثاني (يناير) اوضح مجلس مفوضي الشعب ان المرسوم الصادر في ١٨ تشرين الثاني لا يتضمن منع اقرار رواتب ارفع من المشار اليها في المرسوم للاختصاصيين في ميداني العلم والتكنيك . — ص ٢٠ .

١٠ — «**نوفايا جيزن**» («الحياة الجديدة») — جريدة فريق من الاشتراكيين-الديموقراطيين يسمى بفريق «الامميين» ويضم المناشفة اليساريين وافراداً من المثقفين ذوي الميل نصف المنشفي . صدرت من نيسان (ابريل) ١٩١٧ الى تموز (يوليو) ١٩١٨ في بتروغراد . قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ ، سارت الجريدة على خط المعارضة المتذبذبة للحكومة الموقتة البرجوازية ، واقفة تارة ضد هذه الحكومة وطوراً ضد البلاشفة . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغلت الجريدة موقفاً عدائياً من السلطة السوفييتية . — ص ٢٠ .

١١ — منذ الايام الاولى من عهد السلطة السوفييتية ، بدأ تطبيق الرقابة على التجارة الخارجية . ولكن الاكتفاء بتنظيم الرقابة والحماية الجمركية لم يكن بوسعه ان يشكل حماية موثوقة للاقتصاد السوفييتي من الرأسمال الاجنبي . وقد اوضح لينين ان الطبقة العاملة في البلاد السوفييتية «عاجزة كلياً عن بعث صناعتها وجعل روسيا بلاداً صناعية بدون حمايتها باحتكار التجارة الخارجية فقط وعلى وجه الحصر ، وليس البتة بالسياسة الجمركية» . في ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩١٨ ، صادق مجلس مفوضي الشعب على المرسوم باحتكار التجارة الخارجية . — ص ٢٤ .

١٢ — في الاشهر الاولى من عهد السلطة السوفييتية ، كانت الضرائب الاستثنائية والغرامات احد المصادر الاساسية لواردات الميزانية ولا سيما في القاعدة ، على الصعيد المحلي . ومع توطد السلطة السوفييتية ، نهضت مسألة الانتقال الى التكليف الضرائبي المنتظم . وفي هذا المجال كان لا بدّ ان يعود الدور الرئيسي الى ضريبة الدخل

التصاعدية وضريبة الاملاك اللتين تتيحان القاء العبء الاساسي من الضرائب على الفئات المالكة من السكان . في ١٧ حزيران (يونيو) ١٩١٨ صادق مجلس مفوضي الشعب على «المرسوم بتغيير واستكمال المرسوم الصادر في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ بتحصيل الضرائب المباشرة» . حدد المرسوم الجديد نظاماً دقيقاً لفرض ضريبة الدخل وضريبة الاملاك . — ص ٢٥ .

١٣ — **«مرسوم المنظمات التعاونية الاستهلاكية»** — اقره مجلس مفوضي الشعب في ١٠ نيسان (ابريل) ١٩١٨ . لقي المشروع الاولي للمرسوم المقاومة من جانب التعاونيين البرجوازيين الذين زادوا عن استقلال التعاون عن هيئات السلطة السوفييتية . وبغية الاستفادة من الجهاز التعاوني القائم لأجل ضبط شؤون توزيع المأكولات ، اقدم مجلس مفوضي الشعب على بعض التنازلات في صالح التعاونيين البرجوازيين ، وعن هذه التنازلات يتحدث لينين . — ص ٢٨ .

١٤ — **الكيرنسكية** — المرحلة الواقعة بين ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية وثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ . في تلك المرحلة كانت الحكومة الموقتة برئاسة الاشتراكي-الثوري كيرنسكي الذي كان يطبق سياسة تمليها مصالح البرجوازية .

الكورنيلوفية — محاولة من الاوساط العسكرية الملكية لاقامة الديكتاتورية العسكرية في روسيا برئاسة الجنرال في الجيش القيصري كورنيلوف . في آب (اغسطس) ١٩١٧ ، أستثار كورنيلوف فتنة معادية للثورة ، سرعان ما قمعتها فصائل الحرس الاحمر المؤلفة من العمال ومن الجنود الثوريين . — ص ٣٢ .

١٥ — كان تنظيم الانتاج الاجتماعي على الاسس الاشتراكية يتطلب احكاماً جديدة بشأن طاعة العمل وزيادة انتاجية العمل في المؤسسات المؤممة .

عكفت النقابات مع الهيئات الاقتصادية على القيام بهذا العمل . وابدت اللجنة المركزية لاتحاد عمال المعادن مبادرة قيمة ،

اذ اقترحت تطبيق نظام دفع اجور العمل على اساس القطعة ونظام الجوائز في صناعة المعادن . وفي نيسان (ابريل) ١٩١٨ ، صادق مجلس النقابات المركزي لعامة روسيا على «نظام طاعة العمل» الذي اقترح تطبيق لائحة النظام الداخلي في جميع مؤسسات الدولة ، واقرار معدلات العمل واقرار حساب انتاجية العمل ، وتطبيق نظام دفع اجور العمل على اساس القطعة ونظام الجوائز ، وتطبيق تدابير صارمة لمعاقبة منتهكي طاعة العمل . – ص ٣٢ .

١٦ – بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان نظام دفع اجور العمل على اساس الوقت ساري المفعول في اغلبية المؤسسات . وبعد عقد صلح بريست في عام ١٩١٨ ، بدأ تطبيق نظام دفع اجور العمل على اساس القطعة ، اذ ان هذا النظام كان يتجاوب على اكمل نحو مع المبدأ الاشتراكي للتوزيع حسب كمية وكيفية العمل . تمت المصادقة نهائياً على نظام دفع الاجور على اساس القطعة في مجموعة قوانين العمل التي نشرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ . – ص ٣٢ .

١٧ – **نظام تايلور** – نظام لتنظيم العمل وضعه المهندس الاميركي فريدريك ونسلو تايلور . كان نظام تايلور يجمع بين عناصر التنظيم العلمي الصرف للعمل والاستفادة العقلانية من وسائل الانتاج وبين تدابير ادت الى تشديد استثمار العمال . – ص ٣٢ .

١٨ – **السر التجاري** – حق يصونه التشريع البرجوازي في الاحتفاظ بسر العمليات الانتاجية والتجارية والمالية وكذلك بسر الوثائق المتعلقة بها في المؤسسات الرأسمالية الخاصة . الغي السر التجاري في روسيا السوفييتية بلائحة الرقابة العمالية التي اقرتها اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا ومجلس مفوضي الشعب في ١٤ (٢٧) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . – ص ٣٤ .

١٩ – يحوِّر لينين هنا كلمات من خرافة كريلوف «الفيل وموسكا» (موسكا نوع من الكلاب) : «آه ، يا موسكا ! انه قوي اذن لانه ينبح على الفيل» . – ص ٣٧ .

٢٠ ـ المقصود هنا المرسوم الذي صادق عليه مجلس مفوضي الشعب في ٢٣ آذار (مارس) ١٩١٨ «بشأن مركزة الادارة ، وحماية الطرق وزيادة قدرتها على التمرير» . اتخذ المرسوم نظراً لوضع النقليات الحديدية البالغ اقصى المشقة ، وقد نص على جملة من التدابير لتحسين عمل السكك الحديدية . دفاعاً عن هذا المرسوم الذي اعترض عليه المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، اشار لينين الى ضرورة اتخاذ احزم التدابير لاستئصال اعمال التخريب والتهاون في السكك الحديدية . - ص ٤٣ .

٢١ ـ **الاشتراكيون-الثوريون اليساريون** ـ الجناح اليساري في حزب الاشتراكيين-الثوريين . تشكل تنظيمياً كحزب مستقل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، تعاون الاشتراكيون-الثوريون اليساريون مع البلاشفة خلال فترة من الزمن ودخلوا في الحكومة السوفييتية . في كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) ١٩١٨ ، عارض الاشتراكيون-الثوريون اليساريون عقد معاهدة صلح بريست ، وطالبوا باللجوء الى ما يسمى «بالحرب الثورية» ضد المانيا . في تموز (يوليو) ١٩١٨ اغتال الاشتراكيون-الثوريون اليساريون في موسكو السفير الالماني ميرباخ سعياً منهم لاستثارة الحرب عن هذا السبيل ، واثاروا فتنة ضد السلطة السوفييتية . تم قمع الفتنة خلال بضعة ايام . - ص ٤٣ .

٢٢ ـ **«فبريود»** («الى الامام») - جريدة . لسان حال حزب المناشفة . دعمت الحكومة الموقتة البرجوازية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضلت ضد السلطة السوفييتية . صدرت من عام ١٩١٧ الى عام ١٩١٩ .

«ديلو نارودا» («قضية الشعب») - جريدة . لسان حال حزب الاشتراكيين-الثوريين . دعمت الحكومة الموقتة البرجوازية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ناضلت ضد السلطة السوفييتية . صدرت من عام ١٩١٧ الى عام ١٩١٩ .

«ناش فيك» («قرننا») - جريدة حزب الكاديت المعادي للثورة . صدرت عام ١٩١٨ . - ص ٤٦ .

٢٣ ـ **في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥** ، قام اضراب سياسي في عامة روسيا اشترك فيه اكثر من مليوني شخص . توقفت جميع المصانع والمعامل عن العمل ، وتوقفت السكك الحديدية ، واضرب مستخدمو البريد والبرق .

جرى اضراب تشرين الاول تحت شعار الاطاحة بالحكم المطلق ، ودعوة الجمعية التأسيسية الى الانعقاد ، وتطبيق يوم العمل من ثماني ساعات .

في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، بدات في روسيا ثورة برجوازية ديموقراطية اطاحت بالقيصر ، فانتقلت السلطة الى الحكومة الموقتة البرجوازية . وفي الوقت نفسه ، تشكلت سوفييتات (مجالس) نواب العمال والجنود والفلاحين . في البدء ، هيمن في السوفييتات حزبا البرجوازية الصغيرة ، حزب الاشتراكيين-الثوريين وحزب المناشفة ، اللذان دعما السياسة المعادية للشعب التي انتهجتها الحكومة الموقتة . ولكن في خريف ١٩١٧ ، لدن اعادة انتخاب السوفييتات في بتروغراد وموسكو ، انتخب العمال والجنود في العاصمتين الذين كانوا يدعمون شعارات البلاشفة بنقل السلطة الى السوفييتات ووقف الحرب الامبريالية وتسليم اراضي الملاكين العقاريين الاقطاعيين الى الفلاحين ، ـ سوفييتات بقوام جديد كان يهيمن فيها البلاشفة .

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٧ ، قامت الثورة الاشتراكية . في ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر ـ تشرين الثاني) ١٩١٧ انعقد المؤتمر الثاني لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعامة روسيا ، واسقط الحكومة الموقتة ، واحال السلطة الى السوفييتات ، وشكل الحكومة السوفييتية برئاسة لينين . ـ ص ٤٨ .

٢٤ ـ يستشهد لينين بكتاب انجلس «ضد دوهرينغ» ، الفصل الثاني . نبذة النظرية . ـ ص ٥١ .

٢٥ ـ في عام ١٨٦٠ ، كف الكاتب الروسي الليبيرالي ايفان تورغينيف عن التعاون مع مجلة «سوفريمينيك» (المعاصر) الصادرة في

بطرسبورغ ، لعدم موافقته على اتجاه المجلة الثوري الديموقراطي ، وكان تشيرنيشيفسكي ودوبروليوبوف يشرفان آنذاك على تحرير المجلة . – ص ٥٢ .

٢٦ – **الشيوعيون «اليساريون»** – تيار معارض نشأ في الحزب البلشفي في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . وقف الشيوعيون «اليساريون» برئاسة بوخارين ضد عقد معاهدة صلح بريست، واصروا ، مثلهم مثل الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، على خوض «الحرب الثورية» ضد المانيا . كذلك وقف الشيوعيون «اليساريون» في عدد من المسائل ضد سياسة السلطة السوفييتية في الحقل الاقتصادي : ضد استخدام الاختصاصيين البرجوازيين في الاقتصاد الوطني ، ضد توطيد طاعة العمل ، والخ . . – ص ٦٠ .

٢٧ – في عام ١٨٦١ الغيت القنانة في روسيا – ٧٩ .

٢٨ – **حرب الثلاثين سنة** – حرب الاباطرة الالمان الكاثوليك ضد الامارات الالمانية البروتستانتية بغية اعادة الامارات الى ما تحت سلطة الامبراطورية . انضمت اسوج ثم فرنسا الى الامارات البروتستانتية في الحرب . دامت الحرب من عام ١٦١٨ الى عام ١٦٤٨ وادت الى خراب المدن والى ابادة السكان والقوى المنتجة في المانيا بالجملة . – ص ٨٣ .

٢٩ – **الكاوتسكيون** – انصار «الوسطية» – وهي تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية العالمية . شغل الوسطيون في احزاب الاممية الثانية وضعاً وسطاً بين الانتهازيين السافرين والجناح اليساري الثوري . دعم الوسطيون الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية في المسائل الاساسية ، ولكنهم ستروا هذا الدعم بالجمل والتعابير اليسارية . كان الاشتراكي-الديموقراطي الالماني كاوتسكي ايديولوجي الوسطية الرئيسي ؛ ومن هنا اسم «الكاوتسكيين» . – ص ٨٤ .

٣٠ – «**الرجل المعلب**» – شخصية من حكاية بالاسم نفسه للكاتب الروسي انطون تشيخوف . نموذج البرجوازي الصغير الضيق الافق ، الخائف من كل تجديد ومبادرة . – ص ٨٦ .

٣١ – المقصود هنا العصيان المعادي للثورة الذي قام به الفيلق التشيكوسلوفاكي ونظمه امبرياليو الوفاق ، بمشاركة نشيطة من جانب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين .

كانت الحكومة الموقتة قد شكلت الفيلق التشيكوسلوفاكي في عام ١٩١٧ من اسرى الحرب التشيكيين والسلوفاكيين لأجل الحرب ضد المانيا . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، استخدمت الثورة المضادة الروسية والامبريالية الانجلو-فرنسية الفيلق لأجل النضال ضد السلطة السوفييتية . افلحت قيادة الفيلق بالكذب والخداع ، ان تدفع قسماً من التشيكوسلوفاكيين في طريق النضال ضد السلطة السوفييتية . بدأ العصيان في ايار (مايو) ١٩١٨ . بمساعدة الفيلق التشيكوسلوفاكي ، استولى رجال الحرس الابيض على منطقة الفولغا والاورال ثم على سيبيريا . وفي الوقت نفسه ، لم يؤخذ قسم كبير من اسرى الحرب التشيكيين والسلوفاكيين بالدعاية القومية التعصبية والمعادية للسلطة السوفييتية التي كانت تقوم بها الاوساط العليا الرجعية من الفيلق؛ وقد حارب زهاء ١٢ الف تشيكي وسلوفاكي في صفوف الجيش الاحمر .

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ ، حرر الجيش الاحمر منطقة الفولغا . وفي اواخر ١٩١٩ ، مع تحطيم كولتشاك ، قضي نهائياً على العصيان المعادي للثورة الذي قام به الفيلق التشيكوسلوفاكي . – ص ٩٠ .

٣٢ – بالتعاون مع الثورة المضادة في روسيا ، بدأ امبرياليو دول الوفاق في عام ١٩١٨ العمليات الحربية ضد البلاد السوفييتية . ومع العصيان الذي قام به الفيلق التشيكوسلوفاكي ونظمته دول الوفاق ، نزلت القوات الانجليزية والاميركية في الوقت نفسه في شمال

روسيا ، في مورمانسك وارخانغلسك . وفي ٥ نيسان (ابريل) انزلت اليابان قواتها في فلاديفوستوك ؛ وفي آب (اغسطس) وصلت الى فلاديفوستوك قوات اميركية بقيادة الجنرال غريفس . عرض المجلس الاعلى للوفاق على المكشوف في قراره الصادر بتاريخ ٢ تموز (يوليو) ١٩١٨ الهدف من احتلال الشرق الاقصى . فقد جاء في هذا القرار : «يجب على الحلفاء ان يستغلوا الفرصة ويفرضوا رقابتهم في سيبيريا لأن هذه الفرصة قد لا تسنح في المستقبل» . في صيف ١٩١٨ حاولت القوات البريطانية ان تحتل باكو ، ودخلت السفن الحربية الفرنسية الى البحر الاسود وانزلت قوات في اوديسا . — ص ٩١ .

٣٣ — المقصود هنا الفتنة المعادية للثورة التي قام بها الاشتراكيون-الثوريون اليساريون في تموز (يوليو) ١٩١٨ . — ص ٩٣ .

٣٤ — **الطاشناق** — حزب قومي تعصبي ارمني . تشكل في التسعينيات من القرن الماضي . استهدف تحرير الارمن العائشين في تركيا من نير السلطان العثماني . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية اشترك الطاشناق في نضال الثورة المضادة فيما وراء القفقاس (ارمينيا ، وجورجيا واوذربيجان) ضد السلطة السوفييتية . — ص ٩٤ .

٣٥ — في تموز (يوليو) ١٩١٨ ، اصدر المناشفة والطاشناق والاشتراكيون-الثوريون المشتركون في سوفييت باكو قراراً بدعوة القوات الانجليزية «الى المساعدة» ، بحجة حماية باكو من القوات التركية المهاجمة . بنتيجة هذه الخيانة ، سقطت السلطة السوفييتية في باكو ، واغتال المتدخلون الانجليز مفوضي باكو البلاشفة الـ ٢٦ بوحشية . — ص ٩٦ .

٣٦ — في مطلع عام ١٩١٨ قام العمال في برلين وغيرها من المدن الالمانية بمظاهرات ضخمة . طالب العمال بعقد الصلح في اسرع وقت بدون الحاقات وغرامات ، وبتحسين التموين بالماكولات ، وبتحرير المعتقلين

السياسيين . وفي عدد من المدن ، انتخبت سوفييتات (مجالس) عمالية . قمعت الحكومة القيصرية الالمانية نضالات العمال بالقوة المسلحة . ــ ص ١٠٠ .

٣٧ ـ في ٦ تموز (يوليو) ١٩١٨ ، بدأت في ياروسلافل فتنة معادية للثورة جرى تنظيمها باموال الامبرياليين الانجلو-فرنسيين ، وذلك في نفس الوقت الذي ثار فيه الاشتراكيون-الثوريون اليساريون في موسكو . عمد منظمو الفتنة ـ ضباط الحرس الابيض والاشتراكيون-الثوريون والمناشفة ـ الى التنكيل بوحشية بقادة السلطة السوفييتية في ياروسلافل ، واستولوا على البريد والبرق وغيرهما من الدوائر . هبّ العمال في مصانع ياروسلافل ووحدات الجيش الاحمر الى النضال اصحاب الفتنة ، وجاءت الى مساعدتهم فصائل مسلحة من عمال بتروغراد وموسكو وايفانوفو-فوزنيسينسك وكوستروما وغيرها من المدن . في ٢١ تموز ١٩١٨ ، تم قمع الفتنة المعادية للثورة . ــ ص ١٠١ .

٣٨ ـ **لجان الفلاحين الفقراء** ـ انشئت في القرى في ربيع وصيف ١٩١٨ . فقد اتحد الفلاحون الفقراء لأجل دعم السلطة السوفييتية ولأجل النضال ضد الكولاك الذين نظموا اعمالاً مضادة للثورة وحاولوا احباط تموين المدن الجائعة بالحبوب . بموجب مرسوم اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٨ ، اصبح من صلاحية لجان الفلاحين الفقراء : توزيع الحبوب واشياء الضرورة الاولية والادوات الزراعية ؛ وتقديم العون لهيئات التموين المحلية في انتزاع فوائض الحبوب من ايدي الكولاك والاثرياء .

صارت لجان الفلاحين الفقراء نقاط ارتكاز لديكتاتورية البروليتاريا في الريف ، واسهمت في توطيد السلطة السوفييتية في الريف ، واضطلعت بدور كبير في كسب الفلاح المتوسط الى جانب السلطة السوفييتية .

بموجب قرار من مؤتمر السوفييتات الرابع الاستثنائي لعامة روسيا (تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٨) ، اندمجت لجان الفلاحين الفقراء ، بعد ان ادت مهماتها ، في سوفييتات نواب الفلاحين والاجراء الزراعيين . ـ ص ١٠٣ .

٣٩ ـ المقصود هنا معاهدة صلح بريست مع المانيا المعقودة بشروط في منتهى المشقة بالنسبة لروسيا السوفييتية . فبموجب معاهدة الصلح ، كان ينبغي ان تخضع بولونيا ، ومنطقة البلطيق كلها تقريباً ، وقسم من بيلوروسيا لرقابة المانيا ؛ وكان ينبغي ان تنفصل اوكرانيا عن روسيا السوفييتية وتتحول الى دولة تابعة لالمانيا ؛ وكان يتعين على البلاد السوفييتية ان تدفع لالمانيا غرامة . بعد ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ في المانيا ، ألغيت معاهدة صلح بريست . ـ ص ١٠٤ .

٤٠ ـ المقصود هنا مرسوم تأميم الصناعة الكبيرة بتاريخ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٨ . ـ ص ١٠٥ .

٤١ ـ **المائة السود** ـ هكذا كانت تسمى العصابات الملكية التي نظمها البوليس القيصري لاجل مكافحة الحركة الثورية . كان المائة السود يغتالون الثوريين ، ويعتدون على المثقفين التقدميين ، وينظمون مذابح اليهود . اصبح تعبير «المائة السود» مرادفاً للرجعية السوداء ، او لغلاة الرجعيين . ـ بح ١٠٥ .

٤٢ ـ **الجمعية التأسيسية** ـ انعقدت في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . جرت الانتخابات الى الجمعية التأسيسية بموجب قوائم موضوعة قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ، فعكس قوام الجمعية التأسيسية النسبة القديمة بين القوى ، عندما كانت السلطة في يد البرجوازية . وحدثت قطيعة حادة بين ارادة اغلبية الشعب الساحقة التي تدعم السلطة السوفييتية وبين السياسة التي كانت تنتهجها الاكثرية المنشفية والاشتراكية-الثورية والكاديتية في الجمعية التأسيسية والتي

كانت تعبر عن مصالح البرجوازية والملاكين العقاريين . وبما ان الجمعية التاسيسية رفضت بحث «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» والمصادقة على مراسيم مؤتمر السوفييتات الثاني بشأن السلام والارض وانتقال السلطة الى السوفييتات ، فقد حلّت بقرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٦ (١٩) كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ . — ص ١٠٩ .

٤٣ — تعهد البلشفي م . م . بورودين الذي كان قد عاد مؤخراً من اميركا بتنظيم ارسال وايصال **«رسالة الى العمال الاميركيين»** . ولم يكن ذلك بالمهمة اليسيرة في ظروف التدخل المسلح الاجنبي والحصار المضروب على روسيا السوفييتية . اوصل ب . اي . غرافين (سليتوف) الرسالة الى الولايات المتحدة . ومع الرسالة ، وصل الى الولايات المتحدة دستور جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية ونص مذكرة الحكومة السوفييتية الى الرئيس ويلسون بطلب وقف التدخل المسلح . — ص ١١٨ .

٤٤ — المقصود هنا الحرب الاسبانية الاميركية في عام ١٨٩٨ . فبحجة «مساعدة» الشعب الفيليبيني المناضل ضد اسبانيا التي كانت الفيليبين آنذاك مستعمرة لها ، شن الامبرياليون الاميركيون الحرب ضد اسبانيا . بعد ان مني الاسبان بالهزيمة ، بدأت القوات الاميركية عمليات حربية ضد الجمهورية الفيليبينية وحولت الفيليبين الى مستعمرة اميركية . — ص ١١٩ .

٤٥ — كتب ن . غ . تشيرنيشيفسكي في تعليق له على كتاب الاقتصادي الاميركي كيري «رسائل سياسية اقتصادية الى رئيس الولايات المتحدة الاميركية» يقول : «ان طريق التاريخ ليس رصيف جادة نيفسكي ؛ فهو يمر كلياً تارة عبر الحقول ، الغبراء حيناً ، الموحلة حيناً آخر ، وطوراً عبر المستنقعات ، ومرة عبر الادغال . ومن يخشى ان يكسوه الغبار وان يوسخ جزمته ، فلا ينصرفنّ الى النشاط الاجتماعي» . — ص ١٢٦ .

٤٦ – جرت حرب الشعب الاميركي في سبيل الاستقلال وضد انجلترا من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٣ . وبنتيجة هذه الحرب ، ظفرت المستعمرات الانجليزية في اميركا الشمالية بالاستقلال ، وانفصلت عن المتروبول ، وشكلت دولة مستقلـــــة هي الولايات المتحدة الاميركية .

من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٥ ، جرت في اميركا الشمالية الحرب الاهلية بين الولايات الشمالية الصناعية والولايات الجنوبية التي كان يسود فيها المزارعون مالكو العبيد. بنتيجة النصر الذي احرزه الشماليون الغي استعباد الزنوج في اميركا . – ص ١٢٨ .

٤٧ – **«نداء الى العقل»** ("Appeal to Reason") – جريـــــدة للاشتراكيين الاميركان قامت بترويج الافكار الاشتراكية . في سنوات الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤ – ١٩١٨) وقفت مواقف اممية . – ص ١٢٩ .

٤٨ – **سوفييتات (مجالس) نواب العمال** – انشئت للمرة الاولى في روسيا ابان ثورة ١٩٠٥ ، وذلك في عدد من المدن الكبيرة والمراكـــــز الصناعية . ضمت السوفييتات ممثلي المصانع والمعامل المحلية ، ونظمت الاضرابات والمظاهرات وقادت عمليات العمال المسلحين القتالية . منيت ثورة ١٩٠٥ – ١٩٠٧ بالهزيمة ، فحلت الحكومة القيصرية سوفييتات نواب العمال .

ابان ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، تشكلت سوفييتات نواب العمال من جديد . وفي الوقت نفسه انبثقت سوفييتات نواب الجنود وسوفييتات نواب الفلاحين . ابان ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، انتقلت سلطة الدولة في روسيا الى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين . – ص ١٣٣ .

٤٩ – في ربيع وصيف ١٩١٧ ، انتشرت في صفوف القوات الفرنسية حركة احتجاج على الحرب الامبريالية . فان الجنود الذين انهكتهم حياة الجبهة وظروفها الشاقة شرعوا يرفضون الذهاب الى الخنادق ،

وطفقوا يعقدون الاجتماعات الحاشدة ويطالبون بتحسين احوالهم وبوقف الحرب . ويستفاد من الاحصاءات الرسمية ان الحركة شملت ٧٥ فوجاً من المشاة ، و ٢٣ كتيبة من الرماة و ١٢ فوجاً من سلاح المدفعية .

بعد قمع الحركة ، اتهمت الحكومة الفرنسية وزير الداخلية الفرنسية ل . ج . مالفي بعد مكافحة «الانهزاميين» بما يكفي من الحزم واحالته الى المحاكمة . — ص ١٤٠ .

٥٠ — في اواخر كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، نشبت في فنلنده ثورة بروليتارية . اصدرت الحكومة الثورية الفنلندية التي اشترك فيها غولينغ وكووسينن وسيرولا وغيرهم قوانين بفرض رقابة الدولة على المصارف وبتمليك الفلاحين الذين لا ارض عندهم الاراضي التي يحرثونها ، وغير ذلك . طلبت حكومة سفينهوفود البرجوازية التي اطاح بها الشعب الثائر معونة الحكومة القيصرية الالمانية . بنتيجة تدخل القوات المسلحة الالمانية ، تم قمع الثورة العمالية في فنلنده بعد ثلاثة اشهر من الحرب الاهلية الضارية . وجرى اعدام الآلاف من العمال والفلاحين الثوريين ، كما جرى تعذيب الآلاف منهم في السجون . — ص ١٤١ .

٥١ — المقصود هنا الكاهن غ . ا . غابون الذي نظم في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ مسيرة عمال بطرسبورغ مع نسائهم واولادهم الى قصر القيصر لأجل تقديم عريضة الى القيصر تصف اوضاع العمال الشاقة . بأمر من القيصر ، اطلقت العساكر النار على مسيرة العمال السلمية ، فسقط اكثر من الف قتيل وزهاء خمسة آلاف جريح . رداً على هذه العملية الشريرة في بطرسبورغ ، بدأت في عموم روسيا الاضرابات والمظاهرات . وهكذا بدأت ثورة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ . — ص ١٤٣ .

٥٢ — في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، نشبت الثورة في المانيا . ففي ٣ تشرين الثاني ، قامت في كيل انتفاضة بحارة الاسطول الحربي الذين رفضوا مواصلة الحرب . وفي ٩ تشرين الثاني ، تحول

الاضراب العام في برلين الى انتفاضة مسلحة . اضطر القيصر غليوم الثاني الى التنازل عن العرش . تشكلت حكومة جديدة كانت اغلبية اعضائها من الاشتراكيين-الديموقراطيين اليمينيين : نوسكه وشيدمان وغيرهما . في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ عمدت الفصائل المضادة للثورة برئاسة وزير الحربية نوسكه الى التنكيل بمنتهى القساوة بعمال برلين المنتفضين . واغتيل زعيما العمال كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ بوحشية . في الانتخابات الى الجمعية التأسيسية فازت الاحزاب البرجوازية التي انشأت ما أسمي بجمهورية فيمار . — ص ١٤٩ .

٥٣ — **انصار الجمعية التأسيسية** — قادة حزبي البرجوازية الصغيرة ، حزب المناشفة وحزب الاشتراكيين-الثوريين ؛ انصار الجمعية التأسيسية والنظام البرجوازي البرلماني ؛ خصام السلطة السوفييتية .

فرضت حكومات الحرس الابيض التي تشكلت بمساعدة الامبرياليين الاميركيين والانجليز والفرنسيين في ارخانغلسك وفي منطقة الفولغا وفي سيبيريا وفي جنوب روسيا ديكتاتورية البرجوازية والملاكين العقاريين ، وانتزعت من الفلاحين واعادت الى الملاكين العقاريين الاقطاعيين الارض التي كانت ثورة اكتوبر قد انتزعتها منهم ، وقضت على الحقوق والحريات السياسية التي كان العمال والفلاحون قد ظفروا بها . — ص ١٥٢ .

٥٤ — في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ ، انعقد في بال المؤتمر الاشتراكي العالمي (المؤتمر فوق العادة للاممية الثانية) للاحتجاج على الحرب البادئة في البلقان وعلى الحرب الامبريالية العالمية الجاري اعدادها . اتخذ مؤتمر بال قراراً (بياناً) يدعو الاشتراكيين في جميع البلدان الى «الحيلولة دون نشوب الحرب» . وقد جاء في بيان بال قوله : «تعتبر البروليتاريا **من الاجرام تبادل اطلاق النار** لأجل زيادة ارباح الرأسماليين او ارضاء لطموح السلالات الملكية او من اجل مجد المعاهدات السرية للديبلوماسية» . واذا ما نشبت الحرب على كل حال ، فان «الاشتراكيين ملزمون بالتدخل لانهائها في اسرع وقت ،

وبالاستفادة كلياً من الازمة الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الحرب لأجل استنهاض الشعب والتعجيل بالتالي في الاطاحة بسيادة الرأسمال» .

وعندما بدأت الحرب الامبريالية العالمية في تموز (يوليو) ١٩١٤ ، خانت اغلبية زعماء الاحزاب الاشتراكية المنضمة الى الاممية الثانية قضية الاشتراكية ورفضت التقيد ببيان بال ووقفت الى جانب حكوماتها الامبريالية . اما البلاشفة الروس وعلى رأسهم لينين ، وكذلك الاشتراكيون-الديموقراطيون اليساريون الالمان (كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وغيرهما) وبعض الفرق في الاحزاب الاشتراكية الاخرى ، فقد ظلوا امناء للاممية ، ودعوا عمال بلدانهم ، بموجب بيان بال ، الى النضال ضد حكوماتهم الامبريالية وضد الحرب الامبريالية . — ص ١٦٠ .

٥٥ — راجعوا كارل ماركس . «نقد برنامج غوتا» . — ص ١٦٤ .

٥٦ — راجعوا رسالة انجلس الى بيبل بتاريخ ١٨ — ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . — ص ١٧٠ .

٥٧ — راجعوا مقالة انجلس «بصدد السلطة» . — ص ١٧٤ .

٥٨ — راجعوا رسالة ماركس الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ . — ص ١٧٤ .

٥٩ — راجعوا مقدمة ماركس وانجلس للطبعة الالمانية «لبيان الحزب الشيوعي» . — ص ١٧٥ .

٦٠ — راجعوا انجلس . «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» . — ص ١٧٨ .

٦١ — راجعوا انجلس . «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» . — ص ١٧٨ .

٦٢ - **الويغيون والتوريون** - حزبان سياسيان تشكلا في انجلترا في سنوات العقدين الثامن والتاسع من القرن السابع عشر . اعرب الويغيون عن مصالح البرجوازية التجارية والصناعية وارسوا بداية الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) . اما التوريون فكانوا يمثلون كبار ملاكي الاراضي والاريستقراطية ؛ وقد ارسوا بداية حزب المحافظين . - ص ١٨٠ .

٦٣ - **قضية دريفوس** . في عام ١٨٩٤ ، حكمت المحكمة العسكرية على الضابط في هيئة الاركان العامة الفرنسية دريفوس ، اليهودي القومية ، بالسجن المؤبد بتهمة بيّنة الكذب والبطلان ، تهمة التجسس والخيانة العظمى . كانت محاكمة دريفوس من وحي وتنظيم الطغمة العسكرية الرجعية ؛ وقد استغلها الاكليريكيون والملكيون لمهاجمة الجمهورية وتاجيج نيران العداء للسامية . طالب الاشتراكيون والجمهوريون وجميع التقدميين في فرنسا ، بمن فيهم اميل زولا واناطول فرانس وجان جوريس ، باعادة النظر في القضية . اكتسب النضال حول قضية دريفوس طابع نضال سياسي بالغ الحدة دام سنوات . في سنة ١٨٩٩ ، اعفي عن دريفوس واخلي سبيله تحت ضغط الرأي العالم . وفي سنة ١٩٠٦ فقط ، صدر حكم ببراءته من محكمة التمييز ، واعيد الى الجيش . - ص ١٨١ .

٦٤ - المقصود هنا قمع حركة التحرر الوطني للشعب الارلندي قمعاً قاسياً من قبل القوات المسلحة التابعة لانجلترا التي استغلت كذلك لهذا الغرض قوات اولسترا . - ص ١٨١ .

٦٥ - راجعوا مقالة ماركس «اللامبالاة السياسية» . - ص ١٨٨ .

٦٦ - راجعوا مقالة انجلس «بصدد السلطة» . - ص ١٨٩ .

٦٧ - راجعوا رسالة انجلس الى بيبل بتاريخ ١٨ - ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . - ص ١٨٩ .

٦٨ ـ راجعوا «مقدمة» انجلس لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ص ٢٠٠ .

٦٩ ـ المقصود هنا كراس لينين «الاحزاب السياسية في روسيا ومهمات البروليتاريا» . ـ ص ٢٠٦ .

٧٠ ـ المقصود هنا القرار الذي اتخذه المجلس العام السابع (نيسان ـ ابريل) لعامة روسيا لحزب البلاشفة بصدد اعادة النظر في برنامج الحزب . ـ ص ٢٠٦ .

٧١ ـ **المداولة الديموقراطية لعامة روسيا** ـ انعقدت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ في بتروغراد بناء على قرار اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب العمال التي كان يهيمن فيها المناشفة والاشتراكيون-الثوريون . قررت المداولة الديموقراطية التي كانت اغلبيتها تتألف من ممثلي حزبي البرجوازية الصغيرة هذين انشاء البرلمان التمهيدي (مجلس الجمهورية الموقت) . كان المقصود من البرلمان التمهيدي ان يظهر ان النظام البرلماني قائم في روسيا . اما في الواقع ، فان البرلمان التمهيدي لم يكن يملك غير حقوق هيئة استشارية تابعة للحكومة الموقتة البرجوازية . رفض البلاشفة الاشتراك في البرلمان التمهيدي . ـ ص ٢١٣ .

٧٢ ـ **بتروشكا** ـ خادم قن ، شخصية من مؤلف غوغول «المفتش» . كان يقرأ الكتب بتهجي المقاطع دون ان يتفهم مضمونها ، ومهتماً فقط بآلية القراءة . ـ ص ٢١٦ .

٧٣ ـ يقصد لينين هنا مقالته «المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية» . ـ ص ٢١٩ .

٧٤ ـ **يهوذا غولوفليف** ـ شخصية من مؤلف سالتيكوف-شدرين «السادة غولوفليف» . منافق ومراء . ـ ص ٢٢٠ .

٧٥ ـ **الليبردانيون** ـ لقب سخري للمناشفة مؤلف بجمع اسمي زعيمي المناشفة ليبر ودان . ـ ص ٢٢١ .

٧٦ ـ «**النشيطون**» ـ الجناح اليميني من حزب المناشفة ، الذي اشترك في النضال المسلح الذي خاضته الثورة المضادة ضد الشعب السوفييتى . ـ ص ٢٢١ .

٧٧ ـ خطاب بيبل في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٠ في مؤتمر الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني في مغديبورغ . ـ ص ٢٢٢ .

٧٨ ـ راجعوا الملاحظة رقم ٢٩ . ـ ص ٢٢٦ .

٧٩ ـ **الجناح الزيميرفالدي اليساري** انشئ في المؤتمر الاشتراكي العالمي في زيميرفالد في ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ ، وكان يضم ٨ مندوبين ـ ممثلي اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي في روسيا ، والاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين في اسوج والنروج وسويسرا والمانيا ، والاشتراكية-الديموقراطية البولونية ، والاشتراكية-الديموقراطية في الاقليم اللاتفي . ناضل الجناح الزيميرفالدي اليساري برئاسة لينين ضد اغلبية المؤتمر الوسطية ، وتقدم بمشروعي قرار وبيان شجب فيهما الحرب الامبريالية ، وفضح خيانة الاشتراكيين-الشوفينيين ، واشار الى ضرورة النضال النشيط ضد الحرب . رفضت الاغلبية الوسطية هذين المشروعين . ولكن الجناح الزيميرفالدي اليساري نجح في تضمين البيان الذي اقره المؤتمر عدداً من الموضوعات الهامة الواردة في مشروع قراره .

اعلن الجناح الزيميرفالدي اليساري انه سيعمل بصورة مستقلة على الصعيد العالمي وينشر آراءه مع بقائه في اتحاد زيميرفالد العام . ـ ص ٢٢٩ .

٨٠ ـ يستشهد لينين «بمقدمة» انجلس لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ص ٢٣٠ .

٨١ ـ ماركس . «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ص ٢٣١ .

٨٢ ـ **التولستويون** ـ اتباع تعاليم ليون تولستوي الفلسفية الاخلاقية .
انتقد تولستوي في مؤلفاته الادبية انتقاداً ماحقاً الرأسمالية والدين الرسمي ، والجور ، والقساوة ، ورياء العلاقات الاجتماعية المعاصرة ، وروج في مؤلفاته التي تتناول القضايا الفلسفية والاخلاقية بعدم مقاومة الشر بالعنف ، و«بالمسيحية الانجيلية» ، ودعا الى الامتناع عن النضال السياسي ، والى العودة الى نمط الحياة البطريركي . ـ ص ٢٣٢ .

٨٣ ـ **السبارتاكيون** ـ اعضاء المنظمة الثورية للاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان ـ فريق «سبارتاك» . هذا الفريق أسسه في مستهل الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤ـ١٩١٨) كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وفرانتس مهرينغ وكلارا تسيتكين وغيرهم . قام السبارتاكيون بالدعاية الثورية بين الجماهير ، ونظموا نضالات معادية للحرب ، وقادوا الاضرابات ، وفضحوا طابع الحرب العالمية الامبريالي وخيانة زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الانتهازيين . ولكن السبارتاكيين اقترفوا اخطاء جدية في مسائل النظرية والسياسة . انتقد لينين غير مرة اخطاء الاشتراكيين-الديموقراطيين اليساريين الالمان هذه وساعدهم على اتخاذ موقف صحيح .

في نيسان (ابريل) ١٩١٧ ، انضم السبارتاكيون الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل الوسطي مع احتفاظهم فيه باستقلالهم التنظيمي . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ تشكل السبارتاكيون في «اتحاد سبارتاك» اثناء الثورة في المانيا ، ونشروا برنامجهم في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ، وقطعوا صلتهم «بالمستقلين» . في المؤتمر التأسيسي المنعقد من ٣٠ كانون الاول ١٩١٨ الى اول كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، انشأ السبارتاكيون الحزب الشيوعي الالماني . ـ ص ٢٤٠ .

٨٤ ـ المقصود هنا مقال كاوتسكي «آفاق الثورة الروسية وقواهـــا المحركة» . ـ ص ٢٤٥ .

٨٥ ـ راجعوا مقالة ماركس «البرجوازية والثورة المضـــادة» . ص ٢٤٥ .

٨٦ ـ حدث انفصال حزبين جديدين عن حـــزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ـ هما حزب «الشعبيين-الشيوعيين» وحـزب «الشيوعيين الثوريين» ـ بعد اغتيال السفير الالماني ميرباخ بصورة استفزازية على ايدي الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، وفتنـــة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين في ٦ و٧ تموز (يوليو) ١٩١٨ .
«**الشعبيون-الشيوعيون**» ـ نددوا بنشاط الاشتراكيين-الثوريـــين اليساريين المعادي للسلطة السوفييتية وشكلوا حزبهـــم في مجلس عام (كونفيرنس) عقدوه في ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ . وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ اتخذوا بالاجماع في مؤتمر فوق العادة قراراً بحل حزبهم وبالانضمام الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا .
«**حزب الشيوعية الثورية**» ـ تشكل تنظيمياً في مؤتمر انعقـــد في موسكو من ٢٥ الى ٣٠ ايلـول (سبتمبر) ١٩١٨ . في ايلـول ١٩٢٠ اتخذ حزب الشيوعيين الثوريين قراراً بالانضمام الى الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، سمحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيـــا للمنظمات الحزبيـــة بقبول اعضـــاء حزب «الشيوعيين الثوريين» السابق في الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . ـ ص ٢٤٦ .

٨٧ ـ راجعوا رسالة ماركس الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريـــل) ١٨٧١ . ـ ص ٢٥٢ .

٨٨ ـ يقصد لينين «**بازمة تموز**» («ازمة يوليو») الفتن التي قام بهـــا الكولاك (الفلاحون الاغنياء الذين يستثمرون عمل الغير) ضد الثورة في المحافظات الوسطى وفي منطقـــة الفولغـــا ، وفي الاورال وفي سيبيريا خلال صيف ١٩١٨ ، والتي نظمها المناشفة والاشتراكيون-الثوريون بمساندة المتدخلين الاجانب . ـ ص ٢٥٥ .

٨٩ ــ **البلانكية** ــ تيار في الحركة الاشتراكية الفرنسية تزعمه الثوري البارز والممثل الفذ للشيوعية الطوبوية الفرنسية لويس اوغست بلانكي (١٨٠٥ ــ ١٨٨١) . كان البلانكيون يتوقعون «خلاص البشرية من عبودية العمل المأجور ، لا عن طريق نضال البروليتاريا الطبقي ، بل عن طريق مؤامرة تقوم بها اقلية صغيرة من المثقفين» (لينين) . لم يفهم البلانكيون اهمية نضال الجماهير الشعبية الثوري ، وكانوا يأملون في بلوغ اهدافهم الثورية بواسطة نضال حفنة من المتآمرين . ــ ص ٢٥٧ .

٩٠ ــ المقصود هنا مشروع القانون الاشتراكي-الثوري الذي تقدم به وزير الزراعة س . ل . ماسلوف من الحكومة الموقتة قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ببضعة ايام .

نص المشروع على انشاء صندوق خاص للتأجير يشمل اراضي الدولة والاديرة ، وعلى صيانة الملكية الاقطاعية للارض . وبموجب المشروع ، لم يكن يتعين على الملاكين العقاريين الاقطاعيين أن يضعوا تحت تصرف صندوق التأجير الموقت الا الاراضي التي كانوا يؤجرونها من قبل ، علماً بان ما يدفعه الفلاحون من بدلات لقاء «الاراضي المستأجرة» كان يجب ان يعود الى الملاكين العقاريين الاقطاعيين . قامت الحكومة الموقتة باعتقال اعضاء لجان الاراضي (اللجان الزراعية) رداً على انتفاضات الفلاحين واستيلائهم على اراضي الملاكين العقاريين الاقطاعيين . ــ ص ٢٥٨ .

٩١ ــ **«الوصية»** ــ المقصود هنا «الوصية الفلاحية بصدد الارض» ، الموضوعة بالاستناد الى ٢٤٢ وصية فلاحية محلية ، والتي صارت جزءاً لا يتجزأ من «مرسوم الارض» الذي اقره مؤتمرالسوفييتات الثاني لعامة روسيا في ٢٦ تشرين الاول ــ اكتوبر (٨ تشرين الثاني ــ نوفمبر) ١٩١٧ . ــ ص ٢٦١ .

٩٢ ــ المقصود هنا مؤلف لينين «البرنامج الزراعي للاشتراكية-الديموقراطية في الثورة الروسية الاولى ١٩٠٥ــ١٩٠٧» . ــ ص ٢٦٣ .

٩٣ ـ راجعوا ماركس . «نظرية القيمة الزائدة» . ـ ص ٢٦٨ .

٩٤ ـ راجعوا رسالة انجلس الى بيبل بتاريخ ١٨ ـ ٢٨ آذار (مارس) ١٨٧٥ . ـ ص ٢٨٢ .

٩٥ ـ المقصود هنا كتاب Ostrogorski, M. "La Démocratie et les Partis Politiques" (اوستروغورسكي . «الديموقراطية والاحزاب السياسية») . صدرت الطبعة الاولى في باريس عام ١٩٠٣ ، يحتوي الكتاب مجموعة كبيرة من الوقائع من تاريخ انجلترا والولايات المتحدةالاميركية تفضح زيف الديموقراطية البرجوازية ونفاقها . ـ ص ٢٨٣ .

٩٦ ـ المقصود هنا السياسة الزراعية التي شرع بيوتر اركادييفيتش ستوليبين ، رئيس مجلس الوزراء ، يطبقها بعد ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ . بموجب القانون الصادر في ٩ (٢٢) تشرين الثاني (نوفمبر) والذي قوض الانتفاع المشاعي بالارض ، توفرت للفئات العليا الميسورة في الريف امكانية تأسيس مزارع منفردة ـ «الخوتورات» او «الاوتروبات» (اي العقارات المستقلة عن المشاعة) . كذلك صار بوسعها الحصول بواسطة المصرف الفلاحي على معونات مالية لشراء الارض . عجل الاصلاح الزراعي الستوليبيني عملية التمايز في الريف ، خالقاً ، من جهة ، فئة من الفلاحين الاغنياء ـ الكولاك ، ومنزلاً الخراب ، من جهة اخرى ، بجماهير الفلاحين الواسعة ودافعاً اياها الى درك الاملاق . كان الهدف من الاصلاح الزراعي انشاء سند في الريف في شخص الكولاك ـ اصحاب الخوتورات للنظام الاوتوقراطي (نظام الحكم المطلق) . ـ ص ٣٠٠ .

٩٧ ـ **«الراية الحمراء»** ("Die Rote Fahne" ـ «دي روته فانه») ـ جريدة ، لسان الحال المركزي «لاتحاد سبارتاك» ثم للحزب الشيوعي الالماني . ـ ص ٣٠٧ .

٩٨ ـ في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ صادق مجلس مفوضي الشعب على «لائحة تاسيس هيئة التفتيش التمويني العمالي» التي فرضت رقابة العمال على نشاط هيئات التموين فيما يتعلق بتخزين المحاصيل الزراعية وايصالها وتوزيعها . ـ ص ٣١٥ .

٩٩ ـ هذه الموضوعات كتبها لينين لمناسبة مناقشة مسألة مهمات النقابات في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ومستهل عام ١٩١٩ ، اي قبل فترة وجيزة من افتتاح مؤتمر النقابات الثاني لعامة روسيا . ـ ص ٣٢٣ .

١٠٠ ـ **«بيدنوتا»** («الفقراء») ـ جريدة لاجل الفلاحين . صدرت في موسكو من آذار (مارس) ١٩١٨ الى كانون الثاني (يناير) ١٩٣١ . ـ ص ٣٢٨ .

١٠١ ـ كان المناشفة وممثلو احزاب البرجوازية الصغيرة الاخرى الذين يؤيدونهم هم الذين رفعوا في مؤتمر النقابات الثاني لعامة روسيا شعار استقلال الحركة النقابية عن السلطة السوفييتية . لقي مشروع قرارالمناشفة الرفض بالاغلبية الساحقة من الاصوات . ـ ص ٣٣٣ .

١٠٢ ـ اغتيل زعيما البروليتاريا الثورية في المانيا كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ على ايدي ضباط معادين للثورة من الوحدات التى شكلها الاشتراكي-الديموقراطي اليميني ووزير الحربية نوسكه لاجل النضال ضد عمال برلين الثوار . ـ ص ٣٣٤ .

١٠٣ ـ يقصد لينين ، على ما يبدو ، الوثيقة التي كتبتها كوسكوفا والمعروفة باسم "Credo" («كريدو») (عام ١٨٩٩) . كانت الفكرة الرئيسية في هذه الوثيقة تتلخص في انه يجب على العمال ان يكتفوا بخوض النضال الاقتصادي من اجل زيادة الاجور ، وتقصير يوم العمل والخ . ، بينما يجب على المثقفين

الماركسيين المتحدين مع الليبيراليين ان يخوضوا النضال السياسي . — ص ٣٤٢ .

١٠٤ — راجعوا الفصل السادس من مؤلف ماركس وانجلس «العائلة المقدسة او انتقاد النقد النقاد» . — ص ٣٤٢ .

١٠٥ — في ٣ و٤ تموز (يوليو) ١٩١٧ ، جرت في بتروغراد مظاهرات جماهيرية قام بها العمال والجنود والبحارة المستاؤون من الهجوم الذي امرت الحكومة الموقتة بشنه في الجبهة الالمانية ، خلافاً لارادة الشعب الثوري . جرت المظاهرات تحت شعار : «كل السلطة للسوفييتات !» . بامر من الحكومة الموقتة ، اطلقت فصائل اليونكر (طلاب المدارس الحربية) والقوزاق النار على المتظاهرين . قررت اللجنة المركزية لحزب البلاشفة وقف المظاهرات لاعتبارها ان الظروف لاجل الاستيلاء على السلطة لما تنضج . بعد يومي تموز ، انقضت الحكومة الموقتة على حزب البلاشفة بالملاحقات ، واغلقت الجرائد البلشفية وحطمت المطابع . واغتيل العامل فوينوف الذي كان يوزع المطبوعات البلشفية ، بصورة وحشية . — ص ٣٦١ .

١٠٦ — راجعوا «مقدمة» انجلس لمؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ٣٦٦ .

١٠٧ — راجعوا مؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ٣٦٧ .

١٠٨ — من ٣ الى ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٩ انعقد في برن اول مؤتمر بعد الحرب للاحزاب الاشتراكية الشوفينية والاحزاب الوسطية ، بغية بعث الاممية الثانية . — ص ٣٧٦ .

١٠٩ — **الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني المستقل** — حزب وسطي تشكل في نيسان (ابريل) ١٩١٧ . ترأسه كاوتسكي وهآزه وهيلفردينغ . كانت سمة «المستقلين» المميزة انهم جمعوا بين

المساندة الفعلية لسياسة القيادة الانتهازية للاشتراكية-الديموقراطية الالمانية وبين التشدقات الثورية وانتقاد الانتهازية بالاقوال . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ حدث انشقاق في صفوف المستقلين وذلك في مؤتمرهم المنعقد في هاله . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ انضم قسم كبير من الحزب الى الحزب الشيوعي الالماني . وفي عام ١٩٢٢ عاد الجناح اليميني من المستقلين الى الحزب الاشتراكي-الديموقراطي . — ص ٣٧٦ .

١١٠ — المقصود هنا القرار الذي اتخذه المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، المنعقد في ٦ و٧ و٨ آذار (مارس) ١٩١٨ ، بصدد تغييراسم الحزب وبصدد برنامج الحزب . — ص ٣٧٨ .

١١١ — المقصود هنا مقال روزا لوكسمبورغ "Der Anfang„ الصادر في العدد ٣ من جريدة "Die Rote Fahne„ بتاريخ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . — ص ٣٨٣ .

١١٢ — في مستهل عام ١٩١٩ تقدم رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج ورئيس الولايات المتحدة الاميركية ويلسون باقتراح يدعو الى عقد مؤتمر في جزر الامراء يضم ممثلين عن جميع الحكومات القائمة آنذاك في اراضي روسيا ، وذلك لاجل وضع التدابير لوقف الحرب الاهلية . لم تتلق الحكومة السوفييتية دعوة لحضور المؤتمر ، ولكنها اعلنت مع ذلك في برقية بتاريخ ٤ شباط (فبراير) ١٩١٩ عن موافقتها على «الشروع في الحال بالمفاوضات سواء في جزر الامراء ام في اي مكان آخر كان» وطلبت ابلاغها الى اين ترسل ممثليها . لم تتلق الحكومة السوفييتية رداً على برقيتها . ولم ينعقد المؤتمر في جزر الامراء . — ص ٤٣٧ .

١١٣ — راجعوا هذا المجلد ، ص ٣٧٧ . — ص ٤٤١ .

١١٤ — راجعوا مؤلف ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» . — ص ٤٤٣ .

١١٥ ـ **البرودونيون** ـ اتباع بيار جوزف برودون (١٨٠٩ـ١٨٦٥) ، ايديولوجي البرجوازية الصغيرة ، «اشتراكي الفلاحين الصغار والحرفيين» ، كما وصفه انجلس . انتقد برودون الرأسمالية انتقاداً حاداً ، ولكنه لم ير المخرج في القضاء على اسلوب الانتاج الرأسمالي الذي يولد حتماً الفقر واللامساواة واستثمار الشغيلة ، بل رآه في «اصلاح» الرأسمالية ، في ازالة نواقصها وتجاوزاتها ، عن طريق تطبيق جملة من الاصلاحات . وبرأي برودون انه ينبغي الحفاظ على الانتاج البضاعي ، وانه ينبغي ان يتألف المجتمع من منتجين خاصين صغار يتبادلون منتوجاتهم بواسطة ما يسمى «مصرف التبادل» الذي اقترح برودون انشاءه . انتقد كارل ماركس في كتابه «بؤس الفلسفة . جواب عن «فلسفة البؤس» للسيد برودون» الصادر في عام ١٨٤٧ ، وكذلك في عدد من مؤلفاته الاخرى ، نظرية وممارسة البرودونية ، وبيّن طابعها الرجعي والمنافي للعلم .

كان البرودونيون في كومونة باريس اقلية .

البلانكيون ـ انصار الثوري الفرنسي الشهير لويس اوغست بلانكي (١٨٠٥ـ١٨٨١) الذي ناضل ببطولة ضد الحكومات الرجعية في فرنسا ، واشترك في ثورة ١٨٣٠ وثورة ١٨٤٨ ، ونظم عدداً من الجمعيات السرية . ان نقطة ضعف البلانكيين تتلخص في اقتناعهم بان في مقدور حفنة صغيرة من المتآمرين ان تقوم بالثورة ، وفي عدم فهمهم لضرورة اجتذاب جماهير العمال الى الحركة الثورية .

كان البلانكيون في كومونة باريس اكثرية . ـ ص ٤٤٣ .

١١٦ ـ في المؤتمر التاسيسي للحزب الشيوعي الالماني الذي انعقد في برلين في ٣٠ و٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ واول كانون الثاني ١٩١٩ ، ايدت روزا لوكسمبورغ آراء خاطئة لعدد من المندوبين الذين اقترحوا تصفية النقابات .

ففي رأيها كان ينبغي لسوفييتات نواب العمال وللجان المصنعية ـ المعملية ان تأخذ على عاتقها مهمات النقابات . ادى موقف

الشيوعيين الالمان الخاطئ في مسألـــة النقابات الى انفصالهم عن الجماهير الغفيرة من الطبقة العاملة . ــ ص ٤٤٨ .

١١٧ ــ راجعوا مقال انجلس «مسألة الفلاحين في فرنسا والمانيا» . ــ ص ٤٥٢ .

١١٨ ــ في ايار (مايو) ١٩١٨ انشئ اتحاد الفرق الاجنبية لدى اللجنـة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا . ضم الاتحاد تسع فرق : التشيكوسلوفاكية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الالمانيـــة ، الرومانية ، المجرية ، اليوغوسلافية ، البولونية ، البلغارية . كانت مهمة الاتحاد الرئيسية تتلخص في الدعاية في اوساط اسرى الحرب وفي صفوف قوات المتدخلين الاجانب التي هاجمت روسيا السوفييتية . كان بيلا كون رئيس الاتحاد . دام الاتحاد حتى عام ١٩٢٠ . ــ ص ٤٥٤ .

١١٩ ــ راجعوا انجلس . «مقدمة» لكراس بوركهيم «على ذكرى وطنيي الهورا في سنتي ١٨٠٦ــ١٨٠٧» . ــ ص ٤٦٠ .

١٢٠ ــ في ١٨ (٣١) كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، سلم لينين رئيس الحكومة البرجوازية في فنلنده سفينهوفود مرسوم مجلس مفوضي الشعب بالاعتراف باستقلال فنلنده . ــ ص ٤٦٧ .

١٢١ ــ بنتيجة المفاوضات مع ممثلي بشكيريـــا ، صادق مجلس مفوضي الشعب واللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في ٢٠ آذار (مارس) ١٩١٩ على وثيقة بانشاء جمهورية بشكيريا السوفييتيـــة ذات الحكم الذاتي . ــ ص ٤٦٧ .

١٢٢ ــ بتاثير ثورة اكتوبر الاشتراكية ، انشئت في المدن والمراكز الصناعية في بولونيا سوفييتات لنواب العمال . ظهر سوفييت نواب العمال في فرصوفيـــا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . اتخـذ هذا السوفييت قراراً بتطبيق يوم العمـــل من ثماني ساعات وانشاء

اللجان المصنعية ، والنضال ضد تخريب اصحاب المصانع ، وغير ذلك . في صيف ١٩١٩ قضت القوات الموحدة للرجعية البرجوازية وزعماء الاحزاب البرجوازية الصغيرة القوميـــة التعصبيـــة على سوفييتات نواب العمال . — ص ٤٧١ .

١٢٣ — راجعوا رسالة انجلس الى ماركس بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٨ . — ص ٥١٧ .

١٢٤ — راجعوا رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريـــل) ١٨٥٦ . — ص ٥١٨ .

١٢٥ — **«فسيغدا فبريود !»** («دائما الى الامام !») — جريدة للمناشفة . **«ديلو نارودا»** («قضية الشعب») — جريــــــدة للاشتراكيين- الثوريين . — ص ٥٢٤ .

١٢٦ — **صلح فرساي** — معاهدة صلح وضعت في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤—١٩١٨) . وطدت معاهدة صلح فرساي تقسيم العالم في صالــح دول الوفاق المنتصرة ، وفرضت على المانيا شروطاً للصلح في منتهى المشقـــة بالنسبة للشعب الالماني ، كما انشأت نظامـــاً من العلاقات بين البلدان كان لا بدّ له ، برأي اصحاب معاهدة فرساي ، ان يؤدي الى اضعاف روسيا السوفييتية وكذلك الى قمع الحركة الثورية في العالم اجمع . — ص ٥٢٨ .

دليل الاسماء

يحتوي هذا البحث مجموعة كبيرة من الوقائع من تاريخ بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية تفضح جوهر الديموقراطية البرجوازية الحقيقي . — ص ٢٨٣ .

اوسترليتز (Austerlitz) **فريدريخ** (١٨٦٢ – ١٩٣١) – احد زعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . — ص ٣١٦ ، ٣١٨–٣٢٢ .

اوسينسكي ن . (اوبولنسكي فاليريان فاليريانوفيتش) (١٨٨٧ – ١٩٣٨) – اشتراكي-ديموقراطي روسي . شيوعي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، شغل مناصب مسؤولة في حقل النشاط الحزبي والاقتصادي . — ص ٣٨٠ .

ايبرت (Ebert) **فريدريخ** (١٨٧١ – ١٩٢٥) – من زعماء الجناح اليميني في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . منذ شباط (فبراير) ١٩١٨ ، رئيس المانيا . — ص ٣١٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠ .

باور (Bauer) **اوتو (فيبر هنريخ)** (١٨٨٢ – ١٩٣٨) – احد زعماء الاشتراكية-الديموقراطية النمساوية والاممية الثانية . ايديولوجي ما يسمى «الماركسية النمساوية» التي كانت ضرباً من التحريفية . احد اصحاب النظرية القومية البرجوازية التعصبية القائلة «بالاستقلال الذاتي القومي الثقافي» . — ص ٢٤٩ .

براك (Bracke) **الكسندر – ماري ديروسو** (١٨٦١ – ١٩٥٥) – احد زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . — ص ٣٩٠ .

برانتينغ (Branting) **كارل يالمار** (١٨٦٠–١٩٢٥) – زعيم الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الاسوجي . احد قادة الاممية الثانية . انتهازي . — ص ٣٧٦ ، ٣٨٨ .

براند (Brand) **اغناتس** – ناشر . – ص ١٥٩ .

برنشتين (Bernstein) **ادوارد** (١٨٥٠ – ١٩٣٢) – اشتراكي-ديموقراطي الماني ، ايديولوجي التحريفية . بعد وفاة فريدريك انجلس بفترة وجيزة ، طالب برنشتين باعادة النظر في الماركسية ، بتحريف الماركسية . تقدم بالصيغة الانتهازية القائلة : «الحركة كل شيء ، الهدف النهائي لا شيء» ، وزعم انه ينبغي للاشتراكية-الديموقراطية ان تعدل عن النضال من اجل الاشتراكية ، من اجل الثورة الاشتراكية ، وان تقتصر على النضال في سبيل بعض الاصلاحات بغية تحسين وضع العمال الاقتصادي في ظل الرأسمالية . – ص ١٦٣ ، ١٧٦ ، ٢٢٥ .

برودون (Proudhon) **بيار جوزف** (١٨٠٩ – ١٨٦٥) – كاتب اجتماعي وسياسي فرنسي . اقتصادي وعالم اجتماعي . ايديولوجي البرجوازية الصغيرة . احد مؤسسي الفوضوية . – ص ٤٤٣ .

بروشيان ب . ب . (١٨٨٣ – ١٩١٨) – اشتراكي-ثوري يساري . في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، اشترك في مجلس مفوضي الشعب بوصفه مفوض الشعب للبريد والبرق . انبرى لمعاهدة صلح بريست . اشترك في فتنة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين في موسكو . فيما بعد ، انصرف عن النشاط السياسي . – ص ٢٥٤ .

بريشكو – بريشكوفسكايا ايكاتيرينا قسطنطينوفنا (١٨٤٤ – ١٩٣٤) – من منظمي وقادة حزب الاشتراكيين-الثوريين . انتسبت الى جناحه اليميني المتطرف . – ص ٥٣٤ ، ٥٦٧ .

برينتانو (Brentano) **لويو** (١٨٤٤ – ١٩٣١) – اقتصادي الماني . نصير «اشتراكية المنابر» . روج بالامتناع عن النضال الطبقي واعتبر من الممكن حل التناقضات الاجتماعية بالاصلاحات . – ص ١٦٠ .

بوتريسوف الكسندر نيقولاييفيتش (١٨٦٩ ــ ١٩٣٤) ــ احد زعماء المنشفية . بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، تصفوي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، مهاجر ابيض . ــ ص ٢٢١ .

بوخارين نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٨٨ ــ ١٩٣٨) ــ كاتب اجتماعي وسياسي . اقتصادي . انضم الى الحزب البلشفي في عام ١٩٠٦ . شغل مواقف مناهضة للينينية في مسائل الدولة وديكتاتورية البروليتاريا وحق الامم في تقرير مصيرها ، والخ .. في ١٩١٨ ، ترأس ، لدن عقد معاهدة صلح بريست ، فرقة «الشيوعيين اليساريين» المعادية للحزب . منذ ١٩٢٩ ، زعيم الانحراف الانتهازي اليميني . في ١٩٣٧ طرد من صفوف الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا بسبب نشاطه ضد الحزب . ــ ص ٤٥٩ ــ ٤٦٣ ، ٤٦٥ ــ ٤٦٨ .

بوركهايم (Borkheim) **سيغيزموند لودفيغ** (١٨٢٥ ــ ١٨٨٥) ــ كاتب اجتماعي وسياسي الماني . ديموقراطي . اشترك في ثورة ١٨٤٨ــ١٨٤٩ في المانيا . ــ ص ٨٢ .

بوغايفسكي م . ب . (١٨٨١ ــ ١٩١٨) ــ منظم اعمال معادية للثورة قام بها القوزاق في منطقة الدون . بعد ان مني بالهزيمة ، استسلم للاسر في ربيع ١٩١٨ . ــ ص ١١ ، ١٨ ، ٤٩ .

بيبل (Bebel) **اوغست** (١٨٤٠ــ١٩١٣) ــ احد مؤسسي وزعما الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . كان له تأثير كبير في تطور الحركة العمالية الالمانية والعالمية . ــ ص ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ .

بيرغر (Berger) **فكتور لويس** (١٨٦٠ ــ ١٩٢٩) ــ اشتراكي اميركي . احد منظمي وقادة الحزب الاشتراكي الاصلاحي الاميركي . ــ ص ٣٥٩ .

بيريكا (Péricat) **ريمون** ــ امين اتحاد عمال البناء في فرنسا . عضو لجنة الاممية الثالثة في فرنسا . ــ ص ٣٩٠ .

بيسمارك (Bismarck) **اوتو ادوارد ليوبولد** (١٨١٥ ــ ١٨٩٨) ــ رجل دولة الماني . مستشار بروسيا ابان الحرب الفرنسية ــ البروسية عام ١٨٧٠ . حقق توحيد الدويلات الالمانية المتفرقة في امبراطورية المانية واحدة بزعامة بروسيا . مستشار المانيا من ١٨٧٠ الى ١٨٩٠ . ــ ص ٢١٦ .

بيلوروسوف (بيليفسكي) ا . س . (١٨٥٩ ــ ١٩١٩) ــ كاتب اجتماعي وسياسي . شعبي يميني . في ١٩١٨ ، بوصفه ممثل المركز السري للثورة المضادة في موسكو ، كان على ارتباط مع كورنيلوف ثم مع كولتشاك . ــ ص ٣٧ .

تايلور (Taylor) **فريدريك ونسلو** (١٨٥٦ ــ ١٩١٥) ــ مهندس اميركي . مؤسس نظام لتنظيم العمل يرمي الى الحد الأقصى من تكثيف يوم العمل والاستفادة العقلانية من وسائل الانتاج وادوات العمل . ــ ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٩ .

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩ ــ ١٩٤٠) ــ اشتراكي ــ ديموقراطي . منشفي . بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، تصفوي . في مرحلة الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، وسطي ؛ ناضل ضد لينين في مسائل الحرب والسلم والثورة . في المؤتمر السادس ح ع ا د ر (١٩١٧) ، قبل في الحزب البلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، شغل عدداً من المناصب المسؤولة . شن نضالاً تكتليا ضاريا ضد الخط العام للحزب ، ضد البرنامج اللينيني لبناء الاشتراكية ، وقال باستحالة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي .

فضح الحزب الشيوعي التروتسكية بوصفها انحرافاً برجوازيـاً صغيراً في الحزب ، وحطمها فكرياً وتنظيميـاً . في عام ١٩٢٧ ، طرد تروتسكي من الحزب . في عام ١٩٢٩ نفي من الاتحاد السوفييتي لنشاطه ضد السلطة السوفييتية . ــ ص ٤١٣ ، ٤٤٤ .

تورغينيف ايفان سرغييفيتش (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) ـ كاتب روسي . ليبيرالي من حيث آرائه السياسية . ـ ص ٥٢ .

تولستوي ليون نيقولاييفيتش (١٨٢٨ـ١٩١٠) ـ كاتب روسي عظيم . ـ ص ٢٣٢ .

تومسكي م . ب . (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) ـ بلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، رئيس مجلس النقابات في موسكو . منذ ١٩١٩ رئيس هيئة رئاسة مجلس النقابات المركزي لعامة الاتحاد السوفييتي . انبرى غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية . ـ ص ٣٢٣ .

دافيد (David) **ادوارد** (١٨٦٣ ـ ١٩٣٠) ـ احد زعماء الجناح اليميني في الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية . محرف . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، اشتراكي ـ شوفيني . فى عام ١٩١٩ دخل في قوام اول حكومة ائتلافية في جمهورية المانيا . ـ ص ٥١٧ .

دان (غورفيتش) فيودور ايفانوفيتش (١٨٧١ ـ ١٩٤٧) ـ احد زعماء المنشفية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، اشتراكي ـ شوفيني . ـ ص ٢٢١ .

دبس (Debs) **اوجين فكتور** (١٨٥٥ ـ ١٩٢٦) ـ قائد فى الحركة العمالية في الولايات المتحدة الاميركية . احد منظمي الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الذي شكل نواة الحزب الاشتراكي الناشئ في عامي ١٩٠٠ و١٩٠١ . ترأس جناحه اليساري . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، اممي . ـ ص ١٢٨ ، ٣٥٦ .

دريفوس (Dreyfus) **الفرد** (١٨٥٩ ـ ١٩٣٥) ـ ضابط في هيئة الاركان العامة الفرنسية . يهودي . حكم عليه في عام ١٨٩٤ بالسجن المؤبد بتهمة جلية البطلان ، تهمة الخيانة العظمى . هبت الطبقة العاملة وفئة

زينوفييف (رادوميسلسكي) غريغوري يفسييفيتش (١٨٨٣-١٩٣٦) - انضم الى الحزب البلشفي في عام ١٩٠١ . بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥-١٩٠٧ ، وقف من التصفويين والانسحابيين والتروتسكيين موقف المصالحة . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ، وقف مواقف اممية . في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، نشر مع كامينيف في الجريدة نصف المنشفية «نوفايا جيزن» بياناً بعدم موافقته على قرار اللجنة المركزية بصدد الانتفاضة المسلحة ، فكشف بالتالي للحكومة الموقتة البرجوازية خطط الحزب . - ص ١٥٩ ، ١٦١ ، ٣٠٤ ، ٤٥٤ .

سادول (Sadoul) **جاك** (١٨٨١-١٩٥٦) - ضابط في الجيش الفرنسي . عضو الحزب الاشتراكي الفرنسي . وقف مواقف اشتراكية-شوفينية . في عام ١٩١٧ ، عندما كان عضواً في البعثة العسكرية الفرنسية في روسيا ، انضم ، بتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية ، الى الفرع الفرنسي للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، ثم تطوع في الجيش الاحمر . - ص ١٢٤ .

سافينكوف بوريس فكتوروفيتش (١٨٧٩-١٩٢٥) - احد قادة حزب الاشتراكيين-الثوريين . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، احد مدبري الفتن المعادية للثورة والتدخل الاجنبي المسلح للدول الامبريالية ضد الجمهورية السوفييتية . - ص ١٧ ، ١٨ ، ٤١ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ ، ٥٣٤ .

سان-سيمون (Saint-Simon) **هنري كلود** (١٧٦٠-١٨٢٥) - اشتراكي-طوبوي فرنسي عظيم . - ص ٢٨٢ .

سبيريدونوفا ماريا الكسندروفنا (١٨٨٤-١٩٤١) - من زعماء حزب الاشتراكيين-الثوريين . في عام ١٩٠٦ حوكمت وأرسلت الى الاشغال الشاقة بسبب اعتدائها على لوتينوفسكي منظم المذابح التي حققتها المائة السود . بعد ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية (١٩١٧) ، من زعماء الجناح اليساري في حزب الاشتراكيين-الثوريين . - ص ١٠٥ ، ١١٠ .

ستالين (دجوغاشفيلي) يوسف فيساريونوفيتش (١٨٧٩ـ١٩٥٣) . ـ ص ٩٥ .

ستروفه بيوتر برنغاردوفيتش (١٨٧٠ـ١٩٤٤) ـ اقتصادي وكاتب اجتماعي وسياسي روسي . في التسعينيات من القرن الماضي ، من ابرز ممثلي «الماركسية الشرعية» . فيما بعد ، احد زعماء حزب الكاديت . ـ ص ١٦٠ .

ستوليبين بيوتر اركادييفيتش (١٨٦٢ـ١٩١١) ـ رجل دولة في روسيا القيصرية . من ١٩٠٦ الى ١٩١١ ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية في روسيا . باسمه تقترن مرحلة من الرجعية السياسية الخارقة القساوة ومن عمليات الاعدام بالجملة بغية خنق ثورة ١٩٠٥ـ١٩٠٧ . ـ ص ٣٠٠ .

سفردلوف ياكوف ميخايلوفيتش (١٨٨٥ـ١٩١٩) ـ قائد في الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية . رئيس اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا (١٩١٧ـ١٩١٩) . ـ ص ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

سفياتيتسكي ن . ف . (ولد عام ١٨٨٧) ـ اشتراكي-ثوري . عضو الجمعية التأسيسية . في عام ١٩١٨ امين اللجنة المعادية للثورة لاعضاء الجمعية التأسيسية في سامارا . بعد انقلاب كولتشاك واعتقال الكثيرين من اعضاء الجمعية التأسيسية ، انضم الى فرقة الاشتراكيين-الثوريين «الشعب» التي عدلت عن النضال ضد السلطة السوفييتية . فيما بعد ، عمل في الدوائر السوفييتية . ـ ص ٥٣١ .

سفينهوفود (Svinhufvud) **بير ايفيند** (١٨٦١ـ١٩٤٤) ـ سياسي ورجل دولة فنلندي . في ١٩١٧ و١٩١٨ ، رئيس الحكومة البرجوازية الفنلندية التي لجأت الى الارهاب الوحشي ضد الثورة العمالية الفنلندية . ـ ص ٤١٧ .

سوروكين بيتيريم الكسندروفيتش (١٨٨٩–١٩٦٨) – اشتراكي-ثوري . حتى عام ١٩١٧ كان استاذاً محاضراً في جامعة بتروغراد . من ١٩١٩ الى ١٩٢٢ ، مارس تدريس علم الاجتماع في مؤسسات التعليم العالي في بتروغراد . نفي الى الخارج بسبب نشاطه المعادي للثورة . ومنذ عام ١٩٢٣ اقام في الولايات المتحدة الاميركية . – ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ .

سوسنوفسكي ل . س . (١٨٨٦–١٩٣٧) – اشتراكي-ديموقراطي روسي . بلشفي . من ١٩١٨ الى ١٩٢٤ ، محرر في جريدة «بدنوتا» («الفقراء») . فيما بعد ، مناضل نشيط في المعارضة التروتسكية . – ص ٣٢٨ .

سيراتي (Serrati) **جاتشينتو مينوتي** (١٨٧٢–١٩٢٦) – قائد في الحركة العمالية الايطالية . احد قادة الحزب الاشتراكي الايطالي . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، اممي . فيما بعد شيوعي . – ص ٣٥٦ .

شاوميان ستيبان غيورغييفيتش (١٨٧٨–١٩١٨) – اشتراكي-ديموقراطي . شيوعي . من قادة الحركة الاشتراكية-الديموقراطية فيما وراء القفقاس (ارمينيا ، جورجيا ، اذربيجان) . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، المفوض الموقت فوق العادة لشؤون القفقاس . اعدمه المتدخلون الانجليز رمياً بالرصاص مع مفوضي باكو الـ ٢٥ الآخرين (٢٠ ايلول – سبتمبر – ١٩١٨) . – ص ٩٥–٩٦ .

شتين (روبنشتين) أ . (١٨٨١–١٩٤٨) – منشفي . في عام ١٩٠٦ ، هاجر من روسيا الى المانيا . منذ بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، اصدر مع كاوتسكي وبرنشتين الصحيفة الاسبوعية «Sozialistische Auslands politik» (سوسياليستيشه اوسلندس بوليتيك» – «السياسة الخارجية الاشتراكية») . – ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٣ .

فاندرفيلده (Vandervelde) **اميـل** (١٨٦٦ـ١٩٣٨) ـ احد زعماء حزب العمال البلجيكي والاممية الثانية ؛ رئيس المكتب الاشتراكي العالمي . انتهازي . ابان الحرب العالميـة الاولى (١٩١٤ـ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . دخل في الحكومة البرجوازية البلجيكية . ـ ص ٢٧٦ـ٢٨٤ ، ٣٢٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ .

فرومكين م . اي . (غرمانوف ل .) (١٨٧٨ـ١٩٣٩) ـ بلشفي . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، عمل في الميدان الحزبي والسوفييتي . ـ ص ٥٤٨ .

فولسكي ف . ك . (ولد عام ١٨٧٧) ـ اشتراكي-ثوري ، عضو الجمعيـة التأسيسية . رئيس اللجنة المعادية للثورة لاعضاء الجمعية التاسيسية في سامارا («كوموتش») . بعد انقلاب كولتشاك واعتقال الكثيرين من اعضاء الجمعيـة التأسيسيـة ، توقفَ عن النضال ضد السلطـة السوفييتية . ـ ص ٥٣١ .

فوينوف ايفان افكسنتييفيتش (١٨٨٤ـ١٩١٧) ـ بلشفي . معاون ومراسل نشيط لصحيفتي «زفيزدا» و «برافدا» . ـ ص ٣٦١ .

فيبر هنريخ ـ راجعوا **باور اوتو** .

فيتلينغ (Weitling) **ولهلم** (١٨٠٨ـ١٨٧١) ـ اشتراكي-طوبوي الماني . قائد في الحركة العمالية الالمانية في اطوارها الاولى . ـ ص ١٧٧ .

فيريسايف ف . (سميدوفيتش ف . ف .) (١٨٦٧ـ١٩٤٥) ـ كاتـب روسي . طبيب من حيث التحصيل . ـ ص ٨٧ .

كافينياك (Cavaignac) **لويس اوجين** (١٨٠٢ـ١٨٥٧) ـ جنرال فرنسي . في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ترأس الديكتاتورية العسكرية وقمع بقساوة خارقة انتفاضة عمال باريس في حزيران . ـ ص ٣٨ .

كاليديـــن الكسي مكسيموفيتش (١٨٦١–١٩١٨) – جنـرال في الجيش القيصري . اشترك بنشاط في الفتنة الكورنيلوفية . – ص ٧٠ ، ٢١٠ .

كامكوف ب . د . (١٨٨٥–١٩٣٨) – احـــد منظمي وزعمــــاء حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين . في عام ١٩١٨ ، عارض عقد معاهدة صلح بريست وكان احد المبادرين الى اغتيال السفيـر الالماني ميرباخ ومنظمي فتنة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين في موسكو . – ص ١١٠ .

كاوتسكي (Kautsky) **كارل** (١٨٥٤–١٩٣٨) – احد زعمـاء الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية . في البدء ماركسي . فيما بعد ، مرتد عن الماركسية . ايديولوجي الوسطية (الكاوتسكية) . صاحـــب النظرية الرجعية القائلـــة «بالامبرياليـــة العليا» . انبرى ضد الثورة الاشتراكية والدولة السوفييتية . – ص ١٥٩–١٨٣ ، ١٨٥–١٩١ ، ١٩٣–٢٣١ ، ٢٣٣–٢٣٤ ، ٢٣٥–٢٤٣ ، ٢٤٥–٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ – ٢٨٤ ، ٣١٦ – ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٩٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٠–٥٢٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٤ .

كراسنوف بيوتـــر نيقولاييفيتش (١٨٦٩–١٩٤٧) – جنـرال في الجيش القيصري . اشترك في فتنة كورنيلـــوف في آب (اغسطس) ١٩١٧ . – ص ١٧ ، ١٥٧ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٧٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ .

كروب (Krupp) – سلالة اصحاب الكونسورسيوم لصناعة التعدين والاعتدة الحربية في المانيا . اشتركوا بنشاط في تحضير الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) ، واسهموا في ايصال هتلر الى الحكم . – ص ١٨٠ .

كليمانسو (Clemenceau) **جورج بنيامين** (١٨٤١–١٩٢٩) – سياسي ورجل دولة فرنسي . من ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ ، ومن ١٩١٧ الى ١٩٢٠ ، ترأس الحكومة الفرنسية ، وانتهج سياسة التعصب القومي والشوفينية واعمال

39—848

القمع القاسي بحق الطبقة العاملة . ــ ص ١٨٠ ، ٢٣٣ ، ٣٦٢ ، ٥١٢ ، ٥٢٥ .

كوتشوك خان (توفي في عام ١٩٢١) ــ سياسي ايراني ؛ اعرب عن مصالح البرجوازية التجارية وقسم من الملاكين العقاريين الاقطاعيين . ــ ص ٩٥ .

كورغانوف غ . ن . (١٨٨٦ــ١٩١٨) ــ مفوض الحربية في مجلس مفوضي الشعب في باكو . في ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨ اعدمه المتدخلون الانجليز رمياً بالرصاص مع مفوضي باكو الـ ٢٥ الآخرين . ــ ص ٩٤ .

كورنيلوف لافر غيورغييفيتش (١٨٧٠ــ١٩١٨) ــ جنرال في الجيش القيصري . منذ عام ١٩١٧ القائد العام الاعلى للجيش الروسي . في آب (اغسطس) ١٩١٧ ترأس فتنة معادية للثورة . بعد سحق الفتنة ، زج به في السجن ، ولكنه فر من السجن الى منطقة الدون حيث نظم «جيش المتطوعين» من الحرس الابيض ، ثم صار آمره . ــ ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ ، ٤٣٨ .

كوزلوف ن . م . صناعي روسي . ــ ص ٣٢٩ .

كولب (Kolb) **ولهلم** (١٨٧٠ــ١٩١٨) ــ اشتراكي-ديموقراطي الماني . انتهازي ومحرف . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، اشتراكي-شوفيني . ــ ص ٢٢٥ .

كولتشاك الكسندر فاسيلييفيتش (١٨٧٣ــ١٩٢٠) ــ اميرال في الاسطول القيصري . ملكي . ترأس الثورة المضادة البرجوازية والاقطاعية في سيبيريا عام ١٩١٩ . صنيعة الامبريالية الانجلو-اميركية-فرنسية . ــ ص ٤٩٠ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ــ٥٣٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٨ــ٥٥٠ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ .

كوليغايف اندري لوكيتش (١٨٨٧ــ١٩٣٧) ــ عضو حزب الاشتراكيين-الثوريين . في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ ، مفوض الشعب للزراعة . فيما بعد ، بلشفي . ــ ص ٢٤٦ ، ٣٠١ .

كيرنسكي الكسندر فيودوروفيتش (١٨٨١–١٩٧٠) ـ اشتراكي-ثوري . في عام ١٩١٧ ترأس الحكومة الموقتة البرجوازية . انتهج سياسة ترمي الى مواصلة الحرب الامبريالية والى الابقاء على السلطة في يد البرجوازية . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية (١٩١٧) ، مهاجر ابيض . ـ ص ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤ ، ٣٠٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩٨ ، ٤٣٨ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ .

كيشكين نيقولاي ميخايلوفيتش (١٨٦٤–١٩٣٠) ـ احد زعمـــاء حزب الكاديت . وزير في الحكومة الموقتة البرجوازيـــة في عام ١٩١٧ . ـ ص ١١ .

لاتسيس مارتين ايفانوفيتش (سودرابس يا . ف .) (١٨٨٨–١٩٣٨) ـ اشتراكي-ديموقراطي . شيوعي . بعد ثورة اكتوبـــر الاشتراكيـــة (١٩١٧) ، شغل مناصب مسؤولة في الحزب وفي ميدان الاقتصاد . ـ ص ٣٣١ .

لادزاري (Lazzari) **قسطنطينو** (١٨٥٧–١٩٢٧) ـ قائـــد في الحركـــة الاشتراكية في ايطاليا . احد مؤسسي حزب العمال الايطالي (١٨٨٢) ، ثم الحزب الاشتراكي الايطالي (١٨٩٢) . من ١٩١٢ الى ١٩١٩ الامين العام للحزب الاشتراكي الايطالي . ـ ص ٣٥٦ .

لافال (Laval) **بيير** (١٨٨٣–١٩٤٥) ـ سياسي فرنسي . ابتداء من عام ١٩١٤ عضـــو مجلس النواب . اشتراكي-شوفيني . ابتداء من عام ١٩٢٥ ، دخل غير مرة في قوام الحكومة الفرنسية وكان رئيساً للوزارة . احد ملهمي السياسة اللاوطنيـــة والموالية للفاشية التي اسفرت في عام ١٩٤٠ عن استسلام فرنسا لالمانيا الهتلرية . من عام ١٩٤٢ الى عام

ماكدونالـــد (MacDonald) **جيمس رمسي** (١٨٦٦ ــ ١٩٣٧) ــ احـــد مؤسسي وزعماء حزب العمال المستقل في انجلترا والحزب اللايبوري (حزب العمال) . انتهج سياسة انتهازية ، وروج بنظريـــة التعاون بين الطبقات وتحول الرأسمالية تدريجياً الى اشتراكية . في مستهل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ، مسالم ، ثم سلك سبيل التاييـــد السافر للبرجوازية الامبريالية . ــ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ .

ماكلين (Maclean) **جون** (١٨٧٩ ــ ١٩٢٣) ــ قائد في الحركة العماليـــة الانجليزية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، اممي . احد قادة الحزب الاشتراكي البريطاني (ابتداء من نيســان ــ ابريـــل ــ ١٩١٦) . ــ ص ٣٠٢ ، ٣٥٦ .

مالــفي (Malvy) **جــان لويس** (١٨٧٥ ــ ١٩٤٩) ــ رجــل دولة فرنسي . راديكالي-اشتراكي . من ١٩١٤ الى ١٩١٧ ، وزير الداخلية . بنـــاء على طلب الاوساط السوفييتيـــة في فرنســـا ، حكـم عليـــه بالنفي بسبب «تغاطيـــه» عن الدعايـــة ضد العسكريـــة . فيما بعد ، رئيس كتلـــة الراديكاليين-الاشتراكيين في البرلمـان ؛ شغل عدداً من المناصب الحكومية . ــ ص ١٤٠ .

منغر (Menger) **انطون** (١٨٤١ ــ ١٩٠٦) ــ حقوقي نمســـاوي . ممثـــل ما يسمى «الاشتراكيـــة الحقوقيـــة» . ــ ص ٢٨٢ .

مهرينغ (Mehring) **فرانتس** (١٨٤٦ ــ ١٩١٩) ــ احــد زعمــاء ونظريي الجناح اليساري في الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ــ١٩١٨) ، اممي . وقف مهرينـــغ بنشاط ضد الانتهـــازية والتحريفيـــة في صفوف الاممية الثانيـــة . احـــد منظمي وقادة «اتحاد سبارتاك» الثوري . اشترك في تاسيس الحزب الشيوعي الالماني . ــ ص ٣٥٥ .

محتويات

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو ـ الاتحاد السوفييتي

تصويب

نرجو قراءة السطر ١٦ على الصفحة ١٦٦ كما يلي :
الانتقال في انجلترا واميركا يمكن ان يتم بصورة سلمية ،
اي عن طريق

Зак. 848